سلسلة قبائل العرب



في

الجاهلية والإسلام

نسب - أعلام - شعر - أدب

عبد القادر فياض حرفوش

دار البشائر

حكمة الكتاب

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء : ٣٧ ـ ٣٨] .

* * *

كلمة

سادت الأمم بالعلم والعقل المبدع في الابتكار ، والفكر المتجدد ، والإخلاص بالعمل ، والتنافس الشريف ، والأخلاق الفاضلة ، والإيمان بالله والوطن ، ففي مثل هذه القيم يكبر الوطن .

أما الأخطار التي تهدم أساس بنية المجتمع فهي تكمن في الغش « مَنْ غَشَّنا لَيسَ مِنّا » والرشوة « لَعَنَ اللهُ الرّاشي وَالمُرْتَشي وَالرّائِشُ بَيْنَهُما » ، والطائفية المقيتة والتعصب العشائري والشعوبي ، والخيانة ؛ فالمجتمع الذي ابتلي بمثل هذه الآفات الخطيرة فهو كالجسم إذا ما هاجمه المرض يحتاج إلى علاج .

وفي هذه الأرضية الخصبة يطلُّ المنافق برأسه وآية المنافق ثلاثٌ : « إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإذا أَؤْتُمِنَ خانَ » ، وقيل : إذا عاهَدَ غَدَر ، وَإذا خاصَمَ فَجَرَ . « أحاديث النبي محمد ﷺ »

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران ٣ الآية ١١٠]

عبد القادر فياض حرفوش

سِلْسِلَةُ قَبَائِلِ العَرَبِ
(٤)



هوية الكتاب

الاسم : قَبيلةُ تَغْلِب في الجاهلية والإسلام
تأليف : **عبد القادر فياض حرفوش**
عدد النسخ : ألف نسخة
عدد الصفحات :
الدار الناشرة : **دار البشائر ـ دمشق**
الطباعة : دار الشام للطباعة
التنضيد : البصائر للطباعة (**زياد السروجي**) دمشق ـ هاتف ٢٧٦٢٣٣٨
تاريخ الطباعة : ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م
الطبعة : الأولى ـ دمشق

دمشق : شارع ٢٩ أيار ـ جادة كرجية حداد ـ هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ ـ ٢٣١٦٦٦٩
فاكس : ٢٣١٦١٩٦ ص. ب ٤٩٢٦



الإهداء

إلى قادة الفتح العربي الإسلامي في ديار تَغْلِب : خالد بن الوليد ، وعياض بن غَنْم .

إلى قائدهم الذي كان بالعرب رحيماً حريصاً رغم اعتناقهم غير دين الإسلام ، الفاروق عمر بن الخطاب ، الذي عمل كثيراً من أجل الفتوحات وإعلاء كلمة الإسلام .

إلى رجل السيف قوله وفعله الفارس الشاعر سيف الدولة الحمداني صاحب مجالس الأدب الرفيع ، والسيف الذي لا يمله صاحبه في محاربة الأعداء ورد غزواتهم .

إلى الشاعر الفارس أبي فراس زين الشباب الذي أثقلته سلاسل الأسر فأبدع سلاسل الشعر الذهبية .

إلى علماء وشعراء وقادة تَغلب الذين تركوا أثراً طيباً .

إليكم جميعاً أهدي هذا الأثر الذي يحتوي عطراً من ماضيكم ، وغبار حروبكم ، وصليل سيوفكم ، وحمحمة خيولكم ، ونزيف جراحكم ، كل هذا ينساب عبر صفحات التاريخ ، تحمله أجنحة الشعر والأدب ، فتطل صوركم مشرقة من بين هذا كله .

عبد القادر حرفوش

موضوعات الكتاب

مقدمة

قبيلة تَغْلِب بن وائل من قبائل العرب المشهورة في الجاهلية والإسلام ، واشتهرت بحرب البسوس أي حرب بكر وتَغْلِب التي استمرت أربعين عاماً وأصاب القبيلتان البؤس والشتات والخسائر والحقد والكراهية والعداء .

وتَغْلِب من رضَفَات العرب ، ورَضَفَات العرب أربعة شيبان ، وتَغْلب ، وبَهْراء ، وإياد[1] . وإذا عزَّت القبيلة وقَهرت القبائل فهي رأس[2] ، كذلك تُسمى ، ولذلك قال عَمرو بن كُلثوم :

بــرأسٍ مــن بنــي جُشَــمَ بْــنِ بَكْــرٍ   نَــدُقُّ بــهِ السُّهُــولَــةَ والحُــزُوْنــا[3]

وهنا يشير عمرو بن كلثوم إلى تَغْلِب بأنها رأس .

والقبيلة القوية بعددها وعدتها وشجاعة فرسانها ومناقبها وغزواتها وعزتها ومنعتها ، تتبوأ مكانتها الاجتماعية بين القبائل ، وإذا نبغ منها شاعر ينافح عنها مثل الأخطل أو جرير كان دعامة لها ، ومن كانت تلك صفاتها ، تكون مهابة ولقادتها حق التقدير بين أيدي الأمراء والملوك والقادة ، وفي مواسم الحج ، وفي الأسواق التي كانت تنتشر في مدن شبه الجزيرة العربية .

---

(١) رَضَفَ ، والرَّضَفَةُ مُحَرَّكَةٌ ، سِمةٌ تكوى بحجارة « القاموس المحيط ـ رضف » .
والرَّضْفُ : الحجارة المُحماة في النار أو الشمس ، واحدتها رضفةٌ ، قال الكميت بن زيد :
أَجيبُوا رُقى الآسي النّطاسيِّ واحْذَروا   مُطَفِّئَـةَ الـرَّضْـفِ التـي لا شِـوَى لهـا
« لسان العرب ـ رضف » .

(٢) البرصان والعرجان ٣١٠ .

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم ٨٨ . الرأس : الرئيس ، والجماعة ، والحيُّ العظيم ، يقال للحيّ إذا كثروا وعزُّوا : رأس . وقال الجوهري (٩٢٩) : « وأنا أرى أنّه أراد الرئيس ، لأنه قال : ندق به ، ولم يقل : ندق بهم » . والحَزْن : المكان الغليظ .

وكان الأمير أو الخليفة يُقرب إليه رؤساء القبائل ويغدق عليهم حتى يكونوا حلفاء له عندما يندبهم لأمرٍ يحتاجه .

فالعداء والمخاصمة يؤديان إلى الثورة وعدم الاستقرار ، إذ كانت القبيلة تغضب بأجمعها لغضب زعيمها في الجاهلية ، وامتدت تلك الطاعة معها إلى الإسلام الذي خفف من غلوائها وتعصبها القبلي ولكنه لم يستطع القضاء عليها ، ولننظر إلى حادثة وقعت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عندما قدمت عليه وفود تميم وكان على رأسها عمرو بن الأهتم ، والأحنف بن قيس ، وكيف كانت نظرة كل واحد منهما إلى قبيلته في ظل الإسلام ، فأراد عمر بن الخطاب أن يقرع بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الأحنف :

ثَـوى قَـدحٌ طَـالمـا ثَـوى　　فلمَّا أتـاهـم قـالَ قُومُوا تَنـاجَزُوا

وكان عمرو بن الأهتم أكثر وعياً واستيعاباً للإسلام وتجاوزاً للجاهلية وعصرها الذي كانت تسوده القبلية والتعصب القبلي فقال :

« إنَّا كنَّا وأنتم في دار جاهلية ، فكان الفضل فيها لمن جَهل فَسفكنا دِماءكم ، وسَبينا نِساءكم ، وإنَّا اليوم في دار الإسلام ، والفضل فيها لمن حلم ، فغفر الله لنا ولك » .

فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت القرعة لآل الأهتم ، فقال عمرو بن الأهتم :

لمَّـا دَعتنـي للـرِّيـاسـةِ مِنْقَـر　　لدى مَجْلسٍ أَضحى بِهِ النَّجم بَادِيا
شَدَدْتُ لها أَزْرِي وقد كنتُ قبلها　　لأمثـالهـا ممَّـا أَشُـدَّ إزارِيـا[١]

أما قصة معبد[٢] بن عُصم بن النُّعمان التَّغلبي ، تدل على مدى ارتباط الفرد بقبيلته والتعصب لها . لقد كان والد معبد مجاوراً شرحبيل الملك بن

---

(١) عقد فريد ٢/ ٦٤ .
(٢) انظر مفصل قصة معبد في هذا الكتاب .

الحارث بن عمرو الملك المقصور ابن آكل المرار الكندي فجعل شرحبيل له الردافة وأخذ عصم على شرحبيل أن لا يدخل ابنه معبداً في ردافته ولا ندامه لأنه رجل لا يقرر على ضيم .

وبينما كان الملك في رحلة صيد رأى راعياً ، قال من هو ؟ قالوا له معبد .

قال : ادعوه حتى نروزه ، فإن أباه زعم أنه لم يقرر على ضيم قط .

فدعوه فجاء فتغدى ، ثم أشار شرحبيل إلى بعض جلسائه ليتحرش به ، وادعى الرجل أنه لطم عين رجل من تغلب . فقال معبد : أفأعطيته حقه ؟ قال : لا . قال : أفغفر لك ؟ قال : لا . فلطم معبد عينه وقال : « هذه بتلك والبادىء أظلم » . فذهبت مثلاً .

وتحدث الملك عن رجل من تَغْلِب ، فقال معبد : ساعد الملك إلهه ! ليذكر بني تَغْلِب بخير أو يسكت . وذكر الملك بأنه ضرب التَّغلبي بقوس فَشج رأسه . وسأله معبد كما سأل صاحبه ، ونفى الملك أنه أعطاه حقه فرفع معبد قوسه وضرب رأس الملك فوقع مغشياً عليه . وقُتل معبد[1] .

مساكن تغلب :

وجاء أن سابور الفُرس عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فَقتل مَنْ وجد بها من العرب وسبى وطم مياههم ، وإنّه أسكن من بني تَغْلب من البحرين واسمها هَيْج[2] ـ والخُطَّ[3] .

---

(١) المحبر ٢٠٤ .

(٢) طبري ٢/ ٦١ وهيج : اسم موضع (معجم البلدان ٥/ ٣٠٤) . وفي معجم ما استعجم ٤/ ١٣٥٨ : اسم موضع وفي الصفحة ١٠٣٢ رسم فَيحان : موضع في ديار بني عامر ، قال عَبيدُ بن الأبرص .

أَقْفَرَ من مَيَّة الدَّوَافِعُ مِنْ حيث تَغْشّى فَيْحانُ فالرِّجَلُ
فالقُطبيّاتُ فالدُّكادِكُ فالهَيْجُ فأعلى هُبَيرة السهلُ

(٣) الخُطَّ : خُطّ عبد القيس بالبحرين وهو كثير النخل . (معجم البلدان ٢/ ٤٣٣) . =

وكانت مواطن تَغْلِب وغيرها من قبائل العرب من ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة[١] .

ومن منازل تغلب : خفان ، موضع قبل اليمامة ، أشب الغياض كثير الأُسد ، ومنازل تغلب ما بين خفان والعُذيب[٢] .

وعن مواطن تغلب ، جاء في نهاية الأرب : كانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونَصيبين وتعرف ديارهم هذه بديار ربيعة[٣] .

وقال أبو الفرج الأصبهاني :

وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلاّ قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقُضاعة وأخلاط مُضر ، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب ، وأرسلت إلى مهاجريها وهم بأذربيجان فأتاهم شُعيب مُليل في ألفي فارس[٤] .

وقال ابن الأثير : كانت منازل تَغلب بين الخابور والفرات ودجلة[٥] .

تَغْلِب والفتوحات العربية الإسلامية :

كانت تَغْلِب تعتنق الديانة النصرانية عندما بدأت الفتوحات الإسلامية ، وهناك روايات تشير إلى أن بعضاً من تَغلب تعاون مع الفتح ، إذ تَغَلّبَ لديهم الشعور بالانتماء إلى العرب فهم أقرباء لهم وأصلهم وجذورهم واحدة ولغتهم واحدة وإن اختلفت ديانتهم ، فآثروا الوقوف لجانب أبناء عمومتهم وتركوا

= وفي معجم ما استعجم ٢/ ٥٠٣ ، الخَطّ : قرية على ساحل البحرين وهي لعبد القيس ، فيها الرماح الجياد ، قال عمرو بن شأس :

بــأَيْــديهــمُ سُمْــرٌ شــداد مُتُــونُهــا   من الخَطّ أو هِنْدِيَّةٌ أُحدِثَتْ صَقْلاَ

(١) معجم ما استعجم ١/ ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٠٥ .
(٣) نهاية الأرب ١٨٧ .
(٤) الأغاني ١٢/ ٢٠٣ .
(٥) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٠ ـ وانظر مفصل ذلك في مساكن تغلب في هذا الكتاب .

العجم وقالوا : نقاتل مع قومنا . وأذكر بعضاً من هذه الروايات على سبيل المثال لا الحصر .

تَغْلِب ومعركة البويب[1] في سنة ١٣ هـ .

قال ابن الأثير :

وبعث المُثَنّى[2] الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا إليه في جمع عظيم ، وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النَّمري في جمع عظيم من النَّمر نصارى وقالوا : نقاتل مع قومنا .

فلما طال القتال واشتد قال المُثَنَّى لأنس بن هلال النَّمري : إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا فإذا حملت على مِهْران فاحمل معي فأجابه .

وقَتل غلام نصراني من تَغلب مِهْران ، واستوى على فرسه ، فجعل المُثنى سَلَبه لصاحب خيله ، وكان التَّغلبي قد جلب خيلاً هو وجماعة من تَغْلِب ، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب[3] .

وفي رواية الطبري :

جلب فتية من تَغْلِب أفراساً ، فلما التقى الزحفان يوم البُويب قالوا : نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مِهْران يومئذٍ ـ وقال : أنا الفتى التَّغلبي ، أنا قتلت المرزبان[4] .

وجاء أيضاً :

وقدم ابن مِرْدَى التَّغلبي في أُناس من بني تَغْلِب نَصارى وجلّاب جلبوا

---

(١) البُويب : موضع بالعراق قريب من الكوفة كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس « معجم البلدان ١/ ٦٠٧ » « والروض المعطار ١١٧ » .
(٢) المُثَنّى بن حارثة الشيباني أحد قادة الجيوش العربية في العراق ومن فرسانهم .
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٤٢ ، ٤٤٣ .
(٤) طبري ٣/ ٤٦٦ .

خيلاً ، وهو عبد الله بن كُليب بن خالد ، وقال حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا[1] .

ولقد ذكرت كل المواقع التي جرت بين المسلمين وتغلب أثناء الفتوح[2] .

منهج الكتاب :

من يعمل في التراث لا يأمن العثرات مهما بلغ لديه الحرص ودقة البحث والمقارنة والتحليل والتركيب والاستنتاج ، فلا بد من الوقوف طويلاً أمام بعض النصوص والأسماء التي تقف بصلابة دون الوصول إلى إيضاحها ، وهنايحصل التحدي إما أن نتجاوز تلك العقبة . وهذا ليس من إتقان عمل البحث التخطي دون معرفة أو جواب . ولا بد من الجد في البحث عن الحل . وبالصبر والأناة والبحث الدؤوب تم تذليل الصعاب وتحويلها إلى أداة طيعة .

وهذا الكتاب الرابع من سلسلة قبائل العرب ، طيء ، خزاعة ، ضبة ، تَغْلِب ، فأصبح العمل موسوعياً لما فيه من كثرة الأعلام من شعراء وعلماء وقادة أنافوا على المئات لكلٍ منهم ترجمة أضف إلى كل ما يتعلق بالقبيلة من نسب وأيام ومواقع ومسكن وديانة وخيل وتنقلات ، وإن كتاب تَغْلِب لا يقل أهمية عن سابقيه ، فهو من الأهمية بمكان لكثرة أيام تغلب واحتكاكها مع القبائل الأخرى في الجاهلية والإسلام وكل هذا أصبح جزءاً من تراثنا وتاريخنا .

ولقد اتبعت النهج العلمي في البحث والعودة إلى أصول المعلومة من مصادرها المحققة ، فإن تعسر الأمر في مكتبتي المتواضعة ألوذ إلى المكتبات العامة ، وإلى المكتبات كافة أطلبها شراءً فإن تعذر ، فالتصوير أو الإعارة ، أضف إلى تهيئة الجو الملائم ، والجهد والسهر ونور عيون يتضاءل وجهد دون ملل ، وكلي أمل أن أصل إلى الغاية المرجوة بالإحاطة بالموضوع إحاطة كاملة استقصي كل صغيرة وكبيرة وأن أقدم عملاً يقارب الكمال ، ولكن هذا صعب المنال ، لكل شيء إذا ما تم نقصان .

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٤٦٤ .

(٢) انظر الفصل الأول في هذا الكتاب .

إن طريق البحث مليء بالصعوبات ، وإن الباحث يقف على بحر يزخر بالمكنونات ، فلن يغوص في أعماقه إلاّ كل ظامىء وعاشق ومحب للتراث .

إنّ كل معلومة هي مثبتة المصدر في الحاشية وإذا وجدت في أكثر من مصدر وفيها اختلافات أشرت إلى ذلك وناقشت . أما المصادر والمراجع المثبتة في المتن فقد أفردت لها باباً وهي مرتبة وفق الأحرف الهجائية ـ في نهاية الكتاب .

وكذلك أسماء الأشخاص ، فيها من التشابه حتى إنه يختلط الأمر على التمييز ، إلا أنه أمكن السيطرة على ذلك بعد مشقة بالمقارنة ، بالنسب ، والمسكن ، والعصر ، حتى تم تسوية ذلك .

أما أسماء المدن والمواقع ، فكان معجم البلدان ، ومعجم ما استعجم ، والتاج لقد ساعدت هذه المصادر على التعريف ، وحل الاشكالات التي واجهتني .

أما الشعر : تصادف الباحث قطعة شعرية أو قطع عدة وكل واحدة تنسب إلى أكثر من شاعر ، ولا بد من الترجيح بعد المناقشة لمن يكون الشعر ، وإذا تعذر يشار إليهم دون استثناء .

أما في شرح المفردات الصعبة اعتمدت القاموس المحيط ، ولسان العرب ، والتاج .

وفي أخبار العصر الجاهلي يصعب تحديد الزمن ، وإن التكهن لا يؤدي إلى الدقة المطلوبة ، وربما كان ذلك جرأة وخطأ في التحديد أو التقدير .

لقد قسمت الكتاب إلى فصول أربعة : الفصل الثاني للشعراء وقد قاربوا مائة شاعر والفصل الثالث للقادة والعلماء . والفصل الرابع للفهارس الفنية .

ـ الفصل الأول ـ

ـ حكمة الكتاب .

ـ الإهداء .

ـ مقدمة .

ـ تمهيد .

- يوم سفح متالع .
- يوم الشَّريَّة .
- يوم الشِّعب .
- يوم عاقل .
- يوم غَبغب .
- يوم الفُرات .
- يوم فلج .
- يوم وادي الأخرمين .
- يوم وادي الكنْهَل .
- تَغْلِب وَرْوح بن صالح الهمداني .
- تَغْلِب والسواجير .
- فتنة الموصل ، وقادة من تَغْلِب .
- آل حمدان وانتسابهم إلى تغلب .

أقول لقد بذلت كل جهدي صادق النية طالباً من الله عز وجل سداد الخطى ، والصحة والعافية وحسن الختام . فإن أخطأت فكل ابن آدم خطّاء ، ومن يعمل يخطىء ، وإن أصبت فهو توفيق من الله .

وكل شكري لأخي عبد الرحمن فياض حرفوش الذي وضع مكتبته بتصرفي .

وأشكر بناتي رحاب وتماضر لاهتمامهما بوضع الفهارس الفنية للكتاب .

وأخص بالشكر ابن العم الأستاذ مروان حرفوش الذي اندفع بكل أريحية ليصلني بهاتف المودة فخفف عني برد الشتاء وحرارة الشمس . جزاه الله الخير كله .

عبد القادر

تمهيد

تَغْلِبُ بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[١] .

وَوَلد تَغْلِب بن وائل : غَنْم ، والأوس ، وعمران[٢] .

ومن بطون تَغْلب : بنو جُشَم ، وبنوي عدي ، وبنو حُبيب ، وبنو وَائل ، وبنو غَنْم ، وبنو مُعاوية ، وبنو حصن ، والأَرَاقم ، وهم رهط عَمرو بن كُلثوم ، وكُليب ، ومُهَلْهِل ، وبنو عَقامة ، وبنو طَوق ، وبنو حَمدان ، وبنو فَرَاسان[٣] .

قال محمد بن أحمد الأسدي النسابة : اسم تَغْلِب دِثار ، وإنما سمي تَغْلب لأن أباه وائلاً قصدته اليمن في داره لتسبي أهله ، فصرخ أهله وعشيرته فَنُصر على اليمن ، وكان تَغلب طفلاً فتبرك به وقال : هذا تَغْلِب فسمي به[٤] .

وقال ابن حزم حول الموضوع نفسه : ولد وائل بن قاسط : بَكر ، ودِثار وهو تَغْلِب ، وعبد الله وهو عَنْز ، والشُّخَيْص دخل في تَغْلِب ، والحارث دخل في بني عائش بن مالك بن تَيْم الله بن ثَعلبة بن بكر بن وائل : أُمهم كلهم هِند بنت مُربن أدبن طابخة بن إلياس بن مُضَر[٥] .

وعند ابن دريد رواية مختلفة حول تسمية وائل بن قاسط لأولاده . إذ قال :

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٤٨٣ .

(٢) كتاب النسب لابن سلام ٣٥٤ .

(٣) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ١٦ .

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ١١٧ . وأنا أرجح هذه الرواية على غيرها لأنها الأقرب لفهم تبديل الاسم من دثار إلى تغلب .

(٥) جمهرة أنساب العرب ٣٠٢ .

« خرج وائل بن قاسط وامرأته تَمخَّضُ وهو يريد أن يرى شيئاً يسمِّي به ، فإذا هو ببكْرٍ قد عَرضَ له فرجَعَ وقد ولدت غلاماً فسمَّاه بكراً ، ثم خرج خرجةً أخرى وهي تَمخَّض فرأى عنزاً من الظباء فرجع وقد ولدت غلاماً ، فسمَّاه عَنْزاً ـ وهو مع خَثْعَم بالسَّراة وبالكوفة وفلسطين .

ثم خرج خرجةً أخرى ، فإذا هو بشُخَيصٍ قد ارتفع له ولم يتبيَّنه نظراً ، فسماه الشُّخيص وهم أبيات مع بني ثعلبة بن بكر بالكوفة ومنهم بقية بالجزيرة .

ثم خرج خَرجةً أخرى وهي تَمخَّض فغلبه أن يرى شيئاً فسمّاه تَغْلب[1] .

وهناك بعض القبائل فيها اسم تَغْلِب ولكنه مجرد اسم لا يمت إلى تَغْلِب بن وائل بصلة ومنعاً للإلتباس أوضح ذلك .

ـ بنو تغلب من جذيمة[2] .

وتَغْلِب بن حُلوان من قضاعة[3] .

وذكر أبو عبيدة عن تغلب حلوان ، وتَغْلِب ربيعة إنهما إخوة من الأم إذ قال : بني دارم بن مالك ، من ولد أسيدة بنت عمرو بن ربابة بن عمرو بن امرىء القيس بن قتيبة بن النمر بن وبرة بن تَغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، أخوة التَّغلبيين لأمهم بني أسيدة بنت عمرو ، وهي أم عمرو بن دارم ، وربيعة بن مالك ودارم بن حنظلة ، ورزام بن مالك بن حنظلة ، وأخوتهم لأمهم جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن تَغلب ، وهم زهير ومالك ، وسعد ، ومعاوية ، والحارث ، وعمرو ، وعامر بن جُشَم[4] .

إن حياة تَغْلِب في الجاهلية والإسلام مليئة بالحوادث والأيام والمواقع

---

(١) الاشتقاق ٦ .

(٢) نسب معد ١/ ٢٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥٥٣ .

(٤) أيام العرب في الجاهلية لأبي عبيدة ٢/ ٤٧ . والنقائض ٢/ ١٠٧٣ .

والروايات والأشعار والشعراء والفرسان ، وفي الإسلام أصبح لديها علماء وقادة ، وبعض أشخاصها تمردوا على الدولة وأصبحوا في صفوف الخوارج ، كل ذلك قيده التاريخ وهو جزء منه ، وسألقي نظرة شاملة على فصول الكتاب للدخول إليه من أوسع أبوابه .

أيام تغلب :

من يتأمل أيام العرب في الجاهلية والإسلام وغزواتهم ومواقعهم ، وما تركته لنا من تراث شعري وأدبي وتاريخي من نسب ، وأسماء قبائل ، وأعلام وقادة وفرسان وشعراء ، وعادات وتقاليد وأعراف ، وفوق هذا كله خلفت لنا تلك الأيام نتائج كانت غاية في البشاعة ، السبي والنهب ، والتشريد ، والمرارة ، والقتل والثأر والحقد الدفين تتوارثه الأجيال ، ومآسي يذكرها التاريخ . أضف إلى ذلك التعصب القبلي الذي كان وراء تلك الهموم والأحزان الثقيلة التي عانى منها الشعب العربي قروناً طويلة .

فالتعصب القبلي لا يقل خطورة عن التعصب الطائفي أو الشعوبي ، فالوطن يُبنى بالحب والإخلاص في العمل .

الخير في الوفاق يطال الجميع ، والشّر في الخلاف الهدّام يطال الجميع ، وشتان بين من يبني ، وبين من يهدم . وعزة الوطن ومنعته ، عزة لأبنائه .

فالتعصب القبلي حرم شعبنا من وحدة فيها قوة ، مع أن الإسلام حاول صهر القبائل العربية في بوتقة الإيمان ، وتوحيد أهدافهم ، إلاّ أن القبلية كانت تطل برأسها هنا وهناك من حين لآخر فتثير صراعات وتغرق في متاهات ، فَقوضت عروشاً وهدمت دولاً ؟!

من خلال ذلك أقول :

فبالعقل نسود ، وبالفكر نبدع ، وبالإيمان نبني ، وبالعلم نحيا ، وبالحب نعيش . والخلود للتاريخ والوطن . والحياة كفاح ، والمستقبل أمل .

ومن أشهر الحروب التي تورطت فيها بكر وتغلب حرب البسوس دامت أربعين عاماً ، وكان من أبطال هذه الحرب مُهَلْهِل التّغلبي الذي كان في حروبه يثأر لمقتل أخيه كُليب وائل من أبناء عمومته . . . ! ولهذه الأيام مواقع وأحداث ، وفرسان وشعراء[1] .

وعن غزو القبائل بعضها بعضاً قال ابن ميّادة من بني مرة بن عوف يحكي قصة الغزو ونتائجه في بيتين من الشعر :

غَـزَوْنـا تَميمـاً فـاسْتَبَحْنـا نِسـاءَهـا وتَغْلِـبَ جَـدَّعْنـا وبَكْـرَ بـنَ وائـلِ

وفـي كُـلِّ حَـيٍّ مـن قُضـاعَـةَ وقْعَـةٌ لنا ضَخْمَةٌ تُبكي عُيُونَ الأَراملِ[2]

ومن قادة تَغْلِب في الجاهلية :

الجرارون من ربيعة ولم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً منهم .

رَبيعة بن مُرَّة بن الحارث بن زُهير التَّغلبي ، قاد مُضر ورَبيعة وقضاعة يوم السُّلاَّن إلى أهل اليمن .

وابنه كُليب بن رَبيعة ، وهو كُليب وائل ، قاد رَبيعة ومضر وقضاعة يوم خزازى إلى اليمن .

والهُذيل بن عمران التَّغلبي ، وقتله بنو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يوم الصُليب[3] .

ومن الشعراء القادة عمرو[4] بن كلثوم ، وهو صاحب المعلقة الشهيرة وقاتل الملك عمرو بن هند ، فنادى بعد قتله إياه « يال تَغْلِب » فانتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ولحقوا بالجزيرة ، وفي ذلك يقول أفنون[5] بن صريم التَّغلبي :

---

(١) لكل يوم من أيام تغلب ترجمة في هذا الكتاب .

(٢) الحماسة الشجرية ١/ ١٠٠ .

(٣) المحبر ٢٤٩/ ٢٥٠ .

(٤) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٥) المصدر نفسه .

لَعَمرُكَ ! ما عَمرو بن هندٍ وقَدْ دَعا لِتخـدُم ليلـى أُمّـه بمـوفَّـقِ
فَقامَ ابن كُلثومٍ إلى السيفِ مُصلِتا وأمْسَكَ مِـنْ نَـدمـانـهِ بـالمُخَنَّـقِ

وهذه الحادثة من القصص المثيرة والمرعبة معاً وقال عمرو بن كلثوم فيها يخاطب ابن هند :

أبـا هنـدٍ فـلا تَعْجَـلْ عَلَيْنـا وأَنْظِـرْنـا نُخَبِّـرْكَ اليَقِيْنَـا
تُهَـدِّدُنـا وتُـوعِـدَنـا رُوَيْـداً متـى كُنَّـا لأُمِّـكَ مُقْتَـوِينَـا
ألا يَجْهَلَـنْ أَحَـدٌ عَلَيْنـا فَنَجْهـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الجَـاهِلِيْنَـا[١]

وعرفت تَغلب بعمرو بن كلثوم ومعلقته الشهيرة كما عرفت طيء بحاتم الطائي الذي غطى بكرمه كل منقصة قيلت عن طيء .

وأما أبو حنش عُصم بن النُّعمان التَّغلبي جاور شرحبيل الملك بن الحارث ابن عمرو الملك المقصور ابن آكل المرار الكندي فجعل له شرحبيل الردافة[٢] .

أما ابن الخِمْس التَّغلبي كان قائد جيش النُّعمان إلى بني دارم ، وكان يطلب الحارث بن ظالم المرّيّ بدم أبيه لأنه كان قتله . وقتل خالد بن جعفر بن كلاب الذي استجار بالملك النعمان[٣] .

ومُهَلْهِل بن رَبيعة التَّغلبي الذي دوخ بكر في حرب قاربت الأربعين سنة ثأراً لأخيه كليب حتى أصبحت أُسطورة من أساطير العرب يتحدثون بها في ليالي سمرهم[٤] .

ومن قادة تغلب في الإسلام وهم كثرة خاصة في العصر العباسي ، سأذكر بعضاً منهم على سبيل المثال لا الحصر :

في السنة السابعة عشرة أذن الخليفة عمر بن الخطاب لجيوش المسلمين

---

(١) ديوان الشاعر ٧٥ .
(٢) انظر قصة معبد في الكتاب .
(٣) الكامل في التاريخ ١/ ٥٦٠ .
(٤) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

في الانسياح في بلاد فارس ، ووزع القادة على الألوية ، فكان من بينهم الحكم بن عُمير التَّغلبي ، وأسند إليه لواء مُكران ، وأمده بشهاب بن المخارق في جموع ، وتم فتحها فقال الحكم :

لَقَدْ شَبِعَ الأَرامِلُ ، غيرِ فَخْرٍ ، بفيءٍ جَاءَهم من مُكّرانِ
إِنِّي لا يَذمّ الجيش فِعْلي ، ولا سَيفي يُذمّ ولا سِنانِ[1]

مالك بن طوق التَّغلبي أحد أجواد العرب ومُمَدَّحيهم ، ولي إمرة دمشق والأُردنَّ في ولاية الواثق ثم في ولاية المتوكل ، وفد عليه أبو تمَّام وامتدحه بدمشق وقال :

طَلَبتْ فتى جُشَم بنِ بَكرٍ مَالكاً ضَرْغامها وهِزَبْرَها الدِلهاثا[2]
قد جرَّبتهُ تَغْلِبُ ابنةُ وائلٍ لا خاتراً غدراً ولا نكَّاثا[3]
يا مالكُ ابنُ المالكين أرى الذي كُنَّا نؤَمّل من إيابكَ راثا[4]
ملكٌ إذا استسقيتَ مزنَ بنانهِ قتل الصدى وإذا استغيث أغاثا[5]

ومن القادة الأهم الذين لعبوا دوراً تاريخياً مميزاً وتركوا آثاراً بينة ، ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ، أمير الموصل ، وكان رجل حرب شديد .

وسيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان ، الشاعر الفارس الذي كان مجلسه منتدى الأدباء والشعراء يتزاحمون فيه من المتنبي إلى أبي فراس إلى ابن خالويه . . .

عاشت دولة بني حمدان قرابة قرن من الزمن (٢٩٣ ـ ٣٩٢ هـ) في إطار الدولة العباسية الضعيفة وشكلت حزاماً عربياً هاماً في شمال الدولة الإسلامية على حدود الروم ، ورد هجماتهم والهجوم عليهم ، وكانت تعيش في زحمة

---

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب .
(٢) الدلهاث : الأسد .
(٣) نكثَ العهد : نَقضَهُ .
(٤) راث : أبطأ .
(٥) ديوان أبي تمام ٥٩ ـ وانظر ترجمة مالك في هذا الكتاب .

الأحداث في الداخل ، مع معز الدولة البويهي ، ومع خلفه عضد الدولة البويهي الذي كان يمسك بزمام السلطة في بغداد ، وكذلك مع بعض القبائل العربية ، وصدامات مع الخوارج والقرامطة . . .[١] .

الشعراء :

أما الشاعر غياث[٢] بن غوث التَّغلبي الملقب بالأخطل ، ومَحلُّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة ، وجاء رجلٌ إلى يونس فقال له : من أشعرُ الثلاثة ؟ قال : الأخطل . قلنا : من الثلاثة ؟ قال : أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم .

وسئل الأخطل مَن أشعرُ العرب ؟ قال : هذا الكلبان المتعاقران من بني تميم .

وقال : « الذي كان إذا مدح رفعَ ، وإذا هجا وضَع » . قال : ومَن هو ؟ قال : الأعشى قال ثم مَن ؟ قال : ابن العشرين (يعني طرفة) قال : ثم من ؟ قال : أنا .

وقال عبد الملك : إن لكل قوم شاعراً وإن شاعر بني أُميَّة الأخطل[٣] .

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان :

الخائضِ الغَمْرَ ، والميْمُونِ طائرُهُ خَليفةِ اللهِ ، يُسْتَسْقَى بهِ المَطَرُ[٤]
بَنِي أُمَيَّةَ ، نُعْماكُمْ مُجَلَّلَةٌ تَمَّتْ ، فلا مِنَّةٌ فيها ، ولا كَدَرُ[٥]

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك :

لولا الوَلِيْدُ ، وأَسبابٌ ، تناولني بِهِنَّ ، يَومَ اجتماع الناس بالثَّلَمِ[٦]

---

(١) انظر ترجمة سيف الدولة وناصر الدولة وغيرهما من آل حمدان في هذا الكتاب .
(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب .
(٣) الأغاني ٨/ ٢٧٩ .
(٤) الغمر : الماء الكثير ، وأراد به شدة الحرب . والميمون الطائر : المبارك الحظّ .
(٥) المجللة : العامة الشاملة . والكدر : التنغيص . (القصيدة كاملة في الديوان ١/ ١٩٢) .
(٦) الثلم : موضع بالشام .

مـن آلِ مَـرْوانَ ، فَيَّـاضُ العَطـاءِ إذا أَمْسَى السَّحابُ خَفيفَ القَطْرِ ، كالصَّرِمِ
لقد عَلِمْتُمْ ، وإِنْ أَصبحْتُ نَائيكُمْ نُصْحي قديماً ، وفعلي غيرُ مُتَّهَمِ[1]

ومـن الشعـراء الـذيـن اشتهـروا عُميـر[2] بـن شُيّيـم التَّغلبـي المعـروف بالقُطامي ، فهو شاعر فحل رقيق الحواشي حلو الشعر حسن التشبيب .

قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشعبي : أتحب أنَّ لكَ قياضاً بشعرِكَ شعرَ أحد من العرب أم تحب أنك قلته ؟

قال لا والله يا أمير المؤمنين إلاّ إني وددت أني قلت أبياتاً قالها رجل منا مغدَف القِناع قليل السماع ، قصير الذراع[3] .

قال : وما قال ؟

فأنشده قول القطامي :

إنَّـا مُحيّـوكَ فـاسْلَـمْ أيُّهـا الطلَّـلُ وإنْ بَلِيـت وإنْ طـالـتْ بـك الطيِّـلُ
قـد يُـدْرِكُ المتـأنـي بَعْـضَ حـاجَتـهِ وقد يكونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ[4]

حتى أتى على آخرها .

قال الشعبي : فقلت له : قد قال القطامي أفضل من هذا .

قال : وما قال ؟

قلت : قال :

طَرقَتْ جَنوبُ رِحالَنا من مُطْرِقِ مـا كنـتُ أَحْسَبُهـا قَـريـبَ المُعْنَـقِ
هَـلاَّ طَـرقْـتَ إذ الحيـاةُ لـذيـذةٌ وإذ الشَّبـابُ قميصُـهُ لـم يَخلُـقِ[5]

---

(١) نائيكم : بعيداً منكم « القصيدة كاملة في الديوان ١/ ٢٢١ » .
(٢) انظر ترجمته له في هذا الكتاب .
(٣) الأغاني ٢٣/ ٢١٤ ثقافة .
(٤) القصيدة في الديوان ٢٣ .
(٥) القصيدة في الديوان ١٠٥ .

فقال : عبد الملك بن مروان : ثكلت القطامي أُمُّه هذا والله الشعرُ[1] .

الشاعر أحمد بن محمد التَّغلبي المعروف بابن الخياط ، كان شاعراً مكثراً محسناً مجيداً ، وقال عنه الذهبي : ابن الخياط أبو عبد الله التَّغلبي الدمشقي الكاتب من كبار الأدباء ، ونظمه في الذِّروة وديوانه شائع وكان شاعراً مفلقاً ، وقيل عنه شاعر الشام ، وأشعر الشعراء الشاميين بلا خلاف ومن شعره :

كـأَنَّ اللَّيْـلَ مَـوْتُـورٌ حَـرِيـبٌ ... يحـاولُ عِنـدَ ضـوء الصُّبْـح ثَـارا

إذا عَـايَنْـتَ مِـنْ عُـودٍ دُخـانـاً ... فَـأَوْشِـكْ أَنْ تُعـايـنَ مِنْـهُ نـارا[2]

وله أيضاً :

ومـن يَـرْجـو مـن النَّـار ارْتـواءً ... كَمَـنْ يَخْشـى مـن المـاءِ احْتـراقـا

وَمَـنْ خَطَـبَ المعـالـي بـالعَـوالـي ... وبـالجَـدْوى فَقَـدْ أَرْبـى الصِّـداقـا[3]

وقال يمدح الأمير سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلَّد بن نصر بن منقذ الكناني سنة « ٤٧٦ هـ » :

يَقينـي يَقينـي حَـادِثـاتِ النَّـوائـبِ ... وحَزْميَ حَزْمي في ظُهُورِ النَّجائبِ

سَيُنجِدُني جَيْشٌ من العَزْمِ طَالما ... غَلَبْتُ به الخَطْبَ الَّذي هو غَالبي

سـأَصْحَـبُ آمـالـي إلـى ابـن مُقَلَّـدٍ ... فتنجح ما أَلْوى الزَّمانُ بِصَاحبِ[4]

إذا المُنقـذيُّـون اعْتَصمْـتَ بحبلِهـمْ ... خَضَبْتَ الحُسام العَضْبَ من كُلِّ خَاضبِ

إذا الشَّوْقُ أغراني بذكرك مَادِحاً ... تَرَنَّمْتُ مُرْتَاحاً فَحنَّتْ رَكائبي[5]

الشاعر الفارس الأمير أبي فراس الحمداني ، كان شعره كمثل سيفه يجرده في المعارك حتى يرتوي ، ويتدفق شعره يصور المعركة في كلتا حالتيها النصر أو الاندحار .

---

(١) أغاني ٢٣/ ٢١٤ .

(٢) ديوان ابن الخياط/ ٣ .

(٣) المصدر نفسه/ ٩ .

(٤) ألوى به : ذهب ، وألوى به الدهر : أهلكه .

(٥) المصدر نفسه/ ١٨ .

ووقعت مناظرة بين أبي فراس والدمستق وهو في أسره . فقال له الدمستق : « إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب » فردَّ عليه أبو فراس قائلاً : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ » ثم قال :

أتزعُمُ يا ضَخمَ اللَّغاديدِ ، أنَّنا ... ونحنُ أسودُ الحرب، لانعرفُ الحَرْبَا![1]
ووَيلكَ ، من أردَى أخاكَ بمرعشٍ ... وجَلَّلَ ضَرْباً وجهَ والدكَ العَضْبا[2]
وويلك ، من خَلَّى ابن أختِكَ موثقاً ... وخلاَّكَ باللِّقَّان تبتدرُ الشِّعْبا[3]
وسَلْ آلَ بَهرام وآلَ بَلَنْطَسٍ ... وسَلْ مَنْوالَ الجحاجحة الغُلْبا
ألم تُفْنِهمْ قتلاً وأسراً سُيوفُنا ... وأُسدَ الشرى الملأى، وإن جحرت رُعبا
بأقلامِنا أُجْحِرْتَ أم بسيوفنا ... وأُسدَ الشَرى قُدنا إليكَ أمِ الكُتْبا[4]

وقال يفخر بانتسابه لتغلب :

لنا أوّلٌ في المكرُمَاتِ وآخرٌ ... وباطنُ مَجدٍ تَغلبيٍّ وظاهرُ[5]

وله أيضاً يفخر بنفسه :

سيذكُرني قَومي إذا جدَّ جِدُّهمْ ... وفي الليلةِ الظَّلماء يُفْتَقدُ البَدْرُ
أعزُّ بَني الدُّنيا ، وأعلى ذوي العُلا ... وأكرمُ مَن فوقَ الترابِ ولا فَخْرُ[6]

علماء :

ومن الذين نبغوا كعلماء علي بن محمد بن المطهّر العدوي التَّغلبي المعروف بالشمشاطي : كان مؤدب أبناء ناصر الدولة الحمداني .

وقال عنه أبو العباس النجاشي : « كان شيخنا بالجزيرة وفاضل أهل زمانه

---

(١) اللغاديد : جمع لغدود وهو اللحمة في العلق ، وهو يعني أنه ضخم الرقبة .
(٢) العضب : السيف .
(٣) واللقان : بلد في الروم خلف خرشنة . تبتدر الشعب : تقصد شعب الجبل هرباً .
(٤) ديوان الشاعر/ ٣٤ .
(٥) المصدر نفسه/ ١٢١ .
(٦) المصدر نفسه/ ١٤٥ .

وأديبهم ، لم يكن الشمشاطي شاعراً فحسب بل مصنفاً مؤلفاً مليح الحفظ كثير الرواية » وله مؤلفات أنافت على أربعين مؤلفاً في التاريخ ، والنسب ، والشعر ، والأدب ، والآثار ، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر :

- كتاب التنزه والابتهاج .
- كتاب الأديرة والأعمار في البلدان والأقطار .
- كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار(١) .

ومحمد بن الحارث التَّغلبي كان في جملة الفتح بن خاقان وله من الكتب :

- أخلاق الملوك .
- كتاب رسائله .
- كتاب الروضة(٢) .

علي بن بسام التَّغلبي صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ومؤلف من أجزاء عدة وإن ابن بسام من أعمال قرطبة في الأندلس ، فإنه مصنف وناقد ، يقرض الشعر ولا يتعاطاه . وهو من الكتاب الوزراء ومعروف بالشنتريني(٣) .

ومن آل حمدين التَّغلبي تتابع في قرطبة قضاة عدة منهم أحمد بن محمد بن التَّغلبي(٤) .

وقال الأديب الشاعر أبي الحسن البكري يمدح القاضي أبي عبد الله بن حمدين لأنه شفع لبني البكري :

بعدلك رِشْتَ جَناحَ القضاء	وسَرْبَلت حُكْمك ثوب الضياءِ
يضمُّكما منتمى وائلٍ	وقُرْبُ النفوسِ أجلُّ انتماء
نَضَتْ منك تَغْلِبُ مشحوذةً	مصمّمةً في المجنِّ السواء(٥)

---

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب . وكتابه الأنوار ومحاسن الأشعار .
(٢) الفهرست ١٨٢ .
(٣) انظر ترجمته في هذا الكتاب . وكتابه الذخيرة .
(٤) المغرب في حلى المغرب ١/ ٥٧ ، ٦١ .
(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٢ ج٢/ ٥٧٠ .

أما الأديب الشاعر أبي بكر يحيى بن بقي يقول :

وَحَسْبُكَ من قاضي الجماعة أنه أمـانٌ لمـذعـورٍ ومـالٌ لعـادمِ
ورثـتَ العـلاَ مـن تَغْلِـبَ ابنـة وائـلٍ تـلاداً لهـا مـن عهـدهـا المتقـادمِ[1]

خَوارج تَغْلِب :

لم تكن الدولة الأموية ، أو العباسية بمنأى عن معارضة الخوارج وقوتهم وضرباتهم الشديدة التي كانوا ينزلونها بقوات الدولة ، وكانت قواتهم مختلطة من قبائل عدة ، وكانوا ملاذاً لكل هارب أو مطارد أو مجرم . وهذا شبيب الخارجي يلتحق بصفوفه كثير ممن يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات .

وكان من تَغْلِب أفراد ينخرطون في صفوف الخوارج ، وقادة من تغلب يطاردونهم للقضاء عليهم ، وسأذكر هنا ما يخص تغلب في هذا المجال :

في سنة إحدى وأربعين من شهر ربيع الأول قُتل عبد الله بن أبي الحوساء الطائي وكان من قادة الخوارج قَتله رجل من تَغلب يقال له عُبيد بن جَرير ، وقُتل جُلُّ أصحابه .

ومن شعره وقد خُوّف من السلطان أن يَصلبه فقال :

مـا إنْ أُبـالـي إذا أَرْواحُنـا قُبِضَـتْ مـاذا فَعَلْتُـمْ بـأَوْصـالٍ وأَبْشـارِ
تَجْري المَجَرَّةُ والنَسْرانِ عَـنْ قَـدرٍ والشَمْـسُ والقَمَـرُ السـاري بِمقْـدارِ
وقَـدْ عَلِمْـتُ وخَيْـرُ القَـولِ أَنْفَعُـهُ أَنَّ السَعيـدَ الـذي يَنْجـو مِـنَ النـارِ

ويقال : إنّ الشعر لفَرْوة بن نَوْفَل حين خرج على المغيرة بن شعبة[2] .

وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي ندب لقتالهم أهل الكوفة . بعد أن هزموا جماعة من أهل الشام .

---

(١) المصدر نفسه ق٢ ج٢/ ٦٢٨ .

(٢) أنساب الأشراف ٤/ ١٦٤ . وفي الكامل في التاريخ ٣/ ٤١٠ ذكر بأن الشعر لعبد الله بن أبي الحوساء الطائي .

وفي سنة سبع وسبعين كانت موقعة بين شبيب الخارجي وقوات الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان الحجاج قد قال لقواته حين سارت : « إنّ للسائر المجتهد الكرامة والأثرة ، وللهارب الهوان والجفوة ، والذي لا إله غيرُه لئن فعلتم في هذه المواطن كفعلكم في المواطن الأُخر لأولينكم كنفاً خشناً ، ولأعركنكم بكلكل ثقيل »[1] . وقُتل في هذه المعركة من قادة جيش الحجاج عتَّاب بن ورقاء الرياحي التميمي ، وزُهْرة بن حَويَّة . وكان لجانب شبيب ويقاتل معه عامر بن عمر التَّغلبي ، وهو الذي طعن زُهرة بن حَويَّة وأجهز عليه عامر الشيباني[2] .

وفي السنة نفسها مات شبيب الخارجي غرقاً على حصانه بعد عودته من معركة كانت مع قوات الحجاج[3] .

وفي سنة ثمان وعشرين ومائة كانت ولاية يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق ، وكان الضحاك بن قيس وأعوانه من الخوارج يقلقون الحكم الأموي ، فكانت الوقعة في الرَّوْحاء[4] بين عامل الضحاك على الكوفة المثنى بن عمر العائذي من قريش ، وبين يزيد بن عمر بن هبيرة ، فهزمهم ابن هبيرة وقتل منهم كثيراً ، وخرجوا من ليلتهم من الكوفة ونزل ابن هبيرة النُّخَيْلةُ[5] ، فسار إليه عُبيدة بن سوار التَّغلبي وعلى مقدمته المنتوف بن سوار ، فهزمه حتى انتهى إلى الصراة وقطع الجسر ، وعُبيدة من وراء الصراة .

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٤٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٢ .

(٤) الرَّوْحاء : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السِّنْدِية . «معجم البلدان ٣/ ٨٧» .

(٥) النُّخَيْلَةُ : تصغير نخله قرب الكوفة على سَمْت الشام ، وهو الموضع الذي خرج إليه علي كرم الله وجهه لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة وقال : اللهم إني لقد مللتُهم وملّوني فأَرِضى منهم ! فَقُتل بعد ذلك بأيام ، وبه قُتلت الخوارج لما ورد معاوية إلى الكوفة . فقال قيس بن الأصم الضبي :

إنــي أَدِيــنُ بمــا دان الشُّــراةُ بــه ... يـوم النُّخَيْلَـة عنـد الجوسـق الخَـرِبِ

« معجم البلدان ٥/ ٣٢٢ » .

وأقبل مطاعن بن مطاعن من كسكر فيمن معه من الشراة حتى نزل السيب ، فسرح إليه ابن هبيرة رجلاً يقال له : عطية التَّغلبي ، فقتل مطاعن على السيب ، وأقام عسكره على حاله عليهم رجل يقال له : شيبان ، وأقبل عبيدة بن سوار التَّغلبي فسار إلى عسكر شيبان ، وأقبل ابن هبيرة فاقتتلوا قتالاً شديداً فَقُتل عُبيدة ومن ثبت معه من الشراة[١] . نرى في هذه الموقعة ثلاثة من تغلب : عبيدة بن سوار ، والمنتوف بن سوار ، وهما مع الخوارج . أما عطية التغلبي فهو من قادة يزيد بن عمر بن هبيرة ، وقتل أحد قادة الخوارج . وجاء في الطبري : بأن عبد الملك بن بشر التَّغلبي كان من قادة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي[٢] .

خرج عطية بن بعثر التَّغلبي بالموصل في مائة ومعهم ابن الوليد بن طريف[٣] فكانت له مواقع فوجه إليه المنصور أبا حَميْد المروزي فوافقه نائماً وأصحابه في غفلة فقتل عطية وأصحابه فلم يبق منهم أحداً[٤] .

وكان من المقربين إلى أبي جعفر المنصور عطية بن عبد الرحمن التَّغلبي .

وعندما وصلت رسالة أبي مسلم الخراساني إلى أبي جعفر المنصور ولم يقدم له التهاني والبيعة بالخلافة استشاط المنصور غضباً وقال لعطية بن عبد الرحمن التَّغلبي : « لمثلها كنت أحسبك الحُس ، إن العبد كتب إليّ بما ترى وقد أجبته فانطلق بالكتاب إليه فإذا أخذ في قراءته فاضرب عنقه ، فإن قُتِلتَ فشهادة والله خليفتك على من تخلّف وهم عندي عدل ولدي ، وإن سلمتَ فلك من المكافأة ما تطأ العرب به عقبك » .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٣٨٢ ، ٣٨٣ . وفي الطبري ٧/ ٣٥٠ كان عبيدة بن سوار نائب الضحاك على العراق . وقُتل سنة « ١٢٩ هـ » واستباح ابن هبيرة عسكرهم .

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٣٤٦ .

(٣) الوليد بن طريف التغلبي كان من الخوارج انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٤) أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٠ .

فقال له اسحاق بن مسلم : يا أمير المؤمنين إنه لا يؤمن أن يَنْبو سيفُه فيقتل باطلاً ويكر العلج علينا ، وقال له يزيد بن أسيد اذكر قول القطامي :

قد يُدرك المتأنِّي بعضَ حاجتهِ   وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ

وقال له أبو أيوب كاتبه : أخرِّ الأمر حتى تقدم إلى شيعتك وأهل بيتك .

فأنفذ المنصور كتابه مع غير عطية[1] .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ثار الخارجي الوليد[2] بن طريف التَّغلبي بالجزيرة ، ففتك بإبراهيم بن خازم بن خُزيمة بنَصيبين ، ثم قويت شوكته ، فدخل إلى أرمينية وحصر خِلاط عشرين يوماً ، فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفاً .

ثم سار إلى أذْرَبيجان ، ثم إلى حُلْوان ، وأرض السواد ، ثم عبر إلى غرب دجلة ، وقصد مدينة بَلَدَ ، فافتدوا منه بمائة ألف ، وعاث في أرض الجزيرة .

فَسيّر إليه الرشيد يَزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني ، وهو ابن أخي معن بن زائدة ، وتمكن يزيد من قتله سنة « ١٧٩ هـ » في شهر رمضان[3] .

وفي سنة إحدى وتسعين ومائة خرج خارجيّ يقال له ثَرْوان بن سيف بناحية حَوْلايا[4] ، وتنقل في السواد ، فَوُجه إليه طوق بن مالك التّغلبي ، فهزمه طوق ، وجرحه وقتل عامة أصحابه[5] .

عبد القادر حرفوش

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٣) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤١ ، ١٤٧ . والطبري ٨/ ٢٥٦ ، ٢٦١ .

(٤) حَوْلايا : قرية كانت بنواحي النهروان خربت الآن . لها ذكر في أخبار عبيد الله بن الحر وقال يذكرها :

ويَوْم بحولايا فَضَضْتُ جموعهم   وأَفنيتُ ذاك الجيش بالقتل والأَسر

« معجم البلدان ٢/ ٣٧٠ » .

(٥) الكامل في التاريخ ٦/ ٢٠٥ ، والطبري ٨/ ٣٢٣ .



النَّسَبُ(*)

نسب : النَّسَبُ : نَسَبُ القَراباتِ ، وهو واحد الأَنْساب . ابن سيدة .

النِّسبةُ ، والنُّسْبَةُ ، والنَّسَبُ : القَرابةُ ؛ وقيل : هو في الآباء خاصَّةً ؛ وقيل : النِّسْبَةُ ، مصدر الإنْتساب ؛ والنُّسْبَةُ : الاسمُ . التهذيب . النَّسَبُ يكون بالآباءِ ، ويكون إلى البلاد ، ويكون في الصِّناعة ، وقد اضْطُرَّ الشاعر فأسكن السين ، أنشد ابن الاعرابي :

يا عَمْرُو يا ابنَ الأكْرمَينَ نَسْبا ، قَـدْ نَحَـبَ المَجْـدُ عليـك نَحْبـا

النَّحْبُ هنا : النَّذْر ، والمُراهَنة ، والمُخاطَرة أي لا يُزايلُك ، فهو لا يَقْضي ذلك النَّذر أبداً ؛ وجمع النَّسَب أَنْسابٌ .

وانْتَسبَ واسْتَنْسَبَ : ذكر نسبه . أبو زيد .

يقال للرجل إذا سئل عن نَسبه : اسْتَنْسِبْ لنا ، أي انتسب لنا حتى نَعْرِفَك .

ونَسَبهُ يَنْسُبهُ ويَنْسِبُهُ نَسَباً : عَزاه ، ونَسبه ، سَأله أن يَنْتَسِبَ . ونَسبْتُ فلاناً إلى أمية أَنْسُبه وأَنْسِبُهُ نَسْباً إذا رَفَعْتَ في نَسبه إلى جده الأكبر . الجوهري .

نَسَبْتُ الرجلَ أَنْسبُه ، بالضم ، نِسْبةً ونَسْباً إذا ذكرتَ نَسبه ، وانْتسبَ إلى أبيه أي اعْتَزَى ، وفي الخبر أنها نَسَبْتنا ، فانْتَسَبْنا لها . رواه ابن الأعرابي .

وناسَبَه : شَرِكَه في نَسَبِه .

والنَّسِيبُ : المُناسب ، والجمع نُسَباءُ وأَنْسِباءُ ؛ وفلانٌ يناسبُ فلاناً فهو نَسيبه أي قَريبه . وتَنَسَّبَ أي ادّعى أنه نَسِيبُك . وفي المثل : القريبُ من تَقرَّب ، لا من تَنَسَّبَ .

(*) لسان العرب (نسب) .

ورجل نَسِيبٌ مَنْسُوب : ذو حَسَبٍ ونَسبٍ .

ويقال : فلانٌ نَسيبي ، وهم أَنْسِبائي .

ولقد اهتم علماء النسب بعلم الأنساب واستندوا بذلك إلى آيات من القرآن الكريم ، وأحاديث للنبي محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[1] .

عن أبي هُريرة قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « تعلَّموا من أَنسابكم ما تصِلُون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبَّةٌ في الأهل ، مَثراةٌ في المال ، مَنْسأَةٌ في الأجل ، مَرْضاةٌ للرب »[2] .

هذا ولقد بينت في كتبي السابقة من سلسلة قبائل العرب أهمية النسب والنسابة وأهمية كتب الأنساب ، يمكن العودة إليها .

وحول النسب عند العرب لابن خلدون آراء فيه فهو يقسمهم إلى قسمين ، القسم الأول بقي صريح النسب لأن سكناه القاسية ونكد عيشه وشظف أحواله ، ومعاشهم من القيام على الإبل والتوحش في القفر لرعيها ، والقفر مكان الشظف والسغب[3] ، ومن كانت هذه أحوالهم ، فلا ينزع إليهم أحد من الأُمم أن يساهم في حالهم ، ولا يأنس بهم ، فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم . وفسادها ، ولا تزال بينهم محفوظة ، وبعد ، تصوره للأسباب التي تحول دون فساد النسب ذكر بعض القبائل التي توفرت فيها هذه الشروط ، وهذا على ما أعتقد قبل الإسلام أي في الجاهلية ، لأن في الإسلام اختلطت القبائل بغيرها من الشعوب التي دانت للإسلام واعتنقته ، ويشترط لصفاء النسب عدم الاختلاط فيقول عن التي ما زالت أنسابهم محفوظة :

« في مُضَرَ من قُريش ، وكِنَانَةَ وثَقيفٍ وبني أَسَدٍ وهُذَيْلٍ ومن جاورهم من

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) الحديث في المسند للإمام أحمد ٢/ ٣٧٤ .

(٣) السغب : بمعنى الجوع مع التعب .

خُزاعة ؛ لَمَّا كانوا أهل شَظَفٍ ومَواطن غير ذاتِ زَرْعٍ ولا ضَرْعٍ وبَعُدوا من أرياف الشامِ والعِراق وَمَعادنِ الأُدْمِ والحُبوبِ ، كيف كانت أَنْسابُهم صَريحةً محفوظةً لم يدخلها اختلاطٌ ولا عُرِف فيهم شوْبٌ »[1] .

أما عن القسم الثاني الذين اختلطت أنسابهم فيقول :

« وأمّا العربُ الذين كانوا بالتُّلولِ وفي معادن الخِصب للمراعي والعيش من حِمْيَر وكهْلانَ مثل لَخْمٍ وجُذام وغَسَّان وطيءٍ وقُضاعةَ وإياد فاخْتَلطت أَنسابُهم وتَداخلت شُعوبهم . ففي كل واحد من بُيوتهم من الخلاف عند النَّاس ما تَعْرف ، وإِنَّما جاءَهم ذلك من قبل العجمِ ومُخالطتهم وهم لا يَعتبرون المحافظة على النَّسب في بيوتهم وشُعوبهم ، وإنَّما هذا للعرب فقط .

ويقول ابن خلدونْ عن الأنساب في صدر الإسلام :

وقد كان وقع في صدر الإسلام الإنتماء إلى المواطن ، فيقال جُند قِنَّسْرين ، جُند دِمشق ، جُند العواصم ، وانتقل ذلك إلى الأندلس ؛ ولم يكن لإطراح العرب أمر النَسب ، وإنَّما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عُرفوا بها ، وصارت لهم علامةً زائدة على النَسب يَتميَّزون بها عند أمرائهم . ثُمَّ وقع الإختلاطُ في الحواضرِ مع العجم وغيرهم ، وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثَمرتها من العصبيَّة فاطُّرِحتْ .

ثم تلاشت القبائل ودَثَرت فَدثَرت العَصبيَّة بدُثورها ؛ وبقي ذلك في البدو كما كان »[2] .

وفي اختلاط الأنساب كيف يقع يضرب ابن خلدون أمثلة على ذلك فيقول :

« إِعلمْ أنَّه من البَيِّن أنَّ بعضاً من أهل الأنساب يَسْقُطُ إلى أهل نَسبٍ آخر بقرابةٍ إليهم أو حِلفٍ أو ولاءٍ أو لِفرارٍ من قومه بجناية أصابها ، فَيُدعى هؤلاء

---

(١) بمعنى اختلاط النسب .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

ويُعدُّ منهم في ثَمراته من النُّعرة والقَوَدِ[1] وحَمل الديات وسائر الأحوال .

وما زالت الأَنساب تَسْقُطُ من شَعْبٍ إلى شَعبٍ ويلتحم قَومٌ بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم .

وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يَتبيَّن لك شيءٌ من ذلك .

ومنه شأن بَجيلة[2] في عَرْفَجةَ[3] بن هَرْثَمةَ لمَّا وَلاّهُ عُمر رضي الله عنه عليهم فسألوه الإعفاء منه ، وقالوا : هو فينا لزيقٌ ، أي دخيلٌ ولصيق ، وطَلبوا أن يُوَلّي عليهم جريراً .

فسأله عُمر رضي الله عنه عن ذلك فقال ، عَرفَجة : « صدقوا يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الأزد أَصبت دَماً في قومي ولحقت بهم » . وانظر منه كيف اختلط عرفجة بِبجيلة ولبس جِلدتهم ودُعي بِنسبهم حتى تَرشَّح للرياسة عليهم »[4] .

* * *

(١) القَود : القصاص في القتلى . أي يصبح الفرد الذي يلجأ إلى قبيلة غير قبيلته أحد أفرادها له مالهم وعليه ما عليهم .

(٢) بجيلة : قبيلة من أنمار بن أراش ، من كهلان ، من القحطانية ـ وبجيلة أمهم ، غلب عليها اسمها . وهي بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة . « نهاية الأرب ١٧١ » .

(٣) أحد القادة الذين اختارهم عمر بن الخطاب وقال عمر لُعتبة بن غَزوان : يا عُتبة إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حومة من حومات العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها ، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعَرْفجة بن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو ، فإذا قدم عليك فاستشره وادعُ إلى الله . (الكامل في التاريخ ٢/ ٤٨٦) .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٢٢٩ .

نَسب قبيلة تَغْلِب

هي من بني وائل بن قَاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعمى بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن نزار .

ولدُ وائل بن قاسِط : بَكْر ؛ ودِثار ، وهو تَغْلِب ، وعبد الله ، وهو عَنْز ؛ والشُّخَيْص ، دخل في بني تَغْلِب ؛ والحارث ، دخل في بني عائش بن مالك بن تيم الله ، بنى ثعلبة بن بكر بن وائل : أمهم كلهم هِند بنت مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر .

بنو تَغْلِب بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار[1] .

وَولَدُ تَغْلِبُ بن وائلٍ : غَنْماً ، والأَوسَ ، وعِمْرانَ أُمُّهُم : الوَجيهةُ بنت عِمْران بن عَمرو بن عَامر من غَسَّان .

فَولدَ غَنْمُ بن تَغْلِب : عَمراً ، ووَائلاً ، والعَتيك ؛ أُمُّهم : بِنت بُرْد بن أَفصى بن دُعْمّي بن إياد .

فَولدَ عَمرو بن غَنْمِ بن تَغلب : حَبيباً ، ومُعاويةَ ، وزَيداً : أُمُّهم ماوية بنت حُذافة بن زُهير بن أياد بن نزار بن مَعد بن عَدنان .

وَوَلَدَ حَبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغلب : يَشكُر وجُشَمَ ، ومَالكاً ؛ أُمُّهم : أَسماء بنت سَعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمر .

فَوَلَدَ بَكرُ بن حبيب : جُشمَ ، ومَالكاً ، وعَمراً وثَعلبةَ ، ومعاوية ، والحارث ، هؤلاء الستة يُقال لهم الأراقم[2] ؛ أُمُّهم : مَاوية بنت حِمار بن

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) في الاشتقاق ـ ٣٣٦ : وإنَّما سُمُّوا (الأراقم ، لأنهم شُبِّهت عيونهم بعيون الأراقم ، والأراقم ضرب من الحيَّات .

الديل بن نَاج بن أبي مُلك بن عِكرمة بن خَصفة بن قَيس بن عَيلان ؛ ولهم يقول الحارث بن حِلِّزة :

إنَّ إخـــوَانَنَـــا الأَرَاقِـــمَ يَغْلـــونَ عَلينـــا فـــي قَـــولِهـــم إخْفـــاءُ[1]

فَولدَ جُشَمُ بن بَكر : زُهيراً ، ومالكاً ، وسعيداً ، والحارث ، ومُعاوية ، وعَمراً .

فَولدَ زُهير بن جُشم : سَعداً ، وكَعباً ، والحارث ، وعَبد العُزَّى ، والفَرخ ؛ أُمُّهم : رُهمُ بنت عَامر بن سَعد بن عَامر بن النَّمر .

وجُشمَ : أُمُّه بنت المُخلَّد بن رِزاح من بَني مُعاوية بن عَمرو .

فَولدَ سَعد بن زُهير بن جُشَم : عَتَّاباً ، وعُتبة ، أُمُّهما : يَشكر بنت حُرقة بن ثَعلبة بن بَكرٍ .

وعُتبان : أُمُّه : أَسماء بنت ذُهل بن عَبد جُشَم .

وحُيي بن سَعد ؛ أُمُّه : النَّزيفُ بنت صُفي بن حُيي بن عمرو بن بكر .

وعَوفاً ، وبَكراً ، وصعباً ، أُمُّهم : بنت عَوف بن حَرب بن عَائذة قُريشٍ ، والحِرماز . فمن بني عَتَّاب : عَمرو بن كُلثوم بن مَالك بن عَتَّاب[2] الشاعر .

وعَبد الله والأَسود ، ابنا عَمرو ، وكانا شَريفين شاعرين .

---

(١) نسب معد ١/ ٨٤ .

(٢) ورد نسبه في جمهرة أنساب العرب ـ (٣٠٤) ـ هو عَمرو بن كُلثوم بن مالك بن عَتَّاب بن سَعد بنن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلب .
وجاء عنه في كتاب من اسمه عمرو من الشعراء (ص ـ ٤٨) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتَّاب بن زُهير بن جُشم التغلبي ويكنى أبا الأسود ، شاعرٌ ، فارسٌ ، مقدَّم ، سَيِّدٌ فاتك .
وفي الشعر والشعراء (ص ـ ١٣٧) جاهلي قديم قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة .
وفي الاشتقاق (ص ـ ٣٣٨) عمرو بن كلثوم الذي قتل عمرو بن هند الملك وإيّاه عنى الأخطل :
أَبنـــي كُلَيـــبٍ إنَّ عَمَّـــيَّ اللـــذا قَتَـــلا الملـــوكَ وفككَّـــا الأغـــلالا

منهم مَالك بن طَوق بن مَالك بن عَتَّاب بن زَافر بن عَبد الله بن شُريح بن مُرَّة بن عَبد الله بن عَمرو بن كُلثوم ، صاحب الرُّحبة ، المعروفة بِرُحبة مَالك بن طوقٍ[١] .

وعُصْمُ بن النُّعمان بن مَالك بن عَتَّاب ، وهو أبو حَنش ، الذي قَتل شُرحبيل بن الحارث بن آكل المُرار ، يوم الكُلاب ، وله يقول سَلمة بن الحارث ، أخو شُرحبيل بن الحارث :

أَلا أَبْلِغ أَبا حَنشٍ رَسولاً فَما لكَ لا تَجِيء إلى الثَّوابِ

ومنهم : أبو جَابر[٢] ، كَعبُ بن مَالك ، كان شريفاً .

وعَبدُ يُوشع[٣] بن حَرب بن مَعدي كَرب بن مُرَّة بن كُلثوم بن مالك بن عَتَّاب .

ومنهم : أَثيرُ بن قِرْفَة بن عَمرو بن رِبعي بن الوز بن الحارث بن عُتبة بن بُعَج ، فارس يوم الخابور .

ومن بني عِتبان بن سَعد : بنو خُزيمة بن طارق شَراحيل بن خِراش بن عِتبان ، وهو بيت بني عِتبان .

وَوَلدَ جُشم بن زُهير : حُرْفة ، وعَتَّابا[٤] ، والحارث ، وسعداً ، ومعاوية ، وقيساً ، وعَمْراً ، وعبد الله ، وعبد العُزَّى .

وَوَلدَ كَعب بن زُهير : كِسْراً ، وشَرَّاً[٥] ، ومُجمِّعاً ، وأباناً ، ومالكاً ، وحَجَلاً .

---

(١) نسب معد ١/ ٨٥ .

(٢) في جمهرة النسب ٥٦٧ ـ أبو أجأ بنن كعب .

(٣) في جمهرة النسب ٥٦٧ ـ وعَبد يَسوع بن حرب بن معد يكرب بن مُرَّة بن كُلثوم ، وكان سَيِّد بني تغلب في زَمانه ، وجاء أيضاً من وَلَدِهِ : أبو رِمْثة بالجزيرة .

(٤) في جمهرة النسب ٥٦٧ ـ وغَياثاً .

(٥) في جمهرة النسب ٥٦٧ ـ وشِقّاً .

منهم : جَميلُ بن قَيس بن عَمرو بن حِصن بن سَلمة بن كعب بن سَالم بن حَارثة بن كِسر بن كعب الذي قتل عُمير بن الحُباب السُّلمي[١] .

وعَطيةُ بن عَبد الرحمن ، كان من أشد الفرسان العرب[٢] .

وامرؤ القَيس بنِ أَبان الذي قَتله الحَارث بن عَبَّاد بِبُجَير[٣] بن عَمرو بن عَبادٍ . قال الحارث :

طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحُرُوبِ وَلَمْ يُطلَلْ قَتِيلٌ أَماتَهُ ابنُ أَبانِ

ومن بني الحَارث بن زُهير : كُليباً[٤] ، ومُهَلهِلاً ، وعَدِّيا ، بنو رَبيعة بن مُرَّة بن الحارث بن زُهير .

وَوَلدَ مَالِكُ بن جُشَم : عَمراً ، وعَامراً ، وهو ذو الرُّجيلة ، رَهط هَمَّام بن مُطرِّف بن مَعْقِل بن مُخلَّد بن عَبد شَمْس بن خالد بن عَامر بن مَالك بن جُشَمَ .

وشُيَيمُ بن مَالك ، رَهط القَطَاميّ[٥] الشَّاعر ، وهو عُمير بن شُيَيم بن عَمرو بن عَبَّاد بن بَكر بن عَامر بن مَالك بن جُشَم .

---

(١) في الاشتقاق (ص ٣٣٩) زِياد بن هَوبر هو قاتل عَمير بن الحُباب السُّلمي ، وفي جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٥ جَميل هو قاتل عُمير بن الحباب السلمي . وفي أنساب الأشراف ٥/ ٣٢٤ : وشدَّ على عُمير ، جَميلُ بن قيس من بني كعب بن زُهير ، ويقال : بل تعاون على عُمير غلمان من بني تغلب فرموه بالحجارة ، وقد أعيا حتَّى أثخنوه وكرَّ عليه ابن هوبر . وقال بعض الشعراء يُنكر قتل ابن هوبر عُميراً :

وإنَّ عُميراً يَومَ لاقَتهُ تَغْلِبُ قَتيلُ جَميلٍ لا قَتيلَ ابن هَوبرِ

(٢) نسب معد ١/ ٨٧ .

(٣) ورد في جمهرة النسب ص ٥٦٨ ببحير . وفي جمهرة النسب ص ٣٠٥ : وامرؤ القيس بن أبان ، الذي قتله الحارث بن عُباد البكري بابنه بُجير بن الحارث .

(٤) في الاشتقاق ص ٣٣٨ : كُليب بن ربيعة الذي يُضرب به المثل ، فيقال : « أَعَزُّ من كليب وائل » قتله جساس بن مُرَّة الشيباني ، فكان سبب الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وأخوه مُهلهل بن ربيعة وهو الذي قام بحربهم .

(٥) في المؤتلف والمختلف ص ٢٥١ وأنساب الأشراف ٥/ ٣١٥ : القُطاميّ بالضم ، وفي طبقات فحول الشعراء ص ٤٥٢ ، والأغاني ٢٣/ ١٧٥ : القطامي بالفتح ، وهو عُمير بن شُيَيم ، شاعر مقل مجيد ، كان حسن التشبيه رقيقه .

وعَمرو بن مَالك .

فَوَلَدَ عَمرو بن مَالك : دَوساً ، وفَدَوْكَساً .

منهم : الأَخطل ، وهو غِياث بن غوث بن الصَّلْت بن طَارقة بن عَمرو بن فَدَوْكَسٍ[1] .

وقال رجل من بني تَغلب عن ابن الأخطل قال : إسم الأخطل عَتَّاب بن عَوف .

ومنهم : عَبد يَغُوث بن عَمرو بن دَوس ، الذي قَتل معدي كرب وهو غَلفاءُ بن الحارث المَلِك .

وَوَلَدَ سَعدُ بن جُشَم : مالكاً ، وتيماً ، وعمراً ، رَهط : عُتبة[2] بن الوَّغْلِ بن عبد الله بن عَنز بن عمرو بن حُبيب بن الهِجْرِس بن تَيم .

وَوَلَدَ مُعاوية بن جُشم : عَمراً ، وحَنَشاً[3] .

وَوَلَدَ عَمرو بن حَنشٍ : ذُهلاً أهل بيتٍ . يُقال لهم : بنو القَصْماء ، وهم في بني الحارث بن جُشَم .

وَوَلَدَ مَالك بن بَكر : أُسَامة ، والحارث ، أُمُّهما : المُفدَّاةُ بنت أَسلم بن أَوس الله بن النَّمر بن قاسط . ومَالكاً ، ومَعْناً ؛ أُمُّهما : هند[4] بنت جُشم بن فَزارة ، وسعداً ، وعوفاً أُمُّهما : رُهم بنت عامر بن سَعد بن زَيد مَناة بن النَّمر .

---

(١) وفي جمهرة النسب ٥٦٩ ومن بني فَدوكس : الأخطلُ . وهو غَياث بن غوث بن الصَّلت بن طَارقة بن سَيْحَان بن عَمرو بن فَدوكس بن مالك بن جُشم بن بَكر بن حُبيب . إنما سُمِّي الأخطل لِسَفَهِه واضطراب شِعره ، وقيل غير ذلك .

(٢) عُتبة بن الوغل ، كان شاعراً أدرك عليا كرم الله وجهه المؤتلف والمختلف ص ١١٥ ، الاشتقاق ص ٣٣٧ .

(٣) نسب معد ١/ ٨٨ .

(٤) ورد في جمهرة النسب ٥٧٠ : أَرنب بنت شَمخ بن فزارة .

وعَمراً ، وقُعيناً أُمُّهما القَضماءُ بنت الحَارِث بن جُشَم .

وقُعين يُقال لهم بنو ريش الحبَارى ، رهط نَاشرة بن أَغواث بن قُعين ، الذي قتل هَمَّام بن مُرَّة يوم قَضَةَ .

وقال زُهير بن عَتَّاب :

خـذلتهـم ريـش الحبَـارى مُعيـنُ وأَصـــروا لأَنَّهـــم اصـــرارا

فَولدَ أُسَامة بن مَالك : تَيماً ؛ أُمُّهُ : هِندُ بنت ثعلبة بن عُكابة .

وعَدِيّاً ؛ أُمُّه بنت المُجلد بن رِزاح بن معاوية .

وعَمراً ، وأُمُّه مَارية بنت رَبيعة بن زَيد بن مناة بن النَّمِر .

فَولدَ تَيم بن أُسامة : زُهيراً ، وكِنانة ، وعبد الله أُمُّهم : أُمُّ عُدَس بنت زُهير بن جُشَم ، وعَائذ ، ورَبيعة ابنا تَيم ؛ أُمُّهما : مَارية بنت رَبيعة ، خلف عليهما بعد أبيه .

فمن بني زُهير بن تَيم : النُّعمان بن زُرعة بن هَرْمي بن السَفَّاح[(١)] ، والسَفَّاح هو مَسلمة بن خَالد بن كَعب بن زُهير[(٢)] .

وكَعب بن زُهير ، هو بُرَّةُ القُنْفُد[(٣)] .

وهِشَام[(٤)] بن عَمرو بن بِسْطام بن سُفيح بن مَروان بن يَعلى بن سُفيح بن السَفَّاح ، الذي كان على السِّندِ .

---

(١) في الاشتقاق ص ٣٣٧ : السَّفَّاح بن خالد ، واسمه سلمه ، وكان جرَّاراً للجيوش في الجاهلية ، وإنما سُمِّي السفاح لأنه سفح المزادَ أي صَبَّها ، يوم كاظمة ، وقال لأصحابه : قاتلوا فإنكم إن انهزمتم مُتم عطشاً ، قال الشاعر :

وأَخـوهمـا السَّفَّـاح ظَمَّـأ خَيلَـهُ حَتَّـى وَردنَ جِبـا الكُـلاب نِهـالا

(٢) نسب معد ١/ ٨٩ .

(٣) في جمهرة النسب ص٥٧١ كان يُسمى به لشعر كان على أنفه .

(٤) في فتوح البلدان ص ٦٢٤ : وَلى المنصور ، هشام بن عمرو بن التغلبي السِّند فافتتح ما استغلق . وانظر الطبري ٨/ ٣٣ .

وَوَلَدَ الحارثُ بن زُهير : تَيماً ، وعَبدَ بَكر ، أُمُّهما : هِند بنت مُسلم بن شَكَلَ بن الحارث بن زُهير . ولها يقول الحارث بن زُهير :

وَقَالُوا مِن نَكَحْتَ فَقُلتُ خَيراً عَجوزاً مِن عُرينةَ ذَاتَ مَالِ
نَكحتُ عُجيزاً ونَقَدتُ أَلفاً كَذاكَ البَيعُ مُرْخَصٌ وغَالِ

وَولَدَ كِنَانَةُ بن تَيم : عِكَبّاً ، وسَعداً ، وصُريما وعَبداً .

فولَدَ عِكَبُّ بن كِنَانَةَ : عِكَبّاً ، وهِدْمَاً ، ولَهُما يَقُول زُهير بن جَنَابٍ .

لو كُنْتُ مِنْ جُشَمَ بن بَكْرٍ إذاً أَوْدَى غَضَبْ
قَتَلْتُ هِدْماً بِغَيَاثٍ أَوْ عِكَبّ بِعِكَبْ

منهم : هَوبر بن ثعلبة بن عَمرو بن مَالك بن عَبد العُزَّى بن سَعد بن كِنَانة قائد تَغلب أيام عُمير بن الحُباب .

ومن بني سَعد بن كِنانة : بَحْرُ بن الخُزمي ، وهو قَيس بن سَلمة بن عبد العُزَّى بن سَعد بن كِنانة .

وَوَلَدَ عَبد الله بن تَيم : كعباً ، ومَالكاً ، وحَامية ، والحارث .

فَولَدَ حَاميةُ بن عبد الله : الحِبَّيْرَ وأُمُّه الدارمة[1] .

وَوَلَدَ عَديُّ بن أُسامة : عَبد الله ، ونُشبة ووليعة ، وحَبيباً ، وحُراثة[2] .

فَوَلَدَ عَبد الله بن عدي : سَوادةَ ، وهَبَّاباً ، وكَعباً ، وهِلالاً ، وعُتبة ، ومَعادة ، ويُقال : قَتادة .

فَوَلَدَ سَوادةُ بن عَبد الله : حَبيباً ، بطن .

فَولَدَ حَبيب بن سَوادة : عَبد العُزَّى ، وثَعلبة ، والحارث ، وعَدياً ، وعبد الله ، وعبد مَنافٍ وجَوناً ، وزَيد مَناة .

---

(١) في جمهرة النسب ص ٥٧٢ وأمه الوازمة .
(٢) نسب معد ١/ ٩٠ ، ٩١ .

وَوَلدَ الحَارث بن مَالك بن بَكر : جُندباً ، وتَيماً .

ولبني جُندب يقول الوليد بن عُقبة بن أَبي مُعَيط :

ولـو عَلَقـتْ بِـذمِـةِ جُنـدبـيٍّ لآبَـتْ وَهــيَ وافِـرةٌ غِـزَارُ

منهم : الأعور بن أُويَسْ بن سَوادة بن شَكرةَ الشاعر .

وَوَلدَ مَالك بن بَكر : صُباحاً ، وعَمراً .

فَوَلدَ عَمرو بن مَالك بن مَالك : الأَفْرَه ، وَهُم في عَنزة .

ومن بني صُبَاح : شُعيب بن مُليل الخارجي .

وَوَلدَ عَوف بن مَالك بن بَكر بن حَبيب : عَامراً وحُيَيّاً، وذُهلاً، وسَعداً ، ومُعاوية ، وجُشُمَ ، وَفُرسان ، ووائلة ، فدخل فُرسان ووائلة في كنانة .

فَوَلدَ عَامر بن عَمرو نَهاراً وقيساً .

فمن بني نهار : الأَخْنَس[1] بن شِهاب الشاعر الفارس .

وَوَلدَ حِيَيُّ بن عَمرو : صُفَيّاً ، وله تقول امرأة منهم :

أَيُّهــا النَّــاعــي صُفَيّــاً هَــلْ سَمِعْــتَ اللهُ يَنْعــاهُ

صُفَــــيُّ بــــن حِيَـــيٍّ أَكْــرَمُ النَّـاسِ وأَوفَــاهُ[2]

وقطناً[3] ، وحَسَناً ، وعَدِيّاً .

مِن بَني صُفَي بن حُيَيّ : الوليدُ[4] بن طُرِيفٍ الخَارجي بن عَامر ، أحد بَني صُفيّ .

---

(١) هو الأخنس بن شهاب بن شَريق بن ثُمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب ، أحد الشعراء والفرسان ، وصاحب القصيدة المختارة التي أوَّلها :

لابنــةِ حِطّــانَ بــن عَــوفٍ مَنَــازِلٌ كَمَا رَقَّش العِنوانَ في الرِّقِ كاتـبُ

(٢) نسب معد ١/ ٩١ ، ٩٢ .

(٣) في جمهرة النسب ٥٧٣ وقطن بن حِيَيّ ـ ٢ ـ وحِسلاً (٥٧٣) .

(٤) في وفيات الأعيان ٦/ ٣١ : الوليد بن طريف بن عامر بن الصَّلت بن طارق بن سَيحان بن عمرو أحد الطغاة الشجعان الأبطال ، كان رأس الخوارج ، وكان مقيماً بنَصِيبين والخابور ، وخرج في خلافة الرشيد .

ومِنهم الفَندسُ بن أَوس ، وهو الذي قَتل الربيع بن محمد الكلبي[١] .

وَوَلدَ مُعاوية بن عَمرو : رِزاحاً ، وبكراً ، وعَدِيّاً ، ومَالكاً .

منهم : جابر بن حُني بن حَارثة بن عَمرو بن مُعاوية .

وَوَلدَ ثَعلبة بن بكر ، حُرفةً ، وصُفياً ، ومَالكاً ، والحَارث .

فمن بني حُرفة : الهُذيل[٢] بن هُبيرة بن قبيصة بن الحارث بن حَبيب بن حُرفة .

ومَعبد بن حَنش بن مَالك بن صَفوان بن مُعاوية بن صُفيٍّ بن ثعلبة .

وعَميرة[٣] بن جُعل بن عَمرو بن مَالك بن الحَارث بن حَبيب بن حرفة الشاعر .

وَوَلدَ الحَارث بن بَكر : مُعاوية ، وعَدِيّاً ، وعبداً .

وَوَلدَ جُشَم بن حَبيب : عَبداً ، وزيداً ، أُمُّهما : مَاوية بنت الضَّحبان النَّمري .

فَوَلدَ زَيد بن جُشَم : عَدِيّاً ، وجُشَمَ ، والنُّعمان[٤] .

مِنهم : عَطيَّة[٥] بن حِصن بن ضَبَاب بن سَبَّار بن مَالك بن عمرو بن

---

(١) وجاء في جمهرة النسب ٥٧٣ ـ ومنهم الفَندس بن أوس بن ثَعلبةَ بن الغلاء بن نافل بن زيد بن جُشم بن عطية بن قيس بن عامر بن عمرو بن بكر بن حُبيب ، وهو الذي قتل ربيع بن مَخمرِ الكلبي يوم مَسْحلان .

(٢) في الاشتقاق ص٣٣٦ ـ الهُذيل بن هبيرة ، رأسهم في الجاهلية ، وكان جراراً للجيوش ، أسره يزيد بن حذيفة السعدي .

(٣) في المؤتلف والمختلف ص ١١٤ ـ هو عَميرة بن جُعل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حبيب جاهلي .

(٤) نسب معد ١/ ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) في الإصابة ٢/٤٧٨ : ذكر ابن الكلبي أنَّ له وفَادة ، وذكره سيف في الفتوح ، وأنه كان على تَغلب والنَّمر يوم القادسية .

حَارثة بن مَالك بن عَدي بن زَيد بن جُشَم ، صحب النبي ﷺ .

وَوَلدَ عبدُ بن جُشَم : عَمراً ، وذُهلاً ، ومُرَّة ، وسَعداً ، ومالكاً .

مِنهم : الأَخْرزُ النَّسابة .

وَوَلدَ مَالك بن حَبيب : عمراً ، وجُشَم ، وبَكراً .

وَوَلدَ زيدُ الله : عَمراً ، ومَالكاً ، وأَشرس ، والدِيْلَ وَعَوفاً .

مِنهم: نُعْمُ بن مَيسرة بن مَالك بن الحَارث بن كَعب بن عَبد الله بن عَوف ابن عَبَّاد بن الدِّيْل بن زيد الله ، من الفُرسان يوم الخابور ، وله يقول الأَخطل .

لِــزيــدِ اللهِ أَقــدامٌ صِغَــارٌ   قَليلٌ أَخْذُهُنَّ من النِّعَالِ[1]

وَوَلدَ وائل بن غَنم بن تَغلب : شَيبان ، ولَوذَان .

وَوَلدَ عِمران بن تَغلب : عَوفاً ، وتيماً ، وأُسامة .

وَوَلدَ الأوس بن تَغلب : وائِلاً ، ومَالكاً ، ويَعلى ، وعَوفاً .

منهم : القَرثع[2] الشَّاعر .

وكان يَعلى لطمَ أخاه عَوفاً، فلحق عَوفٌ بِجُهينة فانتسبَ إليهم فقال عَوف :

لَطْمــةُ يَعلــى فَــرَّقــتْ بَيننــا   وطَوحَتنا في أَقاصي البلادِ[3]

هؤلاءِ بنو تغلب بن وائل[4] .

* * *

(١) في ديوان الأخطل ص ٤٩٠ :

لِــزيــد الــلات أقــدام قصــارٌ   قليــلٌ أخــذُهــنَّ مِــنْ النعــال

(٢) القَرثعُ : من قولهم تقرثعت الضائنة إذا تنفَّشت ، وتقرثع الشيء إذا اجتمع .

(٣) في المقتضب ص ٨٢ : وكان يَعلى لطم أخاه عوفاً فلحق عوف بجُهينة وانتسب فيهم ، فقال عوف :

عَــوفٌ فَــرَّقــت سُننــاً   فطوحتنا فـي أقـاصي البـلاد

(٤) نسب معد ١/ ٩٣ ، ٩٤ .

قَبيلةُ تَغلب في المعجم العربي

قال الشاعر :

وقَبْلَـكَ مـا اغْلَـولَبـتْ تَغِلـبٌ   بغَلْبـاءَ تَغِلـبُ مُغْلَـولِبينَـا

يعني بِعزَّة غَلباء ، وَقَبِيلَة غَلباءُ ، عن اللحياني : عَزيزةٌ مُمتنعةٌ وقد غَلِبَتْ غلباً .

وتَغلبُ : أبو قبيلة ، وهو تَغلبُ بن وائل بن قاسط بن هِنْبِ بن أفصى بن دُعميٍّ بن جديلة بن أَسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وقولهم تَغلب بنت وائل ، إنما يذهبون بالتأنيث إلى القبيلة ، كما قالوا تميم بنت مُرٍّ .

قال الوليد بن عُقبة ، وكان ولي صدقات بني تغلب :

إذا ما شَددتُ الرأسَ منّي بِمشْوَذٍ   فَغَيَّـكِ عنّـي ، تَغْلِـبَ ابنـةَ وائِـل

وقال الفرزدق :

لـولا فَـوارِسُ تَغلـبَ ابنـةِ وائـلٍ   وردَ العـدوُّ عليـك كـلَّ مكـانِ

وكانت تَغلبُ تُسمى الغَلباءَ ؛ قال الشاعر :

وأَورثَنـي بَنُـو الغَلبـاءِ مجـداً   حَـديثاً ، بعـد مَجدهِـمُ القَـديـمِ

والنسبة إليها : تَغْلَبيٌّ ، بفتح اللام ، استيحاشاً لتوالي الكسرتين مع ياء النَسب ، وربما قالواه بالكسر لأن فيه حرفين غير مكسورين .

وغَالبٌ ، وغَلاَّبٌ ، وغُلَيبٌ : أسماء[1] .

---

(١) لسان العرب (غلب) . ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٨٦ .

وقال ابن دريد حول تسمية وائل بن قاسط لولده تَغلب : خرج وامرأته تمخّض فغلبه أن يرى شيئاً فسماه تغلب[١] .

وجاء في تاج العروس (غلب) .

والغَلْبَاءُ (من القبائل : العَزيزَةُ المُمْتَنِعَةُ) .

والغَلْبَاءُ : (أَبو حَيّ ، وهوالمعروف بتَغْلِب) كانت تَغْلِبُ تُسمَّى الغَلْبَاءَ .

قال الشاعر :

وأَورَثَنــي بَنُــو الغَلْبَــاءِ مَجْــداً حَــديثــاً بعــد مَجْـدِهــمُ القــديــمِ

أَو أنَّ بَني الغَلْبَاء[٢] : حي آخَرُ غير بني تَغْلِب .

وفي المصباح : بنو تَغْلَبَ : حَيٌّ من مُشْرِكي العرب ، طَلبهم عُمرَ بالجزية فأَبوا أن يُعْطُوها باسم الجزية ، وصالحوا على اسم الصَّدَقَة مُضَاعفَةً ، ويُروى أنّه قال : هَاتُوها وسَمُّوها ما شِئْتُم .

والنِّسْبَةُ إليها (بفتح اللام) استيحَاشاً لتوالي الكسرتين مع ياء النَّسَب ، وهو قول ابن السَّرَّاج ، كذا في المِصْباح ، وربما قالوا بالكسر لأَنّ فيه حَرفين غير مكسوريْن ، وفارقَ النسبة إلى نَمِر .

قلت : والذي في المِصْباح أن الكسر هو الأصل وهو أي (تَغْلِب) ابن وَائِل بن قاسط بن هِنْبِ بن أفصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أَسد بن رَبيعةَ بن نزار بن مَعد بن عدنان . وقَولهم : (تَغْلِبُ بنت وائل) إنما هو ذهاب إلى معنى القَبيلة ، كقولهم : (تميم بنت مُرّ)[٣] .

تَغلب في الاشتقاق اللغوي :

---

(١) الاشتقاق ، ٦ ـ وانظر في هذا الكتاب ما كان العرب يسمُّون به أولادهم .
(٢) تاج العروس (غلب) .
(٣) جاء في نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٥٢ : فولد حُلَوان بن عمران تَغْلِبَ الغَلْباء . أي من قضاعة .

بنو تغلب ، من رجالهم : القَرْثَع[١] ، الشاعر . والقَرْثَعَ من قولهم : تَقَرْثَعَتْ الضَّائنةُ إذا تنفَّشَت . وتقرثع الشَّيء ، إذا اجتمع .

ومنهم : الأخنس بن شِهابِ الشَّاعر ، فارس العصا .

ومن بني تَغلب : أُفنونٌ الشاعر[٢] ، وإنَّما سمِّي أُفنوناً لبيت قاله :

إنَّ للشَّبان أُفنونا[٣]

ومنهم : الأرقم ، وهم جُشَمُ ، ومالكٌ ، وعَمرو ، وثَعلبة ، والحارث ، ومعاوية .

وإنَّما سُمُّوا (الأراقم) لأنهم شبِّهت عيونهم بعيون الأراقم . والأراقم : ضربٌ من الحيَّات .

ومنهم : عَمرو بن الخِمس ، وهو الذي قَتل الحارث بن ظالمٍ بأمر الملك الأسود بن المُنذر . و(الخِمْس) : ظِمءٌ من أظماء الإبل .

ومن رجالهم : الهُذيل بن هُبَيرة ، قد رأَسهم في الجاهليَّة وكان جَرّاراً للجيُوش . أسره يزيدُ بن حُذيفة السعدي .

ومنهم : كعبُ بن جُعيل ، وهو تصغير جُعل ، وهو الذي يقال فيه[٤] :

---

(١) القرثع : أحد بني أوس بن تغلب .

(٢) اسمه ظالم بن معشر . المؤتلف والمختلف ١٥١ . أو صوابه صريم بن معشر . خزانه ٤/ ٤٦٠ والشعر والشعراء ٣٨٢ والنقائض ٨٨٦ واللآلىء ٦٨٤ . وأفنون يقال بضم الهمزة وفتحها ، كما في الخزانة .

(٣) هو قوله ، كما في النقائض والمؤتلف واللآلىء والخزانة :
منيتنا الود يا مضنون مضنونا   أيامنا إن للشبان أفنونا

(٤) الشعر للأخطل أو لعتبة بن الوغل ، كما في اللآلىء ٨٥٤ . ونسب أيضاً إلى جرير ، كما ذكر العلامة الراجكوتي في حواشيه حيث خرَّج الشعر في إسهاب . ونسب أيضاً إلى كعب نفسه . انظر طبقات بن سلام وحواشي الشعر والشعراء (حاشية الاشتقاق ٣٣٦) .

سُمِّيتَ كعباً بشرِّ العظامِ   وكانَ أبوك يُسمَّى الجُعَلْ
وإنَّ مَحَلَّكَ من وائلٍ   مَحَلُّ القُرادِ من استِ الجَملْ

ومنهم : عمرو بن أَيْهمَ ، و(الأيهم) مشتقٌ من الأيْهَمين وهما السَّبيل والبعير الهائج . وأصل الأيهم الذي يَركب رأسه فلا يرجع عن الشَّيء . وقد سُمِّيتْ أرضٌ يَهماءُ لا يُهتدَى فيها .

ومنهم : بنو عِكَبٍّ . و(عِكَبٌّ) : فَعِلٌّ إمَّا من الغُبار وهو العَكُوب ، ومنه اشتقاق عُكابة ؛ أو من قولهم : أمَةٌ عَكْباء : غليظةُ الشَّفَتين .

ومنهم : السَّفَّاح بن خالدٍ واسمه سَلمة ، وكان جَرّاراً للجُيوش في الجاهلية . وإنَّما سُمِّي السَّفاح لأنَّه سفَح المزادَ ، أي صبَّها ، يوم كاظمة ، وقال لأصحابه : قاتلوا فإنكم إن انهزمتم مُتُّمْ عطشاً . قال الشاعر[1] :

وأخوهما السَّفّاح ظمَّأ خيلَه   حتَّى ورَدْنَ جِبَا الكُلابِ نِهالا[2]

ومنهم : عَلقمة بن سيف ، كان شريفاً رئيساً في الجاهلية .

ومنهم : عُتبة بن الوَغْل ، أدرك عليّاً رضوانُ الله عليه . و(الوَغْل) : الدَّاخل في القوم ليس منهم . والواغل : الدَّاخل على قوم لم يَدْعوه لشرابهم . قال الشاعر[3] :

فاليومَ أُسقَى غيرَ مُستحقبٍ   إثماً من الله ولا واغلِ[4]

---

(١) هو الأخطل . ديوانه ٤٥ . وأخطأ صاحب اللسان في (نهل) بنسبته إلى جرير .
(٢) قبله البيت المشهور وسيأتي فيما بعد :
أبني كليب إن عمي اللذا   قتلا الملوك وفككا الأغلالا
والجَبَا : الماء بعينه . والجِبا : ما حول البئر .
(٣) في الجمهرة : الوغل المدعي ليس بنسبه . والجمع أوغال . والذي في الجمهرة ٣/ ١٥١ : والوغل المدعي نسباً ليس بنسبه .
(٤) الاشتقاق ـ ٣٣٧ ـ وورد في الحاشية . يروى صدر البيت : فاليوم أشرب . بإسكان الباء ، إجراء للوصل مجرى الوقف .

ومنهم : كُلَيب بن ربيعةَ ، الذي يُضرب به المثل فيقال : « أعزُّ من كليب وائل » . وله حديثٌ قَتله جَسَّاسُ بن مُرَّة الشَّيباني ، فكان سبب الحرب بين بكرٍ وتغلب أربعين سنةً . وأخُوه : مُهلِهل بن ربيعة ، وهو الذي قام بحربهم ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ ... لخُبِّر بالذَّنائبِ أيُّ زِيرِ

وذاك أن كُلَيباً كان يُسمِّيه زِيراً . والزِّير : الذي يُعجبه حديث النِّساء ، وهو الذي يقول لجسَّاس :

كُلَيبٌ لَعمرِي كانَ أكثرَ ناصراً ... وأيسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّج بالدَّمِ

رمَى ضَرعَ نَابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ ... كحاشيةِ البُردِ اليماني المسَّهمِ

واشتقاق (مُهلِهل) من قولهم : ثوبٌ هَلهالٌ ، إذا كان رقيقاً .

وذكر الأصمعيُّ أنَّه إنَّما سُمِّي مهلهلاً لأنه كان يُهلهِل الشِّعر ، أي يرِّققه ولا يُحكِمه .

ومنهم : عمرو بن كُلثوم الشاعر ، الذي قتل عَمرو بن هندٍ الملك ، وإيَّاه عنى الأخطل .

أبني كُلَيبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللذا ... قَتلاَ الملوكَ وفكَّكا الأغلالا

يعني عَمراً ومُرَّة ابني كُلثوم .

ومنهم : عُصم بن النُّعمان ، ويُكنى أبا حَنش ، وهو قاتل شُرحبيل بن الحارث بن عمرٍ والملك ، يوم الكُلاب . وزعم قومٌ ، أنَّ إياهُ عنى الأخطل بقوله : « عَمَّيَّ » .

ومنهم : بنو الفَدَوْكَس ، الذين منهم الأخطل . و«الفَدَوْكَس» : الغليظ الجافي .

واسمُ الأخطل غياث بن غَوث . وإنَّما سُمِّي « الأخطل » لسفَهِه واضطرابِ شِعره . هكذا قال الأصمعي[1] .

---

(١) الاشتقاق ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

والخَطَل : الالتواء في الكلام . يقال : رُمحٌ خَطِل ، إذا كان شديد الاهتزاز . وشاةٌ خَطْلاء : طويلة الأُذنين . وقال الشاعر من بني جُشَم[1] الذين منهم عَمروٌ :

أَلْهى بَني جُشَم عن كُلِّ مكرمُةٍ   قَصيدةٌ قالها عَمرو بن كُلثومِ
يُفاخرون بها مُذْ كان أوَّلُهمْ   ياللرِّجال لِشعرٍ غير مَسؤومِ[2]

ومنهم : زياد بن هَوْبر ، وهو قاتل عُمير الحُبَاب السُّلميِّ في الإسلام .

ومنهم : القَطَاميُّ الشاعر . و(القَطَاميُّ) : اسمٌ من أسماء الصَّقر . وأصل القَطْم العَضُّ ، أو قطعُ الشَّيء بالأسنان . قطمتُ اللَّحمَ أقطِمُه قَطْماً ، إذا قطعته بأسنانك ؛ وبه سَمِّيت المرأة قَطَامِ . والقُطَامة : كلُّ ما قطعته فطرحته من شيء فهو قُطامة[3] .

* * *

(١) وكذا في الأغاني ٩/ ١٧٦ أنه بعض شعراء بكر بن وائل .
(٢) بعده في الكامل فقط :
إن القديم إذا ما ضاع آخره   كساعد فله الأيام محطوم
(٣) الاشتقاق ـ ٣٣٩ .

مَساكن تَغْلِب

كانت القبائل العربية والرعوية منها على وجه الخصوص لا تستقر في مكان معين ، فهي تطلب الماء والكلأ أينما وجد لمواشيها لأنها مصدر رزقها الأول ، وقد تتجاور أكثر من قبيلة في منطقة واحدة ، وربما ينشب القتال بينها لتزاحمها على المياه والمراعي ، وقبيلة تغلب مع غيرها من قبائل العرب استقرت في الجزيرة السورية ، وسأحاول تتبع مساكنها ومواطنها بداية ونهاية في الجاهلية والإسلام ، ما أمكن ذلك . وما تعرض له العرب على يد سابور الذي عمل على إبادتهم وبينهم قبيلة تَغلب عندما كانوا يقيمون في العراق وفي أطراف جزيرة العرب .

جاء في الطبري : إن سابور ضَرِيَ بقتل العرب ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الأكتاف ، وأن سابور بعد أن أثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي صاروا إليها ممَّا قَرُب من نواحي فارس ، والبحرين ، واليمامة ، ثم هبط الشام[١] .

وانتخب سابور ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدم إليهم في المضي لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب ، والعرجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارّون ، وقتل منهم أبرح القتل وأسر أعنف الأسر ، وهرب بقيتهم . ثم قطع البحر في أصحابه ، فورد الخَطّ ، واستقرى بلاد البحرين يَقتُل أهلها ولا يقبل فداء ولا يعرِّج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هَجَرٍ[٢] ، وبها ناس من أعراب تميم ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، فأفشى فيهم القتل ، وسفك

---

(١) طبري ٢/ ٦٠ .

(٢) هجر : مدينة وهي قاعدة البحرين . وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، وقيل هي بلاد البحرين . معجم البلدان ٥/ ٤٥٢ .

فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يرى أنه لا يُنجيه منه غارٌ في جبل ، ولا جزيرة في بحر ، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس فأباد أهلها إلاّ من هرب منهم ، فلحق بالرمال ، ثم أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بماء من مياه العرب إلاَّ عَوَّره[1] ولا جُب من جبابهم إلا طَمَّه ، ثم أتى قرب المدينة ، فقتل مَنْ وجد هنالك من العرب وأسر ، ثم عطف نحو بلاد بكر وتَغْلِب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فَقتل مَنْ وجد بها من العرب وسبى وطم مياههم ، وإنّه أسكن من بني تَغْلِب من البحرين دارين[2] ـ واسمها هيج ـ والخط[3] .

وبعد هذا البطش بالعرب من قبل سابور ومحاولته إبادتهم ، يظهر أنه أجرى مصالحة معهم خوفاً من أن يصبحوا حلفاء للروم ، واختار لبعض القبائل العربية مناطق محددة . فيقول الطبري : ثم استصلح العرب وأسكن بعض قبائل تغلب ، وعبد القيس ، وبكر بن وائل : كَزمان ، وتَوَّج ، والأهواز[4] .

تفرق ربيعة .

قال البكري : وأقامت سائر قبائل ربيعة ، من بَكْر وتَغْلِبَ وَغُفَيْلَةَ وعَنَزَةَ وضُبَيْعَةَ في بلادهم ، من ظواهر نَجْدٍ والحجاز وأطراف تهامة ، حتى وَقَعت الحربُ بينهم في قتل جَسَّاس بن مُرَّةَ بن ذُهْل بن شَيْبان كُليب بن رَبيعة ، وانضمَّت النَّمِرُ وغُفيلة إلى بني تَغْلب ، فصاروا معهم .

---

(١) عَوَّره : أي طمه وكبسه بالتراب .

(٢) دارين : فُرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها داريٌّ ، قال الفرزدق :
كـأن تـريكـةً مـن مـاءِ مُـزْنٍ ... وداري الـذكـي مـن المُـدام
(معجم البلدان ٢/ ٤٩٢) .

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٥٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٦١ . وكُزْمَان : موضع (معجم البلدان ٤/ ٥٢١) وتَوَّجُ : مدينة بفارس قريبة من كازرُون بينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخاً فتحت سنة (١٨ هـ أو ١٩ هـ) . معجم البلدان ٢/ ٦٥ . الأَهْوَاز : كورة بين البصرة وفارس ، وسوق الأهواز من مدنها « معجم البلدان ١/ ٣٣٨ » .

ولَحقتْ عَنْزةُ وضُبيعَةُ ببكر بن وائل ، فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بَلد إلى بلد ، وتنفيهم من أرض إلى أرض ، وتَغْلِبُ في كلِّ ذلك ظاهرةُ على بَكْر ، حتى التقوا يوم قِضَّة ، وقِضّة : عَقبةٌ في عارض اليمامة ، وعارِضٌ : جبل ، وقِضّة من اليمامة على ثلاث ليال . وذلك يوم التَّحالق[1] ، فكانت الدَّبْرَةُ لبكر على بني تغلب فتفرقوا في ذلك اليوم وتلك الوقعة ، وتبددوا في البلاد أَعني بني تغلب .

وانتشرت بكر بن وائل وعَنزة وضُبَيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين ، إلى أطراف سواد العراق ومناظرها ، وناحية الأُبُلَّة ، إلى هِيت وما والاها من البلاد ، وانحازت النِّمرُ وغُفيلة إلى أطراف الجزيرة وعانات وما دونها ، إلى بلاد بكر بن وائل وما خَلْفها من بلاد قضاعة ، من مشارق الأرض . فقال الأخنس[2] بن شهاب التَّغلبي وكان رئيساً شاعراً يذكر منازل القبائل :

ونَحْـنُ أُنـاسٌ لا حِجـازَ بـأَرْضِنـا   مع الغَيْثِ ما نُلْقَى ومَنْ هو عازِبُ[3]

قال الهمذاني :

وَفَرَسَانُ قبيلة من تَغْلِب ، وكانوا قديماً نصارى ، ولهم كنائس في جزائرِ الفَرسان قد خربت وفيهم بأس ، وقد يحاربهم بنو مجيد ويعملون التجارة إلى بلاد الحَبش ولهم في السَّنة سَفرة ، فينضم إليهم كثير من الناس ، ونُسَّاب حِمير يقولون إنهم من حِمير[4] .

قال ياقوت :

فَرَسَانُ : بالفتح والتحريك ، وآخره نون : من نواحي فَرَسَان ويقال سواحل فَرسَان .

---

(١) انظر ترجمة الأيام في هذا الكتاب .

(٢) انظر ترجمة الأخنس مع شعره في هذا الكتاب .

(٣) معجم ما استعجم ١/ ٨٥ ، ٨٦ ـ والقصيدة كاملة في ترجمة الشاعر الأخنس .

(٤) صفة جزيرة العرب ٩٦ . وردفي النص «وقد يحاربهم . . . »وكان يحاربهم ويحملون التجارة .

قال ابن الكلبي : مال عُنقٌ من البحر إلى حضرموت وناحية أَبين ، وعَدن ، ودهلَك فاستطار ذلك العنق وطعن في تهائم اليمن في بلاد فَرسَان ، والحَكم بن سعد العشيرة ، وكل ذلك يُقال له سواحل فَرسَان .

قال ابن الكلبي :

فَرَسَان منهم من ينتسب إلى كنانة ومنهم من ينتسب إلى تغلب .

وقال ابن ابن الحائك : من جزائر اليمن جزائر فَرسَان ، وفَرسَان قبيلة من تَغلب ، كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فَرسَان كنائس قد خربت ، وفيهم بأس ، وقد تَحاربهم بنو مجيد ، ويحملون التجارة إلى بلد الحبش ، ولهم في السَّنة سفرة وينضم إليهم كثير من الناس ونُسّاب حِمير يقولون إنهم من حِمير[1] .

قال :

ومَربعا وَالخابور لبني عُقَيْل أعلاه لبني مالك وبني حبيب وبطون تغلب الباقي ، ثم آخر ديار مُضر رأس العين للنَّمِر بن قاسط[2] .

والنُّبي بالفتح أو الضم : ماء بالجزيرة من ديار تَغلب والنَّمِر بن قاسط[3] .

ديار ربيعة وما خلفها : أولها وآخر ديار مُضر رأس العين ، ثم كفر توثا ، لِجُشَم ، عن أياسرها مارة من موضع الحيَّات المضروب بها المثل وهي تطل على دارين ، ثم نصيبين ، موضع العقارب وهي دار آل حمدان[4] بن حمدون موالي تَغلب . فمن نصيبين إلى أذْرَمة والسُّمعية مَسيرة يوم ، وعن أيمن ذاك

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٢٨٣ .
(٢) صفة جزيرة العرب ٢٤٦ .
(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٠٠ .
(٤) منهم أمير حلب سيف الدولة الحمداني ، والشاعر أبو فراس الحمداني . ولقد وضحت ذلك في انتساب آل حمدان إلى تغلب في هذا الكتاب .

جبل سنجار جبل شُراة بني تَغلب ، والشُّراة منها بنو زُهير ، وبنو عَمرو ، ثم من أيمن ذلك ، دُهُنا إلى رَحَبة مالك بن طَوق ، وقَرْقيسِياء ، ثم تَرجع إلى أذرمة إلى بَرقُعيد وهي ديار بني عَبد من تَغلب وفيهم يقول القائل :

لا تخدعنك بَرقَعيد وشَيْدها وَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ عِيشَةً بِنَهَارِ

ثم منها إلى بلَدَ وفيها شُراة وغير ذلك ، إلى حد الموصل ، وإن أردت بعد أرض الموصل مررت بتكريت ، وكان الثرثار[1] عن يمينك وأكثر أهل الموصل مذحج وهي ربيعة ، فإن تياسرت منها وقعت إلى الجبل المُسمى بالجودي يسكنه ربيعة[2] .

وديار بكر بن وائل : من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأُبُلَّة فهيت ، وديار تغلب : الجزيرة بين بلد بكر وبلد قضاعة[3] . وأبان جبل في ديار بكر وتغلب[4] . وعارض اليمامة وهو جبل مسيرة أيام ، ومنه قِضة بني بكر وتغلب وهو يوم التحالق[5] .

جاء في نهاية الأرب عن تَغلب : كانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وتعرف ديارهم هذه : ديار ربيعة[6] .

---

(١) الثرثار : واد عظيم بالجزيرة ، وهو بين سنجار وتكريت ، كان في القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بنو تغلب منهم (معجم البلدان ٢/ ٨٨) . وبالثرثار قَتلت تَغلِبُ عُمير بن الحُباب وقومه فأتى تميم بن الحُباب ، أبا الهُذيل زُفر بن الحارث يستنجده على الطلب بثأر أخيه ، فغزوا تغلب فأدركوهم بالكُحيل وهو نهر أسفل من الموصل على عشرة فراسخ فيما بينها وبين الجنوب ، فقتلوا بني تغلب أذرع قتل ، ومن غرق منهم أكثر ممن قُتل ثم اتبعوا بقيتهم ليلاً ، فأدركوهم قد عسكروا برأس الإبل . فقاتلوهم بقية ليلتهم ، وادّرعت بنو تغلب الليل ، ففرّت ، وصبرت النَّمِر . (معجم ما استعجم/ ٣٣٨) .

(٢) صفة جزيرة العرب ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣) صفة جزيرة العرب ٢٨٤ .

(٤) صفة جزيرة العرب ٢٩٤ .

(٥) صفة جزيرة العرب ٢٧٦ .

(٦) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٨٧ .

وقال ياقوت : كَبَاثُ : بالجزيرة لبني تغلب كان يقام به سوق في الجاهلية غزاه المسلمون في أول أيام عمر رضي الله عنه وإمارة المثنى بن حارثة على العراق[١] .

بَرْقَعيد : مدينة بينها وبين نصيبين سبعة وعشرون ميلاً ، وهي مدينة حصينة كبيرة ، كثيرة الخير والخصب ويسكنها قوم من تَغلب[٢] .

ومن برقعيد هذه كان بنو حمدان التغلبيون سيف الدولة وأهله . وقد نسب إليها قوم من الرواة[٣] .

والأحَصُّ : وبنجد موضعان يقال لهما الأحَصُّ وشبيث ، فكانت منازل ربيعة ثم منازل ابني وائل بكر وتغلب[٤] . ويوجد ترادف هذين الاسمين بالشام ، فجائز أن تكون ربيعة فارقت منازلها ، وقدمت الشام فأقاموا بها وسموا هذه بتلك ، وكذلك في حلب[٥] .

وبلغ خالداً أنَّ جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمُضَيَّح[٦] والحَصَيد مرتدين عليهم رَبيعة بن بُجير فأتاهم فقاتلوه ، فهزمهم وسبى وغنم ، وبعث بالسبي إلى أبي بكر ، فكانت منهم أمُّ حَبيب الصهباء بنت حبيب بن بُجير ، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب[٧] .

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٤٩١ .
(٢) نزهة المشتاق ٢/ ٦٦٠ ، الروض المعطار ٨٦ .
(٣) معجم البلدان ١/ ٤٦٢ .
(٤) قال أبو عبيد : الأحص : واد لبني تغلب ، كانت فيه بعض وقائعهم مع إخواتهم بكر (معجم ما استعجم ـ ١١٨) .
(٥) معجم البلدان ١/ ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .
(٦) المُضَيَّحُ : جبل بنجد على شط وادي الجريب من ديار ربيعة بن الأخبط بن كلاب ، كان معقِلاً في الجاهلية رأسه متحصن وماء ، وقيل هو هضب وماء في غربي حمى ضرية في ديار هوازن ، وماء المحارب بن خَصفة من أرض اليمن . معجم البلدان ٥/ ١٧٠ .
(٧) فتوح البلدان ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ .

وقال ياقوت عن الحَصيد : موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة ، وقال نصر : حُصَيد ، مُصَّغرٌ ، واد بين الكوفة والشام ، أوقع به القَعقاع بن عمرو في (سنة ١٣ هـ) بالأعاجم ومن تجمَّع إليها من تغلب وربيعة وقعةً منكرة ، فَقُتل في المعركة رُوزمهر ، ورُوز وبه مقدماهم ، فقال القعقاع بنن عمرو :

أَلا أَبْلِغــا أسمـــاء أنّ خليلهـــا قضى وطَراً من رُوزمِهر الأعاجم
غَداة صَبحنا في حُصيد ، جموعهم بهنـدِيَّـةٍ تَفْـري فِـراخَ الجمـاجـم[١]

ومن منازل تغلب البِشْرُ وهو اسم جبل يمتد من عُرْض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية وفيه أربعة معادن : معدن القار ، والمَغرة ، والطين الذي يعمل منه البواتق التي يُسبك فيها الحديد ، والرمل الذي في حلب يعمل منه الزجاج ، وهو رمل أبيض كالاسفيداج ، وهو من منازل بني تغلب بن وائل ، وقال عبيد الله بن قيس الرُّقيّات :

أَضحــت رُقيــةُ ، دونهــا البِشْــرُ فــالــرَّقَّــة الســوداءُ فــالغمــرُ[٢]

دَيرُ لُبّى[٣] :

ومن مساكن تَغلب دَير لُبّى بضم اللام ، ورواه ابن المعَلّى الأزدي بالكسر وتشديد الباء الموحد والقصر ؛ ذكره أبو الفرج ، ويروى لُبْى بالنون ، قال : وهو دير قديم على جانب الفرات بالجانب الشرقي منها ، وهو من منازل بني تغلب ذكره الأخطل فقال :

عَفَا دَير لُبّى من أُميمةَ فالحفر ، وأَقفـرَ إلاَّ أن يَلُـمَّ بـه ركـبُ[٤]

---

(١) معجم البلدان ٢/ ٣٠٧ .
(٢) معجم البلدان ١/ ٥٠٦ .
(٣) في معجم ما استعجم ٢/ ٥٩٥ (لبّى) على وزن فِعْلَى دير قديم على دجلة في الجانب الشرقي وهو من منازل تغلب بالجزيرة .
(٤) القافية في المصدر نفسه (سَفرُ) .

قضيـن مـن الـدَّيـر هَمّـاً طَلَبْنـهُ ، فهـنَّ إلـى لَهـوٍ وجـارتها سـربُ[1]

وهناك كانت وقائع بين بني تَغلب وبني شيبان ومغالبة على تلك البلاد ؛ قال ابن مقبل[2] :

كـأنَّ الخيـلَ إذ صَبَّحـن كلبـاً يـريـن وراءهـم مـا يَبتغينـا
سخطـن فـلا يـزينهـمُ بَـوَاءٌ ، فـلا ينـزِعْـنَ حتَّـى يَعتـدينـا
ولـو كُحِلـت حَـواجـبُ آل قَيـسٍ بتغْلـب بعـد كلـب مـا قـرينـا
فمـا تسلـم لكـم أَفـراسُ قَيـسٍ ، ولا تـرجـو البنـات ولا البنينـا
أثـرن عَجـاجـةً فـي دَيـرِ لُبَّـى ، وبـالحضـريـن شيَّبـن القـرونـا[3]

وقال أبو الفرج الأصفهاني :

وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقضاعة وأخلاط مُضر ، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان فأتاهم شعيبُ بن مُليل في ألفي فارس[4] .

وقال ياقوت ومن منازل بني تغلب بن وائل : البِشْرُ وهو جبل يمتد من عُرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية[5] .

وقال ابن الأثير : كانت منازل تَغلب بين الخابور والفرات ودجلة[6] .

ومن منازل تَغْلِب : خَفَّان موضع قِبَلَ اليمامة[7] ، أَشِبُ الغِيَاض ، كثير

---

(١) القافية في المصدر نفسه (شَزر) .
(٢) المصدر نفسه قال الراعي :
هُـمُ تَـركُـوا علـى أكنـافِ لِبَّـى نســاءهــمُ لنـا لمَّـا لَقُـوْنَـا
(٣) معجم البلدان ٢/ ٥٩٩ .
(٤) أغاني ١٢/ ٢٠٣ ـ انظر يوم البشر في هذا الكتاب .
(٥) معجم البلدان ١/ ٥٠٦ .
(٦) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٠ .
(٧) اليمامة: فتحها خالد بن الوليد سنة (١٢هـ) وقتل فيها مسليمة الكذاب. وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر . (معجم البلدان ٥/ ٥٠٥) .

الأُسد ؛ ومَنَازِل تَغْلِبَ ما بين خَفَّانَ والعُذَيْب ، قال عمرو بن كُلْثُوم :

لِيَهْنِىءْ تُراثي تَغْلِبَ بْنَةَ وَائلٍ إذا نَزلوا بين العُذَيْب وخَفَّانِ

وقال الحُطيئة يمدح طَريف بن دَفَّاع الحنفيّ :

تَبَيَّنْتُ ما فيه بخَفّانَ إِنَّني لَذُو فَضْلِ رَأْيٍ في الرِّجالِ سريع

وقال آخر :

تَحِنُّ إلى الدَّهناء بخَفّانَ ناقَتي وأين الهَوى مِنْ صوتها المترنِّمِ

وقال الشَّمَّاخ :

وأَعْرَضَ من خَفَّانَ قَصْرٌ كأنّه شَمَارِيخُ بَاهَى بَانِيَاه المُشَقَّرا[١]

البحرين وقبيلة تَغْلِب :

سكن البحرين : بنو عُقيل بن كَعب بْن رَبيعة بن عَامر بن صَعصَعة ، وكثير من قبائل العرب ، وكان أعظم القبائل هناك بنو عُقيل ، وبنو تَغْلِب ، وبنو سُليم ، وكان أظهرهم في الكثرة والغَلَب بنو تغلب . ثم اجتمع بنو عُقيل وبنو تَغْلِب على بني سُليم فأخرجوهم من البحرين ؛ ثم اختلف بنو عُقيل وبنو تغلب بعد مدة فغلب بنو تغلب على بني عُقيل فطردوهم عن البحرين ، فساروا إلى العراق ، وملكوا الكوفة والبلاد الفُراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل ، وملكوا تلك البلاد ، وكان منهم المقلد ، وقِرْواش ، وقُريش ، وابنه مسلم ملوك الموصل ، وبقيت بأيديهم حتى غلبهم عليها ملوك بني سلجوق ، فتحولوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولاً فوجدوا بني تَغْلِب قد ضَعُف أمرهم فغلبوهم على البحرين ، وصار الأمر بالبحرين لبني عُقيل . وبنو تغلب من جملة رعاياهم[٢] .

---

(١) معجم ما استعجم ٢/ ٥٠٥ مادة (خف) .

(٢) صبح الأعشى ١/ ٣٤٢ ، وقلائد الجمان ١١٩ ، ١٢٠ .

ومن تغلب أقوام بزُرَع ، وبُصْرى ، وبالقريتين منهم نفر[1] .

وقال عمرو بن كلثوم :

ليَهْنِـىءِ تُـراثـي تَغْلِـبَ بنـةَ وائِـلٍ إذا نَـزَلُـوا بَيْـنَ العُـذَيْـبِ وَخَفَّـانِ[2]

وحول وصول بعض أبناء تغلب إلى الأندلس أثناء الفتح الإسلامي جاء : « ومنهم من ينتسب إلى تَغْلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبني حَمْدين أعيان قُرْطبة »[3] .

الأَحَصُّ : وادٍ لبني تَغْلِب كانت فيه بعض وقائعهم مع إخوتهم بكر ، قال مُهَلْهِل :

وادي الأَحَصُّ لقد سَقَاكَ من العِدَى فَيْـضَ الـدُّمـوع بـأَهْلـهِ الـدَّعْـسُ[4]

وقال جرير :

عادَتْ هُمُومى بالأَحَصِّ وِسَادي هَيْهـاتَ مـن بلـد الأحـصّ بـلادي

وبالأحصّ قَتلَ جَسَّاسُ بن مُرَّة كُلَيْبَ بن ربيعة[5] .

الأَقْطَانيُّون : موضع معروف بناحية الرَّقة فيه قَتَلَ الزَّبَّانُ خمسة وأربعين بيتاً من بني تَغْلب بابنه عمرو بن الزَّبَّان ، وكان كُنَيف بن عمرو التَّغلبي قتل عمرو بن الزَّبَّان بَلْطمةٍ لَطَمهُ عمرو[6] .

* * *

---

(١) صبح الأعشى ١/ ٣٣٨ ـ وبصرى هي من أعمال حوران جنوب سوريا ، وهي مدينة تشتهر بآثارها القديمة ، أما زُرَع : فاسمها حالياً إزرع ، وهي من أعمال حوران . والقريتين : جاء في معجم البلدان ٤/ ٣٨٢ قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سُخْنة ، وأَرَك . وبينها وبين تدمر مرحلتان .

(٢) العُذيب : ماءٌ بينه وبين القادسية أربعة أميال ، وقيل : هو واد لبني تميم . وخَفَّان : موضع قبل اليمامة ، كثير الأُسد ، « ومنازل تغلب ما بين خفَّان والعذيب) . معجم ما استعجم . وديوان الشاعر ٧٢٠ .

(٣) نفح الطيب ١/ ٢٩٢ .

(٤) الدَّعس : من منازل بكر .

(٥) معجم ما استعجم ١/ ١١٨ .

(٦) المصدر نفسه ١/ ١٨١ .

أيّام تَغْلِب في الجاهلية

* * *

يوم الأَثْلَب[*]

وهو يوم لبني تَغلِبَ على هَوَازِن ، وفيه نُكِسَ مُلاَعِبُ الأَسِنَّةِ .

أَغارَ قُرْطُ بن السُّفَيح بن السَّفَّاح ، في بني تَغْلِب ، على عُليا هَوازن ، بعدما كَلّتْ خيْلُه وحَضيتْ ، فأَصابهم جامعين بالأَثْلَب ، قد حَذِرُوهُ ، فقاتلوه قِتالاً شديداً ، حتَّى كَثُرت القَتلى بين الفَريقين ، وانهزمتْ بنو تَغلِب ، ثمَّ إنّ قُرطاً كَشف رأْسَه وصاح : يالَ مالك ، يالَ أُسامةَ إلى أَينَ ؟ وذَمَرهم[1] فتراجعوا ، وحمل على أبي بَراءٍ مُلاعب الأسنَّة ، واسمُه عامر بن مَالك بن جَعْفر بن كِلاب ، وهو يومَئذٍ فَارس هَوازن ، فطعنه فَصرَعهُ عن الفَرس ، وحامَتْ عليه هَوازن حتَّى اسْتَنْقَذتْهُ ، وانهزَمتْ هَوازنُ ، وأَتْبَعهم قُرْطُ بنُ سُفَيْحٍ ، لا يَلْحق فارساً إلاَّ صَرعهُ ، وغَنِمَ وسبى[2] .

وقال قُرْطٌ في ذلك :

يـا مَـيَّ لـو أَبْصَـرْتني وفَـوارِسـي	حَوْلي وقَدْ هُزِمَتْ فَوَارِسُ تَغْلِبِ
إذْ قَــالَ فَــارِسُ عَــامِــرٍ لِهَــوازِنٍ	للهِ دَرُّكِ قَــدْ قـدَحْــتِ فـأَثْقِبـي[3]
فَكَشَفْـتُ رَأْسي ثـم قُلْـتُ لِمَـالـكٍ	كُــرُّوا عَليهــمْ يــا فِـدَاؤكُـمُ أَبــي
فَحَمَوْا فَوَارِسَ مَالكٍ من خَلْفِهِمْ	شَــرقُ الأَسِنَّــةِ مــن دَمٍ مُتَصَبـب[4]

(*) الأنوار وماحسن الأشعار ١/ ١٨٧ .

(١) ذَمَر : الذَّمْرُ : اللَّوْمُ والحضُ معاً . وتَذَامَرَ القوم في الحرب : تَحاضُّوا . والقوم يَتَذَامَرُون : أي يَحُضُّ بعضهم بعضاً على الجِدِّ في القتال ، ومنه قوله : (يَتذامرون كَررتُ غيرَ مُذَممَّ) . (لسان العرب ـ ذمر) .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٧ .

(٣) الدَّرُّ : العمل في خير أو شر ، ومنه قولهم : للهِ دَرُّكَ ، يكون مدحاً ، فإذا ذم عمله قيل : لا دَرَّ دَرُّهُ ، أي لا كثر خيره (لسان العرب ـ درر) .

(٤) شَرِقَ بريقه : غُصَّ .

لعَـرَفْـتِ مِنّـي أيّ فَـارِسِ بُهْمَـةٍ ... قُرْطٌ وقَوْمُكِ في العَجَاجِ الأَصْهَبِ[1]
لَـوْلاَ فَـوَارِسُ مَـالـكٍ وكِفَـاحُهـمْ ... لَهَـوَتْ فَـوَارِسُنـا غَـدَاةَ الأَثْلَـبِ
ولقَـدْ طَعَنْـتُ أبـا بَـرَاءٍ طَعْنَـةً ... شَـرِقَ السِّنَـانُ بهـا وصَـدْرُ الثَّعْلَـبِ
نجْـلاَءَ تَقْـذِفُ بـالسِّبَـارِ كـأَنّهـا ... دَلْـوٌ مَتَـى مـا يَسْبُـرُوهـا تشْعَـبِ[2]
وخَـرَائـدِ بيضِ الـوُجُـوهِ عقَـائِـلٍ ... سَبْـيِ الأَرَاقِـمِ أُونَّـسٍ كـالـرَّبْـرَبِ[3]

وعَيَّرتْ هَوَازِنُ أَبَا بَرَاءٍ بانْهِزامه من قُرْطِ بن سُفَيْحٍ فقال أبو بَرَاءٍ عَامِرُ بنُ مَالكٍ في ذلك :

لعَمْـرُكَ مـا طَعْـنُ الـرَّئيس بِبِـدْعَـةٍ ... خِلاَلَ الوَغَى ذَا نَجْدَةٍ مِنْ هَوَازِنِ
سَمَوْتُ إلى الخَيْلِ المُغِيرةِ صُبْحَةً ... فَعَـارَضَنـي قُـرْطٌ بـأَسْمَـرَ مَـارِنِ
فَجَـاشَـتْ بـهِ نَفْسـي ولِلْمَـرْءِ نَبْـوَةٌ ... فكُنْتُ كضِرْغَامٍ خَضِيبِ البَرَاثِنِ[4]
نَبَا عِطْفُهُ عن قِرْنِهِ حَيْثُ لم يَجِدْ ... مَصِيداً بجَأْشٍ في العَجَاجةِ سَاكِنِ
فـإن أَلْـقَ قُـرْطـاً أَجـزِهِ حَـذْوِ نَعْلـهِ ... بَـوَاءً ومـا قُـرْطٌ لِتِلْـك بـآمِـنِ[5]

* * *

---

(١) بُهْمَة : الشُّجاع الذي لا يُهتدى من أين يُؤتى .
(٢) نجلاء : طعنة نجلاء : أي واسعة . والمِسْبارُ : ما يُسْبَرُ به الجُرْحُ . والسَّبْرُ : امتحان غور الجرح .
(٣) خَرد ، الخَريدُ ، والخريدة : البِكرُ لم تُمَسْ ، ج خرائد . (القاموس المحيط) .
الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٨ .
(٤) نَبَا السَّهْمُ عن الهدف : قَصَّرَ . البُرْثنُ : الكفُّ مع الأصابع . ومخلبُ الأَسَدِ .
(٥) بَاء بذنبه ـ بَوْءاً : اعترف به . (القاموس المحيط) .
الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٩ .

يوم إراب والهُذَيْل(*) بن هُبَيْرة التَّغْلبي

هو الهُذَيْل بن هُبَيْرة بن قَبِيصة بن الحارث بن حُبيب بن حُرْقَة بن ثَعلبة بن بَكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب[١] .

وكان الهُذيل من جراري الجيش في الجاهلية ومن ربيعة ، ولم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً[٢] .

وقال ابن دريد : الهُذيل بن هُبيرة وقد رأسهم في الجاهلية وكان جَرّاراً للجيوش ، أسره يزيد بن حُذَيفة السَّعدي[٣] . من تميم .

وقال البكري : وبذي بهدى[٤] أغار الهُذيل بن هُبيرة التَّغلبي على بني ضبَّة ، فاستصرخت بنو ضبَّة بني سَعد بن زيد مَناة عليهم ، فانهزمت بنو تَغلب ، وأُسر الهُذيل[٥] .

وجاء أيضاً : بأن الهُذيل من غير تغلب ، وهو من بني نَهد من قضاعة ، ولكنها لحقت بتغلب إثر حروب وقعت بينها ويقول البكري « ... فلحقت بنو أَبَان وبنو نَهدٍ ببني تَغْلِبَ بن وائل ، فيقال إنهم رَهْطُ الهُذيل بن هُبيرة التَّغلبي »[٦] . قال عمرو بن كُلثوم التَّغلبي وهو يَعني الهُذيل :

(*) جمهة أنساب العرب ٣٠٧ ، المحبر ٢٤٩ ، الاشتقاق ٣٣٦ ، حماسة : أبي تمام شرح التبريزي ١/ ٤٢٢ . النقائض ٢/ ٧٠٣ ، ١٠٨٨ أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيدة ٢/ ٤٧٧ ، معجم البلدان ١/ ١٦٢ ومعجم ما استعجم ١/ ١٣٣ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٧ .

(٢) المحبر ٢٤٦ ، ٢٤٩ .

(٣) الاشتقاق ٣٣٦ .

(٤) ذو بهدى : من ديار بني ضبَّة (معجم ما استعجم ١/ ٢٨١) .

(٥) معجم ما استعجم ١/ ٢٨١ .

(٦) معجم ما استعجم ١/ ٣٩ .

هَلكْتَ وأَهْلكْتَ العشيرة كلَّها فَنْدُكَ نَهْدٌ لا أرى لك أَزْقَما

وقال بشر بن شِلْوة في ذلك للهُذيل :

أَنَهْديّاً إذا ما جئتَ نَهْداً وتُدْعى بالجزيرة من نزار[1]

يومُ إرَاب[2]

قال أبو عُبيدة : وكان من قِصّةِ الهُذَيْل وهو الهُذَيْل بن هُبَيْرَةَ أبو حَسّان التَّغلبي أنّه أغار على بني يربوع بإِراب فَقتل فيهم قَتلاً ذَريعاً وأصاب نَعماً كثيراً ، وسَبى سَبْياً كثيراً فيهنّ زَيْنبُ بنت حِمْيَري بن الحارث بن هَمّام بن رياح بن يربوع وهي يومئذ عَقيلة نساء بني يربوع ، والعَقيلة الكريمة على أهلها المُفَضَّلَة فيهم .

قال أبو عُبيدة : فحدثني أَفّارُ بن لَقيط العَدَويّ وهو أبو خَيْرَةَ قال : كان الهُذَيْل يُسَمَّى مُجَدَّعاً وكان بنو تميم يُفَزِّعون به وِلْدانَهم وأسر قَعْنباً وسبى كآبة بنت جَزْءٍ بن سعد الرِّياحي فَفَدَاها أبوها جَزْءُ بن سعد وتَمَنَّعَ بمُفاداة زَينب بنت حِمْيَرَيّ فركب عُتيبةُ بن الحارث فيها وفي أُسرائِهم حتى فَكَّهم ثم بَلغه أنّهم يَمْرُونَ نِعْمَته عليهم : وقوله يَمْرون : يَجْحَدون .

قال أبو عُبيدة وأنشدني ابن سليط لعُتيبَة في ذلك :

أَبْلِغْ أَبا قُرّانَ حَيثُ لقيته وبَلِّغْ خِداماً إنْ نَأَى أَوْ تَجَنَّبا[3]

جَلَبْنا الجِيادَ مِنْ وَبالَ فَأَدْرَكَتْ أَخاكُمْ بنا في القِدِّ والمَرْءَ قَعْنَبا

فما رَدَّنا حتَّى حَلَلْنا وِثاقَهُ حَديداً وقِدّاً فَوْقَ ساقَيهِ مُجلِبا

فَقُلنا له أَفْسَحْ بَعْضَ خَطوِكَ طالَما جَلَسْتَ وقد رُمْتَ الخُطَى يا ابْنَ أَرْنَبا

---

(١) معجم ما استعجم ١/ ٤٠ .

(٢) النقائض ٢/ ٧٠٣ ، معجم البلدان ١/ ١٦٢ ، معجم ما استعجم ١/ ١٣٣ .

(٣) أبو قَران نُعيم بن قَعْنب وهو زَوج زينب بنت حِميري ولدت له قُرّان بن نُعَيم وخدام : هو أخو نعيم بن قَعْنب بن أرنب .

وما كانَتِ العَسْراءُ تَرْجوا إِيابَهُ ولا أُمُّهُ مِنْ طُولِ ما قَدْ تَعَتْبا[1]

وقال الفرزدق يذكر يوم إراب ويهجو جريراً :

ولم تَمْنَعواً يَوْمَ الهُذَيْل بَناتِكُمْ بَني الكلْبِ والحامي الحَقيقَةِ مَانِعُ
غَداةَ أَتَتْ خَيْلُ الهُذَيْلِ وَراءكُمْ ومُسدَّتْ عَليكُمْ من إِرابَ المَطالعُ
يُحَصِّنُ عَنْهُنَّ الهُذَيْلُ فِراشَهُ وهُنَّ لِخُدّامِ الهُذَيْلِ بَراذِعُ[2]

قال ياقوت[3] : إِرَابُ : بالكسر ، وآخره باء موحدة : من مياه البادية ، ويوم إِرَابَ من أيامهم ، غزا فيه هُذيل بن هُبيرة الأكبر التَّغلبي ، بَني رياح بن يَرْبوع والحيّ خُلُوف ، فسبَى نساءهم وساق نَعَمَهم ؛ قال مُساور بن هند :

وجَلَبْتُه من أَهلِ أُبْضَةَ طائِعاً ، حتى تَحكَّمَ فيهِ أهلُ إِرَابِ

وقال الفضل بن العباس اللَّهَبي :

أَتبكي إن رأَيتَ لأُمٍّ وهب مَغَاني ، لا تُحاورِكَ الجَوابَا
أَثافي لا يَرِمْنَ ، وأهل خِيم سَواجد ، قد خَوين على إِرابا

وبخط اليزيدي في شرحه : إراب ماءٌ لبني رياح بن يربوع بالحَزْن[4] .

ورد في النقائض رواية ثانية ليوم إِراب ومختلفة عن الرواية التي وردت في المصدر نفسه والرواية تقول :

---

(١) وقوله قد تَعَتَّبا : أراد لَزِمَ عَتبةَ البيتَ لا يبرح .
(٢) أي لا يقربن فراشه . أي لا يجامعهن يَرْفع نفسه عنهن ويبذلهن للخُدّام . (النقائض ٢/ ٧٠٣) .
(٣) وقال البكري : أَرَاب بفتح أوله وبالباء المعجمة بواحدة ، على وزن فَعال ، قاله ابن دُريد . وقال : وهو جبل معروف قال جرير :
فما تَيْم غداةَ الحِنْوِ فينا ولا في الخيل يومَ عَلَتْ أَرَابَا
وقال الأخطل :
ولقد سَمَا لكمُ الهُذيلُ فَنالكُمْ بإراب حيثُ يقسِّم الأنفال
معجم ما استعجم ١/ ١٣٣ .
(٤) معجم البلدان ١/ ١٦٢ .

هذا يومُ إِراب ، وكان من حديثه أن الهُذَيْل الأكبر بن هُبَيْرة التَّغْلِبي أحد بني ثعلبة بن بكر خَرج غازياً يريد بني سعد بالرَّمل[1] حتّى إذا ما هو صَدرَ عن الضُّبَيْعاء[2] وطلح[3] لَقي المُوَجَّه أخا بني إهاب بن حِمْيَرِيّ بن رياح فأخذه فقال فيمَ أنت ؟

قال المُوَجَّه أنا راحل إلى أهلي .

قال : وأين هم ؟

قال : تركتهم بإراب .

قال : فأين المُقاتلة ؟

قال : غازون كُلُّهم .

فمال عليهم حتى ورد إراب (وجُلُّ أهْلِها بنو حِمْيري بن رياح) فاحتمل مَنْ قدر عليه منهم حتى ورد يُسُراً[4] ، وكان ممّن سَبا رشيّةُ بنتُ شَدّاد بن شهاب ، وماويّةُ بنت حِنّاءَة ، وزَيْنب بنت جَزْءٍ بن سعد وامرأةُ جَزْءٍ . فقالت له امرأةُ جَزْءٍ (وكان أخذها وابنتها الحَرْشاءَ) إنّ حُرّاً لا يَحِلُّ له أن يُجامع امرأةً باتت في الجيش ليلةً فأطلقها وابنتها .

وعلى يُسُرٍ جيش بني ثعلبة وجُيْشُ بني رياح قد سبقوا الهُذَيْل إلى الماء فلما رآهم الهُذَيْل أرسل إليهم أفيكم جَزْءُ بنُ سعد ؟ قالوا : نَعم .

قال : فإنّ هذا الهُذَيْل قد أخذ ماله ونِساءَه .

---

(١) الرمل : موضع (معجم البلدان ٣/ ٧٨) .

(٢) يوجد : ضُبَيْعَةُ : محلة بالبصرة سميت بالقبيلة ، وهما ضُبيعتان : ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بنن عُكابة . وضُبيعة بن ربيعة بن نزار . وضبيعة : قرية باليمامة لبني قيس بن ثعلبة (معجم البلدان ٣/ ٥١٤) .

(٣) طلح : موضع بين اليمامة ومكة ، ويقال ذوي طلوح . « معجم البلدان ٤/ ٤٤ » .

(٤) يُسرٌ : وهو نقب تحت الأرض يكون فيه ماء لبني يربوع بالدهناء . (معجم البلدان ٥/ ٥٠٠) .

فقال عُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب : إن القوم قد جاءُوا فلاًّ مُعَطَّشين فامْنَعوهم الماء وقاتِلوهم دونه حتى يُعْطوكم بأيديهم .

فلما أَزْفَأ إليهم الهُذَيْل قال لجَزْءٍ هل تعرف الحَرْشاءَ ؟

قال : نَعم .

قال : اطلقتُها وأُمَّها وأقسم بالله لإن رددتم إلينا إناءً من آنيتنا قبل أَن يأتينا ملآن من ماء يُسُرٍ ليأْتينكم فيه رأس إنسانٍ منكم تَعْرِفونه من ذكرٍ وأُنثى .

فقل بنو رِياح : يا بني ثعلبة إنه ليس لكم في أيدي القوم سَبيٌ ومتى تقاتلوا القوم يَقْتُلوا أبناءَنا ونِساءَنا فنُذكركم بالله لمّا كَفَفْتم .

فقالت بنو ثعلبة : والله لا نَقيلُ بغائط حيٍّ وهم به إنْ لم نقاتلهم ، فمضى بنو ثعلبة .

وقال الهُذَيْل وبنو رياح بيُسُرٍ فاشتروا بعض سَبْيهم وأطلقوا الباقين[١] .

ولقد جاء في حماسة أبي تمام :

أنه كان غزا بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فأطرد إبلهم فقال له قومه : أَغربنا على بعض من تمر به فأغار على بني كوز وهاجر من بني ضبَّة فأصاب منهم ثلاثين امرأة فيهن منصورة بنت شقيق أخت عامر بن شقيق فأطلقهن مكانه غيرها فاحتمل بها حتى أتى أرض قومه وكان أخوها وزوجها غائبين فبلغهما الخبر فطلباها حتى أتيا الهُذيل وسألاه إياها فقال : هي بيني وبينكما فإن أصبت فلتتبعكما ، وإن كرهت لم أعطكماها .

فقالا : ننظر في أمرنا اليوم فأتيا رجلاً من تغلب فحدثاه الحديث واستجاراه فانطلق معهما إلى الهُذيل فقال : إنك أعطيت القوم ما قد علمت أفأجيرها عليك على الوفاء ؟ قال : نعم .

فَخُيرت المرأة فاختارت زوجها فأعطاهما إياها وانصرفا بها ثم إن الهُذيل تبعتها نفسه فأغار ثانية على بني ضبَّة وجمع لهم فاستصرخ بنو ضبَّة ببني سعد

---

(١) النقائض ٢/١٠٨٨ .

ابن زيد مناة فالتقوا وقُتل من بني تغلب ناس وانهزموا أسوأ هزيمة ووقع ابن الهُذيل أسيراً ، أَسره عامر بن شقيق ، ثم أتاهم الهُذيل في ابنه يطلب إليه أن يفاديه أو يمن عليه فوعده أن يفعل فلما طال[1] عليه ذلك قال :

أَلِكْنـي وَفِـرْ لابْـنِ الغُـرَيْـرَةِ عِـرضَـهُ ... إلى خَالدٍ من آلِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلِ[2]

فَمَـا أَبْتغـي فـي مَـالـكٍ بَعْـدَ دَارمٍ ... ومـا أَبْتغـي فـي دَارمٍ بَعْـدَ نَهْشَـلِ[3]

ومـا أبتغـي فـي نَهشَـلٍ بَعْـدَ جَنْـدَلٍ ... إذا ما دَعَا الدَّاعي لأَمْرٍ مُجَلَّلِ[4]

ومـا أبْتغـي فـي جَنـدْلٍ بَعْـدَ خَـالـدٍ ... لِطَـارقِ لَيْـلٍ أوْ لِعَـانٍ مُكَبَّـلِ[5]

نَمَيْـتُ إلـى جُـرثـومَـةٍ فَحَفِظْتُهـا ... إِلَيْهـا مُنَـاخُ الخَـائِـفِ المُتَـوَئِّـلِ[6]

نهاية الهُذَيْل :

الهُذَيْل وسَفَار[7] :

وكان الهُذَيْل التَّغلبي قد أغار على إبل ابن نُعيم بن قَعنب الرِّياحي فَمَرَّ يوم

---

(١) حماسة أبي تمام شرح التبريزي .

(٢) قوله ألكني : أي بلغ عن رسالتي ، والألُوك والمألكة الرسالة . ويقال (وفَرْتُ) الرجل ماله وعرضه أفره ، إذا وفَّرته ولم تنقصه . وابن الغريرة : عبد الله بن هبيرة النهشلي . وقوله إلى خالد : أي كن رسولي إليه بهذا الأمر . وسلمى بن جَندل : حيٌّ من بني نهشل .

(٣) أبتغي : أطلب . ومالك بن حنظلة أبو دارم ، ودارم بن مالك أبو نهشل .

(٤) المجلل : العظيم .

(٥) الطارق ، الآتي ليلاً . والعاني : الأسير . أي كان مأوى الضَّيف وفكّاك الأسير « حماسة أبي تمام ـ التبريزي ١/ ٤٢٢ » .

(٦) نميت : انتسبت وعلوت . والجرثومة : الأصل . ويفخر بأن قبيلته عزيزة منيعة . هذا البيت زيادة من حماسة أبي تمام شرح الشنتمري ١/ ٥٦٦ .

(٧) سَفَار : منهلٌ قبل ذي قار بين البصرة والمدينة وهو لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، قال ابن حبيب ، قال الفرزدق :

متـى مـا تَـرِدْ يـومـاً سَفَـارِ تَجِـدْ بهـا ... أُدَيهِـمَ يَـرْوي المستجيـز المُعَـوَّرَا

والمستجيز : المستسقي ، والمعوّر : الذي لا يُسقى . « معجم البلدان ٣/ ٢٥٢ » .

وِرْدِها بسفار فَتَفَارّ[1] أهلها من بني مازن ، وجعل أعوان الهُذَيْل يُورِدون تلك الإبل قطعة قطعة ، والهُذيل قاعد على شَفير البئر ، فلما تشاغل مَنْ معه ، رأى حُباشة المازني غِرَّة ، فاسْتَدبَره بِسهم فأَقْصده ، وخَرَّ في الركيَّة ، فهالوا عليه .

وقال عُتبة بن مِرْداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم .

فَمَـــنْ مُبلـــغٌ فِتْيَـــانَ تَغْلِـــبَ أنّـــه جـلا للهُـذَيْـل مـن سَفَـارِ قَـريـبُ
إذا طـرَّبَ الأصـداءُ طـرَّب وسْطَهـا صَدىً تَغلبيٌّ في القُبورِ غَريبُ[2]

* * *

(١) تفاروا : تهاربوا .

(٢) معجم ما استعجم ٣/ ٧٤٠ .

يَومُ أَقْطَانِ[*] سَاجِرٍ

وهو يومٌ لبني ثَعْلَبة بن بَكر على بني تَغْلب .

كان من أَمر هذا اليوم أن كَثيفَ[1] بن حيّ بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بكر ، أغار على بكر بن وائل ، في خَيلٍ من بني تَغلب وأسرو [. . .][2] سبياً ونعماً ، ولحقه مَالك بن الصَّامت ، واسمهُ زَيد بن عَوف بن عامر بن ذُهل بن ثعلبة ، وأُمُّه كُومَةُ بنت ضَليعٍ ، وبها كان يُنسبُ ، وعمرو بن الزّبَّان[3] ، في خيلٍ من بَكر ، فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، وأُسر كَثِيفُ بن حيّ ، أَسره مالك وعمرُو قال مالكٌ : أَسيري ، وقال عمرو : أَسيري ، وتَلاحيا ، وكان مالكٌ حليماً ، وعمرو بن الزّبَّان سفيهاً ، فحكمَّا كثيفاً في ذلك ، فقال كَثيفٌ : لولا مالكٌ لأُلفيتُ في أهلي ، ولولا عَمرٌو لم أُسَر .

فغضبَ عَمرٌو فَرفع يده فلطم وجه كَثيفٍ ، فغضب مالك وقال : أَتلطمُ وجه

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٤٦ . وفي معجم ما استعجم ورد : الأَقْطَانيُّون ، بفتح أوَّله ، وبالطاء المهملة ، كأنه جمع أقطانيّ :
موضع معروف بناحية الرَّقَّة ، فيه قَتَل الزَّبَّان الذُّهلي خمسة وأربعين بيتاً من بني تغلب ، بابنه عمرو بن الزَّبَّان ، وكان كُنَيْف بن عمرو التَّغلبي قَتَل عمرو بن الزَّبَّان ، بلطمةٍ لَطمهُ عمرو . (معجم ما استعجم ١/ ١٨١) . وكذلك قال الميداني : الأقطانتين موضع بناحية الرقة . ولقد أورد هذا اليوم الميداني في مجمع الأمثال تحت عنوان : « أشأم من خوتعة » . واعتمدت رواية كتاب الأنوار لأن الكتاب محقق والمؤلف من تغلب .

(١) ورد في معجم ما استعجم ١/ ١٨١ كُنيف . و(حيّ) جاءت هكذا في النص وجاء في الحاشية بأنها وردت هكذا في الأصل بدون النقط . وفي مجمع الأمثال : كُثيِّف بن عمرو التّغلبي .

(٢) وجاء في حاشية الأنوار : لعل كلمة « اقتاد » أو « أخذ » ما أشبهها سقطت من الأصل .

(٣) في بني ذهل بن ثعلبة : الزبّان ، كذا في مختلف القبائل ومؤتلفها . لمحمد بن حبيب والتاج (حاشية الأنوار) .

أسيري ! فاشترى مَالكٌ نَصيب عمرٍو بمائة من الإبل وأعتقه ، للَطمةِ عمرٍو وإيّاه .

فقال كَثيفٌ : يا مالكُ ، أَمَا ودِينِ آبائك لا أُحِلُّ حَلالاً ولا أُحرِّم حَراماً ، ولا يَمسُّ رأسي غِسْلٌ ، حتَّى أُدرِك ما صنَع بي عمرٌو ، وأَمّا أَنتَ فقد استوجبتَ المِنّةَ عليَّ .

وقال كَثيفٌ :

حَلفْتُ بما لَبَّى له كُلُّ مُحْرِمٍ ... له لِمّةٌ حُفَّتْ من الشَعرِ الجَثْلِ

يَميناً أَرَى مِنْ آلِ زَبَّانِ وَاتِراً ... ليَطْلُبَ منّ دُونَ قَاطِعةِ الحَبْلِ

جَزَاءً بمَا أَسْدَى إليَّ أَخوهمُ ... ليْعلَمَ أَنّ الحِلْمَ أَدْنَى من الجَهْلِ

وأَجْزِي بمَا أَسْدَى من الخَيْرِ مَالِكاً ... أُكَافي ذَوي الأَحْسابِ والفَضْلِ بالفَضْلِ

فمكث كَثيفٌ بعد ذلك قليلاً ، وخَرج بنو زَبّانَ ، وهم سِتَّةُ نَفرٍ ، وفيهم عَمرو بن الزَّبّان ، في طلب إبل لهم نَدَّتْ ، فوجدوها ونُتجوا ناقةً ونَحروا وَلَدها ، فَبيْنا هُم يأكلون إذ بَصُرَ بهم رجل من غُفَيلَة بن قاسط يقال له خوتعة(١) ، فانطلق حتَّى عرَّف كثيفاً موضعهم ، فركب لوقته في أربعين فارساً ، حتى أَتاهم فأخذهم أَخذاً ، فعلم عَمرو بن الزَّبّان أنّ كثيفاً إيّاه يُريد ، قال كَثيفٌ يا عَمرو أَتذكرُ لَطمتي ؟

قال : نعم ، ولا خَدّ بَكريٍّ هو أفْضلُ من خدِّي ، فدُونك فاقْتَدْ مِن عمك ، وإن شِئتَ من أخَويَّ .

فقال كثيفٌ : بل أنا قاتلك .

فقال : لا تَبْدُ[٢] بالبَغْي ، وخُذ الحقَّ ولك فِدَاؤُنا .

قال : بل أَقتلُهم معك .

قال : إذَنْ يطلبُك مَن هو أشَدُّ عليك منّي وأَطلَبُ بثأره ، وأَطْوَعُ في قَومه . قال كَثيفٌ : « ذاك ما ذاك » .

---

(١) مجمع الأمثال أشأم من خوتعة . وهو أحد بني غُفيله بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعمي بن جديله .

(٢) كذا الأصل « تبدُ » ولعلها (تبدأ) .

فذهبت مثلاً ، ثمّ إنّه قتلهم ، وجعل رُؤوسهم في غِرَارةٍ علّقها في عُنق الدُّهيم ناقة لعمرو بن الزّبّان ، وفيها يقول العرب « أَشْأَمُ من الدُّهيم » مثلاً و« أَثْقَلُ من حَمْلِ الدُّهَيم »[1] .

وقال الأَعْرَجُ الطائي يَتَمَثَّلُ بالدُّهَيم :

يقُودهُمُ سَعْدٌ إلى بَيْتِ أُمِّهِ أَلا إِنّما يُزْجى الدُّهَيم ومَا يَدْري

وإِنّ راعياً للزّبّان نظر في آخر اللّيل وهو يُوقد ناراً إلى الدُّهيم بارِكةً في عُرض الإِبل ، فقال : هذه والله ناقة عَمرٍو .

قال له الزَّبّان : انْظُرْ ما عليها .

قال : أُرَاهُ بَيضَ النّعام أَصَابه بَنُوك فبعثوا به .

قال : انْظُرْ ويلك عمّا يُفرخ البيضُ ، فنظر فإذا الرؤوس ، فنادى بالويل ، وثار الزَّبّان مذعوراً ، فلمّا نظر إلى الرؤوس قال : « آخِرُ البزّ على القَلُوص »[2] فذهبت مثلاً ، ثم وضع الرؤوس بين يديه ، وصرخ : يال ثَعلبة ، يال بكر بن وائل ، فهاج النّاس إليه من كُلِّ جانب ، ومَكثُوا حيناً لا يعرفون من قَتِلهم ، وإِنّ عَمْرو بن لأي بن الحارث بن مؤْأَلَة بن عَمرو بن مَالك بن تَيم الله بن ثَعلبة أنشدهم الناس ، وذكر أَمرهم فَعُرِّفَ أن خَوْتعة الغُفَليّ دَلّ عليهم كثيفاً فَقَتلهم ، فَعَرَّف الزَّبّان فحلفَ أَلاّ تَخْبُوَا لهُ نارٌ ولا يقْرُب النِّساءَ ، ولا يُحَرِّم دَم غُفَليٍّ أبداً حتّى يَدلُّوه على عَدوّه كما دلُّوا على بَنيه ويُدرك ثأَره من بني تغلب ، فنادى في بكر فأَجابته بنو ثَعلبة ، وخَذَلته لُجيم وَيْشكُرُ وحَلَفاءُ كانوا من عَنزةَ ويَشكر .

---

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني « أشأم من خوتعة » . والدُّهيم : اسم ناقة عمرو بن زَبّان . مجمع الأمثال ١/١٥٦ .

(٢) البَزُّ : الثياب . والقلوص : الأنثى من الإبل الشابه « مجمع الأمثال ١/٧٨ » . وجاء أيضاً ، قال أبو الندى : معناه هذا آخر عهدي بهم لا أراهم بعده ، فأرسلها مثلاً . « مجمع الأمثال ١/٣٧٨ » .

فقال الزَّبَّانُ في ذلك :

أَبَني لُجَيمٍ مَنْ يُرَجَّى بعْدكمْ ... والحيُّ قد حُرِبُوا وقد سُفِك الدَّمُ
ولَعَمْرُ وُدّي لَو جَمَحْنَ عَليكمُ ... جَمْحَ اللُّيُوثِ لما قَعَدْنَا عَنْكمُ
دَعْ عَنْك يَشْكُرَ إذ نأَتْك بوُدّهَا ... فلقَدْ بدا لي أَنّهُم لَمْ يأْلَمُوا
مَنْ مُبْلِغٌ عني الأَفاكِلَ مَالكاً ... وبني قُدَارٍ أَنَّ حِلْفِي الأَعْظَمُ

وقال في مالك بن كُومَةَ[1] :

بَلّغا مَالِكَ بنَ كُومةَ أَلاّ ... يَأْتيَ اللَّيلُ دُونَه والنَّهارُ
كُلَّ شيءٍ سِوَى دِمَاء بني ذُهْـ ... ـلٍ عَلينا يَومَ اللِّقَاءِ جُبَارُ
أَنَسِيْتم قَتْلى كَثيفٍ وأَنْتُمْ ... بِبلادٍ بهَا يَكُونُ العَشارُ
إنّني قد أَتَتْ إليَّ قَلُوصي ... بأُمورٍ يَطيحُ فيها الكِبارُ
عُضْلَة تَحملُ الدَهيَّ من الأَمْـ ... ـرِ وفيها تَشدُّدٌ ونِفَارُ
قَتَلُوا سِتَّةً بغير قَتيلٍ ... مُلِكَ الذُّلُّ بعْدُهمْ والصَّغَارُ
إن نَجتْ نَجْوةً بتَغلبَ أو نجَّـ ... ـتْ على نَأيِها غُفَيلةَ دَارُ
قبْلَ أن نَثْأَرَ القتيلَ بقَتْلى ... بعد قَتْلى وتُنْقَضَ الأَوْتَارُ
فلَقدْ نَالنَا بذلك عَارٌ ... وكَفَانَا بِذي الرَّزيَّةِ عَارُ[3]

ولما رَجع كَثِيفٌ إلى بني تَغلب وقد قتل بني الزَّبّان ، قال السَّفَّاحُ[3] بن خالد بن كعب بن زُهير :

أَلاَ يا للظَّعَائنِ لو سَريْنَا ... لعَلّ الخَيْلَ يقْضِيهنّ دَيْنَا
فَلمّا أَنْ أَتَيْنَ على ثَميلٍ ... تأَزَّرْنَ المَجَاسِدَ وارْتَديْنَا
أَلاَ من مُبْلِغٌ عَمْرو بنَ لأيٍ ... بأَنَّ بَنَانَ ولِدْتِه لَديْنَا
فلَمْ نَقْتُلْهُمُ بدَمٍ ولكنْ ... هَوَانُهُم ولُومُهمُ عَليْنَا

---

(١) هو مالك بن كومة الشيباني . « مجمع الأمثال ١/ ٣٧٧ » .
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٢ .
(٣) السَّفّاح : هو سلمه بن خالد التَّغلبي . انظر ترجمته في هذا الكتاب .

وَمكَث الزَّبَّانُ عَشر سنين ما أَدرك ببنيه ، ثم إن رَجلاً من غُفيله ، يقال له : وَقْشٌ ، أتى الزَّبَّان ليلاً ، فَعرَّفه أن قوماً من أعدائه بالأقاطن ، فقال الزَّبَّان : قد أَنَى لك ، ونادى يال بكر ، فاجتمعت إليه بنو ثَعلبة ، فالمُقَلِّلُ يقول إنهم كانوا ثلاثمائة وستين فارساً ، وسَاروا وأَوثق الزَّبَّان وَقْشاً ، وحَبسه عند أهله ، فلما دَنوا من الأبيات وَجَّه الزَّبَّان من حَزَرها ليلاً ، فَعرَّفَه أَنّها نحو الثمانين بيتاً ، فكبسهم ، فقتل منهم ثلاثة عشر رَجلاً ، وقُتل أبو مُحيَّاة بن زُهير بنُ تَيم بن أُسامة ، واسمَهُ ضِرارٌ وهو عَمُّ السَّفَّاح[1] .

وقال عَمرو بن لأْيٍ[2] :

أَلا مَـــن مُبلِـــغُ السَّفّـــاح أَنَّـــا	قَتَلْنَـــا مـــن زُهيـــرِ مـــا ابْتَغَيْنَـــا
قَتَلْنَـــا مـــالكـــاً وأَخَـــاهُ عَمـــرْاً	وحَـــيّ بنـــي أُسَـــامـــةَ واشْتَفَيْنَـــا
وأَنّـــا لَـــن يُقَـــوِّمَنـــا ثِقَـــافٌ	ولا ضَـــرْبٌ إذا نَحْـــنُ الْتَقَيْنَـــا
قَتَلْنَـــاكُـــمْ بقَتْـــلاَنَـــا وَزِدْنَـــا	ورأْس أَبـــي مُحَيّـــاةَ اخْتَلَيْنَـــا[3]

فقالت بنو تغلب للسَّفَّاح أَجِبْ عَمْراً فقال : لا ، أو تَفْعلوا كما فعل القوم[4] .

ويلي يوم أقطان ساجر[5] يوم بَطن حنين وتعتبر حوادثه مكملة ليوم أقطان لما وقع فيه من ثأر وانتقام كرد على حوادث يوم أقطان !

* * *

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٣ .

(٢) هو عَمرو بن لأي بن الحارث بن مَوْأَلَةَ بن عامر بن مَالك بن تَيم الله بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن علي بن بكر بن وائل « الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٨ » .

(٣) هو أبو مُحَّياة بن زهير بن تيم بن أُسامة ، واسمه ضِرار وهو عم السفاح « الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٣ » .

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٤ .

(٥) وردت قصة يوم أقطان ساجر في مجمع الأمثال تحت عنوان أشأم من خوتعة ، وكانت مختصرة وتفتقد إلى الأشعار التي وردت في كتاب محاس الأشعار . وفي الروايتين تشابه من حيث المضمون والنتيجة .

يَوْمُ أُوارَةَ[*] الأوّل

وهو يومُ لبني تَغْلبَ على بكر بن وائل وبني تميم ، وفيه مقتل سَلمة بن عَمرِو المَلِك ، قَتله عَمرو بن دَوس التَّغلبي ، ومَقتل حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة ، قتله الجَون التَّغلبي . وكان من حديث هذا اليوم أنّ بني تغلب طَردت سَلمة بنن عَمرِو الملك ، وكان يُلقب بالغَلْفَاء ، كما قَتلت أخاه شُرَحبيل بن عَمرِو لتَنكُّره لأبي حَنشٍ[1] ، ورأَوه بُصورة مَوتورٍ يطلب ثأراً ، فسار حتى أتى بكر بن وائل ، فقال له حَارثة بن عَمرو بن أبي رَبيعة بن ذُهل بن شَيبان : أَيّها المَلِك ، لك عليَّ نَصر بكر بن وائل بأَسرها .

فأقام فيهم ثلاث سنين يجمع بكراً وتَميماً واليمن ، وقلَّدت بنو تغلب والنَّمِرُ أمرها عَمرو بن المُنذر ، وهو ابن هِند ، فسار سَلمة الملك في جُموع بكرٍ وتَميم واليَمن ، وسارت بنو تغلب ورئيسها عمرو بن كُلثومٍ التَّغلبي ، والنَّمِر ، ورئيسها قَيْسُ بن زُهير النَّمرِيُّ ، ومعهم عَمرو بن هِند ، فقال ثَعلبة بن شَيبان العِجليُّ : يال بَكرٍ ، هل تدرون إلى مَن تسيرون ؟ إلى أصحاب السُّلاَّن والكُلابَين وخَزازَى[2] ، مع امرىء قَتلَ أخاه ، وخُلعَ فقال له ابنه حَنظلة : يا أَبتِ أَتخْذُلُ بكراً في مثل هذا اليوم ؟

قال يا بُني « اللَّحى خَيرٌ من الوَهْى » فذهبت مَثلاً ، ثم إِنَّهم التقوا بأُوارة ، فاقتتلوا أشدَّ قتال يكون ودامت أياماً[3] .

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٢ ، والكامل في التاريخ ١/ ٥٥٢ وجاءت الرواية فيه متطابقة مع الأنوار ولكنها مختصرة ، بينما رواية الشمشاطي أكثر تفصيلاً وفيها شواهد كثيرة من الشعر وأقوال الشعراء .

(١) أبو حنيش : عُصْمُ بن النُّعمان التغلبي .

(٢) السُلان ، والكُلابين ـ أي الكُلاب الأول ، والثاني ، وخزازى . كلها أيام من أيام العرب كانت فيها بينهم مواقع .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٢ ، ١٢٣ . واللَّحى : العذل واللوم . والوهى : الشق في الشيء وتخرقه . يريد لأن يكون لوم خير من أن يكون ضياع وهلاك .

وحَلف عَمرو إنْ ظَهر لَيذبحنَّ من قدر من بكر على جبل أُواراة حتى يبلغ الدَّم قرار الأرض ، فَظَهرت تَغلب وانهزمت بَكر ، وحازت تَغلب بُيوتهم ، وأَسرَ عُبَيد بن قَرْعَصٍ التَّغلبي سَلمة المَلِك ، فبينَا هو يَقودُهُ إِذْ مَرَّ به عَمْرُو بنُ دَوْسٍ التَّغلبي فَضربه فقتله ، ففي ذلك يقول امرؤُ القيس :

أَلا إِنّمــا أَبكَــى العيــونَ وشَفَّهــا   قَتِيلُ ابنِ دَوْسٍ في حِبَالِ ابن قَرْعَصِ

وبَصُرَ الجَون التَّغلبي بحارثة بن عَمرو وقد انحاز من أصحابه هارباً ، فأَتبعه ، فتراميا بالنَّبْل حتى فَنيَ ، ثُمَّ تَطاعنا حتى تَقصَّف رُمحاهما ، ثم اجْتلَدا بسيفَيْهما ووَقَعا إلى الأرض . وصَرعه الجَون فشَدّهُ وَثاقاً وأَقبلَ به أسيراً وقال :

مــن مُبْلِــغٌ شَيْبَــانَ أَنِّــي   لــم يكُــنْ أَمْــرِي خَفِيَّــا

رَامَيْتُـــــهُ حتَّـــــى إِذَا   مـــا كـــانَ نَبْـــلانـــا نفَيَّـــا

طَـــاعَنْتُـــهُ حتَّـــى إِذَا   مـــا كـــانَ رُمْحـــانَـــا شَظِيَّـــا

ضَـــارَبْتُـــهُ حتَّـــى إِذا   مـــا كـــانَ سَيفـــانـــا حَنِيَّـــا

أَثْخَنْتُـــهُ غَلَبـــاً وكـــا   نَ مُمَعَّنـــاً صعبـــاً أَبِيَّـــا

ثم إنّ عَمرو بنَ هِند أَمر بالأَسارى فَذُبحوا على رأس أُوَارَاةَ ، فَجعل الدّم يَجمد ، فقال رَبيعة بن حُبيب التَّغلبي : أَنا أَبَرُّ[1] يمين الملك ، قال بماذا ؟

قال : إذا قَتلتَ رَجلاً فصُبَّ على دَمه رَوَايا الماء ، فإِنَّه يَبلغ قرار الأرض ، فَفعل ذلك بعد أن ذُبح منهم مائة رجل ، وسُمي رَبيعة يومئذ الوَصَّاف[2] ، وأمر عَمرو بن هند بالنساء أن يُحَرَّقْنَ ، فاستوهبنّ عمرو بن كُلثوم التَّغلبي وقَيْسُ بن زُهير النَّمَرِيُّ[3] .

---

(١) يقال بَرَّ الله قَسَمه : وأبره إبرارا أي صدقه .

(٢) الوَصَّاف : ورد في الاشتقاق ٣٤٥ : هو الحارث بن مالك . وفي الحاشية : هو مالك بن عامر بن كعب بن سعد بن ضبيعة بن عجل بن لجيم . قاله الحازمي .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

وقال بعض شعراء بني شَيْبان :

سأُثْني على عَمْرٍو وقَيْسٍ كلَيْهما ... ثَنَاءَ امْرِئٍ أَوْفَى بنَعْمَاءَ شَاكِرِ
هُمَا أَعْتَقَا يَوْمَ الأُوراة سَبْيَنَا ... وقَدْ كانت الأَنْفَاسُ عِنْدَ الحَنَاجِرِ

وقال عُبَيْدُ بن قَرْعَصٍ التَّغلبي :

قَدْ عدتني حُروبُ تَغْلِبَ في القَيْـ ... ـنِ وحَرْبٌ فـي سَلْهَمٍ وصُدَاءِ
عن مزار الحبيب إذا شحط البَيْـ ... ـنُ وحَرْبٌ تُشَبُّ للغَلْفَاءِ
إذْ رَمانَا ببَغْيهِ وبنو الحا ... رِثِ قَوْمٌ يُزْهَونَ بالغُلَوَاءِ
فتَلاَقَيْتُه وقد سَطَعَ النَّقْـ ... ـعُ ودَارتْ دَوائرُ البُرَحَاءِ
بسَلِيم الكُعُوب مُعْتَدِلِ النَّصْـ ... ـلِ طَرِيرِ الشَبَا على الأَعداءِ
قُلْتُ والجُبْنُ مُمْسِكٌ بشَجَاهُ ... إنَّهَا حَرْبُ تَغْلِبَ الغَلْبَاءِ
فتَنَاهَوْ يالَ المُرارِ عن البَغْـ ... ـي فلَسْنَا مِنْ تِلْكُم الأحْيَاءِ

وقَدّم عَمرو بنُ هِنْد حَارثة ليقتُلَه ، فقال للكَيِّس[1] النَّمَرِيّ : اقْتُل حارِثة ، قال : ما أنا كما سمَّتْني أُمّي إذنْ ، ولكن أَدُلّك على الأَبْلَهِ الشُّجاعِ قَيْس بن زُهيْرٍ . فدعاه فقَتَلَه قَيسٌ ، وقال الكَيِّس في ذلك :

دَعَا لِحبَائهِ عَمرو بنِ هِنْدٍ ... لأَضْرِبَ رَأْسَ حارِثَةَ بنِ عَمْرِو
فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْكَ بمُرْتَقِنٍّ ... وَلُوغٍ في دِماءِ سَرَاةِ بَكْرِ[2]
فَيكْفِينيهِ قَيْسُ بني زُهَيرٍ ... فَرُحْتُ ولَمْ أَبُوءْ مِنْهُ بوِتْرِ[3]

وإنّ بني أبي رَبيعة طلبوا بدم حَارثة فلم يَزالوا يطلبون من قَيس بن زُهيرٍ ،

---

(١) الكَيِّس : هو زَيد بن الحارث بن هلال بن ربيعة زيد مَناة بن عامر الضَّحيان (جمهرة أنساب العرب/ ٣٠١) وابن الكَيِّس النسابة وهو مالك . وذكر الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٣٢٢ زيد بن الكيِّس النمري بأنه من النَّسَّابين ، ومن طبقة دغفل بن حنظلة ، وابن الكلبي ، وشرقي بن القطامي .
(٢) لعلها من تَرقَّن بالطيب واسترقن أي تضمخ أو اختضب بالحناء والزعفران .
(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

غِرّةً ، حتّى خرج صَيْدٍ له ، فدُلّوا عليه ، فَقتلَهُ سَيف بن حَارثة بأبيه وقال :

شَفَى نَفْسِي وقَدْ سَقِمَتْ زَمَاناً ... نِساءُ النّمْرِ تَصْرُخُ كُلَّ فَجْرِ
عَلَى أَصداءِ قَيْسِ بَنِي زُهَيْرِ ... كما هَتَكُوا بحارِثَةَ بن عَمْرِو
بُيُوتَ الحَيِّ من ذُهْلٍ وخَصّوا ... بجَدْعِ الأَنْفِ من أولادِ بَكْرِ

وقال أُفْنُونُ[1] التَّغلبيُّ في ذلك اليوم :

هَزَمْنَا جَمْعَ حارِثَةَ بنِ عَمْرِو ... مع الغَلْفاءِ في العُصَبِ العِجَالِ
رَمَيْنَاهمْ بأَرْعَنَ مُشْمَخِرٍّ ... يُهَدُّ لِصَوتِهِ صُمُّ الجِبَالِ
فظَلُّوا بَيْنَ مُعْتَبَطٍ قَتيلٍ ... وكابِي الجَدِّ يَرْسُفُ في الغِلاَلِ
وللغَلْفَاءِ سَلْمَةَ بعْدَ هَدْءٍ ... نَوائحُ يَلْتَدِمْنَ بسُوءِ حالِ
ونَالَ السَّيْفُ حارِثَةَ بنَ عَمْرِو ... وخَامَتْ عن حِمَايَتِهِ المَوالِي
بهَضْبٍ من أُوَارَةَ والمَنَايَا ... مُوَكَّلَةٌ بأَعْنَاقِ الرِّجالِ[2]

* * *

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٨ .

يَوم بَارق [*]

قال المُفضّل الضَّبيّ :

إنّ بني تَغْلِب والنّمر بن قاسط ونَاساً من تَميم اقتتلوا حتّى نَزلوا ناحية بارق ، وهي من أرض السواد ، وأرسلوا وفداً منهم إلى بكر بن وائل يطلبون إليهم الصلح ، فاجتمعت شيبان ومَنْ معهم وأرادوا قصد تَغْلِب ومن معهم ، فقال زيد بن شريك الشيبانيّ : إنّي قد أجرتُ أخوالي وهم النّمر بن قاسط ، فأمْضَوْا جواره وساروا وأوقعوا ببني تَغْلِب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تُصَبْ تَغلب بمثلها واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان من أعظم الأيّام عليهم ، قتل الرجال ، ونهب الأموال ، وسبْي الحريم .

فقال أبو كَلْبَة الشيبانيّ :

وَلَيلَـةٍ بسعـادى لـمْ تَـدَعْ سنَـداً ... لتَغلبـيٍّ ولا أَنفـاً ولا حَسَبَـا [1]

والنّمـريّـون لـولا سـرّ مَـنْ ولـدوا ... مـن آل مُـرّة شَـاعَ الحـيُّ مُنْتَهَبـا [2]

* * *

(*) الكامل في التاريخ ١/ ٦٤٨ .

(١) الأَنْفُ : السيد . والحَسَبُ : ما تَعُدُّه من مفاخر آبائك . (القاموس المحيط) .

(٢) الكامل في التاريخ ٦٤٨٦١ .

حَرب البسوس[*] بين بكر وتغلب

هي من الحروب القاسية والظالمة بين العرب ، دامت أربعين سنة ، ذهبت فيها ضحايا كثيرة ووقعت فيها مواقع وأيام وغزوات عدة تركت الويلات والمصائب على المتحاربين ، وأسباب إثارة هذه الحرب تافهة جداً إذا ما قيست بالنتائج التي تمخضت عنها .

جبروت كُليب وائل أنه ظلم وعتى فحمى المرعى والمياه ، وضاقت الأرض به أن يرى ناقة غريبة ترعى في حماه فضربها بسهمٍ فقتلها وهذا هو السبب الأول ؟

أما السبب الثاني فهو حماقة جساس وغضبه لقتل كُليب الناقة فَقتله بها ؟

ثمَّ حمل المَهَلْهِل شقيق كُليب راية الثأر وكانت الحرب !؟

ولقد أفردت ترجمة لكل من كُليب وائل ، ومُهَلْهِل في هذا الكتاب لكونهما من أعلام تغلب وقادتها ، ومُهَلْهِل بطل الحرب .

والروايات لحرب البسوس كثيرة ومتعددة تطول وتقصر . وتتطابق وتختلف ، وهذا ابن الأثير يذكر ذلك في عين المؤرخ فقال : حمى كليب أرضاً من العالية في أوّل الربيع ، وكان لا يقربها إلاّ مُحارب ، ثمَّ إنّ رجلاً يقال له سعد شُمَيسٍ بن طوق الجَرميّ نزل بالبَسوس بنت مُنْقد التميميّة خالة جَسّاس بن مُرّة ، وكان للجَرميّ ناقة اسمها سَراب ترعى مع نوق جسّاس ، وهي التي ضرب العرب بها المثل فقالوا : أشأم من سراب وأشأم من البسوس[1] . واختلف الرواة في عدد أيام حرب البسوس ، وذكرها المؤرخون وكان الاختلاف بيناً في تعدادها وتسلسلها .

(*) عقد فريد ٥/ ٢١٣ ، الأغاني ٥/ ٣٥ ، الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٣ ، المعارف ٦٠٥ ، وخزانة الأدب ٢/ ١٦٤ ، ١٧٤ .

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٤ .

قال ابن قتيبة عن أيام حرب البسوس :

وكانت لهم ستة أيام مشهورة : يوم عُنيزة ، وهو يوم تكافئوا فيه . ويوم وارادات : وكان لتغلب على بكر . ويوم الحِنو : وكان لبكر على تغلب ، ويوم القُصيبات : وكان لتغلب على بكر ، فقتلوا بكراً أثخن القتل ، وفيه قُتل همّام بن مُرّة أخو جسّاس . ويوم قِضَة : وهو يوم الفصيل . ويوم تَحلاق اللِّمم ، وفيه قُتل جَحدر ، قتلته النساء ، وذلك أنه لم يحلق شعره ، فلم يعرفنه ، ولم يكن بعد هذا اليوم يوم مذكور ، وإنما كان بينهم تغاور وتطرف ، ولم يُقتل جسّاس إلى أن انقضى ما بينهم[١] .

أمّا ابن الأثير فقال :

وكانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام :

يوم عُنَيْزة تكافأوا فيه وتناصفوا ، ثمّ اليوم الثاني يوم واردات ، كان لتغلب على بكر ، ثمّ اليوم الثالث الحِنْو ، كان لبكر على تغلب ، ثم اليوم الرابع يوم القُصيبات ، أُصيب بكر حتى ظنّوا أنّهم لن يستقيلوا ، ثمّ اليوم الخامس يوم قِضة ، وهو يوم التحالق ، وشهده الحارث بن عُباد ، ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه ، منها : يوم النَّقيّة ، ويوم الفصيل لبكر على تغلب ، ثمّ لم يكن بينهما مزاحفة إنّما كان مغاورات . ودامت الحرب بينهما أربعين سنة[٢] .

وكذلك جاء ذكر أيام حرب البسوس في العقد الفريد والأغاني في اختلاف وتطابق الروايات في الزيادة أو النقصان أو الجمع بين الأيام كما ورد عن ابن قتيبة وابن الأثير وسيأتي ذكر هذه الأيام في سياق البحث ، وأسباب هذه الحرب .

بداية المشاحنة :

خرج كُليب يوماً يتعهد الإبل ومراعيها فأتاها وتردّد فيها ، وكانت إبله

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص (٦٠٥ ـ ٦٠٦) .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٧ . الأيام تزيد في مرجع وتنقص في آخر .

وإبل جسّاس مختلطة ، فنظر كُليب إلى سَراب فأنكرها ، فقال له جسّاس ، وهو معه : هذه ناقة جارنا الجَرميّ .

فقال : لا تَعُدْ هذه الناقة إلى هذا الحمى .

فقال جسّاس : لا ترعى إبلي مرعىً إلاّ وهذه معها .

فقال كُليب : لئن عادت لأضمنّ سهمي في ضرعها .

فقال جسّاس : لئن وضعتَ سهمك في ضرعها لأضمنّ سنان رمحي في لبّتك !

ثمَّ تفرقا وقال كُليب لأمرأته جَليلة وهي أخت جسَّاس بن مُرّة : أتَرَينْ أنَّ في العرب رجلاً مانعاً مني جارَهُ ؟

قالت : لا أعلمه إلاّ جساساً فحدّثها الحديث . وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحمى منعته ونَاشدتْهُ الله أن لا يقطع رحمه ، وكانت تنهى أخاها جسّاساً أن يسرح إبله . ثمَّ إن كُليباً خرج إلى الحمى وجعل يتصفّح الإبل ، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه ، فولّت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها ، فلما رأى ما بها صرخ بالذلّ ، وسمعت البَسوسُ صراخ جارها ، فخرجت إليه فلمَّا رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثمَّ صاحت : واذلاّه ! وجسّاس يراها ويسمع ، فخرج إليها فقال لها : اسكتي ولا تُراعي ، وسكّن الجَرميّ ، وقال لهما : إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة سأقتل غِلالاً ، وكان غِلال فحلَ إبل كُليب لم يُرَ في زمانه مثله ، وإنّما أراد جسّاس بمقالته كُليباً[1] .

وكان لكليب عين يسمع ما يقولون ، فأعاد الكلام على كُليب فقال لقد اقتصر من يمينه على غِلال ، ولم يزل جسّاس يطلب غِرّة كُليب ، فخرج كُليب يوماً آمناً فلمّا بَعُد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كُليباً ، فوقف كليب ؟

فقال له جسّاس : يا كُليب الرمح وراءك !

فقال : إن كنتَ صادقاً فأقبل إليّ من أمامي ، ولم يلتفت إليه ، فطعنه فأرداه عن فرسه .

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٥ .

فقال : يا جسّاس أغثني بشربة من ماء ، فلم يأته بشيء ، وقضى كُليب نحبه .

فأمر جساس رجلاً كان معه اسمه عمرو بن الحارث بن ذُهْل بن شيبان فجعل عليه أحجاراً لئلا تأكله السباع .

وفي ذلك يقول مُهَلْهِل بن ربيعة ، أخو كُليب :

سَأشربُ كأسَها صِرْفاً وأُسقى بكأسٍ غير منطقة مليمِ
جسيماً ما بكيتُ بهِ كُليباً إذا ذُكِر الفعال من الجسيمِ
فإنّ غداً وبعد غدٍ لَرَهْنٌ لأمر ما يُقام لهُ عظيمِ[1]

وانتشر خبر مقتل كُليب وائل بين بكر وتغلب بسرعة النار في الهشيم ، وانقلبت مودتهم وقرابتهم ونسبهم إلى خصومة وعداء وكراهية ، وفشلت مساعي الصلح بين الطرفين ، ورحلت جليلة زوج كُليب وائل إلى قومها ، وتأهب مرّة بن ذهل بن شيبان خشية الإحاطة به ، ودعا قومه إلى نصرته فأجابوه ، ونهض مُهَلْهِل في قومه فأجابوه ، وانسلخ عن ماضيه في اللهو وانقلب انقلاباً كلياً على سابق عهده ، وأصبح رجل حرب ، وكانت أول أيام حربهم تلك :

يوم عنيزة[2] :

فالتقوا أوّلَ قتال كان بينهم في قولٍ يوم عُنَيزة وهي عند فلجة وكانا على السواء ، وتصديق ذلك قول مُهَلْهِل :

---

(١) الكامل في التاريخ ١/٥٢٦ .

(٢) جاء في الأغاني ٥/٣٥ ، وفي الكامل في التاريخ ١/٥٣٢ بأن أول أيام حربهم هو يوم عنيزة وكذلك ترتيب ابن قتيبة في المعارف أول أيام يوم عنيزة ، أما في العقد الفريد ٥/٢١٣ ذكر أن أول أيامهم هو يوم النِّهي . وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . (معجم البلدان) .
وهناك في المراجع كافة اختلافات في ترتيب الأيام ، وسأذكرها كما أوردها ابن الأثير وسأبين الزيادات هذا ولدى عودتي إلى كتاب الأيام لأبي عبيدة فلا يوجد عن حرب البسوس ما يشفي غليل الباحث إلا معلومات بسيطة .

كـــأنَّـــا غُـــدْوَةً وبنـــي أَبينـــا بِجنْـــبِ عُنَيْـــزَةٍ رَحَيَـــا مُـــديـــرِ
ولـولا الـريـحُ أُسْمِعَ أهْـل حُجـرٍ صَليـلَ البيـض تُقْـرَعُ بـالـذُّكـورِ[1]

فتفرّقوا ثمّ بقوا زماناً ، ثمَّ إنهم التقوا بماء يقال له النّهْي .

يوم النِّهْي :

وهو من مياه بني شيبان[2] ، وكانت بنو شيبان نازلة عليه ، ويروى أنَّها أوّل وقعة كانت بينهم ، وكان رئيس تغلب مُهَلْهِل ، ورئيس شيبان الحارث بن مُرّة ، وكانت الدائرة لبني تغلب ، وكانت الشوكة في بني شيبان ، واستحرّ القتال فيهم إلاّ أنّهُ لم يُقْتَلْ ذلك اليوم أحد من بني مُرة[3] .

يوم الذنائب[4] :

ثمَّ التقوا بالذنائب ، وهي أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تَغلب وقُتلت بكراً مقتلة عظيمة ، وقُتل فيها شَراحيل بن مُرّة بن همّام بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو جدّ الحَوفَزان[5] وجدَّ معن بن زائدة ، وقُتل الحارث بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان وغيرهم من رؤساء بكر . وقال مُهَلْهِل :

فـإن يـكُ بـالـذنـائـب طـال ليلـى فَقَــدْ أَبكــى مــن الليــل القصيــر

---

(١) ورد صدر البيت في الأغاني ٥/ ٣٥ (ولولا الريح أُسمع مَن بحجر) . وحجر : قصبة اليمامة . والصليل الصوت . والذكور : السيوف .

(٢) معجم ما استعجم ١٣٦٢ . والنهي : موضع في بلاد بني تغلب يُنسب إليه يوم من أيام حرب البسوس (معجم ما استعجم ١٣٣٧) .

(٣) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٢ . والرواية نفسها في العقد الفريد ٥/ ٢١٨ .

(٤) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٢ . والعقد الفريد ٥/ ٢١٨ . والذنائب ثلاث هضاب بنجد (معجم البلدان) .

(٥) والحوفزان هو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل . (العقد الفريد ٥/ ٢١٨) .

يوم واردات[1] :

ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب قُتِل فيه بُجير بن الحارث بن عُباد بن مُرّة فقال المُهَلْهِل :

فــإنــي قَــدْ تَــركــتُ بِــوَارِدَاتٍ بُجَيْــراً فــي دَمٍ مثــل العبيــرِ
هَتكْــتُ بــه بيــوت بنــي عُبــادٍ ، وبعـض الغَشْـم أَشْفـى للصـدورِ[2]

وقال ابن الأثير عن يوم واردات :

ثمَّ التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفرت تغلب أيضاً ، وكثر القتل في بكر ، فَقُتل همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأُمّه ، فمرّ مُهَلْهِل ، فلمّا رآه قتيلاً قال : والله ما قُتل بعد كُليب أعزّ عليّ منك ، وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبداً .

وقيل : إنّما قتل يوم القُصَيْبات ، قبل يوم قِضّة ، قتله ناشرة ، وكان همّام قد التقطه وربّاه وسمّاه ناشرة ، وكان عنده ، فلمَّا شبّ عَلِمَ أنّه تَغلبي ، فلمّا كان هذا اليوم جعل همَّام يُقاتل فإذا عطش جاء إلى قِربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق بقومه تغلب ، وكاد جسّاس يؤخذ فَسَلِم ، فقال مُهَلْهِل :

لــو أنَّ خَيْلــي أَدْركتَــكَ وَجــدتَهُــمْ مِثْـلَ اللُّيُـوثِ بِسْتـرِ غِـبٍّ عَـريـنِ[3]
ولأَوْرِدَنَّ الخَيْــــلَ بَطْــــنَ أَرَاكَــــةٍ ولأَقْضِيَــنَّ بِفعْــلِ ذَاكَ دُيُــونــي[4]
ولأَقْتُلَــنَّ جَحَــاجِحَـاً مِـنْ بَكْـرِكُـمْ ولأَبكِيَــنَّ بهَــا جُفُــونَ عَيُــونِ[5]

---

(١) وارِداتُ : موضع عن يسار طريق مكة (معجم البلدان ٥/ ٣٩٩) .
(٢) معجم البلدان ٥/ ٤٠٠ .
(٣) العرين : مأوى الأسد ، والغب : بعد .
(٤) أراكة : موضع بعينه في اليمامة .
(٥) الجحجح ، والجحاجح : السَّيِّدُ .

حَتَّى تَظَلَّ الحَامِلاَتُ مَخَافَةً   مِنْ وَقْعِنَا يَقْذِفْنَ كُلَّ جَنينِ[1]

يوم القُصَيْبات[2] :

ورد في الأغاني يوم القُصيبات : قال مقاتل : ثمَّ التقوا يوم بطن السَّرو[3] ، وهو يوم القُصيبات ، وربما قيل يوم القُصيبة ، وكان لبني تغلب على بكر ، حتّى ظنَّت بكرٌ أن سيقتلونها[4] .

يوم قِضَةُ[5] :

قبل وقعة يوم قِضة كانت هناك مقدمات وأسباب لوقوعه ، اصطرع أبو نُويرة التَّغلبي وجسَّاس بن مُرّة وتم التفريق بينهما .

وطلبت تغلب جسّاساً أَشد الطلب ، ولحق جسَّاس بأخواله بالشام ، وبلغ الخبر إلى مُهَلْهِل فندب أبا نُويرة ومعه ثلاثون رجلاً ولحق به ، وبعد معركة

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٣ ، وديوان مُهَلْهِل بن ربيعة ٨٥ .
وجاء في العقد الفريد ٥/ ٢١٨ : في يوم واردات ، استحرَّ القتل في بني بكر ، فيومئذ قتل الشعثمان ، شَعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذُهل بن ثعلبة ، وسيار بن الحارث بن سيار .

(٢) يوم القُصيبات : وهو موضع في ديار بكر وتغلب (معجم ما استعجم ٤/ ١٣٦٢) . وجاء في معجم البلدان : والقُصيبة من أرض اليمامة . ويوم القُصيبة لعمرو بن هند على تميم وهو يوم أُوارة . وذكرت ذلك فقط للتوضيح .

(٣) لا يوجد في معجم البلدان ولا في معجم البكري .

(٤) الأغاني ٥/ ٣٦ .

(٥) قِضة : من اليمامة على ثلاث ليال ، ويُنسب إليها يوم من أيام البَسوس وهو يوم التَّحَالُق « معجم ما استعجم ١٠٧٩ » وفي معجم البلدان ٤/ ٤١٨ وبِقَضَةَ كانت وقعة بكر وتغلب العظمى في مقتل كُليب . والجاهلية تسميها حرب البسوس وفيه كان يوم التحالق فكانت الدّبرة لبكر بن وائل على تغلب فتفرقوا من ذلك اليوم ، وقال الشاعر الأخنس بن شهاب التغلبي :
وبَكرٌ لها برّ العراق ، وإن تخف   يحُلْ دُونها من اليمامةِ حَاجبُ

بينهما جرح جساس ومات متأثراً بجراحه .

وهنا أرسل مُرّة إلى مُهَلْهِل : إنّك قد أدركت ثأرك وقتلتَ جسّاساً ، فاكففْ عن الحرب ودع اللجاج والإسراف وأصلح ذات البين فهو أصلحُ للحيّيْن وأنكأُ لعدوهم ، فلم يجب إلى ذلك . وكان الحارث بن عُباد قد اعتزل الحرب ، فلم يشهدها ، فلمّا قُتل جسّاس وهَمّام ابنا مُرّة حمل ابنه بُجَيْراً ، وهو ابن عمرو بن عُباد أخي الحارث بن عُباد ، فلمّا حمله على الناقة كتب معه إلى مُهَلْهِل : إنّك قد أسرفت في القتل وأدركتَ ثأرك سوى ما قتلتَ من بكرٍ ، وقد أرسلتُ ابني إليك فإمّا قتلتَهُ بأخيك وأصلحتَ بين الحيّيْن وإمّا أطلقتَهُ وأصلحتَ ذات البَينِ ، فقد مضى من الحيّيْن في هذه الحروب مَنْ كان بقاؤه لنا ولكم .

فلمّا وقف على كتابه أخذ بُجيراً فقتله وقال : بُؤْبشسْعِ نعل كليب .

فلما سمع أبوه بقتله ظنّ أنّه قد قتله بأخيه ليصلح بين الحيّيْن ، فقال نِعمَ القتيل قتيلاً أصلح بين ابْني وائل !

فقيل : إنّه قال : بؤبشسع نعل كُليب فغضب عند ذلك الحارث بن عُباد[1] وقال :

قَـرِبّـا مَـرْبَـطَ النَّعـامـةِ مِنّـي	لَقِحـتْ حـربُ وائـلٍ عـن حِيـالِ
لا بُجَيـرٌ أَغنـى قَتيـلاً ولا رَهـطُ	كُلَيـبٍ تَـزاجـروا عـن ضـلالِ
لـم أَكُـنْ مـن جُنـاتِهَـا عَلِـمَ اللهُ	وإنّـي بحـرّهـا اليـومَ صَـالِ[2]

فأتوه بفرسه النعامة ، ولم يكن في زمانها مثلُها ، فركبها ووَلي أمرَ بكر

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٥ .

(٢) الأغاني ٥/ ٤٠ هذه الأبيات وردت في الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٦ ما عداد البيت الثاني إذا ورد في الكامل :

قـرِبّـا مَـربَـطَ النَّعـامـه منّـي   شـابَ رأسـي وأَنْكَـرتْنـي رِجَـالـي

وشهد حربهم وكان أول يوم شهده يوم قِضّة ، وهو يوم تَحْلاق اللِّمَم ، وإنّما قيل له تحلاق اللمم لأن بكراً حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً إلاّ جَحْدَر بنن ضُبَيْعة بن قيس أبو المسامعة فقال لهم : أنا قصير فلا تشينوني ، وأنا أشتري لمّتي منكم بأول فارس يطلع عليكم فطلع ابنُ عنّاق فشدّ عليه فقتله ، وكان يرتجز ذلك ويقول :

رُدّوا علــيّ الخيــل إن أَلَمّــتِ إنْ لـم أُقـاتُلهـم فَجُـزّوا لِمّتـي[1]

وقتال يومئذ الحارث بن عُباد قتالاً شديداً ، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة ، وفيه يقول طرفة :

سـائلـوا عنّـا الـذي يَعـرفُنـا بقُـوانـا يـوم تَحْـلاق اللِّمَـمْ[2]
يَـومَ تُبـدي البيـضُ عـن أَسَؤُقهـا[3] وتلُـفُّ الخيـلُ أعـراج[4] النَّعَـمْ

وفي هذا اليوم أَسرَ الحارث بن عُباد مُهَلْهِلاً ، واسمه عديّ ، وهو لا يعرفه ، فقال له : دلّني على عديّ وأنا أخلّي عنك .

فقال له المُهَلْهِل : عليك عهد الله بذلك إن دللُتك عليه ؟ قال : نعم .

قال : فأنا عديّ ، فجزّ ناصيته وتركه ، وقال في ذلك :

لهـفُ نفسـي علـى عَـدِيٍّ ولـم أعـر فْ عـديّـاً إذ أَمْكَنَتْنـي اليـدانِ[5]

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٣٦ . وردت له أبيَات أربعة في حماسة أبي تمام ١/ ١٩٥ . وهي لجحدر بن ضَبيعة في يوم التحالق .
(٢) ورد عجز البيت في العقد الفريد (ما لَقُو في يوم تحلاق اللمم) .
(٣) في الكامل في التاريخ (أَسْوقها) وأسؤق : جمع لساق ، أي يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع .
(٤) في الكامل في التاريخ وفي العقد الفريد (أفواج النعم) وأعراج جمع عَرِج وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين : ومنها إلى التسعين أو هو مائة وخمسون وفويقها أو من خمسمائة إلى ألف . والنعم : الإبل (الأغاني ٥/ ٣٨) .
(٥) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٦ .

نهاية الحرب :

وهنا أتساءل : إنّ مُهَلْهِلاً لا ينكره أحد في بكرٍ ، كيف لم يعرفه الحارث بن عباد ؟

هل تغير شكله طيلة هذه العقود الأربع لأنه لم يحلق شعره ولم يغتسل وحرم على نفسه الخمر والنساء . . . أقول ربما ؟ وهذا العهد قطعه على نفسه إثر مقتل شقيقه كُليب . . . حتى يثأر له .

وكان عفو الحارث عنه شهامة ، وعاد مُهَلْهِلٌ يفكر بعقله بعد ذلك وعاد ليقدم النُّصح لقومه كما قال ابن الأثير : ثم إنّ مُهَلْهِلاً قال لقومه : قد رأيتُ أن تُبْقوا على قومكم فإنّهم يحبّون صلاحكم ، وقد أتت على حربكم أربعون سنة ومالمتكم على ما كان مِنْ طلبكم بوتركم ، فلو مرّت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تُمَلّ من طولها ، فكيف فني الحيّان وثكلت الأمّهات ويُتمّ الأولاد ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي ، ودموع لا تَرْقأ ، وأسجاء لا تدفن ، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة ! وإنّ القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم وتتعطف الأرحام حتّى تتواسوا في قبال النَّعْل ، فكان كما قال .

ثم قال مُهَلْهِل : أمّا أنا فما تطيب نفسي أن أقُيمَ فيكم ولا استطيع أن أنظر إلى قاتل كليب وأخاف أن أحملكم على الاستئصال وأنا سائر إلى اليمن ، وفارقهم وسار إلى اليمن ونزل في جَنْب ، وهي حيّ من مَذْحج ، فخطبوا إليه ابنته ، فمنعهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه صداقها جلوداً من أدم[1] فقال في ذلك :

أعْـزِزْ علـى تَغْلـبٍ بمـا لَقيـتْ   أُختُ بني الأكرمين من جُشَمِ[2]

---

(١) الكامل في التاريخ ١/٥٣٧ .

(٢) جاء البيت في الأغاني :

(هـان علـى تَغلـبٍ بمـا لقيـت   أختُ بني المـالكيـن مـن جُشَـمِ)

أنكحها فَقْدُها الأراقمَ في جَنْبٍ وكان الحِبَاءُ من أَدمِ[1]
لو بِأبانَيْنِ جَاءَ يَخطبُها ضُرِّج ما أَنفُ خاطبٍ بدمِ[2]

ثمّ إن مُهَلْهِلاً عاد إلى ديار قومه[3] .

* * *

(١) الأراقم : بطن من جُشَم بن تغلب ، يعني حيث فقدت الأراقم ، وهم عشيرتها ، تزوّجها رجل من جنب بأدم (الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٨) .

(٢) أبانان : جبلان ، قيل : يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود (أغاني ٥/ ٤٣) حاشية .

وورد في الأغاني تتمة الأبيات :

أصبحتُ لا مِنفساً أصبتُ ولا أُبْتُ كريماً حُرّاً مِن النَّدمِ
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُغْنون من عَيلةٍ ولا عَدَمِ

(٣) الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٨ ـ وانظر ترجمة مُهَلْهِل مع الشعراء في هذا الكتاب .

يَومُ بَطْنِ(*) حُنَين

وهو يَومٌ لبني تَغلب على بني ثعلبة .

ثمَّ إنّ السَّفَّاحَ بن خَالدٍ رَحل ببني مَالكِ بنِ بكرٍ خاصّةً ، فأُتْبعتْهم بنو جُشَم ، مَخافة الانفراد ، فصارت منازِلُهم مما يلي الجزيرة ونواحي الخابور ، وهي اليوم مَنَازلُ جُشَم ، فظنَّتْ بكر بن وائل أَنّ بني تغلب رحلت هاربةً منهم ، فأمِنُوا وقالوا : لا تَرجع تغلب إلى عِزِّها أو يَرجِع إليها كُليبٌ ، ولمّا رجع الزَّبّان وقد أدرك ثَأْرَه أطلق وِقْشاً الغُفليّ ، وكَساهُ وسرَّجه ، وانضاف إليه جماعةٌ من الغُفلِيّين ، فساروا يُريدون أهاليهم ، وتَهيَّأَ مَسير السَّفَّاح يُريد بكر بن وائل ، فهجم ليلاً على الزَوْرَاءِ ، وهي عَينٌ ببوادي السمَّاوة ، فوجد وَقْشاً والرَّكب ، فأخذهم وقال : هذا أوّلُ الظَّفر ، هؤلاء أَحبُّ إليّ من ظفري ببني ثعلبة بن عُكابة ، فقتلهم وسار حتَّى إذا كان من بكر على منزلٍ قال : مَن يَعرف لنا خَبر القوم ؟ ولا يخرج إلاَّ مُجيدٌ نَجُدٌ .

فقال عُنْزُ بن الخُنَابِس بن سَعد بن كِنانة بن تَيم : أنا ، قال عنزٌ فانطلقتُ ، فلمّا فَقدتُ أصوات الخيل والناس والإبل نِمْت على فَرسي ، فما استيقظتُ إلاَّ والفرس قائم يشرب من بعض مقاري القوم ، فاستيقظتُ وجعلتُ أَرُدُّ فَرسي إلى ورائه ، فسمِعتُ جاريةً من الحيّ تقول لأَبيها : يا أَبتِ ، تمشي الخيل على أعقابها ؟

فقال لها : سَيْرَ فتاةٍ قد كَلَّتِ اللّيل فاستَحْيَت وأَدخلت رأسها في لحافها .

قال : وَحزَرْتُ البُيُوتَ فإذا هي نَيِّفٌ وستون بيتاً .

ورَجع إلى السَّفَّاح فأَخبره ولمَّا قَرُبَ السَّفَّاح ومَن معه من فُرسان بني تَغلب

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٥ .

من البيوت ، عند طلوع الفجر ، سَمِعَ غلاماً يَمتح دَلواً لَيسقي نَعمه ، وهو يُنادي برفيقٍ له : أَوْرِدْهُنّ يا عَوْفُ .

فقال السَّفَّاحُ : لَبَّيْكَ لبَّيْك ، وصبَّ عليهم الخَيْلَ ، فلم يَنهض القوم حتّى واسَطَهم البُيوت ، فقتل منهم ثمانيةً وخمسين رجلاً ، وأَفلتَ نَفرٌ في سواد اللّيل ، وأخذ رؤوسهم على الإبل ، وقالت بنو تَغلب للسَّفّاح : أجب عَمرو بن لأْي ، فقال : أَمّا اليوم فَنَعم ، وقال :

جَلبْنَا الخيلَ من قَنَوَيْنِ قُبّاً ... فَأَوْرَدْنَا نَواحيَها حُنَيْنَا[1]
ولَمَّا صَاحَ صَائحُهمْ جِهَاراً ... أَلا يَا عَوفُ أَوْرِدْها عَلَيْنَا
فَلَبَّيْتُ الصَّريخَ ولمْ يَروْنَا ... ولا حَسُّوا بنا حَتَّى اعْتَلَيْنَا
فَنِلْتُ الثَّأْرَ واسْتَضْعَفْتُ منهمْ ... مِنَ القَتْلَى بما أَسْدَوْا إلَيْنَا
ومِنْ حَيَّيْ غُفَيْلَةَ قد شَفَيْنَا ... نُفُوسَ بَني أَبِينَا واشْتَفَيْنَا
أَلاَ يا آلَ ثَعْلَبَةَ بنِ ذُهْلٍ ... أَجُرْنَا في العقاب أم اهْتَدَيْنَا[2]

وقال عَمْرُو بن لأْي بن الحارث بن مَوْأَلَةَ بنِ عَامرِ بن مالك بن تَيم الله بن ثَعلبة بن عُكَابَة بن صَعب بن علي بن بكر بن وائلٍ :

لعَمري لئِنْ سَفَّاحُ تَغْلِبَ نَالَنَا ... ببَطْنِ حُنَينٍ دُونَ تِلْكَ القَبائلِ[3]
وصَبَّحَ ذُهْلاً دُونَ بَكْرِ بنِ وَائلٍ ... مِن الموتِ كَأْساً بالرِّماحِ العَواسلِ
لقَدْ رُعْتهُ يَوْماً بأَقْطَانِ سَاجرٍ ... على كُلِّ وَرْهَاءٍ من الخيلِ خَابلِ[4]
عَليها حُماةُ الخيلِ كُلُّ مرَزَّإٍ ... طَويل نِجَادِ السَّيْفِ مِن آلِ وائلِ
وظَلّ لهُمْ يَومٌ بمُختلفِ القَنَا ... عَصيبٌ على ذِي النَّجدةِ المُتَباسِلِ[5]

---

(١) قنوين اسم موضع ، وحُنينا : يوم بطن حنين . ولم أجد لها ترجمة .
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٧ .
(٣) سفاح تَغلب : هو سلمة بن خالد التغلبي . انظر ترجمته في هذا الكتاب مع الشعراء
(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٤٦ يوم أقطان ساجر . أُنظره في هذا الكتاب .
(٥) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٨ .

وقال السَّفَّاحُ[1] بن خالد لمّا رَجع إلى قومه :

وكَتيبـــــةٍ لَفَّفْتُهَـــــا بكَتيبـــــةٍ ... شَهْبَـاء بَـاسلـةٍ يُخَـافُ رَدَاهَـا
خَـرْسَـاءَ ظَـاهِـرَةِ الأَداءِ كـأَنَّهـا ... نَـارٌ يُشَـبُّ سَعيـرُهَـا بلَظَـاهَـا[2]
فيهـا الكُمـاةُ بَنُـو الكُمَـاةِ كـأَنَهُـمْ ... والخَيلُ تَعْثُرُ في الوَغَى بقَنَاها[3]
شُهُـبٌ بـأَيـدي القَـابسيـنَ إذا بَـدتْ ... بـأَكُفِّهِـمْ بَهَـرَ الظَّـلامَ سَنَـاهَـا[4]
مـن كُـلِّ أَرْوَعَ مَـاجـدٍ ذي مِـرَّةٍ ... أَنَّـى إذا لَحِقَـتْ خُصـيً بكُـلاَهـا
وعِصَـابَـةٍ شـمٍّ الأُنُـوف بَعَثْتُهُـمْ ... لَيْـلاً وقَـدْ مَـالَ الكَـرَى بطُـلاَهَـا[5]
فَسَرَيْتُ في وَعْثِ الظَّلامِ أَقُودُهمْ ... حتَّى رأَيْتُ الشَّمْسَ زَالَ ضُحَاها[6]
وغَشيتُ قَيْساً في القَليبِ غُـدَيَّـةً ... وطَعَنْـــتُ أَوَّلَ فَـــارسٍ أُلاَهَـــا
وضَـربْـتُ فـي أَبطَـالِهـمْ فتَجـدَّلُـوا ... وحَمْلـتُ مُهْـري وَسْطَهَـا فَحَمَـاهَـا
حتَّـى رأَيـتُ الخَيـلَ بَعْـدَ سَـوَادِهَـا ... كُمْتَ الجُلُودِ خُضبْنَ مِنْ جَرْحَاهَا[7]
يَعْثُـرْنَ فـي عَلَـقِ النَّجيـع وتَـارَةً ... وَسْطَ العَجَاجِ يَطَأْن مِنْ صَرْعَاهَا[8]
قُلْ لابنِ لأْيٍ هل ثأَرْتُ بمَعْشَري ... أَمْ هَـــل مُغَـــاوِرَةٌ ولا أغْشَـــاهَـــا
للهِ درُّ بنـــي زُهَيْـــرٍ فـــي الـــوَغَـــى ... يَـوْمَ الطِّعَـانِ إذا انْتَمَـى قِـرْنَـاهَـا[9]

* * *

(١) السفاح : هو سلمة بن خالد التَّغلبي .
(٢) السَّعير : النّار ولهَبُهَا ، واستَعَرت النار وتَسعَّرت : اتقدت ، والحرب أوقدها .
(٣) الكَميُّ : الشُّجاع ، أو لابسُ السِّلاح ، ج كُمَاةٌ وأكماءٌ .
(٤) القابسين : القَبَسُ : شُعلَةُ نارٍ تُقْتَبسُ من مُعظمِ النار كالمقباس . وقَبَسَ يَقبس منه ناراً ، واقتبسها : أخذها .
(٥) عصابة : والعُصبةُ والعِصابةُ من الرِّجال : ما بين العَشَرة إلى الأربعين . والعَصبةُ : قوم الرَّجل الذين يَتعصَّبونَ له .
(٦) الوَعْثُ : وَعِثَ الطريق : تَعَسَّرَ سلوكه . والوَعْثا : المَشَقَّة .
(٧) كُمتَ : الكُميتُ : الذي خالط حُمرتَهُ قُنوءٌ ، ولَونه الكُمْتَةُ .
(٨) النَّجيعُ : النجيع من الدَّم : ما كان إلى السَّواد ، أو دم الجوف . (القاموس المحيط) .
(٩) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٦٠ .

يَوْمٌ لبني تَغلِبَ على غسّان(*)

يَومٌ لبني تَغْلِبَ على غَسّان ولَخْم وبُطُونٍ من اليَمن ، وفيه مَقْتَلُ عَمرو بن نائل مَلِكِ لَخْمٍ : كان ابنُ عُنقُ الحيّةِ واسمهُ أَوْفى بن يَعْفُرَ الغَسّاني ، وعُنُقُ الحَيّةِ بلُغة حِمْيَر : مَلِكُ الملوك ، بَعث مَلكاً من مُلوكِ غَسّانَ يقال له لَبيدُ بن النمِس ليُملِّكه على بني تَغلب ، فلمّا قَدِمَ عَليهم تزوّج امرأَةً من بني عِمران بن تَغلب يقال لها عَمْرة بنت الخُنَابس ثُمَّ إنّ تَغلب كَرِهوا أن يُمَلِّكوه عليهم ، ومَنَعوه الإتَاوةَ ، فأَقَامَ على غير ذِمّة فنازعَتْه امْرأتُهُ الكَلامَ ، فَلطم وَجْهَها وقال : كأَنَّكِ تُرَيْن أَنّك حُرَّةٌ ، قالت : وما يَمنعني وأبي عِمران ، وجَدِّي [. . .](1) الوُجِيهةُ ابنة عَمرو بن عامر مَلك الأَزدِ ، قال : تلك القَرابةُ منعتك ، لولا ذلك لشَددتُ شَعركِ إلى ذَنبِ قَلُوصٍ جَرْباءَ صَعْبَةً حتَّى تُقَطّعك .

فخرجت المرأة حتى أتت كُليباً وهي تبكي وتقول :

ما كُنْتُ أَخْشَى والحَوادِثُ جَمّةٌ　　أَنَا عَبيدُ الحَيِّ من غَسَّانِ

(*) ورد في كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٦ بأن هذا اليوم هو يوم الكُلاب الأول . ولكن ما جاء في كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢/ ٤٥ حول هذا اليوم هو مخالف لما جاء في الأنوار . أي أن هذا اليوم ليس بالكُلاب الأول أو الثاني ، ربما كان يوماً آخر . . . ؟ هو يوم الكلاب الثالث ؟
كما ورد أيضاً في الأنوار ١/ ٢٠٩ يوم الكُلاب الثاني ، وكل الحوادث التي تدور فيه تشير على أنه يوم الكُلاب الأول وتتطابق مع رواية أبي عبيدة والكامل في التاريخ ١/ ٥٤٩ وفي النقائض ٤٤٨ . ولهذا اليوم ترجمة خاصة به في هذا الكتاب . لذلك سأورد هذا اليوم كونه من أيام العرب الهامة ، وكما ذكره الشمشاطي هو يوم لبني تغلب على غسان ولخم وبطون من اليمن .

(١) هنا سقط في الأصل ولعل وصل الكلام كما يستفاد من البسوس ١٥ « [وجدي عامر ملك الأزد وأُمّي] الوجيهة » ابنة عمرو . حاشية الكتاب ١/ ١٩٧ .

حتَّـى علتنـي مـن لبيـد لَطْمَـةٌ   سَـدِرَتْ لِحَـامـي حَـرِّهـا العَيْنَـانِ
لا تَبْـرَحـوا الـدَّهْـرَ الجـديـدَ أَذِلَّـةً   شُنْـجَ الأَعِنَّـةِ يـوم كـلِّ رِهَـانِ
لَـوْلاَ الـوَجِيهَـةُ قَطَّعَتْنـي بَكْـرَةٌ   جَـرْبَـاءُ مُشْعَلَـةٌ مِـنَ القَطِـرَانِ[1]

وأَعْلَمتْ كُليباً الخبر ، فقال لها : إِنّي قاتله ، وخرج كُليب يَدُورُ في الحيِّ لَيلته ، فسمع لَبيداً وقد أَخذ فيه الشَّرابُ وهو يَتغنَّى :

طَـالَ لَيْلـي فمَـا أَحُـسُّ هُجُـودَا   أَرْقُـبُ النَّجْـمَ للمُغَـارِ عَميـدَا
مِـنْ حَـديـثٍ نَمَـى إِلـيَّ عـن المَرْ   ءِ كُلَيْـبٍ فَـزَادَ حِقْـدي وَقُـودَا
يـا بنَـي تَغْلِـبٍ عَـلامَ تقـولـو   ن كُلَيْـبٌ يُهْـدِي إِلـيَّ الـوعيـدا
نَحْنُ كُنّا المُلوكَ في عُصُر الدَّهْـ   ـرِ وكُنْتُـمْ ـ فِيـم الأَنَـاةُ ـ عَبيـدَا
إِنَّ فـي مَنْعِـك الإِتَـاوَةَ حَـرْبـاً   ونَكَـالاً يُشَيِّـبـان الـوَليـدَا
فـاقْبَلِـي مـا أَتَـاكِ مـن قِبـل المَلْـ   ـك ولا تَنْهلِكـي هَـلاكَ ثَمُـودَا[2]

فلمّا سَمع كُليب الغناءَ دخل مُغضباً على لبيد فقتله ، وقال : نحن عَبيدٌ كما قُلتَ إن لم نُغَيِّر . ثم خَرج وهو يقول :

إِن يكـنْ قَتلُنـا المـولـكَ خَطَـاءً   أَو صَـوَابـاً فَقَـدْ قَتَلْنـا لَبيـدَا
وخَلَعْنَـا المُلُـوكَ إِنّ لنـا اليـو   م جِيَـاداً مَنْسـوبَـةً وعَـريـدا
وحُلُـومـاً لنـا يَعِيـشُ بهـا النّـا   سُ ورُكْنـاً مِـنَ الحِفَـاظِ شَـديـدَا
إِنْ يُـرِدْنَـا بكَيْـد عُنـقُ الحَيَّـ   ـةِ أُنْـفَ عِنْـدَهَـا رِعْـدِيـدَا
نُـوقِـدُ الحَـرْبَ بـالّـذي عَـرفَ النّـا   سُ بهـا تَغلبـاً ونُـذْكـي الـوَقُـودَا
وَنَـرُدُّ الأَنَـاةَ ردَّ ذَوِي العـ   ـزِّ ولا نَجْعَـلُ الحُـرُوبَ وَعِيـدَا[3]

فلما سمع ابنُ عُنق الحَيَّة بمقتل لَبيد ساءَهُ ذلك ، ودخل عليه أخو لَبيد ،

---

(١) رواية البيت في البسوس :
إن تـرض تغلـب وائـل بفعـالـه   تكـن الأذلـة عنـد كـل رهـان
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٨ ، ١٩٩ .
(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠٠ .

فحَيّاه بتحيّة المُلك ثمّ قال :

اجْبُـــرَنْ ذا مُصِيبــــةٍ بـــأَخِيــــهِ ... هَــلْ لِمَـا كـان مـن كُلَيْـبٍ نَكيـرُ
إِنْ تَقُــدْ نَحْـوَه المُسَــوَّمــةَ الجُـرْ ... دَ لَهَـــا بــالمُــدَجَّجِيـــن زَفِيــرُ
فَـوْقَهـا الشُّـمُّ مِـنْ ذَوائـبِ غَسَّـا ... نَ ولَخْـــمٌ وبَـــارِقٌ وبَكيـــرُ
مُحْقِبـي كُـلِّ نَثْـرةٍ كَبَّهَـا السَّـيءُ ... يَـــرُدُّ النِّجَـــادَ عَنْهَـــا القَتِيــرُ
تُــدْرِكِ الثَّــارَ أَو يُقَلِّــدْك ذا العـا ... رَ كُلَيْـبٌ فـاخْتَـرْ وأَنْـتَ بَصيـرُ[1]

فقال له الملك : اَجْلِس ، فلن يُطَلّ دَمُ أَخيك ثم دعا بالخمر والقيان ، فلمّا أَخَذَ فيه الشَّرابُ قال :

قَـدْ كُنْـتُ أَحْسَـبُ أَنَّ تَغْلِـبَ وَائـلٍ ... ستجــر حَـرْبـاً قَبْـلَ قَتْـلِ لَبِيـدِ
فـالْيَـوْمَ إِذْ قَتَلُـوا لَبِيـداً فـالشَّجَـا ... مِـنْ دُونِ ذَلِـكَ دَونَ حَبْـلِ وَرِيـدي
وَيـدِي لهـمْ رَهْـنٌ بكُـلِّ مُضَمَّـرٍ ... مَـــرِطِ الجِـــراءِ وشَطْبَـــةٍ قَيْـــدُودِ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبَار عَوابِساً ... لُحُـقَ الأَيَـاطِـلِ كـالـرَّشَـا المَجْـرُودِ
حتَّـى تُصَبِّـح تَغْلِـب ابْنَـةَ وَائـلٍ ... حَـرْبـاً يُشَـبُّ سَعِيـرُهـا بـوَقُـودِ[2]

المعركة بين تَغلب وغَسّان :

ثم إنّ ابنَ عُنق الحيّة جمع لبني تَغلب جمعاً عظيماً ، وسار إليهم ، وساروا فالتقوا بالكُلاب[3] ، فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، فكان أَوّل النّهار لغَسّان ، ثم إِنّ كُليباً صَمَدَ لِعَمْرِو بن نائل مَلك لَخْم ، فطعنه فَقتله ، وكان على المَيْمَنة ، فانهزمَ القوم ، ونادى ابن ذي الحيلان : يال صَدِف ، فأجابه بنو

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠٠ ، ٢٠١ .
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٣) الكُلاب : واد يُسلك بين ظهري ثَهْلان ، وثَهْلان : جبل في ديار بني نمير لاسم موضعين أحدهما اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل : ماء بين جَبَلة وشَمام على سبع ليال من اليمامة وفيه كان الكُلاب الأوّل والكُلاب الثاني من أيامهم المشهورة . معجم البلدان (٤/ ٥٣٦) . والرواية التي فيه هي مخالفة متباينة مع رواية الأنوار .

نواس وحاموا على لِوائهم وقاتلوا حتى أسرع القتل فيهم ، ونزلت غسان يمشون في الحديد فاقتتلوا أشدّ قتال يكون ، حتّى جَنَّهم اللَّيل ، وقُتل منهم خَلقٌ كثيرٌ ، ووَلَّت غَسَّان مُنهزمة ، وكفَّ بنو تغلب عن اتِّباعهم ، فلمّا قدم ابن عُنق الحيَّة على قومه عَذَلوه ، فقال : لا تَلُومُوني ، فلكم دِيةُ القَتيل ، وفَكُّ الأَسير ، والله لقد جئتكم من عند قومٍ رأيتُ المنايا تَلظَّى في أَطراف أسنتهم .

وقال عَمرو بن مُعاوية التَّغلبي :

أَتَانَا ابنُ عَنْق الحيَّة المَلْكُ قَادِماً ... على أَمْرِه في تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلِ
بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ ... تَخَالُ دَوِيّ الرّعْدِ صَوْتَ الصَّواهِل
فلَمَّا الْتَقيْنَا بالكُلاَب[1] كأَنَّنا ... أسُودُ الشَّرَى لاَقَيْنَ أُسْدَ الغَيَاطلِ
رَمَيْنَاهُمُ بالفيلق الضّخْمِ وانْتَمتْ ... فَوَارِسُ مِنَّا بالقَنَا والمَنَاصلِ
وقُلْنَا ونحْنُ القَوْمُ نَمْنَعُ سِرْبَنَا ... على ذَاكَ كُنَّا في الخُطُوبِ الأَوَائلِ
بَني تَغْلبٍ إنَّ الفِرَارَ خَزَايَةٌ ... ولَيْسَ امْرؤٌ هَابَ الحِمَامَ بآئلِ
فَحامُوا على أَحسابِكم بِسيُوفِكمْ ... فلَلمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سِبَاءِ العقَائلِ
فَشدّ كُلَيبٌ شَدَّةً وَرِمَاحُهمْ ... شَوَارِعُ فينا بيْنَ صَادٍ ونَاهِل
فأَفْرَجتِ الخَيْلاَنِ عَنْهُ وَرُمحُهُ ... خَضِيبٌ من اللَّخمِيّ عَمرِو بن نَائلِ
ودَارَتْ رَحَانَا واسْتَدارتْ رَحَاهُمُ ... وكُلٌّ بَصيرٌ في الوَغَى بالمقَاتِلِ
فما زَالَ ذاكَ الدَّأْبُ حتَّى تَواكلَتْ ... فَوَارِسُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ تَنَابِلِ
وطَارتْ بعُنْقِ الحيَّة المَلْك سَهْوَة ... تَدِفُّ دَفيفَ الأَخْدرِيّ المُوَائلِ
ووَلَّوا شَعَاعاً والقَنَا مُتَلَبّةٌ ... تُكَسَّر في أَكْتَافِهِمْ والكَواهِلِ[2]

---

(١) هنا يشير الشاعر بأنه تم اللقاء في الكُلاب . وهذا اليوم لم يكن بالكُلاب الأَول أو الكُلاب الثاني . مع العلم بأنه اتفقت كل من رواية الأغاني ، وفي الكامل في التاريخ ، وأبي عبيدة في أيام العرب قبل الإسلام ، على الكُلاب الأول ، والكُلاب الثاني . ولم تكن حوادث هذا اليوم مذكورة بينهما ، وهي لتغلب على غسان ولخم وبطون من اليمن . ولا شك بأنه يوم من أيام الكُلاب .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠٤ .

وقال أَخو عَمرو بن نائل اللَّخميّ من أَبْيَاتٍ :

إني غزوت إلى قوم جحاجحة ... كانوا لأَوَّلنا في الدَّهْرِ أَنْصارَا
شُمْس العَداوةِ مَخشيّ أَسِنَّتُهمْ ... لمْ يُدْرِكِ النَّاسُ منْهم قَطُّ أَوْتَارَا
يَكْسُونَ هَامَ مُلُوكِ النّاسِ ضَاحيةً ... بِيضَ الصَّفِيح إِذا ما مَلْكُهُمْ جَارَا
إِنَّ الكُلاَبَ به قَتْلَى مُصْرَّعةٌ ... كَانُوا لَنَا سُنَّةً نَقْضاً وإِمْرارَا
لَوْلاَ الظَّلامُ وأَنَّ اللَّيْل خَالَطهمْ ... لم تُبْقِ تَغلِبُ من حَيَّيْك دَيَّارا
غَسَّانُ صُبْرٌ وأَحْيَا تَغْلِب بُهَمٌ ... كُلٌّ يُحَدِّدُ أَنْيَاباً وأَظْفَارَا[1]

وقال ابن عُنق الحَيَّة :

ظَنَنْتُ ظُنُوناً فأَخْلَفْنَنِي ... كَمَا أَخلَفَ السَّفْرَ رَيْعُ السَّرَابِ
وقَالُوا الغَنِيمَةُ في تَغْلِبِ ... فسِرْنَا إِليهم بجَيْشٍ سِغَابِ
ذوائبَ مِن كُلِّ صُيَّابَةٍ ... ولَيْسَ القَوادِمُ مِثْلُ الذُّنَابِ
على كُلّ جَرْدَاءَ خيفانةٍ ... ولاَحِقَةِ الإِطْلِ مثلِ العُقَابِ
فوارِسُهَا الشُّمُّ مِن مالِكٍ ... وعَمْرو ولَخْمٍ وحَيَّيْ شِهَابِ
أقودُ خَمِيْسَاً له أَزْمَلٌ ... وقَدْ قَادَني الحَيْنُ نَحوَ الكُلاَبِ
إِلى أُسْرَةٍ غَيْر مَذْمومةٍ ... إذا أَبْدَتِ الحَرْبُ حَجْلَ الكِعَابِ
وقَامَتْ رَحَانَا على قُطْبِها ... وفَرَّتْ هُنَالِك عنْ حَدِّ نَابِ
وجَاءَ الأَرَاقِمُ لا يَنْثَنُونَ ... كأُسْدٍ خَوَارِجَ مِنْ بَطْنِ غَابِ
سَوَاكِنَةَ الخَيْلِ في نَقْعِها ... بطَعْنِ النُّمُورِ وضَرْبِ الرِّقابِ
ووَقْعِ الصِّفَاحِ على الدَّارِعينَ ... وأَسْرِ الكُمَاةِ وحَوْيِ النِّهابِ
فأَمْعَنْتُ رَكْضاً على قارِحٍ ... يَمُجُّ نَجيعاً من المَوْتِ جَابِ
وقَدْ زَايلَ القَلْبَ أَنْيَاطُه ... ولَمْ يَبْقَ إلاّ نِيَاطُ الحِجَابِ[2]

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠٥ .
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

وقال مَهلْهِلٌ في هذا اليوم قصيدةً طَوِيلةً أَوَّلُهَا :

لَـوْ كَـان شَـيْءٌ لابْـنِ لِحْيـة نـاهِيـاً ... لَنَهَتْـــه عَنّــا وَقْعَـــةُ السُّـــلاَّنِ[1]

ويقول فيها :

لَمّــا رَأَوْنَــا بــالكُــلاَبِ كــأَنّنــا ... يَــوْمَ اللِّقَــا أُسْــدٌ علَــى خَفَّــانِ
نَهَـضَ الكُمَـاةُ بكُـلِّ أَبْيَـضَ صَـارِمٍ ... وبِكُـــلِّ أَسْمَـــرَ مَـــارِنٍ خَـــرَّانِ
يَمْشـونَ فـي حَلَـقِ الحَـديـدِ كـأَنّهـمْ ... جُـرْبُ الجِمَـالِ طُلِيـنَ بـالقَطِـرانِ[2]
فَنَجَــا بمُهْجَتِــهِ وأَسْلَــمَ قَــوْمَــهُ ... مُتَسَــرْبِليــنَ زَوَاغِــفَ الأَبْــدَانِ[3]
وبنُـو نُـوَاسٍ تَحْـتَ ظِـلِّ لِـوَائِهِـمِ ... مُتَعَطِّفيـنَ عَلَـى ابْـنِ ذي الحيـلاَنِ
وهَوَى ابْن نَائلَ في المَكَرِّ كأَنَّه ... والـرُّمْـحُ شـاجِـرُهُ قَـرِيـعُ هِجَـانِ[4]

* * *

---

(١) السُّلان : موضع بين البصرة واليمامة . وقال مهلهل :
أَمسـت منـازل بـالسُّـلانِ قـد عَمـرتْ ... بَعْـدَ كليـبٍ فلـم تَفْـزَعْ أَفَـاصيهـا
معجم ما استعجم ٣/ ٧٤٨ .

(٢) القَطِرانُ ، والقَطْرَانُ : مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما بالتقطير الجاف ، وتستعمل لحفظ الخشب من التَّسَوُّس والحديد من الصدأ .

(٣) الزَّغفُ : الدِّرع الواسعة الطَّويلة . والزَّغَفَةُ : الدِّرْع الواسعةُ المُحكمةُ .

(٤) الهِجانُ من الأشياء : أجودها وأكرمها أصلاً . يُقال رجل هِجان ، أي كريم الحسب نَقيُّه . (لسان العرب) .
ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٠٨ .

تَغْلِبُ ـ وزَيدُ[*] بن مرب بن مَعدي كَرْب

هو زَيد بن مرب بن معدي كرب من ملوك حَاشد دان له كثير من العرب : من مذحج ، وجرم ، ونهد ، وخولان ، ومن سكن عروض اليمامة من ربيعة .

وكان على بني تغلب هناك ملك من ملوك اليمن على عهد زيد ، فمات فأتت وجوه بني تَغْلِب زيداً بن مرب فسألوه أن يملك عليهم ملكاً من قومه ، والذي قدم عليه جابر بن حيّ بن عدي بن عمرو وأشراف منهم ، فملك عليهم رجلاً من السبيع يقال له هانىء ـ وفي رواية أخرى ، من آل حمدان يقال له هانىء ـ فلما نزلوا في بعض الطريق شرب هانىء ومن معه فسكر ، فقالوا له : تعقل ناقتك ؟ فقال لجابر : كن عقالها حتى تصبح . ثم نام وأخذ جابر بزمامها وقعد ، فغلبته عينه فخلى عن زمامها فذهبت ، فلما أصبحوا طلبوها فلم يقدروا عليها ، فقالوا له : إركب بعض رواحلنا . فقال : ما كنت لأجلس في رحل تَغْلِبي ، ولكني أركب جابراً ، فناشدوه ، فأبى أن يركب غيره ! فشدوا عليه فقتلوه ورجعوا إلى قومهم ، وقال في ذلك جابر :

كَلفنـي قَيْـل ذِي هَمـدان نَـاقتـه ... وقبـل نَـاقتـه مـا ضَلـت النُّـوقُ[1]

فـاهـربْ فـلا يَمْنَعَنْـكَ اليـوم غـرّتـه ... فـالتَّغلبـيُّ بضـربِ الملـك مَحقـوقُ

لمّا عَرفتُ الذي قد كان همَّ بهِ ... بَدرته الحمل ، والمسبوق مسبوقُ

ولم أَكُنْ لأخي همدان إذْ سردتْ ... سَهمـاً تغيّـب عنه الـريـش والفـوقُ

فلما بلغ ذلك زيداً استنفر قبائل من همدان وقبائل من مذحج وحمير وغزا بني تغلب ، وقد اجتمعت ربيعة ومن يليهم من مضر ـ وعليهم يومئذ ربيعة بن

(*) الإكليل ج١٠/ ٥٥ ، ٥٦ للهمداني .

(١) القَيْلُ : الملك .

الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، أبو كُليب ومُهَلْهِل ـ فلقيهم زيد بجراد فقاتلهم قتالاً شديداً ، فهزمهم وقتل منهم وأسر سبعين رجلاً ، فتوسلوا في أسرهم بالحارث الملك الكندي ـ وأمه أم إياس بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شَيبان ـ إلى زيد بن مرب ، فأوفد إليه فيهم ، فأطلقهم وأحسن إليهم وفي ذلك يقول عمارة الكباري :

يـوم جَـرادٍ لـم نَـدعْ لـربيعـةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وإخـوتهـا أنفـاً بـه غيـر أَجْـدَعَـا[1]

بِضربٍ تظل الطير تَقفُو رشاشه ‏ ‏ ‏ ‏ علـى الصخـرِ حتّـى تَنْثَـني عنـه ضلعـا

ودَارتْ على سَبعين من سَراوَاتهم ‏ ‏ ‏ ‏ رَحـى الحـرب مَكْتُـوفـاً بهـا ومُـدرعَـا

فـأطْلَقتُهـم زَيـدٌ رِعـايـة كنـدة ‏ ‏ ‏ ‏ وثَبتهـم بـالفَضـلِ منـهُ وَشيّعَـا

* * *

(١) يظهر أن هذا اليوم سمي بيوم جراد . ولم أجد في مصادري هذا اليوم ـ وربما سمي لكثرة عددهم كالجراد ، أو هكذا كان اسم الموقع (جراد) .
قال ياقوت : جُرَادُ : ماء بديار تميم عند المروت كانت به وقعة الكلاب الثانية ؛ وقال جرير :
ولقـد عـرَكْـنَ بـآل كعـب عـرْكـة ‏ ‏ ‏ ‏ بِلـوى جُـراد ، فلـم يـدعـن عميـدا
« معجم البلدان ٢/ ١٣٥ » .

يومٌ لتَغْلِبَ(*) على هَوَازِنَ

خَرجَ السَّفَّاح[1] بن خَالدٍ في خَيلٍ كثيرةٍ من بني تَغلب يُريد الغارةَ على بني تَميمٍ ، فلما جاوز بُيوت الحيِّ عارضه راكبٌ في سواد اللَّيل يتَغنَّى ويقول :

هَلْ من رَسولٍ إلى السَّفَّاح يُخبرهُ ... أن القَبيلَيْـنِ مِـنْ نَصْـرٍ ومـن جُشَـمِ
سَارُوا إلى الخَيْفِ أَنْصَاراً لإِخْوَتِهِمْ ... فـالـدَّارُ تنْعـشُ بـالنِّسْـوانِ والنَّعَـمِ
إِمّـا تَنَلْهُـمْ بـأَمْـرٍ كُنْـتَ تَـأْمُلُـهُ ... أَو يَسْبِقُـوا تَنْهَـسِ الكَفَّيْـنِ مِـنْ نَـدَمِ
إِنّـي إذا ذَكـرَتْ نَفْسـي غَنِيمَتَهُـمْ ... جَاشَـتْ إلـيَّ وليـس الأَمْـرُ بـالأَمَـمِ
لَسْنـا إلـى جُشَـمٍ نهـدي رِيَـاسَتَهـا ... يَا بْنَ الكِرَامِ ولا عَمْرو ولا عُصمِ

فقال السَّفَّاح : من أنت ؟

قال : رجلٌ من خَثْعَم ، كنتُ جاراً لبني جُشَمَ ، وإِنَّهُم ساروا ليَنْصروا هوازن على قومي ، فعاهدتُ الله أن أقود إليهم فُرسان تَغلب ، فكنتَ رَئيسها وزمامها .

فقال : ما أَردنا غيرَ تميم ، وإِنَّ عَهدَنا بهوازن لقريبٌ ، ولكنّا مُشَفِّعُوك بحاجتك فَسِرْ أمامنا .

فقال عِكَبٌ بن عِكَبٍّ بن كنانة بن تيم : تثبَّت يا بن خالدٍ لعلَّها خدعةٌ .

فقال له : عَنَّا يا عمّ فلعمري لقد لاقيت جِمارَ هَوازِن في أقل من عَددنا ، فما كانوا عندي إِلاّ شَحمة شَاوٍ ، فكيف وأنتم فُرسان تَغلب وجَمْرتها ؟

سِرْ يا خَثعميُّ أَمامنا ، فسارُوا حتى صبّحوهم على ماءٍ لهم ، وقد اجتمعت كَعبٌ ، وكِلابٌ ، ونصرٌ ، وجُشَمُ ، وغُدانةُ مَخافة الغارة عليهم ،

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٦١ .

(١) هو سلمة بن خالد التغلبي .

ورئيس القوم عُمارة بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وحمل عُمارة على السَّفّاح فَطعنهُ فَصَرعهُ ، ومالت خَيلُ القوم عليه ، وحامت بنو زُهير على السَّفّاح حتى استنقذوه ، فركب فرسه مُغْضباً ، فَشدّ على عُمارة فاختلفا طعنتين ، فَطعنه السَّفَّاح فدقَّ القناة فيه ، وثنّى له بالسَّيف فقتله ، وتنادى القوم على دَمه ، فَقُتِل منهم خَلقٌ كثيرٌ ، وحمل غَنْم بن مَالك المُعَاوي على عبد الله بن كعب بن ضَباب بن كِلابٍ حتَّى قُتل ، فانكشفوا انكشافاً قبيحاً ، وحاز السَّفَّاح ما في الدَّار من نَعَمٍ ، وسبى سبياً كثيراً .

وقال الخَثعميُّ واسمه الحارثُ بن حُبَيْشٍ :

ألا للهِ دَرُّ بَنـــي زُهَيـــرٍ ... إذا السَّفَّـــاح يَهْتَبِـــلُ المُغَـــارَا

علـى عُلْيَـا هَـوازِنَ مِـنْ كِـلابٍ ... ومِـــنْ كَعـــبٍ ومَـــن حَـــلَّ الإِزَارَا

سَمـا بـالخيـلِ يَقْـدُمُهـا عَتُـوداً ... كَتيْـسِ الـرَّبْـلِ[1] يـدَّرِعُ الغُبَـارَا

إلـى أَنْ صَبَّحـتْ لِقُـرَابِ شَهْـرٍ ... وقـــدْ صـــارَ الهِـــلاَلُ لَهـــا سِـــرارَا

قَبـائـل مِـنْ هَـوازنَ نَـاظـراتٍ ... مَتـــى السَّفَّـــاحُ يصبحُهـــا دَمَـــارا

بـأَبنـاءِ الحَـواصِـنِ مِـن زُهَيـرٍ ... فَـــوارسَ لا يَـــرونَ القَتـــلَ عَـــارَا

فلَمَّـا جَـالـتِ الفُـرْسَـانُ تَـدْعُـو ... رَمَـــى السَّفَّـــاح كَبْشَهُـــمُ عُمَـــارَا

بـأَسْمَـرَ لا يَـزَالُ لـه قتيـلٌ ... فَغَـــادَرَهُ يَمُـــجُّ دَمـــاً ونَـــارَا

ودَارَتْ بَيْنَهُـمْ رَحَيَـا مُـديـرٍ ... تُـــرَوِّي مِنْهُـــمُ الأَسَـــل الحِـــرَارَا[2]

وقال السَّفَّاحُ في قَتْلهِ عُمارةَ بن مَالكٍ ومُحاماةِ بني زُهير عليه :

لَقَـدْ حَـامَـتْ علـيَّ بَنُـو زُهْيـرٍ ... بِبيـضِ الهِنْـدِ والأَسَـلِ الحِـرَارِ

---

(١) والتصحيح عن الشيخ الميمني . على أنه قد جاء مثلاً في أنساب الخيل لابن الكلبي ص٧٥ قول عباس بن مرداس :

جميـــع البَـــز تحملنـــي وَآةٌ ... كشـاة الـرَّمْـل تجمـح بـالـوليـد

(حاشية ص٢٦٣) .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٢٦٤ .

غَـدَاةَ عُمَـارَةُ الجُشَمِـيُّ يَسْمُـو سُمُـوَّ الفَحْـلِ فـي ضَبَـعِ البِكَـارِ
علـى قَبَّـاءَ تَخْفِـقُ أَيْطَـلاَهَـا سُنـون[1] المَتْـنِ كـالمَسَـدِ المُغَـارِ
فَيطْعنُنـي وأَطْعنُـه خِـلاَسـاً كَخطْـفِ الصَّقْـرِ أَغْشَـاشَ القِفَـارِ
مَلِيّـاً ثُـمَّ أَضْـرِبُـهُ بعَضْـبٍ تُطِيـرُ ظُبَـاتُـهُ لَهَـبَ الشَّـرَارِ
مخَـرَّ لِـوَجْهِـه يَكبُـو صَـريعـاً كَـأَنَّ شـؤُونهَـا فِلَـقُ النُّجـارِ[2]

ولمّا رجَعَ أَقبلَ عليه بعضُ نِسَائه تَلُومُه على كثرة غزواتِهِ ومُباشرة الحرب بنفسه ، فقال :

تَقُـولُ ابنَـةُ العَمْـرِيِّ مَـالـكَ لا نَـرَى لـك الـدَّهْـرَ إلاَّ هَـمَّ حَـرْبٍ تسَعَّـرُ
عَتَـادُك منهـا لأْمَـةٌ تُبَّعِيَّـةٌ وأَبْيَـضُ مـن مَـاءِ الحَـديـدِ ومِغْفَـرُ
وأَسمَـرُ خَطِّـيٌّ كـأَنَّ كُعُـوبَـهُ نَوَى الغَسْبِ فيهِ كالذُّبَالَةِ يَزْهَرُ
وأجَـرَدُ مِثْـلُ القِـدْحِ جَـأْبٌ كـأَنَّـه ظَليـمٌ بـأَعْلَـى الـرَّقْمَتيـن مُنَفَّـرُ
فَقُلْـتُ لهَـا لا الغَـزْوُ يُـدْنـي مَنِيَّـةً ولَنْ يَدْفعَ الإشْفَاقُ ما كُنْتُ أحْذَرُ
وإِنَّـكِ لـو أَبْصَـرْتني يَـوْمَ صَبَّحـتْ هَـوَازِنَ أَمْثَـالُ السَّـرَاحيـنِ ضُمَّـرُ
أُعَـرِّضُهَـا للطَّعْـنِ فـي كُـلّ غَمْـرَةٍ فتَسلَـمُ أَحيـانـاً وحينـاً تُعَفَّـرُ
عَليهـا الأُلـى مِـنْ تَغْلـبَ ابنـةِ وَائـلٍ لهُمْ في قَديم المَجْدِ مَبْدًى ومَحْضَرُ
لأَيقَنْـتِ أَنّـي فَـارِسُ الخيلُ والَّـذي إليـه العَـوالـي والصَّفِيـحُ المُـذكَّـرُ
كيـوْمَـيَّ فـي حَيَّـيْ قُفَيْـمٍ ونَهْشَـلٍ ولا مِثْلَ ما لاقى الضِّبَابُ وجَعْفَرُ
فَصَبَّحْتُهـم قَبْـلَ الشُّـروقِ بِغَـارَةٍ مُنَـدَّبَـةٍ فيهـا القَنَـا والسَّنَـوَّرُ
وغُـودِرَ عبـد الله فـي النَّقْـعِ ثـاويـاً عَليـهِ ذِئَـابٌ ضَـارِيَـاتٌ وأَنْسُـرُ
على وَجْهِهِ يَدْعُو فوارِسَ قَومهِ فلَـمْ يـأْوِ إلاَّ فـارسُ القـوم مَعْمَـرُ
فَطَـاعَنَنَـا صَـدرَ النَّهَـارِ كـأَنَّـه ضُبَـارِمَـةٌ يَحْمـي العَـريـنَ غَضَنْفَـرُ

---

(١) كذا الأصل « سنون » فإما أنها « شنون » بمعنى مهزول ، أو هي « سَنِين » (حاشية ٢٦٥) .

(٢) في الأصل بدون النقط . والنُّجارة : ما انتحت من الخشب عند النجر . حاشية ٢٦٥ .

فَمَـا رامَ حَتّـى بُـلّ جَيْـبُ قَميصـهِ   بمَـلاّسـةٍ تَنْفـي السِّـدَادَ وتَفْغُـرُ[1]

وقال غَنْمُ بن مالك في قَتْله عَبَد الله[2] :

ولمَّـا رَأَوْنـي فـي الكَتيبـة مُعْلِمـاً   تَنَـادَوْا وقـالُـوا ذَاكَ غَنْـمُ بن مَـالـكِ

وأَسْمُـو لعَبْـد الله والنَّقْـعُ سَـاطـعٌ   علـى ظَهْـرِ مَـوَّارِ العِنَـانِ مُـوَاشِـكِ

فـلاقَيْتُـه والخَيـلُ بَينـي وبينَـه   بـأَزْرَقَ مَخْشـيٍّ الـوَقيعـةِ بَـاتِـكِ

فَغَـادَرْتُـه يَكْبُـو علـى حُـرِّ وَجْهـهِ   تُثِيـرُ عَليـهِ نَقْعَهـا بـالسَّنَـابـكِ

يُنَادي بأعْلى الصَّوت يا آلَ عَامرٍ   وقَدْ أدْبَرتْ فِعْلَ الإمَاءِ الفَوارِكِ[3]

* * *

(١) بملاّسة : هكذا في الأصل وتكون من ملس بمعنى استل أو من ملس : ذهب ذهاباً سريعاً . ولعلها أيضاً « بهلاّسة » أو « بخلاّسة » . الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٦٧ .

(٢) هو عبد الله بن كَعب بن ضباب بن كلاب . (الأنوار ١/ ٢٦٣) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٦٨ .

يَومُ الجِفَارِ (*)

وهو يوم لبني تَغْلِبَ على بني تَميمٍ .

بلغَ النُّعْمَان بن زُرْعة أَنّ بني حَنْظَلَةَ تتمنَّى لِقاءَ بني تَغْلِبَ . وأن سائر بني تَميم عازمون على قصدهم ، فحلَف النُّعمان أنَّه لا يَغسل رأسه حتى يَغزو الجِفار ، فجمع بني تَغلب ، وأغار على بني تميم بالجفار ، فالتقوا واقتتلوا يومهم أَشَدَّ قتال ، فثبتتْ بنو تَميم لبني تَغلب ، حتَّى أَسرعَ القتل في الفَريقين ، وجَعل أبو شُتَيْر الحَنظليُّ يَحمل على بني تَغْلِبَ فيُسرع فيهم ، فحملَ عليه النُّعْمَانُ بن زُرْعَةَ فقتلَهُ ، وقَتل من بني نَهْشَل ومُجَاشِعٍ وأَبانَ فوارس يُعرفون بأسمائهم ، وحملَ النُّعمان بن عُقْفَانَ بن عَمرو بن عَنْزِ بن الخُنَابِسِ بن سَعْدِ بن كِنَانَةَ بن تَيْم بن أُسامة على ثَعْلَبَة بن قُرَّةَ ، أَخي بَني يَربوع ، فَقتلهُ ، وقُتِلَ عَمرو بن رَبيعة الحنظليُّ ، وكان فارس بني حَنْظَلة وانهزَمتْ تَميمٌ ، وأَصَابت تَغْلِبُ نَعَماً ونِساءً .

فلمَّا انصرفت تَغْلِب عن غزو تَميم ، وجه النُّعمان الخيل إلى نَجْران ، فأصاب أحياءً من مَذْحِج ، وقَتل منهم خلقاً ، وأُصيب من بني تَغلب في ذلك اليوم سَبعةُ فَوارس وأصابت بنو تَغْلِب نَعَماً وسَبْياً ثمّ انصرفوا وقال النُّعمانُ بن زُرعة[1] في ذلك :

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٣ . وجاء في معجم ما استعجم ١/ ٣٨٥ . الجفار : موضع بنجد ، وقال أبو عُبيدة : الجِفار في بلاد بني تميم . وفي معجم البلدان ٢/ ١٦٨ : والجفار ماء لبني تميم وتدعيه ضبة ، وقيل الجِفار موضع بين الكوفة والبصرة . وقيل موضع بنجد وله ذكر كثير في أخبارهم وأشعارهم ويوم الجفار من أيام العرب معلوم بين بكر بن وائل وتميم بن مُر ، أُسر فيه عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، أسرَه قتاده بن مسلمة . وهذا يوم آخر غير يوم الجفار المذكور في الأنوار ومحاسن الأشعار .

(١) الأنوار ١/ ١٨٣ .

تَمَنَّتْنَا بنو عُدُسِ بن زَيْدٍ فلَمْ تَصْدُقْ بَني عُدُسٍ مُنَاهَا
تَمَنَّوْنَا غَدَاةَ رَحَى خُشَافٍ ومُنْيَتُنَا فَوَارِسُنَا شَجَاهَا
رَأَوا جَمْعاً فَوَارِسُه زُهَيْرٌ يُسَاقُونَ المَنِيَّةَ مَنْ سَقَاهَا
عَلى لُحُقِ الأَيَاطِلِ مُضمَرَاتٍ كَأَسْرَابِ القَطَا شَنِح نَسَاهَا[1]
بأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ يَرُدُّ المُصْطَلِينَ بهَا لَظَاهَا
فَدُرْنَا في عَجَاجَتِهَا جَميعاً كمَا دَارتْ على قُطْبٍ رَحَاهَا[2]
فظلّلْنَا نَخْطَفُ النَّسَمَاتِ خَلْساً كخَطْفِ الطَّيْرِ بَازٍ قَدْ عَلاَهَا
وضَرْبٍ ما يُبِلُّ بِهِ كَلِيمٌ بِبِيضِ الهِنْدِ مَصْقُولاً ظُبَاهَا
فَغُودِرَ مِن سَرَاةِ بني تَميمٍ ذَوُو نَجَدَاتِهَا وذَوُو نُهَاهَا[3]
فَوَارِسُ في مُلِمّةِ كُلِّ يَوْمٍ على الأَذْقَانِ مائلةٌ طُلاها
ولمَّا أَنْ رأَيْتُ أَبا شُتَيْرٍ يَرُدُّ الخَيْلَ داميةً كُلاَهَا
رَمَيْتُ سَوَادَهُ بأَقَبَّ نَهْدٍ وخَيْلاَنَا تَكَدَّسُ في وَغَاهَا
فَبَاءَ بطَعْنَةٍ مِنْ مَالِكِيٍّ تأَزَّرَ بالمَكَارِمِ وارْتَدَاهَا
بأَسْمَرَ ما يزَالُ له قَنيصٌ على قَبَّاءَ تَخْفِقُ أَيْطلاَها
وكانَ الكَبْشَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ومَنْ هو عندَ نِسْبَتِهَا فَتَاها[4]

وقال النُّعمان بن عُقْفَان :

سائِلْ فُقَيماً بالجِفَارِ ونَهْشَلاً ومُجَاشِعاً وبني أَبَانٍ تُخْبَرِ

---

(١) شَنح : صَقْرٌ شَانِحٌ : متطاول في طيرانه . والشُّنْح : الطوال . (لسان العرب ـ شنح) .

(٢) عَجَّ يَعَجُّ عَجّاً ، صاح ورفع صوته وعَجَّتْ الريح : اشتدت ، والعجاج الغبار . (القاموس المحيط ـ عج) وهذا ما يدور على أرض المعركة في الصياح وإثارة الغبار وحركة الخيل .

(٣) النَّجْدُ : الشُّجاع . والنَّجدةُ : القتال ، والشَّجاعة ، والشِّدَّة . ورجل مَنْهَاةٌ : عاقل (القاموس المحيط) .

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٥ ، ١٨٦ .

عنَّــا غَــدَاةَ رَأَوْا فَــوَارِسَ تَغْلِــبِ   دُونَ القَصِيمَةِ في العَجَاجِ الأَكْدَرِ
مُتَسَــرِّعِيــنَ إلــى الهِيَــاجِ كــأَنَّهــم   أُسْدُ الغَرِيف على سَوَاهِمَ ضُمَّرِ [1]
واسْــأَلْ بثَعْلَبَــةَ بــن قُــرَّةَ إذْ ثَــوَى   تَبْكِــي عَليــهِ مَــآتــمٌ مــن جَعفَــرِ
نَــوْحَــى مُفَجَّعَــةً كــأَنَّ حَنِينَهَــا   بَعْــدَ العِشَــاءِ حَنِيــنُ نِيــبِ حُسَّــرِ [2]
غَــادَرْتُــهُ جَــزَراً يَنُــوءُ بصَــدْرِهِ   بَيْــنَ الفَــوَارِسِ ثَــاوِيــاً لــم يُقْبَــرِ [3]

* * *

---

(١) الغَريف : الجماعةُ من الشجر المُلتف من أي شجر كان : أو الأجمة نفْسُها بما فيها من شجرها . (لسان ـ غرف) . أي شبههم بأسود الغابات .
(٢) نِيبٌ : والنَّابُ : الناقةُ المُسنَّةُ . ج أنيابٌ ، ونُيوبٌ ، ونَيبٌ .
(٣) جزر : اجتَزَروا في القتال ، وتَجَزَّرُوا : تركوهم جَزَراً للسِّباع : أي قطعاً . وثوى : مات (القاموس المحيط) .
الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٦ .

يَومُ جَوِّ عَتيكٍ(*)

وهو يوم لبني تَغْلِبَ على بني قَيس بن ثَعْلَبَة .

أَغارَ سَلَمَةُ بن قُرطٍ بن سُفَيح ، في خَيْلٍ من مَالك بن بَكْرٍ ، ومعهُ بِشْرُ بن سَوَّار بن شِلْوَةَ بن عَبْد الحَارث بن جُنْدُبٍ بن الحَارث بن مَالِكٍ بن بَكرٍ ، على بني قَيْس بن ثعْلَبَةٍ ، فَخَرجَ إليه أَحياءُ بني قَيْس : بنو تميم بن قَيْس ، وضُبَيْعَة بن قيْس ، وبنو سَعْد بن قَيْس ، وفوارسُ بني جَحْدَرٍ ، وهم حُماةُ القومِ وأَنجادُهُم ، وجاءَ الحُطَمُ[1] في خيل كثيرة ، فالتقوا بعَتيكٍ صَباحاً ، فاقتتَلُوا قتالاً شديداً ، وخَرج الحُطَمُ ونَادَى إلى البراز ، فخرج إليه بِشْرُ بن سَوّارٍ ، فحمل عليه فَطَعَنَهُ فَصرَعهُ وأَسَره ، وتَعَاورَ القوم الطِّعان ، فَصبرَتْ بنو جَحْدَر ، وأُصيب من بني تميم بن قَيْسٍ ابْنا عُمَيْر ، وطَعَنَ سَلمَةُ بن قُرْطٍ حُمْرَانَ بن عبدِ عَمْرو بن عَمْرو بن مُرْثَدٍ ، فَأَفْلَتَ بها ، وانهزمَتْ بنو قَيْسٍ ، وأصابت تغلب سَبايَا ونَعَماً كثيرة في تلك الوقعةِ .

وقال سَلمة بن قُرط :

لله دَرُّ فَــــوارِسٍ مِــــن تَغْلِــــبِ   خَضَبُوا الأَسِنَّةَ مِنْ فَوَارِسِ جَحْدَرِ

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٠ . وورد في معجم البلدان ٢/ ٢٢٠ (جو) اسم واحد أو موحد لعدة مواقع في أماكن مختلفة . في اليمامة : جو اسم لناحية في اليمامة . وجو الخضارم باليمامة ، وجو الحوادة باليمامة وجو يَرذعة في اليمامة . وجو سويقة . وجو أُثال . وجو مُرامر . وجو قرية بأجا لبني ثعلبة . وجو أوس لبني نمير وفي معجم ما استعجم ١/ ٤٠٧ جو : في ديار بني أسد . وجو موضع في ديار طيء . وجول رئال : بوادي الرقمتين . ولا يوجد في المرجعين ذكر ليوم جو عَتيك ؟

(١) الحُطم : هو شُريح بن ضُبيعة أدرك الإسلام فأسلم ، ثم ارتد لما مات الرسول ﷺ وخرج الحُطم بن ضُبيعة في بني قَيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الردة وقتله قيس بن عاصم (طبري ٣/ ٣٠٩ . والأغاني ١٥/ ١٩٩) .

لا يَنْثَنُـون إذا الصِّفَـاحُ تَخَـالَفَـتْ يَـوْمَ الهِيَـاجِ وكُـلُّ لَـدْنٍ أَسْمَـرِ
وَطِئُـوا ضُبَيْعَـةَ يَـوْمَ خَـوٍّ وَطْـأَةً شَابَ الوَلِيدُ لَهَا مَشِيبَ الأَكْبَرِ[1]
ولقَـدْ عَطَفْـنَ علـى عُبَـادٍ عَطْفَـةً أَعْجَلْـنَ نِسْـوتهـنَّ شَـدَّ المِئْـزَرِ[2]
ولقَدْ شَفَى نَفْسِي وأَذْهـبَ وَغْمَهَـا قَتْلَـى بمُعْتَلـجِ العَجَـاجِ الأَكْـدَرِ[3]
مِـنْ حَـيِّ قَيْـسٍ والضُّبَيْـعِ وجَحْـدَرٍ كـانـوا الشِّفـاءَ لكُـلِّ ثـأرٍ مُـوغـرِ[4]
ولقَـدْ دعَـا حُطَـمُ النِّـزَال فَبَـزَّهُ بِشْرُ بن شِلْوَةَ نَفْسَهُ في العِشْيَرِ[5]
فَثَـوَى يَقُـوِّدُ فـي الغِـلاَلِ جَنِيبَـةً يَمْشي العِرِضْنَةَ كالْخِدبِّ الأَزْورِ[6]
واسْتِيـقَ مـن تَيْـمٍ خَـرَائِـدُ أُنَّـسٌ من ثَيِّبٍ أو كَاعِبٍ ، كالجُؤذَرِ[7]

وقال بِشْرُ بن سَوَّارِ بن شِلْوةَ ، وكان من أَعْلام تَغْلِبَ وسَادَاتِهَا :

حَلَفْـتُ يَمينـاً غَيـرَ ذي مَثْنَـوِيَّـةٍ بأَنَّ ابنَ قُرْطٍ مَاجدٌ وابن مَاجدِ[8]
سَمَا بالعَنَاجِيجِ الجِيَادِ على الوَجَى يُنَكِّبُها بـالجَـرْي صُـمَّ الجَـلاَمِـدِ[9]
إلـى سلَفَـيْ حَيَّـيْ عُكَـابَـةَ هَمُّـهُ لِقَـاءُ بَنـي قَيْـسٍ بـأَقْصَـى المَـوَارِدِ
فَصَبَّحَهَـا قُبَّـاً تَضِـبُّ لِثَـاتُهَـا علَيْهَا رِجَالُ المَوْتِ من آلِ خَالدِ

---

(١) ورد في بيت الشعر (خَوٍّ) وهو تصحيف . ولقد تُرجم له في هذا الكتاب . ويوم خو هو لبني تغلب على بني فزارة وكان قائد تغلب عمرو بن كلثوم . وهذا اليوم الذي ورد في بيت الشعر هو يوم (جَوٍّ) .
(٢) المئزر : الإزارُ : المِلْحَفة ، ويؤُنَّث كالمِئزر ، والإِزارُ : كلُّ ما سَتَرَكَ .
(٣) الوَغْمُ : القهر والحقد ، وتوغَّم : إذا اغتاظ (لسان العرب ـ وغم) .
(٤) الوَغْرُ : الحقد والعداوة . وتوَغَّر : تَهَبَّ غيظاً .
(٥) البَزّ والابتزازُ : الغَلبةُ وأخذ الشيء بجفاءٍ وقهرٍ . وبشر من أعلام تغلب وساداتها .
(٦) الخِدَابُّ : الجمل الشديد الصُّلبُ . والأخدبُ : الذي يركب رأسه .
(٧) الكُعوبُ : نُهودُ ثدي الجارية . وجارية كعَابٌ ، وكَاعبٌ . والخرائد : الأبكار التي لم تمس . والثَّيِّبُ : المرأة التي فارقت زوجها . والجُؤْذَر : ولدُ البقرة الوحشية (القاموس المحيط) .
الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٢ .
(٨) ابن قرط : هو سلمة بن قرط بن سُفيح .
(٩) العَنَاجيجُ : جِيادُ الخَيلِ والإبلِ . والعَنْجَجُ : العظيم .

فلَمَّا الْتقَيْنَا جَالتِ الخَيْلُ جَوْلَةً بكُلِّ فتىً حَامي الحَقيقَةِ ذَائدِ[1]

ولمَّا تَنَادَوْا يالَ قَيْسٍ وأَقْبلَتْ فَوَارِسُ مِنَّا كالأُسُودِ الحَوَارِدِ

بكُلِّ رُدَينيٍّ أَصَمَّ كُعُوبُهُ وأَبيضَ مَصْقُولِ الغِرَارَيْن فَارِدِ[2]

ووَلَّتْ عُبادُ عَنْ فَوَارِسَ مِنهُمُ مِنْ المَعْشَرِ البيضِ الطِّوالِ السَّوَاعِدِ

عَن ابْنَيْ نُمَيْرٍ مَالكٍ ومُرَقّشٍ وحَسّانَ في أَكفائهِ والمَجالدِ

فَوَارِسُ أبْقَوْا كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ مَآتِمَ نَوْحَى شَجْوُها غَيْرُ بَارِدِ

وعَنْ حُطَمٍ وَلَّتْ فَوَارِسُ قَوْمِه ولمْ أكُ عنه في البِزَازِ بَراقِدِ

فَرَاحَ يُغَنّيهِ الحَدِيدُ كأَنَّه قَرِيعُ هِجَانٍ في عِشَارٍ طَرَائدِ

شَفَيْنَا منَ الحَيِّ العُكَابي غُلَّةً وأُبْنَا بأَنْعامٍ لهمْ وخَرَائدِ[3]

ورَاحَتْ بحُمْرَانَ بنِ عَمْرٍو مَنِيّةٌ فلَيْسَ إلى الحربِ العَوانِ بعَائدِ[4]

وقالت أُختُ الحُطَم :

أَشابَ الذَّوائبَ قَبْلَ المَشيبِ نَوائحُ تَبْكي لأَسْرِ الحُطَمْ[5]

وقَدْ كانَ في الحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ بَصيرَ السِّنَانِ بطَعْنِ البُهَمْ[6]

فأَصْبَحَ في الحَيِّ مِنْ تَغْلِبٍ إذا نَامَ ذُو سَهَرٍ لم يَنَمْ

ولله تَغْلِبُ مِنْ مَعْشَرٍ إذا أَبْدَت الخَوْدُ عَنْهَا الخَدَمْ[7]

---

(١) الذَّائِدُ ، والذَّوَّادُ : الرَّجل الحامي الحقيقة .

(٢) الغِرار : حَدُّ الرُّمْح والسَّهْمِ والسَّيْفِ .

(٣) الخريدة : البكر لم تمس .

(٤) العَوانُ من الحروب : التي قُوتِلَ فيها مَرَّةً (القاموس المحيط) . الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٤ .

(٥) نوح ، نَاحت المرأة على زوجها نَوحاً ، ونساءٌ نُوَّح ، ونَوائحُ . والحُطم : شُريح بن ضبيعة ، ولُقب بالحُطم لقول رشيد بن رميض فيه (قد لفَّها الليل بسواق حُطم) أي أنقذ جماعته من الهلاك (أغاني ١٥/ ٢٠٠) .

(٦) درأ ، دَرَأهُ دَرْءًا ، ودَرْأَةً : دفعه . وتَدارَأوا : تَدَافعُوا في الخُصومة . (القاموس المحيط) .

(٧) الخَوْدُ : الحَسنةُ الخَلْقِ ، الشابَّةُ ج خَوْدَات ، وخُودٌ .

هُـــمُ صَبَّحـــونَـــا بمشْبُـــوبـــةٍ　　عَليهَـا ابـنُ قُـرْطٍ كَليْـثِ الأَجَـمْ[1]

فَــوَارِسُهَـا الشُّــمُّ مِــنْ مَـالــكٍ　　وتَيْـمٌ هــي الأَنْـفُ مِنْهَـا الأَشَـمّ

فــأَردَوْا فَــوَارِسَهــا المُعْلِميــن　　ولَيْـسَ المُصَــابُ بـهِ كـالأَصَـمْ

فــلا تَبْعَثـوا الحَـرْبَ بَعْـد الحِيَـادِ　　وأُوبُــوا صِغَــاراً بقَــرْنٍ أَجَـمّ

وبَكّـوا علــى المَعْشَـرِ الأَكْـرَميـنَ　　غَــدَاةَ اللِّقَــاء بــدَمْـعٍ سَجِـمْ[2]

ثم إن بِشْرَ بن سَوَّارٍ مَنَّ على الحُطَم وجَزَّ ناصيته وأَطْلَقَه[3] .

* * *

---

(١) ابن قرط : سلمة بن قرط بن سُفيح .

(٢) سَجم : سَجمَ الدَّمع سُجوماً ، وسِجاماً ، وسَجَمته العين تَسْجُمهُ سَجماً ، وسَجوماً : قطر . (القاموس المحيط) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٥ .

يَومُ حَاجِرٍ(*) بين هوازن وتغلب

وهو يومٌ لبني مَالك بن حُبَيْبٍ ، على هوازن وفيه مَقتل عَبِيدة بن مَالك بن جَعفر ، قتله أُفْنُون[1] .

خَرج صُريمُ بن مُعْشَرِ بن ذُهْل بن تيم بن بكر بن مالك بن حُبَيْب وهو أُفْنُونُ في جمع من تغلب يُريد بني عَامر ، فأغار عليهم بموضع يُقال له حاجرٌ ، وكان سيِّدَ هَوازنَ ذلك اليَّوم طُفيْل بن مَالك فقاتلته هوازن عن حريمها أشَدَّ قِتال ، ثمّ وَلَّتْ مُنْهزِمةً ، وأَخْلَتِ البيوت في أيديهم ، وعطف عَبيدةُ بن مالك بن جَعفرٍ على بني تغلب ، في حُماةِ أصحابه ، فقاتلوهم حتى أَزالوهم عن البُيوت ، وحَمل أُفُنونُ عَلى عَبيدة فَطعنه ، فقتله ، وولَّوا ، وأُسِرَ أبو أسما حَبيب بن الضَّريبة ، وهو فارسُ بني نصرٍ وشاعرهم ، وأُسر أَبناءُ مُسافر ، وعبد الله بن نَصر ، وهَرب طُفيل بن مَالكِ ركضاً ، وأَصابت تَغلب النِّساءَ والنُّعم .

وقال أُفْنُونُ[2] في ذلك :

(*) الاشتقاق ٣٣٦ . الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٣٥ . معجم ما استعجم ١/ ٤١٦ (حاجز موضع في ديار بني تميم) .
ومعجم البلدان ٢/ ٢٣٦ « والحاجر في لغة العرب ما يَمسك الماء من شفة الوادي . وهو موضع قبل معدن النَّقرة . وقال : دون قيد حاجر .

(١) ومن بني تغلب : أفنون الشاعر ، وإنَّما سمِّي أفنوناً لبيت قاله : كما في النقائض والمؤتلف واللآلىء والخزانه .
مَنَّيْتنا الـوُدَّ يـا مَضْنـونَ مَضْنـونـا زَمـانَنـا إن للشبَّـان أُفنـونـا
وأُفنون هو : صُريح بن مَعشر . . . التَّغلبي . (النقائض ٢/ ٨٨٦) . والاشتقاق ٣٣٦ . وانظر ترجمة أُفنون مع الشعراء في هذا الكتاب .

(٢) وفي المفضليات ٢٦٠ قال رجل من بني تَغلب يُلقب بأُفُنونٍ : وهو صُريم بن مَعشر بن ذُهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . . . شاعر جاهلي مشهور .

سَمَوْنَا إلى عُلْيَا هَوَازِنَ بالقَنَا وجُرْدٍ كأَمْثَالِ القِدَاحِ ضَوَامِرِ
تَئِنُّ أَنينَ الحَامِلاَتِ وتَشْتكي عُجَاياتِها من طُولِ نكْبِ الدَّوابرِ
فَما زَالَ ذَاكَ الدّأْبَ حتَّى صَبَحْتُهَا على ما بِها من جَهدِها أَهْل حَاجرِ
فغودِرَ في وَقْعِ العجَاجةِ مِنهُمُ عَبيدَةُ يَدْعُو شاغراً يالَ عَامرِ
صَريعَ قَناً في عُصْبَةٍ عَامِريَّةٍ صَرِيحيَّةِ الأَحْسَابِ غَيْرِ عَواورِ
وقُدْنَا أَبا أَسْمَاءَ فَارِسَ قَوْمِهِ حَبيباً وعبد الله وابْنَيْ مُسَافرِ
وأَفْلَتنا رَكْضاً طُفَيْلُ بن مَالِكٍ وقدْ وَطِئَتْهُ خَيْلُنَا بالحَوافِرِ
وحُورٍ كأَمْثَالِ المَهَا عامِرِيّةٍ عَذَارَى اجْتَلَيْنَا بالرِّماحِ الخَواطرِ
ونَحنُ مَتى ما نَرْمِ قَوْماً بِبغْضَةٍ شَجىً نَاشِبٌ بَيْنَ اللَّهَا فالحَنَاجرِ[1]

وقال أبو دُوادٍ الرُّؤَاسيُّ[2] :

إِنَّ الفَوارِسَ مِنْ حُبَيبٍ جَدَّعَتْ بِعَبيدَةَ الوهَّابِ حَيَّ هَوَازِنِ
أَوْدَى صُرَيْمٌ بالَّذينَ هُمُ هُمُ أَهْلُ الحفَائظِ والفَعالِ الزَّائِنِ
صَبَروا لكُلِّ مُهَنَّدٍ ذِي رَوْنَقٍ صَافي الحَديدِ وكُلِّ أَسْمَرَ مَارِنِ
حتَّى تكشَّفَتِ العَجَاجَةُ عنْهُمُ صَرْعَى بأَبْطَحِ حَاجرِ المُتَبَاطنِ
وابنُ الضَّريبةِ في فَوارِسِ قَوْمِهِ طَوْعَ الجَنِيبَةِ كالقَريعِ السَّاخنِ[3]

* * *

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٢) وهو أبو داود الرؤاسي يزيد بن معاوية بن عمرو بن قيس بن عبيد بن رؤاس بن كلاب ، شاعر فارس ـ كذا في المؤتلف والمختلف للآمدي ١٦٦ ونوادر المخطوطات ٢/ ٢٨٣ (أبو داود الرُّؤاسي وهو يزيد بن معاوية بن عَمرو بن قيس بن عُبيد بن رؤاس) .
(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الحَربُ بينَ الحَارث الأَعرج(*) وبَني تَغْلِب

إنّ بَكراً وتَغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء ، وذلك بعد حربهم ، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شَراحيل بن مُرّة بن هَمّام ، فغزا بهم المنذرُ بني آكل المُرار ، وجعل على بني بَكر وتَغلب ابنَه عَمرو بن هند ، وقال : أُغْزُ أخوالك ، فغزاهم ، فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأُسروا ، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم .

ثمّ انتقضت تَغْلب على المُنذر ولحقتْ بالشام ، وعادت الحرب بينهم وبين بَكر ، فخرج ملك غسّان بالشام ، وهو الحارث بن أبي شِمْر الغسّانيّ ، فَمرّ بأفاريق من تَغلب ، فلم يستقبلوه ، وركب عمرو بن كُلْثوم التَّغلبي فلقيه ، فقال له : ما منع قومك أن يتلقّوني ؟

فقال : لم يعلموا بمرورك .

فقال : لئن رجعتُ لأغزونّهم غَزوة تتركهم ايقاظاً لقدومي .

فقال عمرو : ما استيقظ قومٌ قطّ إلاّ نبل رأيهم وعزّتْ جماعتهم فلا تُوقظنّ نائمهم .

فقال : كأنّك تتوعدني بهم ، أما والله لتعلمنّ إذا جالت غطاريف غسّان الخيل في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومةً لا حُلْمَ فيها ، تُجتثّ أُصولهم ويُنْفَىٰ فلّهم إلى اليابس الجدد والنازح الثمد .

ثم رجع عمرو بن كُلْثوم عنه وجمع قومه وقال :

أَلا فـاعْلَـمْ أَبيـتَ اللعـنَ أَنَّـا ... أَبيـتَ اللعـنَ نَـأْبـى مـا تُـريـدُ

(*) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيد ٥٧٩ . والكامل في التاريخ ١/ ٥٣٩ . والرواية واحدة في المرجعين .

تَعلّـــمْ أَنَّ مَحْمَلنَـــا ثَقيـــلٌ وأَنّ ديـــارَ[1] كَبّتِنـــا شَـــديـــدُ
وأنّـــا ليـــسَ حـــيٌّ مِـــنْ معـــدٍّ يُقـــاومنَـــا إذا لُبِـــسَ الحـــديـــدُ

فلمّا عاد الحارث الأعرج غزا بني تَغلب ، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم ، ثمّ انهزم الحارث وبنو غسّان وقُتل أخو الحارث في عدد كثير ، فقال عمرو بن كُلْثوم :

هـلاّ عَطفتَ علـى أَخيـكَ إذا دَعَـا بالثّكْلِ ويلَ أَبيكَ يا ابن أبي شِمْرِ
فَذُق الذي جَشّمْتَ نَفسَكَ واعْتَرفْ فيها أَخَاكَ وعَامر بن أبي حُجْرِ[2]

* * *

(١) وردت في الكامل في التاريخ ١/ ٥٤٠ (دبار) .
(٢) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة/ ٥٧٩ .

يَوْمُ خَزَاز (*)

ويوم خَزَاز أعظم يوم التقَته العرب في الجاهلية . . . وأن نزاراً لم تكن تستنصف من اليمن ولم تزل اليمن قاهرة لها في كل شيء حتى كان يوم خَزَاز فلم تزل نزار ممتنعة قاهرة لليمن في يوم يلتقونه بعد خَزَاز حتى جاء الإسلام[1] .

وذُكرت روايات عدة ليوم خَزَاز بين مختلفة ومتطابقة ، وكانت رواية ابن الأثير تطابق رواية أبي عُبيدة أو منقولة عنها ، وسأعمل على جمع وقائع هذا اليوم من مراجعه كافة ؛ قال ابن الأثير : يوم خَزاز ، وكان حديثه أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَر وربيعة وقُضاعة ، فوفد عليه وفدٌ من وجوه بني معد ، منهم : سَدوس بن شَيبان ، وعَوف بن عمرو بن جُشَم بن رَبيعة بن زَيد مناة بن عَامر الضّحيْان ، وجُشَم بن ذُهْل بن هِلال بن ربيعة بن زَيد مناة بن عَامر الضّحيْان ، فلقيهم رجل من بَهراء يقال له عُبيد بن قُراد ، وكان في الأسارى ، وكان شاعراً ، فسألهم أن يُدخلوه في عدّة من يسألون فيه ، فكلموا الملك فيه وفي الأسارى فوهبهم لهم ، فقال عُبَيْدُ بن قُراد البهراوي :

نَفْسي الفِداءُ لعَوفِ الفِعَالِ ... وَعَوفِ ولابن هِلالٍ جُشَمْ

(*) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيدة ٢/ ٢٩ . الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٠ ، معجم البلدان ٢/ ٤١٧ . معجم ما استعجم ١/ ٤٩٦ ، العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ .

(١) معجم البلدان ٢/ ٤١٨ ، ٤١٩ . وخَزَاز وكير ومُتالع أجبال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة ، فمتالع عن يمين الطريق للذاهب إلى مكة وكير عن شماله وخزاز بنحر الطريق . (٢/ ٤١٧ معجم البلدان) وفي معجم ما استعجم ١/ ٤٩٦ خزاز جبل لغني وهو جبل أحمر وله هضبات حمر وقد ذكره عمرو بن كلثوم ، فقال :

ونحن غداة أوقد في خزاز ... رفدنا فوق رفد الرافدينا

وخَزَاز في ناحية مَنْعجِ ، دون أُمَرَة ، وفوق عاقل .

تـداركنـي بَعـدمـا قَـدْ هَـويْـ ـتُ مستمسكاً بعَراقـي الـوَذَمْ[1]
وَلَـولا سَـدوسٌ وَقـدْ شمَّـرتْ بـيَ الحـربُ زَلّـت بنَعْلـي القَـدمْ
وَنَـاديـتُ بَهْـرَاءَ كَـيْ يسمعـوا وليـسَ بـآذانهـم مِـنْ صَمـمْ
وَمِـنْ قَبلهـا عَصَمـتْ قَـاسـطٌ معـدّاً إذا مـا عَـزيـزٌ أَزمْ[2]

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينةً وقال للباقين : ايتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي وإلاّ قتلت أصحابكم .

فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فبعث كُلَيْب وائل إلى ربيعة فجمعهم ، واجتمعت عليه معد ، وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد .

فلمَّا اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدّمته السفاح التَّغلبي ، وهو سَلَمة بن خالد بن كَعب بن زُهير بن تَيم بن أُسامة بن مَالك بن بكر بن حبَيْب بن تغلب ، وأَمرهم أن يوقدوا على خَزاز ناراً يهتدوا بها ، وخزار جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة ، وهو قريب من سالع وهو جبل أيضاً ، وقال له : إن غشيك العدوّ فأوقد نارَيْن .

فبلغ مَذْحِجاً اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبلوا بجموعهم واستنفروا مَنْ يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم ، فلمّا سمع أهلُ تِهامة بمسير مَذْحِج انضمّوا إلى ربيعة ، ووصلت مَذحج إلى خزاز ليلاً ، فرفع السَّفَّاح[3] نارَيْن .

---

(١) الوَذَمُ : السُّيور من الجلد بين آذان الدلو والعراقي ، ووذَّمَ الكلب توذيماً : شدَّ في عنقه سَيراً ليُعْلَمَ أنَّه مُعَلّمٌ . (القاموس المحيط) .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢١ . وردت هذه الأبيات في كتاب الأيام لأبي عُبيدة ما عدا البيت (ولولا سدوس . . .) .

(٣) وجاء في معجم البلدان ٢/ ٤١٨ : كان على نزار كلها يوم خَزاز ، الأحوص بن جعفر بن كلاب وهو الذي أوقد النار على خَزاز . وقيل كان كُليب على ربيعة ، والأحوص على مضر . وقال عمرو بن كلثوم :

ونحـن ، غـداةَ أُوقِـد فـي خَـزَازى رَفَـدْنـا فـوق رَفْـد الـرفـدايـنـا
رأسٍ مـن بنـي جُشَـم بـن بكـر نَـدُقُّ بـه السُّهـولـة والحُـزُونـا

فلمَّا رأى كُلَيْبٌ[1] النارين أقبل إليهم بالجموع فصبّحهم ، فالتقوا بخزاز فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل ، فانهزمت مَذحج وانفضت جموعها ، فقال السفَّاح في ذلك :

وليلــةَ بــتُّ أوقــدُ فــي خَــزَازٍ هَــدَيــتُ كتــائبــاً مُتحيّــراتِ
ضَلَلْـنَ مِـن السّهــاد ، وكُـنَّ لـولا سُهَادُ القوم ، أَحْسَبُ هَادياتِ[2]

وقال الفرزدق يخاطب جريراً ويهجوه :

لــولا فَــوارسُ تَغْلــب ابنــة وائــل دخــل العــدوّ عليــك كــلَّ مكــانِ
ضَـربـوا الصنائـع والمُلـوكَ وأقـدوا نــارَيــنْ أَشْــرَفنــا علــى النيــرانِ

وقيل : إنّه لم يعلم أحد مَنْ كان الرئيس يوم خَزاز لأنّ عمرو بن كُلْثوم ، وهو ابن ابنة كُليب يقول :

ونَحــنُ غــداةَ أُقِــدَ فــي خَــزَازٍ رَفَــدْنــا فَــوقَ رِفْــدِ الــرافِــدِينَــا

فلو كان جدّه الرئيس لذكره ولم يفتخر بأنّه رفد ، ثم جعل مَنْ شهد خَزازاً متساندين فقال :

فكنّــــا الأيْمَنيــــنَ إذا التقينـــا وكـــان الأيســـريـــن بنـــو أَبينـــا
فَصَـــالـــوا صَـــولـــةً فيمَـــنْ يَليهـــم وَصُلْنـــا صَـــولـــةً فيمـــن يلينـــا

فقالوا استأثرتَ على إخوتك ، يعني مُضرَ ، ولمّا ذكر جدّه في القصيدة قال :

وَمنّــا قبلــة الســاعــي كُلَيْــبٌ فــأيّ المجــدُ إلاّ قَــدْ ولينــا[3]

فلم يدع له الرياسة يوم خَزَاز ، وهي أشرف ما كان يفتخر له به .

---

(١) كُليب : اسمه وَائل بن رَبيعة بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن بكر بن عمرو بن غنم بن تَغلب (معجم البلدان ٢/ ٤١٩) وانظر ترجمته بهذا الكتاب .
(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢١ وكتاب أيام العرب لأبي عُبيدة ٣١٦٢ ، ٣٢ .
(٣) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٢ .

بينما أورد ياقوت في معجمه قصيدة يعتبرها دليلاً على أن كُليباً كان رئيس مَعَدّ يوم خَزَاز :

كَانَتْ لَنَا بَخَزَازَى وقعة عَجبٌ ،	لما التَقينَا ، وَحَادي الموت يحديها
مِلْنا على وائلٍ في وسط بلدتها ،	وذو الفخار كُليبُ العزّ يحميها
قَدْ فَوَّضُوهُ وَسَارُوا تَحتَ رايته ،	سَارَتْ إليه معدٌّ مِنْ أَقَاصيها
وحِميْر قَومنا صَارتْ مقاولها ،	ومَذْحج العُزُّ صَارتْ في تعانيها[1]

* * *

(١) معجم البلدان ٢/ ٤١٩ .

يَومُ خَوٍّ[*]

لبني تَغلِبَ على بني فَزَارة ، وفيه أُسر حُذَيفةُ .

أَغار عَمرو بن كُلْثوم[1] ، في جَمعٍ من بني تَغلب ، على بني ذُبْيَان بموضع يقال له : خَوٌّ ، والذَّنَائب[2] ، فقاتَلوه قِتالاً شديداً ، ثم إن بني ذُبيان انْهزَمتْ ، وحَمل عَمروٌ على حُذيفة بن بدر فأَسره ، وأصابوا أسرى ، ونعماً كثيراً وسَبايا ، فلمّا وافى به بني تغلب ناشدوه في قتل حُذيفة ، وأشاروا عليه بذلك ، فأبى عَمروٌ ، وقال حُذيفة أنا أَشتري نفسي منك بألف ناقة حمراءَ سَوْدَاء المُقْلةِ .

فقال عَمروٌ : أنت سَيّدٌ من سادات مُضر ، وأنا أُحبُّ الاصطناع ، إلى مِثلك ، فأطلقه وجَزَّ ناصيته ، ورَدَّهُ إلى قَومه ، وقال في ذلك عَمروٌ :

أَلَـمْ تَـرَ أنني رَجُـلٌ صبـورٌ ... إذا مـا المَـرْءُ لـم يَهْمُـمْ بصَبْـرِ
وأَنِّـي بـالـذَّنـائـب يَـوْمَ خَـوٍّ ... مَنَنْـتُ علـى حُـذَيفَـةَ بَعْـدَ أَسْـرِ
ولَـوْ غَيْـري يَجـيءُ بـه أَسيـراً ... لَنَـالَ بـه رَغيبـةَ ذُخْـرِ دَهْـرِ
ولكنّـي مَنَنْـتُ وكـان أَهْـلاً ... لِمـا أَوْلَيْـتُ فـي حَمـلِ بـن بَـدْرِ[3]

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٥٧ . وورد في العقد الفريد ٥/ ٢٤٩ يوم خو أغارت فيه بني أسد على بني يربوع . وهو يوم آخر لا علاقة له بيوم تغلب على بني فزارة . وجاء في معجم البلدان ٢/ ٤٦٦ خوٌّ وادٍ في ديار بني أسد .

(١) عمرو بن كلثوم فارس وشاعر من بني تغلب . أُنظر ترجمته مع الشعراء في هذا الكتاب .

(٢) الذنائب : في أرض بني البكّاء على طريق البصرة إلى مكة . وسوق الذنائب : قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل ، قال مهلهل يرثي أخاه كليباً :

فـإن يـكُ بـالـذنـائـب طـال ليلـى ... فقـد أبكـي مـن الليـلِ القَصيـرِ

معجم البلدان ٣/ ٨ .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٥٨ .

وقال حُذيفةُ يَشكرُ عَمرو بن كُلثومٍ :

إنّـي لمُثْـنٍ وإن كـانَـتْ عَشيـرتُـهُ خُزْرَ العُيُونِ على عَمْرِو بنِ كُلْثُومِ[1]
المُطْلِقِ الغُلَّ عَنّي بَعْدَ ما شَنَجَتْ كَفِّي وما ذَاكَ مِنْ عَمْرٍو بمَكْتُومِ[2]
إذْ قَـامَ مـن جُشَـم عُـزْلٌ تُنـاشِـدُهُ قَتْلـي وتَـأْمُـرُهُ بـالـذّمِّ واللُّـومِ
فـاخْتَـارَ مِنّتَـه عِنْـدِي وقـال لَهُـمْ كُفُّوا فَمَا مَنْ رَجَا عَفْوِي بمَحْرومِ
أَمْسَى حُـذيفـةُ مَـوْسُـومـاً وأُسْرَتُـه بالشُّكْرِ ما استنَّ آلٌ في الدَّيَاميمِ
إنْ يَشْكُـرُوكَ فـإِنَّ الشُّكْـرَ مَكْـرُمَـةٌ أَوْ يَكْفُرُوك فما شُكْري بمَذْمُومِ[3]

* * *

(١) خُزر العُيون : وتَخازر الرجل إذا ضَيَّق جفنه ليُحدِّدَ النظر كقولك تعامى وتجاهل . وعدوٌّ أخزر العين : ينظر عن معارضة كالأخزر العين . وخَزَر . إذا تداهى . والخُزارةُ : انقلاب الحدقة نحو اللِّحاظ وهو أقبح الحول . (لسان العرب خزر) .
(٢) شَنِجَ وتَشنَّج : تَقَبُّضٌ في الجلد (القاموس المحيط) .
(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٥٩ .

النُّعْمان(*) بن زُرْعَة التَّغلبي
و
كسرى ومعركة ذي قار(١)

إن أخبار معركة ذي قار كثيرة وهي ليست موضوع بحثنا هذا ، ولكن النّعمان بن زُرعة التَّغلبي كان له بها دوراً بارزاً ، وكانت تربطه بكسرى علاقات ودية طيبة .

ومن أهم أسباب معركة ذي قال : قتلُ النعمان بن المنذر اللخميّ عديَّ بن زيد العباديّ ، وكان عدي من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز(٢) .

والسبب الثاني : قتلُ كسرى النعمان ومطالبته هانيء بن قبيصة بن هاني بن مسعود ، الشيباني أن يسلم كسرى ما استودعه عنده النعمان ، فأبى هانيء أن يسلم خَفارته(٣) .

وغضب كِسْرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وعنده يومئذ النُّعمان بن زُرْعَة التَّغلبيَّ ؛ وهو يحبّ هلاك بكر بن وائل ـ فقال لكسرى :

يا خيرَ الملوك ، أدلك على غِرّة بكر ؟

قال : نعم .

(*) الطبري ٢/ ١٩٣ ، الكامل في التاريخ ١/ ٤٨٨ ، معجم البلدان ٤/ ٣٣٣ ، أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة/ ٤٨٩ وورد خبر ذي قار في الأغاني ٢٣/ ٢٢٠ ثقافة ، والعقد الفريد ٥/ ٢٦٢ .

(١) وذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وحنو ذي قار : على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس . (معجم البلدان ٤/ ٣٣٣) .

(٢) الطبري ٢/ ١٩٣ .

(٣) الطبري ٢/ ٢٠٧ .

قال : أمهلها حتى تَقيظ ، فإنّهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار ، تساقُط الفَراش في النار ، فأخذتهم كيف شئتَ ، وأنا أكفيكهم .

فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط الفراش في النار » فأقرهم حتى إذا قاظوا ، جاءت بكر بن وائل فنزلت الحِنْو ، حنو ذي قار ؛ وهي من ذي قار على مسيرة ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النُّعمان بن زُرعة التَّغلبي : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فنزل النعمان بن زُرعة على هانيء ثم قال له :

أنا رسول الملك إليكم أخَيّركم ثلاث خصال :

الأولى : إمّا أن تُعْطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء .

الثانية : وإمّا أن تُعَرُّوا الدِّيار .

الثالثة : وإمّا أن تأذنوا بحرب .

إن الخيارات كانت صعبة كلها ، ومتساوية في شدتها ، تسليم الأمانة يعني الخيانة . والرحيل عن الأرض ، يعني هلاك ماشيتهم والبحث عن مكان آخر . والحرب تجربة مُرَّة قاست منها القبائل العربية كثيراً .

وبعد انصراف رسول كسرى ، النعمان بن زُرعة التَّغلبي ، اجتمع القوم لاعطاء القرار ، وكان صاحب الرأي والمشورة بين ظهرانيهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي وكانوا يتيمنون به فقال لهم : لا أرى إلاّ القتال ؛ لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قُتلتم وسُبيَت ذراريكم ، وإن هربتم قتلكم العطش ، وتلْقاكم تميم فتهلككم . فآذنوا الملك بحرب[1] .

معركة ذي قار

كانت بعض القبائل العربية لجانب الفرس ، إذ أرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوي وغيره من

---

(١) الطبري ٢/ ٢٠٧ .

العرب : تغلب ، وإياد ، وقيس بن مسعود بن ذي الجدين وكان على طفِّ سفوان[1] ، فأرسل الفيول .

واشتدت المعارك بينهم ، وأرسلت إياد إلى بكر ، وكانوا مع الفرس ، وقالوا لهم إن شئتم هربنا الليلة وإن شئتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس .

فقالوا : بل تقيمون وتنهزمون إذا التقينا[2] .

وكانت المعركة وكان النصر وتبارى الشعراء يتغنون به وقال ميمون بن قيس يمدح بني شيبان :

فِدىً لبني ذُهْلِ بن شَيْبَانَ نَاقَتي ... ورَاكِبُهَا يومَ اللّقَاءِ وقلَّتِ

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنوِ ، حِنوِ قُرَاقرٍ ... مُقدِّمَةَ الهامَرْزِ حَتَّى تَولَّتِ

وقال بُكير ، أَصَمُّ بني الحارث بن عُبَاد ، يمدح بني شيبان :

إنْ كُنْتِ ساقِيَةَ المُدَامَةِ أَهْلَهَا ... فاسْقي على كرم بني هَمَّامِ

ضَرَبوا بني الأَحْرارِ يَوْمَ لقُوهُمُ ... بالمَشْرفيّ على مَقيل الهامِ

عَرَباً ثَلاثَةَ آلُفٍ وكَتيبَةً ... أَلفينِ أَعْجَمَ ، من بني الفَدَّامِ

وقال أعشى ربيعة :

ونَحنُ غَداةَ ذي قارٍ أَقَمْنَا ... وقد شَهِدَ القَبائِلُ مُحْلبينا

فولَّوْنا الدَّوابرَ واتَّقَوْنا ... بِنُعْمانَ بنِ زُرْعَةَ أكتعينا[3]

وكانت المعركة وكان النبي محمد ﷺ قد بعث فقال لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة جبيش كسرى « هذا أوّل يوم انتصف العرب من العجم وبي نصروا »[4] .

---

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة وبه ماء كثير (معجم البلدان ٣/ ٢٥٤) . وكان كسرى استعمل قيس بن مسعود على طف سفوان (طبري ٢/ ٢٠٨) .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٤٨٨ ، ٤٨٩٥ .

(٣) طبري ٢/ ٢١٢ .

(٤) طبري ٢/ ٢٠٧ . وفي ٢/ ٢٠٨ « اليوم انتصفت العرب من العجم » .

وجاء في كتاب الأيام لأبي عبيدة : « اليوم انتصفت العرب من العجم بي »[1] .

ومر هذا النصر الكبير في تاريخ العرب رغم انقسامهم ولم يأخذوا عبرة في وحدة ، أو تشكيل دولة شأنهم شأن غيرهم مثل الفرس ، أو الرومان ، أو الحبشة . ويظهر أن العصبية القبلية كانت تسيطر على عقولهم ؟!

ويظهر أن النُّعمان بن زُرْعة التَّغْلبي عاش حتى عصر الخليفة عمر بن الخطاب ، لأنه جاء في المعارف : إنما أُضعف الصدقة على نصارى « بني تغلب » لأن عمر بن الخطاب أراد أخذ الجزية منهم ، فانطلقوا هاربين ، فقال له : « النُّعمان[2] بن زرعة التَّغلبي » أنشدك الله فيهم ، فإنهم قوم عرب يأنفون من الجزية ، وهم قوم لهم نكاية ، فلا تُعِن عدوّك عليك ، فأَضعفَ عليهم الصدقة ، وشرط عليهم ألا يُنصِّروا أولادهم[3] .

* * *

---

(١) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة/ ٤٩٢ وجاء في الحاشية : كأنه يريد أن يقول : إن النبي ﷺ قد تنبأ بالنصر في يوم الوقعة قبل أن يصل خبرها إلى الحجاز .
(٢) وورد أيضاً : و« زُرعة بن النُّعمان » .
(٣) المعارف لابن قتيبة / ٥٧٤/ .

يَوْمُ زَرُود (*)

وهو لبني يَرْبُوع على بَني تَغْلِب .

أَغار خُزيمة بن طَارق التَّغلبي على بَني يَرْبُوع ، وهم بزَرود ، فَنُذِروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزِمت بنو تَغلب ، وأُسر خُزيمة[1] بن طارق ، أَسره أُنيف بن جَبلة الضَّبي ، وهو فارس الشِّيِّط ، وكان يومئذ مُعتلاً في بني يَرْبوع ، وأَسيد بن حِنَّاءة السّليطي ، فتنازعا فيه ، فَحَكمَّا بينهما الحارث بن قُراد ، وأم الحارث امرأة من بني سَعد بن ضَبّة ، فحكم بناصيته خُزيمة لأُنيف بن جبلة ، على أن لأَسيد على أُنيف مائةً من الإبل .

فَفَدا خُزيمةَ نَفسَهُ بمائتي بعير وفَرس وقال أُنيف :

أَخذتُك قَسراً يا خُزَيمَ بن طارقٍ ولاقيـتَ منِّـي المـوتَ يـوم زَرُود

وعَـانَقتُهُ والخيـلُ تَـدْمَى نُحُـورُهَـا فـأَنْـزلتُـهُ بـالْقَـاعِ غَيـرَ حَميـدِ[2]

* * *

(*) العقد الفريد ٥/ ١٨٧ وفي الروض المعطار ٢٨٧ زرود : حبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع ، وبزرود أغار خزيمة بن طارق التَّغلبي على بني يربوع فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت تغلب وأُسر خُزيمة وفي ذلك يقول الكحلية اليربوعي :

فقلـت لكـأسٍ أَلجميهـا فـإنّمـا حللـتُ الكثيـبَ مـن زرود لأفـزعـا

وفي معجم البلدان ٣/ ١٥٦ : ويوم زَرود : من أيام العرب مشهور بين بين تَغلب وبني يربوع وقد روي أن الرشيد حج في بعض الأعوام فلما أشرف على الحجاز تمثل بقول الشاعر :

أقـول وقـد جـزنـا زرود عشيـة وراحـت مطـايـانـا تـؤمّ بنـا نَجْـدا

(١) وجاء في حاشية الروض المعطار (حزيمة) وهذا اليوم ما يعرف بيوم زرود الأول .

(٢) العقد الفريد ٥/ ١٨٧ .

حَربُ زُهير(*) بن جَناب الكلبي وبكر وتَغْلِب

كان زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قُضاعةُ ، وكان يُدعى الكاهن لصحة رأيه ، وعاش مائتين وخمسين سنة ، أوقع فيها مائتي وقعة ، وقيل عاش أربعمائة وخمسين سنة ، وكان شجاعاً مظفر النقيبة . غزا غطفان وبكر وتغلب وبني القين .

وأمّا حربه مع بكر ، وتغلب ابني وائل فكان سببها أنّ أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير ، فأكرمه وفضّله على مَنْ أتاه من العرب ، ثمَّ أمرّه على بكر وتغلب ابني وائل ، فوليهم حتى أصابتهم سنةٌ فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج ، فأقام بهم زهير في الحرب ومنعهم من النجعة حتى يؤدّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك .

فلمّا رأى ابن زَيّابة أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان فاتكاً ، أتى زهيراً وهو نائم ، فاعتمد التيميّ بالسيف على بطن زهير فمرّ فيها حتى خرج من ظهره مارقاً بين الصِّفاق ، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه ، وظن التيميّ أنه قد قتله ، وعلم زهير أنّه قد سلم فلم يتحرّكْ لئلا يُجْهِز عليه ، فسكت .

فانصرف التيميّ إلى قومه فأعلمهم أنّه قتل زهيراً ، فسّرهم ذلك .

ولم يكن مع زهير إلاّ نفر من قومه ، فأمرهم أن يُظهروا أنّه ميت وأن يستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه فإذا أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة وساروا به مُجدِّين إلى قومهم ، ففعلوا ذلك . فأذنت لهم بكر وتغلب في دفنه ، فحفروا وعمقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشك مَنْ رآها أن فيها ميتاً ، ثم ساروا مجدّين إلى

(*) الكامل في التاريخ ١/٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

قومهم ، فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبرُ فقال ابن زَيّابة :

طَعْنَةً ما طَعَنْتُ في غَلَسِ الليـ ـل زُهيراً وَقَدْ تُوافَى الخُصومُ
حينَ يحمي له المواسمَ بكرٌ أينَ بكرٌ وأينَ منها الحُلومُ
خانني السيف إذ طَعنتُ زُهيراً وَهوَ سيفٌ مُضلَّلٌ مَشؤومُ

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن ، وغزا بكراً وتغلب ، وكانوا علموا به ، فقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت به بكر ، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضاً ، وأُسر كُليب ومُهلهل ابنا ربيعة وأُخذت الأموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأُسر جماعة من فرسانهم ووجوههم ، فقال زهير في ذلك من قصيدة له :

وَسَبَينا من تَغلبٍ كلّ بَيضا ء رَقُودَ الضُحى بَرودَ الرُّضَابِ
حينَ تَدْعُو مُهَلْهِلاً يالَ بكرٍ ها آهذي حَفيظةُ الأحسابِ
إذْ أَسَرْنَا مُهَلْهِلاً وأخاه وابن عَمروٍ في القيدِ وابن شِهَابِ
وَيحَكُمْ ويحَكُمْ أُبيحَ حِماكُمْ يا بني تغلبٍ أنا ابن رُضَابِ
واستَدَارتْ رَحى المنَايا عليهمْ بليُوثٍ مِنْ عَامرٍ وجَنَابِ[1]

وطالتْ عُمر زُهير ، وشرب الخمر صِرفاً حتى مات[2] .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٠٥ .
(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٥٠٦ .

يَوْمُ سَفَارِ [*]

سَفَار : ماء لبني مَازن بن مَالك بن عَمرو بن تَميم .

وجاء أيضاً : هو منهلٌ قبل ذي قار بين البصرة والمدينة ، وكان فيه يوم مشهور من أيام العرب بين بكر بن وائل وبني تَميم فَرّ فيه جَبْرُ بن رافع فارس بكر بن وائل فسلبه سلمة بن مرارة التميمي بَزّه[1] . هكذا قال ياقوت .

أما البكري فقال : وكان الهُذَيْل التَّغلبي قد أغار على إبِلِ نُعَيمْ بن قَعْنَبٍ الرِّياحي ، فمَرّ يوم وِرْدِها بسَفَارِ ، فتغَارّ[2] أهلها من بني مازن ، وجعل أعوان الهُذَيْل يُورِدون تلك الإبلِ قِطعةً قطعة ، والهُذيلُ قاعدٌ على شَفير البِئر ، فلمّا تَشَاغلَ مَنْ معه رأى منه حُبَاشَةُ المازنيُّ غِرَّة ، فاسْتَدبره بسَهْمٍ فأقصَدَه ، وخَرَّ في الركيَّه فهالوا عليه إلى اليوم .

وقال عُتيبة بن مِرْدَاس أحد بني كعب بن عَمرو بن تَميم :

فَمَـنْ مُبْلِـغٌ فِتْيَـان تَغْلِـبَ أَنّـهُ جَـلاَ للهُـذَيْـل مـن سَفَـارِ قَـريـبُ
إذا طَـرَّبَ الأصـداء طَـرَّبَ وسْطَهـا صَدَّى تَغْلبِيٌّ في القبور غَريبُ[3]

* * *

(*) معجم البلدان ٣/ ٢٥٢ . معجم ما استعجم ٣/ ٧٣٩ .
(١) معجم البلدان ٣/ ٢٥٢ .
(٢) تفاروا : تهاربوا .
(٣) معجم ما استعجم ٣/ ٧٤٠ .

يَومُ سَفحِ مُتَالِعٍ (*)

وهو يومٌ لبني تَغلب على بني تميمٍ .

أغار عَلقمةُ(١) بن سَيف بن شَراحبل بن مَعْشرِ بن مَالك بن جُشم بن بَكْرٍ ، على أخلاطِ تميمٍ فلقيهم بسفح مُتالعٍ : جَبلٍ ممّا يلي الحجاز ، وكان مَقادُهُ إليهم قريباً من شهرٍ ، فلمّا التقوا نادت تميمٌ : يالَ خِنْدف . ونادت تَغلِبُ : يالَ تَغلب ، وتَعاظمَ الشَّرُّ بينهم ، وثَبَتتْ أَخْلاط تميم وبنو سَعْدٍ ، حتّى أَسرعَ القتلُ فيهم وحمل ابنُ قَوْزَعٍ الكِسْرِيُّ كِسْر بن كَعْب بن زُهير بن جُشم ، فَصرعَهُ ، وأَفْلتَ الحارثُ بن الأَخْبَطِ بطَعْنةٍ مات منها بَعْدُ ، وأُجْليَت تميمٌ عن الدار بعد قَتلٍ كثرٍ ، وأصابت بنو تغلب النّساءَ والأموال والأَسرى ، ولم يبق أهل بيت في تميم إلاّ وقد أُصيبوا بمُصيبةٍ وقال ابن قَوْزَعٍ الكِسْري في ذلك :

لَعَمْرُك ما قَاد الجيادَ على الوَغَى ... مَقَادَ ابنِ سَيْفٍ فارسِ الخَيْلِ عَلْقمَهْ

أَبَاحَ تَميماً يَوْم سَفْحِ مُتَالعٍ ... بخَيْلٍ كأَمْثَال القِدَاحِ مُسَوَّمَهْ(٢)

أَصَابَ بها شَهْراً على كُلِّ عِلَّةٍ ... لها مِنْ تَشَكِّيها أَنِينٌ وحَمْحَمَه(٣)

فأَوْرَدَها قَبْلَ الصَّباح مُتَالِعاً ... صِحَاحاً فَجَالَتْ في العَجَاجِ مُكلَّمَهْ

يَخُوضُ لَظَاهَا عُصْبَةٌ جُشَمِيَّةٌ ... لها تَحْت نَقْع الخِنْدِفِيِّينَ غَمْغَمهْ(٤)

وكُنَّا أُنَاساً لا نَرى القَتْلَ سُبَّةً ... ومنْ تَغْلِبَ الغَلْبَاء في النَّاس جُمْجُمَهْ(٥)

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٦٦ ومعجم البلدان ٣/ ٢٥٣ .

(١) كان شريفاً رئيساً في الجاهلية . (الاشتقاق ٣٣٧) .

(٢) مُسوَّمة : سَوَّم الفرس تَسْويماً : جَعل عليها سيمةً . وسوَّم الخيل أرْسلها . والسيمة : العلامة .

(٣) حَمْحَمْه : الحَمْحَمة والتِّحَمْحُم : عَرُّ الفرس حين يُقَصِّر في الصَّهيل ، أي دون الصَّهيل .

(٤) الغَمْغَمَةُ والتَّغَمْغُم : الكلام الذي لا يبين . أي كلام غير بيِّن .

(٥) الجُمْجُمَة : رؤساء القوم . وجماجم القوم : ساداتهم . (لسان العرب) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٦٧ .

ثمَّ إنَّ عَلْقَمةَ بن سَيفٍ أعتق النساءَ وحَملهنّ إلى قوْمِهنّ قبل أن يصل إلى بلاده ، فقالت امرأةٌ من بني مُجاشعٍ :

جَزَى الرَّحمنُ عَلقَمةَ بنَ سَيْفٍ ... على النَّعْماءِ خَيْرَ جَزا مُثَابِ[1]
عن ال مُجَاشعٍ وبَني فُقيمٍ ... وأَحْيَاءِ البَرَاجِمِ والرِّبَابِ
وحَيَّى نَهْشَلٍ وسَرَاةِ سَعْدٍ ... بسَفْحِ مُتَالِعٍ ولِوَى إرَابِ
جَزَزْتَ نَواصياً مِنَّا فراحتْ ... نِسَاءُ الحَيِّ طاهِرَةَ الثِّيَابِ[2]
وأَطْلقْتَ العُنَاةَ وكان يَوْماً ... يَغَصُّ الشَّيْخُ منه بالشَّرَابِ[3]
فأَنْتَ المَرْءُ تُشْكَرُ نِعْمَتَاهُ ... عَلَيْنَا ما بَدَا وَضَحُ السَّرَابِ[4]

* * *

(١) الثَّواب ، والمَثُوبَةُ ، والمَثْوُبَةُ : الجزاء .
(٢) جَزَّ الشَّعر جَزّاً ، وجزّةً ، فهو مَجزوزٌ : قطعه .
(٣) العَنْوَتُ : القَهْرُ . والعواني : النساء ؛ لأنَّهُنَّ يُظلمنَ فلا يَنْتَصِرْنَ . والعاني الأسير . (قاموس محيط) .
(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٦٨ .

يَومُ الشَّرِيَّةِ(*)

وهو يَوْمٌ لبني تَغلِبَ على بني فَزارَة .

كان الأَخْنسُ[1] بن شِهابِ بن شَريقِ بن ثُمَامَة بن أَرْقَم بن عَديّ بن مَالكِ بن رِزَاح بن مُعَاويةَ بن عَمرو يُغيرُ على كَلبٍ وغيرهم ، فقال يوماً حَمَلُ ابنُ بَدْرِ الفَزاريُّ ، وعنده أُناسٌ من النَّمِر : أَبْلغوا عَنّي الأَخْنس بن شهاب أن فزارة ليستْ كمن يُغير عليه كَلبٍ وغيرها ، وقد عَجبتُ له إذ هو من بني مُعاوية بن عَمرٍو كيف بَلغ ما بَلغ ، فَقبح الله بني تَغلب ، كيف يُعْطُون مِثْلَهُ مَقادَهم .

وتكَّلَم فيه بكلِّ قبيحٍ . فلمّا رجع النَّمريّون من عند حَمَل بَلّغوا الأَخنس مَقالة حَمل بن بَدرٍ .

فقال : أَمَا كان ثَمَّ من نَهاهُ ؟

فقالوا : بلى ، قد نَهاهُ أخوه يَزيد بن بدر فلم ينته .

فعزم الأَخنس على غزو بني فَزارة ، فجمع خيلاً من أخلاط بني تَغلب ، فغزاهم فقاتلوه بالشَّريَّةِ قتالاً شديداً ، وانفرد يَزيدُ بن بَدرٍ ، وكان فارس الجميع يومئذ ، فحمل عليه ، الأَخَنس ، فَطعنه فَصرعَهُ وأَسره واستَحَرّ القتل في بني فَزارةَ ، وولّى حَمَلُ بن بَدرٍ ، فَناداه الأَخْنسُ : إلى أين يا حَملُ ؟ وقال :

عُـــودِي فَـــزَارُ ولا تَجْـــزَعـــي فَـــإنّـــا أُنَـــاسٌ لنَـــا مَـــرْجِـــعُ

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٦٩ . ومعجم البلدان ٣/٣٨٧ وجاء فيه : الشَّرِيةُ : هو ماء قريب من اليمن وناحية من بلاد كانت بالشام . قال كثير :

نظــرت وأعــلام الشــريــة دونهــا فَبُــرْ المَــرَوْراتِ الــدّوانــي فسُــورُهــا

(١) انظر ترجمته مع الشعراء في هذا الكتاب .

وأَصاب الأَخْنَسُ الأَسارى والنِّسَاءَ ، وبَذلتْ بنو فَزارةَ في يَزيد من الدِّيةِ أَلف بَعيرٍ ، وبَعثوا بذلك وفوداً .

فقال الأَخنسُ : ما الذّي بذلتم في صاحبكم بأَغْنى من ذُباب خَيلكم ، فوالله لا يكون أَمري فيكم أَمَمَا .

فبكى الوفد وقالوا : كَبَا بِك جَدُّ قومك يا يَزيد ! ولم يَشكّ في قتله بنو تَغلب وبنو فَزارة ، ثُمَّ دعا به الأَخْنس فأطلقه مَنّاً عليه ، وحَمَله ، وكان قبل ذلك مُكْرِماً له ، فقال الأَخْنسُ في ذلك :

أَلَمْ تَرَني مَنَنْتُ عَلى يَزِيدٍ ... وَلَمْ أُشْمِتْ به حَمَلَ بنَ بَدْرِ[1]

رَفَعْتُ بهِ ذِمَامَ أَبي شِهَابٍ ... ولَمْ يَكُ أَسْرُهُ عِنْدي بأَسْرِ[2]

ولو أَنّي أشاءُ لبَاتَ نُصْباً ... يُقَلّبُ أَمْرَهُ بَطْناً لِظَهْرِ

ولو أَنّي أشاءُ لَسَاقَ أَلْفاً ... كَهضْبِ الطَّودِ مِنْ سُودٍ وحُمْرِ

ولكنّي حَفِظْتُ بَني أَبيه ... بِنعمَةِ فَكِّهِ لِبَقَاءِ دَهْرِ

وكانَ يَزيدُ خَيْرَ بَني أبيه ... سِوَى حَمَلٍ وفيهِ كُلُّ نَذْرِ

فَرَاكَضَني وَطَاعَنَني يَزيدٌ ... فَرَدَّ الخَيْلَ كاللَّيْثِ الهِزَبْرِ

ولو غَيري يُنَازِلُهُ يَزيدٌ ... لأَقْعَصَهُ بِنَابٍ أَوْ بِظُفْرِ[3]

وقال يَزيدُ بن بَدْرٍ يَشكرُ الأَخْنسَ بن شِهَابٍ :

جَزَى اللهُ عَنّي والجَزَاءُ بكَفِّهِ ... أَبا الغمْر أَعْني الأَخْنَسَ بنَ شِهَابِ

تَدَارَكَني مِنْ بَعْدِ بُؤْسٍ بنعمةٍ ... وكُنْتُ أَسيراً في جَنَاحِ عُقَابِ

وقَدْ عَرَضَتْ ذُبْيَانُ أَلْفاً كأَنّها ... هِضَابُ أَجَا تَرْعَى بأَرْضِ رِبَابِ

فقالَ لهم رُدُّوا القِلَاصَ فما الذَّي ... بَذَلْتُم بأَغْنَى مِنْ جَنَاحِ ذُبَابِ[4]

---

(١) مَنَّ عليه مَنّاً : أَنْعَمَ . وشَمِتَ ، شَماتاً ، وشَماتَةً : فرِح ببَليَّة العَدوِّ .

(٢) الذِّمام : الحقُّ والحرمة . وأَذَمَّ فلاناً : أجاره .

(٣) القعصُ : قَعصه وأقعصه : قتله مكانه . (القاموس المحيط) . الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٢ .

(٤) القَلُوصُ من الإبل : الشَّابَّةُ إلى أن تُثني ثُمَّ هي نَاقةٌ ج قَلائصُ وقُلُصٌ .

ولمّـا رَأَتْ ذُبْيـانُ مـا قـالَ أَخْنَسٌ ... تَعَـزَّوْا وقـالـوا جَـدُّ قَـوْمِـكَ كَـابِ

فـأَطْلَقَنـي مـن بَعْـدِ مـا ظَـنَّ قَـوْمُـه ... وقَـوْمـي ظَنّـاً لـم يَكُـنْ بصَـواب

ولـم يَبْلـغ الحَمْـدَ الطَّـويـلَ بقـاؤُهُ ... ببَكْـر قَعُـودٍ فـي القِـرَى وبنَـابِ[1]

وقال الأَخْنسُ أيضاً :

وَنَحـنُ أُنَـاسٌ لا حُصُـونَ بـأَرْضِنَـا ... نَلُـوذُ بهـا إلاَّ السُّيُـوفُ القـواطِـعُ

وَجـأوَاءُ تُعْشِـي النَّـاظـريـن كـأَنَّهـا ... إذا ما بَدَتْ قَرْنٌ من الشَّمْس طَالِعُ[2]

وحـامـي لِـوَاءٍ قَـدْ قَتلْنَـا وَحَـامـلٍ ... لِـوَاءً مَنعْنَـا والـرِّمـاحُ شَـوارِعُ

وإنّـا لصَيَّـادُوا الفَـوَارِسِ بـالقَنَـا ... وإنّـا لحَـلاّلُـون حَيْـثُ نُقَـارِعُ[3]

* * *

---

(١) البَكْرة : الفتية من الإبل ج بِكَارٌ . والقَعُودُ : البَكْرُ إلى أن يُثني . والنَّاب والنَّيُوبُ : الناقة المُسنَّة . ولا يقال للجمل ناب (لسان العرب) .

(٢) قرن الشمس : أوّلها عند طلوع الشمس وأعلاها ، وقيل : أوّل شعاعها ، وقيل : ناحيتها (لسان العرب : قرن) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٣ .

يَوْمُ الشِّعْب[*]

غَزا قيسُ بن شَرْقَاء التَّغلبيّ ، فأغار على بني يَرْبوع بالشِّعب فاقتتلوا ، فانهزمت بنو يَرْبوع ، فَزعم أبو هُدْبه أنها كانت اختطافاً ، فأُسر سُحيم[1] بن وثيل الرِّياحي ، ففي ذلك يقول سُحيم :

أَقولُ لَهمْ بالشِّعْب إذْ يأسُرونني أَلَـمْ تَعْلمـوا أنِّـي ابـن زَهْـدَمِ

ففدا نَفسه ، وأُسر يومئذ مُتمِّم[2] بن نُويره ، فَوفد مالك بن نُويره[3] على قَيس بن شَرْقاء في فدائه ، فقال :

هَلْ أَنْتَ يا قيسُ بن شَرْقاء مُنْعِمٌ أو الجَهْـد إن أَعطيْتـهُ أَنـتَ قَـابلـه

فلما رأى وَسامته وحُسن شارته ، قال : بل مُنعم ، فأطلقه .

* * *

(*) العقد الفريد ٥/ ٢٤١ . وهو يوم لبني تغلب على تميم .

(١) سُحيم بن وثيل الرياحي الشاعر ، عاش في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة ، وله عقبٌ في بادية الكوفة وهو الذي يقول :

أنـا ابـنُ جَـلاَ وطـلاَّعُ الثَنـايـا متـى أضـعِ العمـامـة تعـرفـونـي

تمثَّل بها الحجاج على المنبر . (الاشتقاق ٢٢٤) .

(٢) متمم بن نُويرة شاعر رثى شقيقه مالك بن نويرة بالمراثي المشهورة

(٣) مالك بن نويرة قُتل على الردة (جمهرة أنساب العرب ٢٢٤) .

يَومُ عَاقلٍ(*)

وهو يومٌ لبني زَيد بن عَمرٍو ، على بني أَسد ، وفيه مَقتلُ قَيس بن جَابرٍ الأَسَديِّ ، قتله عُبادُ بن عامر التّغلبي .

أغار الهُذيل بن هُبيرة التَّغلبي[1] على بني أسد بن خُزيمة ، يوم عاقل ، ومع بني أَسد يومئذ طوائف من بني كِنانة بن خُزيمة ، فلمَّا التقى القوم حمل عُباد بن عَامرٍ أخو بني الدِّيل[2] بن زيد بن عمروٍ على قَيس بن جابر ، وكان فارس بني كاهلٍ ، فَصَرعه ونادى الحارِث بن ورقاءَ الأَسديّ : يال أسدٍ ، ونادى الهُذيل : يال تَغلب ، واشتدَّ الأمرُ بين الحَيَّيين ، وقُتل من بني الصَّيداءِ وائل بن الحارث ، وفَقعسُ بن غرينة ، ومن بني كاهل عَمرو بن زَيدٍ ، وسُفيان بن الأَزرق في جماعة كثيرة ، وأُصيب نِساءٌ من بني غاضرة وبني الصَّيداء ، وحمى القَومُ بني كاهلٍ حتى حجز اللَّيل بينهم ، وعُبادٌ يَكُرُّ عليهم في سواد الليل ويقول :

نحنُ بني زَيدِ بنِ عَمرٍو في الذُّرا   لا نَطْعُنُ الطَّعْنَةَ إلاَّ في الكُلَى
طَعْناً دِرَاكاً بَعْدَهُ ضَرْبُ الطُّلى   نِعْمَ حُماةُ القَوْمِ نَحنُ في الوَغَى[3]

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٣٩ .

(١) الهُذيل بن هُبيرة ، قد رأسهم في الجاهليَّة ، وكان جراراً للجيوش ، أسره يزيد بن حذيفة السعدي . (الاشتقاق ٣٣٦) .
وجاء نسبه : الهُذيل بن هُبيرة بن قَبيصة بن الحارث بن حُبيب بن حُرفة بن ثَعلبة بن بَكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِب . (جمهرة أنساب العرب ٣٠٧) .

(٢) في تغلب الديل بن زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب . كذا في مختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب ـ والدول من حنيفة ـ والدئل من بني بكر بن كنانة ، منهم أبو الأسود النحوي . (الاشتقاق ٣٢٥) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٤٠ .

وانصرفت تَغلب منتصرة وقال الهُذيل التَّغلبي يفخر ويصف المعركة :

أَلَـمْ يَـأْتِ أَحْيَـاءَ الأَراقـم أَنَّنـا ... وَطِئْنَـا قُعَيْنـاً وَطْـأَةَ المُتَثَـاقِـلِ[1]

وحيٍّ بَنـي الصَّيْـداءِ نِلْنَـا حَـرِيمَهـمْ ... غَـدَاةَ الْتَقَيْنَـا يـوْمَ بُقْعَـةِ عـاقـلِ[2]

ولَمَّـا تَنَـادَوا دَعْـوةً أَسَـديّـةً ... وعَمُّـوا بهـا مِـنْ دُونِ تلـك القبـائـل

ونَاديتُ في حيِّ الأَرَاقم دَعْوَةً ... أَجَـابـتْ عَليهـمْ كُـلّ جِـنٍّ وخَـابـلِ

فأَجْلَوا لنَا عن مَالكٍ وابْنِ قَقْعَسٍ ... وقَيْـسٍ وعَمـروٍ والفَتَـى النَّجْـدِ وَائـلِ

ومن أُسْرةِ المُهْزُولِ قَتْلَى كَثيرَةٌ ... تَخَـالُهـمُ فـي الهيْـج أُسْـدَ الغَيـاطِـلِ

وأَسْرى تَهادَى في القِيَادِ وَنِسوَةٌ ... قُعيْنيَّـةٌ مثْـلُ الظِّبـاءِ الخَـوَاذِلِ[3]

وقالت ابنة قَيس بن جَابر ترثي أباها وقومها :

تَطـاولَ لَيلـي للهُمـوم الحَـواضـرِ ... وشَيَّبَ رأْسي يَومُ قَيس بنِ جَابرِ

فـإِنْ تكُـنِ الأَحـداثُ أَودتْ بفـارسٍ ... عَظيمِ المساعي في السِّنين الغوابرِ[4]

فقـد عَلمـتْ أَحيـاءُ زَيْـدٍ وكَـاهـلٍ ... وعَمْـروٍ ووَدَّانٍ قَبيـلَ الغَـواضِـرِ

بـأَنَّ أَبـي قَـدْ كـان فـارِس قَـومـهِ ... به تَتَّقِي حَدَّ الرِّمَاحِ الشَّواجرِ[5]

فـلا يَهْنِئَـنْ حَـيَّ الأَرَاقـمِ فَقْـدُهُ ... فكلُّ امرىءٍ رَهْنٌ لِرَيْبِ المَقَادِرِ[6]

* * *

(١) الأراقم : من تغلب وإنَّما سُمُّوا الأراقم لأنّهم شُبِّهت عيونهم بعيون الأراقم . والأراقم ضرب من الحيَّات . (الاشتقاق ٣٣٦) .

(٢) عاقل : جبل كان يسكنه حُجرٌ أبو امرىء القيس ، قال رجل من المعمرِّين :
وأَعْقِـلُ حُجـراً ذا المـرار بعَـاقـلٍ ... وأيَّـام بكـر إذ تَعـاوتْ وتَغْلـبِ
(معجم ما استعجم ٣/ ٩١٣) .
ـ وعاقل : على طريق البصرة إلى المدينة . (معجم ما استعجم ٢/ ٤٩٦) .
ـ وبطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة بين رامتين وإمّرة . (معجم البلدان ٤/ ٧٨).

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٤١ .

(٤) الغبراء من السنين : الجدْبَةُ .

(٥) رماح شواجر ، ومُشتجرة ، ومُتشاجرة : مختلفةٌ مُتداخلة . وشَجره بالرمح : طعنة (لسان العرب ـ شجر) .

(٦) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٤٢ .

يَومُ غَبْغَب (*)

وهو يومٌ لبني مُعاوية[1] بن عَمروٍ ، على بني فزارة .

خرج الأَخنس[2] بن شِهاب في خَيلٍ من بني تَغلب ، فأغار على بني فَزارة يوم غَبغب ، فاقتتَلُوا قِتالاً شديداً ، وحَملَ الأَخْنس على حُذيفة بن بَدرٍ فطعنه فأَرْداهُ عن فَرسه وتنادت فَزارة فَخلَّصته من المعركة ، وصَبروا حتى كُثر القتلُ بين الفريقين ، ثم انهزمت فَزارة ، وقُتل منهم سَمْحُ بن عَمروٍ بن مُسْهِرٍ ، وقُرَّةُ بن عبد الله ، ومازن بن نِيَارٍ ، ومُرَّة بن ظالم ، في قَتلى كثيرةٍ ، وأصابوا سَبياً ونُعماً .

فقال الأخنس :

صَبحْنَــا فَــزارةَ قَبْــل الشُــروقِ ... بِشُــمِّ العَــرانيــنِ مــن تَغْلِــبِ
بكُــلِّ فَتــىً غَيْــر رِعْــدِيــدةٍ ... يُــرَوِّي السِّنــانَ إلــى الثَّعْلَــبِ
علــى كُــلِّ جَــرْدَاءَ سُــرْحُــوبــةٍ ... وَأجْــردَ ذي ميْعــةٍ سَلْهَــبِ
فلمَّــا رأوهــا تُثيــرُ العَجَــاجَ ... خَــوارجَ مِــنْ جَــانبــي غَبْغَــبِ
تَنَــادى حُــذيفــةُ فــي قَــومــهِ ... ونَــوَّهَ بــالأَقْــربِ الأقــربِ
فــأَطْعُنــه فَهــوى للجبَيــنِ ... وحَصَّنَــهُ آجــلٌ مُــرْبَــبِ
وأَقْشَعــتِ الحَــرْبُ عــن مــازنٍ ... وسَمْــحٍ ومُــرَّة والأَشْهَــبِ
وَعَمــروٍ وقــرة فــي عُصْبــةٍ ... مَقــاحِيــمَ فــي حَــرْبهــم شُغَّــبِ

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٤٣ ـ لسان العرب (غبغب) . ومعجم البلدان ٤/ ٢١٠ .

(١) معاوية بن عمرو بن غَنْم بن تغلب (المفضليات ٢٠٣) وهم قوم الأخنس التَّغلبي .

(٢) انظر ترجمة الأخنس في هذا الكتاب مع الشعراء .

وأبْنَــا بكُــلّ فَــزَارِيَّــةٍ مُهَفْهَفَـةِ الكَشْـحِ كـالـرَّبْـربِ[1]
وأُبْنَـا بقَـرْنٍ لنـا نَـاطـحٍ وآبُـو بقـرْنٍ لهُـمْ أَعْضَـبِ[2]

* * *

يَوم الفُرات[*]

وهو يوم للمُثَنّى بن حَارثة الشيباني على تَغْلِب .

أغار المُثَنّى بن حَارثة الشَيبانيّ ، وهو ابن أخت عِمْران بن مُرّة ، على بَني تَغْلِب ، وهم عند الفُرات ، وذلك قُبَيْل الإسلام ، فظفر بهم فَقتل مَنْ أخذ من مقاتلتهم وغرق منهم ناسٌ كثير في الفُرات وأَخذ أموالهم وقسّمها بين أصحابه ، فقال شاعرهم في ذلك :

وَمِنّـا الـذي غَشّـيّ الـدليكـةَ سَيْفَـهُ علي حينِ أَنْ أَعيَا الفُراتَ كَتَائِبُهْ[1]
وَمِنّـا الـذي شَـدَّ الـرَّكـيَّ ليستقـي وَيسقي مَحْضاً غَير ضَافٍ جوانبُهْ[2]
وَمِنّـا غَـريـبُ الشَّـام لـمْ يُـرَ مِثْلُـهُ أَفَـكَّ لِعَـانٍ ، قَـدْ تَنَـاءى أَقـارِبُـهْ[3]

* * *

---

(١) آب : رجع . والأَوبُ ، والإيابُ ، والأيبة : الرجوع . وآبت الشمس : غابت .
(٢) شاة عَضباء : مكسورة القرن . والذكر أعضب . وقيل : العضب يكون في أحد القرنين : وكبش أعضب بين العضب ، قال الأخطل :
إنَّ السُّيُـوف ، غُـدوُهـا ورَواحهـا ، تَـركـتْ هَـوازنَ مثل قَـرنِ الأَعْضـبِ
(لسان العرب ـ عضب) .
(*) الكامل في التاريخ ١/٦٤٧ ، وأيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢/ ٦٠٤ . والرواية واحدة في المرجعين .
(١) الدليكة : فرس المُثنى بن حارثة .
(٢) والذي شدَّ الركي : مُرّة بن همّام .
(٣) وغريب الشام : ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة .
ـ أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيدة ٢/ ٦٠٤ .

يَومُ فَلْجٍ (*)

وهو يَومٌ لبني تغلب على بني تميم .

أَغار النُّعمانُ بن زُرْعة بن هَرْميّ بن السَّفَّاح بن خَالد بن كَعْب بن زُهَير بن تَيمْ بن أُسامة ، في خَيل من بني تَغلب ، على بني تميم بفَلْجٍ .

فلمّا التقى النّاس ، وكان على تميم هُريم بن مالك ، فَنادى : يالَ مُضَرَ ، يال خِنْدَفَ . ونادى النُّعْمَانُ : يال تَغلبَ : يال مَالك بن بَكْرٍ ، فَحشدتْ تَغلب ، وحَشدتْ تَميمٌ ، واشتدَّ القتال وعَظُمَ الشَّرُّ بين الفريقين ، وكَثُرَ القيلُ ، ثمَّ إنَّ حَسّان بن زُرعة ، أخا النُّعْمَان ، حَمَلَ على هُريم بن مَالك الحَنظليّ ، فَطعنه فَصرعهُ ، وتنادى القوم على دَمه فَقُتل من بني تَميمٍ يومئذٍ مالك بن قُرَّة ، وعَوفُ بن حابس وابن حُرْثَانَ ، وعِقَالُ بن أَوسٍ وعُطارِدُ بن حارثة ، وخَلْقٌ ، وأُسِرَ من سَرواتهم نَفرٌ ، وأَصابت تَغلب سَبايا وأَموالا عِظاماً ، وقد كانت تَغلب جالت جولةً ، فَثَبَتَتْ بنو تَيمْ بن أُسامة خاصّةً حتّى أَزالُوهم عن أَفاريقهم وكانت كُماة النَّاس يومئذٍ بنو زُهير بن تَيْمٍ ، وأَوّل من قُتلَ في هذه الوقعة غُلامٌ من بني عِمْران بن تَغلب ، يُكنى أبا أُثالٍ كان حليفاً في بني حنظلة ، فقال في ذلك اليوم النُّعمان بن زُرعة[1] :

لعَمْـــرُ أَبيـــكَ والأَنْبَـــاءُ تَنْمـــي وقَـدْ تُجْلَـى العَمَـايَـةُ بـالسُّـؤَالِ[2]

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٤ . ومعجم البلدان ٤/ ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، معجم ما استعجم ٣/ ١٠٢٧ . وفي المعجمين أكثر من موقع باسم فلج . وفي اللسان : اسم بلد ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة : طريق بطن فلج . وفلج موضع بين البصرة وضريّة . وقيل : هو واد بطريق البصرة إلى مكة . قال الأشهب بن رميلة « وإنَّ الذي حانت بفلجٍ دماؤهم . . . » وفي الكامل في التاريخ ١/ ٦٥٢ يوم فَلْج لبكر بن وائل على تميم . ربما كانت تحدث في الموقع الواحد غزوات عدة ، أو أن هناك مواقع عدة تحمل اسماً واحداً .

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) أنماه : أذاعه . والعَمَايَةُ : الغواية واللَّجاج . (لسان العرب) .

لِنِعْمَ فَوَارِسُ الهَيْجَاءِ تَيْمٌ على فَلْجٍ صَبَاحَ أبِي أُثَالِ
غَدَاةَ رَأَتْ نَواصِيهَا تَمِيمٌ عِجَالَ الشَّدِّ سَاقِطَةَ النِّعَالِ[1]
عَلَيْهَا كُلُّ أَصْيَدَ مَالِكِيٍّ من الشُّمِّ الشَّرَامِحَةِ الطِّوَالِ[2]
دَارَت بَيْنَنَا رَحَيَا مُدِيرٍ يُسَاقُونَ المَنِيَّةَ بالسِّجَالِ[3]
طِعَانٌ تَخْرُجُ النَّسَمَاتُ منه وَضَرْبٌ يَخْتَلِي هَامَ الرِّجَالِ
فَغُودِرَ مَالِكٌ وأَبُو يَزِيدٍ وقَعْقَاعٌ وأَجْلَوْا عن عِقَالِ
وَأُبْنَا بالنِّهَابِ وبالسَّبَايَا وبالأَسْرَى تُقَوَّدُ في الغِلاَلِ
فقُولا للأَرَاقِمِ غَيْرَ بَغْيٍ وبَغْيُ المَرْءِ أَقْرَبُ للسَّفَالِ[4]
أَلا إِنِّي رَأَيْتُ بني زُهَيْرٍ فَوارِسَ مَالِكٍ يَوْمَ النِّزَالِ
كما أَنِّي وَجَدْتُ سَرَاةَ غَنْمٍ بَنِي تَيْمٍ إذا اخْتَلَفَ العوالي[5]

وقال حسّان بن زُرْعَةَ في قَتْلِهِ هُرَيْمَ بن مَالك الحَنْظَلي :

سَائِلي عَنِّي زُهَيْراً تُخْبَرِي يَوْمَ فَلْجٍ والمَنَايَا تَخْتَطِفْ
يَوْمَ غَادَرْتُ هُزَيماً ثَاوِياً وسِنَانُ الرُّمْحِ فيه مُنْقَصِفْ[6]
تَعْصِبُ الطَّيْرُ عَلَيْهِ كُلَّمَا حَاوَلَ النُّهْضَ تَأَبَّاه النَّزَفْ[7]

---

(١) نواصي النَّاس : أشرافهم . النَّعْلُ : ما وقيت به القدم من الأرض . ج نِعالٌ .
(٢) الأَصْيدُ : المَلِك . والأشمُّ : السَّيِّد ذو الأنفة . والشَّرْمَحُ ، والشَّرْمَحيُّ من الرجال : القوي الطويل .
(٣) سِجالٌ : الحرب بينهم سجال ، أي سَجْلٌ منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . وساجَله : باراه وفاخره .
(٤) الأراقم من تغلب ، وإنما سُمُّوا الأراقم لأنهم شُبِّهت عيونهم بعيون الأراقم . والأراقم : ضرب من الحيَّات . (الاشتقاق ٣٣٦) . والسَّفالة : النَّذالة .
(٥) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٦ .
(٦) هُزيم ـ ورد هذا الاسم في شعر حسان بن زُرعة . بينما ورد في كافة المواضع من يوم فلج هُريم . وثوى : مات .
(٧) عُقبة : كلُّ جماعة رجال وخيل بفُرسانها ، أو جماعة طير أو غيرها : عُصبة وعِصابَةٌ ، ومنه قول النابغة الذبياني : (عِصابةُ طَيْرٍ تَهْتَدي بعَصَائبِ . . .) (اللسان ـ عصب) .

فَنــأَي مِنِّــي وفــي حَيْــزومِــهِ ... مِثْلُ جَيْبِ الدِّرْعِ تَمْكُو وتَكِفْ[1]

ولَقَــدْ تعْلَــمُ تَيْــمٌ أَنّنــي ... نِعْمَ حَشْوَ الدِّرْعِ في اليومِ الكَسِفْ[2]

إِذْ لَقيتَــا مِــنْ تَميــمٍ عُصْبَــةٌ ... كقُرُومِ الشَّوْلِ تَمشي في الزَّغَفْ[3]

يَـوم نَـادَتْ فـي وَغَـاهَـا خِنْـدِفـاً ... وتَنَــادَيْنَــا بــآبَــاءٍ شُــرُفْ

مــن زُهَيْــرٍ دُونَ حَيَّــيْ مَــالــكٍ ... وَزُهَيْــرٌ نِعْــمَ مِــرْدَاةُ الهَــدَفْ

وأَبــي السَّفَّــاح ألقــى خــالــداً ... تَــالِـدَ المجْـدِ وكَعْـبٌ قَـدْ عُـرِفْ

عِصْمَــةُ النَّــاسِ إذا مــا أَمْحلَــوا ... وشِهَـابٌ حيـنَ تَصْطَكُّ الحَجَفْ[4]

وقالت الحَنْظليَّةُ ترثي من أُصِيب منهم من قصيدة :

أَبْقَـى ابـنُ زُرْعَـةَ أَنْـوَاحـاً مَفَجَّعَـةً ... تَفْرِي الجُيُوبَ على عَوْفٍ وحُرْثَانِ[5]

فأنْعَى عِقَالاً وقَعْقَاعاً ومن عُدُسٍ ... زَيْـدُ بـنَ عَمـروٍ وأَوْسـاً وابـن زَبَّـانِ

إنَّ ابْــن زُرْعَــةَ حَســانــاً وأُسْــرَتَــه ... جَرُّوا عَلَيْنَا شُؤُوناً ذَاتَ أَشْجَانِ[6]

* * *

---

(١) الحَيـزوم : وسـط الصـدر . وقيـل الصـدر . أو مـا استـدار بـالظهـر والبطـن . (اللسان ـ حزم) .

(٢) كسَفَ : كسَفَتْ الشمس تَكْسِفُ كُسوفاً : ذهب ضوءُها واسوَدّت . (اللسان ـ كسف) .

(٣) الزَّغْفُ والزَّغفة : الدِّرْعُ المُحكمة . وقيلِ الواسعة الطويلة . (اللسان ـ زغف) .

(٤) الحَجَفُ : ضَرب من التُّرسَةِ، واحدتها جَحَفَةٌ، وقيل : هي من الجلود خاصة . قال الأعشى :

لسنـا بعيـرٍ ، وبيـت الله ، مـائـرةٍ ، ... لكـن علينـا دُروع القـوم والحَجَـف

(لسان العرب ـ حجف) .

ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٥) نوح : التَّناوح : التَّقابُل . وناحت المرأة على زوجها . وناح الرجل : بكى واستبكى غيره ، وفجع : فَجَّعَهُ : أوجَعَه . والفجيعة : الرزية ، ونزلت به فاجعة . تفري الجيوب : تشقها .

(٦) الشَّأْنُ : الخَطْبُ والأَمر . والشَّجن : الهَمُّ والحزَنُ . (القاموس المحيط) .

ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٨ .

يَوْمُ الكُلابُ(*) الأَوّل

ذُكر هذا اليوم في مراجع عدة ، اختلفت الروايات فيه ، وتشابهت في بعضها ، وتطابقت أخرى ، وكانت رواية أبي عُبيدة معمر بن المثني التيمي هي المرجع الأوفر حظاً الذي تناقل الرواة عنه أخبار هذا اليوم وسأذكر ذلك في الحاشية كل ما يغني الموضوع من ايضاحات والتعليقات التي وردت .

قال أبو عُبيدة : وكان من حديث الكُلاب الأول ، أن قباذ ، ملك فارس . لما مَلك كان ضعيف الملك[1] ، فوثبت ربيعة على المنذر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، لأنه كانت له ذؤابتان[2] ، فخرج منهم ، حتى مات في أياد ، وترك ابنه المنذر بن المنذر فيهم ، وكان أرجى[3] ولده ، فانطلقت ربيعة إلى كندة ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على

(*) عقد فريد ٥/ ٢٢٢ . الكامل في التاريخ ١/ ٥٤٩ ، أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيدة ٢/ ٤٥ ، الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٩٦ ، ٢٠٩ . معجم ما استعجم ٤/ ١١٣٢ . الأغاني ١٢/ ٢٠٧ .

وجاء في معجم البلدان ٤/ ٥٣٦ : قال أبو زياد : الكُلاب وادٍ يُسلك بين ظهري ثَهْلان ، وثهلان : جبل في ديار بني نمير لاسم موضعين أحدهما اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل : ماء بين جَبَلة وشَمَام على سبع ليال من اليمامة وفيه كان الكُلاب الأوّل والكُلاب الثاني من أيامهم المشهورة ، واسم الماء قِدَةَ ، وقيل قِدّة ، بالتخفيف والتشديد ، وإنما سمي الكُلاب لما لقوا فيه من الشر . وقال أبو عبيدة : والكُلاب عن يمين شَمام وجَبَلة ، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وكان أعلاه وأخوفه لأنه يلي اليمين من اليمن .

(١) تومى القصة إلى قضية قباذ والمزدكية ، لكن اختصار الرواية هنا وتبعثرها هو الذي ضيع حبكتها وسردها .

(٢) الأنباري : النعمان الأكبر أو المنذر الأكبر ، وقد تفرد بهذه الرواية ، وهو وهم ، لأنه بعد قليل يقول : فهو ذو القرنين بن النعمان .

(٣) الأغاني أذكى . ١٢/ ٢٠٧ .

بكر بن وائل ، وحشدوا له وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق[1] .

وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش ، فلما رأى ذلك المنذر ، كتب إلى الحارث بن عمرو : « إني في غير قومي ، وأنت أحق من ضمني واكتنفني ، وأنا متحول إليك » .

فحوله إليه ، وزوجته هنداً ، وهي التي يقول لها القائل : يا ليت هنداً ولدت ثلاثة . . . فولدت ثلاثة ذكور ، بعضهم على رأس بعض ، ولدت عمراً ، مضرط الحجارة ، ابن هند سمي بذلك لشدته ، وقابوس ، قينة العراق ، ابن هند ، وكانت فيه حلية أي ليناً ، وليس بالمخنث ، لقب له . والمنذر بن هند الأكبر . فتهادنا وكف المنذر عنه ، وطفئت النائرة بينهما ، ورجع إلى الحيرة[2] .

---

(١) في العقد الفريد : انهم لما أتوا تبعاً ، ملك عليهم الحارث بن عمرو وآكل المرار الكندي ، فقدم فنزل بطن عاقل ، ثم غزا ببكر بن وائل ، حتى انتزع عامة ما في يد ملوك الحيرة اللخميين وملوك الغسانيين ، وردهم إلى أقاصي أعمالهم ، ثم طعن في نيطه ، أي مات وقد دفن ببطن عاقل . واختلف أبناء شرحبيل ، وسلمة في الملك فواعدا الكُلاب . . . وتذكر رواية أخرى أن الحارث مات في الصيد بمسحلان ، وهو يوم مسحلان ويُذكر غير ذلك « أيام العرب قبل الإسلام ١/ ٤٥/ ٤٦ » .

(٢) جاء في النقائض ١/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ (الصاوي) ولذلك فخر الفرزدق حيث يقول :

منا الذي جمع الملوك وبينهم ... حرب يشب سعيرها بضرام

فالذي سعى في تزويج هند بنت الحارث بن عمرو من الملك المنذر هو سفيان بن مجاشع بن دارم ، جد الفرزدق . ويقال إن الذي سعى في تزويج هند بنت الحارث الملك الكندي من المنذر الأكبر الملك اللخمي هو زرارة بن عدس بن زيد بن دارم . ويقال إن زرارة أجار عيال ثلاثة أملاك من آل المنذر ، وذلك أن ملوك العراق كانوا يحاربون ملوك الشام ، فإذا أرادوا المسير إلى الشام ، جعلوا عيالاتهم في جوار أعز العرب ، وفي ذلك يقول مسكين الدارمي :

أجرنا ابن ماء المزن وابن محرق ... جميعاً وشر القول ما هو كاذب

ثلاثة أملاك ثووا في بيوتنا ... إلى أن بدت منهم لحي وشوارب

يُشير بابن ماء المزن إلى المنذر الأكبر ، وبابن محرق إلى قتيل بني تميم يوم أوارة ، وملك ثالث قتله الحارث بن ظالم كان من بني ذبيان أيام حرب غطفان وعامر .

ففرق الحارث بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل ، وحنظلة بن مالك وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب .

وصار معد يكرب ـ وهو غلفاء[1] ـ في قيس .

وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة .

وكانت مع شرحبيل طوائف من بني دارم بن مالك ، من ولد أسيدة[2] بنت عمرو بن ربابة بن عمرو بن امرىء القيس بن فتية بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة[3] ، اخوة التغلبيين لأمهم بن أسيدة بنت عمرو ، وهي أم عمرو بن دارم ، وربيعة بن مالك ، ودارم بن حنظلة (ورزام بن مالك بن حنظلة)[4] واخوتهم لأمهم جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب ، وهم زهير ومالك وسعد ومعاوية والحارث وعمرو وعامر بن جشم .

ومع معد يكرب ، الضائع وهم الذين يقال لهم بنو رقية ، أُمٌ لهم ينسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، من شذاذ الناس .

فلما هلك أبوهم والحارث بن عمرو ، تشتت أمر شرحبيل وسلمة ، وتفرقت كلمتهما ، ومشى الرجال بينهما ، فكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهما ، وتفاهم أمرهما حتى جمع كل واحد منهما لصاحبه الجموع ، وزحف

---

(١) سمي بغلفاء لأنه يغلف رأسه بالطيب . وهم كلهم أعمام امرىء القيس الشاعر « حاشية ص٤٦ ، ٤٧ ـ كتاب أبي عبيدة » .

(٢) ابن الأنباري ، قال هشام : بنو أسيد ، بغير هاء ، وهي امرأة بنت عمرو بن ربابة وهي أم دارم بن مالك

(٣) يراجع في هذا النسب الجمهرة لابن حزم ص٤٥٢/ . . . تغلب بن حُلوان بن عِمران بن الحافي بن قُضاعة .

(٤) زيادة من التبريزي .

إليه بالجيوش ، فسار شرحبيل في بني بكر ومن معه من القبائل ، فنزلوا الكُلاب وهو ماء بين الكوفة والبصرة ، وهو من اليمامة على سبع ليال أو نحوها . وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمر « وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم »[١] ومن معه من القبائل ، وفي الضائع (وهم أتباع الملوك) يريدون الكلاب .

وكان نصحاء سلمة وشرحبيل نهوهما عن الفساد والتحاسد ، وحذروهما الحرب وعثراتها ، فلم يقبلا ولم يتراجعا[٢] ، وأبيا إلاّ التتابع واللجاجة .

فقال سلمة في ذلك :

أنّـى علـيّ أسْتَتَـبَّ لَـوْمُكُمـا ... ولَـوْ تَلُـومـا عَمْـراً ولا عُصُمـا[٣]

كَـلاَّ يَميـنَ الإلـه يَجْمعُنَـا ... شَـيءٌ وأخـوالَنـا بَنـي جُشَمـا

حَتَّـى تَـزورَ السِّبـاعُ[٤] مَلْحَمَـةً ... كـأَنَّهـا مِـنْ ثَمـودٍ أَوْ إِرَمـا

يعني عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم ، وعصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير . وعصم هو أبو حنش ، يعني لوموا هؤلاء فهم قتلوه .

وزعم أبو المنذر عن أبيه : أن أول من اشتد ملكه من كندة ، بأرض معد حجر بن عمرو بن معاوية ، ومعاوية آكل المرار . فهلك فملك ابنه عمرو ملك أبيه لم يعده ، فسمي المقصور ، لأنه قد قصر على ملك أبيه .

فاستنجد عمرو المقصور ، مرثد بن عبد ينكف الحميري ، على ربيعة ، فأمده بجيش عظيم ، فالتقوا بالقنان[٥] فشد عامر الجون على عمرو المقصور فقتله ، وبذلك يقول أبو عدي النمري :

---

(١) زيادات ابن الأنباري .
(٢) وردت في النص (يتراجرا) .
(٣) في النقائض ١/ ٤٥٤ . ولمْ .
(٤) في النقائض ١/ ٤٥٤ الضباع .
(٥) هذا هو يوم القنان .

منعنا لكم يوم القنان نساءكم وقد كدن يمنعن ساقاً ومئزرا

فتزوج عمرو أم أُناس بنت عوف[1] بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وأمهما أُمامة بنت زهير بن جشم بن تغلب ، فولدت له الحارث .

وكان أخوي أم أناس لأمهما ، حارثة وقيس ، ابنا عمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان . فملك الحارث أربعين سنة ، المدر والوبر ، وصالح قباذ على أن لقباذ ما خلف الصراة ، وللحارث ما دونهما من أرض العرب .

وقد كان الحارث قبل أن يموت ، خرج يتصيد ، فرفعت له عانة[2] ، فشد فانفرد بتيس ، وألظ به الحارث فأعياه ، فآلى بالية لا يأكل إلاّ من كبده ، وهو يومئذ بمسحلان[3] ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام ، فأتى بعد ثالثة ، وقد كاد يموت من الجوع . فهضبت لحمه على النار فأخذ فلذة من كبده حارة ، فأكلها ، فمات من حرارتها[4] .

بدء يوم الكُلاب .

وكان بدء يوم الكُلاب ، أن الغلفاء سلمة بن عمرو بن الحارث الكندي ، كان في بني تغلب ملكاً ، وكان أخوه شرحبيل ملكاً على تميم وقيس وبطون من بكر بن وائل ، فَعلا الشر بين الملكين . فبعث شرحبيل ، مجاشع بن العقيلة التميمي في خيل من بني تميم ، فأغاروا على ناحية لبني تغلب ، فأصابوا أفراساً سائمة ، فقال رجل من بني ذهل بن شيبان كان معهم :

لا تأْخُذَنْ أَفراسَ تَغلِبَ إِنّها يا ابْنَ العَقِيلَةِ شَوْبُ سمٍّ ناقِعِ
والشرُّ مَبدؤهُ[5] الصَّغير وهذهِ فيها مَهالِكُ نَهْشَلِ ومُجاشِعِ

---

(١) عوف المشهور بوفائه وكرمه . وفيه يقول المثل : لا حر بوادي عوف .

(٢) العانة : القطيع من بقر الوحش .

(٣) هذا هو يوم مسحلان . والزيادة من الأنباري . ومعنى ألظ به ألا لازمه وألح عليه في المطاردة ليصطاده .

(٤) زيادات ابن الأنباري (حاشية ٤٩) .

(٥) في الأنوار ١/ ٢١٠ والشَّرُّ يَبْدؤهُ . . .

ثم أقبل يزري على بني تغلب ويضع منها .

وكان حنش بن مالك التغلبي زواراً للملوك عظيم القدر فيهم ، وكان عنده ابنه معبد بن حنش قائم على رأسه بيده قوس له عرابية ، فرفع معبد قوسه فضرب بها هامة الملك فطيرها عن رأسه . وسقط الملك مغشياً عليه ، وتصايح الناس :

ـ قتل الملك !!..

فدخل ابنه عمرو فرأى بأبيه ، فاستوثق من معبد ، فلما أفاق قدّم معبداً فضرب عنقه ، وجعل رأسه بين يديه ، فدخل حنش فقال :

ـ لا خير لك في صحبتي بعد هذا الرأس ، فسرحني سراحاً جميلاً ، فوالله لا أغسل رأسي حتى ألقاك في الخيل التي ازريت عليها .

فسرّحه وأجله ثلاثاً ، فلحق ببني تغلب[1] .

وقال حنش بن مالك التغلبي :

لعَمْرُكَ ما لي في جِوَارِكَ حَاجَةٌ ... ولا خَيْرُ عَيْشٍ بعد قَتْلِكَ مَعْبَدا

أَمِن ضَرْبَةٍ بالقَوْس لم يَدْمَ كَلْمُهَا ... ضَرَبْتَ بمَصْقُولِ الذُّبَابِ مُقَلَّدَا

فتىً مالَ رَيْعانُ الشَّبابِ بحِلْمِهِ ... ولمْ يُصْدِرِ الأَمْرَ الّذي كان أَوْرَدَا

ولو كُنْتُمُ إذْ زَلَّتِ النَّعْلُ زَلَّةً ... دَخَرْتُمْ[2] بها عندي لقَوْمِكمُ يَدَا

فإن تُبْقني الأَيّامُ أَجْزِكَ مِثْلَها ... شُرَحْبيلُ في شِبْلَيْك عَمْرٍو وأَسْوَدَا

وإلاَّ أَنَلْ ثَأْرِي من اليَومِ أَجْزِهِ ... بما قَدَّمَتْ كَفَّاهُ في مَعْبَدٍ غَدَا

ولَنْ يَسْبِقُوا آلَ المُرارِ بثَأْرِه ... مَدَى الدَّهْرِ ما نَاحَ الحَمَامُ وغَرَّدَا

فإنْ أَنا لَمْ أَغْشِ الكُلابَ بفِتيةٍ ... على كُلِّ مَحْبُولِ الرِّحَالةِ أَجْرَدَا[3]

---

(١) أيام العرب قبل الإسلام ١/ ٥٠ .

(٢) دخرتم : في الأنوار ومحاسن الأشعار « ذخرتم » .

(٣) أجردا : في الأنوار ومحاسن الأشعار « أحردا » .

وكُـلِّ سبُـوحٍ فـي العِنَـانِ مُقلِّـصٍ كسِرْبِ القَطَا يحْمِلْن مَجْداً وسُؤْدَدَا
فَـوَارِسُهَـا مِـنْ تَغْلِـبَ ابْنَـةِ وَائِـلٍ بنـو كُـلِّ أَبَّـاءِ الـدَّنِيَّـةِ أَصْيَـدَا
فلا يَدْعُنِي القَوْمُ الحَدِيدُ لِمالكِ ولازِلْتُ وَغلاً في النَّدَامَى مُزَنّدَا[1]

وأخبر حنش بني تغلب بالخبر ، ووضع ظبّة سيفه على سرّته ، وحلف ليغمدن[2] عليه حتى يخرج من ظهره أو يدركوا له بثأره .

فسارت بنو تغلب متساندين بسادتهم والتقينه[3] إلى سلمة بن خالد .

وكانت بنو دارم مع أخوالها بني تغلب ، ورئيسهم سفيان بن مجاشع .

فقال سلمة بن خالد لبني تغلب : إن حالوا بينكم وبين ماء الكُلاب ، ظفروا بكم .

واغذوا السير حتى نزلوا على الكُلاب .

ونزل شرحبيل ومعه بنو تميم وبطون من اليمن بأسفله ، وكان أول من ورد الكُلاب من جمع سلمة ، سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وكان نازلاً في بني تغلب مع أخوته لامه ، فقتلت بكر بن وائل ستة بنين له فيهم مرة بن سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان . فقال سفيان وهو يرتجز ويجود بنفسه :

الشَّيـــخُ شَيـــخٌ ثَكْـــلانْ والجـــوْفُ جَـــوفُ حَـــرَّانْ
والـــوِرْدُ وِردُ عَجْـــلانْ أشكـــو إليـــك مُـــرَّة بـــن سُفيـــانْ

وأول من ورد الماء من بني تغلب ، رجل من بني عبد جشم ، يقال له : النعمان بن فريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، ورجل يقال له : عبد

---

(١) كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢/ ٥٠ ، ٥١ . كما وردت هذه القصيدة في الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢١٢ .
(٢) في الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢١٣ . « ليعمدن » .
(٣) في الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢١٣ . « والتعبئة » .

يغوث بن دوس من بني مالك بن جشم على فرس له يقال له : الحروب[1] ، وبه كان يعرف .

ثم ورد سلمة في تغلب وسعد وجماعة الناس . وعلى بني تغلب السَّفاح ، وهو سَلمة بن خَالد بن كَعب بن زُهير بن تَميم بن أُسامة بن مَالك بن بَكر بن حُبيب ، والسفاح جد هشام بن عمرو التغلبي ، وهو يقول :

إنّ الكُـــلاَبَ مَـــاؤُنَـــا فَخَلُّـــوهْ   وسَـــاجِـــراً واللهِ لَـــنْ تَحلُّـــوهْ[2]

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثبت بعضهم لبعض ، وكان على ميمنة تَميم واليمن وبكر ، عَمرو بن شُرحبيل ، وعلى الميسرة الأَسود بن شُرَحبيل ، وفي القلب أبو عُمير المجاشعي . فقصد حَنش بن مَالك الميمنة وحمل على عَمرو بن شُرحبيل ، فطعنه فصرعه ، وقال :

يا بن المرار ، لهذا دعتك تميم ، وهذا بما كسبته يداك ويد أبيك .

وحمل السَّفاح على أبي عمير المجاشعي فطعنه فقتله .

وكثرت القتلى بينهم ثم ولت وأسرفت تغلب في قتلهم ونادى شُرَحبيل .

يا لتميم !!

فلم يجبه أحد .

حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم ، خَذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب ، بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها من بني تغلب ، وصبرا ابنا وائل بكر وتغلب وليس معهم غيرهم . حتى إذا غشيهم الليل ، نادى منادي سَلمة :

من أتاني برأس شُرحبيل فله مائة من الإبل .

(١) الأغاني : الحروف . وفي الأنوار الخَرُّوب .
(٢) ساجر : موضع . أيام العرب لأبي عبيدة ١/ ٥٣ .

ونادى منادي شُرَحبيل .

من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل .

وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم ، ففروا عنه .

وعرف أبو حَنَش مكانه وهو عُصم بن نعمان بن مَالك بن عتّاب بن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب[1] ، فعمد نحو شُرحبيل ، فلما انتهى إليه ، رآه جالساً وطوائف من الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ثم نزل إليه فاحتز رأسه ، وأتى به سلمة ، وألقاه إليه[2] .

ويقال : إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب ، لما انهزموا خرج معهم شُرَحبيل ، فلحقهم ذو السنينة (إنما سمي ذا السنينة ، لأنه كانت له سن زائدة ، فيها سمي) واسمه حُبيب بن عُتبة بن حُبيب فالتفت إليه شُرَحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته ، فأطن رجله ، وكان ذا السنينة أخا أبي حنش لأمه ، وأمهما سلمى بنت عبدي بن ربيعة ، بنت أخي كليب ومهلهل .

فقال ذو السنينة : يا أبا حنش قتلني الرجل .

وهلك ذو السنينة .

فقال أبو حنش : قتلني الله إن لم أقتله .

وحمل عى شُرَحبيل ، فلما غشيه التفت فقال :

يا أبا حنش ، اللبن . . . اللبن .

قال : قد هرقت لبناً كثيراً .

فقال : يا أبا حنش ، أملك بسوقة ؟! . .

قال : أنه كان ملكي[3] .

---

(١) ابن حُبيب التغلبي .

(٢) سيعود القاص إلى تفصيل هذه الحادثة ، وهو هنا كعادته يعطي ملخص الحدث .

(٣) يعني ولده المقتول .

فطعنه أبو حنش فأصاب رادفة[١] السرج فورعت[٢] عنه ، ثم تناوله فألقاه عن فرسه ، ونزل إليه فاحتز رأسه ، فبعث به إلى سلمه ، مع ابن عم له يقال له : أبو أجأ ، من كعب بن مالك بن عناب ، فألقاه بين يدي سلمة ، فقال : لو كنت ألقيته القاءً رفيقاً .

فقال : ما صنع به وهو حي أعظم من هذا .

وعرف أبو أجأ الندامة في وجهه ، والجزع على أخيه ، وهرب أبو حنش ، فتنحى عنه وقال :

قَتَلْتُ شُرَحْبِيلَ بنَ عَمْرو بنِ حَارِثٍ ... هُمَـامـاً عليـه التَّـاجُ وابْـنُ هُمَـامِ
فَلاَ تَرْجُوَنْ يا بنَ المُرَارِ نَصيحَتي ... ولا وُدَّ قَــوْمٍ مُغْضَبِيـــن رِغَــامِ
قَتَلْتُ لك السَّاعي عليك وحَوْلَهُ ... تَميـم ورَامَيْـتُ الّـذيـن تُـرَامـي[٣]

فقال معد يكرب أخو شُرحبيل ، وكان صاحب سلامة فاعتزل عنهما وعن حربهما :

أَلاَ أَبْلِــغْ أَبــا حَنَــشٍ رَســولاً ... فمَـا لَـكَ لا تَجـيءُ إلـى الثَّـوابِ
ومـالَـكَ لا تَجـيءُ إلـى هِجَـانٍ ... مُنَصَّبَــةِ الغَــوَارِبِ بـالهِضَــابِ
تَعلَّــمْ أَنّ خَيْــرَ النّــاسِ طُــرّاً ... قَتيــلٌ بيــن أَحْجــارِ الكُــلابِ
تَـداعَـتْ حَـولَـهُ عَمْـرو بـن غَنْـمٍ ... وأَسْلَمَـهُ جَعَـاسيـسُ الـرِّبـابِ[٤]

وهو طويلة يُهدِّد فيها أبا حَنش . ويقال إن الشعر لسَلَمة بن عمرو بن الحارث وليس لمعد يكرب[٥] . فأجابه أبو حَنش .

---

(١) رادفة السرج : مؤخرته .
(٢) ورعت : منعت .
(٣) أيام العرب لأبي عبيدة ١/ ٥٥ ، كما وردت هذه الأبيات في الأنوار ١/ ٢١٦ .
(٤) الجعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الذميم . أيام العرب لأبي عبيدة ١/ ٥٦ .
(٥) ورد ذلك في كل من أيام العرب ١/ ٥٦ والأنوار ١/ ٢١٦ .

أُحــاذِرُ أَنْ أَجيئَــكَ ثُــم تَحْبــو حِبــاءَ أَبيــكَ يَــوْمَ صُنَيْبِعَــاتِ
وكــانَــتْ غَــدْرَةً شَنْعــاءَ تَهْفُــو تَقَلَّــدَهــا أَبُــوكَ إلــى المَمَــاتِ[1]

وقوله يوم صُنيبعات[2] : إن ابناً للحارث ، كان مسترضعاً بين حيين من العرب تميم وبكر (وبنو تميم وبكر في مكان واحد على صُنيبعات) فمات .

يقال : لدغته حية ، (فاتهم الحيين جميعاً ، فجاءوا يعتذرون إليه فأخذ خمسين رجلاً من بكر ، فقتلهم بذلك ، فهذه هي الغدرة .

وكان معد يكرب بن عِكَبّ بن عِكَبّ بن كنانة بن تميم بن مالك بن بكر بن حُبيب من سادات العرب من بني تغلب وأشرافهم وله يقول الشاعر :

إن سَـرَّكَ العِـزُّ التَّليـدُ فـي العَـرَبْ فالْحَقْ بأَوْلادِ عِكَبّ بنِ عِكَبْ[3]

وكان أخذ درع شُرَحبيل يومئذ ، فطلبها منه أبو حنش وأصحابه ، فأبى أن يدفعها إليهم ، فأغار رهط أبي حنش ، فأخذوا ابلاً لرجل من بني تميم بن أُسامة بن مالك ، من رهط عكب بن عكب .

فقال الذي أخذت ابله :

أَلا أَبْلِــغ بنــي تَميــم[4] رَســولاً فــإنّــي قَــدْ كَبِـرْتُ وطَـالَ عُمْـري
وإنّ الــذُّهــم قَــدْ عَلِمــتْ مَعَــدٌ مُحبَّسَــةٌ لَــدَى عُصُــمِ بــنِ عَمْــرو
وطَــارَ بهــا بَنُــو حَسّــان عَنّــي فــأَفْــراسٍ لهُــمْ حُــوٍّ وَشُقْــرِ
وأَرْمــاحٍ لهُــمْ سُمــرِ طِــوالٍ كــأن كُعــوبَهُــنَّ حَبــابُ قَطْــرِ

---

(١) النقائض ٢/ ٤٥٧ .
(٢) هذا هو يوم صُنيبعات ، يذكره هنا بصورة مختصرة جداً .
(٣) أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٥٧ . والنقائض ٢/ ٤٥٦ .
(٤) أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٥٦ ـ وفي النقائض ١/ ٤٥٦ (بني تيم) . والأبيات الأربعة وردت في النقائض .

وقال مَعد يكرِبُ بن عَمرو بن الحارث لمَّا بلغَهُ قَتْلُ أخيه شُرَحبيل يَرْثيه وهي قصيدة طويلة سأذكر بعضاً منها :

إنّ جَنبـي علـى الفِـراشِ لنـاب ... كتَجَـافـي الأَسَـرِّ فـوقَ الظِّـرَابِ
مِـنْ حَـديـثٍ نَمَـى إلـيَّ فمـا تَـرْ ... قَـا دُمُـوعـي ومـا أُسِيـغُ شَـرَابـي
مُـرَّةً كـالـذُّعَـافِ أَكتُمُهَـا النّـ ... ـاسَ على إثْـرِ مَلَّـةٍ[1] كـالشِّهـاب
مِـنْ شُـرَحبيـلَ إذْ تعـاوَرُهُ الأرْ ... مَـاحُ مِـنْ بَعـدِ لَـذَّةٍ وشَـرَاب[2]
أَحْسَنَـتْ تَغْلـبٌ[3] وعَـادَتُهـا الإِحْـ ... ـسَانُ بالحِنْوِ يَوْمَ ضَرْبِ الرِّقَاب
يَـوْمَ وَلَّـتْ بنـو تَميـمٍ وقَيْـسٌ ... خَيْلُهـم يَتَّقِيـنَ بـالأَذْنَـاب[4]
يـا بْنَ أُمي ولـو شَهـدْتُكَ إذ تَـدْ ... عُـو تَميمـاً وأَنـتَ غَيْـرُ مُجَـاب
لَتشَـدَّدْتُ مِـنْ وَرائِـك حَتَّـى ... تَبلُـغَ الـرُّحْـبَ أَوْ تُبـزَّ ثِيَـابـي[5]

وقال السَّفَّاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم في ذلك :

هَلاّ سَأَلْتَ ورَيْبُ الدَّهْرِ ذو غِيَرٍ ... أَنْ كَيْفَ صَقْعَتُنا ذُهْلَ بنَ شَيْبانا
أَمّا بنو الحِصْنِ إذْ شَالَتْ نَعامَتُهُمْ ... فَيَخْرُجُ المَرْءُ مِنْ ثَوْبَيهِ عُرْيانا
أَمّـا الـرِّبـابُ فـوَلَّـوْنـا ظُهـورَهُـمُ ... وأَجْـزَرونـا أَبـا سَلْمَـى وسُفْيـانـا

قوله أجزرونا أبا سلمى : يقول : صَيَّرونا جَزَراً للأَعْداءِ ، وأبو سلمى من بني رياح أحدُ بني هَرْمي ابن رِياح ، وسفيان بن حارثة بن سليط بن يربوع[6] .

وقال أبو حنش مجيباً له .

---

(١) في أيام العرب لأبي عبيدة « على حرملة . . . » .
(٢) في أيام العرب لأبي عبيدة « وشباب » .
(٣) في أيام العرب لأبي عبيدة « وائل » .
(٤) في أيام العرب لأبي عبيدة جاء صدر البيت « يوم فرت بنو تميم وولت » .
(٥) في أيام العرب لأبي عبيدة جاء صدر البيت « ثم طاعنت من ورائك حتى » . ٢/ ٥٨ . والأبيات الواردة هي من الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٠ .
(٦) النقائض ١/ ٤٥٧ . وكذلك وردت الأبيات في أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٥٨ بزيادة بيتين .

قُـلْ لـذا الآكـلِ المُـرَارِ خُـذِ المُلْـ ـــكَ ولا تَبْكِيَــنْ قَتِيـلَ الكُـلاَبِ
قَـدْ تَـرَكْنَـا أخَـاكَ فـي حَمسِ النَقْـ ـــعِ صَـرِيعـاً مُضَـرَّجَ الأَثْـوَابِ
أَسلمَتْـــهُ علـــى الكُـــلابِ تميـــمٌ بعد طَعْنِ الكُلَى وضَرْبَ الرِّقابِ
وأَجَبْنَـــاكَ إِذْ دَعَـــوتَ وذُو التـــا جِ شُـرَحْبِيـلُ ثُـمَّ غَيْـرُ مُجـابِ
تَنْتَمـي حَـوْلَـكَ الأَراقِـمُ فـي النَّقـ ـــعَ كـأُسْـدٍ طَـرِيـرةِ الأَنْيَـابِ
فـانْثَنَـتْ عنـه دَارِمٌ وبَنُـو الفِـزْ رِ ويَـرْبُـوعُهَـا وحَـيُّ الـرِّبَـابِ
بيـنَ كـابـي الجَبيـن مُنْعَفـرِ الخَـ ـــدِّ وَعَـانٍ مُشـذَّب الأَصْحـابِ
فَقتلْنَـا لَـكَ ابـنَ أُمِّـك والمُلْـ ـــكُ عَقيـمٌ مُقَطَّـعُ الأَنْسـابِ
أَصْبَحـوا بـالكُـلابِ تَعْتَفِـرُ الضَّبْـ ـــع عَليهـمْ وعَـاويـاتُ الـذِّئـابِ
فاعْتَدِلْ يا بْنَ ذي المُرار على القصـ ـــدِ ولا يَغْـرُرَنْـكَ تِيـهُ الشَّبَـابِ
واخْتَـرَنْ بيْـنَ مـا يَقُـولُ لـكَ النَّـا سُ وحـرْبٍ تَحُـزُّ بَـرْدَ الشَّـرَابِ[1]

ودخل مَعد يكرِبُ بنُ عِكَبّ من فَورِهِ وجماعةٌ من رُؤَساءِ تَغلب ، إلى الملك وقالوا : إنَّ الغَدْر وقلَّة الوفاء لا يَحسُنُ بالملوك ، فإن أنصفتنا من نَفسك وإلاَّ أَنصفنا أنفسنا منك ، ولا نَقنع إلاَّ بأَن تُعطي أَبا حَنش ما وَعَدته .

قال : فإنّي أَفعلُ ، وأمر له بمائة ناقة ، وقال لأبي حَنش : تَرِبتْ يداك : كريمٌ قتل مَلِكاً .

وقد قال السَّفَّاح بن خالد وعَمرو بن كُلثوم ، وأُفنون بن مَعْشَرٍ ، وجماعة شُعراء بني تغلب في ذلك اليوم أشعاراً كثيرةً .

ولجابر بن حُنَيٍّ التَّغلبي من قصيدة :

ويـوْمَ الكُـلاب قَـدْ أَزالـتْ رِمَـاحُنَـا شُـرَحْبِيـلَ إِذْ آلـى أَلَيّـةَ مُعْسِـمِ

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/٢١٧ ، ٢١٨ ، ووردت القصيدة أيضاً في أيام العرب لأبي عبيدة ٢/٥٩ . قصيدة دقيقة الوصف لما قد حصل في المعركة وقتل شرحبيل ، وجريئة في مخاطبة الملك واجباره على أن يدفع من الإبل ما وعد به ولقد دفع .

لَيَسْتَلِبَــنْ أَدْراعَنَــا فــأَزَالَــهُ   أَبُـو حَنَشٍ عـن ظَهْـرِ شَقـاءَ صِلْـدِمِ
تَنَـاولَـهُ بـالـرُّمْـحِ ثُـمّ ثنَـىَ لَـهُ   فَخَــرَّ صَـرِيعـاً لليَـدَيْـن وللْفَــمِ
وكــانَ مُعــادينَـا تَهِـرُّ كِـلابُـهُ   مخَـافَـةَ جَمْـعٍ ذي زُهـاءٍ عَـرمْـرَم[1]

وقال أبو اللَّحام التَّغلبي واسمه سريع بن عمرو ، وعمرو هو اللَّحام بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حُبَيْب[2] ، وقيل اسم أبو اللحام حُريث مصغر حارث[3] ، حضر يوم الكلاب فقال :

رَبَعْنَــا بــالكُــلابِ ومــا رَبَعْتُــمْ   وأَنْهَبْنَــا الهَجــائِــنَ بــالصَّعيــدِ
سَقَيْنَــا الإِبْــلَ غِبّــاً بَعْــدَ عِشْـــرٍ   وغِبّــاً بــالمَــزَادِ مِــنَ الجُلــودِ
وجُـــرْدٍ كـــالقِـــداحِ مُسَـــوَّمـــاتٍ   شَـــوازِبَ مُخْلَســـاتٍ بـــاللُّبـــودِ
بِكُــلِّ فَتــىً أَطــارَ الغــزْوُ عَنْــهُ   بشــاشَــةَ كُــلِّ سـرْبـالٍ جَـديـدِ[4]

ولمَّا قُتل شُرَحبيل، قامت بنو سَعد بن زَيد مَناة بن تَميم، دون عياله، فمنعوهم ، وحالوا بين الناس وبينهم ، ودافعوا عنهم ، حتى الحقوهم بقومهم وأمنهم .

وولي ذلك منهم عُوير بن شِجْنة بن الحارث بن عُطارد بن عَوف بن كعب بن سعد ، وحشد له في ذلك رهطة ، ونهضوا معه ، فأثنى عليهم امرؤ القيس بن حجر ، لذلك في أشعاره ، وامتدحهم ، وذكر وفاءهم وقتالهم ووصف صبر قبائل بكر بن وائل ، وحُسن قتالهم ، وخص بني قُرّانَ « وقُرَّان حصن باليمامة ، قرية عبد الله بن عبد العزى بن سُحيم بن مُرَّة بن الدؤل بن حنيفة » ومُحَرَّقَ بن سَعد بن مَالك بن ضبيعة ، وجعل قُرَّان أباً لهم ، ونسبهم إليه .

---

(١) النقائض ١/ ٢٥٨ كما وردت الأبيات في أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٦٠ متطابقة تماماً مع النقائض .
(٢) النقائض ١/ ٢٥٨ كما وردت الأبيات في أيام العرب لأبي عبيدة ، متطابقة مع النقائض .
(٣) خزانة الأدب ٨/ ٥٥٩ ـ انظر ترجمته في هذا الكتاب .
(٤) النقائض ١/ ٢٥٨ .

قال هشام : هذه الأسماء والقرى ، مما ذكر في شعرهم ، قُرَّان ومُحرق (وما يجيء بعد ذلك) ابن قيس بن ثعلبة ، وبني مرثد بن سعد بن مالك ، وهجا بني حنظلة ، وما كان من خذلانهم شُرحبيل وفرارهم عنه ، واسلامهم إياه ، وخص قبائل حَنظلة قبيلة قبيلة فعم البَراجم ، وهم قَيس بن حَنظلة ، وكلفة بن حنظلة ، وغالب بن حنظلة ، والظليم بن حنظلة ، وغيرهم من بني دارم بن مالك بن حنظلة ، وخَصَّ قبائل نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم قطن بن نهشل وزيد بن نهشل ، وأمهما ماوية بنت المنقر ، من الأراقم ، من بني تغلب الذين قال لهم امرؤ القيس :

أَبْلِـغْ ولا تَتْـرُكْ بَنـي ابْنَـه[1] مِنْقَـرٍ وفَقِّـرْهُـمُ إِنّـي أُفَقِّـرُ خـابـرا[2]

أفقرهم : أي ميزهم قبيلة قبيلة[3] .

وقال امرؤ القيس قصائد طوال يذكر هذا اليوم وسأذكر لمعاً منها :

إنَّ بنـي عَـوْفٍ ابْتَنَـوا حَسَبـاً ضَيَّعَـهُ الـدُّخْلُلـونَ إِذْ غَـدرَوا[4]

أَدَّوْا إلـى جَـارِهـمْ ذِمَـامَهُـمُ ولَـمْ يُضيعـوا بـالغَيْـبِ مَـنْ نَصَـروا

لَـمْ يَفْعَلـوا فِعْـلَ حَنْظَـلٍ بِهِـمُ بئْـسَ لَعَمْـري بـالغَيْـبِ مـا ائْتَمَـروا

لا حِمْيَـريٌ وَفَـى ولا عُـدُسٌ ولا اسْـتُ عَيْـرٍ يَحُكُّهـا ثَفَـرُ[5]

وقال أيضاً :

---

(١) ورد في النقائض « ابنتِ » .

(٢) ورد في النقائض « جابرا » .

(٣) ورد في النقائض « قوله : فَقِّرْهُم ، يقول : فصِّلْهم فِقْرَةً فِقْرَةً أي قبيلةً قبيلةً يعني بني عوفٍ رَهط عُوير بن شِجنة وهو عوف بن كعب بن سعد . (النقائض ١/ ٤٥٩) . والنص من أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٦١ .

(٤) الدخللون بن حنظلة ، وهم خاصة شُرحبيل فأسلموه ، وبنو عوف بن كعب بن سعد ، رهط عوير بن شجنة .

(٥) قوله : لا حميريٌ ، يريد حميريَّ بن رياح بن يربوع ، وعُدس بن زيد بن بن عبد الله بن دارم . النقائض ١/ ٤٥٩ وأيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٦١ .

أَحَنْظَلَ لَوْ حامَيْتمُ وكَرُمْتُمُ   لأَثْنَيْتُ خَيْراً صالحاً ولأَرْضاني[1]

وقال أيضاً :

أَلا قَبَّحَ اللهُ البراجِمَ كُلَّها   وقَبَّحَ يَرْبوعاً وجَدَّعَ دَارِما
قَبيلُ تَميمٍ من مُسيءٍ ومُحسنٍ   فَقَدْ فَعلوا يا هند مَا لست كَاتِمَا
سَأذكرُ حبليهم ضَعيفاً مُقصراً   وحبلاً مَتيناً كانَ للْجَارِ عَاصِمَا[2]

فسيرت بنو تغلب ، سلمة ، فأخرجوه ، فلجأ إلى بكر بن وائل ، فانضم إليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرىء القيس .

قال هشام : قال أبي فأصاب معد يكرب الوسواس ، وضرب سلمة الفالج ، فانخرق ملكهم حين أصابهم هذا ، وتفرق . ودخلوا حضرموت ، فخرج المُلك من بني آكل المرار ، وساد بنو الحارث بن معاوية . فأول من ساد منهم قيس بن مَعد يكرب ، أبو الأشعث بن قيس فأسلم الأشعث وهو متوج[3] .

قال أبو عُبيدة : وكان الكُلاب يوماً من أيام العرب المشهورة المذكورة فقال فيه شُعراء الإسلام وافتخروا بفضلهم فيه وعيّر بعضهم بعضاً ، فقال الأَخطلُ في ذلك :

أَبني كُلَيْب إنَّ عَمَّيَ اللَّذا   قَتَلا المُلوكَ وَفكَّكا الأَغْلالا
وأخوهما السَّفّاحُ ظمَّأَ خَيْلهُ   حتَّى وَرَدْنَ جِبى الكُلاب نِهالا

---

(١) النقائض ١/ ٤٥٩ .
(٢) أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٦٤ .
(٣) أيام العرب لأبي عبيدة ٢/ ٦٥ . وجاء في النقائض : قال : وقَتَلوا شُرَحْبيل بن الحارث بن عَمرو بن جُحر يوم الكُلاب وقَتلوا غَلفاءَ وهو معدي كَرب بن الحارث بن عمرو يوم أُوارةَ ، ففي ذلك يقول جابر بن حُني أخو بني معاوية بن بكر :
نُعاطي المُلوكَ الحقَّ ما قصدوا بنا   وليس علينا قَتلُهمْ بمُحَرَّمِ
النقائض ٢/ ٨٨٧ .

وأجابه جرير بن خَرْقاءَ أخو بني عجل فقال :

تُعيـــرُنـــا الـــدِّمـــاءَ بِـــوارداتٍ وأَنْـــتَ بمـــأزِقٍ مِنّـــا شَـــريـــدُ
فـــإن تَـــذكُـــرْ ليـــالـــي وارداتٍ فـــإنَّ الـــدَّهـــرَ مُـــؤْتَنـــفٌ جَـــديـــدُ
ويَـــوْمَ الحِنْـــوِ قـــد عَلِمَـــتْ مَعَـــدٌ حَصَدْنَاكُمْ كما حُصِدَتْ ثَمودُ[1]

* * *

(١) النقائض ١/ ٤٦١ .
وتجدر الإشارة إلى أن يوم الكُلاب الأول هذا يعقبه « يوم حجر » ، ثم « يوم الملك الضليل امرىء القيس » . لكننا لم نوردهما هنا لانهما ليسا برواية أبي عبيدة فإذا انضم هذان اليومان إلى يوم الكُلاب الأول ، تكاملت خطوط ملحمة كبيرة من ملاحم الأيام العربية . (حاشية ٢/ ٦٥) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيدة .

يَوْم وَادي الكنْهَل (*)

وهو يَومٌ لبني تَغْلِبَ على قيس بن ثَعْلَبَةَ .

أَغَارَ النُّعْمَانُ بن زَرْعَةَ على بكر بن وائلٍ ، فأَوقع ببني قَيس بن ثَعلبة ، بوادي الكَنْهَل ، فاقتتلوا أَشدَّ قِتالٍ ، يكون وبرز شَيْبَان بن شِهابٍ ، وهو جَدُّ بني مِسْمَعٍ ، فنادَى : هَلْ من مُبَارِزٍ ؟ فحمَلَ عليه النُّعْمَانُ وطَعَنهُ فصرَعَهُ ، ونادى ابنه مِسْمَعُ : يالَ قَيس بن ثَعْلبة ، سيِّدُكم قَحَمتْهُ الخَيْلُ . ومات من جِرَاحتِهِ بعد ذلك ، وخرج من بعده هُبَيرةُ بن مالك ، فبرز إليه رَجلٌ من بني وَائل بن غَنْم بن تَغلب ، فطعنه فَصرعهُ عن الفرس . وقُتِلَ الصُّدَيُّ بن ثَعْلَبَةَ ، ومالِكُ بن تَيْم ، وحَسّانُ بن عَمْرو ، في فَوارس من بني قيْس ، وصَبَرتْ بنو ضُبَيْعة ، حتى أَسرع القتل فيهم ، وثبتت بنو سَعد بن مالك . وبنو مُرّة بن عُبَادٍ ، ثُمَّ انكشفَ القوم ، وأصابت بنو تَغْلِب أُسارى كثيرةً وكَفّوا عن النِّساء ، فقال النُّعمانُ بن زُرْعَةَ في ذلك من قصيدة(١) :

لَو أنَّ سَلمَى أَبْصرتْني في الوَغَى ... وجُمُوعَ قَيسٍ يَوْمَ وَادِي الكَنْهَلِ(٢)

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٩ . ورد في معجم البلدان كِنْهَل : ماء لبني تميم . ويوم كنهل قَتَل فيه عُتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي الهِزْماس وعُمر بن كبشة الغسَّانيين . (معجم البلدان ٤/ ٥٥٠) .

وفي معجم ما استعجم ٤/ ١١٣٦ : كنهل : ماء لبني عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع جاروهم عليه قيس والهرماس ابنا هُجَيمة من غَسَّان في جماعة من قومهما ، ورئيس بني عوف يومئذ ديسق بن عوف بن عاصم ، فأغار على ابني هجيمه قوم من بني يربوع ، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، فاتبعهم ابنا هجيمة في قومهما ، فقتلهما عتيبة .

ربما كان بذات الموقع أكثر من معركة بين قبائل متناحرة وفي أوقات متباعدة خاصة على أماكن الكلأ والماء .

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٧٩ .

(٢) الوَغَى والوَغْيُ : الصَّوْت والجَلبَة .

وبِــرايَتِــي هَــامَ الكُمَــاةِ كَــأنما تُذْرِي السُّيُوفُ بها نَقِيفَ الحَنْظَلِ[1]
يَمْشُون في الزَّغَفِ المُضَاعَفِ نَسْجُه مَشْيَ الجِمَالِ إلى الجِمَالِ البُزَّلِ[2]
فـي مَـأْزِقٍ تَـدْعُـو الأَرَاقِـمُ وَسْطَـه بـالمَشْـرَفـيّ وبـالـوَشيج الـذُّبَّـلِ[3]
أَيْقَنْــتِ أَنّ أبــاكِ غَيْــرُ خِـدَبَّــةٍ رَثِّ السِّلَاحِ ولا اليَـرَاعِ الأَعْـزَلِ[4]
وَدَعَـوا ضُبَيْعَـةَ ثُـمَّ تَيْمـاً بَعْـدَهـا وثَنَــوْا بتَغْلَبَــةَ الأَغَــرِّ الأَوَّلِ
فـدَعَـوْتُ فـي حَـيِّ الأراقـم دَعْـوَةً خَطِفَتْهُـمُ خَطْـفَ الخُشـام الأَجْـدَلِ
وَاعْتَمْــتُ شَيْبَــانــاً بــأَوَّلِ طَعْنَــةٍ فَهَـوى لحُـرِّ جَبينـهِ فـي القَسْطَـلِ
فـي فتْيَـةٍ بِيـضِ الـوُجُـوهِ كـأَنَّهُـمْ شُهُـبٌ تُضِـيءُ ظَـلامَ لَيْـلٍ مُقْبِـلِ
للهِ دَرُّهُــــمُ فَــــوَارِسَ بُهْمَــــةٍ لـوْ غَيْـرُ تَغْلِـبَ رَامَهَـا لـمْ تُفْلَـلِ[5]

وقالت الجَحْدَرِيّة :

أَلا تَلُــومُــوا عَلــى تَغْلِــبِ فــإِنّ بنــي تَغْلــبٍ أَوْجَعُــونَــا
أَشَـابُـوا الـذَّوائـبَ قَبْـلَ المَشيـبِ ونَــالُــوا عُمــومَتَنَــا والبَنِينَــا
وأَوْطَــوْا ضُبَيْعَــةَ يَــومَ اللّقَــاءِ وتَيْمــاً وثَغْلَبَــةَ الأَكْــرَمِينَــا
وأَرْدَوْا هُبيــرةَ فــي فِتْيَــةٍ قَمَـاقِـمَ كـانـوا المَصَـابِيـحَ فينـا[6]

---

(١) نقيف الحنظل : نَقفَ الظَّليم الحنظل ينقُفه وانتقفه : كسره عن هبيده . والنَّقف : كَسْر الهامة عن الدماغ ، والمُناقفة : المضاربة بالسيوف على الرُّؤوس . (اللسان ـ نقف) .
(٢) زَعف : موت زُعافٌ : شديدٌ ، وزَعَفَه : رماه أو ضربه فمات سريعاً . البَزل : يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وظعن في التاسعة وفَطر نابه فهو حينئذ بازل ويقال : جمل بازل وناقة بازل . وجمع البازِل بُزَّل ، وجمع البَزُول بُزُل . (لسان العرب ـ بزل) .
(٣) الوشيج : شنباك القرابة . والواشجة : الرحم المشتبكة (القاموس المحيط) .
(٤) اليراع : القَصبُ واحدته يَراعةٌ . واليَراعة : القلم . (القاموس المحيط) .
(٥) البُهْمَةُ : الشجاع الذي لا يُهتدى من أيْنَ يُؤتى (القاموس المحيط) .
ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨١ .
(٦) القَمْقَامُ والقُماقِمُ من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل (لسان العرب) .

وشَيْبَانُ كانَ لنَا عِصْمَةً ومَأْوَى الأَرَامِلِ والمُوتَمِينَا
وكانَ الصُدَيُّ على قَومهِ كغيث الربيع على المُسْنِتِينَا[1]
فإمَّا تَقُودُوا إلى تَغْلِب شَوَازِبَ قُبّاً ثُبِينا ثُبِينَا[2]
عَليها رِجَالٌ عُكَابِيَّةٌ كأُسْدِ الشَّرَى لا تُرِيدُ العَرِينَا
فَتجْزِي الأَرِاقمَ ما أَسْلَفَتْ إلَيْنا وكانُوا لنَا وَاتِرِينَا[3]
وإِلاَّ فَبُوءُوا بِتلْكَ الَّتي تُذِلُّ الرِّقَابَ وتُبْكي العُيونَا[4]

* * *

---

(١) السَنَتْ : أَسْنَتُوا : أَجْدبُوا . والسَّنِتُ : القليل الخير ج سَنِتُونَ . وعامٌ سَنِيت ومُسْنِتٌ : جَدْبٌ . (لسان العرب) .

(٢) الشَّوازِبُ : وخيلٌ شُزَّبٌ : أي ضوامر . والشَّوازِبُ : المُضَمَّرات . والأَقَبُّ : الضّامر البطن .
والخيل القُبُّ : الضَّوامِرُ . (لسان العرب ـ شزب ـ قب) وثبي : الثُّبَةُ : الجماعة والعُصبة من الفُرسان ج ثُباتٌ وثُبُونَ . (القاموس المحيط ـ ثبي) .

(٣) الأراقم من تغلب . ذُكرت أكثر من مرة .

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٨٢ .

يَومُ وَادِي الأَخْرَمَيْنِ(*)

لبني تَغلِبَ على صُدَاء وهي جُمْجُمةُ مَذْحِج .

خرج عَمرو بن كُلثوم في ليلةٍ مَطيرة ، فسمعَ رَجُلاً يَتغنَّى ويقول :

أَلا قُـلْ لعَمْـرٍو ضلَّـل اللهُ سَعْيَـهُ وعَمْروٌ مَتى ما يُمنحِ النُّصْحَ تلْجَجِ[1]

أَتُنْحي على أَحْيَاءِ قيْسٍ وخِنْدِفٍ وتَعْدِلُ عَنْ شُمِّ العَرَانينِ مَذْحِجِ[2]

وتَخْشَى ابنَ لَيْلَى أَنْ تَنالَ رِمَاحُهمْ فَوَارِسَكَ الأَدْنَيْنَ يا عَمْرُو فاهْتَجِ

فَتبيَّنهُ عَمْرٌو ، فإذا هو شَيخٌ من بني جُشَم ، وأخواله صُدَاء من مَذْحِج .

فحلف عَمرو لا يَغسل رأسه حتَّى يغزو صُداء ، وهم يومَئذٍ هَامةُ مَذْحِج ، قد اتَّقاها النّاس فخرج في عِدَّةٍ من بني تَغلب ، وكان الطريق بَعيداً فكللَّت خيله وصبحهم بوادي الأَخْرمين ، وخرجت إليه صُداء ، ورأسها جَحشٌ الصُّدائيُّ ، وهو شيخٌ كبيرٌ قد انحنى وكان يُفضَّلُ على سائر فُرسان مَذْحِج ، فنادى جَحْشٌ : أَيْن عَمْرُو بن كُلثوم ؟ فقال عَمرٌو : إليَّ يا جَحْشُ ، فقال جَحْشٌ :

يا عَمْرُو يا عَمْرُو أَقِمْ لي صَدْرَكا يا عَمْرُو يا عَمْرُو أَبِنْ لي أَمرَكا

لَعـلَّ مـا أَبْصَـرتَ منّـي سَـرَّكَـا يـا طـالَ مـا غَـرَّك مـا قَـدْ غـرَّكَـا[3]

فحمل عليه عَمرو بن كُلثوم وهو يقول :

يا جَحْشُ يا جَحْشُ مَنَتْكَ الأَسْبابْ إِنْ تَـكُ وَثَّـابـاً فـإِنِّـي وَثّـابْ

(*) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٦٠ .

(١) لج : اللَّجاجُ ، واللَّجاجةُ : الخُصومة .

(٢) شم : الشَّمَمُ : ارتفاع في الجبل . وارتفاع قصبة الأنف وحُسنها . والأشمُّ : السَّيِّد ذو الأنفة . والعرنين الأنف كُلُّه . (القاموس المحيط) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٦١ .

والنّـاسُ أَذْنـابٌ ونحـن أَرْبـابْ   أَنـا ابْـنُ كُلْثـومٍ وجَـدِّي عَتّـابْ

واختلفا طَعنتين ، فَطعنه جَحشٌ فَصرعهُ ، وحَماه الأَسودُ بن عمروٍ في فوارس من بني جُشم ، فلمَّا استوى عَمْرٌو على ظهر فرسه عَاودَ القتال ، فدامت الحرب واشتدَّت بقية يومهم ، ثم إنّ عَمراً حمل على جَحْشٍ فطعنه فقتله وقُتل على دمه سبعون رجلاً ، وأصابت بنو تغلب الأسرى والنّساء والنَّعَم ، فقال عَمرو بن كُلثوم في ذلك :

لِيَجـزِ اللهُ مـن جُشَـمَ بـنِ بَكْـرٍ   فَـوَارِسَ نَجْـدةٍ خَيـرَ الجَـزَاءِ
بِمَـا حَـامَـوْا عَلـيَّ غَـدَاة دَارَتْ   بـوَادِي الأَخْـرَمَيـنِ رَحَـى صُـدَاءِ[1]
بِضَـرْبٍ تَشْخَـصُ الأَبْصَـارُ منـه   وطَعْـنٍ مِثْـلِ إِفْـرَاغِ الـدِّلاءِ[2]
صِبَـاحَ الخيْـلِ دامِيَـةٌ كُـلاَهَـا   تَـرَقَّـصُ بـالفَـوارِسِ كـالظِّبَـاءِ
وأَعْـرَضَ فـارِسُ الهَيْجـاءِ جَحْـشٌ   وجَحْـشٌ نِعْـمَ حـامِيَـةُ النِّسَـاءِ
فَنـادَى فـي العَجَـاجـةِ أَيْـنَ عَمـرْوٌ   كـأَنّـي فَقْعَـةٌ أَو طَيْـرُ مَـاءِ[3]
فـأَطعُنُـهُ وقلْـتُ لـه خُـذْنَهَـا   مُشَـوّهَـةً تَبَجَّـسُ بـالـدِّمـاءِ[4]
فمـا افْتـرقَـتْ لـذَاك بَنَـاتُ نَعْـشٍ   ولا كَسَفَـتْ لـه شَمْـسُ السمـاءِ[5]
قَتَلْنـا منهُـمُ سبعيـن جَحْشـاً   ووَلَّـوْنَـا بـأَقْفيـةِ الإِمـاءِ
وأُبْنَـا بـالهِجَـانِ مُـرَدَّفـاتٍ   خَطبْنـاهـنّ بـالأَسَـلِ الظِّمَـاءِ[6]
وقُـدْنَـا مِنْهُـمُ سَـرَوَاتِ قـوْمٍ   كجُـرْبِ الإِبْـلِ تُطْلَـى بـالهَنَـاءِ

وقال المُشمْرِخ الصُّدائيّ :

---

(١) وادي الأخرمين : الذي حدث فيه يوم الأخرمين .
(٢) الدَّلوج أَدْلٍ ، ودِلاءٌ ، ودَلوتُ الدَّلو وأَدْلَيْتُها : أَرسَلْتُها في البِئْر .
(٣) العَجَّاج : الصَّيَّاح من كل ذي صوت . والعجاج الغبار .
(٤) بَجَسَ الجُرح يَبْجُسُهُ : شقَّه . وبَجَّسَه تَبجيساً : فَجَّره .
(٥) تَكْسِف كسوفاً : ذهب ضوؤها واسودَّت .
(٦) هِجان : ناقة هِجان وإبل هِجان : بيض كرام . (القاموس المحيط) .

ذيالَ الرِّجَالِ لحَادِثِ الأَسْبابِ ... ولمَا لَقينَا من بَني عَتَّابِ[1]
كُنّا أُناساً لا يُرَوَّعُ سِرْبُنَا ... في مَنْزِلٍ من مَنْزِلِ الأَرْبَابِ
حتَّى رَمى عَمْرو قريعةَ أَرْضِنا ... خيلاً تَقدَّمُها ذَوُو الأَحْسَابِ[2]
مِنْ تَغلب الغَلْباءِ طَعْنُ رِماحِهِمْ ... أَوْدَى لَعمْرُ أَبيكَ بالأَحْزاب
لمَّا رأَيْناهُ يُحَضِّضُ خَيْلَهُ ... والنَّقْعُ مُعْتلِجُ العَجاجَةِ كابي[3]
والحَيُّ من جُشَمَ بنِ بَكْرٍ حَولهُ ... يَتَبادَرون دَعوتُ في أَصْحَابي
فَحمَى الذِّمارَ ذَوُوا الحِفاظ فَقُتِّلوا ... وجَثَا بَقيَّتُهُمْ على الأَعْقَابِ[4]

وكان في الأَسْرى عبد الله بنُ سُويد الصُّدائي ، وكان قد قَتلَ يومئذٍ في بني تَغْلِبَ ، فأَخذه عَمْرو ليَقْتُله فقال :

ما في رَبِيعَة مَرْجُوٌّ ولا مُضَرٍ ... أَوْلَى بها مِنْك يا عَمْرو بن كُلْثوم
إن الأَرَاقِمَ لنْ تَنْفكَّ صَالحةً ... مُبَرَّئينَ من الفَحْشَاءِ واللُّوم[5]
ما دَافعَ الله عن عَمرٍو مَنيَّتَه ... فاخْتَرْ فِدًى لك بَيْن المَنِّ والكُومِ[6]

فقال عَمْرو : اشْتر نَفْسَك . فأَعْطاهُ حتَّى رَضيَ ، فقال عَمْرٌو : لك من ما لي ما عَرَضْت ، ولك نَفْسُك ، فمَنَّ عليه ، وحَمَله وكساه[7] .

* * *

---

(١) عَتَّاب : من بني تغلب (جمهرة أنساب العرب ٣٠٤) .
(٢) القَرعاءُ : الداهية تَفْجؤهم . والقارعة : القيامة .
(٣) حَضَّه عليه حضّاً : حثه عليه ، والتَّحاضُّ : التَّحاثُّ .
(٤) جثا ، جُثُوًّا : جلس على ركبتيه ، أو أقام على أطراف أصابعه . والعَقِبُ : مُؤخِّرُ القدم (القاموس المحيط) . الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٦٤ .
(٥) الأراقم : من تَغلب . وإنما سُمُّوا الأراقم لأنهم شُبِّهت عيونهم بعيون الأراقم ، والأراقم ضرب من الحيات (الاشتقاق ٣٣٦) .
(٦) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٦٥ . والكوم : جمع كوماء وهي الناقة .
(٧) المصدر نفسه .

ديَانةُ[*] تَغْلِب

إن قبيلة تغلب كغيرها من القبائل تأثرت بجوارها من الروم فاعتنقت النصرانية وتركت الوثنية وذلك في الجاهلية ، ومن العرب بقي على بعض دين إبراهيم مثل قريش وعامة ولد معد بن عدنان ، يحجون البيت ، ويقيمون المناسك ، ويقرون الضيف ، ويعظمون الأشهر الحرم ، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ، ويعاقبون على الجرائم ، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت .

أما الأصنام فانتشرت بين القبائل وكانوا يعبدونها لتقربهم إلى الله ، وكان لربيعة وإياد ذو الكعبات بسِنْداد[1] من أرض العراق[2] .

وأُوال : صنم كان لبكر بن وائل وتَغْلب بن وائل[3] .

فكانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها ، وصلّوا عنده ، ثم تلبّوا حتى تقدّموا مكّة ، فكانت تلبياتهم مختلفة . وهاك أمثلة على ذلك :

ـ وكانت تلبية قريش : لبّيك اللهّم ، لبّيك ! لبّيك لا شريك لك تملكه ، وما ملك .

ـ وكانت تلبية هذيل : لبّيك عن هذيل قد ادلجوا بليل في إبل وخيل .

ـ وكانت تلبية غسان : لبّيك رب غسّان راجلها والفرسان .

(*) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٤ ـ معجم البلدان ١/ ٣٢٦ ـ كتاب الأصنام ٤٥ .

(١) جاء في كتاب الأصنام ٤٥ وكان لإياد كعبة أخرى بِسِنْداد من أرضٍ بين الكوفة والبصرة . ويقال : لم يكن بيت عبادة إنما كان منزلاً شريفاً .

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٤ .

(٣) معجم البلدان ١/ ٣٢٦ .

ـ وكانت تلبية ربيعة : لبّيك ربنا لبّيك لبّيك ! إنّ قصدنا إليك ، وبعضهم يقول : لبّيك عن ربيعة ، مسامعة لربها مطيعة[1] .

واختلفت كل المفاهيم في شبه الجزيرة العربية بعد انتشار الإسلام فيها ، وبعد فتوحات بلاد الشام ، حيث لا عبادة أصنام أصبحت محطمة لا تنفع ولا تضر ، والدين هو الإسلام لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، فصنع مجتمعاً جديداً . حيث لا إكراه في الدين وبقي كثيرون من العرب على ديانتهم النصرانية ، فالأخطل شاعر بني أمية نصراني ولم يكرهه أحد على اعتناق الإسلام فهو دائم الحضور في مجلس معاوية ، وربما وقعت مهاجاة بين الأخطل وجرير وكانت بينهما سهام ومعايير وأحياناً يقع الفرزدق في شباك لسان جرير السليط فينال من تغلب وهذه تبقى علاقات فردية في إطار مجتمع جديد فتعرض الشعراء في كل عصر من الأمور المألوفة بأن يقدموا ويذموا أو يمدحوا .

وقال التيميُّ الشاعر المتكلم ـ وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني تغلب معروفين :

عُجْمٌ وحُكْلٌ لا تُبينُ ، ودِينُها ... عِبادَةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ[2]

وفي رواية ثانية :

ولكن حُكْلاً لا تُبينُ ودينُها ... عبادةُ أَعْلاجٍ عليها البرانسُ[3]

وقال ابن خلدون عن ديانة تَغلب :

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٦ .

(٢) الحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان . والأعلاج : جمع علج بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس : جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام . والبرنس أيضاً كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطراً أو جبة . الحيوان ٤/ ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) البيان والتبيين ١/ ٤٠ .

وكانوا على دين النصرانية في الجاهلية وصياغتهم مع قيصر ، وحاربوا المسلمين مع غسان وهرقل أيام الفتوحات في نصارى العرب يومئذ من غسان وإياد وقُضاعة وزَابِلة وسائر نصارى العرب . ثم ارتحلوا مع هرقل إلى بلد الروم ثم رجعوا إلى بلادهم ، وفرض عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجزية فقالوا : يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة ففعل(١) .

* * *

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٩٠ .

وفد تَغْلِب(*) إلى النبي ﷺ

قال : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبَرة عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال :

قَدِم على رسول الله ﷺ وفد بني تَغْلِب ، وهم ستة عشر رجلاً مسلمين ، ونصارى عليهم صُلُب الذَّهَب ، فنزلوا دار رَمْلَة(1) بنت الحارث ، فصالح ﷺ النّصارى على أن يُقَّرهم على دِينهِم(2) على ألاّ يَصْبغُوا أولادهم في النَّصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم(3) .

* * *

(*) نهاية الأرب ١٨/ ٧٢ ، الطبقات الكبرى ٣١٦٦١ ، الإصابة ٨/ ١٤٠ .

(١) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بنن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية .
ذكرها ابن حبيب في المبايعات ، وذكر ابن اسحاق في السيرة النبوية ـ أن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حُبسوا في دار رملة بنت الحارث امرأة من الأنصار من بني النجار .
أما الواقدي فيقول : رملة بنت الحدَث . وقال ابن سَعْدٍ : رملة بنت الحارث ، وهو الحارث بن ثعلبة بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، تكنى أم ثابت ، وأمها كبشة بنت ثابت بن النعمان بن حرام ، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة . الإصابة ٨/ ١٤٠ .

(٢) وفي نهاية الأرب « ذِمتهم » .

(٣) نهاية الأرب ١٨/ ٧٢ ـ الطبقات ١/ ٣١٦ .

تسمية العرب لأولادهم

قال الجاحظ : كان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى حجراً سمَّى ابنه به وتفاءل فيه الشدَّة والصلابة والبقاء والصبر ، وأنَّه يحطم ما لقى .

وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً ، تأوّل فيه الفطنة والخِبَّ والمكر والكسب .

وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة والقوّة والجلد .

وإن كان كلباً تأول فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت والكسب وغير ذلك[1] .

التسمية بماء السماء :

قال الجاحظ : وحين اجتهدوا في تسمية امرأةٍ بالجمال ، والبركة ، والحُسنِ ، والصَّفاء ، والبياض قالوا : ماء السماء(٢) ، وقالوا المنذر بنُ ماء السماء[3] .

وقال أيضاً :

ويسمَّى الرجل بِرَوق ، والرَّوق كالشيء يعاقب الشيء وقال بشار في التَّعاقُب :

أعَقبته الجنوبُ روقاً من الأزيبِ[4]

---

(١) الحيوان ١/ ٣٢٤ .

(٢) الحيوان ٥/ ١٤١ . به لقبت أم المنذر بن امرىء القيس بن عدي بن ربيعة بن نصرى اللخمي ، وهي ابنة عوف بن جشم ، من النمر بن قاسط . وسميت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها : بنو ماء السماء ، وهم ملوكِ العراق . وماء السماء لقب أيضاً لعامر بن حارثة الأزدي . . . وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام .

(٣) الحيوان ٥/ ١٤١ .

(٤) الأزيب : النكباء التي تجري بين الصبا والجنوب .

وفي العرب رُوقٌ وأبو روق . وقال ابن ميّادة :

دَانَ الــرَّوقــانِ مــن وائــلٍ وَقَبلَــهُ دَانــتْ لــه حميــرُ

الرَّوقانِ : بكرٌ وتغلب[1] .

وقال ابن دريد : واعلم أنَّ للعرب مذاهب في تسمية أبنائها ، فمنها ما سمَّوه تفاؤُلاً على أعدائهم مثل غالب ، وغَلَّاب ، ومُعارِك ، ونحو ذلك .

وسمَّوا في مثل هذا الباب : مُسهِراً ، ومصبِّحا ، وطارقا .

ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو : نائل ، ووائل ، وناجٍ ، وسعد ، وما أشبه ذلك .

ومنها ما سمِّي بالسِّباع ترهيباً لأعدائهم : نحو فَرَّاس ، وليث ، وضرغام ، وذئب وما أشبه ذلك .

ومنها ما سمِّي بما غلُظ وخَشُن من الشّجر تفاؤلاً أيضاً نحو طلحة ، وسَلَمة ، وقَتَادة ، . . . كلُّ ذلك شجرٌ له شوكٌ ، وعِضاهٌ .

ومنها ما سمِّي بما غلُظ من الأرض وخشُن لمسُه وموطئه ، مثل حَجر ، وصَخر ، وجَرول ، وحَزْم .

ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تَمخضُ فيسمِّي ابنه بأوَّل ما يلقاه من ذلك ، نحو ثعلب ، وكلبٍ ، وجحش ، وكذلك أيضاً تُسمِّي بأول ما يَسنح أو يبرح لها من الطَّير نحو : غُراب[2] . . . وهذا ما حدث مع أب القبيلة التي نحن بصدد البحث في أبعادها وهي تغلب ، وجاءت الرواية كالتالي :

خرج وائل بن قاسط وامرأته تَمخَّضُ وهو يريد أن يرى شيئاً يسمِّي به ،

---

(١) الحيوان ٧/ ٢٤٧ وورد في الحاشية : أنهما مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب .

(٢) الاشتقاق ـ ٥ .

فإذا هو بِبَكْرٍ قد عرض له فرجع وقد ولدت غلاماً ، فسمَّاه بكر ، ثم خرج خَرجةً أخرى وهي تمخّض فرأى عنزاً من الظباء فرجع وقد ولدت غُلاماً ، فسمّاه عَنزاً ـ وهو مع خَثعم بالسَّراه وبالكوفة وفلسطين . ثم خرج خرجةً أخرى فإذا هو بشُخيصٍ قد ارتفع له ولم يتبيَّنه نظراً فسماه الشُّخَيص ، وهم أبياتٌ مع بني ثعلبة بن بكر بالكوفة ، ومنهم بقيةٌ بالجزيرة .

ثم خرج خَرجةً أخرى وهي تمخّض فَغلبه أن يَرى شيئاً فسمّاه تَغلِب[١] .

* * *

---

(١) الاشتقاق ـ ٦ . وله رواية أخرى ستأتي في سياق الكتاب اسمه (دثار) . وهذه الولادات كانت خلال سنوات .

خَيل تَغلب

هناك روايات عدة ومختلفة على وصول الخيل للعرب منذ أقدم الأزمنة في الجاهلية وكان امتدادهم في العراق وبلاد الشام تجارة ومسكناً ، والخيول وجدت على الأرض كغيرها من الحيوانات منذ أن وجد الإنسان ، الذي استطاع أن يألفها وتألفه ، وروضها كما روض غيرها من الحيوانات تعمل في خدمته ويستثمرها إلى أبعد حدود الاستثمار ، وربما أشتهرت الإبل في الصحراء لتحملها كل مشاق الصحرا من حرارة وعطش ، وإنها خُلقت لمثل هذه الأعمال ؟

أحب العرب الفَرس وتغنوا بها وأطلقوا عليها الأسماء التي تروق لهم ووصفوها بأشعارهم بأحلى وأجمل الأوصاف ، ونسبوها إلى أصولها ، كما ينسب العربي نفسه إلى أُصوله .

واستخدم الإنسان الجمل والفيل والفرس ، للسفر والأحمال والحروب ، وإن الخيول خاصة كانت موجودة في المنطقة المحيطة بالجزيرة العربية عند الروم ، والساسانين ، والأحباش ، فلابد من أن هذه الخيول كانت متواجدة في ديار العرب بطرق متعددة ، وليس أصل انتشارها لديهم كما روى ابن الكلبي[١] هو من فرس أهداها سليمان بن داود إلى أزد عُمان ، الذين أطلقوا عليها اسم زَاد الراكب .

فلمّا سَمِعَتْ بنو تَغلب ، أَتوهم فاستطرقوهم ، فَنُتِجَ لهم من زَاد الراكب (الهُجَيسُ) ، فكان أجود من زاد الراكب .

فلما سَمِعتْ بَكرُ بن وائل أَتوهم فاستطرقوهم فنتجُوا من الهُجْيس :

(١) نسب الخيل ص ٢٩ .

(الديناريَّ) فكان أجود من الهُجيس[1] . وكان لبني تَغلب من نِتاج أَعوج[2] : النُّباك ، وحَلاَّب[3] . وقَيْد[4] .

السَّلِسُ : فرسُ مُهَلْهِلٍ ، وله يقول ، حين قال الحارث بن عُبَاد :

قَــرِّبــا مَــرْبِــطَ النَعــامــةِ منِّــي   لَقِحَــتْ حــربُ وائــلٍ عــن حِيــالِ

النَعامةُ : كانت للحارث ، فقال مُهَلْهِلٌ :

إركــبْ نَعــامــةَ إنِّــي راكــبُ السَّلِــسِ

زِيَمُ[5] : وكانت للأَخْنسِ بن شِهابٍ التَّغلبي . وفيها يقول :

هــذا أوانُ الشَّــدِّ فــاشْتَــدِّي زِيَــمْ
لا عَيْـشَ إلاَّ الطَّعْـنُ فـي يـوم البُهَـمْ
مِثْلي على مِثْلِـكِ يُـدْعى فـي العُظَـمْ

المُنْكَدِرُ[6] : وكان لرجل من بني عَمروٍ بن غَنْم بن تغلب . وله يقول :

وتَبَطَّنْــــتُ مَجُــــوداً عَــــازِبــــاً   واكِــفَ الكــوكــبِ ذا نَــوْرٍ ثَمِــرْ
بــــأسِيــــلٍ وَجْهُــــهُ ذي عُــــذَرٍ   صَلَتَــــانٍ مــــن بنَــــاتِ المُنْكَــدِرْ

خَمِيرَةٌ : فرسُ شَيطان بن مُدْلج الجُشَمِيّ ، أحد بني تغلب ولها يقول :

أَتَتْنـي بهـا تَسـري خَميـرةُ مُـوْهِنـاً   كمَسْرَى الدُّهيم أو خَميرةُ أَشأَمُ[7]

---

(١) نسب الخيل ص ٣٠ .
(٢) أعوج : فرس لبني هلال بن عامر ـ ٣٩ ـ.
(٣) نسب الخيل ـ ٣٩ .
(٤) ذيل الأمالي والنوادر ١٨٥ .
(٥) أو هي لجابر بن حني التغلبي . أما الأبيات فقد اختلف في قائلها : الأخنس أو الحطم القيسي أو جابر بن حني ، أو رشيد بن رميض ، أو أبو زغبة الأنصاري . انظر حاشية نسب الخيل ص ٥١ .
(٦) وفيه البيت الثاني للمرار . و(كدر)وهو لبني العدوية . انظر حاشية نسب الخيل ص ٥١ .
(٧) نسب الخيل ص ٥١ .

النُّباكُ[1] : فرسُ خالد بن الشَّمَّاخ بن خالد التغلبي . وله يقول :

فــإنِّــي لــن يُفــارِقَنــي نُبــاكُ   يَــرَى التَّقْــرِيــبَ والتَّعْــدادَ دِينــا

والضَّيْفُ : كان لبني تَغلب . قال الشَّمردل اليربوعي :

تَلقــى الجيــادَ المُقــربــاتِ فينــا
لأَفُحــــلٍ ثــــلاثــــةٍ يَنْمِينــــا
مُنــاهبــاً والضَّيــفَ والحَــرونــا[2]

أسماء الخيول التي مرت معنا ذكرها ابن الكلبي في كتابه نسب الخيل ، كما ان ابن الأعرابي سار في نفس الاتجاه فذكر أسماء خيل العرب وفرسانها ، وهذه ليست هي كل الخيول في عصريهما لأن ابن الكلبي توفي سنة (٢٠٦ هـ) وتوفي ابن الأعرابي سنة (٢٣١ هـ) إما أن يكونا سجّلا أشجع الفرسان ومن ثم الأفراس تتبع الفرسان وكما يقول المثل « الفرسُ من الفارسِ » وبهذا يكون عدد الفرسان وأفراسهم محدودة في كل قبيلة ، لأن الخيول في تلك الفترة كانت متوفرة لأنها أصبحت من أدوات الحرب لسرعتها وخفة حركتها وكان يفرض للفرس للعناية والاهتمام بها .

ولقد ذكر ابن الأعرابي خيل بني وائل فقال :

زِيَم[3] : فَرسُ جَابر بن حُنَيّ التَّغْلبي . قال :

هــذا أَوانُ الشَّــدِّ فــاشْتَــدِّي زِيَــمْ

---

(١) وقيل بأن اسم الفارس : السفاح بن خالد التغلبي . انظر حاشية نسب الخيل ص٥٢ .
(٢) وهنا إشارة إلى نسب الخيل لديهم بأنها تعود إلى فحولٍ ثلاثة هي مُناهب ، والضَّيف ، والحرون ، وهكذا نهج العرب في نسب الخيول الأصيلة منذ القدم إلى الآن . نسب الخيل ص ٦٥ .
(٣) ذكر ابن الكلبي بأنها للأخنس بن شهاب التغلبي ، أما الأبيات فقد أُختلف في قائلها ولقد ذكرت ذلك ولكن في رواية ابن الأعرابي كانت أربعة أبيات زيادة على ما ذكره ابن الكلبي انظر أسماء الخيل وفرسانها ٧٥ .

قـد لفَّهـا الليـلُ بِسَـوَّاقٍ حُطَـمْ
ليـسَ بـراعـي إبْـلٍ ولا غَنَـمْ
ولا بِجَـزّارٍ علـى ظَهْـر وَضَـمْ
مُهَفْهَـفُ الكَشْحيـنِ خَفَّـاقُ القَـدَمْ

المُذْهَبُ : فرس أَبْرَهةُ بن عُمير بن كُلثومٍ . قال فيه :

لقـد زَانَ خَيـلَ التغلبِيِّـنَ مُـذْهَـبٌ　　كمـا زانَـهُ يـومَ الكـريهـةِ فـارِسُـهْ

المُشَهَّرْ : فرس مُهَلْهِل بن ربيعة ، وهو فارس المُشهَّر ، قال فيه :

قَـرِّبـا مَـربِـطَ المُشَهَّـرِ منـي　　كُـلُّ قِـرْنٍ لِقِـرْنـهِ قَتَّـالُ[1]

العَصَا : فَرس الأخنس بن شهابٍ الشَّاعر ، فارس العصا[2] .

وقال الأخنس بن شهاب التغلبي يذكر كثرة الخيول حول بيوتهم كمعزى الحجاز من كثرتها :

تَـرى رَائـداتِ الخيـل حَـولَ بُيـوتِنـا　　كَمِعْزَى الحجازِ أعجزتها الزَّرائبُ[3]

* * *

(١) أسماء خيل العرب وفرسانها ـ ٧٦ ـ ولقد ذكر ابن الكلبي : السَّلِس فرس مُهلهل كما سلف .

(٢) الاشتقاق ٣٣٦ .

(٣) المفضليات ٤١ رقم القصيدة ص ٢٠٦ . الرائدات التي ترعى لا تعلف في البيوت ، فهي ترود المراعي من كثرتها : يقول ترى الخيل حول بيوتنا تسرح كأنها معزى لا تحرسها الزرائب من كثرتها . وهذا دليل على اهتمام العرب بالخيل وكثرتها لديهم .

دَغْفَلُ(*) النسابة ـ ومعاوية

اهتم الأمويون بعلماء الأنساب وازدهر النسب في عصرهم ، وكان الخلفاء منهم يستقصون كل كبيرة وصغيرة عن قبائل العرب ، وبعد حوار طويل بين معاوية ودغفل عن الأنساب سأله عن بكر بن وائل وتغلب ، قال معاوية : فأخبرني عن قومك بكر بن وائل واصدُقْني ؟

قال : كانوا أهل عز قاهر ، وشرف ظاهر ، ومجد فاخر .

قال : فأخبرني عن إخوتهم تغلب ؟

قال : كانوا أسوداً تُرهب ، وسِماماً لا تُقرب ، وأبطالاً لا تُكذب .

قال : فأخبرني كم أدِيلوا[1] عليكم في قتلكم كُليباً ؟

قال : أربعين سنة ، لا نَنْتَصِف في موطنٍ نلقاهم فيه حتى كان يوم التَّحاليق : يوم الحارث بن عباد بعد قِتْلة ابنه بجير وكان أرسله في الصلح بين القوم فَقَتلَه مُهَلْهِل وقال : بُؤْبشِسْع نَعْل كليب ، فقال الغلام : إن رَضيت بهذا بنو بكر رَضيت ، فبلغ الحارث ، فقال : نِعْمَ القتيلُ قتيلاً إن أصلح الله به بين بكر وتغلب وبَاءَ بكليب ، فقيل له : إنما قال مُهَلْهِل ما قال الكلمة[2] فَشَمَّر الحارث للحرب وأمرنا بحلق رؤوسنا أجميعن وهو يوم التَّحاليق وله خبر طويل ، وقال :

قَـرِّبـا مَـرْبِـطَ النَّعـامـةِ مِنِّـي　　　لَقِحَـتْ حَـرْبُ وائـلٍ عـن حِيـالِ
لـم أكـن مـن جنـاتها عَلِـمَ الله　　　وإلـى بَحـرِّهـا اليـومَ صـالـي

(*) ذيل الأمالي والنوادر ، ص٢٥ ، ٢٦ .
(١) أديلوا : نصروا على أعدائهم .
(٢) والكلمة هي قوله بؤبشع نعل كليب .

قَــرِّبــا مَــرْبِــطَ النَّعــامــةِ مِنِّــي   إنَّ بيع الكِـرَامِ بـالشِّسْع غـالـي[1]

فَأُدِلْنا عليهم يومئذ ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا .

قال : فمن ذهب بذكر ذلك اليوم ؟

قال : الحارث بن عَبَّاد أَسَر مُهَلْهِلاً في ذلك اليوم وقال له : دُلَّني على مُهَلْهِل بن ربيعة .

قال : ما لي إن دَلَلْتك عليه ؟

قال : أُطْلِقك .

قال : على الوفاء ؟

قال له : أنا مُهَلْهِل .

قال : ويحك ! دُلَّني على كفءٍ كريم .

قال : امرؤ القيس ، وأشار بيده إليه عن قرب ، فأطلقه الحارث وانطلق إلى امرىء القيس فقتله . وبَكرٌ كلها صبرت وأبلت فَحسُن بلاؤها إلاَّ ما كان من ابني لُجَيْم : حنيفة وعجل ، ويَشكُر بن بكر ، فإن سعد بن مال بن ضُبيعة جد طرفة بن العبد هجاهم في ذلك اليوم فقال :

إنَّ لُجَيْمــــاً عَجـــزَتْ كلُّهـــا   أن يُــرفِـدُوني فــارسـاً واحــدا
ويَشْكُــرْ العــام علــى خَتْــرِهــا   لــم يَسْمَــعِ النــاسُ لهـم حــامـدا

وقال فيهم أيضاً :

يـــا بُـــؤس للحــــرب التـــي   وَضَعَـــتْ أَراهِــط فــاسْتَــراحــوا
إنّـــا وإخْـــوتَنَـــا غَـــداً   كَثَمُــودِ حِجْــرٍ يــوم طَــاحــوا
بـــالمَشْـــرَفِيَّـــة لا نَفِـــرّ   ولا نبـــاح ولـــن نبـــاحـــوا[2]
مَـــنْ صَـــدَّ عـــن نِيـــرانهـــا   فـــأنـــا ابـــنُ قَيْـــسٍ لا بَـــرَاحُ

فقال معاوية : أنت والله يادَغفلَ أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب[3] .

* * *

(١) النعامة : فرس مشهورة للحارث بن عباد .

(٢) كذا في الأصل ولعل هنا تحريفا، ووجه الكلام؛ ولا نباح كمن يباح . (حاشية الذيل) .

(٣) ذيل الأمالي ٢٦ .

بُيوتَات العرب

كانت في أيام الخلفاء في صدر الإسلام ، وفي العصرين الأموي ، والعباسي ، تعقد جلسات سَمر في مجالسهم ، يجتمع فيها الشعراء ، وعلماء النسب ، وعلماء الفقه ، وتُطرح بين أيديهم وعلى بساط البحث مشاكل كثيرة ، وأحياناً تعرض لهم مشاكل عامة لحلها ، أو مشاكل خارجية للاستعداد لها ، وكذلك كان يحدث في مجالس الأمراء والقادة ، وربما لم تخل بعضها من جلسات شراب ولهو وحسناء تغني وترقص ، ورجل صاحب طرائف جميلة يُزيل بها الهمَّ عن النفس ، ولكن تلك الليلة وفي حضرة الخليفة عبد الملك بن مروان ، كانت ندوة حظي بها علماء النسب وكانت في أهم بيوتات العرب وكان الحوار .

اجتمع عند عبد الملك بن مَروان في سَمره عُلماء كثيرون من العرب ، فَذكروا بُيوتات العرب ، فاتفقوا على خَمسة أبيات ، بيت بني مُعاوية الأَكرمين في كِندة ، وبَيْت بني جُشَم بن بكر في تَغْلِب ، وبيت ابن ذي الجَدَّين في بَكر ، وبيت زُرارة بن عُدَس في تميم ، وبيت بني بَدر في قَيْس . وفيهم الأَحْرز بن مُجاهد التَّغلبي ، وكان أعلمَ القَوم ، فَجعل لا يخوض معهم فيما يَخوضون فيه ، فقال له عبد الملك : مالك يا أُحيرز ساكتاً منذ الليلة ؟ فوالله ما أنت بدون القوم عِلماً ؛ قال : وما أقول ؟ سَبق أهل الفضل في فضلهم ، أهل النقص في نُقصانهم ، والله لو أنَّ للناس كُلِّهم فرساً سابقاً لكانت غُرَّته بنو شيبان ، ففيم الإكثار . وقد قال المُسيَّب بن عَلَس :

تَبيبــتُ المُلــوكُ علــى عتْبهــا ... وشَيْبــانُ إنْ عَتبــت تُعتِــبِ
فكــالشُّهــدْ بــالــرَّاح أخــلاقُهــم ... وأحــلاَمُهــم مِنْهمــا أَعْــذَب
وكــالمِســكِ تُــرْب مَقَــامــاتهــم ... وتُــرْب قُبــورِهــمُ أطْيَــب[1]

* * *

(١) العقد الفريد ٣/ ٣٣٢ .

تَغْلِبُ بينَ النَقيضَيْن جَرير والفَرَزدَق

الشاعران جرير والفرزدق من تميم ، والشعراء سلاحهم الفتاك الهجاء ، ولقد كان الهجاء بين النقيضين مُرّاً حتى طال كل شيء حولهما كالشرر فاكتوى به .

ولقد نالت تغلب من جرير ما لا تحسد عليه من الهجاء ولكن هذا لا ينقص قيمة تغلب في الجاهلية أو دورها في الإسلام .

والهجاء يبقى سحابة غضب سوداء يطلقها الشاعر ليبدل مفاهيم ويغير حقائق في حياة قبيلة كما قال جرير في بني نمير :

فغض الطرف أنك من نميرٍ ... فلا كعباً بلغت ولا كِلابا

ولو وزنت حلوم بني نمير ... على الميزان ما وزنت ذبابا

ومع هذا يبقى للهجاء أسبابه ومسبباته وهو من الصفات غير المحمودة لدى الشعراء الذين يكثرون من صنف الهجاء ويبقون محط النقد والانتقاد .

فقال الفرزدق يذكر تفضيل الأخطل إيّاه على الشُّعَراء ويمدح بني تَغْلب ويهجو جريراً :

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائِلٍ أَهَجَوْتَها ... أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطحَ البَحْرانِ[1]

يا بْنَ المَراغَةِ إن تَغْلِبَ وائِلٍ ... رَفَعوا عِناني فَوْقَ كُلِّ عِنَانِ

وكأَنَّ راياتِ الهُذَيلِ إذا بَدَتْ ... فَوْقَ الخَميسِ كَواسِرُ العِقْبانِ[2]

تَركوا لِتَغلِبَ إذْ رَأَوْا أَرْمَاحَهُمْ ... بإرابَ كُلَّ لئيمةٍ مِدْرانِ[3]

---

(١) والمعنى : يقول الهجاء إذا التقت أعناقه لا يضر تغلب وائل ما قلت فيها لما سبق في العرب من فضلها .

(٢) الهذيل : يعني الهذيل بن هُبيرة . والخميس : الجيش الضخم الكثير الأهل . وشبه سرعة الخيل بسرعة العقبان .

(٣) إراب : يوم إراب وانظر ترجمته في هذا الكتاب . والدَّرن : هو الوسخ بعينه . يقول : خَلّوا نساءهم وهربوا .

تُـدْمِـي وتَغْلِـبُ يَمْنَعـونَ بَنـاتِهـمْ ... أَقْـــدامَهُـــنَّ حِجــارَةُ الصَّـــوّانِ
يَمْشيـنَ فـي أَثَـرِ الهُـذيـل وتـارةً ... يُـرْدَفْـنَ خَلْـفَ أواخـرِ الـرُّكْبـانِ
واسـأَلْ بِتَغْلِـبَ كيفَ كـان قَديمُهـا ... وقَـديـمُ قَـوْمِـكَ أَوَّلَ الأَزْمــانِ
قَـومٌ هُـمُ قتلـوا ابـن هنـدٍ عَنـوةً ... عَمراً وهُمْ قَسَطوا على النُّعْمانِ[1]
قَتَلـوا الصَّنـائع والمُلوكَ وأَوقَـدوا ... نـارَيْـن قـد عَلتَـا علـى النّيـرانِ[2]
لـولا فَـوارِسُ تَغْلِـبَ ابنـة وائـل ... نَـزَلَ العَـدُوُّ عليـكَ كُـلَّ مكـان[3]

وهذا جرير يرد على الفرزدق وينال من الأخطل وتغلب ويهجوهما هجاءً مقذعاً فيقول :

فَدَعوا الحُكومَةَ لَسْتُمُ مِنْ أَهْلِها ... إنَّ الحُكـومَـةَ فـي بنـي شَيْبـانِ
بَكْـرٌ أَحَـقُّ بـأَنْ يَكـونـوا مَقنَعـاً ... أَوء أَنْ يَفُـــوا بِحقيقـــةِ الجيـــرانِ
قَتَلـوا كُلَيْبَكُـمُ بِلَقْحَـةِ جَـارِهـمْ ... يـا خُـزْرَ تَغْلِـبَ لَسْتُـمُ بِهِجـانِ
كَـذَبَ الأُخَيْطِـلُ إن قَـوْمـي فيهـمُ ... تـاجُ المُلـوكِ ورايَـةُ النُّعْمـانِ
مـا زالَ مَنْـزِلُنـا لِتَغْلِـبَ غـالبـاً ... والله شَـرَّفَ فَـوْقَهُـمْ بُنْيـانـي
عَمداً حَزَزْتُ أُنوفَ تَغْلِبَ مِثْلَ مَا ... حَـزَّ المـواسِـمُ آنُـفَ الأَقْيـانِ
ولَقَـدْ وَسَمْـتُ مُجاشِعـاً ولِتَغْلـبٍ ... يتقـــاودون تَقـــاوُدَ العُميـــانِ
والتَّغلبـيُّ مُغلَّـبٌ قَعَـدَتْ بِـهِ ... مَسْعـانُـةُ عَبْـدٌ بكُـلِ مَكـان[4]
سُـوقـوا النِّقـادَ فـلا يحـلُّ لِتَغْلـبٍ ... سَهْـلُ الـرِّمـال ومَنْبِـتُ الضَّمْـران
تَغْشَـى المـلائِكَـةُ الكِـرامُ وفَـاتَنـا ... والتَّغلبـــيُّ جَنـــازَةُ الشَّيْطـــانِ
تَلْقَـى الكِـرامَ إذا خطبـن غـواليـاً ... والتَّغلبيَّـــةُ مهـــرهـــا فَلْســـانِ[5]

---

(١) عمرو بن هند وعمرو بن كلثوم قصتهما معروفة ـ وانظر ترجمتها في هذا الكتاب .
(٢) الصنائع : قوم يَصْطنعهم الملك فيلزمون خدمته .
(٣) النقائض ٢/ ٨٨٠ ، ٨٨٨ .
(٤) قوله والتَّغلبي مُغلَّب يقول هو أبداً مغلوب لقلّته .
(٥) النقائض ٢/ ٨٩٧ ، ٩٠٠ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ .

وقال جرير :

والتَّغلبـيُّ لَئِيمٌ حيـن تَجْهَـرُهُ ... والتَّغْلبـيُّ لَئيمٌ حيـنَ يُختبـرُ[١]

التَّغْلبـيُّ إذا تَمّـتْ مُـروءَتُـهُ ... عَبْدٌ يَسوقُ ركابَ القَوْمِ مُؤْتَجَرُ

ومـا لِتَغْلِبَ إنْ عُـدَّتْ مـآثِرُهُمُ ... نَجْمٌ يُضيءُ ولا شَمْسٌ ولا قَمَرُ

والآكِلُونَ خَبيْثَ الزّاد وَحدَهُمُ ... والنـازِلُونَ إذا واراهُمُ الخَمَرُ[٢]

أَحْيـاؤُهُـمْ شَـرُّ أَحْيـاءٍ وأَلأَمُهُـمْ ... والأَرْضُ تَلْفِظُ مَوْتَاهُمُ إذا قُبِروا[٣]

وأجابه الأخطل التَّغلبي :

أَمّا كُلَيْبُ بن يَرْبُوعٍ فليسَ لَهُمْ ... عِنْدَ المَكارمِ لا وِرْدٌ ولا صَدَرُ[٤]

قومٌ تَناهتْ إليهمْ كُلُّ فاحِشَةٍ ... وكلُّ مُخْزِيَةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ[٥]

مُلَطَّمُونَ بِأَعْقَارِ الحياضِ ، فما ... يَنْفَكُّ مِنْ دَارِميٍّ فِيْهِمُ ، أَثَرُ[٦]

الآكِلُونَ خَبيثَ الزَّادِ وَحْدهُمُ ... والسائِلونَ بظَهْرِ الغيب : ما الخَبَرُ[٧] ؟

قد أَقْسَمَ المَجْدُ حَقّاً لا يُحالِفُهُمْ ... حتَّى يُحالِفَ بَطْنَ الراحَةِ الشَّعَرُ[٨]

وقال جرير يهجو الأخطل :

أَلَيْسَ أَبُوا الأَخَيْطلِ تَغْلبيّاً ... فَبِئسَ التَّغْلِبيُّ أباً وخَالا

إذا ما كانَ خالُكَ تَغْلبيّاً ... فَبادلْ إنْ وجَدتَ له بِدالا[٩]

---

(١) الاجتهار : النظر والتفرس والاستثبات .
(٢) الخَمَرَ : الموضع المستتر ينزلون به فراراً من الضيفان واكرامهم .
(٣) ديوان جرير ٢٥٧ ـ والقصيدة طويلة تنوف على سبعين بيت من الشعر .
(٤) كليب بن يوبرع : رهط جرير .
(٥) المخزية : الفضيحة نخزي صاحبها .
(٦) الأعقار : جمع عقر وهو مقام الشاربة من الحوض ، وهو أقصى الحوض حيث تضع الإبل أخفافها .
(٧) خبيث الزاد أي : لحم اليرابيع والضباب .
(٨) ديوان الأخطل ١٩٢٦١ والقصيدة تنوف على ثمانين بيت من الشعر .
(٩) ديوان جرير ٤١٥ والقصيدة تنوف على أربيعن بيت من الشعر .

وقال الأخطل :

قـومٌ إذا اسْتَنْبـحَ الأَضيـافُ كلبَهُـمُ   قـالُـوا لأُمِهـمُ : بُـولـي على النّـارِ

فـاقعُـدْ جَـريـرُ ، فقـد لاقَيْـتَ مُطَّلَعـاً   صَعْباً، ولاقاكَ بَحْرٌ، مُفَحَمٌ، جاري[1]

* * *

(١) المطلع : الجبل . والمفعم : الزاخر المضطرب . والقصيدة تنوف على عشرين بيت من الشعر « ديوان الأخطل ٦٣٦ » .

سَماحة المأمون(*)

كان المأمون قد أُتي بقوم من ولد زياد بن أبيه وقوم من ولد هشام وفيهم رجل من بني تغلب يقال له : محمد بن هارون ، فسأَلهم عن نسبهم فأخبروه ، وسأل التَّغلبي عن نسبه فقال : أنا محمد بن هارون ، فبكى وقال : ما لي بمحمد بن هارون ! ثم قال أما التَّغلبي فيطلق كرامةً لاسمه واسم أبيه وأَمّا الأمويون والزياديون فيُقتلون ، فقال ابن زياد : ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين ! إنّهم يزعمون أنّك حليم كثير العفو متورّع عن الدماء بغير حقّ ، فإن كنت تَقْتُلُنا عن ذنوبنا فإنّا والله لم نخرج أبداً عن طاعة ولم نفارق في تبعيد الجماعة ، وإن كنت تقتلنا عن جنايات بني أمية فيكم فالله تعالى يقول : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٦٤] .

فاستحسن المأمون كلامه وعفا عنهم جميعاً ، وكانوا أكثر من مائة رجل ، ثم أضافهم الحسن بن سهل ، فلما بويع إبراهيم بن المهدي في سنة (٢٠٢ هـ) ، ورد في كتاب عامل اليمن خروج الأعاشر بتهامة عن الطاعة ، فأثنى الحسن بن سهل على الزيادي ، وكان اسمه محمد بن زياد ، وعلى المرواني والتَّغلبي عند المأمون وأَنَّهم من أعيان الرجال ، فأشار إلى إرسالهم إلى اليمن فسيّرَ ابن زياد أميراً وابن هشام وزيراً والتَّغلبي قاضياً ، فمن ولد محمد بن هارون التَّغلبي هذا من قضاة زَبيد[1] بنو أبي عُقامة ، ولم يزالو يتوارثون ذلك حتى أزالهم ابن مهدي حين أزال دولة الحبشة ، وحجّ الزيادي سنة ثلاث ومائتين ومضى إلى اليمن وفتح تهامة واختط في سنة (٢٠٤ هـ) .

* * *

(*) معجم البلدان ٣/ ٥٩٤٦ .

(١) زَبِيدٌ : اسم وادٍ به مدينة يقال لها الحُصَيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تُعرف إلاّ به ، وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت في أيام المأمون . وينسب إليها جمع كثير من العلماء ، منهم : أبو قُرَّة موسى بن طارق الزبيدي قاضيها .

تغلب

و

الفتح العربي الإسلامي

النَّمِر(*) وتغلِب وإياد ، وخالد بن الوليد وفتح عَين التَّمر في سنة (١٢ هـ)

لما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزِّبْرِقان بن بدر وسار إلى عين التمر[١] ، وبها مِهران بن بهرام جوبين ، في جمع عظيم من العجم ، وعَقّة بن أبي عقّه في جمع عظيم من العرب من النَّمر وتّغلب وإياد وغيرهم ، فلما سمعوا بخالد قال عقّة لمهران : إنّ العرب أعلم بقتال العرب فدَعْنا وخالداً .

قال : صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب ، وإنكم لمثلنا في قتال العجم ، فخدعه واتّقى به وقال : إن احتجتم إلينا أعناكم . فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول ، فقال لهم : إنه قد جاءكم من قتل ملوككم أمر عظيم وفل حدّكم فاتّقيتُه بهم ، فإن كانت لكم على خالد فهي لكم ، وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء ، فاعترفوا له ، وسار عقّة إلى خالد فالتقوا ، فحمل خالد بنفسه على عقه وهو يُقيم صفوفه ، فاحتضنه وأخذ أسيراً وانهزم عسكره من غير قتال فأسر أكثرهم[٢] .

* * *

(*) الكامل في التاريخ ٣٩٤٦٢ ، ومعجم البلدان ٤/ ١٩٩ . الطبري ٣/ ٣٧٦ .

(١) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له شَفاثا منهما يُجلبُ القَسْب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً ، وهي على طرف البرية . « معجم البلدان ٤/ ١٩٩ » .

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٩٤ .

وَقْعَةُ المُصَيِّخ(*)

والمُصَيَّخ هو مُصّيخ بني البَرْشاء : وهو بين حَوْران والقَلْت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب في السنة الثانية عشرة هجرية .

فقال التَّغلبي :

يَـا لَيلَـة مَـا لَيلَـة المُصَيَّـح
وليلـة العيـش بهـا المـديّـخ
أَرقـص عنهـا عُكَـنَ المُشَيَّـح

وقال القعقاع بن عمرو :

سَـائِـلْ بنـا يـوم المُصَيّـح تَغلبـاً ، وَهَـلْ عَـالِـمٌ شيئـاً وآخـرجـا هـل
طَـرَقنـا هُـم فيـه طـروقـا فـأصبحـوا أَحـاديـث فـي أَفنـاءِ تلـكَ القبـائـل
وفيهـم إيـاد والنمـور وكلهـم أَصَـاخَ لمـا قَـدْ عَـزّهـم للـزَلازلِ(١)

وجاء في الطبري والكامل لابن الأثير :

فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً : القعقاع ، وأبي ليلى ، وأعبد وعُروة وخالد بن الوليد ، يجتمعون فيها إلى المَصيخ . فأغاروا على الهُذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم ، وأفلت الهذيل في ناس قليل وكثر فيهم القتل ، وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رُهمْ أخو أوس مناة ولَبيد بن جرير ، وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما ، فَقُتلا في المعركة فبلغ ذلك أبا بكر وقول عبد العُزّى :

أقـولُ إذا طَـرقَ الصّبـاحُ بغـارَةٍ سبحـانـك اللّهـمّ رَبّ مُحمّـدِ

(*) الكامل في التاريخ ٣٩٧٦٢ ، الطبري ٣/ ٣١٢ ، معجم البلدان ٥/ ١٦٨ .
(١) معجم البلدان ٥/ ١٦٨ .

سبحـــان رَبّـــي لا إلّـــهَ غَيــرُهُ   رَبّ البــلاد وربّ مــن يَتَــورّدُ[1]

فوداهما وأوصى بأولادهما[2] . وكانت الوقعة في الثانية عشرة للهجرة .

*   *   *

---

(١) البيت فيه إقواء .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٢ ، الكامل في التاريخ ٢/٣٩٧ .

وقعة الفِراض (*)

قصد خالد بن الوليد الفِرَاض[1] ، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة في سنة اثنتي عشرة وأفطر بها رمضان لاتّصال الغزوات ، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم ، واجتمع معهم من العرب تغلب وإياد والنّمر وساروا إلى خالد ، فلما بلغوا الفرات قالوا له : إمّا أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم .

قال خالد : اعبروا .

قالوا له : تنحّ عن طريقنا حتى نعبر .

قال : لا أفعل ، ولكن اعبروا أسفل منّا .

فعبروا أسفل من خالد ، وعظم في أعينهم ، وقالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممّنْ يولي[2] .

فاقتتلوا قتالاً عظيماً وانهزمت الروم ومَنْ معهم ، وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم ، فَقُتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف ، وأقام خالد على الفِراض عشراً ، ثمّ أذن بالرجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة ، وجعل شَجَرَ بن الأعَزّ على الساقة ، وأظهر خالد أنه في الساقة .

(*) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٩٩ ، الروض المعطار ٤٣٨ ، ومعجم البلدان ٤/ ٢٧٦ . طبري ٣/ ٣٨٣ .

(١) الفراض : موضع بين البصرة واليمامة قرب فُليج من ديار بكر بن وائل . وفي كتاب الفتوح : لما قصد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، بغته بني غالب إلى الفراض . والفراض : تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات . (معجم البلدان ٢٧٦٦٤) .

(٢) فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض : احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل عن دين ، وله عقل وعلم ، ووالله ليُنْصرَنَّ ولَنُخْذَلَنَّ (طبرى ٣/ ٣٨٣) .

وقال القعقاع بن عمرو :

لَقينا بالفراض جموعَ رومٍ ... وَفُرسٍ غَمّها طولُ السلامِ
أَبَدْنا جَمعَهم لما التقينا ، ... وبيّتنا بجمع بني رِزَامِ
فما فَتِئتْ جنودُ السِّلم حتى ... رَأَيْنا القَومَ كالغَنم السَّوَامِ(1)

* * *

(1) معجم البلدان ٤/ ٢٧٧ .

وقعة الثَّنيّ(*) والزُّمَيْل

وقد نزل ربيعة بن بُجَير التَّغلبي الثَّنيّ[1] والبشر غضباً لعقَّة ، وواعد رُوزْبه وزَرْمِهر ، والهذيل بن هبيرة . في السنة الثانية عشرة هجرية .

وبعد أن فرغ خالد من مُصَيّخ بني البُرْشاء وهو بين حَوران والقَلْت ، توجه إلى الزُّميل ؛ وهو البِشْر والثَّني معه وهما شرقي الرُّصافة ـ فبدأ بالثَّنيّ ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيَّتَه من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشَّب لذلك من الشبَّان ، فجردوا فيهم السيوف ، فلم يُفِلتْ من ذلك الجيش مخبر ، واستبى الشَّرْخ ، وبعث بخمس الله إلى أبي بكر مع النُّعمان بن عوف بن النعمان الشيباني ، وقسّم النَّهْب والسّبَايا ، فاشترى علي بن أبي طالب عليه السلام بنت ربيعة بن بُجير التَّغلبي ، فاتخذها ؛ فولدت له عمر ورُقية .

وكان الهذيل حين نجا أوى إلى الزَّمَيْل[2] ، إلى عتَّاب بن فلان ، وهو بالبشْر في عسكر ضخم فبيتهم بمثلها غارةً شَعْواءَ من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يُقْتَلُوا قبلها مثلها ، وأصابوا منهم ما شاءوا وكانت على خالد يَمين :

(*) الطبري ٣/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، معجم البلدان ٢/ ١٠٠ ، الروض المعطار ١٥٠ .

(١) الثَّنيُّ : وهو علم لموضع بالجزيرة قرب الشَّرقي ، شرقي الرُّصافة تجمعت فيه بنو تغلب وبنو بجير لحرب خالد بن الوليد رضي الله عنه فأوقع بهم بالثَّني وقتلهم كل قتلة في سنة (١٢ هـ) في أيام أبي بكر (معجم البلدان ٢/ ١٠٠) .

(٢) الزُّمَيْلُ : تصغير زمل : موضع في ديار بكر . وفي الفتوح : الزميل عند البشر بالجزيرة شرقي الرصافة أوقع فيه خالد ببني تَغلب ونُمَير وغيرهم في سنة (١٢ هـ) أيام أبي بكر (معجم البلدان ١٧٠٦٣) .

« ليبغَتنّ تَغْلِبَ في دارها » ؛ وقسّم خالد فَيئُهم في الناس وبعث بالأخماس إلى أبي بكر مع الصباح بن فلان المزنيّ ، وكانت في الأخماس ابنة مُؤذِن النَّمريّ ؛ وليلى بنت خالد ، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة[1] .

وقال القعقاع بن عمرو :

سقى الله قَتْلى بالفراتِ مُقيمةً ، وأُخرى بأَثباج النجاف الكوانِفِ
فَنحنُ وطئنا بالكواظمِ هُرْمُزاً ، وبالثّني قَرْنَيْ قارِنٍ بالجوارِفِ

وقال أَبو مقرَّر يذكر الثَّني أيضاً .

طَرَقنا بالثَّنيِّ بني بُجَيرٍ بَياتاً ، قبل تصدية الدُّيوكِ[2]
فَلَمْ نَترُكْ بها ارماً وعجماً مع النضر المؤَزَّر بالسهوكِ

وقال أيضاً :

لعمرُ أبي بُجير حيث صاروا ، ومن آواهُم يوم الثَّنيِّ
لَقدْ لاقتْ سَراتُهم فضاحاً وفينا بالنساء على المطيِّ
أَلا ما للرجالِ ؟ فإنَّ جهلاً بكم أن تَفعلوا فعل الصّبيِّ[3]

وقال أبو مقرَّر يذكر الزُّمَيل :

أَلا سالي الهذيل وما يُلاقي على الحدثان من نَعت الحروبِ[4]
وَعتّاباً فلا تنس وعمراً وأَرباب الزُّميل بني الرَّقوبِ
ألم نُفَتِقْهُم بالشّرِ طعناً وضرباً مثل تفتيق الضروبِ

وقال أيضاً :

---

(١) الطبري ٣/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(٢) معجم البلدان ٢/ ١٠٠ بجير بن تغلب .
(٣) معجم البلدان ٢/ ١٠٠ .
(٤) الهذيل بن هبيرة ـ معجم البلدان ٣/ ١٧٠ .

ويُقبَــل بــالــزُّميــل وجــانبيــهِ   وَطَاروا حيث طَاروا كالدموكِ[1]
وأَجلــوا عــن نســائهــمُ فكنّــا   بهـا أولـى مـن الحـيّ الـرّكـوكِ[2]

* * *

(١) الدموك : دَمَكتِ الأرنب ـ دُموكاً : أسرعت في عدوها .
(٢) الركوك : الرَّكيكُ ، والرُّكاكُ : الفَسْلُ الضَّعيفُ في عَقْلِه ورأيه (القاموس المحيط) معجم البلدان ٣/ ١٧٠ .

تَغْلِب في تَكْرِيت[1] وتعاونها مع المسلمين

في سنة (١٦ هـ) في جمادى فُتحت تكريت ، وسبب ذلك أن الأنطاق سار من الموصل إلى تكريت وخندق عليه ليحمي أَرضه ومعه الروم ، وإياد ، وتَغْلِب ، والنمر ، والشهارجة .

فبلغ ذلك سعد بن أبي وقاص فكتب إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن سَرح إليه عبد الله بن المُعتم واستعمل على مقدمته رِبْعي بن الأفكل ، وعلى الخيل عَرفجة بن هرثمة .

فسار عبد الله إلى تكريت ونزل على الأنطاق فحصره ومَن معه أربعين يوماً فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفاً وكانوا أهون شوكة من أهل جلولاء .

وأرسل عبد الله بن المعتم إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيئاً .

ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا امراءهم ونقلوا متاعهم إلى السفن .

فأرسلت تَغْلِب وإياد والنمر إلى عبد الله بالخبر وسألوه الأمان وأعلموه أنهم معه .

فأرسل إليهم : إن كُنتم صادقين فأسلِموا .

فأجابوه وأسلَموا .

فأرسل إليهم عبد الله : إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنّا أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التي تلي دِجله وكبِّروا واقتلوا من قدرتم عليه .

---

(١) بلدة مشهورة بينن بغداد والمصول ، وهي إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً ، وهي غربي دِجلة معجم البلدان ت ٢٥٦٠ .

ونَهد عبد الله والمسلمون وكبّروا ، وكبّرتْ تَغلب ، وإياد ، والنمر ، وأخذوا الأبواب ، فظن الروم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلي دِجله فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون فأخذتهم سيوف المسلمين ، وسيوف الربعيّين الذين أسلموا تلك الليلة فلم يفلت من أهل الخندق إلاّ من أسلم من تغلب ، وإياد ، والنمر .

وأرسل عبد الله بن المعتّم ، رِبعي بن الأفكل إلى الحصنين ، وهما نينوى ، والموصل ، وتسمى نينوى الحصن الشرقي ، وتسمى الموصل الحصن الغربي ، وقال : اسبق الخبر ، وسَرّح معه تغلب ، وإياد ، والنمر ، فقدمهم ابن الأفكل إلى الحصنين ، فسبقوا الخبر ، وأظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالأبواب ، وأقبل ابن الأفكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا أبوابهما ، فنادوا بالإجابة إلى الصلح وصاروا ذمة(١) .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/٥٢٣ .

تَغْلِبُ وعُمر بن الخَطّاب

أَمْرُ نَصارى بَني تَغْلِب بن وائل والجزية :

. . . عن السَّفَّاح الشَيباني قال : أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تَغْلِب فانطلقوا هاربين ولحقت طائفة منهم ببُعدٍ من الأرض ، فقال زُرعة[1] بن النعمان ، انشدُك الله في بني تغلب فإنَّهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم فلا تُعِن عدوُّك عليك بهم ، فأرسل عمر في طلبهم فردّهم واضعف عليهم الصدقة[2] .

وفي رواية ثانية : عن زُرعة بن النعمان ، أنّه كان كلّم عمر في نصارى بني تَغلب ، وقال قوم عرب نائفون من الجزية وإنَّما هم أصحاب حروث ومواش ، وكان عمر قد همَّ أن يأخذ الجزية منهم ، فتفرقوا في البلاد فصالحهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم في الأرض ، والماشية ، واشترط عليهم أن لا يُنَصِّروا أولادهم[3] .

وأثناء فتوح الجزيرة ، كتب عُمير بن سعد إلى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يعلمه أنَّه أتى شِقّ الفُرات الشامي ؛ ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وأنَّه أراد مَنْ هناك من بني تَغْلِب على الإسلام فأبوه وهمُّوا باللحاق بأرض الروم وَقَبلهم ما أراد مَنْ في الشِقّ الشرقي على ذلك ، فامتنعوا منه وسألوه أن يأخذ لهم في الجلاء واستطلع رأيه فيهم ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يأمره أن

---

(١) أو النعمان بن زُرعة ـ فتوح البلدان ص ٢٥٠ ـ وجاء في كتاب المعارف ٥٧٤ أو النعمان بن زُرعة التغلبي .

(٢) فتوح البلدان ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ . (وجاء في المعارف ٥٧٤) أنشدك الله فيم فإنهم قوم عرب يأنفون من الجزية ، وهم قوم لهم نكاية ، فلا تعن عدوك عليك : فأضعف عليهم الصدقة ، وشرط عليهم ألا ينصِّروا أولادهم .

(٣) فتوح البلدان ـ ٢٥١ .

يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض ، وإن أبوا ذلك حَارِبهم حتّى تبيدهم[1] أو يُسلموا ، فقَبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا امّا إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فإنَّا نرضى ونحفظ ديننا[2] .

كان الخليفة عمر بن الخطاب شديد الحرص على الاحتفاظ بالعرب في مواطنهم ولو كانوا على غير دين الإسلام لأنه يعتبرهم مستقبلاً قوة يُستعان بها في دولة المستقبل . ويظهر إهتمامه هذا جلياً عندما كتب إلى ملك الروم لإعادة العرب من إياد إلى ديارهم وكانوا قرابة أربعة آلاف ، وأعيدوا تحت التهديد لأن عمر قرر أن يتخذ اجراءاً مماثلاً إذا لم يعودوا ، هذا ورفض عمر إجبار العرب في البلاد المفتوحة أن يعتنقوا الإسلام بالقوة ، ولم ينطبق هذا إلاَّ على جزيرة العرب .

هذا وقد استقرت قبيلة تَغلب ودفعت الجزية وكان الصلح ، وجاء في ذلك :

صَالح عمر بن الخطَّاب بَني تَغلب بعدما قطعوا الفرات وأرادوا اللحاق بأرض الروم على أن لا يصبغوا صبيّاً ولا يكرهوه على دينهم ، وعلى أنَّ عليهم الصدقة مُضَّعفة[3] .

. . . عن زياد بن حُدير الأسدي ، قال : بعثني عمر إلى نصارى بني تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم ونهاني أن أعشِّر مسلماً أو ذميّاً يؤدي الخراج[4] .

. . . عن الزُّهري ، قال : ليس في مواشي أهل الكتاب صدقة ، إلاَّ

---

(١) يبيدهم .
(٢) فتوح البلدان ـ ٢٥٠ .
(٣) فتوح البلدان ـ ٢٥١ .
(٤) فتوح البلدان ـ ٢٥٢ .

نصارى بني تَغلب أو قال : نصارى العرب الذين عامَّة أموالهم ، المواشي فإنَّ عليهم ضعف ما على المسملين[1] .

ويظهر أن تغلب نقضت ببعض بنود الاتفاق الذي بينهم وبين المسلمين وتم الصلح على أساسه ، فثارت ثائرة علي كرم الله وجهه فقال : لَئِنْ تَفرَّغتُ لبني تغلب ليكوننَّ لي فيهم رأي لاقتلنَّ مقاتلتهم ولاسبينَّ ذرّيتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمَّة حين نَصَّروا أولادهم[2] .

وكان داود بن كُردُوس يقول : ليست لهم ذمَّة ، لأنهم قد صبغوا في دينهم ، يعني المعمودية[3] .

عن ابن عبَّاس قال : لا تؤكل ذبائح نصارى بني تَغلب ولا تُنكح نساؤهم ليسوا منَّا ولا من أهل الكتاب[4] . لقد كره المسلمون تغلب لأنها نقضت الاتفاق معهم ، لذلك كان انتقادهم لها حاداً .

تغلب في عهد الخليفة عثمان بن عفان :

جاء : أنَّ عثمان أمر أن لا يُقبل من بني تَغلب في الجزية إلاَّ الذهب والفضَّة ، فجاءه الثبت أنَّ عُمر أخذ منهم ضعف الصدقة ، فرجع عن ذلك .

وجاء عن مجموعة من فقهاء المسلمين قولهم : يؤخذ من التَّغْلبي ضعف ما يؤخذ من المسلم في أرضه وماشيته وماله ، فأمَّا الصبي والمعتوه منهم ، فإنَّ أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ، ولا يأخذون من ماشيته شيئاً .

قال أهل الحجاز : يؤخذ ذلك من ماشيته وأرضه ، وقالوا جميعاً إن سبيل ما يؤخذ من أموال بني تغلب سبيل مال الخراج ، لأنه بدل من الجزية[5] .

* * *

(١) فتوح البلدان ـ ٢٥١ .

(٢) فتوح البلدان ـ ٢٥٢ .

(٣) فتوح البلدان ـ ٢٥١ .

(٤) فتوح البلدان ـ ٢٥٠ .

تَغْلِب ، وفتوح الجزيرة ، وعُمر

في سنة (١٧ هـ) أرسل سعد بن أبي وقاص العساكر إلى الجزيرة ، فخرج عِيَاضُ بن غَنْم ومن معه فأرسل سُهيل بن عدي إلى الرَّقة ، وقد ارفضّ أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بأهل الكوفة ، فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتى صالحوه ، فبعثوا في ذلك إلى عِيَاض بن غَنْم وهو في منزل وسط بين الجزيرة ، فقبل منهم وصالحهم ، وصاروا ذمّةً .

وخرج عبد الله بن عِتبان على الموصل إلى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كصنع أهل الرقة ، فكتبوا إلى عياض فقبل منهم وعقد لهم .

وخرج الوليد بن عُقبه فقدم على عرب الجزيرة ، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلاّ إياد بن نزار فإنهم دخلوا أرض الروم ، فكتب الوليد بذلك إلى عمر .

فلما قدم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الروم من العرب ، كتب عمر :

إلى ملك الروم

بلغني أن حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتُخْرجنّه إلينا أو لنُخرجن النصارى إليك .

فأخرجهم ملك الروم ، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرق بقيتهم في مايلي الشام والجزيرة من بلاد الروم ، فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف .

وأبى الوليد بن عُقبة أن يقبل من تَغلب إلاّ الإسلام ، فكتب فيهم إلى عمر .

فكتب إليه عمر :

إنّما ذلك بجزيرة العرب لا يُقبل فيها إلاّ الإسلام ، فدَعهم على أن لا ينصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام .

وكان في تغلب عزّ وامتناع ، فهمّ بهم الوليد فخاف عُمر أن يسطوا عليهم فعزله وأمرّ عليهم فُرات بن حيان وهند بن عمرو الجملي[1] .

شهرياض الملك بن قريبون وعلاقته مع عرب الجزيرة .

كانت الفتوحات العربية الإسلامية تسير سيراً موفقاً في الجزيرة بقيادة عياض بن غنم ، وكلما فتحت مدينة أو حصناً فإن بعض قادتها إما يطلبون الصلح ويخضعون لشروط المسلمين أو يهربون إلى مدينة ثانية وحصناً آخر يتعاونون لمقاومة المسلمين ، وكان الملك شهرياض بن قريبون : قد عمل على تحصين مدينة رأس العين وهي أرض ربيعة ، بعد أن وقعت المدن والحصون القريبة منها في أيدي المسلمين . قال الواقدي :

قد حصَّنها بأعظم تحصين ، وأعدَّ أهلها آلة الحصار ، وزاد في عرض الخندق ونصب خيامه وسرادقه غرباً منها إلى طريق النُّقب[2] ، وهو معول على لقاء عياض بن غَنْم ، وقد جمع إليه عرب الجزيرة كُلَّهُم من بني تَغلب وغيرهم ، وإياد الشَّمطاء واستدعى بسادتهم . وهم : نوفل بن مازن ، والفريد بن عاصم ، والأشجع بن وائل ، وميسرة بن عاصم ، وحزام بن عبد الله ، وقارب بن الأصم . وقال :

يا قبائل العرب لم نزل نرعى كَبيركم وصَغيركم وعَبيدكم ، وقد أَبحناكم أرضنا ترعون في حَزنها وسَهلها ، ونرضى منكم بما تُؤدون إلينا من أتاواتكم ، وأنتم واحد منَّا ، وهؤلاء بنو عمكم قد ملكوا الشام ومعاقله ، ولم يقنعهم ذلك حتى أَتوا إلينا ، يريدون أن يزاحمونا على ملكنا أو يخرجونا من أرضنا ، وقد علمتم أن القوم إن ظفروا بكم ما يبقوكم ، ولن يرضوا منكم إلاّ أن تدخلوا في دينهم ، فإن رأيتم أن تقاتلوا عن دينكم وأهليكم ومالكم ، فنحن نكون يداً واحدةً ولا نتفضَّل عنكم بشيء كما أن جبلة[3] بن الأيهم ،

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٢ ، ٥٣٣ .

(٢) النُّقب : موضع يقع غرب رأس العين .

(٣) جبلة بن الأيهم : هو آخر ملوك الغساسنة بالشام عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام وغادرها مع الروم إلى القسطنطينية .

وآل غسان[1] مع الملك هرقل ؛ فإن نحن نُصرنا على القوم ، فالأرض لنا ولكم على السَّواء ، وإن كانت الأخرى أَبلينا بلاءً حسناً ونموت على دين واحد ، ويبقى ذكرنا إلى الأبد ما قام وقعد .

قال : فأجابوه إلى ذلك وتحالفوا أن يموتوا على سيف واحد . فأعطاهم الأموال والعدد والسلاح وساروا معه[2] .

موقعة السَّمانية[3] : قال الواقدي :

بعث عبد الله بن عِتبان[4] ، سهل بن اساف اليمني وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أهل الحرب وأنقذ معه مائة فارس من المسلمين ليأتوا بالعلوفة من نحو (مَاسِكِن[5] ، وعَرابان[6]) . وسار سهل رحمه الله ، فلما كان بالقرب من (السَّمانية) شَنَّ الغارة عليها واستاق أموالها ونَعَمها .

فخرج عليه نَوفل بن مازن الإيادي ، وهو أحد إيادي الشمطاء في خمس مائة فارس من إياد فاستخلصوا الغنيمة وحملوا عليهم ، فقال سَهل بن اساف لأصحابه : اعلموا أن العدو كثر وجمٌ غفير ، وليس يُنجيكم إلاَّ صدق العزيمة فاحملوا ولا تُمهلوا ورماحكم في صدورهم فاطعنوا ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وعجلوا[7] .

ولم يزالوا في قتال ، وحرب ونزال ، إلى أن فُقِدَ من المسلمين ثلاثون

---

(١) الغساسنة من الأزد ، وسموا غسان نسبة إلى ماء غسان . (معجم البلدان ٤/ ٢٠٤) .
(٢) تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق (ص ٤٩ ـ ٥٠) .
(٣) السَّمانية : وهي بلدة الشمسانية على نهر الخابور . مراصد الإطلاع ٢/ ٨١٠/ .
(٤) عبد الله بن عِتبان بن وائل بن صعصعة بن النجار (فتوح الجزيرة ـ ١٣٨) .
(٥) ماسكن : هي بلدة ماكسين وتقع إلى الجنوب من عرابان في منتصف الطريق بينها وبين قرقيسياء وهي من قرى الخابور من ديار ربيعة (معجم البلدان ٥/ ٤٣) .
(٦) عرابان : بلدة بالخابور من أرض الجزيرة في ديار ربيعة وتقع على تل مرتفع وبها قلعة لها سور منيع . (معجم البلدان ٤/ ٩٦) .
(٧) تاريخ فتوح الجزيرة ٥٣ .

رجلاً ، وأُسر ثلاثة وعشرون رجلاً من جملتهم أميرهم سهل بن اساف ، وانهزم الباقون إلى عسكر عبد الله بن عِتبان وسهل بن عدي ، وحدَّثوا أصحابهم بما كان من المتنصرة ومنهم[1] .

فلما أسرهم نوفل شدَّهم في الحبال وأقرن بعضهم إلى بعض ورجَّلهم عن خيولهم وسار بهم يطلب رأس عين فأُخبر أن الملك شهرياض على مرج الطير[2] من جانب النُّقب ، فقصد إليه ومعه أربعون من بني عمه ، وقد تكفلوا بسوق أصحاب رسول الله ﷺ إلى أن أوقفوهم بين يدي الملك ، فسألهم فحدَّثوه بأمرهم وأنَّهم أغاروا على السّمانية فنصرنا المسيح عليهم . . . فلما سمع ذلك نوفل بن مازن أمر بضرب رقابهم ، فكان آخر من قُدم منهم أميرهم سهل بن اساف رحمه الله . وكان من أحسن الناس وجهاً ، فلما قُدم لضرب العنق سأل فيه بعض البطارقة . . . وهبه له ودخل قصره[3] .

خالد[4] بن الوليد وعياض بن غنم :

جاء في فتوح الجزيرة . واتصلت الأخبار بعياض بن غنم رضي الله عنه وقد عبر إلى جانب الرقة ، وهو لا يدري بحرب من يبدأ ، بحرب شهرياض وجنوده ، أم (بحران ، والرُّها) . فقال خالد بن الوليد :

« أيها الأمير أتترك جيشاً قد احتفل على لقائك وصمّم على حربك وتقصد المدائن ؟ عليك بلقاء هذا العدو ، فإذا هزمته ووقعت لك الهيبة اقصد ما شئت من البلاد تفتح لك إن شاء الله تعالى » . فعوَّل عياض بن غنم على ذلك .

---

(١) تاريخ فتوح الجزيرة ٥٤ .

(٢) مرج الطير : سهل واسع بجانب عين وردة .

(٣) تاريخ فتوح الجزيرة ـ ٥٦ . ومن بعد كان له دوراً هاماً . ولقد ذكرت هذه الموقعة فقط من باب تعاون عرب الجزيرة (إياد) مع الرومان .

(٤) إن خالد بن الوليد شارك بفتوح الجزيرة تحت قيادة عياض بن غنم ، ولكنه كان موفور الجانب له بينهم العزة والكرامة . يؤخذ برأيه في المعارك ، وبقي الجندي القائد المقاتل بكل إخلاص .

وإذا قد ورد عليه عيونه وهم أهل الذمة ، يخبرونه أن الملك شهرياض قد تكفَّل بلقائك وهو صاحب رأس عين ، وتُوتا[1] صاحب كفره ، وطرياطس صاحب نصيبين[2] ، ولاوذ بن صليبا صاحب دارا والموزُر[3] ، وأوزون الأرمني صاحب التل[4] ، وشامس بن ميخائيل صاحب جَمْلين ، وأرمانوس صاحب تل بسمى[5] ، وتل القرع[6] ، وأرجَوك صاحب البارعيَّة ، وأرسَيُوس ابن حَاريش صاحب ماردين ، ودُوروس بن نقولا صاحب حران والرُّها .

وقد صارت جريدتهم مائتي ألف من الروم والأرمن والعرب ، وقد انفردت العرب منهم في اثني عشر ألفاً مع أهاليهم وأولادهم وضمنُوا للملك لقائكم ، وقالوا : لا نلقى العدو إلا بأهلنا وأولادنا حتى إذا رأى العدو وأراد أحدنا الهزيمة ، ذكر أهله وولده فيثبت دون الفرار ، وقد رحلوا عن الروم والأرمن مرحلة إليكم[7] .

وهنا يأتي دور القائد الذكي من أجل شل تحالف عرب الجزيرة مع الروم ، وتعدادهم اثني عشر ألف مقاتل ، فهم قوة لا يستهان بها ، فإما تحييدهم خارج المعركة ، أو إشراكهم لجانب أبناء عمومتهم من العرب . والمعروف عنهم بأنهم أشداء في القتال ، ولقد تعاهدوا وعقدوا العزم معهم على المضي في المعركة بكل بأس .

---

(١) كفر توتا : كورة واسعة في بلاد الجزيرة وتمتد بين دارا ورأس العين (معجم البلدان ٤/ ٤٦٨) .
(٢) نصيبين : مدينة قديمة ويتبع لها كورة واسعة وبقربها جبل ماردين وهي كثيرة المياه والبساتين وهي من ديار ربيعة (معجم البلدان ٥/ ٨٨) .
(٣) الموزر : عمل متسع بين بلاد ديار مضر ، وديار بكر على بعد يوم من حران (معجم البلدان ٥/ ٢٢١) .
(٤) التل : ويقصد به قلعة تل أرجوك في ديار مضر . (الأعلاق الخطيرة ـ ٣/ ٣٤٨) .
(٥) تل بسمى : بلدة هامة في ديار ربيعة من ناحية شبختان وفيها قلعة حصينة (معجم البلدان ٢/ ٤٠) .
(٦) تل القرع : إحدى حصون ديار ربيعة (مراصد الاطلاع ١/ ٢٨٠) .
(٧) تاريخ فتوح الجزيرة ٦٣ ـ ٦٤ .

وهذا ما أراده القائد العربي المسلم عياض بن غَنْم ، عندما سمع بحشود الروم الهائلة إذ بلغ تعدادهم مائتي ألف ، وهنا يوضح لنا الواقدي صورة الأحداث فيقول :

فلما سمع عياض بن غنم ذلك بعث إليهم الوليد بن عُقب[1] ووصاه بما أراد ، فقدم على بني تغلب وجمع أمراءهم ، وهم نوفل بن مازن ، والشَّريد بن عاصم ، والأشجع بن وائل ، وميسرة بن عامر ، وحزام بن عبد الله ، وقارب بن الأصم ، وقال :

يا فتيان العرب ، اعلموا أن النظر في العواقب آمَنُ من المعاطب ، وليس أنتم أحدُّ سِناناً ، ولا أقوى في الحرب جناناً ولا أوسع ميداناً من بني غسان ، وليس فيكم من يشبه جَبلة بن الأيهم ، وكان في ستين ألفاً هزمنا جيوشهم وقتلنا ساداتهم ، والصواب أن ترجعوا إلينا وتكونوا حزبنا .

فنهض كافرهم ومُسلمهم كُلُّهم ، إلاَّ إياد بن نزار فإنهم ارتحلوا بقبيلتهم إلى بلد الروم . فلما توجهت إياد الشمطاء إلى بلد الروم ، ووصلت ثعلبة وبنو ربيعة إلى جيش عياض بن غنم مُسلمهم وكافرهم ، رحَّب بهم وطيب قلوبهم ، وقال :

يا معاشر العرب ، إن الله سبحانه وتعالى قد أراد بكم خيراً بوصولكم إلينا وإنزاحكم عن عَبَدةِ . وقد أراد الله إعزاز ديننا وشرَّف نبينا ، وكان ﷺ قد وعدنا وَوَعْدُه حَقٌ ، بملك كسرى وقيصر وكنوزهما نأخذها ، وكان قوله من قول الله تعالى في حقه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] .

---

(١) هو الوليد بن عُقبة بن أبي معيط . طبقات بن سعد ٤/ ١٦١ .
(٢) سورة النجم آية ٣ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٢٨ .

وقال تعالى : ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] .

قال : فلما سمعوا كلام عياض بن غنم أَسلمَ كافرهم[2] .

قال الواقدي : ولم يؤخذ في ديار ربيعة بالسيف إلاَّ رأس العين ، وكانت وقعة رأس العين يوم الثلاثاء من ربيع الأول سنة سبع عشرة من الهجرة[3] .

وكانت المعارك التي وقعت شديدة وقُتل الملك شهرياض بن قريون ، قتله عبد الله بن عتبان ، في معركة مرج رعبان ، كما فتحت مدينة رأس العين بالقوة رغم كل استعدادات الروم وشارك في هذه المعركة ستمائة من الصحابة مثل خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن خالد الأشتر ، وعبد الرحمن بن عامر ، والنعمان بن المنذر ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وعباد بن بشر ، وعمرو بن معدي كرب ، والحارث بن خزرجه ، وعامر بن ربيعة ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، ورافع بن ظاعن ،ومُرَّة بن خلاّن ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومعّقب بن أُسيد ، وعمارة بن أوس ، وحامد بن مزينة ، ومثنى بن سلمة ، وأبان بن عثمان ، وضرار بن الأزور ، وعاصم بن ماهر ، وأبو ذر جندب الغفاري ، ومعاذ بن جبل ، وسعيد بن زيد ، والمرقال بن سارية ، وأمية بن كعب ، وسعيد بن زُرارة ، وزُفر بن سعيد ، ومثل هؤلاء السادة[4] .

* * *

---

(1) سورة الأنبياء آية ١٠٥ .

(2) فتوح الجزيرة ـ ٦٥ .

(3) فتوح الجزيرة ـ ١٥٦ .

(4) تاريخ فتوح الجزيرة ـ ١٣٥ ، ١٣٦ ـ إن رواية فتوح الجزيرة طويلة ، وأنا قصدت فقط البحث عن قبيلة تغلب ، وهنا باختصار شديد وضعت القارىء بصورة فتوح الجزيرة .

فتح مُكران ـ والحَكم[*] التَّغْلِبي

في سنة سبع عشرة أذن عمر بن الخطاب للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف ، وشكل ألوية عدة ، وعلى كل لواء قائد يفتح بلداً حددت له .

وعهد إلى الحكم بن عمرو التَّغلبي بأن يفتح إقليم مُكران[1] في سنة ثمانية عشرة ، وقيل في سنة إحدى وعشرين ، وقيل في سنة اثنين وعشرين[2] .

وجاء في الطبري في سنة ثلاث وعشرين ، قصد الحكم بن عمرو التَّغلبي لِمُكران ، حتى انتهى إليها ، ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب ، فانضمّ إليه ، وأمدَّه سهيل بن عدي ، وعبد الله بن عبد الله بن عِتبان بأنفسهما ، فانتهوا إلى دُوين النهر ، وقد انفضّ أهل مُكران إليه حتى نزلوا على شاطئه ، فعسكروا ، وعبر إليهم راسل ملكُهم ملكَ السند فازدلف(٣) بهم مُسْتَقْبِلَ المسلمين .

فالتقوا بمكان من مُكْران من النهر على أيام ، بعدما كان قد انتهى إليه أوائلهم ، وعسكروا[4] به ليلحق أخراهم[5] ، فهزم الله راسل وسلبه[6] . وأباح المسلمين[7] عسكره . وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة ، واتبعوهم

(*) معجم البلدان ٤/ ٥١٥ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٥٥٤ ، تاريخ الطبري ٤/ ١٨١ ، ١٨٢ .

(١) مُكران : تقع بين فارس وسجستان ، وشرقي كُرْمان ، ومفازة ما بين مُكران والبحر وراء البَلُوص وغربيها أرض فارس ، وشمالها مفازة خراسان ، وجنوبها بحر فارس (معجم البلدان ٤/ ٥١٥) .

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٥٥٤ .

(٣) ازدلف : اقترب .

(٤) في حاشية طبري ٤/ ١٨٢ ـ « ليلحق بهم أخراهم » .

(٥) في حاشية طبري ٤/ ١٨٢ « ليلحق أولهم أخراهم » .

(٦) في حاشية طبري ٤/ ١٨٢ « فهزمهم الله وانهزم راسل وسلب » .

(٧) في حاشية طبري ٤/ ١٨٢ « للمسلمين » .

يقتلونهم أياماً ، حتى انتهوا إلى النهر ، ثم رجعوا فأقاموا بمُكْران .

وكتب الحكم إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع صُحار العبدي ، واستأمره في الفِيلَة ، فقدم صُحار على عمر بالخبر والمغانم ، فسأله عمر عن مُكْران ـ وكان لا يأتيه أحد إلاّ سأله عن الوجه الذي يجيء منه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أرضٌ سَهلها جَبَل ، وماؤها وشل[1] ، وتمرها دَقَل[2] ، وعدوّها بطل ، وخيرها قليل ، وشرّها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شرّ منها .

فقال : أسَجّاعٌ أنت أم مخبر ؟

قال : لا بل مُخبر .

قال : لا والله لا يغزوها جيش لي ما أُطِعْتُ ؛ وكتب إلى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ألاّ يجوزَنّ مُكْران أحد من جنودكما واقتصرا على ما دون النهر ؛ وأمره ببيع الفَيلة بأرض الإسلام ، وقَسم أثمانها على مَنْ أفاءها الله عليه .

وقال الحكم بن عمرو في ذلك :

لقد شَبِعَ الأرامِلُ غَيْرَ فَخْرٍ ... بفيءٍ جاءَهُمْ من مُكُّرانِ[3]
أتاهُمْ بعد مَسْغَبَةٍ وجَهْدٍ ... وقد صَفِرَ الشِّتاءُ من الدُّخانِ
فإنِّي لا يَذُمُّ الجيشُ فِعْلي ... ولا سَيْفي يُذَمُّ ولا سِناني
غَداةَ أُدَفِّعُ الأوْباشَ دَفْعاً ... إلى السِّندِ العَريضةِ والمَداني
ومِهْرانٌ لنا فيما أَرَدْنا ... مُطيعٌ غَيْرَ مُسْتَرْخي العِنانِ
فلَوْلا ما نَهى عَنهُ أَميري ... قَطَعْناهُ إلى البُدُدِ الزَّواني[4]

* * *

(١) الوشل ، بالتحريك : الماء القليل .

(٢) الدقل : أردأ التمر .

(٣) مُكران : في معجم البلدان ٤/ ٥١٥ « مُكْران بالضم ثم السكون وراء وآخره نوه ، أعجميه ، وأكثر ما تجيء في شعر العرب مشددة الكاف » .

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٨١ ، ١٨٣ . ويقصد الحكم بن عمرو التغلبي بقوله : أميري : يقصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

غارة الحارث(*) بن نِمْر التَّنوخي
على بني تغلب سنة « ٣٩ هـ »

ولما قدم يَزيد[1] بن شَجَرَة الرهاوي[2] على معاوية وجّه الحارثَ بن نِمْر التنوخي إلى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي كرم الله وجهه ، فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بني تَغْلب ، وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا علياً إلى معاوية ، فسألوه في إطلاق أصحابهم فلم يفعل ، فاعتزلوه أيضاً .

وكتب معاوية إلى علي ليفاديه بمن أسر مَعْقِل بن قيس من أصحاب يزيد[3] بن شجرة ، فسيّرهم علي إلى معاوية ، وأطلق معاوية هؤلاء .

وبعث عليّ رجلاً من خثعم يقال له عبد الرحمن إلى ناحية الموصل ليُسكّن الناس ، فلقيه أولئك التَغْلبيون الذي اعتزلوا معاوية وعليهم قُريع بن الحارث التغلبي ، فتشاتموا ثم اقتتلوا فقتلوه ، فأراد علي أن يوجه إليهم جيشاً ، فكلمته ربيعة وقالوا : هم معتزلون لعدوّك داخلون في طاعتك وإنما قتلوه خطأ . فأمسك عنهم[4] .

* * *

(*) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٧٨ ، ٣٨٠ . طبري ٥/ ١٣٦ ، ٢٣٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ .

(١) أي لما قدم يزيد بن شجرة من الحج الذي أوفده به معاوية ليقيم للناس الحج ويأخذ له البيعة وذلك في سنة تسع وثلاثين . (الكامل في التاريخ ٥/ ٣٧٨ ـ طبري ٥/ ١٣٦).

(٢) الرَّهاوي : منسوب إلى الرّهاء : قبيلة من العرب . وقد ضبطه عبد الغني بن سعيد بفتح الراء : قبيلة مشهورة (الكامل في التاريخ ٣/ ٣٧٩) .

(٣) يزيد كان من قادة معاوية ـ في سنة (٤٩ هـ) كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر فشتا بأهل الشام . (طبري ٥/ ٢٣٢) .
وفي سنة (٥٦ هـ) كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر ، وفي البر عياض بن الحارث (طبري ٥/ ٣٠١) .
وفي سنة (٥٨ هـ) وفيها قُتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن في قول الواقدي . طبري ٥/ ٣٠٩ .

(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٨٠ .

معارك بين تغلب وقيس في الإسلام

أيام ومواقع جرت لتغلب في الإسلام كانت لها انتصارات وأصابتها هزائم وذلك في سنة سبعين للهجرة ، ولقد ذكرها ابن الأثير ولا بد من ذكرها لكي تكتمل الصورة ؟

- يوم ماكسين .
- يوم الثَّرْثَار الأول .
- يوم الثَّرْثَار الثاني .
- يوم الفُدَيْن .
- يوم السُّكَيْر .
- يوم المعارك .
- يوم الشَّرعبيّة .
- يوم البَليخ .
- يوم الحَشّاك .

مقتل عُمير بن الحُباب السُّلَمِّي وابن هَوبر التَّغلبيّ . سنة « ٧٠ هـ » .

وإن سبب الحرب في هذه الأيام والتي وقعت بين قيس وتغلب هي إنّ عُميراً بن الحُباب بن جَعْدة السُّلَميّ بعد أن أغار على كلب ، رجع فنزل على الخابور ، وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودجلة . وكانت بحيث نزل عُمير امرأة من تميم ناكح في تغلب يقال لها أمّ دويل ، فأخذ غلام من بني الحَرِيش أصحاب عُمَيرَ عدداً من غنمها ، فسشكتْ إلى عُمير ، فلم يمنع عنها ، فأخذوا الباقي فمانعهم قوم من تغلب ، فَقُتل رجل منهم يقال له مجاشع التّغلبيّ ، وجاء دويل فشكت امّه إليه ، وكان فارساً من فرسان تغلب ، فسار في قومه وجعل يُذكرهم ما تصنع بهم قيس ويشكو إليهم ما أُخذ من غنم أمّه ،

فاجتمع منهم جماعة وأمّروا عليهم شُعَيْث بن مُلَيل التغلبيّ وأغاروا على بني الحَريش ومعهم قوم من نُمَير ، فَقَتلَ فيهم التغلبيون واستاقوا ذَوداً لامرأة منهم يقال لها أمّ الهُيْثَم ، فمانعهم القيسيّون فلم يقدروا على منعهم ، فقال الأخطل :

فإنْ تَسألونا بالحَريش فإنّنا ... مُنينا بِنُوكٍ مِنهُمُ وفُجُورِ
غَداةَ تَحامَتْنَا الحَريشُ كأنّها ... كِلابٌ بَدَتْ أنيابها لَهريرِ
وَجاؤوا بجمَعِ ناصري أمّ هيثم ... فَما رَجعوا مِنْ ذَودِها ببعيرِ[1]

يَومُ مَاكْسين : سنة « ٧٠ هـ » .

ولما استحكم الشر بين قيس وتغلب ، وعلى قيس عُمير بن الحُباب بن جَعْدة السُّلَميّ وعلى تغلب شُعَيْث بن مُليك التغلبي ، غزا عُمير بني تغلب وجماعتهم بماكِسين من الخابور[2] فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وهي أوّل وقعة

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٠ . الذَّوْدُ : السَّوْقُ والطَّرد ، و« الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبلٌ » يَدلُّ على أنها في موضع اثنتين . (القاموس المحيط) .

(٢) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبُلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه من البلاد قرقيسياء وماكسين والمجد وعَربان ، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين ، وينصب في نهر الفرات (معجم البلدان ٢/ ٣٨٢) .

ـ وجاء في الروض المعطار/ ٢١١ ، الخابور : مدينة لطيفة على شاطىء الفرات لها بساتين وحدائق ، وبها مات مسلمة بن عبد الملك ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء .

ـ مَاكَسِيْن : قرية لبني تغلب على شاطىء الفرات ، في مَهَبّ الجَنُوب ، وبها حَمَّة ، وبينها وبين رأس عين مَسيرة يوم ، وبهذه القرية لَقي عُمير بن الحُباب بني تغلب حين غزاهم ، فاقتتلوا عند قَنطرة القرية ، وهي أول قرية تراجعوا فيها ، فَقُتل في هذا اليوم من تغلب زُها خمسمائة ، وكان رَئيسهم ورئيس من معهم من النَّمِرِ وبكر ، شُعيث بن مُليْل ، قال نُفيع بن سالم بن صَفَّار المُحاربي .

ألم تَسْأَلْ بني جُشَمَ بن بَكْرٍ ... غداةَ أتاهُمُ عَنَّا النذيرُ
بِحَمَّةِ مَاكَسِينَ إذا الْتَقَيْنَا ... وقَدْ طالَ التَّوعُّدُ والزَّئيرُ

وهو أيضاً يوم القناطر ، قال نُفَيْع :

لَهم ، فَقُتل من بني تغلب خمسمائة ، وَقُتل شُعيث وكانت رِجْله قطعتْ فقاتل حتى قُتل وهو يقول :

قـدْ عَلمـت قَيـسٌ ونحـنُ نَعْلَـمْ أنّ الفتـى يُقتـلُ وهـوَ أَجْـذَمْ[1]

يوم الثَّرْثار[2] الأول : سنة « ٧٠ هـ »

لما قُتل بماكسين مَنْ ذكرنا استمدّت تغلب وحشدت واجتمعت إليها

= وأَيّـامَ القَنَـاطِـرِ قَـدْ تَـركْتُـم رَئيسَكُـمُ لنـا غَلِقـاً رَهينَـا

« معجم ما استعجم ١١٧٥ ـ ١١٧٦ » .

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٠ .

(٢) والثَّرثار نهر أصل منبعه شرقي مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها سُرَّق ويفرغ في دجلة بين الكُحَيْل ورأس الأيل من عمل الفرج (الكامل في التاريخ ٤/ ٣١١) .

والثَّرثار : واد عظيم بالجزيرة (شمال سورية) يمدُّ إذا كثرت الأمطار ، فأما في الصيف فليس فيه إلاّ مناقع ومياه حامية وعيون قليلة ملحة ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، كان في القديم منازل بكر بن وائل واختصّ بأكثره بنو تغلب منهم ، وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة (معجم البلدان ٢/ ٨٨) .

ـ الثّرثار : ماء معروف قبل تكريت ، أنشد المبرد :

لعمـري لقـد لاقـت سليـم وعـامـر علـى جـانـب الثَّـرثـار راغبـة البكـر

« الروض المعطار/ ١٤٩ » .

ـ وبالثَّرثار قَتلت تَغلب عُمير بن الحُباب وقومه فأتى تميم بن الحُباب أبا الهُذيل زُفَر بن الحارث ، يستنجده على الطلب بثأر أخيه ، فغزوا تَغلب ، فأدركوهم بالكُحَيْل ، وهو نهر أسفل الموصل ، على عشرة فراسخ فيما بينها وبين الجنوب ، فقتلوا بني تَغلب أَذْرَعَ قَتل ، ومَنْ غرق منهم أكثرُ من ممن قُتل ، وقال زُفَر في ذلك :

فلـو نُبِـشَ المقـابـرُ عـن عُميْـرٍ فَيُخْبـرَ عـن بـلاء أبـي الهُـذَيْـلِ

غَـداةَ يُقـارِع الأبطـاً حتـى جـرى منهـم دَمـاً مَـرْج الكُحَيْـلِ

ثم اتبعوا بقيتهم ليلاً ، فأدركوهم قد عسكروا برأسِ الإيّل ، فقاتلوهم بقيَة ليلتهم ، وادّرَعتْ بنو تغلب الليل ، فَفَرّتْ ، وصبرت النّمِر ، فقال ابن شيبان النَّمري ، يفخر بالنَّمر :

وليلةَ الإيّلِ من بَلائِها

إذ فَرَّت الجَعراءُ عن لوائها

وحامت النَّمرُ على أكسائها « أي على ظهورها »

معجم ما استعجم ١/ ٣٣٩ .

النّمِر بن قاسط وأتاها المشجّر بن الحارث الشيبانيُّ ، وكان من سادتهم بالجزيرة ، وأتاها عُبيد الله بن زياد بن ظبْيان منجداً لهم على قيس ، فلذلك حقد عليه مصعب بن الزبير حتى قتل أخاه النابىء بن زياد ، واستنجد عُميرٌ[1] تميماً وأسداً فلم ينجده منهم أحد .

فالتقوا على الثَّرْثار ، وقد جعلت تَغلب عليها بعد شُعَيث[2] زِياد بن هَوبر ، ويقال يَزيد بن هَوبر التغلبيّ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت قيسٌ وقَتلتْ تغلبُ وَمَنْ معها منهم مقتلةً عظيمةً وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُلَيم ؛ وقالت ليلى التغلبية وقيل هي للأخطل :

لمّا رأوْنا والصّليبَ طَالعَا ... ومارَ سرْجيسَ وَسُمّاً نَاقعاً
والخَيلَ لا تَحملُ إلاّ دَارِعَا ... والبِيضَ في أَيمانِنا قَواطِعَا
خلَّوا لنا الثَّرثارَ والمزارِعا ... وحِنطَةً طَيْساً وكَرْماً يَانِعَا[3]

يوم الثَّرْثَار[4] الثاني : سنة « ٧٠ هـ » .

ثمّ إنّ قيساً تجمّعت واستمدّت واستعدّت وعليها عُمير بن الحُباب ، وأتاهم زُفَر بن الحارث من قَرْقِيسيا ، وكان رئيس بني تغلب ، والنّمِر ومعهما ابن هوبر فالتقوا بالثَّرْثار واقتتلوا أشدّ قتال اقتتله الناس ، وانهزمت بنو عَامر ، وكانت على مَجنَّبة قيس ، وصَبرتْ سُليم وأعصرت حتى انهزمت تَغْلب ومَنْ معها وقُتل ابنا عبد يشوع وغيرهما من أشراف تغلب ، فقال عُمير بن الحُباب :

فِداً لِفوارِسِ الثَّرْثارِ نَفسي ... وَمَا جَمّعتُ مِنْ أَهلٍ وَمَالِ
وولّتْ عَامرٌ عنّا فأجلَتْ ... وحَولي من رَبيعَةَ كالجِبالِ
أُكاوِحهم بدُهمٍ مِنْ سُلَيْمٍ ... وأعصر كالمصاعيبِ النهالِ

---

(١) هو عُمير بن الحُباب السُّلمي . وسيأتي ذكر مقتله في يوم الحَشَّاك .
(٢) هو شُعيث بن مُليك التّغلبي .
(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١١ .
(٤) ورد تعريفه وشرحه في يوم الثّرثار الأول .

وقال زُفَر بن الحارث :

ألا مَــنْ مُبلــغٌ عنــي عُميــراً ... رِسَــالَــةَ نَــاصــحٍ وعليــهِ زاري
أَنَتــركُ حــيّ ذي يمــنٍ وكلبــا ... ونجعــلُ جــدّنــا بــك فــي نِــزارِ
كَمُعْتَمِــدٍ علــى إحــدَى يَــدَيْــهِ ... فَخَــانَتْــهُ بِــوَهْــنٍ وانِكســارِ[1]

يوم الفُدَيْن[2] : سنة « ٧٠ هـ » .

وأغار عُمَير بن الحُباب على الفُدَين ، وهي قرية على الخابور ، وقتل مَنْ من بني تغلب ، فهزمهم ، فقال نُفَيْع بن صفار المُحاربيُّ :

لــو تســأل الأرض الفضــاء عليكــمُ ... شهــدَ الفُــدَيْــن بهلككُــم والصُّــورُ

والصُّور : قرية من الفُدَين[3] .

يوم السُّكَيْر : سنة « ٧٠ هـ » .

وهو على الخابور يسمى سُكَير العباس[4] .

ثمّ اجتمعوا والتقوا بالسُّكَير ، وعلى قيس عُمير بن الحُباب ، وعلى تغلب والنّمِر يزيد بن هوبر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت تغلب والنّمِر وهرب عُمير بن جندل ، وهو من فرسان تغلب ، فقال عُمير بن الحُباب :

وَأَفْلَتَنَــا يــومَ السُّكَيــر ابــنُ جنــدلٍ ... علــى سَــابــحٍ عُــوجِ اللَّبــانِ مُثــابــرِ
ونحنُ كرَرْنَا الخيلَ قِدْماً شَواذِباً ... دقــاقَ الهَــوادي داميــاتِ الــدّوائِــر

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٢ .
(٢) الفُدَيْن : تصغير الفدَن ، وهو القصر المشيّد : وهو قرية على شاطىء الخابور ما بين ماكسين وقرقيسيا كانت بها وقعة (معجم البلدان ٤/ ٢٧٣) .
(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٣ .
(٤) سُكيرُ العبّاس : بلفظ تصغير السّكر ، وهو اسم للسداد الذي تُسدّ به فوهة الأنهر : وهي بليدة صغيرة بالخابور فيها منبر وسوق . (معجم البلدان ٣/ ٢٦٢) .

وقال ابن صفّار :

صَبحناكم بهنّ على سُكَيرٍ ... ولاقيتم هناكَ الأقْورينا[1]

يوم المعارك : سنة « ٧٠ هـ » .

والمعارك بين الحَضْر والعَتيق من أرض الموصل ، اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به فاشتدّ قتالهم ، فانهزمت تغلب ، وقال ابن صفّار :

ولَقَدْ تَركْنَا بالمعارِكِ منكُمُ ... والحَضْرِ والثَّرْثَار أَجْسَاداً جثَا

فيقال : إنّ يوم المعارك والحضر واحد ، هزموهم إلى الحضر وقتلوا منهم بشراً كثيراً .

وقال بعضهم : هما يومان كانا لقيس .

والتقوا أيضاً بلبّى فوق تكْريت من أرض الموصل ، فتناصفوا ، فقيس تقول : كان الفضل لنا ، وتغلب تقول : كان الفضل لنا[2] .

يوم الشَّرعبيّة[3] : سنة « ٧٠ هـ » .

ثمّ التقوا بالشَّرعبيّة ، وعلى قيس عُمير بن الحُباب ، وعلى تغلب وألفافها ابنُ هوبر ، فكان بينهم قتال شديد ، قُتل يومئذ عمّار بن المهزم السُّلَميُّ ، وكان لتغلب على قيس ؛ قال الأخطل :

ولقد بكى الجحّافُ لما أوقعت ... بالشّرْعبيّة إذ رأى الأهْوالا

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٣ .
(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٤ .
(٣) الشرعبية : موضع ذكر الأخطل وهو بالجزيرة وكانت به وقعة بني سُليم « معجم البلدان ٣/ ٣٧٩ » .

يعني أوقعت الخيلُ .

والشَّرعبية : من بلاد تغلب . والشَّرعبيّة أيضاً : ببلاد مَنْبِج ؛ فبعضهم يقول : إن هذه الوقعة كانت ببلاد مَنبج ، وذلك خطأ[1] .

يوم البَليخ : سنة « ٧٠ هـ » .

واجتمع تغلب وسارت إلى البَليخ ، وهناك عُمير في قيس ؛ والبَليخ نهر بين حَرّان والرَّقة ، فالتقوا وانهزمت تغلب وكثر القَتل فيها وبُقرت النساء كما فعلوا يوم الثَّرثار فقال ابن صفار :

زرقُ الرِّماحِ ووقعُ كلّ مُهنّدٍ   زَلْزَلنَ قَلبَكَ بالبَليخ فزالا[2]

يوم الحَشَّاك[3] ومقتل عُمير بن الحُباب السُّلَميِّ وابن هوبر التغلبيّ : سنة « ٧٠ هـ » .

لما رأت تغلب إلحاح عُمَير بن الحُباب عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا إلى الحَشّاك ، وهو تلّ قريب من الشَّرعبيَة ، وإلى جنبه بِراق ، ودلف إليه عمير في قيس ومعه زُفَر بن الحارث الكلائيُّ وابنه الهُذَيْل بن زُفَر ، وعلى

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٤ .
(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٥ .
(٣) الحَشَّاك : وهو واد أو نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات يأخذ من الهرماس نهر نصيبين ويصب في دجلة ، قال الأخطل :
أمست إلى جانب الحشَّاك جيفته ،   ورأْسُه دُونُه اليَحمُومُ والصُّورُ
وقال بعضهم : الحَشَّاك وتلُّ عبدة عند الثرثار كانت فيه وقعة لتَغْلب على قيس . « معجم البلدان ٢/ ٣٠٢ » .
ـ والحَشَّاك نهر معروف بالجزيرة إلى جانب الثرثار . قال القطامي :
نُبِّئتُ قَيْساً على الحَشَّاك قد نزلوا   منّا بحيٍّ على الأضياف حُشَّادِ
والحاشِد : المُكرِمُ ضيفه . واليحموم : جبل ؛ والصُّور : أرض (معجم ما استعجم ٢/ ٤٥٠) .

تَغْلِب ابن هوبر ، واقتتلوا عند تلّ الحَشّاك أشدّ قتال وأبرحه حتى جنّ عليهم الليل ثمّ تفرّقوا واقتتلوا من الغد إلى الليل ثمّ تحاجزوا .

وأصبحت تغلب في اليوم الثالث فتعاقدوا أن لا يفرّوا ، فلما رأى عمير حدّهم وأن نساءهم معهم قال لقيس : يا قوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنّهم مستقتلون ، فإذا اطمأنّوا وصاروا إلى سرحهم وجّهنا إلى كلّ قوم منهم مَنْ يغير عليهم .

فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهليُّ : قتلتَ فرسان قيس أمس وأوّل أمس ثمّ ملىء سَحْرك وجبنتَ ! ويقال : إنّ عُيَيْنة بن أسماء بن خارجة الفزاريَّ قال له ذلك ، وكان أتاه منجداً ، فغضب عُمير وقال : كأني بك وقد حمس الوغى أوّل فارّ ! فنزل عُمير وجعل يقاتل راجلاً وهو يقول :

أنـــا عُمَيـــرٌ وأبـــو المُغَلِّـــسْ قَدْ أَحبس القَوْمَ بضنك فاحْبِسْ[1]

وانهزم زُفَر يومئذٍ ، وهو اليوم الثالث ، فلحق بقرقيسيا ، وذلك أنّه بلغه أنّ عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة إليه بقرقيسيا ، فبادر للتأهّب ، وقيل : إنّه ادّعى ذلك حين فرّ اعتذاراً ، وانهزمت قيس وركبت تغلب ومَنْ معها أكتافهم وهم يقولون : أما تعلمون أنّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ ؟

وشدّ على عُمير جُمَيْل بن قيس من بني كعب بن زُهير فقتله ، وقيل : بل تغاوى[2] على عُمر غُلامان من بني تغلب فرمياه بالحجارة وقد أَعْيَا فأثخناه ، وكرّ عليه ابن هوبر فقتله . وأصابت ابن هوبر يومئذ جراحةٌ ، فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب بأن يولّوا أمرهم مُراد بن عَلقمة الزُّهَيريَّ .

وقيل : خرج ابن هوبر في اليوم الثاني من أيّامهم هذه الثلاثة وأوصى أن يولّوا

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/٣١٦ .

(٢) تغاوى القوم على فلان : تعاونوا عليه ليقتلوه .

أمرهم مُراداً ، ومات من ليلته ، وكان مُراد رئيسهم في اليوم الثالث ، فعبّأهم على راياتهم وأمر كلّ بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم . وقال الشاعر :

أرِقْتُ بأثناء الفُراتِ وشَفّني نَوائحُ أَبْكَاهَا قَتيلُ ابنِ هوبرِ
ولمْ تَظلمى إنْ نُحْتِ أُمَّ مغلّسٍ قَتيلَ النّصارَى في نوائحَ حُسَّرِ[1]

وقال بعض الشعراء يُنكر قَتلَ ابن هوبر عُميراً :

وإنّ عُميراً يومَ لاقَتهُ تَغْلِبٌ قَتيلُ جُمَيْل لا قَتيلُ ابن هوبرِ[2]

وكثُر القتل يومئذٍ في بني سُليم وغني خاصّة ، وقُتل من قيس أيضاً يومئذ بشرٌ كثيرٌ ، وبعثت بنو تغلب رأس عُمير بن الحُباب إلى عبد الملك بن مروان بدمشق ، فأعطى الوفد وكساهم .

فلمّا صالح عبدُالملك زُفَرَ بن الحارث واجتمع الناس عليه ، قال الأخطل :

بَني أُميّةَ قَدْ تَناضَلتْ دونَكُمْ أبناءُ قَومٍ هُمُ آوَواوهُمْ نَصرُوا
وقيس عَيْلانَ حتى أَقْبَلوا رَقَصاً فَبايعوا لكَ قَسْراً بَعْدَما مُهِرُوا
ضَجّوا من الحرْبِ إذ عُضّت غَواربهمْ وقيسُ عَيلاَنَ من أخلاَقِهَا الضَّجَرُ

فلمّا قُتل عُمير بن الحُباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزاريّ بالكوفة فقال : قَتلتْ بنو تغلب عُمير بن الحُباب . فقال : لا بأس ، إنّما قُتل الرجل في ديار القوم مقبلاً غير مدبر ؛ ثمّ قال :

يدي رَهْنٌ على سُلَيمٍ بغَارَةٍ تَشيبُ لها أَصْدَاغُ بكرِ بنِ وائلِ
وَتَتْرُكُ أوْلاَدَ الفَدوكْسِ عَالَةً يَتامَى أَيامَى نُهزَةً للقَبائلِ[3]

---

(١) عُمير بن الحباب هو أبو المغلس ، ويعني أن هذه زوجه أم المغلس . (أنا عَيرٌ وأبو المُغلِّس) .

(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٧ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣١٧٦٤ ، والنُّهزَةُ : الفُرصة . وانْتَهزها : اغْتَنَمها (القاموس المحيط) .

يوم الكُحَيْل[1] : سنة « ٧٠ هـ » .

وهو من أرض الموصل في جانب دجلة الغربي .

وسببه أنّه لما قُتل عُمير بن الحُباب السُّلَميُّ أتى تميم بن عُمير زُفَرَ بن الحارث فسأله أن يطلب له بثأره ، فامتنع ، فقال الهُذيل بن زُفَر لأبيه : والله لئن ظفرت بهم تغلب إنّ ذلك لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا بتغلب وقد خَذلْتهم إنّ ذلك لأشدّ .

فاستخلف زُفَرُ على قرقيسيا أخاه أَوْس بن الحارث وعزم على أن يغير على بني تغلب ويغزوهم ، فوجّه خيلاً إلى بني فَدوكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فأجارها يزيد بن حُمْران . وجاء في الأغاني ١٢/ ١٩٥ هي حميدة بنت امرىء القيس . ووجّه زُفَرُ بنن الحارث ابنه الهُذيل في جيش إلى بني كعب بن زُهير ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث زُفَرُ أيضاً مُسلمَ بن رَبيعة العُقَيْليَّ إلى قوم تغلب مجتمعين فأكثر فيهم القتل ، ثمَّ قصد زُفَر بني تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من

---

(١) الكُحيل : موضع بالجزيرة وكان فيه يوم للعرب ، قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف : الكحيل مدينة عظيمة على دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي ذكر ذلك في سنة « ٢٧١ هـ » وأما الآن فليس لهذه المدينة خبر ولا أثر . والكُحيل في بلاد هذيل « معجم البلدان ٤/ ٤٩٨ » .

ـ قال أبو عبيد البكري : وبالثرثار قتلت تغلب عمير بن الحباب وقومه ، فأتى تميم بن الحباب أبا الهُذيل زُفر بن الحارث ، يستنجده على الطلب بثأر أخيه ، فغزوا تغلب ، فأدركوهم بالكحيل وهو نهر أسفل من الموصل على عشرة فراسخ فيما بينها وبين الجنوب ، فقتلوا بني تغلب أذرع قتل ومن غرق منهم أكثر ممن قتل ، وقال زُفر في ذلك :

فلـو نُبـش المقـابـرُ عـن عُميـر ... فَيُخبـر عـن بـلاءِ أبـي الهُـذيـل
غـداة يُقـارع الأبطـال حتـى ... جـرى منهـم دمـاً مَـرْج الكُحيـل

« معجم ما استعجم ١/ ٣٣٨ » .

أرض الموصل ، فلما أحسّت به ارتحلت تريد عبور دجلة ، فلما صارت بالكُحيل لحقهم زُفر في القيسيّة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجّل أصحاب زُفر أجمعين وبقي زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم وغرق في دجلة أكثر ممّن قُتل بالسيف ، فأتى فَلُّهم لِبَّى[1] ، فوجهُ زُفر ابنه الهُذيل فأوقع بهم إلاّ مَنْ عبر فنجا ، وأسر زُفر منهم مائتين فقتلهم صبراً[2] ، فقال زُفر :

ألا يـا عَيـن بَكّـى بـانسكـابِ ... وبَكّـى عـاصِمـاً وابـن الحُبـابِ

فـإنْ تـك تَغلـبُ قَتلـتْ عُميـراً ... ورَهطـاً مـن غنـيٍّ فـي الحِـرابِ

فَقَـدْ أفنـى بنـي جُشَـم بـن بَكْـرٍ ... وَنمـرهـمُ فَـوارِسُ مـن كِـلابِ

قتلنـا منهُـمُ مـائتيـن صَبـرا ... ومـا عـدلـوا عُميـر بـن الحبـابِ

وقال ابن صفّار المحاربيُّ :

ألـم تَـرَ حَـرْبَنـا تَـركَـتْ حُبَيْبـاً ... مُحـالِفَهـا المَـذَلّـةُ والصَّغـارُ[3]

وقَـدْ كـانـوا أُولـي عـزٍّ فـأضحَـوْا ... ولَيـسَ لهـمْ مـن الـذّلّ انتصـار

وأُسر القطاميّ التغلبيّ في يوم من أيّامهم وأُخذ ماله ، فقام زُفر بأمره حتى ردّ عليه ماله ووصله ، فقال فيه :

إنّـي وإنَّ كـانَ قَـوْمـي ليـسَ بَيْنَهُـمُ ... وبَيـنَ قَـومِـكَ إلاّ ضَـرْبـةُ الهـادي

مُثْـنٍ عليـكَ بمـا أوْلَيـتَ مِـنْ حَسـنٍ ... وقَدْ تَعَرّض لي من مَقْتَلٍ بادي[4]

---

(١) لِبَّى : قرية على شاطىء دجلة بين تكريت وبين الموصل « أغاني ١٢/ ٢٠٥ » .

(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٨ .

(٣) حُبَيْب : وهو في نسب بني تغلب .

(٤) الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٩ .

يوم البِشْر[1] : سنة « ٧٠ هـ » .

فَلمّا أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، وتكّافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة ، وظنَّ كلُّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه ، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله :

أَلا سائل الجَحّافَ هل هو ثائرٌ ... بقتلى أُصيبَتْ مِنْ سُلَيم وعامرِ
أَجحافُ إن نهبطْ عَليكَ فَتلْتَقي ... عَليكَ بحورٌ طاميات الزَوافرِ
تكُنْ مثل أبداءِ الحباب الذي جَرى ... بهِ البحر تَزهاهُ رياح الصَراصِرِ[2]

وأنشد القصيدة حتى فرغ منها ، وكان الجَحّاف يأكل رُطَباً ، فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً ، وأجابه وقال :

بلى سوفَ نُبكيهم بكُلِّ مُهنّدٍ ... ونَنعى عُميراً بالرِّماحِ الشواجرِ

ثم قال : يا ابن النصرانيّة ما كنتُ أظن أن تجترىء عليّ بمثل هذا !

---

(١) البشر : جبل يمتد من عُرْض إلى الفرات من أرض من جهة البادية ، وهو من منازل بني تغلب بن وائل « معجم البلدان ١/ ٥٠٦ » .
وفي البشر قَتل الجحّاف بن حكيم بني تغلب ، فهو يوم البشر ، ويوم الرَّحوب ، ويوم مُخاشن ، وهو جبل إلى جنب البشر ، ويوم مَرْج السَّلوطح ، لأنه بالرحوب ، والرحوب : مَنقع ماء الأمطار ، ثم تحمله الأودية فتصبه في الفرات . والبشرُ دون الرقة على مسيرة يوم منها فهذا بشر أخر « معجم ما استعجم ١/ ٢٥١ ، ٢٥٢ » .
وقال الأخطل في الأوّل :
سَمَوْنا بعِرْنينٍ أَشَمَّ وعَارضٍ ... لنَمنع ما بين العراق إلى البِشْرِ
وقال أيضاً في إيقاع الجحّاف بهم :
لقَدْ أوْقعَ الجحّاف بالبِشْرِ وقعةً ... إلى الله فيها المُشْتكى والمُعَوَّلُ
« معجم ما استعجم ١/ ٢٥٢ » .

(٢) الأغاني ١٢/ ١٩٨ . وزهت الريح الشجر تزهاه : هزته وحركته .

فأُرْعِدَ الأخطلُ من خوفه ثم قام إلى عبد الملك وأمسك ذيله وقال : هذا مقام العائذ بك .

فقال : أنا لك مجير .

ثمّ قام الجحّافُ ومشى وهو يجرّ ثوبه ولا يعقل به ، فتلطّف لبعض كتاب حتى اختلق له عهداً على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة ، وقال لأصحابه : إنّ أمير المؤمنين قد ولاّني هذه الصدقات فَمَنْ أراد اللّحاق بي فليفعلْ[1] .

ثمّ سار حتى أتى رُصافة هشامٍ فأعلم أصحابه ما كان من الأخطل إليه وأنّه افتعل كتاباً ، وأنّه ليس بوالٍ ، فمن كان أحبّ أن يغسل عني العار وعن نفسي فليصحبني فإنّي قد أقسمتُ أن لا أغسل رأسي حتى أَوْقِعَ في بني تغلب . فرجعوا عنه غير ثلاثمائة قالوا له : نموت بموتك ونحيا بحياتك . فسار ليلته حتى صبّح الرَّحوب ، وهو ماءٌ لبني جُشَم بن بكر من تغلب ، فصادف عليه جماعةً عظيمةً منهم ، فقتل فيهم مقتلةً عظيمةً ، وأُسر الأخطل وعليه عباءة وسِخةٌ ، فظنّه الذي أسره عبداً ، فسأله مَنْ هو ، فقال : عبد . فأطلقه ، فَرمى بنفسه في جُبٍّ فخاف أن يراه من يعرفه فيقتله . فلما انصرف الجحّافُ خرج من الجُبّ ، وأسرف الجحاف في القتل وبَقْرِ البطون عن الأجنّة وفعل أمراً عظيماً ، فلمّا عاد عنهم قدم الأخطل على عبد الملك فأنشده قوله :

لَقَدْ أَوقعَ الجَحَّافُ بالبِشرِ وَقْعَةً ... إلى الله مِنها المُشْتكى والمُعَوَّلُ

فهرب الجَحَّاف ، فطلبه عبد الملك ، فلحق ببلاد الروم ، وقال بعد وقعة البشر يخاطب الأخطل :

أبا مَالكٍ هَلْ لُمتَني أوْ حَضَضْتَني ... على القَتْلِ أمْ هَلْ لامَني كلُّ لائِمِ
أَلمْ أُفنِكُمْ قَتْلاً وأَجْدَعَ أَنْفكُمْ ... بفتيانِ قَيسٍ والسّيوفِ الصّوارِمِ
بكُلِّ فَتىً يَنعى عُمَيراً بِسَيْفِهِ ... إذا اعتَصَمتْ أَيمانُهم بالقَوائمِ

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٣٢٠ .

فإنْ تَطرُدوني تَطرُدوني وقَدْ جَرى   بيَ الوَرْدُ يَوْماً في دِماءِ الأَراقِمِ[1]
نكَحتُ بِسَيْفي في زُهَيرٍ ومَالكٍ   نكـاحَ اغتصـابٍ لا نكـاحَ دَراهـمِ[2]

ولم يزل الجحاف يتردّد في بلاد الروم من طرابزندة إلى قاليقلا ، وبعث إلى بطانة عبد الملك من قيس حتى أخذوا له الأمان فآمنه عبد الملك فقدم عليه[3] .

ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر الوليد بن عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمن الجحّاف قتلى البِشْر ، وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحمالات ، ولم يكن عند الجحّاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الحجاج ، فمنعه ، فلقي أسماء بن خارجة ، فعصب حاجته به فقال : إني لا أقدِرُ لك على منفعةٍ ، قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا أُلزمها غيرك أنجحت أَو أكدت[4] .

فلما بلغ ذلك الحجاج قال : ما له عندي شيء ، فأبلغه ذلك .

قال : وما عليك أن تكون أنت الذي تؤنسه فإنه قد أبى !

فأذن له فلما رآه قال : أعهدتني خائناً لا أبا لك ؟

قال : أنت سيد هوازن ، وقد بدأنا بك ، وأنت أمير العراقين[5] ، وابن عظيم القريتين[6] ، وعمالتك في كل سنة خمسمائة ألف درهم ، وما بك بعدها حاجة إلى خيانة ، فقال : أشهد أن الله تعالى وفّقك ، وأنّك نظرت بنور الله ،

---

(١) ورد البيت في الأغاني ١٢/ ١٩٩ :
فـإن تطـردونـي تطـردونـي وقـد مضـى   مـن الـورد يـوم فـي دمـاء الأراقـم
والأراقم : حي من تغلب ، وسموا بذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .
(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣٢٠ .
(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ٣٢١ .
(٤) أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .
(٥) العراقان : الكوفة والبصرة .
(٦) القريتان : مكة والطائف .

فإذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدى البقية[1] . ثم تنسّك بعدُ وَصَلُح ومضى حاجاً فتعلّق بأستار الكعبة وجعل ينادي : اللهمّ اغفر لي وما أظن تفعل ! فسمعه محمد بن الحنفيّة ، فقال يا شيخ قنوطك شرّ من ذنبك ؟

وسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول : اللهم اغفرْ لي وما أظنّك تفعل ! فقال ابن عمر : لو كنتَ الجحّاف ما زدت على هذا . قال : فأنا الجحَّاف[2] .

عودة الجحَّاف :

وعن أسباب عودته إلى عبد الملك ذكر ابن الأثير ذلك فقال : إنّ سبب عوده كان أنّ الجحّاف أكرمه ملكُ الروم وقرّبه وعرض عليه النصرانيّة ويعطيه ما شاء ، فقال : ما أتيتُك رغبةً عن الإسلام .

ولقي الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفةً ، فانهزم المسلمون ، وأخبروا عبد الملك أنهم هزمهم الجحَّاف ، فأرسل إليه عبد الملك يؤمنه ، فسار وقصد البِشْر وبه حيّ من بِشْر وقد لبس أكفانه وقال : قد جئتُ إليكم أعطي القَوَدَ من نفسي !

وأراد شبابُهم قتله فنهاهم شيوخه فعفوا عنه[3] .

والجَحَّاف بن حكيم السلمي فاتك ثائر شاعر كان معاصراً لعبد الملك بن مروان ، وغزا تغلب بقومه فقتل منهم كثيرين فاستجاروا بعبد الملك ، فأهدر دم الجحَّاف ، فهرب إلى الروم ، فأقام سبع سنين ، ومات عبد الملك ، فأمنه الوليد بن عبد الملك فرجع .

توفي الجَحَّاف بن حكيم السلمي نحو (٩٠ هـ)[4] .

* * *

---

(١) الأغاني ١٢/ ٢٠١ .
(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣٢٢ .
(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ٣٢٢ .
(٤) الأعلام ٢/ ١١٣ .

تَغْلِب وَرْوح [*] بن صالح الهَمْدانيّ

في سنة إحدى وسبعين ومائة كان روح بن صالح الهمداني من ولاة هارون الرشيد بالموصل على صدقات بني تغلب .

وذكر محمد بن المعافى عن أبيه قال : خرج روح بن صالح في أربعة آلاف يغير على بني تغلب وكان معه أبو محرونة قال : نأتي قوماً في ديارهم مع حرمهم وعيالتهم ؟

فقال له : أتخوفني بقومك لا أم لك ؟ فسار حتى بلغ النجديّة ـ من قرى سنجار ، ففزعت تغلب إلى حِرْقِل بن محجن أبي مطر المالكي ، فاجتمعت إليه فرسان تغلب فقال لهم حِرقل : أمهلوهم إلى الليل وكمنوا لهم كُمُناً فتأتوهم ليلاً وهم آمنون ، ففعلوا ذلك وقتلوا روحاً وجماعة معه فقال شاعر بني تغلب في ذلك :

رَوّحتَ يا روْحُ رَواحاً خائباً فَضْحتَ كُلاً شاهداً وغائبا
نحنُ قَتلْنَا اليمن الكواكبا ثُمَّ قَتلْنا الجُهني غالبا
وبَادر الأَعْلمُ منها هاربا

وغالب الجُهني من فرسان أهل الموصل ، والأعلم من فرسان بني زُبيد ـ موصلي أيضاً ، وقتل في هذه الوقعة مأمون الحارث فيما قيل .

وفي رواية ثانية في تاريخ الموصل : ولي روح بن حاتم [1] روابط الموصل فخرج إلى تغلب فقتله ، وكتب بذلك إلى حاتم بن صالح وهو في

(*) تاريخ الموصل ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، الكامل في التاريخ ٦/ ١١٣ .

(١) قال في ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ « إنه روح بن صالح الهمداني » وهو كذلك في الكامل في التاريخ ٦/ ١١٣ ، ولعله روح بن حاتم بن صالح ، وأن عمه الحسن بن صالح الهمداني الذي ذكره في ص٣١٣ ـ ٣١٧ من تاريخ الموصل للأزدي .

السُّكَيْر[1] فسرح الحُصين بن الزبير بن صالح في أربعة آلاف ، فخرج مع رجال أهل الموصل ، فَقتل من تغلب خلقاً وأسر خلقاً ، ثم حلف أن لابدّ له أن يدخل مدينة من مدائن النزارية فذكروا له مدينة بني أُوسَيْد واجتمع إليه الناس فقال : هذه بلدة فيها بنو تغلب وهي مدينتهم ، فدخل فَقتل مِنْ بني تغلب خلقاً[2] .

أما رواية ابن الأثير فهي : في سنة (١٧١ هـ) استعمل الرشيد على صدقات بني تغلب رَوْح بن صالح الهمداني وهو من قواد الموصل ، فجرى بينه وبين تغلب خلاف ، فجمع جمعاً وقصدهم ، فبغلهم الخبر ، فاجتمعوا وساروا إلى رَوح ، فبيّتوه ، فَقُتل هو وجماعة من أصحابه ، فسمع حاتم بن صالح ، وهو بالسُّكَير فجمع جمعاً كثيراً ، وسار إلى تغلب ، فبيّتهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر مثلهم[3] .

* * *

---

(١) السُّكير : بلدة صغيرة بالخابور ، والخابور نهر بالجزيرة (معجم البلدان ٣/ ٢٦١) .
(٢) تاريخ الموصل ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٣) الكامل في التاريخ ٦/ ١١٣ .

تَغْلِب والسَّوَاجِير (*)

قال أحمد بن عمرو أَخو أشجع بن عمرو السلمي يخاطب نصر[1] بن شَبَث العُقَيْليّ وكان قد أوقع ببني تَغْلب على السَّواجير :

لله سيفٌ في يَدَيْ نَصرٍ ، في حَدِّهِ ماءُ الرَّدَى يَجْري
أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسَّواجِيرِ مَا لم يُوقِعِ الجَحَّافُ بالبِشْرِ[2]
أَبْكى بَني بَكْرٍ على تَغْلبٍ وتَغْلِباً أَبْكى على بَكْرِ

والسَّواجير نهر مشهور من عمل منبج بالشام ، قاله السكري في شرح قول جرير :

لمّا تشوّق بعض القوم قلت لهم : أين اليمامةُ من عين السّواجير ؟

وقال البحتري :

يا خليليّ بالسَّواجير من عمـ ـرو بن غَنْمٍ وبُحتُر بن عتودِ
اطلبا ثالثاً سوائي فإنّي رابع العيس والدُّجى والبيدِ

وقال أيضاً :

يا أَبا جَعفر غَدونا حَديثاً في سواجير منبجٍ ، مُستفيضا[3]

(*) الكامل للمبرد ٢/ ٦٣٥ ، معجم البلدان ٣٠٨٦٣ ، ٣٠٩ .

(١) هو نصر بن سيّار بن شَبَث العُقَيْليُّ من بني عُقيل ، كان يسكن كَيْسوم ، ناحية شمالي حلب ، وكان في عُنُقه بيعة للأمين ، وله فيه هوىً ، فلما قُتل الأمين أظهر الغضب لذلك . وقاد ثورة كبرى ضد المأمون وخاض معارك كثيرة ضد جيوشه ، سم استسلم له . « الكامل في التاريخ ٦/ ٢٩٧ » .

(٢) انظر يوم البشر في هذا الكتاب .

(٣) معجم البلدان ٣/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ . ومنبج : مدينة كبيرة واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . ومنبج بلدة البحتري ، وأبي فراس الحمداني ، وقبلهما وُلد بها عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان من أجلّ قريش « معجم البلدان ٥/ ٢٣٨ » .

فِتْنَةٌ(*) الموصل ـ وقادة من تغلب

إذا كان الحاكم فاسداً فسدت البطانة ، وظهر الفساق واشتدت شوكتهم ، وذل أهل الكرامة والشرف وهذا ما حدث في العصر العباسي وعلى عهود مختلفة : وأذكر حادثة وقعت في سنة ستين ومائتين في عهد المعتمد على الله الذي انهمك في اللّهو واللّذات ، واشتغل عن الرعية ، فكرهه النّاس ، وأحبوا أخاه طلحة[1] . والحادثة وقعت بالموصل إذ حل الغلاء وانهك الناس بدفع الضرائب وأصبح شرب الخمر في العلن وتجاهر أصحابه بالفسوق وفعل المنكرات ، والتعدي على الحرمات واساءة السيرة في الناس ، وكان عامل الخليفة عليها أساتكين وهو من كبار القواد الأتراك ومن ثم ابنه أذكوتكين ، الذي كان يحمى الفسقة ويبطش بأهل الدين والصلاح .

فاجتمع وجوه أهل الموصل إلى الجامع وقالوا : قد صبرنا على أخذ الأموال ، وشتم الأعراض وابطال السنن والعسف ، وقد أفضى الأمر إلى أخذ الحريم ، فأجمع رأيهم على إخراجه[2] ، والشكوى منه إلى الخليفة .

وبلغ الخبر أذكوتكين فركب إليهم في جنده ، وأخذ معه النَّفّاطين ، فخرجوا إليه وقاتلوه قتالاً شديداً ، حتى أخرجوه عن الموصل ، ونهبوا داره ، وأصابه حجر فاثخنه ، ومضى من يومه إلى بلده ، وسار منه إلى سامراء .

واجتمع الناس إلى يحيى بن سليمان ، وقلّدوه أمرهم ، ففعل ، فبقي

(*) تاريخ الخلفاء ٤٣٠ ، الكامل في التاريخ ٧/ ٢٦٩ .

(١) تاريخ الخلفاء ٤٣٠ . وطلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . ولقد أبلى الموفق طلحة في حرب الزنج الذين ظهروا في البصرة وقاتلهم سنوات عدة حتى قضى عليهم . انظر البحث الذي كتبه مؤلف هذا الكتاب حول الزنج وثورتهم في مجلة المعرفة العدد رقم ٣٧٦/ كانون الثاني ١٩٩٥ .

(٢) أي إخراج أذكوتكين .

كذلك ، فبقي كذلك إلى أن انقضت سنة ستين ؛ فلما دخلت سنة إحدى وستين ومائتين كتب أساتكين إلى الهيثم بن عبد الله بن المعمر التّغلبي ، ثم العدوي في أن يتقلد الموصل ، وأرسل إليه الخلع واللواء ، وكان بديار ربيعة ، فجمع جُموعاً كثيرة ، وسار إلى الموصل ، ونزل بالجانب الشرقي ، وبينه وبين البلد دجلة ، فقاتلوه ، فعبر إلى الجانب الغربي وزحف إلى باب البلد ، فخرج إليه يحيى بن سليمان في أهل الموصل ، فقاتلوه فَقُتل بينهم قتلى كثيرة ، وكثرت الجراحات وعاد الهيثم عنهم[1] .

وبعد اندحار الهيثم التغلبي الموالي للسلطة وعدم قدرته على مواجهة الثورة في الموصل ، أرسل أساتكين قائداً آخر من تغلب هو اسحاق التغلبي للسيطرة على الوضع في الموصل ، وحول ذلك قال ابن الأثير :

فاستعمل أساتكين على الموصل إسحاق بن أيوب التغلبي فخرج في جمع يبلغون عشرين ألفاً . منهم حمدان بن حمدون التَّغلبي وغيره ، فنزل عند الدير الأعلى ، فقاتله أهل الموصل ومنعوه . فبقوا ذلك مدّة ، فمرض يحيى بن سليمان الأمير ، فطمع إسحاق في البلد ، وجدّ في الحرب فانكشف الناس بين يديه ، فدخل إسحاق البلد ، ووصل إلى سوق الأربعاء ، وأحرق سوق الحشيش ، فخرج بعض العدول ، اسمه زياد بن عبد الواحد ، وعلّق في عنقه مُصحفاً ، واستغاث بالمسلمين فأجابوه ، وعادوا إلى الحرب ، وحملوا على إسحاق وأصحابه ، وأخرجوهم من المدينة .

وبلغ يحيى بن سليمان الخبر ، فأمر فَحُمل في محفّه ، وجعل أمام الصفّ ، فلمّا رآه أهل الموصل قويت نفوسهم ، واشتدّ قتالهم ، ولم يزل الأمر كذلك وإسحاق يراسل أهل الموصل ، ويعدهم الأمان ، وحسن السيرة ، فأجابوه إلى أن يدخل البلد ويقيم بالربض الأعلى ، فدخل وأقام سبعة أيام .

ثمّ وقع بين بعض أصحابه وبين قوم من أهل الموصل شرّ ، فرجعوا إلى الحرب ، وأخرجوه عنها ، واستقر يحيى بن سليمان بالموصل[2] .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٠ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧١ .

آل حَمْدَان وانتسابهم إلى تَغْلِب(*)

لقد أشار الهمداني بأن آل حمدان من موالي تغلب ، دون دليل بأن يَرد نسبهم إلى أُصوله إنما ذكر ذلك ، فقال :

ديار ربيعة وما خلفها : أولها وآخر ديار مضر رأس العين[1] ثم كفر توثا[2] لجشَم عن أياسرها مارة من موضع الحيَّات المضروب بها المثل وهي تطل على دارين ، ثم نصيبين[3] موضع العقارب وهي دار آل حَمْدان ابن حَمْدون موالي تَغْلِب[4] .

وجاء في أدب الخواص :

وقال في ترجمة ابن حمدان التَّغلبي وأقاربه ، وقد أوصل نسبهم إلى تغلب . بينما الهمذاني في (صفة جزيرة العرب) يذكر أنهم من موالي تغلب .

ولا شك أن المغربي[5] أعلم منه بهذا الأمر لكونه عاش أول حياته في كنفهم ، يضاف إلى هذا أنه كان حاقداً على بعضهم فلو كان في نسبهم مغمز لذكره فقد ألف كتابه بعد انفصاله عنهم[6] .

(*) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٣٦ ، صفة جزيرة العر ٢٤٦ ، أدب الخواص ٣٢ ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ٥١٦ .

(١) رَأسُ عَيْن : وهي مدينة كبيرة ومشهورة من مُدن الجزيرة بين حران ونَصيبين ودُنيسر تبعد عنها عشرة فراسخ (معجم البلدان ٣/ ١٥) .

(٢) كفر تُوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة من كور نصيبين من ديار ربيعة فتحها عياض بن غنم ولها حصن قديم « الروض المعطار ٤٩٩ » .

(٣) نَصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وبينها وبين الموصل ستة أيام (معجم البلدان ٥/ ٣٣٢) .

(٤) صفة جزيرة ٢٤٦ .

(٥) الوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين ـ مؤلف أدب الخواص وله كتب عدة .

(٦) أدب الخواص ٣٢ .

وقال ياقوت :

بَرْقَعِيدُ : بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين . ومن برقعيد هذه كان بنو حمدان التَّغلبيون سيف الدولة وأهله[1] .

وقال القلقشندي :

بنو حمدان : بطن من بني تَغْلِب بن وائل ، من العدنانية ، وهم بنو حمدان بن حمدون . وهم كانوا ملوك الموصل والجزيرة وحلب في أيام المقتفي بالله أحد خلفاء بني العباس ببغداد .

وأول ملك منهم : أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ثم أخوه إبراهيم بن حمدان ثم أخواه : سعيد ونصر ، ابنا حمدان ، ثم استولى على الشام وحلب معين الدولة علي بن أبي الهيجاء بن حمدان[2] . ومن بني تغلب كانت بنو حمدان ملوك حلب قديماً[3] .

وقال السلطان الملك الأشرف :

ومن بطون تَغْلِب بنو جُشم ، وبنو عَدي ، وبنو حُبيب ، وبنو وَائل ، وبنو غَنْم ، وبنو معاوية ، وبنو حِض ، والأراقم وهم رهط عمرو بن كُلثوم ، وكُليب ، ومُهَلْهِل وبنو عقامة ، وبنو طوق ، وبنو حَمدان ، وبنو فَرَسان[4] .

وقال ابن خلكان عن نسب آل حمدان :

حَمدان بن حَمدون بن الحَارث بن لقمان بن راشد بن المُثَنَّى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بنن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب التَّغلبي[5] .

ويقول أيضاً :

---

(١) معجم البلدان ١/ ٤٦١ .

(٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٣٦ . ولقد أفردت ترجمة لكل علم من أعلام بني حمدان في هذا الكتاب .

(٣) صبح الأعشى ١/ ٣٣٨ .

(٤) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ١٦ .

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ .

ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب أدب الخواص للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي وقال محمد بن أحمد الأسدي النسابة : اسم تغلب دثار ، وإنّما سمي تغلب لأن أباه وائلاً قصدته اليمن في داره لتسبي أهله فصرخ في أهله وعشيرته ، فَنُصر على اليمن ، وكان تغلب طفلاً فتبرك به وقال : هذا تَغْلِب ، فَسُمي به[1] .

وإذا أمعنا النظر في شعر أبي فراس الحمداني نراه عربياً صَليبة يفخر بأصوله وحسبه ونسبه ، ولماذا ينتسب لغير قومه وهو الشاعر والفارس الذي يدوي اسمه بين الروم والعرب وتتمنى أن تدعيه وتحتضنه أية فئة من العرب أو العجم ، فإن الذين ولدوا في أحضان العربية وتصاهروا مع أهلها أكثر من أن نحصيهم مثل بشار بن برد بقي ينتمي ويفخر بانتمائه للعجم ، أما حمدان بن حمدون ، وناصر الدولة ، وسيف الدولة ، ومنهم من سمى أولاده باسم تغلب ، فهذا أبو فراس يقول قصيدة واضحة الغاية والأهداف إلى نسبهم كأنما يرد على من تساءل عن ذلك .

لئن كان أصلي من سَعيدٍ نجارةً ... فَفرعي بسيفِ الدولةِ القَرْمِ نَاصرُ[2]
أُناضِلُ عن أحسابِ قومي بفضلهِ ... وأفخرُ حتى لا أرى مَن يُفاخرُ
لنا أوَّلُ في المكرُمات وآخِرٌ ... وباطنُ مجدٍ تغلبيٍّ وظاهِرُ

---

(١) وفيات الأعيان ٢/١١٧ . وقال ابن العديم في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٩٤ « نقلت من كتاب المأثور من ملح الخدور ، تأليف الوزير أبي القاسم بن المغربي وذكر بخطه نسب أبي العلاء كما أوردناه : سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن الرشيد بن المثنى . . . ابن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ـ وهو أبو العلاء التغلبي الحمداني والد الأمير أبي فراس الحارث بن سعيد .
وكتب بعده : وبعض حساد هؤلاء القوم يرميهم بالدعوة ويقول إنهم موالي اسحق بن أيوب التَّغلبي وذلك باطل وأصله أن كثيراً منهم أسلموا على يد اسحاق هذا فتطرق القول عليهم لأجل ذلك وقد قال الشاعر :
إن العرانين تلقاها مُحَسَّدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا
وقال أيضاً : قلت : مَن قال انهم موالي اسحاق بن أيوب فالظاهر أراد أنهم موالي الموالاه لأن الذين أسلموا على يده موالي موالاة لا موالي عتاقة . بغية الطلب ٦/ ٢٩٢٥ .
(٢) النِجار : الأصل والحسب .

ويَجمعُنــا فــي وائــلٍ عَشَــريَّــةٌ ووِدٌّ وأرحــامٌ هنــاكَ شَــواجِــرُ[1]

وهنا يفخر ويبالغ :

حَمْدانُ جدِّي خيرُ من وطىء الثَّرى وأبـي سعيـدٌ فـي المكـارم أوحَـدُ
أعلـى لنـا لُقمـانُ أبيـاتَ العُلَـى وأنـاف حُمْـدانٌ ، وشيَّـد أحمـدُ[2]

ويقول أيضاً :

وفُـكَّ مـن الأسـر ابـنُ عمِّيَ تَغْلـبٌ وعادَ إلى سيفِ الهدى خير عائدِ[3]

وقال ابن خلدون عن نسب آل حمدان من تغلب :

قال : كان منهم بعد ذلك في الإسلام ثلاثة بيوت :

١ ـ آل عمر بن الخطّاب العدوي .
٢ ـ آل هارون المغمر .
٣ ـ آل حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن أسد .

ولم يذكر ابن حزم هؤلاء البيوت الثلاثة في بطون بني تغلب[4] في كتابه الجمهرة وَوَقَفَتْ حاشيته في هذا الموضع من كتابه فيها ذكر هؤلاء الثلاثة كالاستلحاق عليه ، وقال في بني حمدان : وقيل إنهم موالي بني أسد .

ثم قال أخر : الحاشية إنه من خط المصنف يعني ابن حزم[5] .

أقولُ لا شك في أصالة عروبتهم فهم تغالبة كانوا مغمورين ثم ظهروا في ظروف صعبة سجلوا لهم تاريخاً دافعوا فيه عن ديار العرب وحياض الإسلام .

* * *

---

(١) العشرية : نسبة إلى عشرة جدود . الشواجر : المتداخلة . انظر القصيدة في ديوان أبي فراس/ ١١٧ ويوجد ترجمة لأبي فراس في هذا الكتاب .
(٢) لقمان : هو أحد أجداده . ديوانه ٨٧ .
(٣) الديوان ١٠٠ .
(٤) ورد ثعلب وهو تصحيف .
(٥) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٩٠ .

شُعَراءُ قَبيلة تَغْلِب

تسلسل الأرقام	الشاعر	الصفحة

تسلسل الأرقام	الشاعر	الصفحة

* * *

شواعر قبيلة تغلب

* * *

شعراء تغلب

أَحمد(*) بن محمد التَّغلبي المعروف بابن الخياط

هو أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التَّغلبي المعروف بابن الخياط الدمشقي الكاتب من الشعراء المجيدين ولد بدمشق سنة خمسين وأربعمائة ، ويعرف بابن سني الدولة الكاتب الطرابلسي[1] .

وجاء عنه : كان شاعراً مكثراً مجيداً محسناً حفظه لأشعار المتقدمين وأخبارهم[2] .

وجاء أيضاً : طاف البلاد ، وامتدح الناس ، ودخل بلاد العجم امتدح بها ، وديوانه مشهور[3] .

وقال الذهبي : ابن الخياط أبو عبد الله التَّغلبي الدمشقي الكاتب ، من كبار الأدباء ، ونظمهُ في الذّروة وديوانه شائع ، وكان شاعراً مُفلقاً ، وقيل عنه : شاعر الشام ، وأشعر الشعراء الشاميين بلا خلاف[4] .

ولد ابن الخياط بدمشق سنة « ٤٥٠ هـ » وكان أبوه خياطاً فاشتهر بالنسبة إليه ، وكان له أخ اسمه يحيى ، وكانت دار ابن الخياط في درب القصَّاعين المعروف اليوم بحي الخيضريه داخل باب الجابية[5] وكان عند داره مسجد

(*) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٧٦ ، وفيات الأعيان ١/ ١٤٥ ، ١٤٧ ، الوافي بالوفيات ٨/ ٦٧ ، ٧٠ ، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٦ ، شذرات الذهب ٦/ ٨٧ ، ديوان الشاعر .

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ٦٧ ، ٧٠ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٧٦ .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٤٥ ، شذرات الذهب ٦/ ٨٧ ، الوافي بالوفيات ٨/ ٦٧ ، والمعلومات الواردة في المراجع المذكورة لا يوجد فيها اختلافات حول هذا الشاعر وترجمته أو نسبه .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٥) أحد أبواب دمشق الرئيسة من الجهة الجنوبية .

معلّق وقناة ، ولم تكن داره بعيدة عن دار الأمير أبي الفتيان ابن حَيُّوس شاعر الشام في ذلك الزمان[١] .

وكانت أحوال دمشق في حداثة ابن الخياط مضطربة غير مستقرة ، وأهل دمشق أحزاب يثورون بالولاة والقواد وينتقضون عليهم كرهاً لحكم الدولة الفاطمية . وتأججت الفتنة سنة (٤٦٠ هـ) وعمر بن الخياط وقتئذ عشر سنوات ، فثار أهل دمشق بأمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني والي الشام ، واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة ، وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياه ، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام[٢] .

واشتد الخلاف بين الجنود وبين أهل دمشق ، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت منه بجامع بني أمية من غربيه فاحترق في شعبان سنة ٤٦١ ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة ، ونهبت دور أهل البلد وأموالهم ، فعظم الخطب واشتد الأمر[٣] .

قال ابن الأثير : وفي سنة (٤٦٣ هـ) قصد أتسز بن أوق الخوارزميّ ، وهو من أمراء السلطان ملكشاه ، بلد الشام ، فجمع الأتراك وسار إلى فلسطين ، ففتح مدينة الرَّملة ، وسار إلى البيت المقدّس وحصره ، وفيه عساكر المصريّين ، ففتحه ، وملك ما يجاورهما من البلاد ماعدا عَسقلان ، وقصد دمشق فحصرها ، وتابع النهب لأعمالها حتى خرّبها ، وقطع الميرة عنها ، فضاق الأمر بالناس ، فصبروا ، ولم يمكنوه من البلد ، فعاد عنه ، وأدام قصداً أعماله وتخريبها حتى قلّت الأقوات

---

(١) مقدمة ديوان شعر ابن الخياط ص٥ .

(٢) مقدمة ديوان شعر ابن الخياط ص٦ عن ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص٩٣ .

(٣) مقدمة ديوان شعر ابن الخياط ص٦ عن ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص٩٦ . وفي الكامل في التاريخ ١٠/ ٥٩ جاء : وفي شعبان سنة (٤٦١ هـ) احترق جامع دمشق . وكان سبب احتراقه أنه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة ، فضربوا داراً مجاورة للجامع بالنار ، فاحترقت ، واتصلت بالجامع .

عندهم[1] . وبقي يحاصرها من حين إلى آخر حتى دخلها في ذي القعدة سنة (٤٦٨ هـ) . فأنزل جنده في دور الدمشقيين ، واعتقل من وجوههم جماعة وشمَّسهم بمرج راهط حتى افتدوا نفوسهم بمال أدوه له ، ورحل جماعة منهم عن البلد إلى طرابلس[2] .

وفي سنة (٤٦٩ هـ) لم يبق من أهل دمشق عشر العشر من الجوع والفاقة ، بل لم يبق منه أهلها سوى ثلاثة ألاف إنسان بعد خمسمائة ألف أفناهم الفقر والغلاء والجلاء . وكان بها مائتان وأربعون خبازاً فصار بها خبازان ، والأسواق خالية والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار ينادى عليها بعشر دنانير فلا يشتريها أحد ، والدكان الذي كان يساوي ألف دينار ما يشترى بدينار ، وأُكلت الكلاب والسنانير والفيران[3] .

في هذه الظروف الصعبة التي تؤدي إلى القلق وعدم الاستقرار وفقدان المجتمع إلى الأمن ما بين سنة « ٤٦٣ ـ ٤٦٩ هـ » غادر أبو عبد الله ابن الخياط التغلبي دمشق ووصل إلى حماة . ولقد قال الذهبي : وكتب أبو عبد الله بحماة لأبي الفوارس بن مانك ، وخَدمه مُدَّةً ، ثم اشتهر بالشعر ، ومدح الملوك والأُمراء واجتمع بحلب بالأمير أبي الفتيان بن حيّوس ، وروى عنه ، وعن السَّابق محمد بن الخضر بن أبي مهزول المعري ، وحسان بن الحباب ، وأبي نصر بن الخيسي ، وعبد الله بن أحمد بن الدويدة .

روى عنه : أحمد بن محمد الطُليطُلي ، ومحمد بن نصر القَيْسراني الشاعر ، تخرَّج به[4] .

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٦٨ .
(٢) تهذيب تايخ ابن عساكر ٢/ ٣٣١ وورد في الكامل في التاريخ حوادث سنة (٤٦٨ ـ ٤٦٩ هـ) .
(٣) المقدمة عن خطط الشام ١/ ٢٦٥ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٧٦ .

وفي خضم تلك الظروف الصعبة ترك ابن حيوس[1] دمشق سنة « ٤٦٤ هـ » وتوجه إلى حلب ، وقال ابن خلكان : وكان منقطعاً إلى بني مِرْداس أصحاب حلب[2] .

وقال ابن الخياط : دخلتُ في الصِّبا على الأمير ابن حيّوس بحلب وهو مُسِنٌّ ، فأنشدته لي :

لَمْ يَبْقَ عِنْدي ما يُبَاعُ بدرْهمٍ وكَفَاكَ عَيْنُ مَنْظَري عن مَخْبَري
إلاَّ صُبَابَةَ مَاءِ وَجْهٍ صُنْتُها مِنْ أَنْ تُبَاعَ وأَيْنَ أَيْنَ المُشْتري

فقال له ابن حيوس : لو قلت :

وأنْتَ نِعم المشتري ، لكان أحسن ، ثم قال : كَرُمْتَ عندي ، ونعيتَ إليَّ نفسي ، فإنَّ الشام لا يخلو من شاعر مُجيد ، فأنت وارثي ، فاقصد بني عمار بطرابُلُس ، فانهم يُحبُّون هذا الفنَّ ، ثم وَصَله بثياب ، ودنانير ، ومضى إلى بني عمَّار فوصلُوه ومدحهم[3] . وقال أبو عبد الله أحمد الطُليطلي : كان ابنُ الخياط أول ما دخل طرابلس وهو شابٌ يغشاني في حَلقتي ، وينشدني ما أستكثِرُهُ ، فأتَّهِمُهُ لأنني كنتُ إذا سألتُهُ عن شيء من الأدب ، لا يقوم به ، فوبختُهُ يوماً على قِطعة عملها ، وقلت : أنتَ لا تقوم بنحو ولا لُغة ، فَمِنْ أين لك هذا الشعر ؟

فقام إلى زاوية ، ففكَّر ، ثم قال : اسمع :

وفَاضلٍ قالَ إذْ أَنْشَدْتُه نُخَبَاً مِنْ بَعْضِ شِعْري وشِعْري كُلُّهُ نُخَبُ

---

(١) هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي بن عثمان الملقب مصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، كان يدعى بالأمير لأن أباه كان من امراء العرب (وفيات الأعيان ٤/ ٤٣٨) .

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٤٣٨ . وجاء : قدم ابن حيوس حلب في شوال سنة « ٤٦٤ هـ » وداره بها هي الدار المعروفة الآن بالأمير علم الدين سليمان بن حيدر ، ٤/ ٤٣٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٨ .

لا شــيءَ عِنْـدَكَ ممــا يستَعيـنُ بـهِ مَنْ شَأْنُهُ مُعْجِزاتُ النَّظْمِ والخُطَبُ
فــلا عَــروضٌ ولا نَحْــوٌ ولا لُغَــةٌ قُلْ لي فَمِنْ أَيْنَ هذا الفَضْلُ والأَدَبُ
فَقُلْتُ قَوْلَ امرِئٍ صَحَّتْ قَرِيحَتُهُ إنَّ القَـريحَـةَ عِلْـمٌ لَيْسَ يُكْتَسَـبُ
ذَوْقي عَرُوضي وَلَفْظي جُلُّهُ لُغَتي والنَّحْـو طَبْعـي يَعْتَـاقُنـي سَبَـبُ

فقلت : حسبُك ، والله لا استعظمتُ لك بعدها عظيماً ، ولزمني بعدَ ذلك ، فأفاد من الأدب ما اسْتَقَلَّ به[1] .

وقال ابن القيسراني : وقَّع هِبةُ الله بن بديع أبو النجم لابن الخيَّاط بألف دينار ، وهو آخر شاعر في زماننا وقّع له بألف دينار .

وله في سديد المُلك أبي الحسن علي بن مُقلَّد بن نصر بن مُنقذ[2] بِشَيْزَرَ .

سَيُنْجِدُني جَيْشٌ مِنَ العَزْمِ طَالَما غَلَبْتُ به الخَطْبَ الَّذي هُوَ غَالبي
ومَنْ كانَ حَربَ الدَّهْرِ عَوَّدَ نَفْسَه قِـرَاعَ اللَّيَـالـي لا قِـرَاعَ الكتَـائـبِ
وَمَـا كُـلُّ دَانٍ مِـنْ مَـرامٍ بِظَـافـرٍ ولا كُـلُّ نَـاءٍ عَـنْ رَجَـاءٍ بِخَـائـبِ
وإنَّ الغِنَـى مِنِّـي لأدْنـى مَسَـافـةً وأَقْربَ مِمَّا بين عيني وَحَاجبي[3]

الشاعر ابن الخياط كغيره من الشعراء كثير المديح لأصحاب الجاه ، والسلطان . والمال ، لينال هباتهم وعطاياهم الوفيرة ، وقال يمدح القاضي

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٨٠ ، ٤٨١ .
(٢) وتتمة نسبه : الكناني الكلبي ـ ويعتبر مؤسس دولة بني منقذ التي قامت في الفترة ما بين « ٤٧٤ ـ ٥٥٢ هـ » ولقد استطاع سديد الملك في سنة (٤٧٤ هـ) أن يستخلص قلعة شيزر من أيدي الروم ، وشيزر تقع على مسافة خمسة عشر ميلاً إلى الشمال من حماة في مرتفع صخري ، وجعلها سديد الملك منذ ذلك الحين قاعدة لإمارة شيزر إلى حين هدمها الزلزال المشهور ، وقُتل تحت أنقاضها أكثر بني منقذ . « المنازل والديار ـ ٣٢ ـ ٣٣ » .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٨١ ، ٤٨٢ . وسأذكر هذه القصيدة من الديوان ٢٥٢ـ٢٥٣ .

فخر الملك[1] أبا علي عمّار بن محمد بن عمّار بقصائد عدة طوال ، اقتطف من هذه القصيدة التي أنشده إياها بطرابلس الشام سنة « ٤٨٢ هـ » بعضاً من أبياتها :

أَرى العَلْيـاءَ واضِحَـةَ السَّبيـلِ ... فَمـا للغُـرِّ سـالِمَـةَ الحُجُـولِ[2]

إِلـى كَـمْ يَقْتَضِيـكَ المَجْـدُ دَيْنـاً ... تُحِيـلُ بـهِ عَلـى القَـدَرِ المَطُـولِ

وَقَـدْ نـادَى النَّـدى هَـلْ مِـنْ رَجـاءٍ ... وقـالَ النَّيْـلُ هَـلْ مِـنء مُسْتَنيـلِ

إذا أَهْـلُ الثَّنـاءِ عَليـكَ أَثْنَـوا ... فَسِـرْ فـي المَكْـرُمَـات بـلا دَليـلِ

وَيـا فَخْـرِي ـ وَفَخْـرُ المُلْـكِ مُثْـنٍ ... عَلـيَّ ـ لَقَـدْ جَـرَيْـتُ بـلا رَسِيـلِ

تَفَنَّـنَ فـي العَطـاءِ الجَـزْلِ حتَّـى ... حَبـانـي فيـهِ بـالحَمْـدِ الجَـزِيـلِ

وَلَـوْلا آلُ عَمّـارٍ لَبـاتَـتْ ... تَـرى عَـرْضَ السَّمـاوَة قِيـدَ مِيـلِ[3]

أَعَـزُّونـي وأَغْنَـوْنـي وَمِثْلـي ... أُعيـنَ بكـلِّ مَنّـاعٍ بَـذُولِ

تَـزُورُ أبـا عَلـيٍّ حَيْـثُ أَرْسَـتْ ... هِضـابُ العِـزِّ والمَجْـدِ الأَثيـلِ

فَـلا تَلِـمُ القَـوافـي إِنْ أَطـالَـتْ ... قَطيعَـةَ بِـرِّكَ البَـرِّ الـوَصُـولِ

فَعُـذراً إِنْ عَجَـزْتُ لِطُـولِ هَمِّـي ... عَـنِ الإِسْهـابِ والنَّفَـسِ الطَّـويـلِ

---

(١) القاضي فخر الملك ابن عمار خلف أخاه القاضي جلال الملك على طرابلس الشام سنة (٤٩٤ هـ) ، وحاصره الصليبيون منذ سنة « ٤٩٥ هـ » إلى أن اشتد عليه الحصار سنة « ٥٠١ هـ » فخرج إلى بغداد مستنفراً ومستنجداً ثم إلى دمشق واستولى الصليبيون على طرابلس سنة « ٥٠٣ هـ » . قال ابن الفوطي في معجم الألقاب : كان من أعيان الملوك ، وكان غزير المروءة عالي الهمة ، وفي أيامه ملك صنجيل الفرنجي جبيل ، وأقام على طريق طرابلس وعمل حصناً مقابلها وأقام مراصداً لها ، فخرج فخر الملك ومعه ثلثمائة فارس فأحرق ربضه ، ووقف صنجيل على بعض سقوفه المذهبة المحرقة ومعه جماعة من القمامصة فانخسف بهم ومرض ومات ، وقام مقامه ابن أخيه المعروف بالسيرادي ودامت الحرب بين فخر الملك وبين الفرنج خمس سنين . ولابن الخياط في مدح فخر الملك قصائد كثيرة . (حاشية الديوان ص٥٤) .

(٢) الغُرُّ : جمع أغر وهو من الخيل ما بجبهته غرة . والحُجُول : جمع حجل ، بياض في قوائم الخيل .

(٣) بادية السماوة : بين الكوفة والشام .

لَـهُ كَـرَمُ الغَمـامِ يَجُـودُ عَفْـواً فَيُغني عَـنْ ذَرِيـعٍ أَوْ وَسيـلِ[1]

وقال أيضاً يمدحه :

تَفَيَّأَتْ ظِلَّ فَخْرِ المُلْكِ واغْتَبَطَتْ بِحَيْثُ حُلَّ عِقالُ المُزْنِ فانْسَكَبَا[2]

أَشَـمَّ أَشْـوَسَ مَضْـرُوبـاً سُـرادِقُـهُ على المَمالِكِ مُرْخٍ دُونَها الحُجُبَا[3]

أَأَرْتَجـي غَيْـرَ عَمَّـارٍ لِنـائِبَـةٍ إِذَنْ فـلا آمَنَتْنـي كَفُّـهُ النُّـوبَـا

المـانِعُ الجـارَ لَـوْ شَـاءَ الـزَّمـانُ لَـهُ مَنْعـاً لَضـاقَ بـهِ ذَرْعـاً وإِنْ رَحُبـا[4]

البـاذِلُ المـالَ مَسْئـولاً وَمُبْتَـدِئـاً والصائِنُ المَجْدَ مَوْرُوثاً ومُكْتَسَبَا

الـواهِـبُ النِّعْمـةَ الخضْـراءَ يُتْبِعُهـا أَمْثـالَهـا غَيْـرَ مُعْتَـدٍ بمـا وَهَبَـا[5]

كـالـرَّوْضِ أَهْـدى إلـى رُوّادِهِ أَرَجـاً يُذْكِي النَّسِيمَ وأَبْدى مَنْظَراً عَجَبا[6]

رفْقـاً بِنـا آلَ عَمّـارٍ إذا طَلَعَـتْ خَيْلُ السَّماحِ على سَرْجِ الثَّنا سُرَبا

لا تَبْعَثُـوهـا جُيُـوشـاً يَـوْمَ جُـودِكُـمُ إِنَّ الطَّـلائِـعَ مِنهـا تَبْلُـغُ الأَرَبـا[7]

وَلَـوْ نَظَمْـتُ نُجُـومَ اللَّيْـلِ مُمْتَـدِحـاً لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّكُمْ بَعْضَ الَّذي وَجَبَا[8]

وقال الشاعر ابن الخياط التَّغلبي يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام وثَّاب[9] بن محمود بن نصر بن صالح وأنشده إياها بحماة سنة أربع وسبعين

---

(١) الذريع : الشفيع . والوسيل : جمع وسيلة . (ديوان ابن الخياط ٥٤ ـ ٦٠) .

(٢) المُزنُ : السَّحابُ أو أَبْيَضُه أو ذو الماء منه .

(٣) شَوِسَ الرَّجلُ ، شَوَساً : نظر بِمُؤْخِرِ عَينه تكبُّراً أو تغيُّظاً ، فهو أشوس ، وهي شوساء .

(٤) ومعنى جار هنا طلب أن يُجار .

(٥) المراد بالخضراء ، كثيرة الخير .

(٦) الأَرَجُ والأَريج: انتشار ريح الطيب. يقال عَبِقَ أريج الورد بالغرفة، وفاح أَرَجُه فيها .

(٧) أَرِبَ إلى الشيء ، أرباً : احتاج . والإربُ : الحاجة (القاموس المحيط) .

(٨) الديوان ٦٤ ـ ٧٠ .

(٩) وثَّاب بن محمود بن نصر بن صالح بن مرادس الكلابي . تولى أخوه سابق إمارة حلب سنة ٤٦٨ ، فثار عليه وثاب واستعان بملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، وأخيه تاج الدولة تتش وبشرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش العقيلي صاحب =

وأربع مائة وأَذكر أبياتاً منها :

إذا عَـايَنْـتَ مِـنْ عُـودٍ دُخـانـاً ... فَـأَوْشِـكْ أَنْ تُعـايِـنَ مِنْـهُ نَـارا
وَيَـأْبـى اللهُ إِنْ أَبَـتِ الأَعـادي ... لِنَـاصِـرِ دينِـهِ إِلاَّ انْتِصـارا
وَمَـا كَبُـرتْ عَلَيْـكَ أُمُـورُ مَجْـدٍ ... إذا أَصْـدَقْتَهـا الهِمَـمَ الكِبَـارا
وَقَـدْ هَبَّـتْ سُيُـوفُـكَ لامِعَـاتٍ ... تُفَـرِّقُ فـي دُجُنَّتِـهِ نَهـارا[1]
فَـزُرْ حَلَبـاً بِكُـلِّ أَقَـبَّ نَهْـدٍ ... فَقَـدْ تُـدْني لَـكَ الخَيْـلُ المَـزَارا[2]
وَلَـوْ قُلْـتُ ابْـنُ مَحْمُـودٍ كَفَتْنـي ... صِفَـاتُ عُـلاَكَ فَضْـلاً واشْتِهَـارا[3]

= الموصل ، وحاصر حلب سنة « ٤٧١ هـ » وأشار عليه مسلم بن قريش سراً بالعودة إلى أخيه سابق ففعل .
وفي سنة « ٤٧٢ هـ » استولى مسلم بن قريش على حلب بعد أن بذل إليه تسليمها أميرها سابق ، وبذلك انقرضت دولة آل مرداس . وأقطع مسلم بن قريش وثّاباً وأخاه شبيباً قلعتي عزاز والأثارب وعدة ضياع ، فسكت وثّاب على مضض ، وكان يتحين الفرص لاسترداد حلب ويتنقل في المدن الشامية .
ففي سنة « ٤٧٤ هـ » نجده في حماة يجتمع إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق ليعينه على استرداد حلب من مسلم بن قريش ، ونسمع ابن الخياط ينشده هذه القصيدة ويحرضه على استعادة حلب .
ولكن مسلم بن قريش استولى على حماة سنة « ٤٧٥ هـ » وقبض على وثّاب وأخيه شبيب وأخذ منها قلعتي عزاز والأثارب ثم أطلقهما واستولى على حلب بعد مسلم بن قريش الذي قتل سنة « ٤٧٨ هـ » ملك شاه ، فاخوه تاج الدولة تتش سنة « ٤٨٧ هـ » فابنه رضوان بن تتش سنة « ٤٨٨ هـ » . وكان وثّاب يتردد إلى تاج الدولة ثم إلى ابنه رضوان لعله يستعيد ملك أبائه في حلب فلم يفلح . ولكنه أصبح أمير قبيلته بني كلاب . وقاتل الصليبيين ومعه بنو كلاب في انطاكية سنة « ٤٩١ هـ » تحت راية رضوان بن تتش . وتنقطع أخبار وثّاب بعد هذه السنة « وأخباره هذه لمع متفرقة هنا وهناك في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وفي زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم » .

(١) الدُّجنة : الظلمة .
(٢) الأقبُّ : من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . والنَّهْدُ : الفرس الحسن الجميل .
(٣) محمود : (والد وثّاب) هو : محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسين أصحاب حلب وليها سنة « ٤٥٢ هـ » وتوفي سنة « ٤٦٧ هـ » .

لَقَدْ لَبِسَتْ بِكَ الدُّنْيَا جَمالاً فَلَوْ كانَتْ يَداً كُنْتَ السِّوارا

إذا أُثْني بحمْدِكَ قَالَ قَوْمٌ بِحَقٍّ الرَّوْضِ أَنْ حَمِدَ القُطارا[1]

تَمَلَّ أبا القِوامِ شريفَ حَمْدٍ رَفَعْتُ بِهِ على الدُّنيا مَنارا

يُضيءُ جَبينُكَ الوَضَّاحُ فيها إذا ما الرَّكْبُ في الظَّلْماءِ حَارا[2]

وقال يمدح الأمير أبا الفوارس محمد بن مانك بحماة :

سَقَوْهُ كأسَ فُرْقَتِهِمْ دِهَاقا وَأَسْكَرَهُ الوَدَاعُ فَما أَفَاقا[3]

إذا ما الكأْسُ لم تَكُ كأْسَ بَيْنٍ فَلَيْسَتْ بالحميمِ ولا الغساقا[4]

رِفَاقٌ ما ارْتَضَوْا في السَّيْرِ إلاَّ قُلُوبَ العاشقينَ لَهُمْ رِفَاقا

وَمَنْ خَطَبَ المَعالي بالعَوالي وبالجَدْوى فَقَدْ أَرْبى الصِّدَاقا

وإِنْ طَرقَ العِدى لم يَرْضَ مِنهُمْ سِوى هَامِ المُلُوكِ لَهُ طِرَاقا[5]

وَمِثْلُكَ يا مُحمَّدُ سَاقَ جيشاً يُكَلِّفُ نَفْسَ رَائيهِ السِّيَاقا

وتَخْتَرِمُ المُلُوكَ بها اخْتِرَاماً وتَخْتَرِقُ العَجَاجَ بها اختراقا

وطَوَّقني ابن مَالِكَ طَوْقَ مَنٍّ فَصُغْتُ مِنَ الثَّناءِ لَهُ نِطاقا

أَرَى الأَيَّام لا تُعْطي كَريماً بُلُوغَ مُرَادِهِ إلاَّ فَوَاقا

فَلاَ عَاقَتْكَ عن طَلَبِ المعَالي إذا الأَيَّام كادت أن تُعَاقا[6]

وقال الشاعر ابن الخياط يمدح سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلَّد بن نصر بن منقذ سنة ست وسبعين وأربع مائة أقتطف بعضاً منها :

يَقيني يَقيني حَادِثاتِ النَّوائب وَحَزْميَ حَزْمي في ظُهُورِ النَّجائبِ

---

(١) القطار : السحاب العظيم القطر .

(٢) ديوان الشاعر « ١ ـ ٦ » .

(٣) كأس دِهاق : طافحة .

(٤) الغَسَاق والغَسَّاق : البارد الكريه الشديد البرد الذي يحرق من برده كاحراق الحميم .

(٥) الطِرّاق : جلد النعل .

(٦) ديوان الشاعر « ٧ ـ ١١ » .

سَأَصْحَبُ آمالي إلى ابْنِ مُقَلَّدٍ فَتُنْجِحُ ما أَلْوَى الزَّمَانُ بِصَاحِبِ[1]
إذا المُنْقِذيُّون اعْتَصمْتَ بِحَبْلِهِمْ خَضَبْتَ الحُسَامَ العَضْبَ مِنْ كُلِّ خَاضِبِ[2]
أُولئِكَ لم يَرْضَوْا مِنَ العِزِّ والغِنى سِوى ما اسْتَباحُوا بالقَنَا والقَواضِبِ
كأَنْ لمْ يُحَلِّلْ رِزْقَهُمْ دِينُ مَجْدِهِمْ بِغَيْرِ العَوَالي والعِتَاقِ الشَّوَازِبِ[3]
تَنَلْ بِسَدِيدِ المُلْكِ ثَرْوَةَ مُعْدِمٍ وَفَرْجَةَ مَلْهُوفٍ وَعِصْمَةَ هَارِبِ
سَعى وَارِثُ المَجْدِ التَّليد فَلَمْ يَدَعْ بِأَفْعَالِهِ مَجْداً طَرِيفاً لِكَاسِبِ
سَلَلْتَ سِهَاماً من كِنانَةَ لمْ تَزَلْ يُقَرْطِسُ مِنْهَا في المُنى كُلُّ صَائِبِ[4]
فأَدْرَكْتَ ما فَاتَ المُلوكَ بِعَزْمَةٍ تَقُومُ مَقَامَ الخطِّ عِنْدَ المُطَالِبِ
إذا الشَّوْقُ أَغْراني بِذِكْرِكَ مَادِحاً تَرَنَّمْتُ مُرْتاحاً فَحنَّتْ رَكَائِبي
بِمَنْظُومَةٍ من خَالِصِ الدُّر سِلكها عَرُوضٌ ، ولكِن دُرُّهَا مِنْ مَنَاقِبِ
تُعَمَّرُ عُمْرَ الدَّهْرِ حَتَّى إذا مَضى أَقَامَتْ وَمَا أَزْمَتْ على سِنِّ كَاعِبِ[5]

ويكاد ديوان ابن الخياط التَّغلبي يخلو من قصائد الهجاء إلاَّ من قصيدة يتيمة يهجو فيها مستوفي الري واسمه فخراوَر ، وقال الشاعر يهجوه :

قُولا لِفَخْراوَرَ قَوْلَ امْرِىءٍ في عِرْضِهِ عَاثَ وفي الرِّيشِ راثْ[6]
يا جَبَلَ اللُّؤمِ الثَّقِيلَ الَّذي لَيْسَ لَهُ في الصّالحاتِ انبعاثْ
ما كُنْتَ أَهْلاً لِرَجَائي وَلا مِثْلُكَ في الكُرْبَةِ مَنْ يُسْتَغَاثْ
لكنَّني كنت كَذِي جَوْعَةٍ حَلَّتْ لَهُ المَيتَةُ بَعْدَ الثَّلاثْ[7]

---

(١) ألوى به : ذهب ، وألوى به الدهر : أهلكه .
(٢) خَضَبَ الشَّيء ، خَضْباً ، وخِضاباً : غير لونه . وتَخَضَّب بالدِّماءِ : تَلَطَّخَ .
(٣) العتاق الشوازب : الخيل الكريمة الضامرة .
(٤) كنانة . قبيلة الممدوح وهي من العرب القحطانية . وقرطس : أصحاب القرطاس أي الغرض .
(٥) ديوان الشاعر ١٢ ـ ١٨ .
(٦) ريش : بالفارسية اللحية (حاشية الديوان) .
(٧) ديوان الشاعر ١٥٣ .

عندما كان الشاعر ابن الخياط التَّغلبي في طرابلس الشام أثار حفيظته اليهود الذين كانوا يقيمون هناك في بثهم الرذيلة ونشرهم الفساد وتخريبهم للمجتمع ومقوماته الأخلاقية فثارت ثائرة الشاعر وخاطب القاضي جلال المُلك قاضي طرابلس الشام والمستقل بها ، أبا الحسن علي بن محمد بن عمار بأن يضع حداً لفسادهم ، وهي قصيدة مؤثرة وتصور سلوك اليهود المُخزي في تلك الأيام ، ويطلب الشاعر من القاضي محاكمتهم ووضع حد لفسوقهم ، والقصيدة طويلة سأذكرها كاملة لكي تكون الصورة واضحة ، ولو رأى الشاعر ماذا عمل اليهود خلال عقود خمسة في القرن العشرين من احتلال واغتصاب وقتل وتدمير وتدنيس مقدسات ، وقلب الحقائق فأصبح الباطل حقاً والحق باطلاً ، والفُرقة تسود صفوفنا . . . فماذا يقول : لقد اكتشف الحقيقة مبكراً وقال فيهم وفي اليهودي المعروف بالمورد وكان فاسقاً :

أَلا مَــنْ مُبْلِــغٌ عَنِّــي عَليّــاً ... وَقــاهُ اللهُ صَــرْفَ النَّــائِبــاتِ[1]
مَقــالاً لَــمْ وأَبيــك مَيْنــاً ... وَلَــمْ أَسْلُــكْ بِـه طُـرُقَ السُّعـاةِ[2]
أَصِــخْ لِيَبُثَّــكَ الإِســلام شَكــوى ... تُلِيــنُ لَــهُ القُلُــوبَ القَــاسيــاتِ
فَلَيْــسَ لِنَصْــرِهِ مَلِــكٌ يُــرَجَّــى ... سِــواكَ اليَــوْمَ يــا مَجْــدَ القُضَــاةِ
لأَعْيــا المُسْلِميــنَ يَهُــودُ سُــوءٍ ... فَمـا تَحْمـي الحُصُـونُ المُحصَناتِ
وَلا لِلْمُــــورِدِ المَلْعُــــونِ وِرْدٌ ... سِـوى أَبْنـائِهِـمْ بَعْـدَ البنـات[3]
يَبِيــتُ مجـاهــداً بــالفِسْـقِ فيهـم ... فَتَحْسَبُــهُ يُطــالــبُ بــالتِّــراتِ
بــأَيَّــةِ حُجَّــةٍ أَمْ أَيِّ حُكْــمٍ ... أُحِــلَّ لــه سِفـاحُ المُسْلِمـاتِ[4]

---

(١) علي : قاضي طرابلس أبا الحسن علي بن محمد بن عمار ، مدحه الشاعر بقصائد عدة . ديوان الشاعر ٢٢ .

(٢) مانَ مَيْنا : كَذبَ . فهو مائِنٌ ، والمَيْنُ : الكَذِبُ . وتَماينَ القوم : كَذَّبَ بعضُهم بعضاً .

(٣) المورد : اليهودي الذي يذكره الشاعر ويشير إليه بقصيدته .

(٤) السِّفاحُ : معاشرة المرأة بلا زواج .

أَمـا أَحَـدٌ يغَـارُ علـى حَـريـمِ ... أَمـاتَـتْ غِيـرَةُ العَـرَبِ النُّخـاةِ[1]
أَنـامَـتْ فـي الغُمُـودِ سُيُـوفُ طَـيٍّ ... أَمِ انْقَطَعَـتْ مُتُـونُ المُـرهَفَـاتِ[2]
أَمـا لُـوْ كـانَ لـلإِسْـلامِ عَيْـنٌ ... لَجـادَتْ بـالـدُّمُـوعِ الجـارِيـاتِ
دَعـاكَ الـدِّيـنُ دَعْـوَةَ مُسْتَجيـرٍ ... بِعَـذْلِـكَ مِـنْ أُمـورٍ فـاضِحـاتِ
لَعَلَّـكَ غَـاسِـلٌ للْعـارِ عَنْـهُ ... بِسَيْفِـكَ يـا حَليـفَ المكْـرُمـاتِ
تَنَـلْ أَجْـراً وَذِكْـراً سَـوْفَ يَبْقـى ... عَليـكَ مـعَ اللَّيـالـي البـاقيـاتِ
أَمِثْلُـكَ مَـنْ يَجُـوزُ عَليـهِ هـذا ... بِخُبْـثِ مِحـالـهِ والتُّـرَّهـاتِ[3]
ومـا قَـلَّ الـوَرى حتَّـى تَـراهُ ... مَكـانـاً للصَّنيعـةِ فـي السُّـراةِ
فَقـدْ مَـلأَ البِـلادَ لَـهُ حَـديـثٌ ... يُـرَدَّدُ بَيْـنَ أَفْـواهِ الـرُّواةِ
يشُـقُّ علـى الـوَلـيِّ إذا أَتـاهُ ... وَيُشمِـتُ مَعْشَـرَ القَـوْمِ العُـداةِ
فَخُـذْ للهِ مِنْـهُ بِكُـلِّ حَـقٍّ ... ولا تَضَـعِ الحُـدُودَ عـنِ الـزُّنـاةِ
بِقَتْـلٍ أو بحـرق أو بِـرَجْـمٍ ... يُكَفِّـرُ مِـنْ عَظيـمِ السَّيِّئـاتِ
ولا تَغْفِـرْ لَـهُ ذَنْبـاً فَيَضْـرى ... فَبَعْـضُ العَفْـوِ أَغْـرى للْجُنَـاةِ
لِيَعْلَـمَ مَـنْ بـأَرْضِ النِّيـلِ أَضْحـى ... وَمَـنْ حَـلَّ الفُـراتَ إلـى الصَّـراةِ[4]
بـأَنَّـكَ مِنْهُـمُ للعَـدْلِ أَشْهـى ... وأَرْغَـبُ فـي التُّقـى والصَّـالحـاتِ

---

(١) النَّخْوَةُ : الحماسة والمروءة .

(٢) طيء : من قبائل العرب القحطانية . وانظر قبيلة طيء لمؤلف هذا الكتاب . وذكر الشاعر هنا قبيلة طيء لأن بني عمار من طيء وجاء في حاشية الديوان ٢٢ : وأول من استقل بطرابلس من بني عمار القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار الطائي كان قاضي طرابلس واستقل بها سنة (٤٦٢ هـ) وتوفي سنة (٤٦٤ هـ) وهو عم جلال المُلك الذي خلفه على طرابلس فضبطها أحسن ضبط ، وتوفي سنة (٤٩٤ هـ) وظل بنو عمّار مستقلين بها إلى أن استولى عليها الصليبيون سنة (٥٠٢ هـ) .

(٣) المِحال : المكر والكيد . والتُّرَّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، واحدتها (تُرَّهَة) فارسي معرب ، ثم استعير للباطل (حاشية الديوان ٤٢) .

(٤) الصَّراة : نهر يصب في دجلة . ويريد بمن أضحى بأرض النيل : الفاطميين في مصر ، وبمن حلَّ الفرات إلى الصَّراة : العباسيين في العراق . (حاشية الديوان) .

وأَغْضَبُهُـــمْ لـــديـــن اللهِ سيفـــاً   وأَقْتَـــلُ للجَبـــابِـــرةِ العُتـــاةِ
إذا أَمْـرٌ أُضِيـعَ مـن الـرَّعـايـا   فـإنَّ اللَّـوْمَ فيـهِ على الـرُّعـاةِ[1]

وقال الشاعر ابن الخياط يرثي عبد الله محمد بن الأمير عضب الدولة ، ويعزيه عنه ، وقد توفي بدمشق : وسأذكر بعضاً منها :

سِـوى بَـاكيكَ مَـنْ ينهى العَـذُولُ   وَغَيْـر نَـواكَ يَحْمِلُهـا الحَمُـولُ
أَيُنْكَـرُ يـا مُحَمَّـدُ لـي نَحيـبٌ   وَقَـدْ غَـالَتْـكَ لـلأَيّـام غُـولُ
رَحَلْـتَ مُفَـارِقـاً فَمَتـى التَّـلاقـي   وَبِنْـتَ مُـوَدِّعـاً فَمَتـى القُفُـولُ
وَكُنْـتَ يَقِيـنَ مَـنْ يَـرْجُـوكَ يَـوْمـاً   فَـأَنْـتَ اليَـوْمَ ظَـنٌّ مُسْتَحِيـلُ
وَلَـوْ تَـدْرِي الحـوادِثُ مـا جَنَتْـهُ   بَكَتْـكَ غَـداةُ دَهـرِكَ والأَصيـلُ
مَتى صَالَ الحِمامُ على ابنِ بأْسٍ   بـهِ فـي كُـلِّ مَلْحَمَـةٍ يَصُـولُ
فَيـا قَبْـراً حَـوى الشَّـرَفَ المُعَلَّـى   وَضُمِّـنَ لَحْـدَهُ المَجْـدُ الأَثيـلُ
أُحِـلَّ ثَـراكَ مِـنْ كَـرم غَمـامٌ   وَأُودِعَ فيـكَ مِـنْ بـأْسٍ قَبيـلُ
حُسـامٌ أَغْمَـدَتْـهُ بِـكَ اللَّيـالـي   سَيْنحَـلُ فِيـكَ مَضْـرَبُـهُ النَحيـلُ
وَمِثْلُـكَ لا تَجُـودُ بـه اللَّيـالـي   ولكـنْ رُبَّمـا سَمَـحَ البَخيـلُ
سَقَـاكَ ، ومـن سَقَـى قَبلي سَحابـاً   تُـرَوَّضُ قَبْـلَ مَـوْقِعِـهِ المَحُـولُ[2]
غَمـامٌ يُلبِـسُ الأَهْضـامَ وَشيـاً   تَتيـهُ بـهِ الحُـزُونَـةُ والسُّهُـولُ[3]
أَعَضْـبَ الـدَّوْلَـةِ المـأْمُـولَ صَبْـراً   وَكَيْـفَ وهَـلْ إلـى صَبْـرٍ سَبيـلُ[4]

قال الشاعر في مجلس الأمير عضب الدولة شعراً على البديهة وكان ثملاً وصف فيه شراب رائق والفتيان ، ونارنج شديد الإحمرار ، ونار ذكية الجمر فقال قصيدة يصور فيها حياة الأمراء في ذلك العصر ، أذكر منها :

---

(١) ديوان الشاعر ٤٣ .
(٢) تُرَوِّض : تصير كالروض . والأرض المَحُول : المجدبة .
(٣) الأهضام : جمع هِضمْ وهو المطمئن من الأرض .
(٤) ديوان الشاعر ٢٠٣ ـ ٢٠٦ .

لنا مَجْلِسٌ ما فيهِ للْهَمِّ مَدْخَلٌ وَلا مِنْهُ يَوْماً للمَسَّرَةِ مَخْرَجُ
تَضَمَّنَ أَصْنافَ المَحاسنِ كُلَّها فَليْسَ لباغي العَيْشِ عَنْهُ مُعَرَّجُ
غِناءٌ إلى الفتيانِ أَشْهى من الغِنى بهِ العيشُ يَصْفُو والهمُومُ تُفَرَّجُ
يخَفُّ لَهُ حِلْمُ الحَليمِ صَبابَةً ويَصْبُو إليهِ النّاسِكُ المُتحرِّجُ
وَرَوْضاً كأَنَّ القَطْرَ غَاداهُ فاغْتدى يَضُوعُ بِمْسكيِّ النَّسيمِ وَيَأْرَجُ
تَرى نُكَتَ الأَزْهارِ فيه كأَنَّها كَواكِبُ في أُفْقٍ تُنيرُ وتُسْرَجُ
ويُذكِركَ الأحبابَ فيهِ بَدائعٌ من النَّوْرِ مِنها نَرْجسٌ وبَنْفسَجُ
وَمَعْشُوقُ نَارنجٍ يُريكَ احمِرارُهُ خُدودَ عَذارى بالعِتابِ تُضَرَّجُ
ونَارٌ تُضاهيها المُدامُ بنورها فَتَخْمُدُ لكنَّ المُدامَ تأَجَّجُ
مَعانٍ كأخْلاقِ الأميرِ محاسناً ولكنَّهُ مِنْهُنَّ أَبْهى وأَبْهَجُ
كأَنَّا جَميعاً دُونَهُ وهو واحدٌ بساحلِ بَحْرٍ رِيعَ مِنْهُ المُلَجِّجُ[1]
هو البحرُ لكن عندهُ البحرُ بَاخِلٌ هُو البدرُ لكنْ عِندهُ البدرُ يَسْمُجُ[2]

ولقد كانت ولادة الشاعر ابن الخياط التغلبي بدمشق سنة (٤٥٠ هـ) وتوفي بها في حادي عشر شهر رمضان سنة (٥١٧ هـ) . ولقد أحب الشاعر دمشق وتركها من الفتن التي أصابتها وهو في ريعان شبابه وتوفي بها وعمره (٦٧ سنة)[3] . وقال شعراً قبل وفاته وهو متوجه إلى دمشق من خراسان يذكر الغوطتين :

أَلا ليتَ شِعْري هل أَبيتنَّ لَيْلةً يُرَوِّحُني بالغُوطَتيْنِ نَسيمُ
وهَلْ يَجْمَعنَّ الكأْسُ شَملي بفتيةٍ على العَيْشِ منهم نَضْرةٌ ونَعيمُ[4]

* * *

(١) لَجَّجَ فهو ملجّج : ركب اللجة ، واللجة : معظم الماء ، وخصه بعضهم بمعظم البحر .
(٢) ديوان الشاعر ١٩٥ ـ ١٩٦ .
(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٤٧ . وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٦ .

أحمد[*] بن محمد التَّغلبي (ابن صصرى)

هو أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب الحافظ بن صصرى الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس الرَّبعى التَّغلبي الدمشقي الشافعي قاضي قضاة الشام[1] .

ولد سنة خمس وخمسين وستمائة وحضر على الرشيد العطار والنجيب عبد اللطيف في سنة تسع . وسمع بدمشق من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر وجده لأمه المسلم بن عَلّان وتفقه على الشيخ تاج الدين ودخل ديوان الإنشاء ونظم ونثر وشارك في فنون .

وكان فصيح العبارة قادراً على الحفظ يحفظ أربعة دروس : درساً للغزاليّة ودرساً للعادلية ودرساً للناصرية ودرساً للأتابكيّة ، وكان طويل الروح مسالماً محسناً إلى من أساء إليه .

بلغه أن الشيخ صدر الدين نظم فيه بُلَّيْقةً فتحيل إلى أن وقعت بخطّه في يده فتركها عنده إلى أن قيل له يوماً : إن الشيخ صدر الدين بالباب ، فقال : يدخل ووضع تلك الورقة مفتوحة على مصلاّه قدّامه فرآها الشيخ صدر الدين وعلم أنها خطه ، ولم يزل القاضي إلى أن تحقق أن صدر الدين رأى الورقة وعرفها ، فقال للطواشي : أحضر للشيخ ما عندك ، فأحضر له بقجة قماش (بزبَكند)

(*) النجوم الزاهرة ٩/٢٥٨ ، شذرات الذهب ٨/١٠٧ فوات الوفيات ١/١٢٥ الوافي بالوفيات ٨/١٦ البدر الطالع ١/١٠٦ ، قضاة دمشق ٨٤ ، طبقات السبكي ١٧٥٦٥ ، البداية والنهاية ١١/١٠٦ .

(١) الوافي بالوفيات ٨/١٦ . وأطلقت عليه ألقاباً كثيرة وجاء في شذرات الذهب : قاضي القُضاة نجم الدّين أبو العباس أحمد بن الرئيس الكبير عماد الدِّين محمد بن المعدل أمين الدِّين سالم بن الحافظ بهاء الدِّين بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى التَّغلبي الربعي الدمشقي الشافعي .

وبَدلة وشاش وصرة فيها ستمائة أو خمسمائة درهم ، على ما قيل ، وقال : هذه جائزة تلك البليَّقة .

وكان يوماً قد توجه مُغْلساً إلى صلاة الصبح بالجامع ، فلما كان في الخضراء ضربه إنسان بمطرق كبير رماه إلى الأرض وظنه مات ، فلما أفاق حضر إلى بيته وكان يقول : أعرفه وما أذكره لأحد . وجاء عنه : أنه كان البادىء بالسلام ويكتب في كل يوم خمس كراريس ، وكان ينطوي على دين وتعبّد وله أموال وخَدمٌ ومماليك ، وهو من بيت حشمة[1] .

اشتغل بمصر على الأصبهاني في أصول الفقه ودرس بالعادليّة الصغرى وبالأمينية ثم بالغزاليّة مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ بالشام وولي القضاء سنة اثنتين وسبعمائة إلى أن مات . وأذن لجماعة في الفتوى .

وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلائي مشيخة فأجازه عليها بجملة .

وقيل إنه لم يقدر أحد يُدَلِّس عليه قضية ويشهد زوراً . وكان متحرّياً في أحكامه بصيراً بقضاياها ولم يسمع عنه أنه ارتشى في حكومة[1] .

وجاء عنه أيضاً : سمع الحديث من جماعة ، وقرأ للسبع ، وجوّد الخط على ابن المُهتار ، وأتقن الأقلام السّبعة . . . وكان حسن الأخلاق كثير التودد ، كريم المجالسة ، مليح المحاضرة ، حسن الملتقى ، متواضعاً جداً ، له مشاركه في فنون شتى وعنده حظ من الأدب والنظم[2] .

وجاء حول صفاته : وكان إماماً عالماً بارعاً مدِّرساً مُفْتياً كاتباً مجوداً ، ولي عِدّة تداريس وباشر قضاء الشام استقلالاً في سنة اثنتين وسبعمائة مع عدة تداريس[3] . وكان له نظمٌ ونثر وخُطبٌ ومن شعره :

---

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ١٧ .

(٢) شذرات الذهب ٨/ ١٠٧ .

(٣) النجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٨ .

ومُهفهفٍ بالوَصلِ جَادَ تكرُّماً   فأَعادَ ليلَ الهجرِ صُبحاً أَبْلجَا[1]
مَازِلتُ أَلثم مَا حَواهُ ثَغْرُهُ   حتَّى أعدتُ الوردَ فيه بَنَفْسَجا[2]

كان القاضي شهاب الدين محمود كتب للأمير علم الدين سنجر الدواداري يهنئه بفتح طرابلس ويذكر جراحة أصابته بقصيدة أولها :

ما الحربُ إلاّ الذي تَدمى به اللِّمَمُ   والفخرُ إلاّ إذا زَانَ الوجُوهَ دَمُ
ولا ثَباتَ لمن لم تَلقَ جبهَتُهُ   حَدَّ السيوفِ ولا يُثْنى لهُ قَدَمُ

فكتب الجواب قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن محمد التغلبي :

وافَى كتابُكَ فيهِ الفضلُ والكرَمُ   فَجَلَّ قَدْراً وجلّتْ عندي النّعمُ
وَجاءَ من بحرِ فَضلٍ قَدْ طما وَسَمَا   دُرُّ المعاني في الألفاظِ تنتظمُ[3]
وَصفْتَ حالي حتى خِلتُ أنّكَ قَدْ   شَاهدتها ولهيبُ الحربِ يَضطرمُ
وَما جرى في سَبيلِ اللهِ مُحتَسَبٌ   فهو الذي لم يَزَلْ تسمو له الهممُ
وَجاءَنَا النصرُ والفَتحُ المبينُ فلو   شَاهدتَ نورَ الظُّبى تُجلى بهِ الظُّلمُ
غدا العدوُّ ذليلاً بعد عزَّتهِ   حِليُّ أجيادهمْ بعد العقودِ دمُ
قَدْ فرَّقَ الجمعَ منهم عَزمُ طائفةٍ   لم يثنِ همّتَها يومَ الوغى سأَمُ
تُرْكٌ إذا ما انتضَوا عَزماً لهم تركوا   أمامَهمْ كلَّ جَمعٍ وهو مُنهزمُ
لمّا بقتلِ العِدى خَاضتْ سيوفُهمُ   صلّتْ فقبلها يومَ الوغى القممُ
حَازوا الثّوابَ الذي راموا وَبعضهمُ   فَازوا بما كسبوا منها وما غَنموا
وكنتُ مُشتغلاً في وقتِ كسبهمُ   عنه بما كسْبُهُ عندي هو النّعمُ
فَكيفَ يُطلبُ مني الأرفغان وَقَدْ   شهدتَ لي ولهذا بَيننَا حَكَمُ
أَلستَ أنتَ الذي قد قالَ مُبتدئاً   وذاكَ قولٌ بحكمِ الحقِّ مُلتزِمُ

---

(١) جاء في صدر البيت في النجوم الزاهرة (ومهفف . . .) .
(٢) جاء في صدر البيت في النجوم (مازلت ألثم ما حواه لثامه) والأبيات وردت في الشذرات والنجوم .
(٣) طما : طما البحرُ يطموا طُموّا ، وطمى يطمي طُمِيّاً : امتلأ . وسما سمواً : ارتفع .

هَجَمْتَهُ وسيوفُ الهندِ مُصلتةٌ وعدتَ والسبيُ والأموال تُقتسمُ
وكان همُّكَ في الأرواحِ تكسبها وهمُّ غَيرِكَ فيها المالُ والنَّعَمُ[١]

ونسب إليه قوله :

وَمُذْ خَفِيَتْ عَني بدورُ جمالهمْ غدا سقمي في حبّهم وهو ظَاهِرُ[٢]
وقَدْ بتُّ مالي في الغرام مُسامِرٌ سوى ذكرهم يا حبّ ذاك المسامِرُ[٣]
وإني على قُرْبِ الدّيارِ وبُعْدِها مُقيمٌ على عهدِ الأحبّةِ صَابرُ
ودمعي سريعٌ والتّشَوُّقُ كاملٌ ووجدي مَديدٌ والتأسفُ وافرُ
ومالي أنصارٌ سوى فيضِ أدمعي إذا باتَ مَن أهواه وهو مهاجرُ
أأحبابَنا غِبتمْ فَغَابتْ مَسَرّتي وأصبحَ حزني بعدكمْ وهو حاضرُ
وَمَا القصدُ إلاّ أنتمُ ورِضَاكُمُ وغيرُ هواكم ما تُسِرُّ السرائر
وَمَا في فؤادي موضعٌ لسواكُمُ ولا غيركم في خاطرِ القلبِ خاطرُ
وَمَا راقني من بَعدكم حسنُ منظر ولا شاقني زاهٍ من الروضِ زاهرُ
وَمَا كَلفي بالدارِ إلاّ لأجْلِكُمْ وإلاّ فما تُغني الرسومُ الدوائِرُ[٤]
وما حاجرٌ إلاّ إذا كنتمُ بها إذا غِبتمُ عنها فما هي حَاجِرُ[٥]

ولقد كانت وفاته في نصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وكان موته مفتاحاً لموت رؤساء دمشق وعلمائها .

ورثاه شعراء عصره ، ورثاه المرحوم شهاب الدين محمود ، ولشعراء زمانه فيه مدائح كثيرة[٦] .

---

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ١٨ .
(٢) السَّقام ، والسَّقمُ ، والسُّقمُ : المرض .
(٣) السَّمرُ : الليل وحديثه ، والسَّامر : مجلس السُّمَّار . والسَّمير : المُسامر .
(٤) الرَّسم : الأثر أو بقيَّته . (القاموس المحيط) .
(٥) الوافي بالوفيات ٨/ ١٩ - ووردت القصيدة نفسها في كتاب فوات الوفيات ١/ ١٢٧ .
(٦) فوات الوفيات ١/ ١٢٦ .

وجاء أيضاً وتوفي بعد تعلل أصابه ببستانه فجاءة في نصف شهر ربيع الأول سنة (٧٢٣ هـ)[١] . وجاء حول وفاته ونسبته في النجوم الزاهرة : توفي قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين محمد بن أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ الثعلبي الدمشقي في سادس عشر شهر ربيع الأول بدمشق ودُفن بتربتهم بالقرب من الرُّكنية[٢] .

* * *

---

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ١٧ .

(٢) النجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٨ ، وجاء بالحاشية كذا في الأصلين وعقد الجمان . بينما في بقية المراجع المذكور في ترجمته التغلبي .

أَحمر(*) بنُ الأَيْهَمَ التَّغلبي

قال أحمر بن الأَيهم التَّغلبي يذكر الدِّمْنُ :

أَلْمِـمْ علـى دِمَـنٍ تَقـادَمَ عَهـدُهـا ... بـالجـرْع واسْتَلَبَ الـزمـانُ جَمـالَهـا
رَسْـمٍ لقـاتِلـةِ الغُـرانِـق مـا بـهِ ... إلاّ الوحوشُ خَلَتْ له وضَلالها[1]
ظَلَّـت تُسَـائِـلُ بـالمُتَيَّـم أَهْلَـهُ ... وهـي التـي فَعَلَـتْ بِـهِ أفعـالهـا[2]

ودِمْنةُ الدار : أَثَرُها . والدِّمْنةُ . آثار الناس وما سَوَّدوا . ودَمّن القومُ الموضعَ : سوّدوه وأَثَّروا فيه بالدِّمْن ؛ قال عَبيد بن الأبرص :

مَنْـــزِلٌ دَمّنـــه آبـــاؤُنـــا الـ ... ـمُورثُون المَجْدَ في أُولى اللّيَالي[3]

وقال النَّابغةُ الذبياني :

عُـوجُـوا فحَيُّـوا لنُعْـمٍ دِمْنَـة الـدّارِ ... مـاذا تُحَيّـون مِـنْ نُـؤْيٍ وأَحْجَـارِ[4]

وقال كُثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

أَهَـاجَـك مغْنـى دِمْنَـة ومَسـاكِـنُ ... خَلَتْ وعَفَاها المُعْصِراتُ السّوافِنُ[5]

* * *

(*) المنازل والديار ١٦٣ ، ١٦٤ .
(١) الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل . المفرد بضم الغين . والجمع بفتحها .
(٢) المنازل والديار ١٦٤ .
(٣) لسان العرب (دمن) .
(٤) المنازل والديار ١٥٩ .
(٥) المعصرات : السحائب تعتصرها الرياح بالمطر . السوافن : الرياح التي تسفن وجه الأرض كأنما تمسحه ، وقيل كأنما تقشره ، ويقال سفنت الريح التراب إذا جعلته دقاقا (اللسان) . المنازل والديار ١٦٠ . وانظر ترجمة كُثير في كتاب قبيلة خزاعة .

الأَخْنَسُ[*] بنُ شِهَابٍ التَّغْلِبيُّ

هو الأَخنسُ بن شِهاب بن ثمامة بن أَرقم بن حُزابة بن الحارث بن نُمير بن أُسامة بن بَكر بن مُعاوية بن غَنْم بن تغلب . شاعر جاهلي قبل الإسلام بدهر[1] .

وجاء نسبه في المفضليات :

هو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غَنْم بن تَغلب بن وائل[2] . فارس العصا (فرسه)[3] .

وجاء في جمهرة النسب : فمن بني نَهار : الأَخْنَسُ بن شِهاب الشاعر الفارس[4] .

وفي جمهرة أنساب العرب : والأخنس بن شِهاب الشاعر الفارس[5] .

إن شأن الأَخنس في شعره مثله مثل أي شاعر جاهلي ، هو شاعر القبيلة ، يدافع عنها ما استطاع بشعره يهجو من يهجوها ، ويفخر بنسبه إليها ، ويعدد مآثر قبيلته في الفروسية والكرم والشجاعة ، وينزل إلى ساحة المعركة مشرعاً سيفه ممتطيا فرسه إذا دعا الداعي .

(*) المفضليات ٢٠٣ ، رقم القصيدة ـ ٤١ ـ الاختيارين ١٤٠ ـ ١٧٣ . حماسة البحتري ١٦ . الحماسة البصرية ١/ ١٢ ، ٢٤ ، ١٠٣ ، الحماسة الشجرية ١٤٣ ، ١٨٦ حماسة أبي تمام ١/ ١٤٨ جمهرة أنساب العرب ٣٠٧ ، خزانة الأدب ٧/ ٣٧ . جمهرة النسب ٥٧٣ ، الاشتقاق ٣٣٦ .

(١) خزانة الأدب ٧/ ٣٧ .

(٢) المفضليات ٢٠٣ .

(٣) الاشتقاق ٣٣٦ .

(٤) جمهرة النسب ٥٧٣ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ٣٠٧ .

وفي قصيدته الطويلة هذه يقف الشاعر على ديار ابنة حِطان معشوقته يذكرها بحرقة ولوعة وصدق إحساس ويذكر مساكن قومه وغيرهم من العرب في مواطنهم ، مثل بكر ، وتميم ، وكلب ، وغسان ، وبهراء ، وإياد ، ولخمٌ ملوك الناس .

ويصف كثر الخيل لدى تغلب ، وفوارسها من تغلب حُماة ، كُماة ، ليس فيها أشائب .

ثم يصف شجاعتهم في الحروب ، فإن قصرت أسيافهم وصولها بخطاهم إلى القوم الذين يقاتلونهم . كما يصف أهمية قومه عند الملوك العصائب . وقومه لهم عزة ومنعة يذهبون حيث يشاؤون ، دون أن يردهم أحد أو يمنعهم أو يستطيع الوقوف أمامهم .

لاِبْنَـةِ حِطَّـانَ بـنِ عَـوفٍ مَنـازِلٌ ... كما رَقَّشَ العُنوانَ في الرقِّ كاتِبُ[1]
ظَلِلتُ بهـا أُعـرَى وأُشْعَـرُ سُخْنَـةً ... كما اعتادَ محموماً بِخَيْبَرَ صالِبُ[2]
تَظَـلُّ بهـا رُبـدُ النَّعَـامِ كـأَنَّهـا ... إِمـاءٌ تُـزجَّى بـالعَشِـيِّ حَـوَاطِبُ[3]
خَلِيـلاَيَ هَـوْجـاءَ النَّجَـاءِ شِمِلَّـةٌ ... وذوُ شُطبٍ لا يجتَويهِ المُصَاحِبُ[4]

---

(١) شبب بمحبوته ، ونسبها لأبيها وجدها ، وهو من نادر التشبيب . رقش : نمق وحسن . العنوان : الأثر والعلامة ، الرَق ، بفتح الراء وكسرها : جلد رقيق يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء .

(٢) أعرى ، بصيغة البناء لما لم يسم فاعله : من العرواء ، بضم العين وفتح الراء وتخفيف الواو ، وهي الرعدة تكون للحمى . أشعر : أبطن ، ومنه الشعار ، وهو الثوب الذي يلي البدن ، السخنة : السخونة ، خيبر : إنما خصها لأن حماها أشد الحمى . الصالب : الحمى الشديدة الدائمة .

(٣) الربد : جمع أربد وربداء ، والربدة سواد في بياض . تزجى : تساق . الحوطب : اللاتي يحملن الحطب .

(٤) الهوجاء : التي تركب رأسها في السير ، يريد ناقته ، النجاء : السرعة . الشملة : الخفيفة السريعة . ذو شطب : يريد سيفه ، والشطب كهيئة الخطوط في السيف ، يجتويه : يكرهه ويستثقله . يقول : إن خليلته ناقته وسيفه .

وقد عِشتُ دَهراً والغُواةُ صَحَابتي أُولئك خُلصانِي الذَّين أُصاحِبُ[1]
رَفيقـاً لِمــنْ أعيَـا وقُلِّـدَ حَبْلَـهُ وحاذَرَ جَرَّاهُ الصَّديقُ الأَقارِبُ[2]
فأَدَّيتُ عَنِّي ما اسْتَعرْتُ من الصِّبَا وللمالِ عندِي اليومَ رَاعٍ وكاسِبُ[3]
لِكــلِّ أُنــاسٍ مــن مَعَــدٍّ عِمــارَةٌ عَرُوضٌ إليها يَلْجَؤُونَ وجانِبُ[4]
لُكَيـزٌ لهـا البَحـرانِ والسِّيـفُ كُلُّـهُ وإنْ يأتِهَا بأسٌ منَ الهنْدِ كارِبُ[5]
تَطَـايَـرُ عـن أعْجـازِ حُـوشٍ كـأَنَّها جَهَــامٌ أَرَاق مــاءَهُ فهــو آئــبُ[6]
وبَكـرٌ لهـا ظَهْـرُ العِـرَاقِ وإنْ تَشَـأ يَحُلْ دُونَها منَ اليمامَةِ حاجبُ[7]
وصــارتْ تَميـمٌ بيـنَ قُـفٍّ ورَمْلَـةٍ لهـا مِـن حِبـالٍ مُنْتَـأًى ومـذاهِـبُ[8]

---

(١) الغواة : جمع غاو ، وهو الضليل . خلصاني : بضم فسكون وبعد الألف نون : خلاني وصفوتي ، وهو وصف يستوي فيه الجماعة والواحد .
(٢) رفيقاً : صاحباً ، أعيا : يريد أتعب عاذليه وأجهدهم لعرامته . قلد حبله : يريد أنه ترك لما يئس منه ، كما يفعل بالبعير إذا صعب قياده فألقي حبله على عنقه وترك يفعل ما يشاء . جراه : جريرته ، وهي جنايته . الصديق : يكون للواحد وللجمع ، وهو ههنا للجمع .
(٣) أي : كان ما كنت فيه من الجهل من الشيطان ، فلما أقلعت عن ذاك فكان الجهل كان عندي عارية فرددتها ، وأقبلت على ما لي أصلحه وأرعاه وأطلب الزيادة فيه .
(٤) العمارة : الحي العظيم يقوم بنفسه . العروض : الناحية (المفضليات ٢٠٤) .
(٥) لكيز ، بالتصغير : هو ابن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد . البحران : البحرين . السيف بكسر السين : ضفة البحر . كارب : فاعل من الكرب : وهو شدة الأمر .
(٦) الحوش : إبل حوشية لم ترض . الجهام : السحاب الذي هراق ماءه ، وهو أسرع لسيره . آئب : راجع .
(٧) بكر : هو ابن وائل بن قاسط بن هنب . . . بن ربيعة . حاجب : مانع ، أي لها باليمامة من يمنع ضيمها ، يعني بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل لأنها موطنهم .
(٨) تميم : هو ابن مر بن أُد بن طابخة . . . القف : ما خشن من الأرض واجتمع . الحبال : حبال الرمل ، وهي معاظمها . المنتأى : من النأي وهو البعد . أي : لها بعد ومذاهب عن عدوها فلا يصل إليها .

وكَلْبٌ لها خبتٌ فَرَمْلَةُ عَالِجٍ إلى الحَرّةِ الرَّجْلاَءِ حَيثُ تُحارِبُ[١]
وغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِوَاهُمُ يُجَالِدُ عَنْهمْ مِقْنَبٌ وكتَائِبُ[٢]
وبَهْرَاءُ حَيٌّ قد عَلِمْنا مكانهم لهم شَرَكٌ حَولَ الرُّصافَةِ لاَحِبُ[٣]
وغارتْ إيادٌ في العَوادِ ودُونَها بَرازيقُ عُجُمٌ تَبْتَغِي مَنْ تُضَارِبُ[٤]
ولَخمٌ ملوكُ النَّاسِ يُجْبَى إلَيْهُمُ إذَا قالَ منهم قائِلٌ فَهوَ واجبُ[٥]
ونحن أُناسٌ لا حِجَازَ بأَرضِنا معَ الغَيثِ ما نُلْقَى ومَنْ هو غالِبُ[٦]
تَرَى رَائِدَاتِ الخيلِ حَوْلَ بُيُوتِنا كَمِعزَى الحِجَازِ أَعْجزتَها الزَّرائِبُ[٧]
فيُغبَقْنَ أَحْلاباً ويُصبحنَ مِثلَها فَهُنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قُبٌّ شَوَازِبُ[٨]
فَوَارسُها مِنْ تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ حُماةٌ كُمَاةٌ ليسَ فيها أَشائِبُ[٩]
هُمُ يَضربونَ الكَبشَ يَبرُقُ بَيْضُهُ على وجهِهِ مِنَ الدِّماءِ سَبَائِبُ[١٠]

---

(١) كلب : هو ابن وبرة بن تغلب بن حلوان . . . بن قضاعة . خبت : منازل بني كلب . عالج : رملة بالبادية . الحرة الأرض تلبس الحجارة ، الرجلاء الغليظة .
(٢) غسان : اسم ماء سمي به مازن بن الأزد (الغساسنة) . يقول : وكانت الروم توليهم وتقاتل عنهم فعزهم في غيرهم .
(٣) بهراء : ابن عمر بن الحاف بن قضاعة بن مالك . الشرك : بنيات الطريق تتشعب عنه . الرصافة : وهي لهشام بن عبد الملك ، شمال سوريا .
(٤) غارت : دخلت . إياد : هو ابن معد بن عدنان . السواد : سواد العراق سمي سواداً لكثرة نخله . برازيق : مواكب وكتائب . فارسية معربة .
(٥) لخم : لقب، واسمه مالك بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد . . . بن كهلان بن سبأ .
(٦) الحجاز ، الحاجز ، أي نحن مصحرون لا نخاف أحداً فنمتنع منه ، ما نلقى : أي نلقى مع الغيث ، كلما وقع في بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله .
(٧) الرائدات : التي ترعى وترود المراعي لكثرتها . يقول : ترى الخيل حول بيوتنا تسرح كأنها معزى لا تحرسها الزرائب .
(٨) يغبقن : من الغبوق ، وهو شرب العشي . يصبحن : من الصبوح ، وهو شرب الغداة . أحلاب : جمع حلب بفتحتين ، وهو اللبن المحلوب . التعداء : العدو . القب : الضوامر الخواصر ، واحدها أقب وقباء . الشوازب : الضوامر ، الواحد شازب .
(٩) تغلب : هو ابن وائل بن قاسط . . . بن ربيعة . الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع . الأشائب : الأخلاط ، واحدها ، أُشابة .
(١٠) الكبش : رئيس القوم وحاميهم . البيض : جمع بيضة ، وهي قلنسوة الحديد . السبائب : الطرائق ، الواحدة سبية . =

بِجَـأْوَاءَ يَنْفـي وِرْدُهـا سَـرَعـانَهـا   كأَنَّ وَضِيحَ البَيْضِ فيها الكَوَاكِبُ[1]

وَإنْ قَصُـرَت أَسيـافُنـا كـانَ وصْلُهـا   خُطَانَا إلى القَوْم الذَّين نُضارِبُ[2]

فلِلَّـه قَـومٌ مِثـلُ قَـومِـيَ سُـوقَـةً   إذَا اجَتَمعتْ عِنْدَ الملوكِ العصائِبُ[3]

أرى كـلَّ قـوم ينظـرون إليهـمُ   وتقْصُـرُ عمّـا يَفعَلُـونَ الـذَّوائـبُ[4]

أَرَى كـلَّ قـومٍ قـاربُـوا قَيـدُ فَحْلِهِـمْ   ونحـنُ خَلَعْنـا قَيْـدَهُ فَهـوَ سَـارِبُ[5]

ذكر البحتري في حماسته أبيات أربعة للأخنس التغلبي ووردت له في باب : فيما قيل في الإطراق حتى تُمكِّن الفرصة[6] .

ويظهر من خلال شعره ، أن ثأراً كان له في حيٍّ بني عامر ، وهو يطوف حوله علَّه يدركه ، ومتى أدرك ذلك ، قال : أشفِ من عامرٍ نفسا .

لَعمْري لقدْ جَاورتُ في حيِّ عَامرٍ   لأُدركَ ثأْري مِنْهمُ حججاً خمسَا[7]

أَبيـتُ إذا نَـامَ الخَلـيُّ كـأَنَّنـي   سَليـمُ أَفـاعٍ لا يُـلاقـي لـه أُنْسَـا[8]

ولمَّـا رأيـتُ الثَّـار قـدْ حِيـلَ دُونَـهُ   مَشيتُ لهم قَطْواً وكنتُ لهمْ حلسَا[9]

---

(١) الجأواء : الكتيبة الكثيرة الدروع المتغيرة الألوان لطول الغزو ، مأخوذ من الجُؤوة ، وهي حمرة تضرب إلى السواد . وردها : ما ورد الماء منها . سرعانها : المتسرعون منها إلى الماء المتقدمون . وضيح البيض : ما وضح منها ، أي ظهر .

(٢) قال ثعلب : هذا البيت تتنازعه الأنصار وقريش وتغلب . لهذا البيت شرح طويل انظر حاشية المفضليات ٢٠٧ .

(٣) السوقة : من سوى الملك . العصائب : الجماعات .

(٤) الذوائب : الرؤساء ، وذؤابة كل شيء أعلاه .

(٥) السارب : الذاهب في الأرض . يريد أن الناس أقاموا في موضع لا يجترئون على النقلة إلى غيره ونحن أعزاء نذهب حيث شئنا لا يقدر أحد على منعنا . (المفضليات ٢٠٨) .

(٦) حماسة البحتري ص١٥ .

(٧) جاور : وجَاوره مُجاورة وجِواراً : صاره جاره . والجِوار : أن تُعطي الرَّجل ذِمةً فيكون بها جارك فتجيره .

(٨) الخَليُّ : الذي لا همَّ له الفارغ . وأنت خلي من هذا الأمر ، أي خالٍ فارغٌ من الهم . (لسان العرب) .

(٩) قطا : ثقل مشيه . حلسا : ملازما .

ولاحظتُ ثأري فيهم لأنالهُ متى ما أَنلْه أَشْفِ من عامرٍ نَفْسَا[1]

وقال أيضاً :

صَحا قَلْبي ، الغَداةَ ، عَنِ التَّصابي وبُدِّلَ لَهْوُهُ ، طُولَ انْتِصابِ[2]

تَقُولُ ، لِيَ ، ابنَةُ الكَعْبِيِّ لَيلَى : أَجِدَّكَ ، لا تَمَلُّ مِنِ اغْتِرابِ[3]

وحَسْبُكَ بَلْدةٌ ، يُغْنيكَ فِيها يَعُودُ عليكَ ، صَرْفي ، واكْتِسابِي[4]

ودُهْمٍ ، لَم أَرِثْها ، عَنْ صَديقٍ صَفايا ، مِن لَبُونِ بَنِي غُرابِ[5]

أُناهِبُها المُغيرةَ ، كُلَّ يَومٍ بِمُسنِفةٍ ، كَضِروةِ ذِي كِلابِ[6]

تُباعِدُني ، إذا ما شِئْتُ ، منهُمْ وتُدْنِيني ، إذا كَرِهُوا اقتِرابِي

وتُصْدِرُني كَما قَدْ أورَدَتْني كَأَنِّي بَينَ خافِيَتَي عُقابِ[7]

وله في أيام تغلب مواقع وأشعار سأذكرها مع الأيام . وجاء في الأعلام أنه توفي نحو (٧٠ ق هـ) = نحو (٥٥٥ م)[8] .

* * *

---

(١) حماسة البحتري ص١٦ ، ١٧ .

(٢) أي : بُدِّلَ تعباً ، ونَصَباً .

(٣) جدك أي : أقسم عليك بجدك .

(٤) تقول : حَسبُكَ بلدةٌ ، يُغنيكَ فيها صرفي ، واكتسابي ، عائداً عليك ، لا ينقطع عنك ذلك ، ما كنت حيّاً .

(٥) الدهم : الإبل لونها نحو الصفرة ، إلاَّ أنه أقل سواداً . والصفايا : ما اختاره الرئيس قبل قسمة الغنيمة . واللبون : ذات اللبن من النوق . وبنو غراب بطن من طيء .

(٦) المسنفة : الفرس تتقدم الخيل . والضروة الكلبة الضارية .

(٧) والخافية : واحدة الخوافي . وهي الريشات التي تخفى ، إذا ضم الطائر جناحه الاختيارين ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٨) الأعلام ١/ ٢٧٧ .

أُفْنُونُ(*) التَّغلبي

هو صُريْمُ بن مُعْشَر ب ذُهْل بن تَيم بن عَمرو بن مَالك بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وَائِل . شاعر جاهلي مشهور[١] .

وجاء نسبه في الخزانة : وأُفْنُونٌ شاعر جاهلي . وهو صُريم بن مَعشر بن ذُهْل بن تيم بن مالك بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب[٢] .

وجاء نسبه في الإيناس : هو صُريم بن مَعشر بن ذُهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حُبيب من تغلب ، واسم تغلب دَثار[٣] .

وحول لقبه أُفنون . كان الشاعر صُريم يُشبب بنساء قومه فقالت امرأة منهم لأُسمَّينَّ نفسي وابنتي اسماً لا يُشَبِّبُ به صُريم قال : فسمَّت بنتاً لها مَضنونة فقال صُريم عند ذلك ليُريها أن ذلك لا يَنفعها فقال :

مَنَّيْتِنا الوُدَّ يا مَضْنونَ مَضْنونا ... زَمَاننا إنَّ للشُّبّانِ أُفْنونا

فَسُمّي أُفْنوناً بهذا البيت[٤] .

(*) الإيناس بعلم الأنساب ٦٥ ، الكامل للمبرد ١٤٠ خزانة الأدب ١١/ ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ . الكامل في التاريخ ١/٥٤٨ ، المحبر ٢٠٤ ، النقائض ٨٨٦ ، والمفضليات ٦٥ ، ٦٦ ت ، الاختيارين ٢٠٣ ، أغاني ١١/ ٤٩ ، الاشتقاق ٣٣٦ .

(١) المفضليات ٢٦٠ . وفي المؤتلف والمختلف ٢٢٥ سماه « ظالم بن معشر » وفي باقي المراجع صريم .

(٢) خزانة الأدب ١١/ ١٥١ .

(٣) الإيناس بعلم الأنساب . كما نلاحظ هناك تقديم أو تأخير في الأسماء في تسلسل النسب ، وأحيانا تنقطع السلسلة ، وهذا عائد إلى نقل الرواة وطول المدة وسوء التسجيل ، والمهم أن النسب يأتي صحيحاً إلى قبيلته ، وكذلك الأشعار والمواقع والمعلومات كافة تأتي صحيحة عند تقاطعها .

(٤) النقائض ٢/ ٨٨٦ .

وجاء في (اللسان) أُفْنُون : الرجل يُفَنِّن الكلام أي يَشتقُّ في فَنٍّ بعد فنٍّ . ورجل مِفنٌّ : يأتي بالعجائب وامرأة مِفَنَّة . ورجل مِعَنٌّ مِفَنٌّ : ذو عَنَنٍ واعتراضٍ وذو فُنُون من الكلام .

وافتنَّ الرجل في حديثه وفي خُطبته إذا جاء بالأفانين وهو مثلُ اشتقَّ ، قال أبو ذؤيب :

فافْتَنَّ ، بعد تَمامِ الوِرْدِ ، ناجيةً ، مثْـلَ الهِـرَاوَةِ ثِنْيـاً بِكْـرُهـا أَبِـدُ[1]

وإن الشاعر أُفنون من رجال تغلب وفرسانها الشجعان وله أيام مشهودة مثل يوم حاجر على قبيلة هوازن ، وقال فيه أشعاراً .

يَومُ حَاجِرٍ :

وهو يومٌ لبني مالك بن حُبيبٍ ، على هوازن ، وفيه مَقتل عَبيدة بن مالك جَعفر ، قَتله أُفنون .

خَرجَ صُريم بن مَعشر بن ذُهل . . . وهو أُفنون ، في جمعٍ من بني تَغلب يُريد بني عامرٍ ، فأغَار عليهم بموضعٍ يقال له حاجرٌ ، وكان سيِّد هوازن ذلك اليَومَ طُفيل بن مالك ، فقاتلته هوازنُ عن حريمها أشدَّ قتال ، ثم ولَّت مُنهزمة وأخلتِ البيوت في أيديهم ، وعَطف عَبيدة بن مالك بن جعفرٍ على بني تغلب ، في حُماة أصحابه ، فقاتلوهم حتى أزالوهم عن البُيُوت ، وحمل أُفنون على عَبيدة فطعنه ، فقتله ، وولَّوا ، وأُسر أبو أسماء حَبيب بن الضَّريبة ، وهو فارس بني نَصرٍ وشاعرهم ، وأُسر أبناء مُسافرٍ ، وعبد الله بن نَصر ، وهرب طُفيل بن مالك ركضاً ، وأصابت تغلب النِّساء والنَّعم .

وقال أُفْنُونُ في ذلك :

---

(١) لسان العرب مادة (فنن) .

سَمَوْنَا إلى عُلْيَا هَوازِنَ بالقَنَا ... وجُرْدٍ كأَمْثَالِ القِدَاحِ ضَوَامِرِ[1]

تَئِنُّ أَنينَ الحَامِلاتِ وتَشْتَكي ... عُجاياتِها من طُولِ نكبِ الدَّوابرِ[2]

فما زَالَ ذاكَ الدَّأْبَ حتَّى صَبَحْتُهَا ... على ما بها من جَهدِها أَهلَ حَاجِرِ[3]

فَغُودِرَ في وَقْعِ العَجاجةِ مِنهُمُ ... عَبيدةُ يَدعُو شاغِراً يالَ عامرِ

صَرِيعَ قَناً في عُصبةٍ عامِرِيَّةٍ ... صَريحيَّةِ الأَحسابِ غَيرِ عَوَاوِرِ

وَقُدْنَا أبا أَسماءَ فارِسَ قومِهِ ... حَبيباً وعبْدَ الله وابني مُسافرِ

وأَفْلَتَنا رَكضاً طُفيلُ بن مَالكٍ ... وقد وَطِئَتهُ خَيلُنا بالحَوافرِ

وحُورٍ كأَمْثَالِ المَهَا عَامِريةٍ ... عَذارى اجْتَلَيْنَا بالرِّماحِ الخَواطرِ

ونَحْنُ مَتى ما نَرمِ قَوماً ببغْضَةٍ ... شَجىً نَاشِبٌ بَيْنَ اللَّهَا فالحناجرِ[4]

وقال أُفْنُونُ في يوم أُوَارَةَ[5] الأول وهو يوم لبني تغلب على بكر بن وائل وبني تميم :

هَزَمْنَا جَمْعَ حَارِثَةَ بنِ عَمْرٍو ... مع الغَلْفاءِ في العُصَبِ العِجَالِ[6]

رَمَيْنَاهُمْ بأَرْعَنَ مُشْمَخِرٍّ ... يُهَدُّ لِصَوتِهِ صُمُّ الجبالِ

---

(١) سمونا : سَما ـ سُمُوّاً : ارتفع . وتَساموا : تباروا (قاموس محيط) .

(٢) الدُّبُرُ : نقيض القُبُل . والدُّبُر : الأسْتُ . والدَّبَرةُ : قَرْحَةُ الدابَّة .

(٣) الحاجر : قال أبو عبيدة : هو موضع في ديار بني تميم . قال : وخرج وائل بن صريم اليشكري من اليمامة ، فقتلته بنو أسيِّد بن عمرو بن تميم ، وكانوا أخذوه أسيراً ، فجعلوا يغمسونه في الركبة ويقولون :

يا أيها المائح دلوي دونكا ... إني رأيت الناس يحمدونكا

حتى قتلوه ، ثم غزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجر وهو موضع بديارهم . حاشية معجم البلدان ٢/ ٢٣٦ (انظر معجم ما استعجم ٤١٦) .

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٣٦ .

(٥) أوارة : موضع لبني تميم كانت فيه قصة لعمرو بن هند عم النعمان بن المنذر على بني دارم « الروض المعطار » .

(٦) هو حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة . قتله الجون التغلبي « الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٢ » .

فظَلُّـــوا بَيْـــن مُعْتَبَـــطٍ قَتيـــلٍ وكـابـي الجَـدِّ يَـرْسُـفُ فـي الغِـلالِ
وللغَلْفَـــاءِ سَلْمَـــةَ بعْـــدَ هَـــدْيٍ نَـوَائـحُ يَلْتَـدِمْـنَ بسُـوءِ حـالِ[1]
ونَـالَ السَّيْـفُ حـارِثَـةَ بـنَ عَمْـروٍ وخَـامَـتْ عـن حِمَـايتـهِ المـوالـي
بهَضْـــبٍ مـــن أُوَارَةَ والمَنَـــايَـــا مُـــوَكَّلَـــةٌ بـــأَعْنَـــاقِ الـرِّجـالِ[2]

كان أُفنون قد سأل قومه أبا عر فخيبوا أمله فيها ، ولم يتحملوا عنه ديات من قتلهم . وكان رجل يدعى ابن سوار طلب منهم أباعر فأعدوها له ولم يضنوا بها . فقال هذه القصيدة يعتب على قومه بني حبيب بن عمرو بن غَنْم ، ويذكرهم بما أسلف إليهم من فضل الدفاع عن أحسابهم . ويذكر أنه لو كان من قبيلة أخرى ما فرطت في جنبه هذا التفريط ، ونعى عليهم إنكارهم لصنيع عامر بن صعصعة ، ومقابلتهم الإحسان بالإساءة ، وأنهم خدعوه كما تخدع العلوق من الإبل ولدها ، ترأمه ولا تدر عليه . وقال أُفْنُون :

أَبْلِـغْ حُبَيْبـاً وخَلِّـلْ فِـي سَـرَاتِهِـمُ أَنَّ الفُؤَادَ انْطَوَى مِنهُمْ عَلَى حَزَنِ[3]
قَد كُنْتُ أَسْبِقُ مَنْ جَارَوْا عَلَى مَهَلٍ منْ وُلْدِ آدَمَ ما لَمْ يَخْلَعُوا رَسَنِيْ[4]
فَـالُـوا عَلَـي ولَـمْ أَمْلِـكْ فَيـالَتَهُـمْ حَتَّى انْتَحَيْتُ عَلَى الأَرْسَاغِ والثُّنَنِ[5]
لَـوْ أَنَّنِـي كنْـتُ مِـنْ عـادٍ ومِـنْ إِرَمٍ رُبِّيتُ فِيهمْ ولُقْمانٍ ومِنْ جَدَنِ[6]

---

(١) هو سلمة بن عمرو الملك ، وكان يلقب بالغَلفاء . الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٢ .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) حُبيب : وهم بنو حُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . سَراتهم : خيارهم . خلل فيهم : اجعل بلاغك يتخللهم .

(٤) أي : كنت أسبق من جاراهم ففاخرهم وفاخروه ومن طلب مغالبتهم ، ما لم يهملوني ويتخلوا عني . وكنى عن هذا بخلع الرسن .

(٥) قالوا علي : أخطأوا علي في رأيهم . انتحيت : اعتمدت . الأرساغ : جمع رسغ . الثُّنن : جمع ثُنه ، وهي الشعر في مآخر الحوافر .

(٦) جدن : اسم قبيلة باليمن .

لَمَـا فَـدَوْا بِـأَخِيهِـمْ مِـنْ مُهَـوِّلَـةٍ ... أخا السَّكونِ ولاَ جَارُوا عَلَى السُّنَنِ[1]

سَأَلْت قَوْمِي وَقَدْ سَدَّتْ أَباعِرَهُمْ ... ما بَيْنَ رُحْبَةَ ذاتِ العِيصِ والعَدَنِ[2]

إذْ قَـرَّبُـوا لابْـنِ سَـوَّارٍ أَبَـاعِـرَهُـمْ ... لله دَرُّ عَطَـاءٍ كَـانَ ذَا غَبَـنِ[3]

أَنَّـي جَـزَوْا عَـامِـراً سُـوأَى بِفِعْلِهِـمُ ... أَمْ كيف يَجْزُونني السُّوأَى مِنَ الحَسَنِ[4]

أَم كَيفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِي العَلُوقُ بِهِ ... رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا ما ضُنَّ باللَّبَنِ[5]

ولقد فَخَر شعراء تغلب بعمرو بن كلثوم لقتله عمرو بن هند ، وقال الشاعر أفنون التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم .

لَعَمْرُك ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا ... لتخـدُمَ ليلـى أُمّـه بِمـوفّـقِ[6]

فقام ابنُ كُلثومٍ إلى السيفِ مُصلِتا ... فـأمسك مـن نَـدمـانـه بـالمُخَنَّقِ[7]

---

(١) بأخيهم : أراد نفسه ، والباء للبدل . من مهولة : من أجل مصيبة هائلة . أخا السكون : رجل من السكون كان أسيراً عند قوم أفنون ، والسكون ، بفتح السين : قبيلة من كندة باليمن ، بالغ في ذكر تبرئهم منه وجفائهم له .

(٢) السؤال هنا : الاستعطاء . رُحبة : هي صنعاء . العيص : الشجر الملتف كالسدر والسلم والعوسج . العدن : أراد مدينة عدن .

(٣) الغبن، بتفحتين : ضعف الرأي . يتهكم بهم إذ منعوه مع سؤاله وآثروا عليه الأجنب .

(٤) عامر : هم بنو عامر بن صعصعة . السوأى : مقابل الحسنى ، وعدل إلى (الحسن) من أجل القافية . يعجب من قومه أن عاملوا بني عامر بالسوء في مقابل جميل فعلهم .

(٥) العلوق : الناقة تعطف على ولدها ولا تدر عليه بلبنها . الرئمان : مصدر « رئمت الناقة ولدها » إذا عطفت عليه . وقال الزجاجي في أماليه الصغرى : « هذا البيت مثل يضرب لكل من يعد بلسانه كل جميل ولا يفعل منه ، لأن قلبه منطو على ضده . كأنه قيل: كيف ينفعني قولك الجميل إذا كنت لا تفي به. (المفضليات ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣).

(٦) عمرو بن هند أمير الحيرة ، قتله عمرو بن كلثوم في عقر داره وله في ذلك رواياتٌ عدة .

(٧) أصلت السيف : جرّده من غمده ، والندمان : رفيق الشراب ، والمخنق موضع حبل الخنق من العنق .

وجلّله عمروٌ على الرأسِ ضربةً ... بذي شَطبٍ صافي الحديدة رَوْنَقِ[1]

وقال أفنون في ترك الطيرة وقلة الاكتراث بها والتوكل على الله تعالى والمُضي في الحاجة :

يَا أَيُّهَا المُزْمِعُ وَشْكَ النَّوى ... لا يَثْنِكَ الحَازِي وَلا الشَّاحِجُ[2]

وَلاَ وُعُولٌ نَجَشْتْ كُسَّماً ... خارِجُها مِنْ غَمْرَةٍ وَالِجُ[3]

كُلٌّ لَهُ دَاعٍ إلى وَقْتِهِ ... ليسَ لِنَفْسٍ عَنْ رَدَىً خَالِجُ

فَاقْصِدْ لاقْصَى هِمَّةٍ نِضْوَهَا ... قَدْ يُدْرِكُ المَشْبُوبَةَ الحَادِجُ[4]

وله أيضاً :

نَحمي حِماهم ونَرمي مِنْ وَرائِهم ... ويُولجون حِمانا من يُرامِينا

كأن أسلافَهم ليسوا لنا سَلَفاً ... ولا لهم حُسنُ ما تَبنيهِ أَيدينا[5]

نهاية أُفْنُون :

كان من خبره أنّه لقي كاهناً فسأله عن مَوته ؛ فقال : تموت بمكانٍ يقال له (إِلاه) بكسر الهمزة . فمكث ما شاء الله ثم سار إلى الشام في تجارة ، ثم رجع في ركبٍ من بني تغلب فضلُّوا الطريق ، فَلَقُوا إنساناً فاستخبروه ، فَنَعتَ

---

(١) شطب السيف : طرائقه في قنعه من شدة بريقه ، والرونق ماء السيف وصفاؤه وحسنه « أغاني ١١/ ٤٩ » .

(٢) الحازي : زاجر الطير . الشاحج : هو الغراب الذي يشحج أي ينعق بصوت خشنٍ غليظ .

(٣) نجشت : ثارت ، كدس : ج كادس وهو الذي تجيء من خلف ، والعرب تتشاءم به ، ويسمى القعيد ، الغمرة : الجماعة من الظباء والوعول ، يعني أن الذي يخرج من بينها بالتخلف أو بالسبق ويدركه أو يدركها سريعاً فيلح فيها ، وذلك كناية عن شدة عدوها .

(٤) المشبوبة : النار المرئية عن بعيد . أو الفرس الشديد الجري . والحادج : الذي يمشي على هون وضعف . (حماسة البحتري ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

(٥) الأشباه والنظائر ٢/ ٢٧١ ـ الخالديان .

لهم ، فقال في نعته إذا رأيتم إلاهة حَيَّ لكم الطريق ـ وإلاهة : هو قارَةٌ بالسَّماوة ـ فلَّما أتوها نزل أصحابه وقالوا له : انزل . فقال أُفنون : والله لا أنزل . فجعلت ناقته ترتعي عَرْفجاً ، فلدغتها أفعى في مِشفرها ، فاحتكَّت بساقه والحيَّة متعلقة بمشفرها ، فلدغته في ساقه ، فقال لأخ معه : احفر لي قبراً فإنِّي ميِّت ، ثم رفع صوته بأبيات[1] فقال :

أَلاَ لَسْتُ في شَيءٍ فَرُوحاً مُعاوِيَا ... ولا المُشْفِقاتُ إذْ تَبِعْنَ الحَوازِيَا[2]

فَلاَ خَيْرَ فيما يَكْذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وتِقْوَالِهِ للشَّيءِ : يَا ليتَ ذا لِيَا[3]

فَطَأْ مُعْرِضاً ، إنَّ الحُتُوفَ كَثيرةٌ ... وإنَّك لا تُبقي بمالِكَ باقيا

لَعمرُكَ ما يَدري امرُؤٌ كيف يتَّقي ... إذا هو لم يَجعلْ لهُ اللهُ واقيا

كَفى حزَناً أنْ يرحلَ الحيُّ غدْوَةً ... وأُصْبحَ في أعلى إلاهةَ ثَاوِيا[4]

* * *

---

(١) خزانة الأدب ١١/ ١٥١ ، ١٥٢ . والرواية نفسها في معجم ما استعجم ١/ ١٨٦ .

(٢) فروح : كثير الفرح . المشفقات . النساء ذوات الشفقة . الحوازي : الكهنة جمع كاهن .

(٣) فيما يكذب نفسه : في أمانيه الباطلة . تقوال : مصدر بمعنى القول ، بفتح التاء .

(٤) إلاهة : قارةٌ بالسماوة من ديار كلب وهَي بين ديار تغلب والشام . معجم ما استعجم ١/ ١٨٦ .

تعليق : واقعة الموت حدثت في الجاهلية ، ولا أعتقد أن كاهناً أو غيره يستطيع أن يحدد موعد ساعة الموت أو مكانه لأن هذا الأمر من علم الغيب ؟

لا أعتقد أن الحية تتمكن من لدغ أُفنون وناقته في آن واحد ، والحية تلدغ من يدوسها ، ربما بركت الناقة على ذنب الحية فلدغت أفنون كونه يمتطي ظهرها وأصبحت قدماه تلامسان الأرض فنهشته .

امْرؤُ[*] القَيس بن أَبَان التَّغلبي

امرؤ القَيس بن أَبان ، من بني كَعب بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغلب . الذي قتله الحارث بن عُبَاد البكري بابنه بُجَيْر بن الحارث[1] .

وقال ابن الكلبي : وإِمْرؤُ القَيس بن أبانَ الذي قَتَلَهُ الحارث بن عُبَادٍ بِبُجير بن عَمرو بن عُبَاد ، وقال الحارث :

طُلَّ مَن طُلَّ في الحُرُوبِ وَلَمْ يُطلَلْ قَتِيلُ أَماتَهُ بن أَبَانِ[2]

وقال الشاعر :

قَتلْنَا مُرَيْءَ القَيْسِ غَصْباً بِرَبِّهِ بَوَاءً وأَطْلَقْنَا إِلَيْهم مُهَلْهِلاً[3]

وقال البغدادي :

كان الحارث بن عُبَاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدوين ، وكان اعتزل حرب ابني وائل وتنحَّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ؛ وحل وتر قوسه ونزع سنان رمحه ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عُباد في أثر إبل له ندّت يطلبها ، فعرض له مُهَلْهِل في جماعةٍ يطلبون غِرّةَ بكر بن وائل .

(*) جمهرة النسب ٥٦٨ . جمهرة أنساب العرب ٣٠٥ . أدب الخواص ١٣٠ ـ خزانة الأدب ١/ ٤٧١ ، ٤٧٢ ، أخبار المراقسة ٣٠٤ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ .

(٢) جمهرة النسب ٥٦٨ .

(٣) مُريء : تصغير امرؤ القيس : وجاء في حاشية أدب الخواص ١٣٠ ـ في الهامش بخط كاتب الأصل . « يعني امرأ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبيب » .

وهنا يدور الخلاف بين مُهَلْهِل وامرؤ القيس التَّغلبي حول قتل بجير ، فالمهلهل يريد قتله وامرؤ القيس يمانعه بينما شعر الحارث يشير إليه (. . . يُطلَلْ قتيل أماته بن أبان) . أي يتهم ابن أبان امرؤ القيس .

وهذه هي الرواية :

فقال المُهَلْهِل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جُشَم وكان من أشراف بني تغلب وكان على مقدمته زماناً طويلا : لا تفعل ! فوالله لأن قتلته ليقتلنّ به منكم كبشٌ لا يُسأل عن خاله : مَن هو ؟ وإياك أن تحفِر البغي فإن عاقبته وخيمة ؛ وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه .

فأبى مهلهل إلا قتله فطعنه بالرمح وقتله[1] .

ولم أعثر لامرىء القيس التَّغلبي على شعر في المراجع المتوفرة لدي ، ربما ضاع شعره ، وربما يظهر في يوم ما فيرى شعره النور .

* * *

(١) الخزانة ١/ ٤٧٢ . ولقد ذكرت تتمة الرواية في حرب البسوس في هذا الكتاب .
وجاء في أخبار المراقسة عنه ٣٠٤ شاعر جاهلي كان من أشراف تغلب وسادتهم .

أعرابي[*] من بني تغلب

قال في صفة السيف :

يُنـــاديـنـــي لأنظُـــرَهُ بـــريـــمٌ فـــدَعْنـــي ، إنّمـــا أربَـــأُ أمـــامـــي
دَلَفْـــتُ لـــه بـــأبيـــضَ مَشـــرَفـــيٍّ كمـــا يـدنـو المُصـافـحُ للسَّـلامِ[1]

يقول : دعاني بريم لأنظر إلى مواقفه في الحرب ، فقلت له : دعني فإني أُريد التقدم أمامي في القتال . ثم قال : « دلفت له بأبيض مشرفي كما يدنو المصافح للسلام » يقول : إنّي أدنوا إلى قِرْني غير مرتاعٍ منه كما يدنو من يريد مصافحة صديقه والسلام عليه ، ومن هنا أخذ البحتري قوله[2] :

تَسرَّع حتى قال من شهد الوغَى لِقـــاءُ أعـــادٍ أو لقـــاءُ حبـــائـــبِ
لقد كان ذاك الجأشُ جأشَ مُسالمٍ علـى أنّ ذاك الـزِيَّ زيُّ مُحـارِبِ

ومثله قول أعرابي قديم :

حنَّـتْ لهـم بكـرٌ فلـم تسْتِطعْهُـم كـأنَّهـم بـالمشـرفيَّـة سـامِـرُ[3]

يقول : كأنهم قوم يتحدثون في سامرٍ ، ليس عليهم روع الحرب ولا جزع القتال[4] .

* * *

(*) الأشباه والنظائر ١/ ٩٧ .

(١) في الصناعتين ٣٣ ، قرواش بن حوط :
دنـــوت لـــه بـــأبيـــض مشـــرفـــيٍ كمـــا يـــدنـــو المصـــافـــحُ للعنـــاقِ

(٢) وفي الصناعتين أن أبا تمام أخذ المعنى من قرواش بن حوط فقصر عنه وأحسن البحتري تقسيمه .

(٣) سامر : اسم جمع بمعنى المتسامرين .

(٤) الأشباه والنظائر ١/ ٩٨ .

أَعشى(*) بني تَغْلِب

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه ربيعة .

وقال ابن حبيب : اسمه النُّعمان بن يحيى بن معاوية ، أحد بني معاوية بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنبِ بن أفصى بن دُعمّي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعر من شعراء الدولة الأموية ، وساكني الشام إذا حضر ، وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة . وكان نصرانياً وعلى ذلك مات[(١)] .

وجاء أيضاً : ومن بني تغلب « الأعشى » وهو يعمر بن نَجْوَان[(٢)] .

وورد عنه أيضاً : ربيعة ويقال : النُّعمان بن نجوان بن معاوية ، المعروف بأعشى بني تغلب أحد بني معاوية بن جُشَم بن بكر من أهل الجزيرة . نصرانيٌّ شاعر[(٣)] .

كان الوليد بن عبد الملك محسناً إلى أعشى تغلب فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه ، فلم يعطه شيئاً وقال : ما أرى للشعراء في بيت حقاً ، ولو كان لهم فيه حق لما كان لك . لأنك امرؤٌ نصراني . فانصرف الأعشى وهو يقول :

لعمري لقد عَاشَ الوليدُ حياتَهُ ... إمامَ هدىً لا مُسْتزادٌ ولا نَزْرُ

(*) الأغاني ١١/ ٢٦٣ ، مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٩٢ ، نوادر المخطوطات ٢/ ٣١٧ .
(١) الأغاني ١١/ ٢٦٣ .
(٢) نوادر المخطوطات ٢/ ٣١٧ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٩٢ .

كـأنَّ بنـي مـروان بعـد وَفـاتـهِ جلاميدُ لا تَنْدَى وإنْ بلَّها القَطْرُ[١]

قصته مع الحُرّ بن يوسف :

كان أعشى بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم ، فشربا يوماً في بستان له بالموصل ، فسكر الأعشى فنام في البستان ، ودعا الحرُّ بجواريه فدخلن عليه قُبته ، واستيقظ الأعشى فاقبل ليدخل القُبة ، فمانعه الخدم ، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحُرّ مع جواريه ، فلطمه خَصيٌّ منهم ؛ فخرج إلى قومه فقال لهم :

لطمني الحُرُّ . فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أَدعج وهو شهاب بن هَمَّام بن ثعلبة بن أبي سعد ، فاقتحما الحائط[٢] وهجما على الحُرّ حتى لطمه الأعشى ثم رجعا ، فقال الأعشى :

كـأنّـي وابـن أَدعـجَ إذ دَخلْنَـا على قُـرَشيّـكَ الـورع الجبـانِ[٣]
هِـزَبـراً غَـابـةٍ وَقْصـاً حمـاراً فظـلَّا حـولـه يتنـاهشـانِ[٤]
أنـا الجُشمـيُّ مـن جُشَـم بـن بكـرٍ عشيَّـة رُعـت طـرفَـكَ بـالبنـانِ[٥]
فمـا يَستطيـعُ ذُو مُلـكٍ عِقـابـي إذا اجتـرمـتْ يـدي وجَنـى لسـانـي
عَشيَّـة غَـابَ عنـكَ بَنـو هشـامٍ وعثمـان استُهـا وبنـو أَبـانِ
تَـروحُ إلـى منـازلهـا قُـريـشٌ وأنـتَ مُخيّـمٌ بـالـزّرّقـان[٦]

---

(١) وردت هذه الرواية في الأغاني مع الشعر ١١/ ٢٦٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٩٢ .

(٢) الحائط : الجدار . ج حيطان ، وحياط . والبستان المحاط بجدار . ج حوائط .

(٣) الوَرَع : هنا تأتي بمعنى الجبان .

(٤) وقص عنقه : كسرها ودقها (لسان العرب) .

(٥) أي لطمتُك : وقوله : أنا الجشمي ، أي مثلي يفعل ذلك بمثلك .

(٦) الزرّقانُ : قرية كانت للحرّ بسنجار : وسنجار مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . (الأغاني ١١/ ٢٦٤) .

مدح مدركاً الكناني فأساء ثوابه فهجاه :

قال ابن حبيب : مدح أعشى بني تغلب مُدرك بن عبد الله الكناني أحد بني أُقيشر بن جَذيمة بن كعب فأساء ثوابه ؛ فقال الأعشى :

لَعمـرك إنِّـي يـوم أَمـدحُ مُـدركـاً ... لكالمُبتني حَوضاً على غَيرِ مَنْهَلِ
أمـرّ الهـوى دُونـي وفيَّـل مِـدحتـي ... وَلـو لكـريـمٍ قُلتُهـا لـمْ تُفيَّـلِ[1]

شمعلة بن عامر شخصية ظريفة وموقف صعب :

قال ابن حبيب : كان شمعلة بن عَامر بن عَمرو بن بكر أخو بني فائد وهم رهطُ الفرس نصرانيّاً وكان ظريفاً ، فدخل على بعض خُلفاء بني أُميَّة ، فقال : أَسلِم يا شمعلة .

قال : لا والله أُسلم كارهاً أبداً ، ولا أُسلم إلاّ طائعاً إذا شئت .

فغضب فأمر به فقُطعت بضعةٌ من فخذه وشُويتْ بالنار وأُطعمها .

فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

أَمِـن حُـدّةٍ بـالفَخـذِ منـك تبـاشـرت ... عُـداك فـلا عـارٌ عليـكَ ولا وزرُ[2]
وإنَّ أَميــر المــؤمنيــن وَجُــرْحَــهُ ... لكَا الدّهر لا عَارٌ بما فَعلَ الدهرُ[3]

وقال ابن حبيب عن أبي عمرو : كانت بين بني شيبان وبين تغلب حروبٌ ، فعاون مالك بن مسمع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم . فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

بَنــي أُمّنــا مَهْــلاً فــإن نُفـوسَنَـا ... تُميـتُ عليكـم عتبهـا ومصـالهـا[4]

---

(١) فَيَّلهُ : قبحه وخطأه . يريد أن الممدوح لم يقدر مدحته حق قدرها ولم يثبها ثوابها . « الأغاني ١١/ ٢٦٤ » .
(٢) الحُذة : القطعة من اللحم .
(٣) الأغاني ١١/ ٢٦٥ .
(٤) المصال : لعله هنا مصدر صال يصول إذا سطا .

وتَرعى بلا جَهلٍ قرابة بيننا ... وبينكُم لمَّا قطعتم وِصالَها
جَزى اللهُ شيباناً وتيماً ملامةً ... جزاءَ المُسيءِ سعيها وفعالها
أَبا مِسمعٍ مَنْ تُنكر الحق نَفسُه ... وَتَعجز عن المعروف يعرفْ ضلالها
أأوقدت نارَ الحرب حتى إذا بدا ... لنفسك ما تجني الحروب فهالها
نَزعتَ وقد جردتها ذات منظرٍ ... قَبيحٍ مُهينٍ حين أَلقتْ حلالها[1]
ألسنا إذا ما الحربُ شَبَّ سَعيرُها ... وكانَ صفيحُ المشرفي صلالها[2]
أَجارتُنا حلٌّ لكم أن تنالوا ... مَحارمها وأن تَميزوا حلالها
كَذَّبتُمْ يمينُ الله حتى تَعاوروا ... صُدور العوالي بيننا ونصالها[3]
وحتى تَرى عَينُ الذي كان شامتاً ... مزاحف عَقرى بيننا ومجالها[4]

وقال أعشى تغلب قصيدة يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويُعين الأخطل عليه وذكر صاحب الأغاني منها بيتان من الشعر :

دارٌ لقَاتِلةِ الغَرانِق ما بِهَا ... غَير الوحوش خَلتْ لهُ وخَلالها[5]
ظلَّتْ تُسائل بالمُتَيَّمِ مَا بهِ ... وهي التي فَعَلتْ بهِ أَفْعالها

---

(١) الحلال هنا : متاع الرحل .

(٢) والصفيح : جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض . والمشرفيّ : المنسوب إلى المشارف وهي قرى قرب حوران تنسب إليها السيوف المشرفية ، نسب إلى المفرد . وقال الأصمعي : المشرفية منسوبة إلى مشارف وهي من قرى من أرض العرب تدنو من الريف . وحكى الواحدي أنها بأرض اليمن . وأحسب أن صوابه « وكان الصفيح المشرفي » .

(٣) تعاوروا الشيء : تداولوه . والعوالي : أطراف الرماح ، الواحدة عالية . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح ، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض ، فإن كان لها مقبض فهو سيف .

(٤) المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف أي المشي . وعقرى : جمع عقير ، كجريح وجرحى .
ـ الأغاني ١١/٢٦٦ ـ ثقافة .

(٥) الغرانق ومثله الغرانيق ـ ج غرنوق (بالضم) وغرنوق (بكسر فسكون ففتح) وغرنيق « بالكسر » وهو الشاب الناعم .

وقال أعشى تغلب يفتخر :

إنَّـا لَمِـنْ تَغلـبٍ قَـوْمٌ مَعَـاقِلُنَـا بِيضُ السُّيُوفِ إذا ما احْمَرَّتِ الحَدَقُ[1]
بيضٌ مَسَاميحُ نحْرُ الجُزْرِ عَادَتُنا إذا تَوافَى غُروبُ الشَّمْسِ والشفَقُ[2]
وَمَـا خَطْبَنَـا إلـى قَـوْمٍ بَنَـاتِهِـمُ إلاَّ بـأَرْعَـنَ فـي حَـافَـاتـهِ الخِـرَقُ[3]

وجـاء عنـه أيضـاً : ولـد بنـواحـي المـوصـل ، وكـانـت وفـاتـه سنـة (٩٢ هـ = ٧١٠ م)[4] .

* * *

(١) جاء في حاشية كتاب الوحشيات ص٨٩ بأن البيت الثاني والثالث لأعشى تغلب . أما البيت الرابع هو لذي الخرق الطهوي . يدل له قوله : في حافاته الخرق . ونسب لأعشى ثعلبة أو تغلب .
(٢) السَّماحة : الجُود والكرم والسُّهولةُ يقال : رجال مَساميحُ ونِساءٌ مَساميحُ . السَّمحُ الكريم .
(٣) الوحشيات ٨٩ .
(٤) الأعلام ٣/ ١٧ ـ أعشى تغلب ربيعة بن يحيى بن معاوية ، من بني تغلب ـ وفي الحاشية وهو من الأراقم من بني معاوية بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

بُحير[*] بن لأَي التَّغْلِبي

قال بُحير بن لأَي التَّغلبي يذكر موضع الرُّوَيتجُ :

تَبَيّـنْ رسـومـاً بـالـرويتـج قـد عَفَـتْ لعَزّةَ قد عُرّين حَولاً حُلاحِلاَ[1]

تَعاوَرَها صَفْقُ الرياح فأَصبحتْ كما رَدّ أَيدي الطَاحنات المَنَاخِلاَ[2]

* * *

(*) معجم البلدان ٣/ ١١٩ .

(١) عفت الريح الأثر : محته ، عِزّة : اسم امرأة ، وحولاً ، والحَوْل : السَّنَة . وحَلَّ المكان وحلَّ به يَحُلُّ حَلاًّ ، وحلولاً نزل به . كاحتَلَّهُ واحتلَّ به فهو حالٌ ، جمع حُلولٌ وحُلاّلٌ .

(٢) المُنْخُلُ : أداةُ النَّخْل يُنْحلُ بها جمع مناخل . (القاموس المحيط) .

بِشْرُ(*) بنُ شَلْوة التَّغلبي

هو بشر بن شلوة التغلبي ، وشلوة أمه ، وهو بشر بن سَوادة وهو الذي يقول في يوم ذي قار ، وكان مع الفُرس :

لمـا سمعـتُ نـداءَ مُـرَّة قَـدْ عَـلا وابنَـيْ رَبيعـة فـي الغبـارِ الأَقْتَـمِ[1]

وفي ألقاب الشعراء لبني تغلب جاء :

ومنهم ابن شَلْوة ، وهو بشر بن سَوادة ، أخو بني مالك بن بكر بن حبيب[2] .

وقال بشر بن سوادة التغلبي إذ نعى بني عدي بن أسامة بن مالك التغلبيين إلى بني سعد بن زيد :

أَلا تُغْنـي كِنَـانـةُ عـن أَخيهـا زُهَيـرٍ فـي المُلمَّـاتِ الكِبَـارِ
فَيبـرزُ جَمعُنـا وبنـو عـديّ فيُعْلَـمُ أَيُّنـا مَـوْلـى صُحـارِ[3]

وجاء في ديوان عمرو بن كُلثوم أنشد هذه الأبيات بشر بن سوادة بن شلوة

(*) نوادر المخطوطات ١/ ٩٢ ، ٢/ ٣١٧ ، الاختيارين ١٨٤ ، معجم البلدان ترجمة ٧٤٧٢ . ـ ديوان عمر بن كلثوم ١٠٦ . عقد فريد ٥/ ٢٦٥ .

(١) نوادر المخطوطات ١/ ٩٢ .

(٢) نوادر المخطوطات ٢/ ٣١٧ .

(٣) صُحارُ : من الصُّحرة ، وقال ابن الكلبي : لما تفرقت قضاعة من تهامة للحرب التي جرت بينهم ، فكان أول من طلع منهم إلى أرض نجد فأصحر في صحاريها ، جهينة ، وسعد هُذيم ابني زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك فمر بهم راكب كما يقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا : بنو الصحراء ، فقالت العرب : هؤلاء صُحار ، وهو اسم مشتق من الصحراء . وجاء أيضاً صُحار قصبة عُمان (معجم البلدان ترجمة ٧٤٧٢) .

التغلبي مخاطباً الهذيل بن هبيرة التّغلبي الذي كان يتنقل بانتسابه بين القبائل .

أَنَهْــدِيّــاً إذا مـــا جِئْــتَ نَهْــداً وتُــدْعَــى بــالجَــزيــرةِ مِــنْ نــزارِ[١]

وجاء في الاختيارين : بشر بن سَلْوة[٢] وهي أمه وأبوه أُسر في يوم ذي قار . قال :

ولَقَد أَمَرْتُ أَخاكِ ، عَمْراً ، أَمرَهُ فَعَصى ، وضَيَّعَهُ ، بذاتِ العُجْرُمِ[٣]

فـإذا أَمَـرْتُـكِ ، بَعـدَهـا ، فَتَبَيَّنـي أَو أَقدِمي ، يوم الكريهة مُقْدَمي

وجَعَلْتُ نَحْرِي ، دُونَ بَلْدةِ نَحْرِهِ ولَبانَ مُهْرِي ، إِذْ أَقُولُ له : اقْدُمِ[٤]

في حَومةِ الموتِ الَّتي ، لا تَشتكي غَمَراتِها الأَبطالُ ، غيرَ تَغَمْغُمِ[٥]

وكـأَنَّمـا أَقــدامُهُــمْ ، وأَكُفُّهُـم كَرَبٌ ، تَساقطَ في خَليجٍ مُفْعَمِ[٦]

لَمَّا سَمِعْتُ دُعـاءَ مُـرَّةَ قـد عَـلا ، وأَبي رَبيعةَ ، في الغُبارِ الأَقْتَمِ[٧]

ومحَلِّماً يَمشُـونَ ، تَحتَ لِـوائِهم والمــوتُ تحــتَ لــواءِ آلِ مُحَلِّــمِ

وسَمِعتُ يَشكُرَ ، تَدَّعي ، بِحُبَيِّبٍ تحتَ العَجاجةِ ، وهي تَقطرُ بالدَّمِ[٨]

وحُبَيِّــبٌ يُــزْجُــون كُــلَّ طِمِــرَّةٍ ومِنَ اللَّهازِمِ شَخْبُ غَيرِ مُصَرَّمِ[٩]

---

(١) الأبيات الثلاثة وردت في ديوان عمرو بن كلثوم ١٠٦ ـ انظر معجم ما استعجم ٤٩ ـ ٤٠ ونقل البكري قول خراش . « هذا الشعر لعمر بن كلثوم » .

(٢) الشاعر نسب إلى أمه (شلوة ـ أو سلوة) وذكر أيضاً بشر بن سوادة وهو من تغلب ، ونسبت إليه قصيدة طويلة ، وجاء في الاختيارين ١٨٤ أو قال لها عمرو حُنَيّ التَّغلبي .

(٣) أي : أمرته بما ينبغي . وذات العجرم : أرض تنبت العُجرم . وإنما أراد أن يُبين لها أين كان الضَّياعُ .

(٤) يعني : أَنَّهُ جعل نفسه ، وفرسه ، وقاية له ، فلم يُشكر .

(٥) حومة : مجتمع الموت . ومُعظم كل شيء : حومته .

(٦) مفعم : ممتلىء من كثرة الدم . شَبَّه أقدامهم في الدماء ، وأكفهم بالكَرب بالماء .

(٧) مُرَّة : ابن ذُهل بن همام الشَّيبانيُّ . وأبو ربيعة : ابن ذهل بن شيبان بن ثعلبة .

(٨) حُبيب : فخذ من بني يشكر . « تقطر بالدم » هذا مثل . قال : كأنَّ الدَّم ، من الشِّدة ، يسيل على أهله . أي كأنهم تحت عجاجة تقطر بالدم .

(٩) المُصرم : يريد : الضَّرع الذي قد أصابه شيء ، فانسدَّ ، وانقطع . يقول : جاءت اللهازم ، دفعة غزيرة أي : جماعة غير قليلة ـ وإنما يُصيبها ذلك من صرار أو =

والجمع ، من ذُهلٍ ، كأَنَّ زُهاءَهُمْ جُربُ الجِمالِ ، يَقُودُها ابنا شَعْثَمِ[1]

قَذفُوا الرِّماحَ ، وباشَروا بِنُحُورِهِمْ عِندَ الضِّرابِ بِكُلِّ لَيثٍ ، ضَيغَمِ[2]

والخَيلُ يَضبِرْنَ الخَبارَ ، عوابساً وعلى سَنابِكِها سَبائبُ ، مِنْ دَمِ[3]

لا يَصْدِفُونَ، عَنِ الوغى، بِنُحُورِهِمْ في كُلِّ سابغةٍ ، كلَونِ العِظْلِمِ[4]

نَجّاكَ مُهْرُ بني حُلامٍ ، مِنُهُم حتّى اتَّقيتَ الموتَ ، بابَنيْ حَذْلَمِ[5]

ودَعا بَني أُمِّ الرُّواعِ، فأَقبلُوا عِندَ اللِّقاءِ ، بِكُلِّ شاكٍ مُعْلِمِ[6]

يَمشُونَ، في حَلقِ الحديدِ، كما مَشَتْ أُسْدُ الغَريفِ ، بِكُلِّ نَحسٍ مُظِلمِ[7]

فَنجوتَ ، من أَرماحِهِمْ ، مِنْ بَعدِ ما جاشَتْ ، إليكَ ، النَّفْسُ عِندَ المأزِمِ[8]

* * *

= عضة فصيل ، أو من سوء حلب (الاختيارين ١٨٦) .

(١) زُهاؤهم : مَحزرتهم . يقول : كأَنَّها إبلٌ جُربٌ . لأن محزرة السواد أكثر . ابنا شعثم . من بني عامر بن ذهل . والذُهلان : ذُهل بن ثعلبة ، وذُهل بن شيبان . وشعثم وأخوته من ذهل .

(٢) بنحورهم : أراد : بنفوسهم . والضَّغمة : الأخذة الشديدة بالغم .

(٣) يضبرن الجياد : يجمعن قوائمهن ويثبن . والخبار ما لان من الأرض واسترخى .

(٤) العظلم : عصارة شجر ، لونها أخضر إلى الكدرة ، كالنيل .

(٥) حذيم : طبيب مشهور من تيم الرباب .

(٦) المُعلمُ : الذي يَفعل فعالاً ، يكون له علماً .

(٧) النَّحس : يريد : الغَبَرة . وإنما يعني أنهم يمشون في أمر عظيم .

(٨) المأزم : الضيق . (الاختيارين ١٨٨) .

ـ وجاءت رواية العقد الفريد لهذه القصيدة : قال أبو عُبيدة : سُئل عمرو بن العلاء ، وتنافر إليه عجلي ويشكري فزعم العجلي أنه لم يشهد يوم ذي قار غير شيباني وعجلي . وقال اليشكري : بل شهدتها قبائل بكر وحلفائهم . فقال عمرو : قد فصل بينكما التغلبي حيث قال . وردت القصيدة في ٥/ ٢٦٥ العقد الفريد غير كاملة بينما جاءت في الاختيارين كاملة .

البَعيثُ[*] التَّغْلِبيُّ

هو بَعيث بن رِزَام بن امرىء القيس بن زَيد بن سَعد بن زُهير بن جُشَمْ بن بكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلب .

كان يهاجي زُرْعة بن عبد الرحمن بن الأجعل بن يزيد بن عبد المسيح بن شُريح بن قيس بن شراحيل بن خِراش بن عَيْمَة بن عِتبان بن سعد بن زُهير بن جشم بن بكر . ولهما يقول المجشِّر بن بُغام ينهاهما عن الهجاء :

أَلا أبلـــغْ بَعيـــث بنـــي رِزامٍ ... وزُرعــة فــاتْـرُكـا مـا تَـذكـرانِ
مــن الحيّيــن عتَّــاب بــن سَعــدٍ ... وعِتبـــانٍ فبئـــس الشـــاعـــرانِ
أليـــس هُبلتمـــا إفكـــاً وزوراً ... يُعَـــدُّ عليكمـــا لـــو تعلمـــانِ

وقال القُطامي :

إن رزِامـــاً غـــرَّهـــا قِــرْزامهـــا ... قُلْـفٌ علـى أزبـابهـا كِمـامُهـا[1]

القرزام : الشاعر الدّون ، يقال هو يقرزم الشعر ، وإنما يعني بعيث بني رزام . والبعيث الرِّزامي القائل في زُرعة بنن عبد الرحمن :

أيـا زُرْعَ عـدِّ الفَخْـرَ إنّـكَ ملصـقٌ ... وليس صميمُ القوم مثل الزعانفِ
إذا قلـتُ فـالمـاثـور مـا أنـا قـائـلٌ ... وإن قلتَ قولاً طاعَ سَوْمَ العواصفِ[2]

* * *

(*) المؤتلف والمختلف للآمدي ٧٢ ، خزانة الأدب ٢/ ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(١) إنما يعني بعيث بني رزام ، ومنه يعلم أنَّ بَعيث بني رِزام إسلامي . « خزانة ٢/ ٢٨٠ » .

(٢) المؤتلف والمختلف ٧٢ .

بعض بني تغلب

وقال بعض بني تغلب وقطع عليه اللُّصوص فقاتلهم وغلبهم :

سَــائِــلا سَيفــيَ هَــلْ رَوَّيتُــه حينَ عزّ الرأيُ مِنْ هَامِ اللُّصوصِ[1]

فَــرَّ أَصْحَــابــي وجــالَــدْتُهُــمُ بــاَذلاً نَفْســي لَهُــمْ دُونَ قَميصــي[2]

كــادَ يــدْعُــو بقميصــي بَــائــعُ مَنْ يفوزُ اليومَ بالبَيْع الرّخيصِ[3]

* * *

(١) الهامَة : أعلى الرأس وفيه الناصية والقُصَّة ، وهما ما أقبَلَ على الجبهة من شعر الرأس . لسان العرب ـ هوم .

(٢) جَلَدَ : الجلَدُ : الشِدَّةُ والقوة . وجالدوا بالسُّيُوفِ : تضاربوا (القاموس المحيط) .

(٣) مجموعة المعاني ٥٢٩ .

جَابرُ[*] بنُ حُنَيٍّ التَّغْلبيُّ

هو جَابر بن حُني بن حَارثة بن عمرو بن بَكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلي قديم[١] .

وجاء أيضاً :

هو جابر بن حُني بن حارثة بن عَدي بن معاوية . . . بن تغلب[٢] .

كان جابر صديقاً لامرىء القيس وصحبه حين خرج إلى قيصر الروم وعشقته ابنة قيصر وكان يأتيها وتأتيه ، وفطن الطَمّاح بن قيس الأسدي لهما ، وكان حُجر قتل أباه فوشى به إلى الملك ، فخرج امرؤ القيس متسرعاً ، فبعث قيصر في طلبه رسولاً ، فأدركه دون أنقره بيوم ، ومعه حلة مسمومة ، فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفطّر جسده ، وكان يحمله جابر بن حُنَيّ التّغلبي فقال امرؤ القيس :

فـإمّـا تـريـني فـي رِحـالـة جـابـر ... على حَرجٍ كالقَرّ تَخفِقُ أكْفَاني[٣]

فيـا رُبَّ مَكْـرُوبٍ كَـررتُ وَراءَهُ ... وَعـانٍ فَكَكْـتُ الغُـلّ منـه ففـدّانـي

إذا المـرءُ لـم يخـزُنْ عليـه لسـانـهُ ... فَليسَ على شـيءٍ سِـوَاهُ بخَـزّانِ[٤]

وقال جابر بن حُنَيٍّ التَّغلبي في مصرع عمرو بن هند :

(*) المفضليات ٢٠٨ ، الحيوان ١/ ٣٢٧ ، ٣/ ١٣٥ ، ٦/ ١٤٨ ، ٣٧٨ ، الحماسة البصرية ١/ ١٠٣ ، الحماسة الشجرية ١٤٣ ، من اسمه عمرو من الشعراء ٥٠ ، الاختيارين ٣٢٩ ، الخزانة ١/ ٣٣٣ ، ٩/ ٥٧٣ ، ١١/ ٣١ والبيان والتبين ٣/ ٢٢٤ ، وجمهرة النسب لابن الكلبي ٥٧٤ .

(١) الأغاني ٨/ ٧٠ (الساسي) وحاشية المفضليات ٢٠٨ .

(٢) جمهرة النسب الكلبي ٥٧٤ .

(٣) القَرُّ : مركب للرجال كالهودج .

(٤) خزانة الأدب ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

ولسنـا كـأقْـوامٍ قَـريـبٍ مَحَلُّهُـمْ ... ولسنا كَمَنْ يُرْضِيكُمُ بالتَّمَلُّقِ[1]
فسـائـلْ شُـرَحْبِيـلاً بنَـا ومُحَلِّمـا ... غَداةَ نكُرُّ الخَيْلَ في كُلِّ خَنْدَقِ[2]
لعمُرِكَ ما عَمرو بنُ هِنْدٍ وقَدْ دَعا ... لِتَخْـدِمَ ليلـى أُمَّـهُ بِمُـوفَّـقِ[3]
فَقَامَ ابنُ كلثومٍ إلى السيفِ مُغْضباً ... فـأمْسَكَ مـن نَـدْمَانِه بـالمُخَنَّقِ[4]
وعَمَّمَـهُ عَمْـداً على الرَّأْسِ ضَرْبَةً ... بذي شُطَبٍ صافي الحَديدةِ مُخْفقِ[5]

وقال جَابرُ التَّغْلِبِيُّ :

أَلا يـا لَقَـوْمـي لِلجـديـد المُصَـرَّمِ ... ولِلحِلْمِ ، بعد الزَّلَّةِ ، المُتَوَهَّمِ[6]
وللمَـرْءِ يُعْتَـادُ الصَّبـابـةَ بعـدَمـا ... أَتَى دُونَها ما فَرْطُ حَوْلٍ مُجَرَّمِ[7]
فَيَا دارَ سلْمَى بالصَّريمةِ فاللِّوَى ... إلى مَدْفَعِ إلى القِيقاءِ فالمُتَثَلمِ[8]
ظَلْـتُ على عِـرْفـانِهـا ضَيفَ قَفْرَةٍ ... لأَقْضـيَ مِنهـا حـاجـةَ المُتَلَـوِّمِ[9]
أَقـامَـتْ بهـا بـالصَّيْفِ ثـمّ تَـذَكَّـرَتْ ... مَصـائِـرهـا بَيْـنَ الجِـوَاءِ فَعَيْهَـمِ[10]
تُعَـوِّجُ رَهْبـاً فـي الـزِّمـامِ وتَنْثَنـي ... إلى مُهْذباتٍ في وشيجٍ مُقَوَّمِ[11]

---

(١) التملق : المواربة والمداهنة .
(٢) شرحبيل بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر بن آكل المرار الكندي .
(٣) عمرو بن هند أمير الحيرة ، قتله عمرو بن كلثوم ، وهي قصة مشهورة في كتب الأدب والتاريخ .
(٤) الندمان : رفيق الشراب .
(٥) المخفق : العريض من السيوف . (الحيوان ٣/ ١٣٠) .
(٦) الجديد ههنا : الشباب وفي الاختيارين ٣٢٩ للشباب . والمصرم : الذاهب ، من الصرم وهو القطع . والقصيدة هنا من المفضليات .
(٧) يعتاد: يتعاهد ويراجع. الفرْط: الحين، و«ما» زائدة . المجرم : التام الكامل .
(٨) الصريمة ، واللوى ، والقيقاء ، والمتثلم : مواضع . المدفع : المجرى الذي يندفع فيه الماء . فاللّوَى : في الاختيارين : فاسلمي .
(٩) عرفانها : معرفته بها أو ما عرف منها . المتلوم : المقيم على حاجته .
(١٠) مصائرها : مواضعها التي تصير إليها في الشتاء . الجواء ، وعيهم : موضعان .
(١١) الرهب : الجمل الذي استعمل في السفر ، تعوجه المرأة : أي تعطفه في السير . والمهذبات : النساء اللاتي يهذبن الإبل ، أي يسرعنَ السير ، والوشيج :=

أَنَافتْ وزَافَتْ في الزِّمامِ كأَنَّها | إلى غَرْضِها أَجْلاَدُ هِرٍّ مُؤَوَّم[(١)]
إذا زَالَ رَعْنٌ عن يَدَيْها ونَحْرِها | بَدَا رَأسُ رَعْنٍ وَارِدٍ مُتَقَدِّم[(٢)]
وصَدَّتْ عن الماءِ الرَّواء لِجَوفِهَا | دويٌّ كَدُفِّ القَيْنَةِ المُتَهزِّم[(٣)]
تَصَعَّدُ في بَطْحَاءِ عِرْقٍ كأَنَّما | تَرَقَّى إلى أَعْلَى أَرِيكٍ بِسُلَّم[(٤)]
لِتَغْلِبَ أَبْكي إذْ أَثَارت رِمَاحُها | غَوائلَ شَرٍّ بينَهَا مُتثلِّم
وكانوا هُمُ البَانين قبل اختلافهمْ | وَمَنْ لا يَشِدْ بُنيانَهُ يَتَهَدَّم
بحَيٍّ كَكَوْثَلِّ السَّفينةِ ، أَمْرُهُمْ | إلى سَلفٍ عَادٍ إذا احْتَلَّ مُرْزَم[(٥)]
إذا نَزَلوا الثَّغْرَ المَخُوفَ تَواضَعتْ | مَخَارِمُهُ واحْتَلَّهُ ذُو المُقَدَّم[(٦)]
أَنِفْتُ لهم مِنْ عَقْلِ قَيْسٍ ومَرْثَدٍ | إذا وَرَدُوا ماءً ، ورُمْحِ بنِ هَرْثَم[(٧)]
ويَوماً لَدَى الحَشَّارِ مَنْ يَلْوِ حَقَّهُ | يُبَزْبَزْ ويُنْزَعْ ثَوْبُهُ ويُلَطَّم[(٨)]

= الرماح يتشج بعضها في بعض ، أي يشتبك .

(١) أنافت : أشرفت . زافت : خطرت واختالت . الغرض للرحل : كالحزام للسرج . أجلاد الشيء : شخصه بكماله . المؤوم بالقبيح الخلقة ، عظيم الهامة .

(٢) الرعن : أنف الجبل . يقول : إذا قطعت رعنا وقعت في مثله .

(٣) الرواء : الكثير المروي . الدف : الذي يضرب به . القينة : الأمة . المتهزم : المشقوق .

(٤) تصعد . في الاختيارين تصاعد . يقول : ترتفع في السير إلى أعلى أريك وهو جبل ذو أراك . في بلاد بني مُرَّة .

(٥) كوثل السفينة : سكانها . يقول : يقيمون أمور الناس كما يقيم السكان السفينة . السلف : القوم يتقدمون ينفضون الأرض أن يكون بها عدو . عاد : يريد متجاوز ، أي عدا كل حد في الارتفاع . مرزم : له رزمة لطول اقامته ، والرَزَمَة : الصوت والجلبة . يقول : أمرهم بسند هذه الطليعة .

(٦) المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأنف الجبل . ذو المقدم : يريد المتقدم . المفضليات ٢٠٩ ـ ٢١١ .

(٧) رمح بن هرثم : رجل . أنف لقومه أن يأخذوا دية قيس ومرثد ورمح ولا يدركوا بثأرهم ، فينظر الناظر إلى دياتهم من الإبل إذا وردت . فيعيرهم بها .

(٨) الحشار : الحاشر ، وهو الجابي يحشر المال ، أي يجمعه . يلوي : =

وفـي كـلِّ أَسْـوَاقِ العِـرَاقِ إِتـاوَةٌ ... وفي كلِّ ما بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ (١)
وقَيْـظُ العـراقِ مِـنْ أَفَـاعٍ وغُـدَّةٍ ... ورِعْـيٍ إذا مـا أَكْلَـؤُوا مُتَـوخَّـمِ (٢)
ألا تَسْتَحـي مِنَّـا مُلـوكٌ وتَتَّقـي ... مَحـارِمَنَـا لا يَبْـوُؤُ الـدَّمُ بـالـدَّمِ (٣)
نُعاطي المُلوكَ السِّلْمَ ما قَصدُوا بِنَا ... وليـسَ علينـا قَتْلُهُـمْ بِمُحَـرَّمِ (٤)
وكائِنْ أَزَرْنا الموتَ مِن ذِي تَحيَّةٍ ... إذا مـا ازْدَرَانَـا أَو أَسَـفَّ لِمـأْثَـمِ (٥)
وقَـدْ زَعَمـتْ بَهْـرَاءُ أَنَّ رِمـاحَنَـا ... رِماحُ نَصَارى لا تَخُوضُ إلى الدَّمِ (٦)
فيَوْم الكُـلَابِ قَدْ أَزالَـتْ رِمـاحُنـا ... شُـرَحْبِيـلَ إذْ آلـى أَلِيَّـةَ مُقْسِـمِ (٧)
لَيَنْتَـزِعَـنْ أَرْمـاحَنَـا ، فـأَزالَـهُ ... أَبُو حَنَشٍ عن ظَهْرِ شَقَّاءَ صِلْدِمِ (٨)
تَنـاوَلَـهُ بـالـرُّمـحِ ثُـمَّ اتَّنَـى لَـهُ ... فَخَـرَّ صَـرِيعاً لِلْيَـدَيْـنِ ولِلْفَـمِ (٩)
وكـان مُعَـادِيـنَـا تَهِـرُّ كِـلَابُـهُ ... مَخافَةَ جَيْشٍ ذِي زُهاءٍ عَرمْرَمِ (١٠)

= يمطل . يبزبز : يتعتع ، أي يدفع . وفي الاختيارين قافية البيت ويظلم .

(١) الأتاوة : الخراج . المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق الجاهلية .

(٢) القيظ : أشد الحر . الغدة : طاعون الإبل . الرعي : الكلأ يرعى . أكلؤا : كثر كلؤهم . متوخم : وبيل غير مريء .

(٣) يقال : باءَ فلانٌ بفلان ، إذا قُتل به ، فكان له كُفواً .

(٤) ما قصدوابنا : أي ما ركبوا بنا قصداً ، أي عدلاً ، وإن جاروا فإن قتلهم حلال لنا مباح .

(٥) وجاء البيت في الاختيارين : « وكائن أدينا . . . إذا ما ازدرانا ، أو أصرَّ . . . » أ؟سف إلى كذا : إذا دنا منه .

(٦) بهراء : ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك ، رماح نصارى : يريد أنها ضعيفة فيها خور . وفي الاختيارين « رماح يهود » .

(٧) يوم الكُلاب : هو يوم الكُلاب الأول ، وهو من أشهر أيام العرب في الجاهلية . آلى : حلف . الألية : اليمين .

(٨) جاء صدر البيت في الاختيارين . « لينتزعن أدراعنا . . . » . أبو حنش : هو عُصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم . الشقاءَ : الطويلة من الخيل . الصلدم : الصلبة .

(٩) اتنى : أراد انثنى ، فأدغم النون في الثاء ، ثم أبدلها تاء .

(١٠) تهر : من هرير الكلب وهو صوت دون النباح . زهاء : قدر ، والمراد كثرة العدد . عرمرم : كثير .
=

وعَمْـرو بـن هَمَّـامٍ صَقَعْنَـا جَبِينَـهُ بِشنْعـاءَ تَشْفـي صَـوْرَةَ المُتَظَلِّـمِ[1]
يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلدَ أَسْودَ سَالخٍ وفَرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسْدِ ضَيْغَمِ[2]

قال جابر[3] :

أجِـدُّوا النِّعَـالَ لأقْـدَامِكُـمْ أَجِـدُّوا فَـوَيْهـا لكُـمْ جَـرْوَلُ[4]
وَأبْلـغْ سَـلاَمـانَ إن جِئْتَهـا فـلا يَـك شِبهـاً لهـا المِغْـزَلُ[5]
يُكسِّـي الأنـامَ ويُعـري اسْتَـهُ وَينسَـلُّ مِـنْ خَلْفِـهِ الأسْفَـلُ[6]
فـإنَّ بُجَيْـراً وَأشْيَـاعَـهُ كمـا تَبحَـثُ الشَّـاةُ إذ تَـدْأَلُ[7]

---

(١) عمرو بن همام . وفي النقائض « عمرو بن هند قد صقعنا » . ورواية النقائض أصح . وكان عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقد قتله عمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر . صقعنا : ضربنا . الشنعاء : أراد ضربة مفظعة . الصَورة ، بفتح الصاد : شبه الحكة يجدها الإنسان في رأسه . المتظلم : الظالم ، من قولهم « تظلمه حقه » أي ظلمه إياه .

(٢) الأسود : العظيم من الحيات ، وإنما يقال له « سالخ » لأنه يسلخ جلده في كل عام . الضرغام والضيغم : من أسماء الأسد . يريد أن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى والأسد . « المفضليات ٢١٣ » .

(٣) نسبت هذه الأبيات الستة لجابر (فقط) في كلٍّ من حماسة أبي تمام ٢/ ٢٠٠ ، ٢٠١ ، شرح التبريزي وحماسة أبي تمام ٢/١٠٦٩ شرح الأعلم الشنتمري .
أما في شعراء النصرانية ١/ ١٩١ فقد نسبت نفس الأبيات لجابر بن حُني التَّغلبي .

(٤) أجدوا النِّعال : جددوها للمشي لحاجتكم إليها . وجرولِ بن مجاشع كان أجبن الناس مع حسن منظره وهيئته ، وله من الأولاد عشرة سماهم كلهم بأسماء السباع ـ والمعنى : غيروا حالكم وأحسنوا هيئتكم أو هو كناية عن الفرار والهرب .

(٥) المعنى : إن حللت في بني سلامان فأخبرهم أن لا يكونوا في أحوالهم مثل المغزل يكسي الخلق وهو عريان وذلك أنهم ينفعون غيرهم ولا ينفعون أنفسهم .

(٦) المعني : إن بني سلامان كانوا يرتكبون الأهوال التي مغانمها لغيرهم فلذلك جعل المغزل مثلاً لهم لأن عمله لغيره .

(٧) كما تبحث الشاة الخ : هو مثل يضرب لكل من أعان على حتف نفسه أي على هلاكها . وتدألَ من الدألان : وهو المشي في نشاط .

أثـارَتْ عـنِ الحتـفِ فـاغتـالهـا   فمــرَّ علــى حَلقِهَــا المِغْــوَلُ[1]
وآخِــرُ عَهْـــدٍ لهَــا مُــونِـــقٌ   غَــدِيــرٌ وجِــزْعٌ لهـا مُبْقِــلُ[2]

* * *

(١) فاغتالها : أي أهلكها . والمغول : ما يهلك به الشيء والمراد به هنا السكين .
(٢) مونق : أي حسن معجب وهو نعت لغدير الذي بعده مقدّم عليه ، والغدير قطعة ماء تغادرها السيول أي تتركها . وجزع مقبل : أي واد مخصب . والمعنى ما كان أحسن آخر يوم لبني سلامان وهم في خير نعمة من ماء عذب ومكان خصب . « حماسة أبي تمام شرح التبريزي ٢/٢٠٢ » .
وجاء في الأعلام ٢/٩٠ بأن وفاته كانت ٦٠ ق ـ هـ = ٥٦٠ م . وفي شعراء النصرانية ١/١٩٠ توفي جابر بعد حروب كُلاب بزمان نحو سنة ٥٦٤ . وكل ذلك يبقى في إطار التقدير والتخمين .

الحَارثُ[*] بن سَعيد الحَمَداني ـ أبو فراس

هو الحَارثُ بن سَعيد بن حَمْدان بن حَمْدون بن الحَارث بن لُقمان بن رَاشد بن المُثنّى بن رافع بن الحارث بن غُطيف بن محربة بن حَارثة بن مَالك بن عُبيد بن عَدي بن أسامة بن مَالك بن بَكر بن حَبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلب التَّغلبي[1] .

كان مولده بمَنْبج في سنة عشرين وثلاثمائة[2] . وقيل : سنة احدى وعشرين وثلاثمائة[3] .

وذكره الثعالبي فقال : كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاّ في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يُعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بدىء الشعر بملك ، وختم بملك » . يعني امرىء القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمبارته ، ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً ،

(*) وفيات الأعيان ٥٨/٢ ، ٦١ ، يتيمة الدهر ٥٧/١ ، المنتظم ٢٢٧/١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، النجوم الزاهرة ١٩/٤ شذرات الذهب ٣٠٠/٤ ، مختصر تاريخ دمشق ١٥٠/٦ ، سير أعلام النبلاء ٨٩٦/١٦ ، الوافي بالوفيات ٢٦١/١١ ، ٢٦٥ .

(١) النجوم الزاهرة ، ١٩/٤ ، ٢٠ .

(٢) النجوم الزاهرة ١٩/٤ .

(٣) وفيات الأعيان ٦١/٢ .

لا إغفالاً واخلالاً[1] .

وعاش الحارث بن سعيد طفولته يتيم الأب وكان عمره سنوات ثلاث ، ترعاه أمه وتربى في ظل بيت ابن عمه سيف الدولة ، ويقول ابن خلكان عن مقتل والده : وقُتل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل ، عَصَر مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها ، وحاصلها أن شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله ، ففعل ذلك سرّاً ، ومضى إليها في خمسين غلاماً ، فقبض ناصر الدولة عليه حين وصل إليها ثم قتله ، فأنكر ذلك الراضي حين بلغه ذلك[2] .

الشاعر وامرأة جميلة :

حكي أن أبا فراس ، الحارث بن سعيد بن حمدان كان مولعاً بصحبة النّساء فعشق امرأة وأرسل إليها أنها متى اجتمعت به بذل لها جوهراً نقياً ، قيمته آلاف الدّنانير فلم تطاوعه المرأة .

ثمَّ إنّه اتفق أنّ تلك المرأة كانت جالسة ببعلها فإذا جارح من الطير خطف عصفورتين بيديه دفعة واحدة فتعجبت من ذلك وقالت لبعلها : « هل في عصرنا من رجل شجيع يأخذ رجلين من العدو بيديه خطفاً ويؤسرهما ، كما فعل ذلك الجارح بهاتين العصفورتين ؟ » .

فقال البعل : « نعم هو أميرنا أبو فراس بن حمدان » .

فمالت نفس المرأة إلى أبي فراس حتى دعته إلى بيتها فجاء إليها فلمّا تذاكرا ، وكان أبو فراس قد تعجب من صنيع المرأة حيث أبت عنه بعد عرض جوهرة ثم طاوعته مجّاناً .

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٥٧ .
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٦١ ، ٦٢ .

سألها سبب ذلك ؟ فأخبرته ؟

فقال : « إن رجلاً يمدحني في غيبتي لقبيح أن أخونه في امرأته » فتركها ولم يمسّها وحباها تلك الجوهرة[1] .

أقول : الرجل يحب جمال المرأة ويعشقه ويفتتن به ، والمرأة تحب جمال الرجل وتعشقه ، وربما تميزت بأنها تحب في الرجل جوانب أخرى مثل الفروسية والشجاعة والكرم ، بغض النظر عن جماله مثال حال عنترة العبسي . . . والمرأة بطبعها حَيية ، والشاعر هنا لجمته العفة والمروءة وزاد كرماً بأن قدم لها الجوهرة النقية هدية .

علاقته مع سيف الدولة :

قال الثعالبي : وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته[2] .

ويحكى أن ابن عمه أبا فِراس كان يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجيز قولي ، وليس له إلاّ سيدي ، يعني أبا فراس :

لك جسمي تُعِلّه فدمي لِمْ تُحِلُّه

فارتجل أبو فراس وقال :

إن كنت مالكاً فلي الأمر كُلّه[3]

وحكى ابن خالويه أيضاً قال :

---

(١) العيون والحدائق في أخبار الحقائق جـ٤/ ق٢/ ٥٠١ .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٦١ ، ٦٢ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٣ .

كتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره : كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفراً وشكراً ، فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته ، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه :

هَـــلْ للفَصــاحــةِ والسَمــا ... حــةِ والعــلا عنّــي محيــدُ
إذ أنــت سيــدي الّــذي ... رَبيّتنــي وأَبــي سَعيــدُ
فــي كــلِّ يــوم أَستعيـ ... ـد مـن العــلاء وأستـزيـدُ
وَيـــزيـــد فـــيَّ إذا رأيـ ... ـتـكَ للْنَـدى خلـقٌ جـديـدُ[1]

وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفسُ أبي فراس إلى سماعها ولم يرَ أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يسحثه على استحضارها :

مَحلُّــكَ الجــوزاءُ أو أَرْفَــعُ ... وَصَــدركَ الــدهنـاء أو أوســعُ
وقلبـك الـرَّحـبُ الـذي لـم يَـزلْ ... للجــدِّ والهــزلِ بــهِ مــوضــعُ
رفّــه بِقَــرْعِ العُــودِ سيفــاً غــدا ... قــرع العــوالـي جـل مـا يسمـع[2]

وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام فكتب إليه قصيدة منها :

قـالـوا المَسير فَهـزَّ الـرمـح عـامله ... وارتاحَ في جفنهِ الصمصامةُ الخذمُ[3]
حقّـاً لقـد سَـاءنـي أمـرٌ ذكـرت لـهُ ... لـولا فِـراقـكَ لـمْ يُـوجـدْ لـهُ أَلَـمُ
لا تَشغلـن بـأمـرِ الشـام تحـرسـه ... إنَّ الشّـآمَ علـى مَـنْ حلَّـهُ حـرمُ
وإن للثغـرِ سـوراً مـن مهـابتـه ... صخـوره مـن أعـادي أَهلـهِ القِمَـمُ

---

(١) يتيمة الدهر ١/٥٨ ، وفيات الأعيان ٢/٦٢ .
(٢) وفيات الأعيان ٢/٦٢ ، يتيمة الدهر ١/٥٨ .
(٣) الصمصامة : السيف ، والخذم : القاطع .

لا يحـرمنّـيَ سيـف الـديـن صحبتَـهُ   فهي الحياة التي تحيا بها النسمُ[1]
ومـا اعتـرضـتُ عليـه فـي أوامـره   لكـن سـألـت ومـن عَـادتـهِ نعـمُ[2]

وقال أبو فراس[3] قصيدة طويلة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة ، وافتخر فيها وقال :

ألـم تَـرَنـا أعـزَّ النَّـاسِ جـاراً   وأمنعَهُـم وأَمْـرعَهـمْ جَنَـابَـا[4]
لنـا الجبـلُ المطـلُّ علـى نـزارٍ   حَلْلنـا النَّجـدَ منـه والهِضَـابَـا[5]
تُفضِّلُنـا الأنـام ولا نُحـاشَـى   ونُـوصَـفُ بـالجميـلِ ولا نُحـابَـى
وقـد علمـتْ رَبيعـةُ بـل مَعَـدٌّ   بـأنّـا الـرأسُ والنـاسُ الـذُّنـابـى
ولمـا أنْ طَغـتْ سُفَهـاءُ كعـبٍ   فَتحْنَـا بينَنـا للحـربِ بَـابَـا
مَنَحْنـاهـا الحـرائـبَ غيـرَ أنَّـا   إذا جَـارتْ مَنحنـاهـا الحِـرابَـا[6]

---

(1) النسم : الناس والأرواح .
(2) يتيمة الدهر ١/ ٦٠ ، وفيات الأعيان ٢/ ٦٣ .
() قال ابن خالويه : كثرت وقائع سيف الدولة بالعرب في كل أرض . فتجمع نزاريُّها ويمانيُّها ، وتشاكت مالحقها ، وتراسلت واتفقت على الاجماع في سلمية لمقاتلته ومبارزته ، وأوقعت بعامله بقنسرين ، وهو الصَّباح عبدُ عمارة المحارقي ، دعا زيد بن جشيم فقتله . فنهض سيف الدولة ومعه ابن عمه أبو فراس حتى أوقع بهم . وغلبهم يومئذ النديُّ بن جعفر بن محمد بن قريع العقيليان من آل المهنا ، فهزمهم وقتل وجوههم وسراتهم ، واتبع فلولهم . وقدَّم أبا فراس في قطعة من الجيش . فلم يزل يتبعهم ويقتل ويأسر حتى ألحقهم بالغُوير ، فلم ينج منهم إلاّ من سبق به فرسه . واتبعهم سيف الدولة حتى لحقهم بتدمر فقتلهم وأهلكهم قتلاً وعطشاً بالسماوة وأرضها ثم انكفأ سائراً إلى بني نُمير ، وهي بالجزيرة ، فوجدها قد أخذت المهل ولحقته خاضعة ذليلة تعطي الرضا وتنزل على الحكم . فصفح عنهم وأحلَّهم بالجزيرة .
(٤) جناب الدار فناؤها .
(٥) النجد : المرتفع .
(٦) الحرائب : ج الحريبة ، وهو ما يعاش به من المال . والحراب جمع الحربة وهي النصلة .

ولمّـا ثَـار سَيـفُ الـدِّيـن ثُـرْنَـا   كمـا هيَّجْـتَ آسـاداً غِضَـابَـا
فلمـا اشتـدَّتِ الهيجـاءُ كنـا   أشـدَّ مخـالبـاً ، وأحـدَّ نَـابـا
وأمنـعَ جـانبـاً وأعـزَّ جـاراً   وأَوْفـى ذِمَّـةً وأَقـلَّ عَـابـا
وأَبعـدْنـا لسـوءِ الفعـل كعبـاً   وأَدْنَيْنـا لِطَـاعَتِهـا كِـلابَـا
وشـرَّدْنـا إلـى الجـولان طيئـاً   وجَنَّبْنـا سَمـاوتَهـا جِنـابـا
وَسِـرْنَـا بـالخيـولِ إلـى نُميـرٍ   تُجـاذِبُنـا أعنَّتُهـا جِـذابـا
أَحلَّهُـمُ الجـزيـرةَ بعـدَ يـأسٍ   أخـو حِلـمٍ إذا ملـكَ العقـابـا
ديـارُهـمُ انْتَـزعْنَـاهـا اقتسـاراً   وأرضُهُـم اغتصبْنـاهـا اغتِصَـابَـا
أنـا ابـنُ الضَّـاربيـن الهـامَ قِـدْمـاً   إذا كِـرهَ المحـامـونَ الضِّـرابـا[1]

أبو فراس وبني كِلاب :

أوقع أبو فراس ببني كلاب ، فحاز الحريم واستباح الأموال فقال :

أَبلـغْ بنـي حَمـدان فـي مَيـدانهـا   كهـولَهـا والغُـرَّ مـن شُبّـانِهـا
يـومَ طـردْتُ الخيـلَ عـن أظعـانِهـا   وسُقتُ من قيسٍ ومن جيرانِها[2]
ذَوي عُـلاهـا وذَوي طُعَّـانِهـا   تـركـتُ مـا صبَّحـتُ مـن فُـرسـانِهـا
عَـاثِـرةً ، تعثـرُ فـي عِنـانِهـا   ومُهـرةً تمـرحُ فـي أشطـانِهـا
وإبـلاً تُنـزَعُ مـن رُعيـانِهـا   حتَّـى إذا قـلّ غَنـا شُجعـانِهـا
طـارَدَنـي عنهـا وعـن إتْيـانِهـا   حـرائـرٌ أرغـبُ فـي صيـانِهـا
أستعمـلُ الشـدَّةَ فـي أوانِهـا   وأغفـرُ الـزّلَّـة فـي إبّـانِهـا
يـا لـكِ أحيـاءً ، علـى عُـدْوانِهـا   نِسـوانُهـا أمنـعُ مـن فُـرسـانهـا[3]

---

(١) ديوان الشاعر ص٣٣ وهي كاملة فيه .
(٢) قيس : القبيلة التي أغار عليها الشاعر .
(٣) ديوان الشاعر ٣٠٧ .

أبو فراس وبني نُمير :

قال أبو فراس وقد ظفر ببني نمير[1] :

وراءَكَ يا نُميرُ فلا أمامُ ... وقد حُرمَ الجزيرةُ والشآمُ
لنا الدنيا ، فما شئنا حَلالٌ ... لِسَاكِنها ، وما شِئنا حَرامُ
ألم تُخبركِ خيلكِ عن مَقامي ... ببالس[2] ، يوم ضاق بنا المقامُ
وولَّتْ تتَّقي بعضاً ببعضٍ ... لهمْ ، والأرضُ واسعةٌ زِحامُ
بَطْحنا منهمُ مَرْجَ بن جَحشٍ ... فلم يَقِفُوا عليه ولم يُحاموا
أقول لمُطعمٍ يومَ التقينا ... وقد ولَّى وفي يديَ الحُسامُ
أتجعلُ بَيننا عشرين كَعباً ... وتَهربُ ؟ سَوءَةً لك يا غلامُ !
أحلّكمُ بدار الضَّيمِ قَسراً ... هُمامٌ لا يُضامُ ، ولا يُرامُ[3]

أسر الروم لأبي فراس :

وحول أسر الروم له هناك روايات عدة سأذكرها على سبيل الإيضاح لأن أسره فجر في داخله طاقات شعرية هائلة فيها من الإبداع الصادق والحس المرهف ، وقوة الصبر مما أضفى على شعره مسحة جمالية ونكهة خاصة مميزة ولولا هذا الأسر لما كان لدينا هذا الشعر الجميل .

في سنة خمسين وثلاثمائة أسر الروم أبا فراس بن حمدان من منبج وكان متقلداً لها[4] .

---

(١) أغار مرج بن جحش ومطعم بن علي الضِّبابي في خيل من بني نمير على وادي عين قاصر ، فركب أبو فراس من منبج ولحقهم فأسر مرجاً وبارز مطعماً . ثم سبقه إلى الفرات وأخذ الطرائد وانصرف ومنع خويلفة من اجتياز الرقة وقال فيه :

أراجيةً خويلفَةَ ذِماماً ... وراءَكِ ، لا أمانَ ولا ذِمامُ

(٢) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة (معجم البلدان ١/ ٣٩١) .

(٣) ديوان الشاعر ٢٧٠ .

(٤) العيون والحدائق في أخبار الحقائق ج٤ ق٢/ ٥٠٠ .

وقال ابن خلكان : وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها ، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصلهُ في فخذه ، ونقلته إلى خَرْشَنَة[1] ، ثم منها إلى قسطنطينية ، وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

وقالوا : أُسر أبو فراس مرتين ، فالمرة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وما تعدوا به خرشنة ، وهي قلعة ببلاد الروم ، والفرات يجري من تحتها ، وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله ، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات .

والمرة الثانية أسره الروم على منبج[2] في شوال سنة إحدى وخمسين ، وحملوه إلى قسطنطينية وأقام في الأسر أربع سنين وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه ، وكانت مدينة منبج إقطاعاً له[3] .

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذي أصابه قال :

فلا تصفن الحرب عندي ، فإنها ... طعامي مذْ بعت الصبا وشَرابي
وقد عَرفَتْ وقع المسامير مهجتي ... وشقّق عن زرق النصول إهابي[4]
وَلَجَجْتُ في حلو الزّمان ومرّه ... وانفقتُ من عمري بغير حساب[5]

وكتب إلى سيف الدولة وهو بخرشنة ، لما اقتيد إليها أسيراً جريحاً :

---

(١) خرشنة : بلد قرب مَلَطْيَةَ من بلاد الروم ، غزاه سيف الدولة بن حمدان (معجم البلدان ٢/ ٤١٠) .
(٢) منبج : بلدة البحتري وأبي فراس وقبلهما وُلد بها عبد الملك بن صالح الهاشمي - ومن منبج إلى حلب يومان ، ومنها إلى ملطية أربعة أيام وإلى الفرات يوم واحد - وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض (معجم البلدان ٥/ ٢٣٧) .
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٩ .
(٤) شقّق : تفتح وأنبت . وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره . والإهاب : الجلد .
(٥) يتيمة الدهر : ١/ ٨٦ .

إنْ زرتُ خَـــرشنـــةَ أسيـــرا	فلقـــد أحطـــتُ بهـــا مُغيـــرا
ولقـــد رأيـــتُ النـــارَ تنـ	ـتهِـــبُ المنـــازلُ والقصـــورا
ولقـــد رأيـــت السَّبْـــيَ يُجْـ	ـلَـــبُ نحـــونـــا حُـــوّاً وحُـــورا[1]
نختـــارُ منـــهُ الغـــادةَ الـ	ـحسنـــاءَ والظبـــيَ الغـــريـــرا
إنْ طـــالَ ليلـــي فـــي ذُرا	كِ ، فقـــد نعمـــتُ بـــه قصيـــرا
ولئـــن لقِيـــتُ الحـــزنَ فيـ	ـكِ ، فكـــم لقيـــتُ بـــك السـرورا
ولئـــن رُميـــتُ بحـــادثٍ	فـــلألُفيـــنَّ لـــه صبـــورا
صَبـــــــراً لعـــلَّ اللهَ يَفـ	ـتـــحُ هـــذه فَتحـــاً يَسيـــرا
مَـــن كـــان مِثلـــي لـــم يَبِـــتْ	إلاّ أميـــــراً أو أسيـــــرا
ليســـت تُحـــلُّ سَـــراتُنـــا	إلاّ الصُّـــدورَ أوِ القبـــورا[2]

إن مرارة الأسر والفراق والغربة التي اكتوى بها الشاعر ، كانت شديدة وزادها ألماً تجاهل سيف الدولة لابن عمه الشاعر الفارس الذي يقبع أسيراً تثقله القيود ويؤذيه جرحه النازف ، والذي يكتوي بالنار ، ليس كمن ينظرها ؟

وزاد عتب الشاعر حتى علا صراخه ، ولكنها صرخة في واد عندما جاءت أمه ترجو سيف الدولة ولم يعبأ بها ، واشتد غضباً عندما توفيت وهو أسير قيوده .

الفارس الشاعر بالأمس كان الرجل المهاب ، ومحط أنظار الجميع ، الكل يثني عليه ويتحدث عنه ، ناديه يعمر بالأصحاب والخلان ،

---

(١) الحو : ج الحواء وهي الشفة الضاربة إلى السمرة . الحور : ج الحوراء وهي اشتداد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها .
أقول إن ألم الأسر يؤذيه أكثر من ألم الجرح ، وله في حصن خرشنة ذكريات النصر والآن يعيش حالة الأسر ، ولكن الذكرى هنا تخفف مصابه ، أما بين الأهل تقض مضجعه وليس له إلا الصبر إلى أن يفتح الله عليه فتحاً يسيراً .
(٢) الديوان ١١٦ .

والعاشقات ، وهل هذا كان حلماً ، ربما كان ويشده إلى واقعه الجديد جرحه وسلاسل قيوده والسجان الذي يقف بسيفه كالجلاد فوق رأسه .

إن ألم الشاعر لا يحتاج إلى قراءة خلف السطور ، وانظر ذلك في القصيدة التي أرسل بها إلى سيف الدولة عندما جاءت أمه ترجوه من أجل ولدها الحارث بن سعيد ورأت ذلك بعيد المنال وكذلك كان الشاعر واضح المعاني والغاية والهدف في كل أشعاره فها هو يقول :

يا حسرةً ما أكادُ أحملُها ... آخرُها مُزعجٌ وأوّلُها
عَليلةٌ بالشآمِ مُفردةٌ ... باتَ بأيدي العِدَى مُعلِّلُها[1]
تَسألُ عنّا الرُّكْبانَ جاهدةً ... بأدمُعٍ ما تكادُ تُهْمِلُها
يا مَن رأى لي بحصن خَرشنةٍ ... أُسْدُ وغىً في القيود أرجلُها
يا مَن رأى لي القيود مُوثقةً ... على حَبيبِ الفؤادِ أثقلها
يا أُمّتا ، هذهِ مَنازِلُنا ... نَترُكها تارةً ، ونَنْزِلُها
بأيِّ عُذْرٍ ، رَددتَ مُوجَعةً ... عليكَ ، دونَ الورى ، مُعَوَّلُها
جاءتْكَ تمتاحُ رَدَّ واحِدها ... ينتظرُ الناسُ كيف تُقْعِلُها ؟
إنْ كنتَ لم تَبذُلِ الفداءَ لها ... فلم أزلْ ، في رِضاكَ أبذلها
تلكَ المَودَّاتُ ، كيف تهْمِلُها ؟ ... تلك المواعيدُ ، كيف تغفلها ؟
تلكَ العُقودُ التي عَقدتَ لنا ... كيفَ ، وقد أُحكمتْ ، تُحلِّلُها ؟
أينَ المعالي التي عُرفتَ بها ؟ ... تقولها دائماً ، وتَفعُلها ![2]

الشاعر والحمامة :

القريحة تفيض بما فيها من حزن أو سرور ، والشاعر يعاني معاناة حقيقية

---

(١) معللها : مسليها ، يعني نفسه .
(٢) القصيدة في الديوان طويلة ص٢٣٣ .

في أسره ، فهو فارس يعرفه الروم وخاض معهم معارك عدة ، فلن يثلجوا صدره أو يسروا خاطره ، وهنا يرى الشاعر حمامة أو سمعها تنوح على شجرة عالية ففاضت شاعريته وخاطبها بإحساس مرهف فقال :

أقولُ ، وقد ناحت بقربي حمامةٌ ... أيا جارتا ، هل باتَ حالُكِ حالي[1]؟
معاذَ الهَوى ، ما ذُقْتِ طارقةَ النَّوى[2] ... ولا خَطرتْ منكِ الهمومُ ببالي
أتحملُ مَحزونَ الفُؤادِ قوادمٌ ... على غُصُنٍ نائي المسافةِ عال ؟
أجارتَنا[3] ما أنصفَ الدهرُ بيننا ... تَعالَيْ أقاسِمْكِ الهُمومَ ، تَعالي
تَعالي تَرَيْ روحاً لديَّ ضعيفةً ... تُردَّدُ في جسمٍ ، يُعذَّبُ ، بالِ
أيضْحكُ مأسورٌ ، وتبكي طليقةٌ ... ويَسكتُ محزونٌ ويندُبُ سالِ ؟
لقد كنتُ أولى منكِ بالدَّمعِ مُقْلةً ... ولكنَّ دَمعي في الحوادث غَالِ[4]

أبو فراس يخاطب أمه :

وكان مما يؤلم الشاعر في أسره بُعده عن أُمه فكان همّها يثقل همومه كلها فهو يريد أن يرعاها ويدفع الأذى عنها ، ولكن أين هو منها ، فخاطبها كي يخفف الفراق وشدة حزنها عليه في أسره ، وهل مثل قلب الأم على ولدها وفي أي عمر كان ، فقال في قصيدة أرسلها إليه وهي بمنبج :

لولا العَجوزُ بِمنْبجٍ ... ما خِفتُ أسبابَ المنَّيهْ
ولكانَ لي عمَّا سألْـ ... ـتُ من الفِدا نَفسٌ أبيَّهْ
لكنْ أردتُ مُرادَها ... ولو انْجذبْتُ إلى الدَّنيَّهْ
وأرى مُحاماتي عليـ ... ـها أن تُضامَ من الحميَّهْ
أَمستْ بمنبجَ حُرَّةٌ ... بالحزْنِ من بَعدي حَريَّهْ

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٩٢ هل تشعرين بحالي (عجز البيت) .
(٢) يتيمة الدهر ١/ ٩٢ طارقة الهوى .
(٣) يتيمة الدهر ١/ ٩٢ أيا جارتا .
(٤) ديوان أبو فراس ـ رواية ابن خالويه .

لـــو كـــانَ يـــدفَـــعُ حـــادثٌ أو طـــــارقٌ بجميــــلِ نِيَّـــهْ
لـــم تَطَّـــرِق نُـــوَبُ الحـــوا دثِ أرضَ هـــاتيـــكَ التَّقِيَّـــهْ
لكـــــنْ قضــــاءُ اللهِ والـ أَحكـــام تَنفُـــذُ فـــي البـــريَّـــهْ
والصَّبـــرُ يـــأتـــي كـــلَّ ذي رُزْءٍ علـــى قـــدْرِ الـــرزيَّـــهْ
لازالَ يَطـــرِقُ مَنبجـــاً فـــي كـــلِّ غـــاديـــةٍ تحيَّـــهْ
فيهـــا التُّقـــى والـــديـــنُ مَجْـ مـــوعـــانِ فـــي نفْـــسٍ زَكيَّـــهْ
يـــا أمَّتـــا ، لا تَحـــزنـــي وثِقـــي بفضـــلِ اللهِ فِيَّـــهْ
يـــا أمَّتـــا ، لا تَيـــأســـي ، للهِ أَلطـــافٌ خفيَّـــهْ
كـــم حـــادثٍ عنَّـــا جَـــلا هُ ، وكـــم كَفـــانـــا مِـــنْ بليَّـــهْ
أوصيـــك بـــالصَّبـــرِ الجميـ ـــلِ فـــإنـــه خَيـــرُ الـــوصيَّـــهْ[1]

نهاية الشاعر :

قال ابن خلكان : وقُتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أُسرته في سنة سبع وخمسين وثلثمائة . ورأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته :

أَبُنَيَّتـــي لا تَجـــزَعـــي كـــلُّ الأنـــامِ إلـــى ذَهـــاب
نُـــوحـــي عَلـــيّ بحسْـــرَةٍ مـــن خلـــف سِتـــركِ والحجـــاب[2]
قـــولـــي إذا كلمتِنـــي[3] فعَيِيـــتُ[4] عـــن رَدّ الجـــواب
زَيـــنُ الشبـــابِ أبـــو فِـــرا س لـــم يُمَتَّـــعْ بـــالشَّبـــاب

---

(١) ديوان الشاعر ٣٢٠ ، ٣٢١ .
(٢) ورد البيت في ديوانه ٢٩ :
بَكِّـــي أبـــاكِ وانـــدبيـ ـــــــــه وراءَ . . . .
(٣) في الديوان ـ ناديتني ـ .
(٤) وعييت .
وورد البيت الآتي في الديوان زيادة على وفيات الأعيان :
أبُنَيَّتـــي صَبـــراً جميـ ـــلاً للجليـلِ مـن المصـاب

وهذا يدل على أنه لم يُقتل ، أو يكون قد جُرح وتأخر موته ، ثم مات من الجراحة .

وقيل إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم ، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص من الأسر ، فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين .

قال ابن خالويه : لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص ، فاتصل خبره بأبي المعالي ابن سيف الدولة وغلام أبيه قَرْغوُيَه ، فأنفد إليه من قاتله ، فأُخِذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق .

وقرأت في بعض التعاليق : أن أبا فراس قُتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة في ضيعة تُعرف بصَدَد .

وذكر ثابت بن سنان الصابىء في تاريخه ، قال : في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، جرت حربٌ بين أبي فراس ، وكان مقيماً بحمص ، وبين أبي المعالي ابن سيف الدولة ، واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأُخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعض الأعراب فكفنه ودفنه .

قال غيره : وكان أبو فراس خال أبي المعالي ، وقلعت أُمه سخينة عينها لمَّا بلغها وفاته ، وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينها .

وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي ، فلما بلغه الخبر شقَّ عليه[1] .

* * *

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٦٠ ، ٦١ .

الحَارِثُ(*) بن غَزْوَان التَّغْلبي

قال الحارث بن غزوان التَّغلبي :

أَرَانــي كُلمــا نَــاسَبْــتُ جــرمــاً　　أَرى لـي مِـنْ كِـرامِ النَّـاسِ خَـالا[1]

وَمَـا تَحـتَ السَمـاء لَنَـا ابـن اخـت　　بمـــردفــةٍ عَليهــا القَــدح حَــالا[2]

* * *

(*) الحماسة البصرية ١/ ١٨٢ .

(١) النَّسَبُ : القرابةُ ج أَنْسابٌ ، والنِّسْبَةُ : القرابة . وايقاع التعلق والارتباط بين شيئين . وجَرْمٌ : بَطْنانِ بطنٌ في قُضاعة وهو جَرْمُ بن زَبَّانَ ، والآخر في طيء . وجَرْمٌ : قبيلة من اليمن (لسان العرب ـ جرم) . والخال : شقيق الأم .

(٢) رَدِفَ الرجل وأَرْدَفَه : ركب خلفه ، وارتدفه خلفه على الدابة . ورَدِيفُكَ : الذي يُرادِفُك ، والجمع رُدَفاء ، ورُدافى . قال الشاعر :

فبِــتُّ علـى رَحْلـي وبـات مَكـانَـه ،　　أُراقِــبُ رِدْفـــي تـــارةً وأُبـــاصِـــرُهُ

(لسان العرب ردف) .

حُجْرُ(*) بنُ خَالدٍ التَّغْلبيُّ

هو حُجْرُ بن خَالدِ بنِ محمُود ، بن عَمْرٍو ، بن مَرْثد بن مالك ، بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلي ، التزم في شعره جانب الفخر والفروسيَّة ، كمعظم الجاهليّين . يذكر ما كان بين قومه وأعدائهم من أيام وثارات ، كما أنه يمنن حلفاءه بانتصارهم لهم ، ويميل كذلك إلى نوع من الفخر الشبيه بمفاخر عمرو بن كلثوم والفرزدق ، مغالباً بعظم أصله ورجاحة بني قومه ، وحفظهم للجار ، وقيامهم على حمايته ، يبدع ذلك في صور شديدة الغلّو . ومدح النَّعمان أبا قابوس فقال :

سَمِعتُ بِفِعْلِ الفاعِلينَ ، فَلَمْ أَجِدْ ... كمثلِ أبي قَابُوسَ ، حَزْماً ونَائِلاَ[1]

فَساقَ الإلـهُ الغَيْـثَ مـن كُـلِّ بَلْـدةٍ ... إليكَ فأَضْحى حولَ بَيْتكَ نَازِلاَ[2]

فـأَصْبـحَ منـهُ كـلُّ وادٍ حَللْتَـهُ ... مِنَ الأرضِ، مَسْفُوحَ المذَانبِ، سَائِلاَ[3]

متى تُنْعَ يُنْعَ الجُودُ ، والبأْس والتقَى ، ... وتُصْبِحْ قلوص الحرب حَرْباءَ حَائِلاَ[4]

فَـلاَ مَلِـكٌ مـا يُـدْرِكَنَّـكَ سَعْيُـهُ ، ... ولا سُـوقَـةٌ مـا يَمْـدَحَنَّـكَ بَـاطِـلاَ[5]

(*) موسوعة الشعر العربي ٣/ ٩٩٥ ـ الشعر الجاهلي .

(١) أبو قابوس : النعمان بن المنذر . نائلا : كثيرالعطاء . يقول : فلم أجد في الملوك مثل النعمان بن المنذر في شدة الحزم وكثرة العطاء .

(٢) الغيث : المطر . يدعو له بالخصب ومزيد النِّعَم ، وأن تكون البلاد تحت أمره وتدبيره .

(٣) المذَانب : ج مذنب ، مسيل الماء . أي أصبح كل واد تحل به خصيباً .

(٤) النَّعي : الاخبار بالموت . القَلُوص : الشابةُ من النوق . يريد أن الجود والكرم والتقوى والشجاعة تفقد ، بعد النّعمان بن المنذر .

(٥) السُّوقَة : الرَّعية من الناس الذي يسوقهم الملك إلى ما شاء من أمره .
يقول : أنت أعزُّ من الملوك ، وأجلُّ من أن تمدحك السُّوقة . فليس هناك ملك يدركك سعيه ، وليس هناك سوقة تمدحك باطلاً (موسوعة الشعر العربي ٣/ ٦٠٦) ايليا حاوي ـ مطاع صفدي .

يفخر حُجر في هذه القصيدة ، بمجد أبيه وعزّه وشرفه . وكيف أنَّ لأبيه مكانةً مرموقة في بني قومه ، ثم يذكر أنهم هم القائمون على حماية الجار ولهم في الكرم والجود صيتٌ كبير ، وهم الذين يكرمون الضيف إذا نزل بهم ، عند اشتداد الزمان ، ويفخر بأنه لا يستطيع أحد أن يستبيح حرمتهم ، لما هم عليه من السطوة والشجاعة .

وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ في المجدِ بَيْتُهُ ... وأَعْيَا رِجالاً آخرينَ مَطالِعُهْ[1]

فَمنْ يَسعْ مِنَّا ، لا يَنَلْ مِثْلَ سَعْيِهِ ... ولكنْ متى ما يَرْتَحِلْ فهو تَابِعُهْ[2]

يَسُودُ ثُنَانَا من سِوَانا وَبَدؤُنَا ... يَسودُ مَعدّاً كُلَّها ، لا تُدَافَعُهْ[3]

ونَحنُ الَّذين لا يُروَّعُ جَارُنَا ... وبَعْضُهُمُ للْغَدْرِ صُمٌّ مَسَامِعُهْ[4]

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحمِ لِلبَاعِ والنَّدى ... وبَعْضهُمُ تَغْلي بِذَمٍّ مَناقِعُهْ[5]

وَيَحْلُبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فينا إذا شَتا ... سَديفَ السَّنامِ تَسْتَريهِ أَصَابِعُهْ[6]

---

(١) حَلَّ في المجد بيته : أي إنه صاحب عز ومجد . أعيا أعجز . المطالع : المذاهب والمسالك .

(٢) أي من يطلب نيل مكانة من الشَّرف ، كان أقصى غايته أن يكون تابعاً له ، فهو المُفضل علينا ونحن المفضلون على الناس .

(٣) الثُّني : من يكون دون الرئيس كنائبه ، أو ولي عهد الملك . البَدْءِ : السيّد المتقدم في السِّيادة غير المدفوع لها .
يريد أن الثُّني منا يسود غيره من الناس ، ورئيسنا تسلَّم الرئاسة له على قبائل معدٍّ كلها لا يدفعها عنه مدافع .

(٤) صُمٌّ مَسامعه : في أذنه صمم . يريد أنهم هم القائمون بحماية الجار ، وغيرهم لعجزه لا يبالي إذا عيَّروه بسوء الجوار . كأن في أذنه صمماً عن ذلك .

(٥) الدَّهدقة : صوت القدر عند غليانها . البضع . جمع بضْعَة وهي قطعة من اللَّحم . الباع : مثلٌ للشَّرف والعز . المنَافع : قدور صغار من حجر . يقول : نحن تعودنا على الجود والكرم نقري الناس ونطعمهم ، وغيرنا لا تغلي قدورهم إلاّ مذمومة لبخلهم .

(٦) الحَلْب : معناه هنا استخراج الضيَّف دسم السَّديف بضرسه . السَّديف : شحم السَّنام . تَستريه : تختاره . أي يكرمون الضيف ولو اشتد الزمان بهم .

مَنَعْنَا حِمَانَا ، واسْتَبَاحَتْ رِمَاحُنَا حِمى كُلِّ قوْمٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهْ[1]

الشاعر يُناجي امرأة ويتغزل بها .

يبدأ الشَّاعر هذه الأبيات ، بغزل رقيق في حبه لامرأةٍ من بني كلب ، ولشدة شغفه بها فيحذرها ويطلب منها أن تلتزم حياءها ، وأن ترغب في رجل مثله ، له مزاياه الحسنة ، إن هو وافته المنيَّة ، فتختار لأهلها صهراً كريماً شُجاعاً لا يكون عبداً للمال ، ولا ينزله من نفسه منزلة عالية . فقال :

كَلْبِيَّةٌ ، عَلِقَ الفُؤادُ بِذكْرِها ما إنْ تَزال تَرى لها أَهْوَالا[2]

فاقْني حَياءَك ، لا أَبالكِ ، إنّني في أَرْضِ فَارسَ ، مُوثَقٌ أَحْوَالا[3]

وإذا هَلكتُ فلا تُريدي عَاجزاً ، غُسّاً ، ولا بَرَماً ، ولا مِعْزَالا[4]

واسْتَبدِلي خَتَناً لأَهْلكِ مِثْلُهُ ، يُعطي الجزيلَ ، ويَقْتُلُ الأَبْطَالاَ[5]

غَيْرَ الجَديرِ بأَنْ تكون لَقُوحُهُ ، رَبّاً عَليهِ ، ولا الفَصِيلُ عِيَالاَ[6]

وقال يتحدث عن رجل اسمه أليَّاء :

لَعَمْرُكَ ما أَلِيَّاءُ بنُ عَبْدٍ بذي لَونَيْن مُخْتَلفِ الفِعَال[7]

---

(١) الحِمى : ما يحميه الإنسان ويدافع عنه . الاسْتِبَاحة : جعل الشيء مباحاً .
أي أن مراتعهم محمية لمنعتهم ، ومراتع غيرهم مستباحة لهم لأنهم أقوياء .
« المرجع السابق نفسه ٣/ ٦٠٣ » .

(٢) لقد هام الفؤاد بحب امرأة من بني كلب ، ولا تزال النفس ترى من شدة الشغف بها أهوالاً قاسية .

(٣) أَقْني حَياءَك : أي الزميه ، مُوثَق : أخذ أسيراً .

(٤) الغُسّ : الضَّعيف . البَرَم : الذي لا يخالط القوم في المسر . المِعْزَال : الذي ينحى عن القوم وينعزل . والمراد أن تطلب مثله وهو يعلم أنها لن تظفر بمثله .

(٥) الختن : الصِهر .

(٦) غير جدير : يقصد الصهر . اللَّقُوح : النَّاقة ذات اللبن . الفَصيل : ولد الناقة .
« المرجع نفسه ٣/ ٦٠٥ » .

(٧) أَلياء : اسم رجل . يقول : أُقسم أن هذا الرجل غير متلون في أحواله ، بل حاله في غيبته ، كحاله في حضوره .

غَـــداةَ أَتَـــاهُ جُبَّـــارٌ بِـــإِدٍّ   مُعضِّلَـــةٍ وحَـــادَ عـــن القتـــالِ[1]
فَفَـــضَّ مَجـــامِـــعَ الكَتفيْـــنِ مِنْـــهُ   بـأَبْيـضَ مـا يُغـبُّ عـن الصِّقَـالِ[2]
فَلَـــو أَنَّـــا شهِـــدْنَـــاكُـــمْ نَصَـــرْنَـــا   بـذي لَجـبٍ أَزَبَّ مـن العَـوالـي[3]
ولكنَّـــا نـــأَيْنَـــا واكْتَفَيْتُـــم   ولا يَنْـأَى الحفَـيُّ عـن السُّـؤَالِ[4]

* * *

---

(١) جَبَّار : اسم رجل . الإد : المُنكر . المُعضلة : الداهية العسيرة الحل .
(٢) الفضّ : الكسر والتَّفريق . أبيض : يعني هنا السيف . الصِّقال : المصقول .
(٣) بذي لجب : أبي بجيش ذي لَجَب . اللَّجب : ارتفاع الأصوات في الحرب . الأَزَب : الكثير الشَّعر . العوالي : الرماح .
(٤) النأي : البُعد . اكتفيتم : انفردتم بأنفسكم . الحفيُّ : المستقصي في السُّؤال . المرجع السابق نفسه « ٣/٦٠٢ » .

الحسن[*] بن أبي عَقامة التغلبي

هو القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عَقامة . وهو أقدمهم عَصراً ممن ذكرناهم ، كبير البيت والقدر غزير الفضل ، وكان فقيهاً شاعراً ، وإماماً في العربية واللغة ماهراً ، قتله الملك حياش بن نجاح صاحب زَبِيد وقد ولي القضاء في زمانه . ولسبب قتل جياش له يقول ابن القُمّ الشاعر يخاطب جياشاً :

أَخْطأت يَا جياشُ في قَتلِ الحسنْ   فَقَــأْتَ والله بــه عَيْــنَ الــزمــنْ[1]

وفيه يقول :

تَضِــرُّ إذا جــرَّ المُكَــرَّمُ رمحَــهُ   وتَشجُع فيمن ليس يُحلْي ولا يُمْري

قال : والعقاميون يَنقِمون هذا البيتَ على ابن القُمِّ ويقولون قَتلُ صاحبهم أَهونُ عليهم من كونه لا يُحلي ولا يُمري .

(*) انظر نسبه إلى تغلب في هذا الكتاب ـ بني أبي عَقامه . الخريدة ٣/ ٢٥١ شعراء الشام .
وترجم له الجندي في « السلوك ـ النكت ٦٣٢ » فقال : . . . وكان الحسن إماماً في أنواع العلم شهير الذكر بذلك وإليه تنسب الخطب العقامية ، وله شعر فائق ، وترسل رائق ، وله كتاب نوادر أبي حنيفة التي يستشنعها أصحاب الشافعي وغيرهم . . . وللحسن مصنف سماه جواهر الأخبار ، وله مختصر في علم المواريث والحساب وآخر سماه الملطف في علم المساحة ، وقصيدته النونية تدل على اتساع علومه وعلو همته . (حاشية الخريدة) .

(١) ويضيف في الحاشية البيتين التاليين عن الخزرجي :
ولــم يكــن منطــويــاً علــى دخــن   مُبَــرّءاً مــن الفســوق والــدرن
كــان جــزاه حيــن ولاّك اليمــن   قتلكــه ودفنــه بــلا كفــن
وحول قتله : يقال أن جياشاً فتن بفتاة بارعة الجمال فطلبها من أهلها ، فاستشاروا القاضي فأشار بالرفض ، واستطاع جياش أن يتزوجها ، وبلغه ما كان من موقف القاضي فقتله بذلك .

ومن شعر هذا القاضي أبي محمد أنه لما سمع قول المعري .

إذا مَـا ذَكَـرْنَـا آدمـاً وفِعـالـهُ ... وتـزويـج ابنيـه لبنتيـه فـي الـدُّنـا
علمنـا بـأنّ الخلـق مـن أَصـلِ زَنْيَـةٍ ... وأَنَّ جميع الناس مِن عُنْصر الزِّنا

أجابه بقوله :

لَعَمْرُكَ أمّـا فيـكَ فـالْقَـولُ صـادِقٌ ... وَتكذِبُ في الباقين مَنْ شَطَّ أَوْدَنَا
كـذلـكَ إِقـرارُ الفتـى لازِمٌ لـهُ ... وفي غيرِهِ لَغوٌ كذا جاءَ شَرْعُنَا[1]

الحسنُ[*] بن مَالك التَّغلبي

هو أبو علي الحسن بن مالك التَّغلبي شاعر من شعراء تغلب قال :

فلـو أَننـي أَخْلصـتُ للهِ نيَتـي ... لأسْعَفَنـي فـي كُـلِ أمـرٍ أُريـدهُ[2]
علـى أننـي أَصْبَحـتُ بـاللهِ مُـؤمنـاً ... وَقَدْ صَحَ عندي وَعده ووعيدهُ[3]
وَلسـتُ بِكفَـارٍ أثيـم بِـرَبـهِ ... ولكـن مُقـراً زَالَ عنـه جُحـودهُ[4]
فـإنْ يَنتقـمْ منـي فـأهـل انتقـامـه ... وإنْ يَعفُـو عنـي عَفـوهُ لا يـؤودهُ[5]

* * *

---

(١) الخريدة ٣/ ٢٥٣ شعراء الشام .

(*) بغية الطلب ٩/ ٤٢٣٤ .

(٢) نوى : نَوى الشيء ينويه نِيَّةً وانتواهُ ، وتَنوَّاه : قَصده . والنِّيَّة : الوجه الذي يُذهبُ فيه .

(٣) يظهر أنه كان ملحداً ، ثم آمن وصح إيمانه في كل ما جاء به الإسلام .

(٤) جحَده حقه ـ كمنعه ـ جحداً ، وجُحوداً : أنكره مع علمه .

(٥) بغية الطلب ٩/ ٤٢٣٤ .

الحُسين[*] بنُ عَتيق التَّغلبي

الحُسين بن عَتيق بن الحُسين بن رَشيق[1] التَّغلبي ، يكنى أبا علي .

مُرْسيٌّ[2] الأصل سَبْتِيّ[3] الاستيطان، مُنْتَمٍ إلى صاحب الثورة على المعتمد.

حاله :

كان نَسيج وحده ، وفريد دهره ، إتقاناً ومعرفة ، ومشاركة في كثير من الفنون اللسانية والتعالِميّة ، متبحراً في التاريخ ، ريَّاناً من الأدب ، شاعراً مُفلقاً ، عجيب الاستنباط ، قادراً على الاختراع والأوضاع ، جَهْم المحيا ، موشح الشكل ، يضم بُرْداً طوباً لاكفاء له ؛ تحرّف بالعدالة ، وبرّز بمدينة سَبْتَةَ ، وكتب عن أميرها ، وجرت بينه وبين الأديب أبي الحَكَم مالك بن المُرحّل من المُلاحات والمهاترات أشدّ ما يجري بين متناقضين ، آلت به إلى الحكاية الشهيرة ، وذلك أنه نظم قصيدة بشأنه أذكر بعضاً منها :

لِكِلَابِ سَبْتَةَ في النّباحِ مَدارِكُ ... وأشدّها دَرَكاً لذلكَ مالكُ

شيخٌ تَفانى في البطالةِ عُمْرهُ ... وأحالَ فَكَّيهِ الكلامُ الآفكُ

كَلْبٌ له في كُلِّ عِرضٍ عضَّةٌ ... وبكُلِّ مُحْصَنَةٍ لسانٌ آفكُ[4]

(*) الإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ٤٧٢ .

(١) الحسن بن رشيق القيرواني ـ صاحب كتاب العمدة ولد سنة « ٣٩٠ ـ ٤٥٦ هـ » من موالي الأزد لا يمت إلى صاحب الترجمة بصلة ـ معجم الأدباء ٢/ ٨٦١ .

(٢) مرسية : مدينة بالأندلس من أعمال تُدْمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تُدْمير بتَدْمُر الشام (معجم البلدان ٥/ ١٢٥) والنسبة إليها مُرسي .

(٣) سبتة : والنسبة إليها سبتي . بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب . وهي مدينة حصينة « معجم البلدان ٣/ ٢٠٥ » .

(٤) أَفِكَ ، أَفكاً ، وإفكاً : كذب فهو آفِكٌ ، وأَفيكٌ .

مُتهم بذوي الخنا مُتَزَمِّعٌ ... مُتهازلٌ بذوي التُّقى مُتضاحكُ
أَحْلى شمائله السِّبابُ المُفْترى ... وأعفُّ سيرتِه الهجاء الماعكُ[1]
وألذُّ شيء عنه في مَحفلٍ ... لَمْزُ لاستار المحافل هاتكُ
يَغْشى مخاطرَهُ اللئيمُ تَفكُّها ... ويَعاف رؤيته الحليمُ النَّاسكُ
لو أن شخصاً يستحيلُ كلامُه ... خِرْءا لَلاَكَ الخِرء منه لائكُ[2]
فَكأنَهُ التمساحُ يَقذفُ جَوفهُ ... مِن فِيه ما فيه ولا يَتماسَكُ[3]
أَنفاسُه وفُساؤهُ من عنصرٍ ... وسعُالهُ وضُراطهُ مُتشارِكُ
إنْ سَامَ مَكرُمةً جَثَا مُتثاقلاً ... يَرْغو كما يَرْغو البعير البَارِكُ[4]
والدهر باكٍ لانقلاب صروفه ... ظهراً لبَطنٍ وهُو لاهٍ ضَاحِكُ
يا ابن المُرحَّل لو شهدت مُرَحَّلاً ... وقد انحنى بالرَّحل منه الحارِكُ
عارٌ على المِلكِ المنزه أن يرى ... في مثل هذا للملوك مَسالِكُ
فكلامُهُ للدِّين سمٌّ قَاتلٌ ... ودنوُّه للعِرض داءٌ نَاهكُ[5]

وهي طويلة تشتمل من التعريض والصريح على كل غريب ، واتخذ لها كِنانة خشبية كأوعية الكتب ، وكتب عليها : « رقاص مُعَجَّل ، إلى ما ملك بن المُرَحَّل » . وعمد إلى كلب ، وجعلها في عنقه ، وأوْجَعه خبطاً حتى لا يأوي إلى أحد ، ولا يستقر ، وطرده بالزقاق متكتماً بذلك .

وذهب الكلب وخلفه من الناس أمَّة ، وقرىء مكتوب الكنانة ، واحتُمِل

---

(١) مَعَكَ : مَعَكَ الجلْدَ ونحوه في التراب ـ مَعْكاً : دَلَكه دَلكاً شديداً ، ومعكه في القتال : لَواهُ أَذَلَّهُ .

(٢) لَكُّ الشَّيْءُ ـ لَكّاً : خَلَطَهُ .

(٣) التمساح : حيوان معروف . الجوف من الحيوان أو الإنسان : داخل البطن .

(٤) جَثا ، جُثُوّاً : جَلس على ركبتيه . أو قام على أطراف أصابعه . فهو جَاثٍ . وهي جاثية .

(٥) الإحاطة ١/ ٤٧٤ . نَهكَ الأمر فلاناً : جهده وغلبه . ونهكته الحُمّى : أضنتهُ وهزلته وجهدته . (لسان) .

إلى أبي الحكم ، ونزعت من عنق الكلب ودُفعت إليه ، فوقف منها على كل فاقِرةٍ[1] كفَّت من طِماحه ، وغضَّت عن عِنان مجاراته ، وتُحِّدث بها مدة ، ولم يَغب عنه أنها من حيل ابن رشيق ؛ فعوّق سهام المُراجعة ، ثم أقصر مكْبُوحا ، وفي أجوبته عن ذلك يقول :

كِـــلابُ المــــزابـــل آذينـــي ... بـــأبـــوالهـــن علـــى بـــابِ دَاري
وقـــد كنـــتُ أوجِعُهـــا بـــالعصـــا ... ولكـــن عَـــوَت مـــن وراء الجـــدارِ[2]

واستدعاه بآخرةٍ أمير المغرب السلطان أبو يعقوب ، فاستكتبه ، واستكتب أبا الحكم صدَقَةً ، فيقال أن جرَّ عليه خَجْلَةً كانت سبب وفاة أبي علي . ودخل الأندلس وحط بها بالمريّة ، وقد أصيب بأسر عياله ، فتوسل إلى واليها من قرابة السلطان الغالب بالله ، بشعر مدحه فيه من قصيدة أولها :

مُلْقـى النـوى ملقٍ لبغـص نـوالكـا ... فاشفِ المُحبَّ ولو بطَيْفِ خيالكا
لا تحسَبَنّـــي مـــن فـــلانٍ أو فَـــلا ... أنـــا مـــن رجـــالِ الله ثـــم رجـــالِكـــا
نَصـبَ العـدو حبـائـلاً لحبـائبـي ... وعَلِقْتُ في استخلاصها بحبالكا

وفي خاتمها :

وكفـاكَ شـرَّ العيـن عَيـبٌ واحـد ... لا عيـبَ فيـه سِوى فلـول نصـالكـا

ولحق بغرناطة ، ومدح السلطان بها ، ونجحت لديه مشاركة الرئيس بألمرية[3] .

ومما جمع فيه بين نثره ونظمه ما كتبه لمّا كتب إليه الأديب الطبيب صالح بن شريف بهاتين القصيدتين ، اللتين تَنازع فيهما الأقوامُ ، واتفقوا على أن يحكم بينهما الأحلام ، وعبّر عن ذلك الأقلام ، وينظرهما من تشوّق إليهما بغير هذا الموضع .

---

(١) أي داهية .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٧٥ .
(٣) المَرِيّةُ : مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس « معجم البلدان ٤/ ١٤٠ » .

تواليفه :

وأوضاعه غريبة ، واخترعاته عجيبة ، تعرَّفت أنه اخترع في سفرة الشطرنج شكلاً مستديراً . وله الكتاب الكبير في التاريخ ، والتلخيص المسمى « بميزان العمل » وهو من أظرف الموضوعات وأحسنها شهرة .

وفاته :

كان حياً عام أربعة وسبعين وستمائة(١) .

* * *

أبو الحسين(*) التَّغْلبي

قال الثعالبي : أنشدني الشيخ أبو بكر أيّده الله قال أنشدني ابن أبي علاّن الأهوازي لأبي الحسين(١) التغلبي في مدح الصّغار من قصيدةٍ :

وإذا رمَقْتَ(٢) بلحظِ طَرْفِكَ في العلا ... نجماً صغيراً فهو فوق الأَنْجُمِ

وصَغيرةُ الخَمسِ الأَصابعِ إنَّها ... أَوْلَى بزينةِ خاتمِ المُتَخَتِّمِ

والرمحُ أَصغرُ عقدةٍ فيهِ التي ... عند السِّنانِ وذاك صَدْرُ اللَّهْذَمِ(٣)

وكذلك الدّينارُ يَصْغُرُ حَجْمُهُ ... وهو الثّمينُ تراهُ فوقَ الدرهمِ(٤)

* * *

---

(١) الإحاطة ١/ ٤٧٦ .

(*) التذكرة الحمدونية ٤/ ٧٤ ، تتمة يتيمة الدهر ٢٩٨ .

(١) ورد في التذكرة الحمدونية وقال أبو الحسن التغلبي في مدح الصغار .

(٢) في التذكرة الحمدونية (رميتَ) . ورمقت : نظرت وتطلعت بغنج ودلال .

(٣) اللهذم : السيف القاطع .

(٤) تتمة يتيمة الدهر ٢٩٨ .

حُرقوصُ(*) التَّغْلِبي

قال في مهور النساء :

أَلا لا أُريـدُ البيـضَ حتّى يُـرِدْنني ... ويتَّضِعَ المهرُ الذي كان غَاليا[1]

وحتّـى تَقـولَ الخَـودُ سِـرّاً لأهلهـا ... أَلا ليتـه قـد جَاءَ إنْ كـان خـاليـا[2]

حَرِيزُ(*) التَّغْلِبيُّ

هو حَرِيزُ بن عَبَدَةَ ، أحد بني زَيد بن نُشْبة بن عدي بن أُسامة بن مَالك بن بكر بن حُبيب التَّغلبي .

قال يخاطب رجلاً :

ألا أَيُّهَـــا المُـــزْدَرِيَّ بعَيْنـــهِ ... تَشَـاوَسْ رُوَيـداً إنـني لـك وَاتـرُ[1]

تشاوس تشاوساً نظر بمؤخر عينه تكبراً . وأيضاً صغر عينيه فضم أجفانه للنظر وأيضاً كان شديداً جريئاً في القتال[2] .

* * *

(*) الحماسة البصرية ٢/ ٣٧١ ، الأشباه والنظائر ٢/ ٢٦٦ .

(١) في الحماسية البصرية عجز البيت « ويتضع الأمر . . . » والمَهْرُ : صَداقُ المرأة وهو ما يلتزم الزوج بأدائِه إلى زوجته حين يَتمُّ عَقْدُ زواجه بها (ج) مُهُورٌ . وأَمْهَرَ المرأة : جعل لها مهراً أو سماه لها . (لسان العرب) .

(٢) في الحماسة البصرية القافية « جائيا » .
الخَوْدُ : الفتاة الشّابَّةُ الحَسَنَةُ الخَلْقِ . (ج) خُوْدٌ ، وخَوْداتٌ . والخالي : الفارغ ، العَزَبُ والعَزَبَةُ . (ج) أَخْلاءٌ (لسان العرب) .

(*) المؤتلف والمختلف للآمدي ٩٦ .

(١) يقال رجل أَشْوسُ : وذلك إذا عُرِفَ في نظره الغضب أو الحقد ويكون ذلك من الكِبْرِ ، وجمعه الشُّوسُ . ويقال فلان يَتَشاوَسُ في نظره إذا نَظَر ، نظرَ ذي نَخْوةٍ وكِبْرٍ . (لسان العرب) .
ـ وتَرَ : يقال : وَتَرْتُ فلاناً إذا أصبته بِوَتْرٍ . ووَتَرْتُ الرجل : أفزعته (لسان العرب) .

(٢) المؤتلف والمختلف ٩٦ .

حَكِيمُ[*] بن قَبِيصَةَ التَّغْلبي

قال حَكيمُ بنُ قَبيصة لابنه ، وكان هَاجرَ :

لَعَمْرُ أبي بِشْرٍ ، لقد خَانَني بِشْرُ ... على سَاعةٍ فيها إلى صاحبٍ فَقْرُ[1]

فما جَنَّةُ الفردَوْسِ هَاجرتَ تَبْتَغي ... ولكنْ دَعاك الخُبْزُ أَحْسِبُ والتَّمْرُ[2]

أقــرْصٌ تُصلَّــي ظَهــرهُ نَبطيَّــةٌ ... بتَنُّــورهــا حتَّــى يَطيـرَ لهــا قِشْــرُ[3]

أَحَــبُّ إليــكَ أم لِقــاحٌ بقَفْــرَةٍ ... مُعَطَّفــةٍ فيهــا الخَليَّــةُ والبِكْــرُ[4]

كــأنَّ أَدَاوَى بــالمــدينــةِ عُلِّقَــتْ ... مِــلاَءً بــأَحْقيهــا إذا طَلَــعَ الفَجــرُ[5]

كــأن قُــرَي نَمْــلٍ علــى سَــرَاوتِهَــا ... يُلبِّــدُهــا فــي لَيْــلِ سَــاريــةٍ قَطْــرُ[6]

وقال في ذَمِّ الفِرار والتعيير به :

لَعَمْــرُكَ مَــا فَــرَرْتُ مِــنَ المنــايــا ... ولا حَــدَّثْــتُ نَفْســي بــالفِــرارِ

ولكــنَّ الَّــذي فَــرَّ ابــنُ عَمْــرٍو ... فــأَلْثَــقَ سَلْحُــهُ خَلَــقَ الإِزَارِ[7]

* * *

(*) حماسة البحتري ٤٦ ، وحماسة أبي تمام ٢/ ١١٢٧ ـ للأعلم الشنتمري .

(١) بشر : ابنه . أي خانني حين فارقني وأنا محتاج إليه لِكبري . والفقر : الحاجة .

(٢) الفردَوْسُ : الجنَّةُ ، وأصله الكرم .

(٣) التَّصْلِيَةُ : أي تُولي الشَّيءَ النَّار .

(٤) اللّقاح : الحديثات النّتاج من الإبل ، واحدتُها لِقْحَةٌ . والخَلِيَّةُ : النَّاقةُ تُعْطَفُ مع الأُخرى على حُوارٍ واحد حتّى تَدُرّا عليه فيرضع الحوار إحداهما ويتخلى أهل البيت بالأُخرى .
والبكر : التي تُنجب أول بطن . أي الخُبز أحبُّ إليك أم لبن هذه اللِّقاح ؟ يريد أن اللَّبن وعيش أهل البادية ، أحسن وأفضل .

(٥) الأداوى : القِربُ واحدتُها إداوةٌ ، شبَّه ضروع اللِّقاح بها . والأحقي : جمعُ حَقْوةٍ وهو مشد الإزار من الخَصْر . وقوله : إذا طلع الفجر ، يريد إذا اختلفت الدِّرَّةُ في آخر الليل .
وقرى النمل : بُيوتها . والسَّاريةُ : سحابة تمطر ليلاً . والسَّروات : أعلى الظهور ، واحدتها سراةٌ .

(٦) (حماسة أبي تمام ١/ ١١٢٧ ، ١١٢٨) .

(٧) ألثق الشيء : بلله ونداه . سلح : تغوط ، وهو بالطير أخص . « حماسة البحتري ٤٦ » .

الخَضِر[*] بن ثروان التَّغلبي

هو الخضر بن ثروان بن أبي عبد الله التغلبي ، أبو العباس الضرير ـ التُّوماثي ، ويقال له الفارقي والجزري ، لأنه ولد بالجزيرة ونشأ بميَّافارقين ، وأصله من توماثا ـ ولد سنة « ٥٠٥ هـ » بجزيرة ابن عمر كما قال هو نفسه .

مقرىء فاضل ، أديب بارع ، حسن الشعر ، كثير المحفوظ ، عالم بالنحو ، ضرير البصر ، قرأ اللغة على ابن الجواليقي ، والنحو على أبي السعادات الشجري ، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي ، وكان ببغداد يسكن المسجد المعلق المقابل لباب النوبي من دار الخلافة ، وكان يحفظ شعر الهُذَليين والمجهلين وأخبار الأصمعي وشعر رؤبة وشعر ذي الرُّمة وغيرهم . يقول ياقوت : لقيته أولاً ببغداد وسمع معنا غريب الحديث لأبي عبيد على أبي منصور الجواليقي ، ثم لقيته بنيسابور ومَرْو وسرخس غير مرة في سنة « ٥٤٤ هـ » وسألته عن مولده فقال : في « ٥٠٥ هـ » بجزيرة ابن عمر وكتبت عنه شيئاً من أشعاره ، ومن أشعار غيره وأنشدنا لنفسه :

وذي سَكَرٍ نبَّهْتُ للشُربِ ، بَعدما ... جَرى النومُ في أَعْطَافِهِ وعِظَامِهِ
فَهبَّ وفي أَجفَانه سِنَة الكَرَى ، ... وَقَدْ لبستْ عَيناهُ نَوم مَرامِهِ

ومن شعر أيضاً :

كَتبتُ وَقَدْ أَوْدَى بِمُقلَتي البكا ... وَقَدْ ذَابَ من شَوقٍ إليكم سَوادُها
وَمَا وَرَدتْ لي نحوكم من رسالةٍ ... وحقكم إلاَّ وذَاكَ سَوادُها[1]

وقال أيضاً :

(*) نكت الهميان ١٤٩ ـ معجم الأدباء ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠ معجم البلدان ٢/ ٧٠ الوافي بالوفيات ١٣/ ٣٢٦ .

(١) معجم البلدان ٢/ ٧٠ .

مَـــواعـــظُ الـــدهـــر أدَّبتنـــي   وإنمـــا يُـــوعَـــظُ الأَدِيـــبُ
لـــمْ يمـــضِ بـــؤسٌ لا نَعيـــمٌ   إلاَّ ولـــي فيهمـــا نَصيـــبُ

وقال :

أنـــتَ فـــي غَمـــرةِ النعيـــم تَعـــومُ   لســتَ تــدري بــأنَّ ذا لا يــدومُ[1]
كَـــمْ رأينَـــا مـــن الملُـــوكِ قَـــديمـــاً   هَمَـــدُوا فـــالعِظَـــامُ منهـــم رَميـــمُ
مـــا رأينـــا الـــزَّمـــانَ أَبْقَـــى علـــى شَخـ   ـــصٍ شقـــاءً فَهـــلْ يَـــدومُ النَعيـــمُ ؟
والغِنَـــى عِنـــدَ أهلِـــه مُستَعـــارٌ   فَحَميـــدٌ بـــه ومُنهـــمْ ذَميـــمُ[2]

توفي ببُخارى سنة ثمانين وخمس مائة[3] .

* * *

(١) ورد صدر البيت في الوافي بالوفيات ١٣/٣٢٧ (أنت في عُمرة التنعيم . . .) .
(٢) وردت هذه الأبيات في معجم الأدباء . والوافي بالوفيات . ونكت الهميان .
(٣) معجم الأدباء ٣/١٢٥٠ ـ والوافي بالوفيات ١٣/٣٢٧ . ولقد وردت نسبة الشاعر في معجم الأدباء الثعلبي . بينما ورد معجم البلدان التغلبي للمؤلف نفسه . كما ذكرت المراجع المذكورة بأن نسبته التغلبي .

أَبُو الرُّبَيْس(*) التَّغلبي

قال أبو الرُّبَيْس التَّغلبي :

أَيّ عَيْشٍ عَيْشي إذا كُنتُ فيهِ ... بيْنَ حَلٍّ وبَيْنَ وَشكِ رَحيلِ

كُلّ فَجٍّ مِنَ البلادِ كأنّي ... طَالب بَعض أَهله بذِحُولِ[1]

مَا أَرى الفَضلَ وَالتكرُّم إلاَّ ... تَرْكُكَ النَفس عَن طِلابِ الفضُولِ

وَبلاء حمل الأَيادي وأَن تَسـ ... ـمعَ مَنّاً تُؤْتَى بِهِ من مُنيلِ[2]

وقال أيضاً :

لا صُلح بَيْني ، فاعْلَمُوه ، ولا ... بَيْنَكُم ما حَمَلَتْ عَاتِقي

سَيْفي ، وما كُنَّا بِنَجْدٍ ، وما ... قَرْقَرَ قُمْرُ الوادِ بالشاهِق[3]

وحول نسب أبو الرُّبَيْس جاء :

وهو عَبّاد بن عباس بن عوف بن عبد الله بن أسد بن ناشب ، من بني ذبيان[4] . وفي حماسة أبي تمام جاء : وقال أَبُو الرُّبَيْس الثَّعلبي ، وهو اسلامي :

(*) الحماسة البصرية ٢/ ٨١ ، ٨٢ ، حماسة أبي تمام ٢/ ٧٩٢ . الأمالي الشجرية ٢/ ٢٩٠ نوادر المخطوطات ٢/ ٢٨٤ . خزانة الأدب ٦/ ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ . لسان العرب (ودى) . نسب قريش ١١٣ .

(١) الفَجُّ : الطَّرِيق الواسع بين جبلين أو في الجبل . الذَّحْلُ : الحِقْدُ والعَدَاوةُ . والثأر . يُقال : طَلبَ بذَحْلِهِ : أي بثأره .

(٢) الحماسة البصرية ٢/ ٨١ ، ٨٢ .

(٣) لسان العرب (ودى) وفي أمالي الشجري جاء صدر البيت « رُمحي وما كنا . . . » . ولم ينسب الشعر لأحد . قرقر الطائر قرقرة : صوت . والشاهق الجبل المرتفع . وفي حاشية الأمالي الشجرية : البيتان ينسبان إلى كل من أنس بن العباس بن مرداس السلمي ، أبو أبو عامر جد العباس . وأورد في الحاشية بيتاً ثالث :

لا نَسبَ اليوم ولا خُلَّةً ... اتَّسَع الخرق على الراتق

(٤) نوادر المخطوطات ٢/ ٢٨٤ . وفي الحاشية : في الشعراء أنه من : بني سعد بن =

هَــلْ تُبْلغُنِّــي أُمّ حَــرْبٍ وتَفْــذِفَــنْ عَلـى طَـربٍ بَيُّـوتَ هَـمٍّ أُقَـاتلُـهْ[1]
مُبِينَــةُ عِتْــقٍ حُسْــنَ خَــدٍّ ومَـرْفِـقٍ بِهِ جَنَفٌ أَنْ يَعْرُكَ الزَّورَ شَاغِلُه[2]

وفي الخزانة ذُكر لأبي الرُّبَيْس أكثر من نسب :

قال : زعم النقْري أنَّ أبا الرُّبيس الثَّعلبي ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، سَرق ناقةً كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صَنَعها وعَلفها ، فَسرقَها أبو الرُّبَيْس وقال :

هَــلْ تُبلغِّينهــا إذا مــا طَلبتُهــا غـداً وانجلـى عنـي الغطـاءُ المُقَّنـعُ
قصيــرةُ فَضــلِ النِّسعتيــن إذا رمــى بها الرَّعلةَ الأولى الزَّميل المُزعَزعُ[3]
مطيَّــةُ بطَّــالٍ ، لــدنْ شــبَّ ، همُّــه قِمـارُ الكِعـاب والطِّـلاءُ المُشعْشَـعُ
من النَّفرِ البيضِ الذين إذا انتموا وهابَ الرجالُ حَلْقةَ الباب قعقعوا[4]
إذا النَّفرُ السَّـودُ اليمـانـون نمنمـوا لـهُ حَـوْكَ بُـرديـهِ أَجـادُوا وأَوسعُـوا

وقال الزبير بن بكَّار في أنساب قريش ، وتبعه الدارقطني في المختلف والمؤتلف : إنَّ أبا الرُّبيس عَبَّاد بن طِهْفة الثَّعلبي ، قال : لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان :

= بكر بن هوازن أظآر رسول الله .

(١) الطرب : خفة الشوق . تقذفن : تبعدن وتدفعن .

(٢) ناقة بينة العتق . والجنف : الميل . والزَّوْر : الكِرْكِرةُ وهو ما بين عضديها وصدرها « حماسة أبي تمام ٢/ ٧٩٢ » .

(٣) قصيرة فَضْل النِّسعتين : يريد أنها تستوفي نسوعها أي سيورَها لِعظَمها وسَعة جوفها . والرَّعلة : القطعه : المتقدّمة . والزَّميل : الرِّدف . والمزعزع : الذي يزعزعه السِّير . فلما قال .

(٤) إن القطعتين قصيدة واحدة والأبيات الثاني والثالث من كل قطعة مكررة ـ وإن المرجع لهما خزانة الأدب ٦/ ٨٤ ـ ٨٩ ـ وجاء في ص٩٠ أبو الربيس هو عَباد بن عباس بن عوف بن عبد الله بن أسد بن ناشب بن سُبَد بن رِزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

جميلُ المُحيَّا واضحُ اللَّون لم يَطأْ ... بحَزْنٍ ولمْ تألَمْ لهُ النَّكْبَ إصْبَعُ
مِنَ النّفَرِ الشُّمِّ الذينَ إذا انتدَوا ... وهَابَ اللِّئامُ حَلْقةَ البابِ قَعْقَعُوا
إذا النَّفَرُ الأُدْمُ اليَمانُون نَمْنَمُوا ... لَهُ حَوْكَ بُردَيْه أَدَقُّوا وَأَوسَعوا
جَلا الغِسْلُ والحَمَّامُ والبيضُ كالدُّمى ... وطِيبُ الدِّهانِ رأْسَهُ فَهْوَ أَصلعُ[1]

* * *

(١) وردت الأبيات الأربعة في نسب قريش ١١٣ ـ وقافية البيت الرابع (أفرع) .
ونسبت القصيدة في نسب قريش إلى ابن الرَّئيس الثَّعلبي .
كَثُرت المراجع واختلف الرواة وكان الله في عون الباحث ؟! وبقي الشعر والشعراء يتنازعون على الميراث أمام الكاتب العدل في كل عصر حتى يُقيض لهم من ينصفهم بما لديه من وثائق ومخطوطات تثبت لكل ذي حق حقه .

سَالِمُ[*] بن عَليّ التَّغلبيُّ

هو سالم بن علي بن سلمان بن علي بن العودي أبو المعالي التَّغلبي .

ولد سنة ثمان وسبعين وأربع مائة .

شاعر من أهل النيل وكان رافضيّاً خبيثاً يهجو الصحابة .

وقال العماد الكاتب : لقيته سنة أربع وخمسين وخمس مائة ، وأورد له (من الطويل) :

هُمُ أَقْعَدُوني في الهَوى وأَقَامُوا ... وأَبْلَوا جُفوني بالسُهادِ ونَاموا

وَهُم تَركوني للْعِتَابِ دَريئَةً ... أُؤَنَّبُ في حبّهِم وأُلامُ[1]

ولو أنْصَفُوني قِسْمَةَ الحُبِّ بيننا ... لهاموا كما بي صبْوةٌ وهُيَامُ

ولكنّهم لمّا اسْتَدرَ لنَا الهَوى ... كَرُمْتُ بِحِفظي لِلْوِدَادِ ولاَموا

وقال أيضاً :

مَا حَبستُ الكتابَ عنك لهجرٍ ... لاَ ولاَ كانَ ذاكُمُ عن تَجافِ

غير أنّ الزمان يُحْدِثُ للمرءِ ... أموراً تُنْسيه كلَّ مصافِ

شِيَمٌ مرّتْ الليالي عليها ... والليالي قليلةُ الإِنْصافِ

وله أيضاً :

يا عاتبينَ على عانٍ يحبهمُ ... لا تجمعوا بين عَتْبٍ في الهوى وعَنا[2]

إِنْ كانَ صدّكُمُ عَني حُدوثُ غِنىً ... فَما لنَا عَنكم حتّى الممات غِنَى

ومن شعره :

لا أَقْتَضِيك على السّمَاحِ فإنّه ... لك عادة لكنّني أنا مُذكِرُ

أن السحابَ إذا تَمسّكَ بالنَدى ... رَغبوا إليه بالدُعاءِ فَيُمطِرُ[1]

قلت : شعر متوسط .

* * *

(*) الوافي بالوفيات ١٥/ ٨٧ ، ٨٨ .

(١) الدَّريئة : ما يَسْتَتِرُ به الصائد ليَخْتِلَ الصَّيْدَ . ادَّرَأ : اتَّخذَ دَرِيئةً ، والقوم تدافعوا في الخصومة .

(٢) العاني : الأسير . والذّليل . وقومٌ عُناةٌ .

(١) النَّدى : قطرات ماءٍ كالمطر تُرى عند الصَّباح على النبات وغيره .

سُبَيع [*] التَّغلبي

وقال الشاعر سَلَمة[1] بن الخَرْشَب يمدح سُبَيع التَّغلبي في شأن الرُّهُن التي وضعت على يديه في قتلى عَبْس وَذُبْيان :

أبلـــغْ سُبَيْعـــاً وأنـــت سيِّـــدُنـــا ... قِـــدْمـــاً وأوفـــى رجـــالِنـــا ذِمَمَـــا
أنَّ بَغِيضـــــاً وأنَّ إخــــــوَتَهـــــا ... ذُبْيَانَ قد ضرَّمُوا الذي اضطَرَمَا[2]
نبِّئـــتُ أن حكَّمـــوك بينَهُـــم ... فـــلا تقـــولـــنَّ بِئْـــسَ مـــا حَكَمـــا
إنْ كنـــتَ ذا عِـــرْفـــةٍ بشـــأنِهُـــمُ ... تعـــرفُ ذا حَقِّهِـــمْ ومَـــنْ ظَلَمـــا
وتُنْـــزِلُ الأمـــرَ فـــي مَنـــازِلِـــهِ ... حُكْمـــاً وعِلْمـــاً وتحْضِـــرُ الفَهَمَـــا
فـــاحكـــمْ فـــأنـــتَ الحكيـــمُ بينهُـــمُ ... لـــن يَعْـــدَمـــوا الحـــقَّ بـــارداً صَتَمَـــا[3]
واصـــدعْ أَديـــمَ السَّـــواءِ بينهُـــمُ ... علـــى رضـــا مَـــنْ رَضـــي ومَـــنْ رَغِمـــا
إن كـــان مـــالاً فمثـــل عِـــدّتِـــهِ ... مـــالٌ بِمـــالٍ وإنْ دَمـــاً فَـــدَمَـــا[4]
هـــذا وإنْ لـــم تُطِـــقْ حكـــومَتَهُـــمْ ... فـــانبـــذْ إليهـــمْ أمـــورَهُـــمْ سَلَمَـــا[5]

إن الشاعر يمدح سُبيع التَّغلبي ولكنه يوجهه ويرسم له خطة عمل يسير عليها في حكومته واصلاح ذات البين بين الطرفين عبس وذبيان وما جرْت عليهم حرب داحس والغبراء من ويلات خلال عقود أربعة .

(*) عيون الأخبار ١/ ١٣٤ ، البيان والتبيين ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(١) هو سلمة بن عمرو بن نصر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . « الخرشب » لقب أبيه . وأصل معناه الطويل السمين . « المفضليات ٣٦ » .

(٢) المقصود قبيلة بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ووالد بغيض هو ذبيان « جمهرة أنساب العرب ص٢٥٥ » .

(٣) الصَّتَمُ : الغليظ الشديد . وجاء عجز البيت في البيان والتبيين « لن يعدموا الحكم ثابتاً صَتَما » .

(٤) وجاء صدر البيت في البيان والتبيين « إن كان مالاً فقضٍّ عِدَّتُه » .

(٥) عيون الأخبار ١/ ١٣٤ .

فيقول عن سبيع ، أنه رجل له ذمة الوفاء ، ويعرف الظالم من المظلوم ولا يحيد عن الحق ، وينزل الأمر في منازله ، لأنه لا ينقصه الفهم ولا العلم ولا الحكم ، ولابد من أن يحكم بينهم بالحق والعدل ، ويعود الشاعر فيؤكد على سُبيع التَّغلبي : إذا كان الأمر ينقضي بالمال فمثل عدته مالٌ بمالٍ ، وإن دَماً فَدَما .

ثم يقول سلمة : إذا لم تطق الفصل بينهم فانبذ الأمر إلى سلمة . أي إلى الشاعر نفسه .

ولا تُبالي مِن المُحِقّ ولا المُبْـ ـطِلِ لا إلّـةً ولا ذِمَما[1]
حتى تُرَى ظاهرَ الحُكومة مِثْلَ الصُّبْح جَلّى نَهارُه الظُّلَمَا[2]

وقال أبو عثمان : وأنشدتُ سهلَ بن هارون ، قولَ سلَمة بن الخُرشُب وشعرَه الذي أرسل به إلى سُبيع التَّغلبي في شأن الرُّهُن التي وضعت على يديه في قتال عَبْسٍ وذُبيان فقال سهل بن هارون :

والله لكأنّه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم[3] .

وكثر الشعراء الذين قالوا في حرب داحس والغبراء ، وسأذكر ما يعني تغلب من شعراء أو أعلام كان لدورهم أهمية .

وقال معقل بن عوف بن سبيع التَّغلبي :

نعم الحي ثَعلبة بن سعد إذا ما القوم عَضّهم الحديدُ
هُمُ رَدّوا القَبائلَ مِنْ بَغيضٍ بغَيضهم وَقَدْ حَميَ الوَقُودُ
تطل دِمَاؤهم والفَضل مِنَّا على قَلْهَى وَنَحكمُ مَا نريدُ[4]

* * *

(١) من البيان والتبيين ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٢) المرجع السابق نفسه ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٣) المرجع السابق نفسه ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٤) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢٨٨ ـ وقلهى : يوم غدير قلهى . وهو ماء عليه نزل بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

سريع[*] بنُ عَمرو التَّغلبي

هو أبو اللَّحّام التَّغْلِبيَ واسمه سريع بن عَمرو ، وعَمرو هو اللَّحام بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حُبيب[1] ، بن عمرو بن غَنْم بن تغلب .

وقيل : وأبو اللَّحام شاعرٌ جاهلي ، اسمه حُرَيْثٌ مصغر حارث . واللَّحام بفتح اللام وتشديد الحاء المهملة[2] وهذا شيء من أخباره ، أورده أبو عمرو الشيباني قال :

كان أبو اللَّحام خرج في ناس من بني تَغلب ، فأغار على قُرىً من قرى السَّواد وأقام يَجْبيهم ويأخذ منهم ، فبعث إليهم كِرى النخيرجان[3] في خَيلٍ من الأساورة ، فهزم ذلك الجيش وأخذ أبا اللَّحَّام فحمله على بعير ، وعَدَله بِفِراشٍ وهو مغلولٌ ، فقال : انظروا إلى هذا الخبيث الذي جاء يُغير على الملك وهو عِدل فراشٍ في الخفَّة ! ثم إنَّه نزل في ناحية الفرات على شاطئه الغربي فبعث خيله إلى العرب فلم يُصِبْ أحداً إلاّ قتله .

وجَعل مع أبي اللَّحام رجلاً من أهل الحيرة عربياً كان من أعوانه يقال له بَرِيم ، في سلسلةٍ ، شِمالُ أبي اللَّحام بيمينه ، وهو يريد أن يَقدم الحيرة ليصلبه بها فيراه من يَقدَم الحيرة من العرب .

(*) خزانة الأدب ٨/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ . نقائض جرير والفرزدق ١/ ٤٥٨ . أيام العرب لأبي عُبيدة ٢/ ٦٠ .

(١) نقائض جرير والفرزدق ١/ ٤٥٨ . وأيام العرب لأبي عُبيدة ٢/ ٦٠ .

(٢) خزانة الأدب ٨/ ٥٥٩ .

(٣) النخيرجان : كان عاملاً على الحيرة هو وإياس بن قبيصة الطائي ، أمضيا في العمالة تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز . وقد استمر النخيرجان عاملاً من قبل الفرس إلى سنة ١٥ من الهجرة حيث هزم بعد يوم القادسية ـ طبري ٢/ ٢١٣ ، ٣/ ٦١٩ ، ٤/ ١١٦ .

فلقَى رجُلاً نبطيّاً كان يعرفه في بعض السواد إلى جانب أَجَمة ، فأَخذ منه دراهم ، فجعل إذا مشى ينطلق ببريم فَيسقيه ويُدهنه[١] ويُطعمه من تلك .

فلما كان ذات ليلة أظلمت السماءُ بغيمٍ ومطر ، وجعل يُلحُّ عليه بالشَّراب ، ثم جعلا يمشيان في الأجمة فتناول سيفَ بريمٍ فاستلَّه ثم ضرب السلسلة فقطعها ، ثم خرج إلى البرِّيَّةِ فأتى رجلاً من الأعراب من بكر بن وائل فأخبره الخبر ، وأخذ منه نجيبةً فلحق بالشام[٢] .

وله في يوم الكُلاب[٣] الأول شعراً يذكر نصرهم إذ قال :

رَبْعنَا بالكُلابِ وما رَبَعْتُمْ ... وأَنْهَبْنا الهَجائِنَ بالصَّعيدِ[٤]

سَقَيْنا الإبْلَ غِبّاً بعد عِشْرٍ ... وغِبّاً بالمَزادِ مِنَ الجُلودِ[٥]

وجُرْدٍ كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ ... شَوازِبَ مُحْلَساتٍ باللبودِ[٦]

بِكُلِّ فَتىً أَطارَ الغَزْوُ عَنْهُ ... بَشاشَةَ كُلِّ سِرْبالٍ جَديدِ[٧]

وذكر البغدادي في الخزانة سبعة أبيات من الشعر قال إنها من قصيدة عدَّتها تسعة عشر بيتاً لأبي اللَّحام التَّغلبي ، قال :

---

(١) يريد : يطعمه الدهن . وألحمه : أطعمه اللحم ، وأشحمه : أطعمه الشحم .

(٢) خزانة الأدب ٨/ ٥٦٠ .

(٣) انظر ترجمة يوم الكُلاب الأول في هذا الكتاب .

(٤) أرْبَعَ القوم : صاروا في الرَّبيع ، وارْتَبع بمكان كذا . أقام به في الربيع . وأنهبنا : غنمنا . وناقةٌ هِجان وإبلٌ هجانٌ : بيضٌ كرامٌ . والصعيد : التُّرابُ ، أو وجه الأرض . وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة .

(٥) الغِبُّ : وِرْدُ يومٍ وظِمٍ وآخر . والعشر : وِرد الإبل في اليوم العاشر .

(٦) جُرْد : مِنْ جَرَدَ ، والأجرد من النّاس : الذي لا شَعْر على جسده . والفرس قلَّ شعره وقصر . المُسَوَّمَة : المعَلَّمة بعلامة . والشازب : الضامر ، يستعمل في الناس والخيل . ومحلسات : مغطاة الظهور باللبود ، وحَلَسَ الدابة ـ حَلْساً : غشاها بحِلْسٍ والحِلس : كساء يُلْقى على ظهر الدّابة ويكون تحت الرَّحل أو السَّرج .

(٧) السِّربالُ : ما يُلبس من قميصٍ أو درع (ج) سرابيل . (لسان العرب) الشعر من النقائض ١/ ٤٥٨ . وأيام العرب لأبي عُبيدة ٢/ ٦٠ .

على الحَكَمِ المأْتيِّ يوماً إِذا قَضى قَضيَّتَــه أن لا يجــورَ ويَقْصِــدُ[١]

عَمِرتُ وأَطْـوَلْـتُ التفكُّـر خـاليـاً وساءَلت حتَّى كادَ عُمريَ يَنفَدُ[٢]

فأَضحتْ أُمورُ الناس يَغْشَين عالماً بمـا يُتَّقَـى منهـا ومـا يَتَعَمَّـدُ[٣]

جـديـرٌ بـأَن لا أَستكيـنَ ولا أُرَى إِذا الأَمـر وَلَّـى مُـدْبـراً أَتبلَّـدُ[٤]

وليـس الفتَـى كمـا يقـولُ لسـانُـه إِذا لم يكن فعلٌ مع القول يُوجَدُ

عسـى سـائـلٌ ذو حـاجـة إنْ مَنعْتَـهُ مـن اليـومِ سُـؤْلا أن يكـون لـه غَـدُ

وإِنَّـكَ لا تـدري بـإِعطـاءِ سـائـلٍ أَأَنـت بمـا تُعطيـه أَم هـو أَسعـدُ[٥]

وقال يمدح عبد الله بن عمرو بن كلثوم :

أيئســتَ مـن أسمـاءَ أم لـم تيـأس وصَرَمْتَ شَبْكَ حبالها المُتَلَبِّسِ[٦]

لا تَحْــزُنَنْــكَ فــإِنَّهــا كَلْبيَّــةٌ كالرِّئْم يَبْرُقُ وجهُها في المَكْنِسِ[٧]

وكــأنَّ طَعْــمَ مُــدَامَــةٍ جَبَليَّــةٍ قـد عُتِّقَـتْ سَنتيْـنِ لمَّـا تُنْكَـسِ[٨]

والـزَنجبيـل وطعـم عَـذْبٍ بـاردٍ يعلـو ثنـايـاهـا مـن المُتَنفَّـسِ[٩]

---

(١) الحَكَم : والمعنى : واجب على كل حكم بين الناس يؤتى لفصل الخصومات أن لا يجور في حكمه إذا قضى وحكم حُكمه ، وهو يقصد ويعدل في قضاياه . والمأتي : معناه أي المأتي إليه .

(٢) عَمِرت : أي عشت عمراً طويلاً ، وساءلت : أي أكثرت من السؤال . وينفد : يفنى .

(٣) يَغْشين : يأتين . والغشيان : الإتيان . ويُتعمد بمعنى : يقصد .

(٤) لا استكين : لا أخضع ولا أذلَّ . وروي عجر البيت (إذا حلَّ أمرٌ ساءني أتبلد) أي أتحير كالبليد .

(٥) خزانة الأدب ٨/ ٥٥٥ ، ٥٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٦) يئس : انقطع رجاؤه . وأسماء : اسم المرأة التي يُشَبِّبُ بها . وصرمت : قطعت . والشَّبْكُ : الاختلاط والتداخل . والمتلبِّس : المتشابك .

(٧) الرئم : الظَّبي الخالص البياض كالريم . ويبرق : يبدو مؤتلقاً . والمكنس : مولج الوحش من الظباء والبقر تستكين فيه من الحر .

(٨) مدامة : الخمر : وعتقت : تركت فترة زمنية طويلة دونما شرب . وتنكس : تُصَبُّ ، والنكس : قلب الشيء على رأسه .

(٩) الزنجبيل : مما ينبت في بلاد العرب بأرض عُمان . والعذب : اللعاب . والثنايا من=

دَعْهـا وسَـلِّ طِـلابها بِجُـلالَـةٍ عَيْرانَةٍ كالفَحْلِ حَرْفٍ عِرْمَسِ[1]

للصَّيْعَـريَّـةِ فَـوْقَ حَـاجـبِ عَيْنِها أَثْــرٌ يُبَيِّنُــهُ ولمَّــا يَــدْرُسِ[2]

تَسْتَنُّ فـي ثَنْـي الجـديـلِ وَتَنْتَحـي كالثَّورِ رِيعَ من الحِلابِ الأخْنَسِ[3]

وكــأَنَّ جــاديّــاً بــهِ وأَرَنْــدَجَــا ويـوجهِـهِ سُفْـعٌ كلَـوْنِ السُّنْـدُسِ[4]

جُلْـذِيَّـةٌ تَطِـسُ الإكـام نَجيحـةٌ كالجَأْبِ يَنْفُضُ طَلَّهُ المُتَشَمِّسِ[5]

أنْضَيْتُهـا بعـد المِـراحِ إلـى امْـرِىءٍ جَلْدِ القوى في كلِّ ساعة مَحْبِسِ[6]

طَلْـقٍ يَـراحُ إلـى النَّـدى مُتَبلِّـجٍ كـالبـدْرِ لافَـةٌ ولا مُتَعَبِّـسِ[7]

إلى ابن هندٍ خَذْرَفَـتْ أخْفـاضَهـا تَهْـوي لمُعْتَمِـدٍ بعيـد المُحْـدِسِ[8]

المُشْتـري حُسْـنَ الثنـاءِ بمـالِـه وإذا تَـوجَّـه مُعْطيـاً لـم يَحْبِـسِ

ولأنـتَ أجـودُ مـن خَليـجٍ مُـرْسَـلٍ مُتَتـابِـعِ التيـار غَيْـرِ مُسَجَّـسِ[9]

= الأضراس: واحدة الأربع التي في مُقَدَّم الفم، ثِنتان من فوق، وثنتان من أسفل (ج) ثنايا.

(١) ناقة جلالة: ضخمة. وعيرانة: الناقة الصلبة. والحَرْفُ: الناقة النجيبة، وقيل هي الضامرة الصلبة. والعرس: الناقة الصلبة الشديدة.

(٢) الصيعرية: سمة في عنق الناقة، ولا تكون إلا للإناث. والحاجب: الشعر النابت على العظم فوق العين. وأثر: وشم.

(٣) تَسْتَنُّ: تقصد وتسرع. الجديل: زمام من أدم. تنتحي: تقصد. ربع من الحلاب: كبر وزاد ونما من اللبن. الأخنس: رقيق الدباج.

(٤) الجادي: الزعفران، وهو من الطيب ولونه وردي. والأرندج: جلد أسود تعمل منه الأخفاف. والسفعة: السواد. والسندس: رقيق الديباج.

(٥) جُلذية: الصلبة والجلذاة الصخرة. وتطس: تكسر وتدق. والوطس: وطء الخيل أو الإبل. وناقة نجيحة: مجدة. والجأب: الحمار الغليظ من حمر الوحش.

(٦) أنضيتها: أي أتعبتها من كثرة السَّوق المؤدي إلى الإفضاء وهو الهزال. ومحبس: ضيق.

(٧) طلق: مستبشر منبسط الوجه متهلله. ومتبلج: ضاحك هاش مشرق الوجه. والفهه: العي. متعبس: مقطب ما بين عينيه.

(٨) خَذرفت: زجَّت بقوائمها. أخفقاف: واحدها خُف، والخف للبعير كالحافر للفرس. والمحدس: المذهب والمطرح.

(٩) مرسل: منساب. والمسجس: المكدر الفاسد النتن.

حِيبَتْ لـه جَبْلاءُ مـن فـوقِ الصَّفـا   مَجْرٌ يَمُرُّ على الخليجِ الأَخْرَسِ(١)
لُقْمـانُ مُنْتِصـراً وقُـسٌّ نَـاطِقـاً   ولأنـتَ أجـرأُ صَـوْلـةً مـن بَيْهَـسِ(٢)
يَقِـصُ السِّبَـاعَ كـأَنَّ حَـلاّ فَـوْقَـهُ   ضَخْـمٌ مُـذَمِّـرُهُ شَـديـدُ الأنْحُـسِ(٣)
وبـدا سـلاسِـلُ مُـزْبـدٍ مُتَـوقِّـدٍ   كالجَمْرِ تُذكيهِ الصَّبا ومُكَرَّسِ(٤)

* * *

(١) حيبت : نحتت وحفرت . ومجر : ممر الماء . والأخرس : لا صوت له .

(٢) قس بن ساعدة أحد حكماء العرب . والصولة : الوثبة . وبيهس : من أسماء الأسد .

(٣) يقص : يدق أعناقها . والحل : الدهن . ومذمرة : والمذمر : هو الكاهل والعنق وما حوله . والأنحس : عصب في الذراع وهو باطن قوائمه .

(٤) سلاسل مزبد : أراد الحلي . والمزبد : البحر لأن الحلي منه تخرج ، ومتوقد : متوهج ، تذكيه : تلهبه . ومُكَرَّس : يعني الحلي .
ـ « شعر تغلب في الجاهلية ١٩٩ ـ عن مجلة المشرق ١٩٢٢ ـ العدد السابع ـ ص٦٠٨ » ولم أجدها في المصادر والمراجع المتوفرة لدي .

سَلَمَة[*] بن خَالد التَّغلبي
« السَّفاح »

هو السَّفَّاح ، سَلمة بن خَالد بن كَعْب ، القُنْفد ، بن زُهَيْر بن تَيْم بن أُسامة بن مَالك بن بَكر بن حُبَيْب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِب[1] .

كان السَّفَّاح جَرّاراً للجيوش في الجاهليَّة ، وإنما سمي السَّفَّاح لأنَّه سفَح المزاد أي صبَّها يوم كاظمة وقال لأصحابه : قاتلوا فإنّكم إن انهزمتم مُتُّم عطشاً[2] .

قال الأخطل :

أَبَنـــي كُلَيْـــب إنَّ عَمّـــي اللَّـــذا ... قَتَــلا المُلــوكَ وفكَّكــا الأَغْــلالا
وأخــوهمــا السَّفَّــاح ظمَّــأَ خيْلَــهُ ... حتَّـى وَرَدْنَ جِبَـا الكُـلاب نِهَـالا[3]

كان السفاح أبرصاً وقام يخطب في حرب بكر بن وائل وتَغلب فضرط ، فقال : كل أبلق ضروط[4] .

وفي يوم خَزاز قدَّمَ كليب وائل السَّفاح على رأس جيش وأمرهم أن يوقدوا على خَزاز ناراً ليهتدوا بها وخَزِاز جبل بِطخْفة ما بين البصرة إلى مكة ، وهو

(*) جمهرة أنساب العرب ٣٠٦ ، الاشتقاق ٣٣٧ ، الكامل في التاريخ ١/ ٥٢١ ، ٥٥٠ ، المحبر ٣٠٠ ، معجم البلدان ٢/ ٤١٧ ، المعارف ٥٨١ ، النقائض ١/ ٤٥٧ ، الروض المعطار ٢٦١ .

(١) جمهرة النسب ٣٠٦ .

(٢) الاشتقاق ٣٣٧ . وكاظمة : اسم ماء ، من مياه شيبان ، وبين البصرة وكاظمة ثلاثاً . وهي طريق المنكدر لمن أراد مكة . وقال امرؤ القيس :

إذا هُـنَّ أرسـالٌ كـرِجْـلِ الـدَّبَـى ... أو كقَطَـا كـاظِمـةَ النُّـاهِـلِ

« معجم ما استعجم ١١٠٩ » .

(٣) النقائض ١/ ٤٦٠ .

(٤) المعارف ٥٨١ ، وفي المحبر ٣٣٠ . البلق في الخيل عيب ، فيقول : ليس بفعل هذا إلاّ معيب .

قريب من سالع وهو جبل أيضاً وقال له إن غَشيك العدو فأوقد نارين ، وأوقد النارين وكانت موقعة طاحنة بين مذحج وربيعة بخزاز فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها ، فقال السَّفاح في ذلك .

وليلــةَ بــتُّ أوقــدُ فــي خَــزَاز هَــدَيــتُ كتــائبــاً مُتَحيِّــراتِ
ضَلِلْــنَ مِــن السُّهــادِ وكُــنَّ لــولا سُهَــادُ القَــوْمِ أحســبُ هَــاديــاتِ

وقال الفرزدق يخاطب جريراً ويهجوه :

لــولا فــوارسُ تَغلــب بــانــة وائــل دَخَــلَ العــدوُّ عَليــكَ كُــلَّ مَكــانِ
ضَربوا الصَنائعَ والملوكَ وأوقدوا نــارَيْــن أشــرفنــا علــى النيــرانِ[1]

وكان للسَّفَّاح مشاركة يوم الكُلاب الأول وهو على طليعة تَغلب[2] .

وقال السَّفَّاحُ في ذلك :

وَرَدْنَــا الكُــلابَ علــى قَــوْمِنــا بــأَحْسَــنِ وِرْدٍ لهَيْجــا شِعَــارا
وقَــدْ جَمَعــوا جَمْعَهُــمْ كُلَّــهُ وجَمْــعَ الــرِّبــابِ لَنَــا مُسْتَعَــارا

وقال أيضاً :

هَلاَّ سَأَلْتَ ورَيْبُ الدَّهْرِ ذو غِيرٍ أَنْ كَيْفَ صَقْعَتُنا ذُهْلَ بنَ شَيْبانَا
أَمّا بنو الحِصْنِ إذْ شالَتْ نَعامَتُهُمْ فَيْخرُجُ المَرْءُ مِنْ ثَوْبَيهِ عُرْيانَا
أَمّـا الـرِّبـابُ فَـوَلَّـوْنـا ظهـورَهُـمُ وأَجْـزَرونـا أَبـا سَلْمَى وسُفْيانا[3]

وكان أول من ورد ماء الكُلاب[4] من بني تَغلب رجل من بني عبد بن جُشَمَ

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٢ ـ وسأفرد للأيام باباً خاصاً لها .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٥٥٠ .

(٣) قوله أَجْزَرونا أَبا سَلْمَى : يقول : صَيَّرونا جَزَراً للأعْداء ، وأبو سلمى من بني رياح أحد بني هَرْميّ بن رياح ، وسفيان بن حارثة بن سليط بن يربوع ، وفي نُسخة ابن سعدان جارية بن سليط . (نقائض جرير والفرزدق ١/ ٤٥٧) .

(٤) الكُلاب : اسم ماء ما بين الكوفة والبصرة واسم الماء قِدَة ، وإنما سمي الكُلاب لما لاقوا فيه من الشر (معجم البلدان ٤/ ٥٣٦) . =

يقال له النُّعمان بن قريع ، ثم وَرَدَ سلمة في تغلب وسيد وجماعة الناس وعلى بني تَغلب السَّفاح وهو يقول :

إنَّ الكُـــلاب مـــاؤُنـــا فخَلُّـــوهُ وسَـــاجِـــراً واللهِ لَـــنْ تَحُلُّـــوهُ[1]

ولما رجعَ كَثيفٌ بن حّي بن الحارث إلى بني تَغلب وقد قتل بني الزّبان[2] قال للسَّفَّاح بن خالد :

أَلاَ يـــا للظَّعَـــائـــنِ لـــو سَـــريْنَـــا لَعـــلّ الخَيْـــلَ يقْضِيهـــنّ دَيْنَـــا
فَلمّـــا أَنْ أَتَيْـــنَ علـــى ثَميـــلٍ تَـــأَزَّرْنَ المَجَـــاسِـــدَ وارْتَـــدَيْنَـــا
ألا مـــن مُبْلِـــغٌ عَمْـــرو بـــن لأيٍ بـــأَنّ بَنَـــانَ ولـــدتِـــه لَـــديْنَـــا
فلَـــمْ نَقْتُلْهُـــمُ بـــدَمٍ ولَكِـــنْ هـــوانُهُـــمُ ولُـــومُهـــمُ عَلينـــا[3]

كما اشترك السفاح يوم بطن حنين في الغارة على بني ثعلبة[4] وكذلك قام بالغارة على هوازن وهو من أيام تغلب على هوازن[5] .

* * *

---

(١) النقائض ٢/ ١٠٧٥ .
(٢) عمرو بن الزبان ـ انظره في يوم أقطان ساجر من هذا الكتاب .
(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٢٥٥ وله أشعار سأذكره في الأيام من هذا الكتاب .
(٥) الأنوار ومحاسن الأشعار/ ٢٦١ . وللسفاح فيه أشعار كثيرة سأذكرها في يوم لتغلب على هوازن .

سَمعون(*) التَّغلبي

شاعر من شعراء تغلب .

وفد على عبد الملك بن مروان .

كلم سَمعون التَّغلبي عبد الملك بن مروان بشيء أغضبه ، فرماه بخرز كان في يده فضحك به قوم من بني تميم .

فقال سمعون التَّغلبي :

أَمن حَذفةٍ بالخرزِ عَرضاً تباشرت عِـداتـي فـلا عَـارٌ علـيَّ ولا نكـرُ[1]

فــإنَّ أميــرَ المــؤمنيــن وفعلَــهُ لكالدهرِ لا عَارٌ بما فَعلَ الدهرُ[2]

ويقال : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خَرزة ليعلم عدد سِني مُلكِه ، قال لبيد يذكر الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّاني :

رَعى خَرَزاتِ المُلكِ عشرين حِجَّةً وعشرين حتى فَادَ والشَّيْبُ شَامِلُ[3]

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٩ ـ انظر ص ٣٤٢ ـ ربما كان الاسم واحداً لأن الحادثة مع عبد الملك نفسها ، والشعر نفسه وإن اختلف بعض الشيء .

(١) الخَرَزُ : فُصوص من حجارة ، واحدتها خَرزَةٌ . وقيل : الخَرزُ فصوص من جيّد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه . وخَرزَاتُ الملك : جواهر تاجه . (لسان العرب ـ خرز) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٩ .

(٣) لسان العرب (خرز) .

شُريح[*] بن بُجير التَّغلبي

قال في حرب داحس والغبراء التي وقعت بين عبس وذبيان وكانت فيهم أربعين سنة :

وَنَحنُ حُبسْنَا بالمَصيفِ ثَمانيا ... نحشُّ الجيادَ الراء فَهي تَأودُ[1]
وفيها إذا جدَّ الصَوارخ شَاهد ... من الجري أو تدعى له فتجرّدُ
ولو أنَّ قَومي قَوم سوء أذلة ... لأَخْرَجني عَوفٌ وعَوفٌ وعِصيَدُ[2]
وَعَنترةُ الفَلْحَاءَ جَاءَ مَلأماً ... كأنّكَ فِنْدٌ من عَمايةِ أَسود[3]
تطيفُ بهِ الحشاشُ يبس تلاعه ... حِجَارته مِنْ قِلَةِ الخيل تصلدُ[4]
ولكن قومي أَحْرَزَتني رِمَاحهم ... فأعطى الود مَنْ يتودَدُ
إذا جَاءَ مريٌّ جَرَرْنَا بِرأسهِ ... إلى الماءِ والعبسي بالنارِ يَفْأَدُ[5]
فأمَّ بن سَيَّار بن عَمرو بن جَابر ... فَفَوَّز ظم الضَّب أو هو أَصْلَدُ[6]

* * *

(*) أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(١) الراء : شجر مر ، يقول : حبسنا ، نحبس خيلنا على الثغر حفاظاً فهي تأود ضعفاً .

(٢) الأول : عوف بن أبي حارثة ، والثاني عوف بن سبيع ، وعصيد : لقب لحصن بن حذيفة .

(٣) الفلحاء : كل مشقوق الشقه ، ومنه قولهم : الحديد بالحديد يفلح ، والفلاح : الأكار الذي يشق الأرض . والفلح : شق . وفند : قطعة من الجبل . وعماية : جبل .

(٤) الحشاش : الذين كانوا يحتشون . يقول : لا خير فيهم . والصلد : اليابس .

(٥) يفاد : يشوي ، والفئيد : الشعراء .

(٦) فَوَّزه : أي ركب المفاوز كالضب الذي لا يشرب الماء . « أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ » .

شَمْعَلُ[*] بن الحُصين التَّغلبي

كَلَّمَ شَمْعَلٌ[1] التغلبيُّ عبد الملك كلاماً لم يَرْضَهُ . فرماه عبد الملك بِجُرْزٍ[2] فَخَدشَ وهَشَمَ فقال شَمعلٌ :

أَمِنْ حِذْيَةٍ[3] بالرِّجْل مِنِّي تَباشَرَتْ عُـدَاتـي فـلا عَيـبٌ علـي ولا سُخْـرُ
وإنَّ أميـرَ المـؤمنيـن وسَيْفَـهُ لَكَالدَّهْرِ ، لا عارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ[4]

وجاء أيضاً :

ومن مليح الاعتذار لمسيءٍ قولُ شَمعل بن الحصين التغلبي ، وكان خاطب عبد الملك بن مروان بكلام أغلظه فرماه بشيءٍ أصاب ساقه فقال :

أَمِنْ ضَرْبَةٍ بالرجل مني تباشَرَتْ عـدايَ فـلا عَـارٌ علـيّ ولا سُخْـرُ
وإنَّ أميـرَ المـؤمنيـن وفعلَـهُ لكالدهرِ لا عارٌ بما فَعَلَ الدهرُ[5]

* * *

(*) مجموعة المعاني ٢٦٢ . الكامل للمبرد ٣/ ١٠٧٢ ، التذكرة الحمدونية ٤/ ١١٥ .
(١) سماه ابن حبيب والآمدي والمعري والجرجاني شمعلة .
(٢) الجرز : عمود من حديد .
(٣) الحِذْيَةُ من اللحم : ما قطع منه طولاً ، وقيل القطعة الصغيرة .
(٤) الكامل للمبرد ١٠٧٢ ـ وفي حاشيته إن الخبر جرى له مع هشام بن عبد الملك ، ونسب الشعر لأعشى بني تغلب ، ونسب الثاني للأخطل وهما في المصون ٦٩ ، ٩٩ ، وأخبار أبي تمام ٢١ .
(٥) التذكرة الحمدونية ٤/ ١١٥ ، مجموعة المعاني ٢٦٢ ورد فيها (عُداتي) . في عجز البيت الأول .

ظَريفٌ من تَغْلِب

قال رجلٌ من بني تَغلب ، وكان ظريفاً : ما لقي أحدٌ من تَغلب ما ألقى أنا ! قلت : وكيف ذاك ؟

قال : قال الشاعر[1] :

لا تَطلُبَنَّ خُؤُولةً في تَغلِبٍ فالزِّنجُ أكرَمُ مِنهُمُ أَخْوَالا[2]
لو أنَّ تَغْلِبَ جَمَّعتْ أَحْسَابهَا يومَ التَّفاخُرِ لمْ تَزِنْ مِثقَالا[3]
تَلقَاهمُ حُلماءَ عن أعدائهمْ وعلى الصَّديقِ تَراهمُ جُهَّالا
والتَّغْلِبيُّ إذا تَنَحنَح لِلقِرَى حَكَّ استه وتَمثَّلَ الأمثالا[4]

* * *

---

(١) هو جرير ، من قصيدة له في ديوانه ٤٤٨ ـ ٤٥٣ يهجو بها الأخطل التغلبي ، مطلعها :

حَيِّ الغداة برامة الأطلالا رسماً تحمل أهله فأحالا

(٢) إهانة صريحة لتغلب ، أي لا تطلب خؤولة منهم لأن الزنج أكرم منهم أخوالاً وهذا به إجحاف بحق تغلب سواء كان الأمر جاداً ، أو قصد به الهزل والمزاح .

(٣) في الديوان : « يوم التفاضل » .

(٤) وفي العمدة (٢ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧) : قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

وقال هو :

والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

ـ البيان والتبيين ٤/ ٨٢ ، ٨٣ ـ وكذلك الحواشي .

عَبَّاد[*] بن عَمرو بن كُلثوم

عَبَّاد بن عَمرو بن كُلثوم بن مَالك بن عتَّاب بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلب .

وهو فارس من فرسان تغلب . وقاتل بِشْر بن عمرو بن عُدس[1] .

مدحه معاوية بن خالد بن كعب بن زهير بن جشم . . . . بن تغلب فقال :

جَزى اللهُ عَبَّادَ بـن عَمـرو وَرَهْطَـهُ سُـروراً فنعـم القَـومُ عنـدَ الهَـزَاهِـزِ
هُـمُ قَتلـوا بِشْـراً وَرَدّوا خيـولَـهُ بطعنٍ كإبزاغِ المخَاضِ الحوامزِ[2]

وفي حماسة البحتري : فيما قيل في المحافل والمشاهد قال عبَّادُ بن عمرو :

وَمَقَـامَـةٍ غُلْـبِ الـرِّقـاب شَهِـدَتُهُـمْ تَغْلـي مَـراجِلُهُـمْ لَـدَى الأبـوابِ[3]
مُتَسَـرْبلـي البَغضـاءِ بَـادٍ شَنْـؤُهُـمْ خُـزْرٍ عُيـونُهـمُ علَـيَّ غِضَـابِ[4]
يَـومـاً بـأَبـوابِ المُلـوكِ عَلـوتُهـمْ ببَيَـانِ ذي جَـدَلٍ وَفَصْـلِ خِطَـابِ[5]
كَفَّيْـتُ غَـائِبَهُـمْ وكنْـتُ وَلِيَّهُـمْ فَـرَجْعـتُ مَحْمُـوداً بِغَيْـرِ ثَـوابِ[6]

وفيما قيل في ذم عاقبة البغي والظلم ، قال عَبَّاد بن عمرو التَّغلبي :

(*) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ . حماسة البحتري ١٦٧ ، ٢٦٣ . جمهرة النسب ٥٦٦ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ ، وجمهرة النسب ٥٦٦ .

(٢) ورد في كتاب شعر تغلب في الجاهلية ١٦٤ ـ عن شعر عمرو بن كلثوم ٦١١ . الإبزاغ : اخراج الشي دفعه دفعة والطعنة توزغ الدم . (لسان العرب ـ بزغ) .

(٣) المقامة بالفتح : الجماعة من الناس . والأغلب : غليظ الرقبة .

(٤) شنأ : بغض . وخُزر عيونهم : أي ينظرون عن معارضة ودهاء .

(٥) علوتهم : تقدمت صفوفهم . والبيان : يعني به حسن الكلام وبليغه .

(٦) كفيت غائبهم : أي قمت مقام من غاب أدافع عنه وأطالب بحقوقه . والولي الناصر والقائم بأمورهم . (حماسة البحتري ٢٦٣) .

هَلاَّ سأَلْتِ بني السَّفَّاح هَلْ سَعِدُوا[1] بـأمـرِهـمْ إنَّ غِـبَّ البَغْـي خَـوَّانُ
ما وَرَّث البَغْي قَوْماً غَيرهُمْ رَشَداً بـل يَهلكُـونَ بـهِ والـدَّهْرُ ألـوان[2]

عبد الجبار(*) بن أحمد التَّغلبي

هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الله بن علي أبو القاسم التَّغلبي الأديب .

أنشد لأبي الفرج الببغاء :

يـا غـازيـاً أَتـتِ الأحـزانُ غـازيـةً إلى فؤادي في الأحشاءِ حين غَزا
إن بـارزتـكَ كمـاةُ الـروم فـارِمِهـمُ بسهمِ عينيكَ تَقتلْ كلّ مَن برزا[1]

وأنشد أبو القاسم :

مـن سـرّهُ العيـدُ فمـا سـرَّنـي بـلْ زادَ مـن همـي وأشجـانـي
لأنّـه ذكـرنـي مـا مضـى مـن عَهـدِ أحبـابـي وإخـوانـي

* * *

---

(١) في شعر تغلب في الجاهلية ١٦٤ ـ عن شعر عمرو بن كلثوم ٦١١ (شعروا) .
(٢) في شعر تغلب في الجاهلية ١٦٤ ـ عن شعر عمرو بن كلثوم « ما أورث . . . . . في كل أزمان » .
ـ والشعر من حماسة البحتري ١٦٧ . ولقد جاء في شعر تغلب في الجاهلية ١٦٤ عن شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٦ : التتمة :

يـا مُـوعـديّ بـأسْمـانِ الخيـول ومـا يرثي المُصابُ لمهزولٍ ولا وَانِ
إنّا لفي مَنْزلٍ ما إن نَخافُ به أمثـالكـم يـا بنـي غَنْـمِ بـنِ دُودَانِ

(*) مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ١٥٥ .
(١) الكميُّ : الشُّجاع ، أو لابس السِّلاح جمع كُماةٌ وأكْمَاءٌ (القاموس المحيط) .

عبد الجبار[*] بن عبد الله التَّغلبي

هو عبد الجبار بن عبد الله بن علي أبو القاسم التّغلبي الأُوجي[1] .

أنشد لأبي الفرج حمد بن علي الزعفراني :

مَضيقُ الأمورِ إلى مَفْرَجِ ... وكلّ خليّ كأنْ قَدْ شَجي

فيا شامتاً بنعيي أَفِق ... فإني هناكَ إلى أن تَجي

عبد الله[**] بن علي بن أبي عَقامة

هو القاضي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن علي بن أبي عَقامة .

كان شاعراً مُجيداً ، ومن شعره[1] .

مالهذا الوَفاءِ في الناسِ قلاّ ... أَتُراهم جَفَوْهُ حتى اسْتَقَلاّ

ومن ترسله يخاطب ابن عمّه القاضي أبا حامدِ بن أبي عَقامة وقد شجرت بينهما منافسات على الحكم :

سَلْ عني قومَك ونفسك ، ويومك وأَمْسَك ، تَجدْ ني معظَّماً في النفوس ، قاعداً على قمم الرؤوس .

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ١٤/١٥٨إ .

(١) الأُوجي : نسبة إلىِ أُوج : قرية صغيرة لصنف من الأتراك بما وراء سيحون (معجم البلدان) ١/٣٢٨ .

(**) انظر نسبه إلى تغلب في هذا الكتاب ـ بني أبي عَقامة . خريدة القصر وجريدة العصر شعراء الشام ٣/ ٢٤٥ . ويذكره الجندي (النكت ٦٤٧) فيقول : « منهم أبو محمد عبد الله بن علي بن أبي عقامة وهو ابن أخي الحسن أبي محمد القاضي الشهيد . . . » .

(١) ورد في حاشية الخريدة (في مختصر المفيد) ومنهم القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي عقامة والد محمد الحفاتلي ، وكان شاعراً مجيداً ولا أحفظ له إلا قوله :

عبد الله(*) بن عمرو بن كلثوم

قال ابن حزم عن أبناء عمرو بن كلثوم :

وبنوه : عبد الله ، والأَسْود ، شاعران سيدان ، وعبَّاد ، وهو قاتل بِشْر بن عمرو بن عُدس(١) .

ولقد كان عبد الله من الأهمية بمكان في قومه وإلا لما مدحه الشاعر أبو اللحام التّغلبي(٢) بقصيدة طويلة :

أنْضَيْتُهـا بعـد المِـراحِ إلـى امـرىءٍ ... جَلْدِ القوى في كُلِّ ساعة مَحْبِسِ
طَلْـقٍ يَـراحُ إلـى النَّـدى مُتبلِّـجٍ ... كـالبْـدرِ لافَـةٍ ولا مُتَعَبِّـسِ
ولأنـتَ أجـودُ مـن خليـجٍ مُـرْسَـلٍ ... متتـابـع التيـارِ غَيْـرِ مُسَجَّـسِ(٣)

شعره :

قال عبد الله بن عمرو بن كلثوم :

لقـد عَلِمَـتْ أَفْنَـاءُ تَغْلِـبَ كُلّهـا ... إذا نُسِبَـتْ بـأنَّنـا مِـنْ خيـارهـا(٤)
وأنّـا أُسَـاةُ الأمْـرِ منهـا وأنّهـا ... إذا قِيلَ: من يحمي؟ حُمَاةُ ذِمارِها(٥)

(*) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ . وانظر نسبه في ترجمة أخيه ووالده في هذا الكتاب .
(١) المصدر السابق نفسه ٣٠٤ .
(٢) انظر ترجمة أبو اللحام التغلبي في هذا الكتاب .
(٣) القصيدة كاملة في ترجمة أبي اللحام .
(٤) أفناء : أخلاط .
(٥) أساة الأمر : معالجوا الأمور . ضالعون لمجابهتها . والذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحمايته والدفاع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم .

وأنَّــا إذا نــابَــتْ عليهــم عَظِيمــةٌ ذوو العَقْدِ من بكر وعَقْدِ جوارها[1]

* * *

(١) نابت : أي نزلت عليهم وحلت بهم . والعظيمة : النائبه : وهي ما ينوب الإنسان من الحوادث والملمات . وذو العقد : أي حَفَظَة العهود وصيانة المواثيق . « شعر تغلب في الجاهلية عن شعر عمرو بن كلثوم ٦١٩ ـ ٦٢٠ » .
ـ لا يعقل أن يكون لشاعر ثلاثة أبيات من الشعر إمّا فُقد شعره وضاع ، وإمَّا يقبع تحت غبار كثيف في زاوية ما لا ترى النور ، أو كان من أصحاب الحظ السيء لم يتناقل شعره الرواة ؟! .

عبْدُ(*) هِنْد بن زَيد التَّغلبي

شاعر جاهلي قال :

أَلاَ رُبَّ هَمٍّ قَدْ خَلَوْتُ به وَحْدي شَتيتٍ فَمِنْهُ مَا أُسِرُّ وما أُبْدي (١)

فَأَمَّا الَّذي أُخفي فلستُ بِذَاكرٍ إلى مَنْ أَراهُ لا يُبَالي الَّذي عِنْدي (٢)

وَأَمَّا الَّذي عِنْدي فبلِّغْ ولا تَدعْ بَني مَالك أَنْ قد أُشِئتُ إلى الجَهدِ(٣)

فإِنَّ السِّنانَ يَركبُ المَرءُ حَدَّهُ مِنَ الخِزْي أو يَعدو على الأَسدِ الوَردِ(٤)

فَلاَ أَسْمَعَنْ مِنكُمْ بأَمْرٍ مُنأْنأٍ ضَعيفٍ ولا تَسْمَعْ به هَامتي وَحدي(٥)

وإِنَّ الَّذي يَنْهَاكُمُ عن تَمامِهَا يُنَاغي نِسَاءَ الحيِّ في طُرَّةِ البُردِ (٦)

يُعَلَّلُ والأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمْرَهُ كمَا تَنْقُصُ النِّيران من طَرفِ الزَّنْدِ (٧)

فَسيرُوا بِقَلْبِ العَقربِ الآنَ إِنَّهُ سَواءٌ عَليهِ بالنُّحُوسِ وبالسَّعْدِ (٨)

أَلا ليتَ شِعْري من بَني الجَونِ مَالكٍ إذا مِتُّ مَنْ يحمي ذِمَارَهُمُ بَعْدي (٩)

(*) الوحشيات ١٩ ـ لسان العرب (نأنأ) الحيوان ٦/ ٥٠٢ . والقصيدة وردت كاملة في الوحشيات . وفي لسان العرب (نأنأ) العجز والضعف . أو عاجز جبان ضعيف . وأورد البيتان (٤ و٥) وقال : عبد هند بن زيد التغلبي شاعر جاهلي . كما نسبت الأبيات في حماسة البحتري ٢٦ إلى عبد الله بن زيد التغلبي .

ـ كما ورد في كتاب الحيوان ج٦/ ٥٠٢ وقال عبدُ هند : وذكر له الأبيات (٤،٦،٧) .

ـ وفي البيان والتبيين ٣/ ٣٤ نسبت الأبيات (٤،٦،٧) إلى عمرو بن هند . وكلا الكتابين للجاحظ هل الحق على هذا الخطأ يقع على عاتق الجاحظ أم الرواة ؟!

سَـأحمِيهـمُ مـا دُمـتُ حيّـاً وإن أَمُـتْ   يَقُومُوا على قَبْرِ امرِىءٍ فاجعِ الفَقْدِ[1]

*   *   *

(١) الوحشيات ١٩ .

ـ ومن خلال البحث وجدت في كتاب التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٩٢ . حول مقتل طرفة بن العبد ، والملك عمرو بن هند . (وبنو تغلب تقول : كتب له إلى عبد هند بن حر بن حري بن حرورة بن حمير التغلبي ، وكان عامله على البحرين) . ولم أعرف إذا كان تشابه بالاسم بينهما أم هو نفسه ؟ أي كان عبد هند عامل عمرو بن هند على البحرين . وهل هو الشاعر ؟

ـ وفي جمهرة أنساب العرب ١/ ٢١٤ جاء : (فبعث عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب ، يقال له : عبد هند بن تغلب ، واستعمله على البحرين ، وكان رجلاً شديداً شجاعاً ، وأمره بقتل طرفة ، وقتل ربيعة بن الحارث العبدي ، فقدمهما عبد هند ، وقرأ عليهما وعلى أهل البحرين عهده) .

عتبة(*) بن الوَغْل التَّغْلبي

هو عُتبة بن الوَغْل بن عبد الله بن عَنْز بن حبيب بن الهِجْرِس بن تَيْم بن سَعد ابن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وائل[1].

وقال ابن دريد : ومن بني تغلب عُتبة بن الوَغْل أدرك علياً رضوان الله عليه[2].

وجاء في اللسان : والوَغْل : المدعي نسباً ليس منه ، والجمع أوغال . والوَغْل والواغِلُ : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يَدْعُوه إليه . وقال امرؤ القيس :

فـاليـوم أُسقـى غيـرَ مُسْتَحْقـبٍ إثْمـاً مـن الله ، ولا واغِـل

وقال عمرو بن قميئة :

إن أكُ مِسْكيـراً فـلا أشـرب الـ ـوَغْـلَ ، ولا يَسلَـمُ منـي البَعيـر

وشُربٌ واغِلٌ على النسب ؛ قال الجعدي :

فَشَـرِبْنـا غيـر شُـرْبٍ واغِـلٍ ، وعَلَلْنـا عَلَـلاً بعـد نَهَـل

وفي حديث عليّ ، عليه السلام : المُتَعَلّق بها كالواغِل المُدَفَّع ؛ الواغِلُ الذي يَهْجُم على الشُّرَّاب ليشرب معهم وليس منهم مُدَفَّعاً معهم .

وَوَغَلَ في الشيء وُغولاً : دخل فيه وتوارى به ، وقد خُص ذلك بالشجر . وَوَغَل : ذهَب وأبعد[3] .

(*) جمهرة أنساب العرب ٣٠٥ ، الاشتقاق ٣٣٧ ، الحماسة البصرية ٢/ ٣٠٥ ، خزانة ٣/ ٥٠ . معجم البلدان ٢/ ٣٨٩ . تاريخ الطبري ٤/ ٣٦ ، ٤٠ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٥. وجاء في معجم البلدان عُتبة بن الوَغْل ، وكذلك في تاريخ الطبري عتبة بن الوَعْل . والاسم هو نفسه سواء كان بالعين أو بالغين وهو من تغلب وهذا هو شأن النقطة ولا مشكلة هنا في الأمر .

(٢) الاشتقاق ٣٣٧ .

(٣) لسان العرب : وغل .

وذكر الطبري في حوادث سنة «١٦هـ» فتح تكريت والحصنين ، كان عُتبة بن الوَعْل من قادة الفتح وكان على رأس تغلب وإياد والنَّمر عُتبة بن الوَعْل أحد بني جُشَمْ بن سعد[١] .

وعندما اجتمعت الوفود إلى عمر بن الخطاب في سنة «١٧هـ» كان في وفود عبد الله بن المعتم عُتبة بن الوَعْل وذو القُرْط ، وابن ذي السُّنيْنة وابن الحُجير وبشر ، فعاقدوا عمر على بني تغلب فعقد لهم ؛ على أنّ مَن أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومَن أبى فعليه الجزاء ؛ وإنما الإجبار من العرب على من كان في جزيرة العرب .

فهاجر هؤلاء التَغلِبيون ومن أطاعهم من النمرِيّين والأياديين إلى سعد بالمدائن وخطُّوا معه بعد بالكوفة وأقام من أقام في بلاده على ماأخذوا لهم على عمر مسلمُهم وذمّيُّهم[٢] .

وجاء في معجم البلدان قال عُتبة بن الوَعْل التغلبي :

كأنَّكَ يا بنَ الوعلِ لم ترَ غارةً	كوردِ القَطا النِّهْيَ المعيف المكدَّرا
علـى كـل محبـوكِ السـراةِ مفـزَّع	كميت الأديـمِ ، يستخفُّ الحـزَوَّرا
ويـومٍ ببَـاجِسْـري كيـومِ مَقيلـةٍ ،	إذا ما اشتهى الغَازي الشَّراب وهَجَّرا[٣]
ويومٍ بـأعْلى خـانقيـن شـربتـه ،	وحُلْـوَان حُلْـوَان الجبـال وتُسْتَّـرا[٤]

=(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٦ . (٢) المصدر السابق نفسه ٤/ ٤٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه ٤/ ٤٠ .

(٣) باجِسْرى : بليدة شرقي بغداد بينها وبين حُلْوان على عشرة فراسخ من بغداد ، وهي عامرة نزهة كثيرة النخل والأهل . وقال عبيد الله بن الحُرّ يذكرها :

ويوم بباجِسْرَى هَزَمْتَ ، وغُودِرَتْ   جماعتهم صَرْعى لدى جانب الجسر

معجم البلدان ١/ ٣٧٢ .

(٤) خَانِقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال ، ومن قصر شيرين إلى حُلْوَان ستة فراسخ . معجم البلدان ٢/ ٣٨٩ وجاء في الروض المعطار ٢١٠ سميت بخانقين . لأن النعمان =

وللهِ يــوم بــالمَـدينــةِ صــالــحٌ   علــى لــذَّةٍ منــهُ إذا مــا تيَسَّــرا[2]

قال يهجو كعب بن جُعيل :

وَسُمِّيــتَ كَعبــاً بشــرِّ العظــامِ   وكــانَ أبــوكَ يُسمَّــى الجُعَــلْ

وأنــتَ مكــانَــكَ مــن وائــلٍ   مكان القُرادِ من من إستِ الجَمَلْ[3]

* * *

= حبس عدي بن زيد وخنقه فيه حتى مات .

وقال البشاري : وخانقين أيضاً بلدة بالكوفة .

وحُلْوَان : قيل إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به ، وحلوان هذه مدينة عامرة ، قال أبو زيد أما حلوان فإنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرّ من رأى أكبر منها (معجم البلدان ٢/ ٣٣٤) ويوجد في مصر حُلوان ، وأيضاً حلوان بليدة بقوهستان نيسابور .

(٢) معجم البلدان ٢/ ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٣) الحماسة البصرية ٢/ ٣٠٥ ـ ونسب الشعر أيضاً للأخطل ، ولجرير .

وفي الخزانة ٣/ ٥٠ جاء صدر البيت الأول (سمِّيت . . . .) وصدر البيت الثاني (وإنّ مكانك . . . .) .

عثمان(*) بن أبي الفتوح بن أبي عقامة التغلبي

هو القاضي أبو العزّ عثمان بن أبي الفتوح بن علي بن محمد بن علي بن أبي عَقامة ، وهو ابن عم الحفائلي .

ذكره عُمارة في فضله بالغزارة ، وفي جاهه بالنَّضارة ، وقال : ولي القضاء في الأَعمال المُضافه[1] لزبيد وكان جواداً مداحاً ممدّحاً ، يخلع على الشعراء ويُعينهم .

وكان أبوه القاضي أبو الفتوح[2] واحد عصرِه ، ونسيج دهرِه في العلم وصنفّ كتباً في المذهب والخلاف ، لم يتفقّه أحدٌ بعد تصنيفها إلاّ منها .

وفي هذا أَبي العزّ ولده يقول : القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب ، وقد أوردناه في شعراء مصر حين دخل اليمن في أيام الراهب ، قصيدة منها .

---

(١) انظر نسبه إلى تغلب في هذا الكتاب ـ بني أبي عَقامة . الخريدة ج٣/ ٢٤٦ شعراء الشام .

(٢) في « مختصر المفيد » : ومن شعراء اليمن المجيدين المكثرين في كل فن ولد لهذا أبي الفتوح ، وولي القضاء في الأعمال المصاقبة لزبيد مثل حَيْس ، وَفَشال ، وكان . . .

(١) ترجم له الجعدي في « طبقات فقهاء اليمن ٢٤٠ » موجزاً فقال : « القاضي أبو الفتوح بن أبي عقامة التغلبي وكان عالماً مجوّداً ، له مصنفات حسنة منها كتاب التحقيق ، وكتاب الخناثى ، أخذ عنه الفقيه أبي الغنائم عن الشيخ أبي حامد الاسفرائيني .

ـ وفي التاج « عقم » : القاضي أبو الفتوح عبد الله بن محمد بن علي القاضي الأصم بن عبد الله بن محمد أبي عقامة بن الحسن بن محمد هارون بن إبراهيم بن القاسم بن مالك بن طوق التغلبي ، فقيه شافعي انتهت إليه الرياسة باليمن ، وله تآليف عدة في الفقه . وجده محمد بن هارون أول قاض بزبيد حين اختطت قدماه صحبة محمد بن زياد من طرف الرشيد .

أَبنــي عَقــامــةَ لسـت مُقتَصِــداً ... فـي وَصْفِكـمْ بـالمَـدحِ ما عِشـتُ
عَلِقَـتْ يـدَي مِنكـمْ بحبـلِ فَتـىً ... مــا فـــي مَــرَائِــرِ وِدِّهِ أَمْــتُ

ومن شعره أبي العز قوله في رُزيق الفاتكي الوزير(١)

نَفْســي إِليــكَ كَثيــرةُ الأَنْفَــاســي ... لــولا مُقَـاسَـاةُ الـزَمَـان القـاســي

وله :

بـأَيّ المَعَـانـي مِـنْ كِتَـابِـكَ أكْلَـفُ ... وَقَدْ لاَحَ طُومارٌ من النَّفسِ أَكْلَفُ

ومنها في الفخر :

أَصِخْ أذناً وانظر بِعَينِكَ هَلْ تَرى ... مـن النَـاسِ إِلاّ مـن عَقـامـة تَـردفُ

وضمَّن فقال :

تَرى الناسَ ما سِرْنَا يَسيرُونَ خَلْفَنَا ... وإِن نحن أَوْمَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا

ومن مراثيه :

يا صَاحِ قِفْ بالعِرْقِ وِقْفةَ مُعْوِلِ ... وانــزِلْ هُنــاكَ فَثَــمَّ أَكــرمُ مَنْــزِلِ
نَـزَلَـتْ بـهِ الشُّـمُّ البُـواذِخُ بَعْـدَمَـا ... لَحَظَتْهـمُ الجَـوْزَاءُ لَحْظَـةَ أَسَفَـلِ
أَخـواي والـولـدُ العـزيـزُ وَوَالـدي ... يا حَطْم رُمْحي عِندَ ذَاكَ وَمُنْصُلي

ومنها :

هَـلْ كـانَ فـي اليمـنِ المُبَـارِكِ قَبلَنَا ... أحـدٌ يُقيـم صَغـا الغـلام الأَمْيَـلِ
حتــى أَنــارَ الله سُــدْفــة أَهلــه ... ببنــي عَقَــامــة بَعْــدَ لَيــلٍ أَلْيَــلِ
لا خَيْـرَ فـي قَـولِ امـرِىءٍ مُمَـدّحٍ ... لكـنْ طَغَـى قَلمـي وَأَفْـرَطَ مِقْـوَلـي

* * *

---

(١) وزر للفاتك بن منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح .

عُقبة[*] بن فلان التَّغلبي

شاعر من شعراء تغلب قال يرد على أبيات وجدت مكتوبة بماء الذهب على سنان يحيى بن مروان القيسي وهو فارس قيس قاطبة ، طعنه ميسرة بن الصقر بموضع يقال له البفت ، وفيه قال مهدي(١) بن علوان الشاري لبني تغلب : « حاموا على أحسابكم برماحكم » . فقالوا : (لبيك يا أمير المؤمنين لَنُحامينَّ ولنردعنَّ) .

وهو البيت الأول الذي كتب على السنان من عدة أبيات كما ذكر .

ما في البرية أمضى بالسنان ولا ... أضرب بالسيف من يحيى بن مروان

فقال مهدي : ألا من يجيب هذا ؟

فبدر عقبة بن فلان التَّغلبي ـ فقال : يا أمير المؤمنين أنا أجيبه ، فقال :

ما كانَ يَحيى عَزيزاً يوم صَادفنَا ... بمَـاكسيـن ومعـه قَيْـس عَيْـلانْ[٢]

يـوم التقينـا بحيـث البفْـت يهـدينـا ... إلى الفَضائلِ مهديٌّ بن عَلْوانْ[٣]

لاقَـى رجـالاً يَـرونَ القتـلَ مَكْـرُمَـةً ... صُبْـراً إذا رَافَ أقـران لأَقـرانْ[٤]

بيضُ الـوجـوه بَهـاليـل ذَوو حَسَـبٍ ... وِرْداً على الموت في الهيجا إذا حانْ

صَالوا عليهِ فَلَمْ يصبرْ لصولتهم ... فَغَـادَرُوهُ ذَليـلَ الـركـن قَـدْ هَـانْ

لا بُـدَّ ذِكْـرُ العَـوالـي فـي مُفـاخَـرةٍ ... لَحَـا مَـالـكَ يـومـاً يـا ابـن مَـروانْ

قومٌ إذا ما سَطوا بالبيضِ دانَ لهم ... أهلُ البريَّة من إنسٍ ومن جانْ[٥]

* * *

(*) تاريخ الموصل ٣٥١ .

(١) مهدي بن علوان الشاي ـ الحروري ـ من الخوارج ـ تمرد على الخلافة العباسية سنة ٢٠٢ هـ التي كانت مضطربة في بغداد بين إبراهيم بن المهدي ، والمأمون ، وتمرد المهدي بن علوان في خلق كثير . (الكامل في التاريخ ٦/٣٤١) وانظر تاريخ الموصل ٣٤٣ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥٢ .

(٢) ماكسين : بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق من ديار ربيعة ٧/٣٦٦ .

(٣) البفت : موضع لم أجده في معجم البلدان أوفي الروض المعطار .

(٤) راف البدوي يريف أتى .

(٥) تاريخ الموصل ٣٥١ .

العَلاءُ(*) بن عَبد الرّحمن التَّغلبي

كان العلاءُ بن عبد الرحمن التَّغلبي من أهل الأدب والظَّرف ، فواصلته ، جارية من جَواري القيان ، فكان يُظهرُ لها ما ليس في قلبه ، وكانت الجاريةُ على غاية العشق له ، والميل إليه ، فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجاريةُ عِشقاً له وَوَجداً به ، فذكرها بعد ذلك وأَسفَ على ما كان من جفَائه لها وإِعراضهِ عنها ، فرآها ليلةً في منامه ، وهي تقول له :

أَتبكـي بَعـدَ قَتلِـكَ لـي عَلَيّـا ، فَهــلاّ كــانَ ذا إذْ كنــتُ حَيّــا
سَكَبتَ دُموعَ عَينكَ في انهلالٍ ، وَمِـنْ قَبـلِ المَمـاتِ تُسـي إلَيّـا[1]
فيـا قَمـراً بَـرى جِسمـي وَرُوحـي ، ويَقتُلُنــي وَمَــا أَبْقَــى عَليّــا[2]
أَقِـلَّ مِـنَ النِّيَـاحـةِ والمـراثـي ، فــإنّــي مــا أَراكَ صَنَعــتَ شَيّــا

فزادَ ما كان عليه من الأسف والغّم والبُكى ، حتى فاضت نفسه فمات[3] قتلهما الحب الصادق الصافي لأن كُلاّ منهما فاق بإخلاصه الآخر !؟

* * *

(*) مصارع العشاق ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(١) انهَلّت العَيْنُ : سال دَمْعُها . وتسي : أي تسيء من الإساءة .
(٢) بَرى جسمه بَبريه برياً : هَزَلَهُ .
(٣) مصارع العشاق ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

أبو عِلاقة(*) التغلبي

قال :

وكُنْتُ جليسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ ... ولا يَشْقَى بقَعْقَاعٍ جليسُ

ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا(*) بخَيْرٍ ... وعند الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ(*)

وجاء في مناسية قول هذا الشعر :

كان القَعْقَاع(*) بن شَوْر إذا جالسه رجل فَعَرَفَهُ بالقَصْد إليه جعل له نصيباً في ماله ، وأعانه على عدوّه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً .

وقسم معاوية يوماً آنية فضةٍ ودفع إلى القعقاع حظَّه منها ، فآثر به القعقاع أقرب القوم إليه(*) . فذكر هذين البيتين .

* * *

(*) الوحشيات ٢٦٤ ، البيان والتبيين ٣/ ٣٣٩ ، عيون الأخبار ١/ ٤٢٥ .

(١) في عيون الأخبار ، والبيان والتبيين (إن نطقوا) ولم ينسب الشعر إلى أبي علاقه ـ قال بعض الشعراء .

(٢) في الوحشيات ٢٦٤ نسب الشعر إلى أبي علاقة التغلبي .

(٣) قعقاع بن شَوْر من بني بكر بن وائل تابعي من الأجواد . كان في عصر معاوية بن أبي سفيان . وكان يضرب به المثل في حسن المجاورة . قيل : كان يجعل لمن جالسه نصيباً من ماله ويُعيْنُه على عدوه . وترجم له في لسان الميزان « ٤/ ٤٧٤ » وقال من كبار الأمراء في دولة بني أُمية . « حاشية ديوان الأخبار ١/ ٤٢٥ » وحاشية البيان والتبيين ١/ ٤٧ .

(٤) عيون الأخبار ١/ ٤٢٥ .

عَليُّ(*) بنُ مُحمد التَّغلبي (الشِمْشَاطيّ)

هو علي بن محمد الشمشاطي العدوي أبو الحسن[1] .

وقد أَوضح أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (المتوفي سنة ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م) عن معنى (العدوي) الواردة في تمام اسمه ، فقال « هو من عدي تغلب ، عدي بن عمرو بن عثمان بن تغلب ، كان شيخاً بالجزيرة ، وفاضل أهل زمانهم وأديبهم ، له كتب كثيرة[2] .

وجاء أيضاً : هو أبو الحسن علي بن محمد بن المطهّر العَدَويّ ، من عَدِيّ بن تغلب ، المعروف بالشمشاطيّ[3] .

وشِمْشَاط من بلاد أَرمينية من الثغور ، وكان علي الشمشاطي معلم أبي تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه ثم نادمهما ، وهو شاعر مجيد ومصنف مفيد ، كثير الحفظ واسع الرواية وفيه تَزَيُّد[4] . وكان رافضياً دجالاً يأتي في كتبه بالأعاجيب من أحاديثهم . ولأبي القاسم الرقي المنجم فيه يهجوه :

حَـفُّ خـدَّيـكَ دَلَّ يـا شِمْشَـاطـي ... أَنَّـــهُ دائمـــاً لغيـــرِ لـــواط

وإنْبِسَـــاطُ الغُـــلامِ يُعلِمُنـــي أَنْـ ... ـــكَ تَحـتَ الغُـلامِ فـوقَ البسـاطِ

(*) معجم البلدان ٣/ ٤١١ ، الروض المعطار ٣٤٥ ، الفهرست لابن النديم ١٨٨ ، معجم الأدباء ٤/ ١٩٠٧ ، حماسة بن الشجري ٢/ ٨٠٨ ، الديارات ٤١ ، الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٣ . والوافي بالوفيات ٢٢/ ١٥٨ .

(١) معجم الأدباء ٤/ ١٩٠٧ . كل المراجع المذكورة ذكرته الشمشاطي وهو الصحيح . أما الفهرست ذكره السمسياطي .

(٢) الديارات للشابستي ٤١ .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٣ .

(٤) معجم الأدباء ٤/ ١٩٠٧ .

وَشُـــروُطٍ صَبــرتَ كُــرهـــاً عليهـــا　　　لا لهـــا بَـــلْ للَـــذَّةِ المِشْـــراطِ[1]

وقال ابن النديم : « كنت أعرفه قديماً وقد قيل : إنه قد ترك كثيراً من أخلاقه عند علو سنه ويحيا في عصرنا هذا[2] . أحد أبناء المائة الرابعة للهجرة العاشرة للميلاد ـ ومراده زمن تصنيف فهرسته يعني سنة ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م .

وكان سلامة بن دكا أبو الخير الموصلي الذي اعتمد عليه النجاشي يذكره بالفضل والعلم والدين والتحقق بهذا الأمر[3] .

مؤلفاته :

إن مؤلفاته كثيرة وذكر ابن النديم منها في فهرسته : كتاب الأنوار يجري مجرى الأوصاف والملح والتشبيهات ، عمله قديماً ثم زاد فيه بعد ذلك ، وكتاب الديارات كبير . كتاب المثلث الصحيح ، كتاب أخبار أبي تمام ، والمختار من شعره ، كتاب العلم وجَود في تأليفه[4] .

وجاء عنه أيضاً :

وقد نسب إلى شِمْشَاط ، قوم من أهل العلم منهم : أبو الحسن علي بن محمد الشِمْشَاطي ، كان شاعراً وله تصانيف في الأدب ، وكان في عهد سيف الدولة بن حمدان ، وله في علي بن محمد الشِمْشَاطي : أذكر منها :

مَـا للـزَمـانِ سَطَـا علـى أَشْـرَافِنَـا　　　فَتُخُـرّمـوا وعفـا علـى الأَنْبَـاطِ ؟

حتـى إذا ركضَـتْ علـى أَعْقَـابِهـا　　　دُلُـفُ النبيـط إلـيّ مِـنْ شِمْشَـاطِ

---

(١) معجم الأدباء ٤/١٩٠٨ ـ ووردت الأبيات في الوافي بالوفيات ٢٢/١٥٩ .
(٢) الفهرست ١٨٨ ـ الأديرة ٤١ .
(٣) مقدمة الأنوار ومحاسن الأشعار ١/٣ .
(٤) الفهرست ١٨٨ . وله كثير من المصنفات والكتب انظر مقدمة الأنوار ومحاسن الأشعار .

صَـدَقَ المُعَلِّـمُ إِنّهـمْ مـن أُسـرَةٍ   نُجُـبٍ تَسُـوسُهـمُ بَنُـو سُنْبَـاطِ[1]

وجاء حوله أيضاً :

قال البحاثة حبيب زيات : « وفي جزء من تاريخ بغداد لابن النجار (رقم ٢١٣١ خزانة باريس ، ص٣٤) : أنه كان شاعراً يمدح الملوك . أصله في الموصل . سكن بغداد ودخل واسط سنة (٣٩٤ هـ)[2] .

شعره :

له أشعار كثيرة سأقتطف بعضاً منها ، قال الشمشاطي أخذت بين يدي أبي عدنان محمد بن نصر بن حمدان رمانةً فكسرتها ودفعت منها إلى بعض من حضر من الشعراء والأدباء وقلت :

يـا حُسـنَ رُمـانـةٍ تَقـاسمهـا   كـلُّ أَديـبٍ بـالظـرفِ مَنْعُـوتِ
كـأَنهـا قبـلَ كَسـرهـا كُـرةٌ   وَبَعْـدَ كَسـرٍ حَبَـاتُ يـاقُـوتِ[3]

وقال الشمشاطي في صفات الشعر :

جـاءَتْـكَ أَبكـارُ القَـريـضِ يَقُـودُهـا   مِـنْ جُـودِ كَفِّـكَ قَـائِـدٌ وَدَليـلُ
نَجْـدّيـةٌ أَلْفـاظُهـا عَـدَوِيَّـةٌ   أَنْسَـابُهـا ، بَـلْ فَخْـرُهـا مَـوْصُـولُ
قَـدْ قُيِّـدَتْ بعُـلاكَ وهـي سَـوائـرٌ   ولهـا عليْـكَ إذا ظعَـنَّ حُلـولُ[4]

وقال في الرِّمَاح :

وَمُقَـوَّمٌ تَهْتَـزُّ أَعطَـافُ الـردَّى   فـي هَـزِّهِ بيَـدِ الحِمَـامِ مُثَقَّـفُ
خَرِسٌ مَتى شَهِـدَ الـوَغَـى بِلسَـانـه   نَطَقَـتْ بِحُجَّتـهِ المنـايـا العُكَّـفُ
يَـرْنـو إلـى حَـبِّ القُلُـوبِ بِمُقْلَـةٍ   زَرْقَـاءَ أَرْمـدَهـا الـرَّدى مـا تَطـرِفُ

(١) معجم البلدان ٣/ ٤١٢ .
(٢) الديارات للشابستي ٤٢ .
(٣) معجم الأدباء ٤/ ١٩٠٩ .
(٤) الحماسة الشجرية ٢/ ٨٠٨ .

صَـادٍ مَتـى يَـرِدِ النُّفـوسَ يَجـدْ بهـا رِيّـاً وتُصْـدِرُهُ المنـايـا يَـرْعُـفُ[1]

وقال في النواعير :

نَـزَلْنَـا بـأَكنـافِ العِـرَاقِ فَهَيَّجَـتْ نَـواعِيـرُه أحـزانَنـا حيـنَ حَنَّـتِ
تَحِنّ وتَسْقي الرَّوْضَ رِيّاً ولم تَذُقْ هَوَايَ الذي مِنهُ دُموعي اسْتَهلَّتِ
ولم تَعْرِفِ الشَّوْقَ الذي في جوانحي ولا حُـرَقـاً بيـن الضُّلُـوعِ اسْتَكنَّـتِ
ولو عَلِمَتْ ما قد لَقِيتُ ومُلِّكَتْ لِسَاناً لَبَاحَتْ بالهَوَى وتَشكَّتِ[2]

وقال في الرِّباع والمنازل والأَطْلال وَذِكر السَّراب والآل .

مَغَـانـي الهَـوى هَيَّجْـنَ قَلبـاً مُتَيَّمـا مُعَنـىّ بـأشجـان الصَّبَـابـةِ مُغْـرَمَـا
وَقَفْـتُ علـى أطْـلاَلِهَـا مُتَـرسِّمـاً فَكـادتْ لِفَـرْطِ الشَّـوْق أن تتكلَّمَـا
عُهُـودٌ عَهِـدْنَـاهَـا تَشـوق قُلـوبَنَـا سَقَـاهـا عِهَـادُ المُـزْنِ ريّـاً ودَيَّمَـا
رَبَعْـتُ علـى رَبْـعٍ بهـا ولَطَـالمَـا غَنِيـتُ بِمَغْنَـاهُ زَمَـانـاً تَجَـرَّمَـا
عَفَـتْ آيَـةُ الأَنـواءُ حتَّـى تَغيَّـرتْ مَعَـالِمُـهُ بَعْـدي وقَـدْ كـان مَعْلَمَـا
فيـا لَـكَ مِـنْ رَبْـعِ التَّصابي ومَنْزِلٍ خَلا اللَّهوُ مِنهُ حينَ خَلَّينَهُ الدُّمَى
لقَـدْ هَـمَّ أن يُـدي السّلامَ صَبَابـةً إلـيَّ ووَجْـداً إذْ وَقَفْـتُ مُسَلِّمَـا[3]

وقال في الخيل :

ورُبَّ لَيْـلٍ جُبْتُـهُ غِـبَّ سُـرىً بِمُشْـرِفِ الكـاهـلِ مَلْمُـوم الكَفَـلْ
نِسْبَتُـهُ لأَعْـوَجَ ولاحِـقٍ فهـو رَبِيـطٌ مـن رِبَـاطٍ مُنْتَحَـلْ
نَهْـدٍ جَمُـومِ الشَّـدِّ فيـه لَقْـوَةٌ تَنْقَضُّ يَـوْمَ الـدَّجْـنِ خَـوفاً ووَهَـلْ
تَـرَاه فـي إقبـالـه طَـوْداً وفـي إدبـاره سَيْـلاً وَعَـرضـاً مُعْتَـدِلْ
ذِي غُـرَّةٍ كـالصُّبْـحِ فـي داجيـةٍ مـن الظَّـلام أَظْلَمَـتْ منهـا السُّبُـلْ

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٥٥ .
(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٢/ ٥ .
(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ٢/ ٦٤ .

وأَرَبــعٍ تُخْجِــلُ عِنْــدَ جَــرْيِــهِ   رِيحَ القَبُـولِ والجَنُـوبِ والشَّمَـلْ[1]

ومهما قيل عن أبي الحسن علي بن محمد التَّغلبي الشمشاطي يبقى علماً من أعلام عصره ، وترك لنا تراثا وآثاراً طيبة في التاريخ والأدب والشعر ، ونظم من الشعر ما يضاهي به شعراء زمانه ، وكان ينظر إليهم بعين الفاحص الناقد ، وإن كتبه ومصنفاته الكثيرة واختياراته تدل على مقدرته وامكانياته العقلية والفكرية .

* * *

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

ـ لم يذكر التاريخ وفاته ، ويمكن أن تكون قد وقعت في نهاية الربع الأخير من القرن الرابع الهجري . وجاء في الأعلام ٤/ ٣٢٥ ـ كانت وفاته بعد سنة (٣٧٧هـ = بعد ٩٨٧م) .

عَمرو(*) بن الأَيْهم التَّغلبي

هو عَمرو[١] بن الأَيْهم بن أَفْلتْ التَّغلبي ، شاعرٌ مُحسنٌ كثير الشِّعر جَيِّدُ الهِجَاءِ والفخر وبعض الرواة يسميه عُمير بن الأيهم[٢] . ومن تغلب عَمرو بن أَيْهَم الشاعر ، والأَيهم : مشتقٌ من الأَيْهَمين ، وهما السَّيل والبَعير الهائج وأصل الأيهم الذي يركب رأسه فلا يرجع عن الشَّيء[٣] .

وجاء أيضاً : عمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبي ، نصراني جزري كثير الشعر . وقيل اسمه عُمير ، ويقال : هو أعشى بني تغلب . ويروى عن الأخطل أنه قيل له وهو يموت : على من تخلف قومك .

قال : على العُميرين . يريد القُطامي واسمه عُمير بنشُيَيم ، وعُمير بن الأيهم ، ولعلّه صغره[٤] .

ومن قصيدة له يهجو بها قيساً إذ قال :

قَاتَلَ اللهُ قيسَ عيلان طُرًّا مَالَهُم دُونَ غَارةٍ مِن حِجَابِ
ليسَ بَيني وبين قيسٍ عِتَابٌ غَيرُ طَعْنِ الكُلَى وضَرْبِ الرقاب
إذْ جَزَيْنَا قُشَيْرهُم وَهِلالاً وأَبَرْنَا قَبيلةَ ابنِ الحُبابِ

(*) الوحشيات ٤١ ، ٤٢ ، حماسة البحتري ٣٧ ، معجم الشعراء ٦٩ ، من اسمه عمر من الشعراء ١٧٧ ، الاشتقاق ٣٣٧ حماسة أبي تمام ٢/ ٨٠٤ ، الحماسة البصرية ٢/ ١٨٥ ، أمالي القالي ١/ ٤٤ .

(١) هناك خلط في المراجع بين اسم عمرو بن الأيهم التغلبي ، وعمرو بن الأهتم التميمي من جهة ، وبين عمرو بن الأيهم التغلبي وبين أعشى تغلب ، ولقد أفردت بحثاً لأعشى تغلب في هذا الكتاب لإزالة هذا الالتباس الحاصل .

(٢) كتاب من اسمه عمرو من الشعراء ١٧٧ .

(٣) الاشتقاق ٣٣٧ .

(٤) معجم الشعراء ٦٩ .

فَـاقْتَضَيْنَـا دُيُـونَنَـا مِـن عُقيـلٍ ... وشَفَيْنَـا غَليلَتَـا مِـنْ كِـلابِ[1]

لِمَـنِ الـدَّارُ قَـدْ عفَـتْ وَمَحَـاهَـا ... نَسْجُ رِيحٍ وصَائِبَاتُ السَّحَابِ[2]

نَـزَلُـوا مَنْـزِلِ الضِّيـافَـةِ مِنْهـا ... فَقَـرى القَـوْمَ غِلْمَـةُ الأَعْـرابِ[3]

وله في قيس أيضاً :

لا يَجُـوزَنَّ أَرْضنَـا مُضَـرِيٌّ ... بِخَفيـرٍ ولا بِغَيْـرِ خَفِيـرِ

إِشْـرَبَـا مـا اشْتَهيتُمَـا إِنَّ قَيْسـاً ... مِـنْ قتيـلٍ وهَـارِبٍ وأَسيـرِ

شَـرْبـةً تَتْـرُكُ الفَقيـرَ غَنِيّـاً ... حَسَـنَ الظَّـنِّ واثقـاً بـالحُبُـورِ

نَعَّمَـانـي بِشَـرْبَـةٍ مِـنْ طِـلاَءٍ ... نِعْمَـةَ النِّيم مِنْ شَبَا الزَّمْهَرِيرِ[4]

أَيَّهُـوا الشَّـرَّ عِنْـدَهُـمْ فـأتـاهـم ... مِـنْ قَبُـولٍ عَلَيْهِـمُ وَدَبُـورِ[5]

كَـمْ تَـرى مِـنْ قَـاتـلٍ وقَتيـلٍ ... وَسِنَـانٍ فـي عَـامـلٍ مَكسُـورِ[6]

وسَـوَاعِيـدَ يُخْتَلَيْـنَ اخْتِـلاءً ... كَـالمَغَـالـي يَطِـرْنَ كُـلَّ مَطيـرِ[7]

وَرُؤُوسٍ مِـنَ الـرِّجـالِ تَـدَهْـدى ... وجَـوَادٍ بِسَـرْجِـهِ مَعْقُـورِ[8]

---

(١) هذا البيت والأبيات الذي قبله وردت في معجم الشعراء (٧٠) وورد صدر البيت في الوحشيات ٤٢ « واقتضينا ديوننا في عقيل » .

(٢) ورد هذا البيت في كتاب من اسمه عمرو من الشعراء (١٧٨) .

(٣) ورد هذا البيت في الوحشيات «٤٢ » زيادة على الأبيات التي وردت في المعجم ونسبت إلى عمر بن الأهتم . وهذا خطأ لأن المعجم وكتاب من اسمه عمرو حماسة البحتري كلها تشير بأن هذه الأبيات هي لعمرو بن الأيهم وهي من قصيدة طويلة .

(٤) وردت الأبيات الثلاثة الأولى في معجم الشعراء « ٧٠ » أما الأبيات الأربعة في كتاب من اسمه عمر من الشعراء (١٧٨) . والنِّيم : الفرو .

(٥) وردت الأبيات الأربعة في الوحشيات (٤١) مع البيتين الأول والثاني اللذين ذكرهما المرزباني « خفير ، وأسير) ونسبت القصيدة خطأً في الوحشيات إلى عمرو بن الأهتم التغلبي ، وهي لعمرو بن الأيهم التغلبي .

(٦) جاء في حاشية الوحشيات : أرى الصواب بين قاتل . (الميمني) .

(٧) الاختلاء : قطع الخلى وحشه ، وهو الرطب من النبات . والمغالي : ج مغلاة بكسر الميم وهو السهم الذي يقد به مدى الأميال والفراسخ والأرض التي تستبق إليها (الوحشيات) .

(٨) تَدْهدى : تدحرج .

وقال عَمرو بن الأيهم التَّغلبي :

أَلِـمْ عَلـى دِمَـنٍ تَقَـادَمَ عَهْـدُهَـا بالجِزْعِ واسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَها[1]

رَسْـمٌ لِقـاتِلَـهِ الغَـرانِـقِ مَـا بـهِ إلاَّ الوُحُوشُ خَلَتْ لَهُ وخَلاَلَها[2]

ظَلَّـتْ تُسَـائِـلُ بـالمَتيَّـمِ أَهْلَـهُ وَهْـيَ التـي فَعَلَـتْ بـه أفْعَـالَهـا[3]

وجاءت تتمة هذه القصيدة في الحماسة البصرية ونسبت إلى الأعشى نعمان بن نجوان التّغلبي واسمه ربيعة وتروى لعمرو بن الأيهم .

حَنَّـتْ سَـلامـةُ للفِـرَاقِ جِمَـالها كيمـا تُحبُّ ومـا أحـب زَيَّـالَهـا

هـذا النهـار بَـدَا لهَـا مِـنْ هَمِّهـا مَـا بَـالهـا بـاللَّيْـلِ زَالَ زَوالَهـا

الحُسْـنُ آلَفَهَـا يَبِيـتُ ضَجيعَهَـا وتَظَـلُّ قَـاصـرةً عَليـهِ ظـلالهـا[4]

وقال عَمرو بن الأيهم يفخر بقومه :

ونُكْـرِمُ جَـارَنـا حَتَّـى تَـرَانَـا كَـأَنَّ لِجَـارِنَـا فَضْـلاً عَلَيْنَـا

لَنـا عِـزٌّ يَـزِلُّ الجَهْـلُ عَنْـهُ وأَحْـلاَمُ تُغَمِّـر مَـا لَـدَينـا[5]

وفيما قيل في إخْلاق كلّ جديد ومَصير كلّ بني أمٍّ إلى الموت قال عمرو بن الأيهم :

---

(١) الإلمامُ : النزول . والجِزْعُ : منعطف الوادي ، وهو موضع الخِصب فيه .

(٢) الغَرانِقُ : جمع غُرنوق ، وغُرنوق وغُرانق ، وهو الشَّابُّ الناعم الطويل ، أي تقتلهم محبة وعِشقاً، وقوله : خَلَتْ له : أي خلت الوحوش بهذا المنزل فلا أنيس به غيرها .

(٣) وقوله : تُسائل بالمُتيَّمِ : أي تُسائل عنه ، والباء تقع بعد السُّؤال بمعنى عَنْ كَثيراً ، أي أسقمته بهجرها وهي مع ذلك تسأل أهله عنه سؤال من لا يعرف ما به وقد عرفنه . حماسة أبي تمام ٢/ ٨٠٤ كما أن هذا البيت ورد في الحماسة البصرية ٢/ ١٨٥ ، ١٨٦ مع ثلاثة أبيات أخرى وفي المرجعين نسبت الأشعار لكل من أعشى تغلب وعمرو بن الأيهم التغلبي .

(٤) الحماسة البصرية ٢/ ١٨٦ .

(٥) الوحشيات (١٠٩) ولقد جاء بالحاشية عمر بن الأيهم هو أعشى تغلب ، وهذا خطأ من خلال تدقيق الاسمين فلكل واحد منهم ترجمة في هذا الكتاب تبين ذلك .

وَلَجَادَ مَا يَحْدُو الجَدِيدَ إلى البِلَى   مَـرُّ العَشِيَّـةِ ثُـمَّ إقْبَـالُ الغَـدِ[1]

وقال عمرو بن الأيهم التغلبي :

وتَـراهُـنَّ شُـزَّبـاً كـالسَّعَـالـي   يَتطلَّعْـنَ مِـن ثُغـورِ النِّقَّـاب[2]

ولقد جاء في كتاب من اسمه عمرو من الشعراء : وقد رَوَوا له الشِّعر الذي أَوَّلُه :

مـا بَـالُ مَـنْ سَفَّـهَ أَحْـلامَـهُ   أَنْ قِيلَ يَـوْمـاً إنَّ عَمْـراً سَكُـور[3]

وفي ذات المرجع ورد الشعر الذي أوله البيت المذكور وقد نسبت إلى عَمْرو بن حسان بن هانىء بن مَسعود بن قَيْس بن مِنْ بني الحارث بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان . ويُروى لعمرو بن الأيهم التَّغلبي[4] . والقصيدة مؤلفة من تسعة أبيات وهي :

مَـا بَـالُ قَـوْمٍ أَعْـزَبُـوا حِلْمَهُـمْ   أَنْ قِيـلَ يَـوْمـاً إنَّ عَمْـراً سَكُـورْ
إنْ أَكُ سِكِّيـــراً فــلا أشْـ   ـرَبُ وَغْلاً ولا يَسْلَمُ مِنِّي البَعيرْ[5]
قَـاتَلَـكِ الله مــن مَشْـروبَـةٍ   لَـوْ أنَّ ذَا مِـرَّةٍ عَنْـكِ صَبُـورْ
الــزِّقُّ مُلْـكٌ لِمَـنْ كـانَ لَـهُ   والمُلْـكُ منـهُ طَـويـلٌ وقَصِيـرْ[6]
مِنْـهُ الصَّبُـوحُ الـذي يَجْعَلُنـي   لَيْـثَ عِفـرِّيـنَ ومَـالـي كَثيـرْ

---

(١) حماسة البحتري ٣٣٣ .

(٢) أمالي القالي ١/ ٤٤ . السعالي : جمع سعلاة : الغول وكان العرب في الجاهلية يعتقدون وجوده وقد أبطله الإسلام في الحديث الشريف : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول » .
وخيل شزب : ضوامر . والنَّقب : الطريق في الجبل .

(٣) من اسمه عمرو من الشعراء (١٧٧) .

(٤) كتاب من اسمه عمرو من الشعراء (١٧٩) . وجاء عن عمرو بن حَسَّان : صاحب شَراب ، استفرغ شِعره في وصف المجالس والنّدامى والخمر وأشيائها .

(٥) الوَغِل : الداخل على القوم في طعامهم وشرابهم .

(٦) الزِّقُّ : السِّقاءُ ، أو جِلْدٌ يُجزُّ ولا يُنْتَفُ للشراب وغيره .

فَأَوَّلُ اللَّيلِ فَقَرْمٌ مَاجِدٌ — وآخِرُ اللَّيلِ فَضِبْعَانٌ عَثُوزْ[1]

وأَنْتَ إنْ يَلْقَكَ أُرْبِيَّةٌ — مِنْهُمْ يُلاقِيكَ غُلامٌ غَرِيرْ[2]

أَو أَشْمَطُ اللِّمَّيةِ يَوْماً بهِ — مِنْ صَدَإِ الدِّرْعِ ويَوْماً عَبِيرْ[3]

يَسْعَى إلى المَوْتِ بهِ قَارِحٌ — أَحْكَمَهُ الصَّنْعُ مِجْشٌّ ضَمُوزْ[4]

* * *

---

(١) القَرَم : الفحل ، والسيِّدُ .

(٢) أُربية : صار ربيئة لهم ، أي طليعة . (القاموس المحيط) .

(٣) أشمط : شَمِطَ شَعْرُهُ ، شمطاً : اختلط سواده ببياضِهِ . فهو أشمط وهي شمطاء ، وقوم شُمطان .

(٤) كتاب من اسمه عمرو من الشعراء (١٨٠) .

عَمرو(*) بن جَميل التَّغلبي

قال عَمرو بن جَميل التَّغلبي في الصبر على الأصدقاء :

سَـأَصْبـرُ مـن صَـديقـي إنْ جَفَـانـي على كـلٍّ الأذَى إلاّ الهَـوَانَـا[1]
فـإنَّ الحُـرَّ يَـأنـف فـي خَـلاءٍ وإن حَضـرَ الجمـاعـةَ أن يُهـانَـا[2]

وفي مثل ذلك قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : مَنْ لانت كلمته وجبت محبته وأنشد :

كيـفَ أصبحـتَ كيـف أَمْسيـت ممَّـا يُنْبِـتُ الـوُدّ فـي فُـؤادِ الكَـرِيـمِ

وقال عُمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاث تُثْبت لك الوُدَّ في صدر أخيك : أن تَبدأه بالسَّلام ، وتُوسع له في المَجْلس ، وتَدْعوه بأحب الأسماء إليه[3] .

* * *

(*) عقد فريد ٢/ ٣١١ .
(١) هَان هُوناً ، بالضم ، وهَواناً ومَهانةً : ذَلَّ وحَقرُ .
(٢) أهانَهُ : الحق به الذُّلَّ والهوان . (القاموس المحيط) .
(٣) العقد ٢/ ٣١٠ ، ٣١١ .

عَمرو(*) بن حُنيٍّ التَّغلبي

فارس جاهلي مذكور ، يقول في قتلهم عَمرو بن هند في رواية محمد بن داود :

نُعاطى الملوك الحقَّ ما قَصَدوا بنَا ... وليسَ علينا قَتلُهُمْ بِمُحرَّمِ
أَنِفْتُ لهم من عَقْلِ عَمرو بن مَرْثَدٍ ... إذا وَرِدُوا مَاءً وَرُمْحِ ابنِ هَرثمِ
وَكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمِ

قال : يريد : فتقوَّمْ أنت .

وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها :

يُعيِّرني أُمِّي رجال ولن ترى ... أَخا كرم إلاَّ بأن يتكرَّما

وبعده البيت ، وآخره :

« أقمنا له من ميله فتقوما » .

وأبو عبيدة وغيره يرون هذه الأبيات لجابر بن حُنَيّ التَّغلبي[1] .

وجاء أيضاً :

وقال عمروٍ[2] بن حُنَيّ التَّغلبيُّ يُجيبُ طَريفاً العَنبري :

(*) من اسمه عمرو من الشعراء ٥٢ ، والاختيارين ١٨٤ ، ١٩١ ، معجم الشعراء ١٣ ، الأصمعيات ١/٢٦٨ ، ٢/١١٦ .

(١) معجم الشعراء ١٣ ، وكتاب من اسمه عمرو من الشعراء/ ٥٢ المعلومات نفسها .

(٢) وجاء في حاشية الأصمعيات تحقيق عبد السلام هارون ١١٦ أن الراجح في صحة اسمه « جابر بن حني » . ثم هنا خطأ آخر في نسبته القصيدة إليه ، فالصحيح أنها من شعر « حمصيصة بن جندل الشيباني » وهو الذي قتل طريف بن تميم العنبري ، وللأبيات خبر في يوم مبايض .

ولقد دَعَوْتَ طَرِيفُ دَعْوَةَ جَاهِلٍ سَفَهاً ، وأنت بمَنْظَرٍ لو تَعْلَمُ[1]

ولَقِيتَ حَيّاً في الحُروبِ مَحَلُّهُمْ والجَيْشُ باسم أَبيهم يُسْتَهْزَمُ

فإذا دَعَوْ بأَبي رَبيعةَ أَقْبَلُوا بكتائبٍ ، دُونَ النِّساءِ تُلَمْلَمُ[2]

فَلَقِيتَ ، فيهمْ هانِئاً وسلاحَهُ بَطلاً ، إذا هَابَ الفوارسُ يُقْدِمُ[3]

سَلَبُوكَ دِرْعَكَ ، والأَغَرَّ كليهما وبَنُو أُسَيِّدَ أَسْلَمُوكَ وخَضَّمُ[4]

ولقد ورد اسمه في الأصمعيات الطبعة الأوربية ص٦٨ عَمرو بن حُبي وفي الطبعة التي حققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص١١٦ عُمر بن حُنَيٍّ وفي كتاب من اسمه عمرو ص٥٢ عَمرو بن حُنَيٍّ وفي معجم الشعراء ص١٣ عمرو بن حُني .

* * *

---

(١) أنت بمنظر عن هذا الأمر : أي بمعزل عنه ، في متسع من العيش .

(٢) أبو ربيعة : هو المزدلف بن ذهل . وتلملم : تجمع ، ويضم بعضها إلى بعض .

(٣) وهانيء : هو ابن مسعود الشيباني ، رئيس بني أبي ربيعة يوم مبايض .

(٤) وأسيد وخضم من بني عمرو بن تميم ، قوم طريف العنبري « الاختيارين ١٩١ ـ ١٩٢ » والأصمعيات « ١١٦ » .

عَمرو[*] بن قَرْثَع التَّغلبي

هو عَمرو بن قَرثع التَّغلبي ، يكنى أبا السفاح من شعراء خراسان ، كان خالف إلى امرأة لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أيام تقلده خراسان فضربه أمية فهجاه بقوله :

قُـريـشٌ كِـرامٌ يـا أُميَّـة سَـادة … وأَنـتَ بخيـل يـا أُمـيَّ مَسُـودُ
تَجـود لِمـنْ تَخشـى شَـذاةَ لسـانـه … وغيـرك يعطـي راغبـاً ويجـودُ
إذا راغـبٌ يـومـاً أَتَـاكَ حَـرمْتَـهُ … وإنْ خفتـهُ فـالجـودُ منـكَ عتيـدُ
وأنـتَ إذا حـربٌ تَسامتْ فحولها … حَيـود هَيـوب للقـاء نـدودُ

فطلبه أمية فاستخفى ، فلما قدم المهلَّب خراسان بعد أمية آمن عَمراً فظهر ، فقتله مولى لأمية فلم يَطلب المهلَّبُ بدمه .

فهجاه عمرو[1] بن عمرو بن قرثع فقال :

فَهَـلاَّ مَنعْـتَ اليومَ مَنْ قَـدْ أَجَـرتَـهُ … ولـمْ يَمـسْ لحمـاً بَينهـم يُتَمـزَّعُ
أَأَعْطيتَـهُ الميثـاق ثـمَّ خَـذلْتَـهُ … وكنـتَ لئيمـاً مـن خيـالِـكَ تَفْـزَعُ
فـلا تَـذْكُـرَنْ فخـراً فلستَ بـأهلـهِ … وَجَـارُكَ ثَـاوٍ عـرشُـه مُتَضَعْضِـعُ
فَلو كنتَ حُرّاً يا مُهلَّبُ لم تكنْ … ذليـلاً وفـي كفَّيْـك عَضـبٌ مُـوقّـعُ
ولكـن أبـى قلـبٌ أُطيـرتْ بنـاتُـهُ … عليـك فمـا تَخـزَي ولا تتقنَّـعُ
تَجللْـتَ عَـاراً يـا مُهلَّـبُ فـالتمسْ … لِنَفسِـكَ عُـذراً والعَـذور مُجَـدَّعُ
غَدرتَ أبا السفاح عَمرو بن قَرثَع … وأسلمتـه لمَّـا بـدا المـوتُ يَلمـعُ

(*) معجم الشعراء ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ـ ولقد ذكرت في ترجمة قرثع التَّغلبي معنى قرثع . انظر ذلك .

(١) ربما كان عمرو هو ابن عمرو بن قرثع الشاعر المشار إليه . ولم يذكر المرزباني ذلك .

ولـو مـتَّ دونَ التَّغلبـيِّ حَفيظـة   لقلنـا كـريـمٌ جَـاره مـا يُـروَّعُ[1]

والشاعر عمرو بن عمرو بن قَرثَع التَّغلبي ، من شعراء خراسان ووصف بأنه خبيث اللسان هجَّاءً للأمراء : فهجا المهلب وابنه يزيد وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فمن قوله ليزيد بن المهلب :

أَنـتَ كـزُّ اليـديـن مُنتَخـب القلـ   ـب لئيـم الفَعـال غيـر نُضـارِ
وأَبـوكَ الـذي تُضـاف إليـهِ   عَـاجـزُ الـرأي زَنْـدُه غيـر واري
لستمـا فـاعْلَمَـا إذا القـوم نَـادَوا   لنـزالٍ وبَـارَزوا فـي الغِـرار
بِصَبُـورَيْـن حيـنَ تَحتـدمُ الحـر   بُ ولا سـابقيـن فـي المِضمـارِ

وقوله أيضاً :

جَـدُّك يـرعـى نَعَمـاً حُـزْتَهـا   فـانْعَـمْ ولا تَشْـقَ أبـا خَـالـدِ
ونَـمْ علـى فَـرشِـكَ مُستضعفـاً   لأشهـدَن يـومـاً مـع النـاهـد[2]

* * *

(١) معجم الشعراء ٥٠ .
(٢) معجم الشعراء ٥١ . نَهَدَ إلى العدو يَنْهَدُ ، نَهَض ، ونَهَد القوم لعدوهم إذا صَمَدوا له وشرعوا في قتاله . وتَنَاهدَ القوم الشيء : تناولوه بينهم . (لسان العرب ـ نَهد) .

عَمرو(*) بن كُلْثُوم التَّغلبي

عَمرو بن كُلْثُوم بن مَالك بن عَتَّاب بن سَعْد بن زُهَير بن جُشَم بن بَكْر بن حُبَيْب بن عَمْرو بن غَنْم بن تَغْلب[1] . وهو شَاعِرٌ ، فارسٌ ، مُقَدَّمٌ ، سَيِّدٌ ، فَاتِكٌ[2] .

وبنوه : عبد الله ، والأَسْود ، شاعران سيدان ؛ وعَبَّاد ، وهو قاتل بِشْر بن عَمرو بن عُدَس[3] . يكنى أبا الأسود ، وقيل : أبا عمير ، وهو فارس شاعر مُقمدَّ سيِّد أحد فُتَّاك الجاهلية . وأُم عمرو ليلى بنت مُهَلْهِل بن ربيعة التَّغلبي ، ويلغ خمسين ومائة سنة ، ورأى من ولده وولد ولده خلقاً كثيراً ، وكان خطيباً حكيماً ، وأوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة[4] .

وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم ، فقتل المُنذر بن النعمان وأخاه .

وإِيَّاه عَنى الأخطل بقوله لجرير :

(*) أغاني ١١/٤٦ ثقافة ، معجم الأدباء ١٦٩٤ ، ٢٢٤٣ ، ٢٢٧٦ . جمهرة أشعار ١/٣٨٧ ، طبقات فحول الشعراء ١/١٥١ ، معجم الشعراء ٦ ، من اسمه عمرو من الشعراء ٤٨ ، الشعر والشعراء ١٣٧ . جمهرة النسب ٥٦٦ الكامل في التاريخ ١/٤٣٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ .

(١) طبقات فحول الشعراء ١/١٥١ وجمهرة أنساب العرب ٣٠٤ . وجعله ابن سلاّم في الطبقة السادسة .

(٢) من اسمه عمرو من الشعراء ٤٨ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ .
وقال عبّاد بن عمرو التغلبي :
هَلاَّ سألت بني السَّفَّاح هَلْ سَعِدوا ... بـأمـرهـم إنَّ غِـبَّ البَغـي خَـوَّانُ
مـا وَرَّث البغـيُ قـومـاً غيـرهـم رَشـداً ... بـل يَهلِكُـونَ بـهِ والـدَّهـر ألـوانُ
« حماسة البحتري ١٦٧ » .

(٤) معجم الشعراء ٦ ، ٧ .

أبنــي كُلَيــبٍ إنّ عَمَّــيَّ اللَّــذا قَتـلا المُلـوكَ وفكَّكـا الأَغْـلاَلاَ[1]

ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العَتَّابي الشاعر صاحب الرسائل[2] .

غاراته علي بني تميم وبني حنيفة :

أغار عمرو بن كلثوم على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه : ...... عن ابن الأعرابي قال :

أغار عمرو بن كلثوم التَّغلبي على بني تميم ثم مَرَّ من غزوه ذلك على حيٍّ من بني قَيس بن ثعلبة . فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السَّعدي ، ثم انتهى إلى بني حَنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل ، فسمع به أهلُ حَجر[3] ، فكان أوّلَ من أتاه من بني حنيفة بنو سُحَيم عليهم يزيد بن عمرو بن شِمر . فلمَّا رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

مَـنْ عـاذَ منّـي بعـدهـا فـلا اجتَبَـرْ ولا سقـى المـاء ولا أرعـى الشَّجـرْ
بنــو لُجَيــمٍ وجَعَــاسيــسُ مُضَــر بجـانـب الـدَّوِّ يُـدَهـدُون العَكَـرْ[4]

فانتهى إليه يَزيد بن عَمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره ، وكان يزيد شديداً جسيماً ، فشدّه في القِدّ وقال له : أنت الذي تقول :

متــى تُعقَــدْ قَــرينتنــا بحبــلٍ تَجـذّ الحبـل أو تَقـصِ القَـرِينَـا[5]

---

(١) أي اللذان ، فحذف النون تخفيفاً .

(٢) الأغاني ١١/ ٤٩ . انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٣) حَجر : عاصمة اليمامة .

(٤) لجيم : هو لجيم بن صعب ، وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . وسياق الكلام قبله يرجح أن يكون الخطاب لبني سحيم فلعل « لجيماً » محرف عن « سحيم » . الجعاسيس : اللئام الخلق والخلق ، والواحد جعسوس . الدوّ : الفلاة . ويدهدون : يدحرجون ويقلبون . والعكر (بالتحريك) دردري كل شيء . « حاشية الأغاني ١١/ ٥٠ » .

(٥) القرينة : التي تقرن إلى غيرها أي تربط مع غيرها بحبل . وتجذ : تقطع . وتقص : تكسر ؛ يقال : وقص عنقه يقصها وقصاً إذا كسرها ودقها .

أَمَا سَأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما[1] جميعاً ، فنادى عَمرو بن كلثوم يالربيعة ! أَمُثلة ! قال : فاجتمعت بنو لُجَيم فَنَهوه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قصراً بحجرٍ من قصورهم ، وضرب عليه قُبَّةً ونحر له وكساه وحمله على نجيبة وسقاه الخمر . فلما أخذت برأسه تغنَّي .

أأَجمعَ صُحبتي السَّحَرَ ارتحالاَ ... ولم أشعُر ببيَنٍ منكِ هالاَ[2]
ولم أرَ مثل هالةَ في مَعَدٍّ ... أُشبه حُسنها إلاّ الهِلالا
ألا أَبلغْ بني جُشَمَ بن بكرٍ ... وتَغْلِبَ كلما أَتَيا حِلالا[3]
بأنّ الماجدَ القَرمَ ابنَ عَمروٍ ... غداةَ نَطاعِ قد صدقَ القِتالا[4]
كَتيبتُهُ مُلَملَمَةٌ رَداحٌ ... إذا يرمونها تُفني النِّبالا[5]
جزى الله الأغرَّ يزيد خيراً ... ولَقَّاه المَسَّرةَ والجمالا
بمأخذهِ ابنَ كلثوم بنِ عمروٍ ... يزيدَ الخيرِ نَازَله نِزالا
بجمعٍ من بني قُرّان صِيدٍ ... يُجيلون الطِّعان إذا أجالا[6]
يزيدُ يقدمُ السفراءَ حتّى ... يُرَوِّي صَدرَها لأَسَلَ النِّهالا[7]

حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه :

. . . . عن ابن الأعرابي قال :

زعموا أنّ بني تَغْلِبَ حاربوا المُنذرَ بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه فمرّ بهم عمرو بن أبي حُجر الغسّاني فتلقَّاه عمرو بن كلثوم ، فقال له يا عمرو ، ما منعَ قومك أن يتلقَّوني ؟!

---

(١) طرد الإبل : ساقها .
(٢) يريد يا هالة .
(٣) حلال : جمع حلة (بالكسر) وهي جماعة بيوت الناس ، ومجتمع القوم .
(٤) نطاع : أرض .
(٥) الكتيبة : الجيش أو فرقة منه ، وململمة : مجتمعة ، ورداح : ثقيلة جرارة .
(٦) قرّان : حصن باليمامة ، نسب إليه أهله كأنه أب لهم .
(٧) أغاني ١١/ ٥٠ ، ٥١ .

فقال له : يا عَمرو يا خَيرَ الفِتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلاّ عَلا فيها أمرُهم واشتد شأنُهم ومَنعوا ما وراء ظهورهم .

فقال له : أيقاظ نَومةٍ ليس فيها حُلم ، أجتث فيها أصولهم ، وأنفي فَلَّهم[1] إلى اليابس الجَرَدِ ، والنازح الثَّمَد .

فانصرف عَمرو بن كلثوم وهو يقول :

أَلا فـاعلَـمْ أَبيـتَ اللَّعـنَ أنّـا   علـى عَمْـدٍ سنـأتـي مـا نُـريـدُ
تَعلَّـمْ أَنّ مَحمَلَنَـا ثَقيـلٌ   وأنَّ زنـادَ كبتنـا شَـديـدُ[2]
وأنّـا ليـسَ حَـيٌّ مـن مَعَـدٍّ   يُـوازينـا إذا لُبـسَ الحـديـدُ[3]

هجاؤه للنعمان بن المنذر :

قال ابن الأعرابي : بلغ عمرو بن كلثومٍ أنّ النعمان بن المُنذر يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه :

أَلا أَبلِـغِ النُّعمـان عنّـي رسـالـةً   فمَـدحُـكَ حَـولـيٌّ وذَمُّـك قَـارِحُ[4]
متـى تَلقَنـي فـي تَغِلـبَ ابنـةِ وائـلٍ   وأشياعها ترقى إليك المسالحُ[5]

وهجا النعمانَ بنَ المنذر هجاءً كثيراً ، منه قوله يعيّره بأُمه سُلَيمى :

حَلَّـتْ سُلَيمـى بخَبـتٍ بعـدِ فـرتـاجِ   وقد تكون قَديماً في بني نَاجِ[6]

---

(١) الفَلَّ : القوم المنهزمون . والجرد (بالتحريك) : من الأرض ما لا يُنبت . والثمد (بالفتح والتحريك) : الماء القليل الذي لا مادّ له . والنازح : الذي نفذ ماؤه ؛ يقال نزحنا البئر ، ونزحت البئر ، فهو لازم متعد . يريد أنه ينفي المنهزمين منهم إلى أرض لا نبات فيها ولا ماء .

(٢) الحملة في الحرب والدفعة في القتال ؛ وكبة كل شيء شدته ودفعته مثل كبة الشتاء والجري .

(٣) أغاني ١١/ ٥٢ .

(٤) الحولي : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شق نابه وهو في السنة الأولى حولي ثم ثني ثم رباح ثم قارع .

(٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .

(٦) الخبت : المطمئن من الأرض ، واسم لعدة مواضع . وفرتاج (بكسر الفاء) =

إذ لا تُرجّي سُليمى أَن يكون لها مَنْ بالخَورنَق من قَينٍ ونَسَّاجِ
ولا يكونُ على أبوابها حَرَسٌ كما تلفَّف قِبطيٌّ بديبَاج
تمشي بِعدلَين من لُؤمٍ وَمَنقَصةٍ مشيَ المقيَّدِ في اليَنبُوتِ والحاجِ[1]

وقال في النعمان :

لحا الله أَدنانا إلى اللؤم زلفة وألأمَنا خالاً وأعجزنَا أبا[2]
وأجدَرَنا أن يَنفُخَ الكِيرَ خاله يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بيَثربا[3]

قصة قتله لعمرو بن هند :

إن قصة قتل عمرو بن هند ذكرتها مراجع ومصادر عدة وهي واحدة من حيث المعنى والمضمون . والمهم في تلك القصة عنجهية عمرو بن هند وتجبره ، وعظمته وأنفته ، وكل ذلك أدى به غرور وصل بتفكيره أنه من القوة والسلطان والبطش يرهب كل العرب ، حتى أن أحداً لا يجرؤ أن يخالف أمره ، أو لا يخدم حتّى أمه ؟!

وجره قدره إلى أن يقع في خطأ غروره ، وسوء تقديره ، حتى جاء من هو أكثر صلفاً منه فقطف رأسه بالسيف ، فتحول الاحتفال إلى جريمة قتل وسلب ونهب ؟!

فالعقل سيدٌ لا محالة .

وهذه هي القصة كما رواه ابن قتيبة :

وكان سبب ذلك أنَّ عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه ،هل تعلمون أحداً

= موضع وبنو ناج : بطن من عدوان .

(١) الينبوت : نبات ، وهو ضربان ، أحدهما ذو شوك ، وهو المراد هنا . والحاج : الشوك أو ضرب منه . يريد أنها تمشي مثقلة بما تحمل من لؤم ومنقصة كما يمشي المقيد في هذين الضربين من الشوك .

(٢) الزُلفة : (بالضم) ومثلها الزلفى والزلف (بالتحريك) : القُربة والدرجة والمنزلة .

(٣) أغاني ١١/ ٥٣ .

من العرب تأنف أمُّه من خدمة أُمي ؟

فقالوا : نعم عمرو بن كلثوم .

قال : ولِمَ ذلك ؟

قالوا : لأنَّ أباها مُهَلْهِل بن ربيعة وعمَّها كُلَيب وائل أعزُّ العرب وبعلَها كلثوم بن مالك بن عتَّاب أفرس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه[1] فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمَّهُ ، فأقبل عمرو بن كلثومم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تَغْلب وأقبلت ليلى بنت مُهَلْهِل في ظعن من بني تغلب ، وأمر عمرو بن هند برُواقه فَضُرب فيما بين الحيرة والفُرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا ، وأتاه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى بنت مُهَلْهِل أم عمرو بن كلثوم على هند في قُبَّة في جانب الرواق وهند أمُّ عمرو بن هندعمَّة امرىء القيس وليلى بنت مُهَلْهِل أم عمرو بن كلثوم هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرىء القيس وقد كان أَمَرُ عمرو بن هند أمَّه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطُرف[2] وتستخدم ليلى .

فدعا عمرو بن هند بمائدة فَنَصبَها ، فأكلوا ثم دعا بالطُرف ، فقالت هند : يا ليلى ناوليني ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها فأعادت عليها وأَلحَّت ، فصاحت ليلى واذلاَّه يالتغلب . فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر إلى عمرو بن هند فَعَرفَ الشرَّ في وجهه فقام إلى سيف لعمرو ن هند معلَّق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند حتَّى قتله ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة[3] .

---

(١) في الأغاني ١١/٤٨ وهو سيد قومه .

(٢) الطُرف : أنواع من الآنية .

(٣) الشعر والشعراء ١٣٧ ، ١٣٨ ، الأغاني ١١/٤٨ ، والكامل في التاريخ ١/٥٤٨ . =

وفي معلقته الشهيرة قال :

بِـأَيِّ مَشِيئَـةٍ عَمْـرو بـنَ هِنْـدٍ   تُطِيـعُ بنـا الـوُشَـاةَ وتَـزْدَرِيْنَـا
تُهَـدِّدُنـا وتُـوعِـدُنـا رُوَيْـداً   مَتَـى كُنَـا لأُمِـكَ مُقْتَـوِينَـا[1]

تعظيم لقصيدته المعلقة :

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تَغلب تعظِّمها جداً ويرويها صغارهم وكبارُهم ، حتى هُجُوا بذلك ، قال بعض شعراء بكر بن وائل :

أَلْهى بني تَغلـبٍ عـن كـل مَكْرُمـةٍ   قصيـدةٌ قـالهـا عمـرو بـن كلثـوم
يَـروُونهـا أبـداً مـذ كـان أوَّلُهـم   يـالَلـرجـالِ لِشِعـرٍ غيـر مسئـومِ

وقال أُفنون[2] التَّغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له :

لَعَمرُكَ ما عَمرو بن هندٍ وقد دعا   لتخـدُمَ ليلـى أُمّـه بمـوفّـقِ
فَقَامَ ابنُ كُلثومٍ إلى السيفِ مُصلتاً   فـأمسك مـن نَـدمانـهِ بـالمُخنَـقِ[3]
وجلّلـه عمـروٌ علـى الـرأسِ ضَـربـةً   بذي شَطبٍ صافي الحديدة رَوْنَقِ

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل :

مـا ضَـرَّ تَغْلِـبَ وائـلٍ أهجـوتَهـا   أم بُلْـتَ حيـث تَنَـاطـحَ البحـران
قَـومٌ هُـمُ قَتلـوا ابـنَ هنـدٍ عَنـوةً   عمراً وهم قَسَطوا على النعمان[4]

ورد في ديوان عَمرو بن كلثوم قصيدة نسبت له وفي حاشية الديوان جاء :

---

(١) مقتوينا : أي مستعبدين ، والاقتواء : تقويم السلعة ، يريد أن يقول : متى اقتوتنا أمك فاشترتنا . الشعر والشعراء ١٣٨ .
(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب .
(٣) أصلت السيف : جرده من غمده . النَدمان (بفتح النون) الذي ينادمك على الشراب . والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق .
(٤) قسطوا : جاروا . « الأغاني ١١/ ٤٩ » .

نسبت هذه الأبيات إلى عمرو بن كلثوم . ولا يستقيم هذا مع معناها . وهي لابنه الأسود بن عمرو :

ما بَامْرِىءٍ مِنْ ضُؤْلَةٍ في وائِلٍ   وَرِثَ الثُّوَيْرَ ومَالِكاً ومُهَلْهِلاً[1]
خالي بذي بَقَرٍ حَمَى أَصْحَابَهُ   وشَرَى بحُسْنِ حَدِيْثِهِ أَنْ يُقْتَلا[2]
ذاك الثُّوَيْرُ فما أُحِبُّ بِفَضْلِهِ   عِنْدَ التَّفَاضُلِ فَضْلَ قَوْمٍ أَفْضلا
عَمّي الذي طلبَ العُداةَ فَنالها   بَكْراً فَجَلّلها الجياد بِكُنْهِلاً[3]
وأبي الَّذي حمل المِئِيْنَ وناطق الـ   ـمَعْرُوفِ إذ عَيَّ الخَطيبُ المِفْصَلاَ[4]

وجاء تحت عنوان :

من شَرِبَ الخمر صِرفا حتى مات غضباً وأنفا :

عَمرو بن كُلثوم ، وكانت الملوك تبعث إليه بحبائه وهو في منزله من غير أن يفد إليها . فلما ساد ابنه الأسود بن عمرو بعث إليه بعض الملوك بحبائه كما بعث إلى أبيه . فغضب عمرو وقال : « ساواني بولي ؟ » ومحلوفه لا يذوق دسماً حتى يموت . وجعل يشرب الخمر صِرفاً على غير طعام .

فلما طال ذلك قامت امرأته بنت الثُوير فقتَّرت له بشحم ليقرم إلى اللحم

---

(١) الضُؤْلة : بسكون الواو : الضعف . والثوير : هو عمرو بن النمري ، والظاهر أنه جد الأسود بن عمرو لأمه . ومالك : جد عمرو بن كلثوم . ومهلهل : أبو ليلى أم عمرو بن كلثوم .

(٢) ذُو بَقَر : وادٍ بين أخيلة الحمى حمى الرَّبَذة قال الشاعر :

إلّا كدارِكُمُ بذي بقر الحمى   هيهات ذو بقر من المُزْدار

معجم البلدان ١/ ٥٥٧ .

وفي معجم ما استعجم قال البكري : ذو بقر : قرية في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم عن الأصمعي : هو قاعٌ يقري الماء ، قال سحيم العبد :

وحَكَّ بذي بَقَرٍ بَرْكَهُ   كأنّ على عَضُديه إكْتَافَا

معجم ما استعجم ١/ ٢٦٣ .

(٣) كنهل : ماء لبني تميم : ويوم وادي الكنهل لتغلب على بكر .

(٤) المِفصل : اللسان . (ديوان عمرو بن كلثوم ١١٢) .

ليأكله . فقام يضربها ويقول :

معاذ الله ! يدعوني لحنث — ولو أقفرت أياماً قتار

فلم يزل يشرب حتى مات[1] .

وفي رواية ثانية حول وفاته ونصيحته لبنيه :

. . . عن ابن الكلبي عن رجل من النَّمِر بن قاسط قال :

لمَّا حضرت عمرو بن كُلثومٍ الوفاةُ وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال : يا بَنيَّ ، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي ، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت ، وإني والله ما عيّرت أحداً بشيء إلاَّ عُيِّرتُ بمثله ، إن كان حقاً فحقاً ، وإن كان باطلاً فباطلاً ، ومن سَبَّ سُبَّ ، فكُفُّوا عن الشتم فإنه أسلم لكم ، وأَحسنوا جِواركم يحسُن ثناؤكم ، وامنعوا من ضيم الغريب ، فربَّ رجلٍ خيرٌ من ألف ، ورَدٌّ خيرٌ من خُلْف ، وإذا حُدِّثتم فَعُوا ، وإذا حَدَّثتم فأوجزوا ؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار[2] ، وأشجعُ القوم العَطُوف بعد الكَرّ كما أنَّ أكرم المنايا القتل ، ولا خير فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغضب ، ولا مَن إذا عُوتِب لم يُعتِب[3] ومن الناس مَن لا يُرجى خيره ، ولا يُخافُ شرُّه ، فَبكْؤه[4] خير من دَرِّه ، وعقوقُه خيرٌ من برِه ، ولا تتزوّجوا في حَيِّكم فإنَّه يؤدي إلى قبيح البُغض .

* * *

(١) المحبر ٤٧٠ ، ٤٧١ .
(٢) الأهذار : جمع هذر (بالتحريك) وهو سقط الكلام .
(٣) الإعتاب : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب ، والاسم منه العتبي .
(٤) أصل البك : قلة اللبن أو انقطاعه ؛ يقال : بكأت الناقة أو الشاة تبكأ بكئاً ، وبكؤت تبكؤ بكاءة وبكوءاً . والمعنى المراد : فمنعه خير من عطائه . أغاني ١١/ ٥٤ . وللشاعر ديوان مطبوع .

عُمير(*) بن شُيَيْم التَّغْلبي ـ القطامي

هو عُمَيْر بن شُيَيْم بن عَامِرِ بن بَكر بن عَبّاد بن بَكر بن عَامر بن مالك بن بَكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وَائل بن قَاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار(١).

وجاء أيضاً: عَمرو ويُقال عُمير بن شُيَيْم، ويُقال: شُيَيْم بن عَمرو بن عبَّاد بن بكر بن عامر بن أُسامة بن مالك بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن غَنْم بن تَغلب التغلبي المعروف بالقُطامي.

شاعرٌ من فحول الشُّعراء، وكان نصرانياً فأسلم، فقدم دمشق مادحاً للوليد بن عبد الملك، ويقال لعمر بن عبد العزيز(٢).

سُمِّي القُطامي بقوله:

يَحُطُّهُنَّ جانباً فجانباً ... حَطَّ القُطاميَّ قطاً قواربا(٣)

وقال ابن سَلّام: والقُطاميُّ، واسمه عَمرو بن شُيَيْم بن عَمرو أحد بني بَكر بن حُبَيْب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغلب. وكان القُطاميُّ شاعراً فحلاً، رقيق الحواشي، حُلْوَ الشِّعر، والأخطل أبعدُ منه ذِكراً وامتنُ شعراً(٤).

(*) جمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٠٣ مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٢٥، الأغاني ٢٣/ ١٧٥ ثقافة. الشعر والشعراء ٤٨٣ طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، عقد فريد ١/ ٦٤، جمهرة أنساب العرب (٣٠٥) والاشتقاق (٣٣٦). الحماسة الشجرية ١/ ٢٧٥، والحماسة البصرية ١/ ١٥٤. ديوان الشاعر.

(١) جمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٠٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٢٦.

(٣) القُطامي: اسم من أسماء الصَّقر، وهو مشتقٌ من القَطْم وهو: القطع «مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٢٦».

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٤. وفي جمهرة أنساب العرب (٣٠٥): عمرو بن شُيَيْم ابن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن جشم. والقُطامي لقب. =

وفي الأغاني : القطامي لقب غلب عليه وهو شاعر اسلامي مجيد ونسب القطامي في ديوانه هو عُمير بن شُيَيْم بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب[١] .

إن هذا الاختلاف في تسلسل نسب الشاعر له أسبابه ، تعدد الرواة عبر عصور متتالية ، ونقل الرواية في وجوه متعددة ، حيث تطول أو تقصر ، أي تخضع للزيادة والنقصان ، أو للتشويه ، لأنها لم تدون في حينها ، والأهم أن اسم الشاعر ونسبته متفق عليهما في المراجع كافة .

القُطامي وعبد الواحد بن سليمان :

أول ما حرَّك من القُطاميّ فرفع مِنْ ذِكره أنه قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه فقيل له : إنه بخيلٌ لا يُعطي الشُّعراء ؛ وقيل : بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : إن الشِّعر لا ينفق عند هذا ولا يعطي عليه شيئاً ، وهذا عبد الواحد بن سُليمان فامتدحهُ بقصيدته التي أوّلها :

إنَّ مُحَيُّوك فاسلم أيُّها الطَّلَلُ   وإن بَليتَ وإن طالتْ بكَ الطِّيَلُ

فقال له : كم أمَّلتَ من أمير المؤمنين ؟

قال : أمَّلتُ أن يعطيني ثلاثين ناقةً .

فقال : قد أَمرتُ لك بخمسين ناقة وأن يوقر لك بُرّاً وتمراً وثياباً ، ثم أمر بدفع ذلك إليه[٢] .

الأخطل وعبد الملك بن مروان :

قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشعبي : أتحب أن لك قياضاً بشعرِك شعرَ أحد من العرب أم تحب أنك قلته ؟

---

(١) حاشية الأغاني ٢٣/ ١٧٥ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٢٦ والأغاني ٢٣/ ١٧٩ .

قال : لا والله يا أمير المؤمنين إلا إني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا مُغْدَف القناع قليل السماع ، قصير الذراع[1] .

قال : وما قال ؟

فأنشده قول القُطامي :

إنَّ مُحَيُّوكَ فاسلم أيُّها الطَّلَلُ ... وإن بَليتَ وإن طَالتْ بكَ الطِّيَلُ

ليسَ الجديدُ بهِ تبقى بَشَاشَتُهُ ... إلاَّ قليلاً ولا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ

والعَيشُ لا عَيشَ إلا ما تَقرُّ بهِ ... عَينٌ ولا حَالَ إلاَّ سَوْفَ تَنْتَقِلُ

إن تَرجعي مِنْ أَبي عُثمان مُنْجِحةً ... فَقدْ يهون على المُستنجحِ العَمَلُ[2]

والنَّاسُ مَن يَلقَ خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأُمِّ المُخطِىءِ الهَبَلُ

قد يُدرك المتأنِّي بعض حَاجته ... وقَدْ يكون مع المستعجل الزَّلَلُ[3]

قال القاضي المعافى بن زكريا النهرواني : لَعمري إن هذه الأبيات لمن رصين الشعر وبليغه ، وكلمة القُطاميّ التي هذه الأبيات منها من أجود شعره[4] .

قال الشعبي : فقلت له : قد قال القطامي أفضل من هذا .

قال الأخطل : وما قال ؟

---

(١) المغدف : المغَطى ، وأغدف قناعه : أرسله على وجهه ، فكأنه نسبه إلى الخمول . وجاء في مختصر تاريخ دمشق ١٩/٢٢٦ : قال عبد الملك بن مروان للأخطل : مَن أشعر النَّاس ؟ قال : أنا . ثم المُغْدَفُ القناع ، القبيح السَّماع ، الضَّيِّق الذِّراع ؛ يعني القُطامي .

(٢) ورد صدر البيت في مختصر تاريخ دمشق ١٩/٢٢٧ « إن تُصبحي من أبي عثمان . . . » .

(٣) الأغاني ٢٣/٢١٥ . وجاء : أن أحسن الناس ابتداء قصيد في الاسلاميين القُطامي حيث يقول : إنا مُحيوك فاسلم . . .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٩/٢٢٧ .

قلت : قال :

طَرقَتْ جَنوبُ رِحالنا مِنْ مَطْرَقِ ... ما كنتُ أَحْسَبُهَا قَريبَ المُعْنَقِ
قَطعتْ إليكَ بمثلِ جِيدِ جَدَايَةٍ ... حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتَيْهِ مُطَوَّقِ
ومُصَرَّعين من الكلالِ كأنَّما ... بكروا الغَبوق من الرحيق المُعْتقِ(١)
متوسِّدينَ ذِراع كُلِّ شِمِلَّةٍ ... ومُفَرَّجٍ عُرَقِ المَقَذِّ مُنَوَّقِ(٢)
وجَثَتْ على رُكَبٍ تهدُّ بها الصَّفا ... وعلى كَلاكِلَ كالنَّقيلِ المُطْرَقِ
وإذا سَمعْنَ إلى همام رُفْقَةٍ ... ومن النجوم غَوابرٌ لم تَلْحَقِ
جَعَلتْ تُميل خُدودَها آذانها ... طَرَباً بهنّ إلى حُداءِ السُّوَّقِ
كالمُنصتات إلى الزَّمير سَمِعْنَهُ ... من رَائعٍ لقلوبهنَّ مُشَوِّقِ
فإذا نَظَرنَ إلى الطريقِ رَأينهُ ... لَهَقاً كشاكلَةِ الحصانِ الأَبلقِ(٣)
وإذا تَخلّفَ بَعدهنَّ لحاجةٍ ... حَادٍ يُشَسِّعُ نعله لم يَلحقِ(٤)
وإذا يُصيبكَ والحوادث جَمّةٌ ... حَدَثٌ حَداكَ إلى أَخيكَ الأَوثقِ
ليتَ الهُمومَ عن الفؤادِ تَفرَّجَتْ ... وخَلا التكلُّمُ لِلّسَانِ المُطْلَقِ

فقال عبد الملك بن مروان : ثكلت القطاميَّ أُمُّه ، هذا والله الشعر .

قال : فالفت إليَّ الأخطل فقال لي : يا شعبي ، إن لك فنوناً في

---

(١) الغَبُوقُ : ما يُشرب بالعشيِّ . المُعتق : والتَّعْتيق : ضد التجديد ، والمُعتَّقة : الخمر القديمة (القاموس المحيط) .

(٢) شِمِلّةٌ : نَاقةٌ شِمِلّةٌ : أي سريعةٌ (القاموس المحيط) .

(٣) ورد في لسان العرب قال القُطامي يصف إبلاً :
وإذا شَفَنَّ إلى الطريق رأينهُ ... لهفاً ، كشاكلةِ الحِصان الأَبْلَقِ
والبلَقُ والبُلقة : مصدر الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين ، ويقال للدابة أبلقُ وبلقاء . والبَلَقُ : سواد وبياض . واللَّهَاق : الأبيض الشديد البياض . (لسان العرب ـ بلق ـ لهق) .

(٤) الحادي : الذي يسوق الإبل بالحُداء . والحُداء الغناء للإبل . والشِّسْعُ من النَّعْلِ : سَيْرٌ يدخل بين الإصبعين من جهة ويتصل بصدر النَّعْل من جهة أخرى .

الأحاديث ، وإنما لنا فنّ واحد ، فإن رأيت ألاَّ تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حَرْبَى .

فقلت : وكرامةً ، لا أعرض لك في شعر أبداً فأقلني هذه المرة ، ثم التفتُّ إلى عبد الملك بن مروان فقلت : يا أمير المؤمنين أسألك أن تستغفر لي الأخطل ، فإني لا أعاود ما يكره ، فضحك عبد الملك بن مروان وقال : يا أخطل ، إن الشعبيَّ في جواري .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قد بدأتُه بالتحذير ، وإذا ترك ما نكره لم نعرض له إلاَّ بما يحب . فقال عبد الملك بن مروان للأخطل : فعليَّ ألاَّ يعرض لك إلاَّ بما تحب أبدا .

فقال له الأخطل : أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال عبد الملك بن مروان : أنا أكفل به إن شاء الله تعالى[1] .

والشاعر القُطامي كغيره من الشعراء يمدح ويهجو ويفخر ويتغزل وكان حسن التشبيب رقيقه ، وهو القائل :

وفي الخُدورِ غَماماتٌ بَرَقْنَ لنا ... حتَّى تصيَّدْنَنا من كُلِّ مصْطادِ[2]

ما اعتادَ حبُّ سُليمى حينَ مُعتادِ ... ولا تقضَّى بواقي دَيْنها الطادي[3]

بيضاء مَحطُوطةُ المَتنين بَهْكَنَةٌ ... رَيَّا الرَّوَادف لَمْ تُمْغِل بأولاد[4]

ما للكواعب ودّعن الحياة كما ... ودَّعْنني واتخذْنَ الشيبَ ميعَادِي ؟

أَبصَارُهن إلى الشبَّانِ مائلة ... وقد أراهُنَّ عَني غير صُدَّادِ

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٢١٧ .

(٢) هذا البيت ورد في الشعر والشعراء ٤٨٣ .

(٣) الطادي : الثابت القديم .

(٤) محطوطة : لطيفة . والبهكنة : الغضة وهي ذات شباب . والممغل من النساء التي تلد كل سنة وتحمل قبل فطام الصبي ، أي يكثر ولدها فيكون ذلك مفسدة لها ويرهل لحمها (لسان العرب ـ مغل) .

إذ بـاطلـي لـم تَقَشَّـعْ جَـاهِلِيَّتـهُ ... عنـي ولـم يتـرك الخُـلَّانُ تقـوادي

كِنيَّة الحيّ من ذي القَيْضَةِ احتملوا ... مُستحقبيـن فـؤاداً مـالـه فـادي[1]

بانوا وكانوا حياتي في اجتماعِهِمُ ... وفـي تَفـرقِهِـمْ قَتلـي واقتصـادي[2]

يَقتلْنَنَـا بحـديـثٍ ليـس يعلمـه ... مـن يتَّقيـن ولا مكنـونـهُ بَـادي[3]

فهـنَّ يَنبـذْنَ مـن قـولٍ يُصْبـنَ بـه ... مواقع الماء من ذي الغُلَّة الصادي[4]

القُطامي وامرأة من محارب قيسٍ :

نزل القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محاربِ قيسٍ ، فنسبها فقالت : أنا من قوم يَشْتَون القِدَّ من الجوع !

قال : ومن هؤلاء ويحك ؟

قالت : محارب ، ولم تَقْرِهِ ، فبات عندها بأسوأ ليلة ، فقال فيها قصيدة نذكر منها :

نـأتْـكَ بليلـى نِيَّـةٌ لـم تُقـاربِ ... وما حُبُّ ليلى من فؤادي بذاهبِ

ولا بُـدَّ أنَّ الضَّيْـفَ يُخْبـرُ مـا رأى ... مُخبِّـرَ أَهْـلٍ أو مُخبِّـرَ صَـاحـبِ

سـأخُبـركَ الأَنْبـاءَ عـن أمِّ مَنْـزلٍ ... تَضيَّفْتُهـا بيـن العُـذَيْـبِ فَـراسِـبِ

تَلفَّعْـتُ فـي طَـلٍّ وَريـحٍ تلُفُّنِّـي ... وفي طِرْ مِسَاءٍ غيرِ ذاتِ كَواكبِ[5]

إلـى حَيـزَبُـونٍ تُـوقِـدُ النـارَ بعـدمـا ... تَلفَّعتِ الظَّلماءُ من كُلِّ جَانبِ[6]

تَصلَّـى بهـا بَـرْدَ العشـاءِ ولـم تكُـنْ ... تَخـالُ وميضَ النـار يَبـدُو لـراكـبِ

---

(١) استحقبه : احتمله . وفي الديوان : « من ذي الغضبة ... مستحقبين أسيراً » . وشرحه مستحقبين فؤادي وهو الأيسر الذي لا يفديه أحد ... ويروي من ذي الغبضة : وهو مكان .

(٢) اقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٣) في الديوان : ولا مكتومه بادي .

(٤) الأغاني ٢٣/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٥) الطرمساء : الليلة المظلمة .

(٦) الحيزبون : العجوز .

فمَــا رَاعَهــا إلاَّ بُغَــامُ مَطِيَّــةٍ تُريحُ بمحْسورٍ من الصَّوتِ لاغبِ[١]

تَقول وقَدْ قَرَّبتُ كُوري وناقتي إليكَ فلا تَذْعَرْ عَليَّ رَكائبي[٢]

فلمَّا تنازَعْنا الحديثَ سَألْتُها مَن الحيُّ قالتْ مَعشرٌ من مُحارِبِ

من المُشْتَوِينَ القِدَّ مما تراهُمُ جِياعاً وريفُ الناسِ ليسَ بِعَازبِ[٣]

فلما بدا حِرْمَانُها الضَّيْفَ لمْ يكنْ عليَّ مُناخُ السَّوْءِ ضَربةَ لازب[٤]

زُفَر يطلق سَراح القُطامي :

ولمَّا أُسر القُطامي أتى زُفر بقرقيسيا فخلّى سبيله وورد عليه مائة ناقة ، كما ذكر أدهم بن عمران العبدي ، فقال القُطامي يمدحه بقصائد عدة ، أختار العيون من بعض قصائده لأنها قصائد طوال ، إذ قال :

قِفي قبل التفرق يا ضُباعَا ولا يَكُ مَوقفٌ منكِ الوداعَا[٥]

قِفي فَادِي أَسيرَكِ إنّ قَومي وقَومكِ لا أرى لهمُ اجتماعَا

ألمْ يحزنك ان حِبال قَيسٍ وتَغلبَ قَدْ تَباينت انقطاعَا

فصارَا ما تُغبُّهما أُمورٌ تزيدُ سنا حَرِيقتَها ارْتِفَاعَا[٦]

كما العظمُ الكسيرُ يُهاض حتى يَبِتَّ وإنَّما بدأ انصداعَا[٧]

---

(١) محسور : ضعيف ، وتريح بمحسور من الصوت : تخرج صوتها . والبغام : صوت الناقة . واللاغب : الضعيف .
(٢) الكور : المحمل .
(٣) في الديوان عجز البيت « ليس بناضب .
(٤) الأغاني ٢٣/١٧٨ ـ وانظر ديوان القطامي . وضربة لازب : أي ضربة لازم . ووردت القصيدة في الشعر والشعراء ٤٨٤ ، وفيها زيادة على الأغاني . وقال ابن قتيبة وهي من خبيث شعره في الهجاء . وأقول إنه كان قليل الهجاء كثير المدح والفخر .
(٥) انظر ديوانه ص٣٧ عددها ٧١ بيتاً .
(٦) غب وأغب : إذا أتى يوماً ولم يأت يوماً ، ويريد هنا أنها تأتيهم كل يوم . وفي المطبوع : قصارى ما نبثهما امور . . . نذير سنا . . .
(٧) يبت : ينكسر . وفي المطبوع : أبدا انصداعا .

فلـو بِيـدَيْ سـواكَ غـداةَ زَلَّـتْ ... بِـيَ القـدمـان لـم أَرجُ اطِّـلاَعَـا[1]
إذاً لهلكــتُ لــو كــانــت صِغَــارٌ ... مـن الأخـلاقِ تبتـدع ابتـداعَـا[2]
فلــم أرَ مُنعميــن أقــلَّ مَنّــاً ... وأَكـرمَ عنـدمـا اصطنعـوا اصطنـاعَـا
مـن البيـض الـوجـوه بنـي نُفَيـل ... أَبَـتْ أَخْـلاقُهـم إلاّ اتِّسـاعَـا
بنـي القَـرْمِ الـذي عَلِمَـتْ مَعَـدٌّ ... تَفضَّـلَ قـومَهـا سَعَـةً وَبَـاعَـا[3]

وقال أيضاً :

يـا زُفـر بـن الحـارث ابـن الأكـرم ... قد كُنتَ في الحربِ قَديم المُقْدَمِ
إذا أحجـمَ القـومُ ولمَّـا تُحجـمِ ... إنَّـكَ وابْنَيْـكَ حَفظتـم مَحْـرمـي
وحَقَــنَ اللهُ بكفيّــك دَمــي ... مـن بعـدمـا جَـفَّ لسـانـي وفَمـي
أَنْقَــذتَنــي مــن بَطَــلٍ مُعَمَّــمِ ... والخيـلِ تحـتَ العـارض المُسَـوَّمِ
وتَغْلِـبٌ يـدعـون يـالْـلأَرقـمِ[4]

وقال أيضاً :

يــا نَــاقُ خُبــيِّ خَبَبــاً زِوَرَّا ... وقَلِّبــي مَنسِمِــك المُغْبَــرَّا[5]
وعَـارِضـي الليـلَ إذا مَـا اخضـرَّا ... ســوف تُـلاقيــنَ جَــواداً حُــرَّا
سيــد قَيْــسٍ زُفَــرَ الأغــرَّا ... ذَاكَ الــذي بَــايــعَ ثــمَّ بَــرَّا

---

(١) في مخطوط : اضطلاعا .
(٢) في المطبوع : تنتزع انتزاعا .
(٣) في الديوان ٤٢ تفرّع قومها . (الأغاني ٢٣/ ٢٠٥) .
(٤) الأغاني ٢٣/ ٢٠٦ . وورد في الاشتقاق « ٣٣٦ » الأراقم ، وهم جُشَمُ ، ومَالكٌ ، وعَمرو ، وثعلبة ، والحارث ، ومعاوية . ومنهم القُطامي الشاعر . والقُطامي : اسمٌ من أسماء الصَّقر ، وأصل القطم العضُّ أو قطع الشَّيء بالأسنان . قطمت اللَّحم أقطمه قطماً إذا قطعته بأسنانك ، وبه سميت المرأة قَطام . والقُطامة : كلُّ ما قطعته فطرحته فهو قُطامة .
وإنما سُمُّوا الأراقم لأنهم شُبِّهت عيونهم بعيون الأراقم . والأراقهم : ضرب من الحيات (٣٣٩ الاشتقاق) .
(٥) خبَّ الفرس خباً ، وخَبَباً : أسرع وجرى . والخَبَبُ : ضَربٌ من العدو .

ونَقَـــضَ الأَقـــوام واستمـــرَّا   قـــد نَفـــعَ اللهُ بـــهِ وضَـــرَّا
وكـان فـي الحـرب شهـابـاً مُـرَّا[1]

وقال القُطاميُّ يُعاتبُ بعض عَشيرته ويُخَوِّفُهُ الهجاء فقال :

أَلَـمْ تَـرَ للبُنيـانِ تَبْلـى بُيـوتُـهُ   وتَبقى من الشِّعرِ البيوتُ العَوارِمُ[2]
وَلَـمْ أَرَ ذا شَـرٍّ تمـايـلَ شَـرُّه   على قَوْمِهِ إلاّ انْتَهى وهو نَادِمُ[3]
وَلَـوْ أَنَّنـي هـانَـتْ عَلـيَّ عَشيـرتـي   لَسُبَّتْ عُروضٌ واسْتُحِلَّتْ مَحارِمُ[4]
إذَنْ لانطَوَتْ عَنّي شعوبي وأَقْبلَتْ   عَلـيَّ شَكـاةٌ مِنْهُـمُ وَمَـلاوِمُ[5]

وقال االقُطامي[6] يمدح بني دارم :

جَـزى اللهُ خيـراً والجـزاءُ بكفِّـهِ   بنـي دَارِمٍ عـن كـلِّ جَـانٍ وغَـارمِ
هُمُ حَمَلوا رَحْلي وأَدَّوْا أَمَانَتي[7]   إلـيَّ ورَدّوا فـيَّ ريـشَ القـوادِمِ
ولا عَيْـبَ فيهـمْ غَيْـر أَنَّ قُـدُورَهُـم   على المالِ أمثالُ السنينَ الحَواطِمِ
وإِنَّ مَـواريـثَ الأُولـى يَـرِثُـونَهـم   كُنوز المَعَالي لا كُنوزُ الدَّراهمِ[8]
وَمـا ضـرَّ مَنْسُـوبـاً أَبـوهُ وأُمّـهُ   إلـى دَارِمٍ أَنْ لا يكـونَ لِهَـاشِـمِ[9]

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٢٠٦ .
(٢) العوارم : في الديوان الصوارم . والعوارم : جمع عارم . الشديد الباذخ من الشعر . ومعنى البيت : تبلى بيوت الناس من الطين ، وتبقى بيوت الشعر .
(٣) معنى البيت : من مال بالشر على قومه ندم . وفي اللسان : تماثل شرّه على قومه .
(٤) في الديوان : سُبَّ .
(٥) في الديوان : شعوبٌ . وردت هذه الأبيات في الحماسة الشجرية ١/ ٢٧٦ والأبيات في الديوان : ١٢٧ ـ ١٣١ وفي الأبيات تقديم وتأخير (حاشية الحماسة) .
(٦) ونسبت هذه الأبيات ماعدا البيت الأخير إلى الشاعر عمارة بن عُقيل في الحماسة الشجرية ١/ ٣٧٤ وفي الحماسة البصرية ١/ ١٥٤ إلى الشاعر القُطامي عُمير بن شُيَيْم .
(٧) في الشجرية : وأدوا خفارتي .
(٨) وجاء هذا البيت في الشجرية :
وأَنَّهُـم لا يُـورِثـونَ بَنيهِـمُ   وإنْ أَوْرَثـوا مجـداً كنـوزَ الـدَّراهـمِ
(٩) الحماسة البصرية ١/ ١٥٤ .

وجاء في طبقات فحول الشعراء : وكان زُفَر[1] بن الحارث أَسره في حربٍ بينهم وبين تغلب ، فمنَّ عليه وأعطاه مئة من الإبل وَرَدَّ عليه ماله ، فقال القطامي في كلمة له :

مَـنْ مُبْلِـغٌ زُفَـرَ القَيْسـيَّ مِـدْحَتَـهُ ... عن القُطَامِيِّ ، قوْلاً غَيْرَ إِفْنَادِ[2]
إنِّي ، وَإِنْ كانَ قَوْمي ليسَ بَيْنَهمُ ... وبينَ قَوْمِكَ إِلاَّ ضَرْبَةُ الهَادي[3]
مُثْنٍ عَلَيْكَ بما أَسْلَفتَ من حَسَنٍ ، ... وقـد تَعَـرَّضَ منِّـي مَقْتَـلٌ بـادي
فَلَـنْ أُثيبَـكَ بـالنَّعْمَـاءِ مَشْتَمَـةً ، ... ولَـنْ أُبَـدِّلَ إِحْسَـانـاً بـإِفْسَـادِ[4]
فـإنْ هَجَـوْتُـكَ مـا تَمَّتْ مُحَـافَظَتي ... وإن مدَحْتُ لقدْ أَحْسَنْتَ إِصْفَادِي[5]
إذ يَعْتَرِيكَ رِجَالٌ يسألُونَ دَمي ، ... ولـو تُطيعُهُـمُ أَبْكَيـتَ عُـوَّادِي[6]
وإذْ يقُولُون : أَرْضَيْتَ العُداةَ بنا ! ... لا ، بَلْ قَدَحْتَ بزَنْدٍ غَيْرِ صَلَّادِ[7]
ولا كَـرَدِّكَ مَـالـي بَعْـدَمَـا كَـرَبَـتْ ... تُبْدي الشَّماتَةَ أَعْدَائي وحُسَّادِي[8]

---

(١) زُفر من بني نُفَيْل بن عمرو بن كلاب ، من ولد يزيد بن الصَّعِق ، وهو سيِّدٌ شريف وله يقول القُطامي حين أسَره فمنَّ عليه :

مـن البيـضِ الـوُجـوهِ بنـي نُفيـلٍ ... أَبـت أَخـلاقُهـم إلاّ ارتفـاعـا

طبقات فحول الشعراء « ٤٧٩ » .

وجاء في حاشية طبقات فحول الشعراء عن نسب زُفر : هو زُفر بن الحارث الكلابي من بني عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان « ٥٣٥ » .

(٢) أفند الرجل إفناداً : كذب في قوله . والفَنَد : الكذب ، والخطأ أيضاً .

(٣) الهادي : العنق ، وجمعه هواد . وذلك لتقدمه ، كأنه يهدي صاحبه .

(٤) أثابه يثيبه : كافأه وجازاه . والمشتمة والشتم والشتيمة : السب .

(٥) المحافظة : حفظ العهد ومكارم الأخلاق والأنفة مما يعيب . أصفده إصفاداً : أعطاه ووصله .

(٦) اعتراه : غشيه طالباً معروفاً أو حاجة . العواد جمع عائد : وهو الزائر يزورك عند مرضك .

(٧) قدح بالزند : ضرب به ليوري النار . وصالد وصلود وصلاد : هو الذي يصوت عند الضرب ولاتنقدح منه النار .

(٨) كربت : قربت ودنت .

فإنْ قَدَرْتُ على يَوْمٍ جَزَيْتُ بهِ ، والله يَجْعَلُ أقْوَاماً بِمِرْصَادِ[1]

قال ابن سلاّم : فلما بلغَ زُفر قوله : قال : لا قَدَرْتَ على ذلك اليوم[2] .

وقال أيضاً يفخر بقومه وبالبادية على الحضارة :

وَمَنْ تكُنِ الحضارةُ أَعْجَبَتْهُ ، فأيَّ أُناسِ بَاديةٍ تَرانَا[3]

وَمَنْ رَبَطَ الجحاشَ فإنَّ فينا ، قَناً سُلْباً وأفراساً حِسانا[4]

وكُنَّ إذا أَغَرنَ على جَنابٍ ، وأعْوَزَهُنَّ كوزٌ حيث كانا

أَغَرْنَ من الضَّبابِ على حِلالٍ ، وَضبَّةَ إنَّهُ مَنْ حانَ حَانا[5]

وأحياناً على بَكْرٍ أَخينا ، إذا ما لم نَجِدْ إلاّ أخَانَا[6]

وقال أيضاً يفخر بأصوله وجذوره فقال :

---

(١) المرصاد : الموضع الذي ترصد الناس فيه ، أي ترقبهم . (طبقات فحول الشعراء ٥٣٧) .

(٢) في الديوان : لما سمع زفر هذا البيت قال : لا أقدرك الله ! يأنف أن يؤسر ثم يمن عليه . حاشية طبقات فحول الشعراء / ٥٣٧/ . والديوان أشمل لشعره .

(٣) وجاء في الكامل للمبرد ١/ ٨٦ قوله : الحضارة يريد الأمصار ، وتقول العرب : فلانٌ بادٍ وفلانٌ حاضِرٌ ؛ وفي الحديث : « ولا يَبيعَنَّ حاضرٌ لبادٍ » ، وتأويل ذلك أن الباديَ يَقْدَم وقد عَرفَ أسعار ما مَعَهُ وما مِقْدارُ رِبْحِه ، فإذا جاءه الحاضرُ عَرَّفه وسُنَّةَ البَلدِ . فأغلى على الناس ، ومِثْلُ ذلك النَّهْيُ عن تَلَقِّي الجَلبِ ، ومثله : « عُوا عِبادَ الله يُصِبْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ » . من حديث أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٥٩ ، ونحوه أخرجه مسلم في كتاب البيوع برقم ١٥٢٢ .
وفي الكامل للمبرد : فأي رجال باديةٍ ترانا .

(٤) قناً سلباً : طوالاً .

(٥) وفي الكامل للمبرد جاء : ويقال حَيٌّ حِلاَلٌ إذا كانوا مُتجاورين مُقيمين ، وأنشد الأصمعيُّ :
أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ العِيرَ تَجراً ، أَحَبُّ إليكَ أَمْ حَيٌّ حِلاَلُ

(٦) ديوان الشاعر ٧٦ كما وردت الأبيات في الكامل للمبرد ١/ ٨٦ .
وهذه الأبيات التي قالها الشاعر القطامي التَّغلبي تدل على العقلية القبلية ، وتأثرها بالصحراء والبادية ، والغزو الذي لا يسلم منه القريب أو البعيد .

رَبيعةُ آبائي الأولى اقتسموا العلى إذا عُـدَّ بَـاقٍ مِـنْ زَمـانٍ وسَـالِـفُ
وتَغلـبُ بَحْـري طـمَّ سيـلاً بـأبُحـرٍ فلـم يَسْتَطِـعْ تيـارَهُـنَّ المُجـاذِفُ
وبَكْـرُ وعبـدُ القيـسِ اخـوتُنـا معـاً كَفتَنْـا لُكَيْـزٌ منهُـمُ والحَنـائِـفُ[1]
وعِيْـلان منـا يَـوْمَ كُـلِّ كَـرِيهَـةٍ وتحلب غُزْراً يَوْمَ تُدْعى الخَنادِفُ[2]
فَنَحْنُ الزِّمامُ القائد المُهتدى بهم ومِنْ غَيْرنَا المُولى التبيعُ المُحَالِفُ[3]
ونَحـنُ تَـرودُ الخيـلُ وَسْـطَ بيـوتنـا ويَغْبُقْنَ مَحْضاً وهي مَحْلٌ مَسانِفُ[4]

وقال أيضاً :

فليـسَ مِـن الأَحيـاءِ إلاَّ مُسـوِّدٌ رَبيعـةَ أعـرابيُّـهُ ومُهَـاجِـرُهْ
ونَحْنُ أُناسٌ لا ترى الناسَ أَقْرَمُوا إلى قَرْمِنا قَرْماً يَجيءُ بِخَاطِرُهْ[5]
إذا مـا سمـا بَـذَّ القـرومَ جـرانُـه ومهمـا تَصبْ أَنيـابُـه فهْـوَ عَـاقِـرُهْ
إذا الحربُ شَالتْ للتَّلقُح لم تَجدْ لنـا جـانبـاً إلا بـهِ مَـنْ يُصـابِـرُهْ[6]
نُطيـعُ ونَعصـي كـلَّ ذاك أميـرنـا ومـا كـلُّ حيـن لا نـزالُ نشـاورُهْ
وما يَعْلمُ الغيبَ امرؤ قبل أن يرى ولا الأمـر حتـى تُستبـانَ دَوابِـرُهْ[7]

وقال يمدح عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة قاربت المائة بيت أذكر هنا بعضاً منها :

أَمِـن طَـرَبٍ بكيـتُ وذكـرِ أَهْـلٍ وللطـربِ المُتـاحِ لـكَ إدِّكـارُ
وأَطـلالٌ عَفَـتْ مـن بعـدِ أُنـسٍ ودارُ الحـي منكـرةٌ قِفَـارُ

---

(١) عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ولكيز بن أفصى بن عبد القيس .
(٢) قال أبو عمرو : إنما ذكر عيلان لأنه تنزر فصير أولاد نزار منه .
(٣) التبيع : التابع الذي يتبعك .
(٤) قال أبو عمرو : أرض مسنفة أي مجدية . ديوان الشاعر ٥٥ ـ ٥٦ .
(٥) أقرموا : اتخذوا قرماً أي فحلاً .
(٦) يُصابرُه : يقول ألا من يصابر الجانب الذي فيه الحرب .
(٧) ديوان الشاعر ٩٦ .

خَلَتْ غيرُ الظباءِ بها وعينٌ وظلمانَ النعامِ لها عِرارُ[1]

أَميرُ المؤمنين هدىً وَنُورٌ كما جلّى دجى الظلمِ النهارُ

قَريعُ بني أُميةَ من قُريشٍ هم السَّرُ المهذبُ والنضارُ

وعبد المَلْكِ للفُقَراءِ طَعْمٌ وحِرْزٌ ليس مَعقلُه يُضارُ

وقَدْ حَمَلَ الخِلافَةَ ثم حَلَّ بها عند « ابنِ مروانَ » القرارُ

فأيْنَ ذوو البطاحِ ذرى قُريشٍ وأحلامٌ لَهُمْ ما تُستعارُ

ونحنُ رَعيةٌ وهم رُعَاةٌ ولولا رَعيُهُمْ شنع الشنارُ

فإن لم تأتَمرْ رُشْداً قُريشٌ فليس لسائر العَرَبِ ائتمارُ

وفَضْلُهُمُ باذنِ الله صَبْرٌ وضَرْسٌ للأعادي واحتقارُ

فيا قومي هَلُمَّ إلى جَميعٍ وفيما قَدْ مَضى لكم اعتبارُ

غَلبنا الناسَ في الدنيا بفضلٍ ونرجو أن يكون لنا المحارُ[2]

* * *

(١) عين بقر الوحش . ظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . عرار : عر الظليم : صاح .

(٢) المحار : الرجوع . ديوان الشاعر ١٣٧ ـ ١٤٩ .
الشاعر القطامي : كغيره من الشعراء مدح ، وتغزل ، ووصف ، وعاصر الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك واختلف في وفاته ، فجاء في كشف الظنون ١/ ٨٠٦ مات سنة (١٠١ هـ) ولم تعرف ولادته . وجاء في ديوانه : وذكر الشيخ أحمد مصطفى المراغي أنه توفي سنة (١٠١ هـ) ويذكر يوسف إليان سركيس أنه توفي سنة (٧١٠ م) . وفي أعلام الزركلي ٥/ ٢٦٤ أنه توفي سنة ٧٤٧ م/ ١٣٠ هـ . هذه روايات مختلفة عن وفاته ، ولعل أصح هذه الروايات أنه توفي سنة (١٠١ هـ) . ديوان الشاعر ص١١ .

عَميرةُ(*) بنُ جُعَلَ التغلبي

هو عَمِيرةُ بن جُعَل بن عَمْرو بن مَالك بن الحرث بن حَبيب بن حُرْقَةَ[1] بن ثعلبة بن بكر بن حَبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. شاعر جاهلي[2].

وجاء بأن وفاته كانت سنة « ٦٠ ق هـ = ٥٦٢ م ». وذكر بأن أغلب شعره قد ضاع ولم ينل حظه من الشهرة[3].

كان عَمِيرةُ بن جُعَل يهجو قومه بني تغلب، ويذكر أنهم لم يؤتوا في لؤمهم من قبل أُمهاتهم، إنَّما أتوا من قبل آبائهم، وأن المرأة الكريمة منهم

(*) جمهرة النسب ٥٧٤، جمهرة أنساب العرب ٣٠٧، خزانة الأدب ٣/ ٥٠، معجم الشعراء ٧٥، الشعر والشعراء ٤٣٣، نسب معد ١/ ٩٣، المفضليات ٦٣، ٦٤، وعَميرة بفتح العين.

(١) وردت في جمهرة النسب، وأنساب العرب، ونسب معد (حرفه) بالفاء ووردت في بعض المصادر (حرقة) بالقاف.

(٢) المفضليات ٢٥٧، وجاء في الحاشية: أخطأ ابن قتيبة في الشعراء ٤١١ إذ حكاه بالتصغير، وذكر أن عميرة وكعباً ابني جُعيل أخوان. وقد فرق بينهما الآمدي في الموتلف ٨٣ ـ ٨٤ فذكر نسب عَميرة بن جُعَل كما ذكرناه.
وأما كَعب بن جُعيل بن قمير (انظر ترجمته في هذا الكتاب).
أخطأ المرزباني ٢٤٥ فسماه « عمير بن جعيل » بحذف الهاء في اسمه وبالتصغير في اسم أبيه. ولم يحقق صاحب الخزانة ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ فجمع بين النصوص وجعل « عميرة بن جعل » و« عمير بن جعيل » شخصين، نسب للأول القصيدة رقم ٦٤ في المفضليات وجعل الثاني أخا كعب بن جعيل ونسب له القصيدة رقم ٦٣. وظن أن كعب بن جعيل كان ممن هجا قومه ولم ينقل إلينا هجاه، ثم ندم على ذلك فقال أبياتاً في ندمه، فشبه على ابن قتيبة فنسب بيتين لعميرة، ولكنها لكعب، فقد رواها المرزباني ٣٤٤ له أربعة أبيات ورواها الجمحي ١٩١ له خمسة، وفيها قوله « معاوي أنصف تغلب ابنة وائل » فهذا قول كعب الإسلامي، لا عميرة الجاهلي. وهذا هو رأي المحقق عبد السلام هارون. وانظر حاشية طبقات الشعراء للجمحي ٢/ ٥٧٣.

(٣) الأعلام ٥/ ٩٠.

تتزوج الرجل المسروق النسب ، أي الذي ليس لأبيه فمن ذلك ما جاءتهم الهجنة ، ثم أنحى عليهم بأنهم يرضون الذل ويشتاقونه ، ورسم لذلك صورة طريفة في البيت الخامس :

كسَا اللهُ حيَّيْ تَغْلِبَ ابْنةِ وَائِلٍ ... مِنَ اللُّؤْم أَظْفاراً بَطِيئاً نُصُولُها[١]

فَما بِهِمُ أَنْ لا يكونُوا طَرُوقَةً ... هِجَاناً ، ولَكِنْ عَفَّرَتْها فُحُولُها[٢]

تَرى الحَاصِنُ الغرّاءَ مِنهُمْ لِشَارفٍ ... أَخي سَلَّةٍ قَدْ كانَ مِنْهُ سَليلُها[٣]

قَليلاً تَبغِّيها الفُحُولةَ غَيْرَهُ ... إذا اسْتَسْعَلتْ جِنَّانُ أرضٍ وغُولُها[٤]

إذا ارْتَحلُوا مِنْ دارِ ضَيم تَعاذلُوا ... عليهمْ ، ورَدُّوا وَفدَهُمْ يَسْتَقِيلُها[٥]

ثم ندم على هجاء قومه فقال :

نَدِمْتُ على شَتْمِ العَشيرةِ بَعْدَما ... مَضَتْ واستَتَّبت للرُّواةِ مَذاهِبُهْ[٦]

فأصبحت لا أَسْطيعُ دَفْعًا لما مَضَى ... كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضَّرع حَالِبُهْ[٧]

---

(١) ورد البيت الأول والثاني في الشعر والشعراء ٤٣٣ وقال ابن قتيبة قال عَميرة بن جُعيل وهو شقيق كعب بن جعيل ولقد أوضحت ذلك بأنهما من قبيلة تغلب وليس بشقيقين .

(٢) ورد عجز البيت في الشعر والشعراء « كراماً ولكن غيَّرتها فحولها » . والطروقة : الناقة بلغت أن يضربها الفحل . الهجان : الخالص الحسب الكريم ، يقال للواحد والجمع . عفرتها : ألزقتها بالعفر وهو التراب .

(٣) الحاصن : الكريمة العفيفة . الشارف : الكبير . السلة : السرقة . سليلها : ولدها .

(٤) استسعلت : صارت كالسعلاة ، وهي أشد شرارة من الغول والجن . يريد إذا اشتد الزمن فلا تريد هذه الحاصن غير زوجها .

(٥) تعاذلوا : لام بعضهم بعضاً . « المفضليات ٢٥٨ » .

(٦) قال عبد السلام هارون في حاشية المفضليات ٢٥٧ يوجد خمسة أبيات في طبقات الجمحي ٢/ ٥٧٣ تنسب إلى عميرة . وجاء عجز البيت في طبقات الجمحي « مضى واستتب . . . » وجاء البيت السادس والسابع في الشعر والشعراء ٤٣٣ .

(٧) وجاء صدر البيت في طبقات الجمحي « فأصبحت لا اسطيع رداً . . . » أما الأبيات التي ذكرت في طبقات الجمحي وهي تتمة لهذين البيتين .

مُعَاوِيَ أَنْصِفْ تَغلبَ ابنةِ وائِلٍ ... مِنَ النّاس ، أَوْدَعْها وحَيّاً تُضَارِبُه

قَليلٌ على بابِ الأميرِ لُبَاثَتي ... إذا رابني بَابُ الأميرِ وحاجِبُهْ

ـ تعليق : مادام الشاعر جاهلي فليس له معرفة أو علاقة مع معاوية بن أبي سفيان ويذكر=

وهنا الشاعر عَميرة مثله مثل شعراء الجاهلية يقف على الأطلال وينظر إليها ويرى أن السنين كيف عفت آثارها ولم تبق غير النؤي والأوراي الدارسات ومواضع الحطب . وكيف أنها أمست قفراً ، ومنزلاً للسباع يتعاركن ويتهارشن فوق أرضها .

ثم هجا إياساً وجندلاً وتوعدهما بالسلاح . (انظر البيت السابع) ونعت سلاحه ووصف سنانه ، ثم عيرهما بأن قومهما كانوا عبيد قومه في شدة الزمان ، وأن جديهما عبدان وأميهما أمتان .

فقال :

ألا يــا دِيَــارَ الحَــيِّ بِــالبَــرَدانِ	خَلَـتْ حِجَـجٌ بعـدي لَهُـنَّ ثَمـانِ[(١)]
فَلَــمْ يَبْـقَ مِنْهَــا غَيْـرُ نُـؤْيٍ مُهَـدَّمٍ	وغَيْــرُ أَوَارٍ كــالـرَّكِــيِّ دِفــانِ[(٢)]
وغَيْرُ حَطُوباتِ الوَلائِدِ ذَعْذَعَتْ	بهـا الـرِّيـحُ والأَمْطارُ كـلَّ مكـانِ[(٣)]
قِفــارٌ مَــرَوْراةٌ يَحــارُ بِهــا القَطــا	يَظَــلُّ بهــا السَّبْعــانِ يَعْتَــرِكــانِ[(٤)]
يُثِيــرَانِ مــن نَسْــجِ التُّـرَابِ عَليهمــا	قَمِيصَيْــنِ أَسْمــاطــاً ويَـرْتَـدِيــانِ[(٥)]
وبــالشَّـرَفِ الأَعْلَـى وُحُـوشٌ كـأَنَّهـا	عَلَى جَانِبِ الأَرْجَاءِ عُوذُ هِجانِ[(٦)]

= صاحب الأعلام بأن وفاته كانت (٦٠ ق هـ = ٥٦٢ م) معنى ذلك أن هذه الأبيات وما تلاها هي لكعب بن جعيل كما ذكرتها المراجع وانظر ترجمة كعب التغلبي .

(١) البردان : موضع .

(٢) النؤي : حاجز حول الخباء ، الأواري : ج آري وهو ما حبس الدابة من وتد ونحوه ، الركي : ج ركية : وهي البئر ، دفان : متدفنة واحدها دفين .

(٣) الولائد : الإماء . الحطوبات : ج حطوبة وهو ما احتطب الإماء وجمعن ، ذعذعت : فرّقت .

(٤) المراورة : التي لا تنبت شيئاً ولا ماء فيها ، يحارُ بها القطا : لبعدها ، وليس في الطير أهدى من القطا ، فإذا حار في مكان كان أشد حيرةٍ لغيره ، السبع : المفترس من الحيوان ، بضم الباء وتسكينها لغةً لا تخفيف . يعتركان : يلتمس كل واحد منهما أكل صاحبه من الجدب .

(٥) الأسماط : الأخلاق أي البالية ، والأسماط بهذا المعنى ليست في المعاجم .

(٦) الشرف : المرتفع من الأرض ، الأرجاء : النواحي ، واحدها رجا بالألف . العوذ : الإبل التي معها أولادها ، الهجان : الكرام .

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي إِيـاسـاً وجَنْـدَلاً أَخَـا طـارِقٍ ، والقَـوْلُ ذُو نَفَيـانِ[١]
فَـلاَ تُـوعِـدَانـي بـالسِّـلاَحِ فَـإِنَّمـا جَمَعْـتُ سِـلاَحي رَهْبَـةَ الحَـدَثـانِ
جَمَعْـتُ رُدَيْنِيّـاً كـأَنَّ سِنـانَـهُ سَنَـا لَهَـبٍ لَـمْ يَسْتَعِـنْ بِـدُخَـانِ[٢]
ليـالِـيَ إِذْ أَنْتُـمْ لِـرَهْطِـيَ أَعْبُـدٌ بِـرَمَّـانَ لَمَّـا أَجْدَبَ الحَـرَمَـانِ[٣]
وإِذْ لَهُـمُ ذَوْدٌ عِجـافٌ وصِبْيَـةٌ وإِذْ أَنْتُـمُ لَيْسَـت لَكُـمْ غَنَمـانِ[٤]
وجَـدَّاكُمـا عَبْدَا عُمَيْرِ بـنِ عـامـرٍ وأُمَّـاكُمَـا مِـنْ قَيْنَـةٍ أَمَتَـانِ[٥]

وقال أيضاً :

إذا ضيّقـتَ أمـراً ضَـاقَ جـدّاً وإنْ هَـوّنـتَ مـا قَـدْ ضَـاقَ هَـانَـا
سَأصبِرُ من صَديقي إنْ جَفَـاني علـى كـلِّ الأذى إلاّ الهـوانـا
فـإنَّ الحُـرَّ يـأنـفُ فـي خـلاءٍ وإن حَضَـرِ الجَمَـاعـةَ أن يُهـانـا

وله :

تَـوَثـقْ مـن إخَـاءِ الحُـرِّ إنـي رأيـتُ العبـدَ فـي الحـالات عبـدا
يَـزيـدُ الحـرُّ خيـراً كـل يَـومٍ وخيـرُ العَبـدِ قَـدْ يَـزدَادُ بُعْـدَا
إذا جـريـا لغـايـةِ مكـرمـاتٍ كَبَـا هـذا وبـرّز ذاكَ شَـدَّا[٦]

* * *

(١) ذو نفيان : يتفرق ههنا وههنا .
(٢) الرديني : الرمح . بدخان : إذا لم يستعن بدخان كان أصفى له . شبه السنان في صفائه بصفاء لسان النار ، قال الأصمعي هذا أشعر بيت في وصف البستان .
(٣) رمان : بفتح الراء بلد بين غنى وطيء .
(٤) الذود : الثلاث من الإبل إلى العشر ، غنمان : أراد قطعتي غنم . قطعة ههنا وقطعة ههنا .
(٥) القنية : الأمة (المفضليات ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) .
(٦) وردت الأبيات في معجم الشعراء ونسبت إلى عمير بن جُعيل التغلبي . ولقد تم إثبات كما سلف من قبل الأستاذ عبد السلام هارون لدى عودته إلى المؤتلف والمختلف للآمدي ٨٣ ـ ٨٤ الذي فرق بين كعب بن جعيل ، وعمير بن جعيل . وأنه عميرة بن جعل ، وهو ليس بأخيه وبأنهما من قبيلة تغلب . ولقد أوضحت نسب كل واحد منهما في ترجمته .

غِيَاثُ(*) بن غَوْث التَّغلبي = الأخطل

هو الأَخْطَل الشاعر ، واسمه غِيَاث بن غَوْث بن الصَّلْت بن طارق بن السيْحان ابن عَمرو بن السَّيْحان بن فَدَوْكَس بن عَمرو بن مَالك بن جُشَم بن بكر بن حُبيب[1] بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِبْ . ويُكني أبا مالك[2] ، والأخطل لقب .

معنى الأخطل : واشتقاق (خَطِلٍ) من اضطراب الكلام ، وبه لقِّب الأخطل الشاعر ، لخطله ، زعم أبو عبيدة ، واضطراب كلامه . ويقال : رمحٌ خَطِلٌ ، إذا كان يضطرب في اهتزازه . خَطِلَ الرمحُ يَخْطَل خَطَلاً ، إذا اضطربَ واهتزّ . وشاة خطلاء : طويلة الأذنين[3] .

وإنَّما سمِّي الأخطل لسفَهِهِ واضطراب شعره . هكذا قال الأصمعي . والخَطَل : الالتواء في الكلام . يُقال : رمْحٌ خَطِل ، إذا كان شديد الاهتزاز[4] .

وقيل : إنما سمي بذلك لطول لسانه ، وقيل هو من الخَطَل في القول ؛ ويقال للأحمق العَجِل ، خَطِلٌ وللمقاتل السريع الطعن خَطِل . وخَطِلَ الرجلُ في كلامه : أي أفحش . ورجل أخطل اللسان إذا كان مضطرب اللسان مُفَوَّهاً[5] .

ذكره الجمحي في طبقاته وصنَّفه من طبقة الشعراء الأولى في الإسلام هو وجَرير ، والفَرزدق ، وعُبيد بن حُصين بن جَندل[6] .

(*) الأغاني ٨/ ٢٧٩ ، الشعر والشعراء ٣١٩ ، جمهرة أشعار العرب ٢/ ٩٠٧ ، عقد فريد ٢/ ٩٤ ، ٤٤٥ ، ٤٦٩ ، أمالي القالي ٢/ ٢٣١ ، ٣/ ٤٣ ، ١٨١ ، الاشتقاق ٣٣٨ ، جمهرة أنساب العرب ٣٠٥ طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩٨ ، ٤٦٢ ، الكامل في التاريخ ٤/ ٣١٠ ـ ٣٢١ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٩ ، مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢١٢ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٥ .

(٢) أغاني ٨/ ٢٧٩ . طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩٨ .

(٣) الاشتقاق ١٠٦ .

(٤) الاشتقاق ٣٣٨ .

(٥) لسان العرب ـ خطل . وهناك روايات كثيرة تذكر ذلك وكلها تدور في معنى واحد .

(٦) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩٨ .

علاقة الأخطل بالأمويين :

كان عَبد الرحمن بن حسَّان ويَزيد بن معاوية يتَقاولان ، فاستعلاهُ ابن حَسَّان[1] . قال يزيد لكعب بن جُعَيل التَّغلبي : أجبه عنِّي ، واهْجُه ؟

فقال : والله ما تلتقي شَفتاي بهجاء الأَنْصار ! ولكنِّي أدُلّك على الشاعر الماهر الفاجر ! فتىً منَّا يقال له : غياث بن الغَوث ، نَصْرانيٌّ[2] .

قال أبو يحيى الضَّبي : أرسل إليه يزيد : أن اهْجُهمْ !

فقال : كيف أصْنع بمكانهم ؟ أخافهم على نفسي !

قال : لك ذِمَّةُ أمير المؤمنين وذِمَّتي . فذلك حين يقول :

ذَهبتْ قُريشٌ بالسَّماحةِ والنَّدى   واللُّؤْمُ تَحتَ عَمائم الأَنْصارِ

فجاء النُّعمان بن بشير الأنصاري إلى مُعاوية فقال : يا أمير المؤمنين بُلغَ مِنَّا أمرٌ ما بلغ مِنَّا مثلُه في جاهليَّة ولا إِسْلام !

قال : مَنْ بَلغَ ذَاك منكم ؟

قال : غُلامٌ نَصْرانيٌّ من بني تَغْلِب .

قال : ما حاجتُك فيه ؟

قال : لسانَهُ .

قال : ذاكَ لك .

وكان النُّعمانُ ذا منزلةٍ من مُعاوية ، وكان معاوية يقول : يا معشرَ الأنصار ! تَسْتَبْطئُونني[3] ، وما صَحبني منكم إلاّ النُّعمان بن بَشير ! وقد رأيْتُم

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٦١ . وكان تقاولهما بسبب ما كان من تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية أخت يزيد . « الأغاني ٣/ ١٤١ » واستعلاه : غلبه وقهره وعلا عليه . والتقاول : التهاجي .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٦٢ .

(٣) استبطأه : عده بطيئاً عن نصرته أو إكرامه أو غيرهما .

ما صَنعتُ به ! وكان ولاَّه الكُوفَة وأكرَمه .

فأُخْبِرَ الأخطل ، فصار إلى يزيد ، فدخل يزيد إلى إبيه فقال : يا أمير المؤمنين ، هَجَوني وذَكَرُوك ، فجعلتُ له ذِمَّتَك وذِمَّتي على أنْ رَدّ عَنّي ! فقال معاوية للنُّعمان : لا سبيلَ إلى ذِمَّة أبي خالد[١] .

وقال الأخطل يشكر يزيد بن معاوية :

أبـا خَـالـدٍ ، دَافَعْـتَ عَنِّـي عَظيمـةً ... وأدركـتَ لَحْمـي قَبْـلَ أن يَتَبَـدَّدا[٢]
وأطْفَـأتَ عَنِّـي نَـارَ نُعْمَـانَ بَعْـدَمـا ... أَغَـذَّ لأَمْـرٍ فَـاجِـرٍ وتَجَـرَّدَا[٣]
ولمَّـا رأَى نُعمـان دُونِـي ابـن حُـرَّةٍ ... طَوى الكَشْحَ ، إذ لم يَستطِعْني ، وعَرَّدا[٤]
بـأجْـودَ سيْبـاً مـن يَـزيـدَ إذا غَـدَتْ ... بـه بختـه يَحمِلْـنَ مُلْكـاً وسـؤدَدَا[٥]
يُقَلِّـصُ بـالسَّيْـفِ الطَّـويـل نِجـادُه ، ... خَميصٌ إذا السِّرْبالُ عَنه تَقَدَّدا[٦]

وقال أيضاً :

فلـولا يَـزيـدُ ابـنُ الإمـامِ أَصـابَنـي ... قَـوارعُ ، يَجْنيْهـا علـيَّ لِسَـانـي[٧]
فآليتُ ، لا آتي نَصِيْبِيْنَ طائعاً ... ولا السِّجْنَ ، حتَّى يَمْضي الحَرَمانِ[٨]
أَتـانـي ، وأهلـي بـالأَزاغـبِ ، أنَّـهُ ... تَتَابَعَ ، من أَهلِ الصَّريحِ ، ثَماني[٩]

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٦٤ .

(٢) أبو خالد : كنية يزيد بن معاوية . عظيمة : نكبة عظيمة . قبل أن يتبدد في نهش الناهشين .

(٣) أغذ : أي أسرع . وتجرد للأمر : جد فيه ، كأنه تجرد من كل ما يعوقه عن الإسراع في السير .

(٤) دوني : أي يحول بيني وبينه قبل أن يصل إلي . الكَشْحُ : ما بين الخاصرة والضُّلُوع . وطوى كَشْحَهُ على الأمر : أضمره وستره ، وطوى كشحه على فيغْنٍ أخفاه . وطوى كَشْحهُ عنه : أعرضَ عنه . والكاشح : العَدوُّ المُبغِضُ . وعرد الرجل عن قرنه : أحجم ونكل وأسرع الفرار .

(٥) السيب : العرف والعطاء السهل . البخت : الإبل الخرسانية .

(٦) قلصت قميصي : شمرته ورفعته . والنجاد : حمائل السيف . والخميص : الضامر البطن . وتقدد : انشق (طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٦٦) .

(٧) القوارع : جمع قارعة وهي الداهية الشديدة .

(٨) نصيبين : مدينة بالجزيرة .

(٩) الأزاغب : موضع من ديار تغلب . ثماني : أراد ثمانية أفراس جئن وِلاءً سابقات =

وقال أيضاً :

لأَلْجَأَتْني قُريشٌ خَائِفاً ، وَجلاً ... وَموَّلَتْني قُرَيْشٌ بعدَ اقْتاري[1]

المُنْعِمونَ ، بنو حَرْبٍ ، وقَدْ حَدَقَتْ ... بيَ المَنيَّةُ ، واسْتَبطَأْتُ أَنْصاري[2]

قَوْمٌ ، يُجلّونَ عَنْ أَحْيائِها ظُلماً ... حتَّى تكَشَّفَ عن سَمْعٍ ، وأَبْصارِ[3]

قَوْمٌ ، إذا حَارَبوا شَدُّوا مآزِرَهُم ... دونَ النِّساءِ ، ولوْ باتَتْ بأَطهارِ[4]

وقال الأخطل يَرثي يزيد[5] بن معاوية ، حين هلك ، فدفنه ابنُهُ خالد :

لَعَمْري ، لقد دَلّى إلى اللَّحْدِ خالدٌ ... جِنازةَ لا كابي الزِّنادِ ، ولا غُمْرِ[6]

مُقيمٌ بِحَوارِيْنَ ، ليسَ يَرِيْمُها ... سَقَتْهُ الغَوادِي ، مِن ثَوِيّ ، ومِنْ قَبر

تَصِيحُ المَوالي، أنْ رَأوا أُمَّ خَالدٍ ... مُسَلِّبَةً، تَبكي عَلَى الماجدِ، الغَمْرِ[7]

= ليزيد بن معاوية ، والصريح : لبني نهشل بن دارم ، أخذوه من كندة . (ديوان الأخطل ١/ ٣٠٠) .

(١) لألجأتني : من الالتجاء . والإقتار : الافتقار .

(٢) بنو حرب : أراد بهم بني أمية .

(٣) قوله أحيائها : جمع حي ، وهي الجماعة .

(٤) الأطهار : جمع طهر ، وهو نقيض الحيض . يريد : أنهم إذا حاربوا لم يغشوا النساء « جمهرة أشعار العرب ٢/ ٩١٨ » .

(٥) جاء في تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٩ : قال هشام بن محمد الكلبي : اسُتخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ستين ، وولي سنتين وثمانية أشهر ، وتوفي لأربع عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين ، وأمّه مَيْسون بنت بحدل .
ـ وذكر رواية ثانية « مات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين ، وكان ولايتهُ ثلاثَ سنين وستة أشهر في قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر .
ـ وفي رواية ثالثة « كانت وفاته بقرية من قُرى حمص يقال لها حُوّارين من أرض الشام لأربع عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

(٦) خالد بن يزيد ـ وكان يُكنى أبا هاشم ، وكان يقال : إنه أصاب عمل الكيمياء (طبري ٥/ ٥٠٠) . والغمر : من لم يجرب الأمور .

(٧) أم خالد : امرأة يزيد ، وهي فاختة بنت هاشم بن عتبة . وتزوجها بعده مروان بن الحكم . والمسلبة : اللابسة ثياب الحداد .

إذا جاءَ سِرْبٌ مِن نِساءٍ، يَعُدْنَها ... تَجَرَّدْنَ، إلاّ مِن جَلابيبَ، أو خُمْرِ[1]

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة تربو على ثمانين بيتاً أذكر منها :

إلى امرئٍ ، لا تُعَرِّينا نَوافِلُهُ ... أَظْفَرَهُ اللهُ ، فلْيَهْنِىء لَهُ الظَّفَرُ[2]

الخائضِ الغَمْرَ ، والمَيْمُونِ طائرُهُ ... خَليفةِ اللهِ ، يُسْتَسقَى بِهِ المَطَرُ[3]

فمَنْ يَكُنْ طاوِياً عنّا نَصِيحَتَهُ ... وفي يَدَيْهِ بِدُنْيا غَيْرِنا ، حَصَرُ

فَهُوَ فِداءُ أَميرِ المُؤمنينَ ، إذا ... أَبْدَى النَّواجذَ يومٌ ، باسِلٌ ، ذَكَرُ[4]

مُقَدِّمٌ مائتَيْ أَلْفٍ ، لِمَنْزِلَةٍ ... ما إنْ رَأَى مِثلَهُمْ جِنٌّ ، ولا بَشَرُ

يَغْشَى القَناطِرَ ، يَبْنِيها ، ويَهْدِمُها ... مُسَوِّمٌ ، فَوقَهُ الرّاياتُ ، والقَتَرُ[5]

وتَسْتَبِينَ لأَقْوامٍ ضَلالَتُهُمْ ... ويَستَقيمَ الذي في خَدِّهِ صَعَرُ[6]

والمُسْتَقِلُّ بأَثقالِ العِراقِ ، وقد ... كانتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهم ، ومُدَّخَرُ[7]

في نَبْعَةٍ ، مِنْ قُرَيشٍ ، يَعْصِبُونَ بها ... ما إنْ يُوازَي بأَعْلَى نَبْتِها الشَّجَرُ[8]

حُشْدٌ على الحَقِّ، عَيّافُوا الخَنا، أُنُفٌ ... إذا أَلَمَّت بهم مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا[9]

شُمْسُ العَداوةِ ، حَتّى يُستَقادَ لَهُمْ ... وأَعظَمُ النّاسِ أَحلاماً إذا قَدَرُوا[10]

---

(١) السرب : الجماعة . وتجردن : أي شققن ثيابهن فخرجن منها . والخُمُر : جمع خمار . ديوان الأخطل ٢/ ٥٣٣ .

(٢) لا تعرينا : لا تتركنا ولا تغفلنا . والنوافل : الهبات .

(٣) الغمر : الماء الكثير ، وأراد به شدة الحرب . والميمون الطائر : المبارك الحظ .

(٤) النواجذ : جمع ناجذ وهو الضرس الذي يلي الناب . والباسل : الكريه الشديد . والذكر : الصلب العسير .

(٥) المسوم : المعلم خيله بعلامات الحرب . والقتر : الغبار .

(٦) الصعر : المَيَلُ من الكبر والنخوة .

(٧) المدخر : الصنائع المدخرة .

(٨) الشَّجر : ويعصبون بها : أي يجتمعون حولها . والنبعة : ضرب من الشجر : وهي أجوده .

(٩) الحشد : المتحاشدون . وأصل الحشد بضم الشين ، وهو جمع حشد . والعياف الشديد الكره . والخنا : الفحش . والأنف : جمع أنوف وأَنِف .

(١٠) الشمس : جمع شموس وهو الصعب العسر .

بَنِـي أُمَيَّــةَ نُعْمــاكُــمْ مُجَلِّلَـــةٌ ... تَمَّتْ ، فلا مِنَّةٌ فيها ، ولا كَدَرُ[1]
بَنِـي أُمَيَّـةَ قـد نـاضَلْـتُ دُوْنَكُـمُ ... أَبناءَ قَومٍ، هُمُ آوَوْا، وهمْ نَصرُوا[2]
بَنِـي أُمَيَّـةَ إِنِّـيْ نـاصِـحٌ لَكُـمُ ... فَـلا يَبِيْتَـنَّ فيكـم آمِنـاً زُفَـرُ[3]
وقد نُصِرْتَ ، أَميرَ المؤمنينَ ، بِنا ... لمّـا أَتـاكَ بِبَطْـنِ الغُـوطَـةِ الخَبَـرُ[4]

وقال الأخطل يمدح الوليد بن عبد الملك بقصائد طوال ، سأذكر لمعاً من تلك القصائد :

دَعـانـي إلـى خَيـرِ المُلـوْكِ فُضـولُـهُ ... وإِنّي امرؤٌ مُثْنٍ عليهِ ، ونَادِبُهْ[5]
وإِنْ أَتَعـرَّضْ للـوليـد ، فـإِنَّـهُ ... نَمَتْـهُ إلـى خَيـرِ الفُروعِ مَضـارِبُـهْ[6]
نِساءُ بَني كَعْبٍ ، وعَبْسٍ ، ولَدْنَهُ ... فَنِعْمَ، لَعَمْري، الجالباتُ جَوالِبُهْ[7]
رَفيـعُ المُنَـى ، لا يَستقِـلُّ بِحِمْلِـهِ ... سَؤومٌ، ولامُسْتَنْكِشُ البَحْرِ ناضِبُهْ[8]
مَطـاعيـمُ تَغْـدُ بـالعَبيْـطِ جِفَـانُهُـمْ ... إِذا القُرُّ أَلْوَتْ بالعِضاهِ عَصائِبُهْ[9]
تُضِـيءُ لنـا الظَّلمـاءَ غُـرَّةَ وَجْهِـهِ ... إذا الأَقْعَسُ المِبْطانُ أرتَجَ حَاجِبُهْ[10]
وما بَلَغتْ خَيلُ امرىءٍ ، كان قبلَهُ ... بِحيْثُ انتهتْ آثارُهُ، وَمحارِبُهْ[11]

---

(١) المجللة : العامة الشاملة . والكدر : التنغيص .
(٢) أراد بالقوم : الأنصار .
(٣) زفر : ابن الحارث ، أحد بني نُفيل بن عمرو بن كلاب .
(٤) الخبر : خبر مقتل عمير بن الحباب . « ديوان الأخطل ١/ ٢٠٣ » . ولما انتهى الأخطل في الإنشاد إلى هذا البيت قال له عبد الملك : بل الله أيّدني . الموشح ص١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٥) النادب : الذي يعدد المحاسن .
(٦) أتعرض للوليد : أمدحه طالباً معروفه . ونمته : رفعته ونسبته .
(٧) كعب : جد من جدود بني أمية وهو كعب بن لؤي . وعبس : قبيلة أم الوليد .
(٨) يستقل : يحمل . والناضب : الجاف الفارغ .
(٩) المطاعيم : جمع مطعام . والعبيط : الطريُّ أو الذي ذبح لغير علة أو هرم . والجفان : القصاع العظام . والقر : البرد . والعضاه : شجر عظام .
(١٠) الأقعس : الداخل الظهر الخارج البطن . والمبطان : البطين من كثرة الأكل . وأرتج : أغلق الرتاج وهو الباب .
(١١) المحارب : الحروب .

وتُضْحي جِبالُ الرُّوم غُبْراً فجاجُها بما أَشْعَلَتْ غَاراتُهُ ، ومَقانِبُهْ[1]
مِنَ الغَزْوِ حتَّى انضمَّ كلُّ ثَميلةٍ وحتَّى انطَوَتْ ، من طُولِ قَوْدٍ حَبائِبُهْ[2]
يَمُدُّ المَدَى للقَومِ ، حتّى تَقَطّعتْ حِبالُ القُوى ، وانشَقَّ مِنهُ سَبائِبُهْ[3]
فَتى النّاسِ ، لم تُصْهِرْ إليه مُحارِبٌ ولا غَنَويٌّ ، دُونَ قَيْس ، يُناسِبُهْ[4]

وقال يَمدح الوليد بن عبد الملك ، وأمُّه ولاّدة بنت العبّاس بن جُزَيء بن الحارث بن زُهير بن جَذيمة بن روَاحة بن رَبيعة بن مازن بن الحارث بن قُطيعةَ بن عبسٍ .

حَلفْتُ بِمَنْ تُساقُ لَهُ الهَدايا ومَنْ حَلَّتْ بِكعْبَتِهِ النُّذُورُ
لقد ولَدتْ جَذيمةُ ، من قُريش فَتاها ، حينَ تَحْزُبُها الأُمورُ[5]
وأَسْرَعَها إلى الأَعداءِ سَيْراً إذا ما اسْتُبْطِئَ الفَرَسُ الجَرُورُ[6]
بهِ تَرْمي أعاديها قُرَيْشٌ إذا ما نَابَها أَمْرٌ كَبيرُ
لَهُ يَومانِ : يومُ قِراعِ كَبْشٍ ويومُ يُستظَلُ بهِ مَطيرُ[7]
بكَفَّيْهِ الأَعِنَّة ، لا سَؤُومٌ قِتالَ الأَعْجَميْنَ ، ولا ضَجُورُ
قَتَلْتَ الرُّومَ ، حتَّى شَذَّ مِنها عَصائبُ ، ما تُحورُها القُصورُ[8]

---

(١) الفجاج : جمع فج وهو الطريق بين جبلين . والمقانب : جمع مقنب وهوالجيش . وقيل المقانب : جماعة الخيل لا واحد لها ، واحدها قانب .
(٢) انضم : ضمر وهزل . والثميلة : ما بقي من العلف في بطون الإبل . وانطوت : ضمرت وهزلت . والجنائب : جمع جنيبة وهي الخيل تقاد ولا تركب .
(٣) يمد المدى للقوم : يطيل بهم الغزو . والقوى : طاقات الحبال ونسيج الثياب . والسبائب : جمع سبيبة وهي الثوب الأبيض الرقيق .
(٤) محارب : اسم قبيلة ، وهي محارب بن خصفة بن قيس عيلان « ديوان الأخطل ٢٩١/١ » .
(٥) جذيمة : من عبس . وأم الوليد من جذيمة . وتحزبها : تصيبها وتشتد عليها .
(٦) الذي لا ينقاد إلاّ أن يُجرّ .
(٧) الكبش : السيد القائد . والمطير : من النائل وكثرة العطاء .
(٨) تحورها : تردّها . والقصور : الحصون . يريد : لا تردها الحصون عن الهرب ولا تحميها .

ولـو كـانَ الحُـروبُ حُـرُوبَ عَـادٍ ... لَقـامَ علـى مَـواطِنَهـا صَبُـورُ
وقـد عَلِمَـتْ أُميَّـةُ أنَّ ضِغْنـي ... إليهـا ، والعُـداةُ لهـا هَـريـرُ[1]
عَلِقـتُ بِحبلِكُـمْ ، فَشَـدَدْتُمـوهُ ... فـلا واهٍ قُـواهُ ، ولا قَصيـرُ[2]
إِمـامُ النّـاسِ ، والخُلفـاءُ ، منهـم ... وفِتيـانٌ ، تُسَـدُّ بهـا الثُّغـورُ
غَشَمْتُـمْ بـالسُّيـوف الصّيْـدَ ، حتَّـى ... خَبـا منهـا القَبـاقِـبُ ، والهَـديرُ[3]
وأُعْطيْتُـم ، علـى الأَعـداءِ ، نَصْـراً ... فـأَبْصَـرْتُـمْ بـهِ والنّـاسُ عُـوْرُ
وكـانـت ظُلْمَـةٌ ، فَكَشَفْتُمـوُهـا ... وكـان لهـا ، بـأيَـدِيكُـمْ ، سفُـورُ[4]
كِـلا أَبَـويْـكَ مِـنْ كَعْـبٍ وعَبْـسٍ ... بُحـورٌ ، مـا تُـوازِنُهـا بُحـورُ[5]
فَمَـنْ يَـكُ مِـنْ أَوائلـهِ مُخِتّـاً ... فـإنَّـكَ ، يـا وليـدُ ، بهـم فَخُـورُ[6]

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك :

لقد حَلفْتُ بما أسرى الحَجيْجُ لهُ ... والنّـاذريـن دِمـاءَ البُـدْنِ بـالحَـرمِ[7]
لولا الوَليدُ ، وأَسبابٌ ، تناولني ... بهِنَّ ، يوم اجتماع النّاس بالثَّلَمِ[8]
إذاً لَكُنْـتُ كَمَـنْ أَوْدَى ، وَوَدَّأَهُ ... أهلُ القَرابةِ بَيْنَ اللّحْدِ ، والرَّجَمِ[9]
إنَّ ابـن مَـروان أسقـاني علـى ظمأٍ ... بِسجْلٍ لا عاتمٍ ، دِيّاً ، ولا خَذِمِ[10]

---

(١) الهرير : النباح . وضغني إليها : أراد : هواي وميلي معهم .
(٢) قواه : طاقاته .
(٣) الصيد : جمع أصيد وهو المتكبر الصلف . والقباقب : جمع قبقبة وهي صوت قرع الأضراس بعضها ببعض .
(٤) السفور : الانكشاف .
(٥) كعب : جد من جدود بني أُمية وهو كعب بن لؤي .
(٦) المخت : المستحيي : والختيتُ : الخَسيس ، ويقال شهر ختيت ، فالخَتيت : الناقص ، وشهرٌ كريتٌ : التّامُّ . (ديوان الشاعر ١/ ٢٧٦) .
(٧) البدن : جمع بدنة وهي ما يهدى وينحر بمكة .
(٨) الثلم : موضع بالشام .
(٩) أودى هلك . ودَّأَهُ : دَفنه . الرَّجم : القبر . وسُمِّي رَجَماً للحجارة التي تُرْجم عليه .
(١٠) السجل : الدلو العظيمة المملوءة ماء . والعاتم : المبطىء .

مِــن آلِ مَــرْوان فَيّــضُ العطــاءِ إذا أمسى السَّحابُ خَفيفَ القَطْرِ كالصَّرم[1]
بنـي أُمَيَّـةَ قـد أَجْـدَتْ فَـواضِلُكُـم مِنكُمْ جيادي ، ومنكم قبلها نَعَمي[2]

وقال في الوليد أيضاً :

وقـد حَلفـتُ يَميناً ، غيـرَ كـاذبـةٍ بالله ، ربّ سُتُورِ البَيتِ ، ذي الحُجُبِ
إنّ الـوليـدَ ، أَميـنَ اللهِ ، أَنْقَـذنـي وكان حِصْناً ، إلى مَنْجاتهِ هَربي
خَليفــةُ اللهِ ، يُستسقَــى بسُنَّتــهِ أَلغيثُ، من عند مولى العِلم مُنْتَجِب[3]
بيضٌ ، مَصاليتُ ، لم يُعْدَل بهم أحدٌ في كلِّ مُعْظَمِةٍ من سَادةِ العربِ[4]
وَهُـمْ ذُرا عَبـدِ شَمسٍ في أُرُومَتَهـا وهُمْ صَميمُهُمْ ليسُوا مِنَ الشَّذبِ[5]

وقال الأخطل يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي :

أَحْيَـا الإلـهُ لنـا الإمـامُ ، فـإنَّـهُ خَيرُ البَريَّةِ ، للذُّنُوبِ ، غَفُورُ[6]
فَعلَيـكَ بـالحجّـاجِ ، لا تَعْـدِلْ بـهِ أَحـداً ، إذا نَـزلَـتْ عَليـك أُمـورُ
ولقـد عَلِمْـتَ ، وأنـتَ أعلمُنـا بـهِ أَنَّ ابـنَ يُـوسُـفَ حَـازِمٌ ، مَنْصُـورُ
خُوصاً، أَضَرَّ بها ابن يُوسفَ فانطوَتْ والحـربُ لاقحـةٌ ، لَهُـنَّ زَجُـورُ[7]

وديوان الأخطل مليء بالمديح ولقد ذكرت أهم من مدح ، وله أيضاً في الهجاء باع غير قصير ، ولقد ذكر ابن سلاّم في طبقاته حادثة وقعت للأخطل في

---

(١) الصَّم : المنقطع من السَّحاب .
(٢) نَعمي : إبلي . « ديوان الشاعر الأخطل ٢٢٥ » .
(٣) سنّتُهُ : وجهه . « مولى العلم » هو الله الذي انتجب الوليدَ ، فيما زعم . والمولى : الولي . والمنتجب : الذي يختار ويستخلص .
(٤) البيض : الأنقياء من العيوب . والمصاليت : جمع مصلات وهو الماضي في الأمور . والمعظَمة : النازلة الشديدة . والمعظِمة : الهائلة .
(٥) الأرومة : الأصل . والصميم : الخالص . والشذب : ماقطع مما تفرق من أغصان الشجر ولم يكن في لبه . (ديوان الشاعر ١/ ٢٥٣) .
(٦) الإمام : هو عبد الملك بن مروان .
(٧) الخوص : الغائرة الأعين من الأعياء والهزال . واللاقحة : العوان الشديدة . (ديوان الشاعر ٢/ ٤٠٦) .

الكنيسة ، سأذكرها لأهميتها لأنها تدل على سلوك الأخطل وسلطة الكنيسة حينذاك .

الأخطل والكنيسة :

. . . قال إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطلب : خرجتُ مع أبي إلى الشَّام ، فخرجتُ إلى دمشق أَنظر إلى بنائها ، فإذا كَنيسةٌ ، وإذا الأخطلُ في ناحيتها فلما رآني أنكرني ، فسأل عنِّي فأُخبر بنسبي ، فقال : يا فتى إن لكَ موضعاً وشرفاً ، وإن الأُسْقُف قد حبسني ، فأنا أُحبُّ أن تأتيه تُكلِّمُه في إطلاقي . قال : قلت : نعم ! فذهبتُ إلى الأُسْقُف وانتسبت له ، فكلَّمتهُ وطلبتُ إليه في تخليته ، فقال : مَهْلاً ، أُعيذُك بالله أنْ تكلَّمَ في مثل هذا ، فإن لك موضعاً وشرفاً ، وهذا ظالمٌ يشتم أعراض النَّاس ويَهجُوهم ! فلم أزلْ به حتى قام معي فدخل عليه الكنيسة ، فجعل يُوعده ويرفع عليه العَصا ، والأخطلُ يتضرَّع إليه ، وهو يقول له : أَتعُود ؟ أتعود ؟ فيقول : لا ! قال إسحاق : فقلت له : يا أبا مالك تَهابُك الملوك ، وتُكرمك الخلفاء ، وذِكرك في النَّاس عظيم أمره ، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتَستخذي له ! قال : فجعل يقول لي : إنَّه الدِّين ! إنَّه الدِّين[1] !

الأخطل وعبد الملك :

إن الأخطل قدم على عبد الملك ، فنزل على ابن سرحون كاتبه . فقال عبد الملك : على مَن نَزلتَ ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله ! ما أعلمكَ بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنزِلك ؟ قال : دَرْمَكٌ[2] من دَرْمَككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس[3] . فضحك عبد الملك ثم قال له : ويلك ! وعلى أيّ

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٩٠ .

(٢) الدرمك : دقيق الحواري .

(٣) بيت رأس : اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة ، تنسب إليهما الخمر .

شيء اقتتلنا إلاّ على هذا ! ثم قال : أَلا تُسلِمُ فَنفرِضُ لك الفيء ونُعطيك عشرة آلاف ؟

قال : فكيف بالخمر ؟

قال : وما تصنع بها وإنّ أَوّلها لَمُرّ وإِنَّ آخرها لَسُكر !

فقال : أمَّا إذ قلتَ فإن فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلكُكَ فيها إلاّ كعُلقةَ ماء من الفراتِ بالإِصبع . فضحك ثم قال : ألا تزور الحجَّاج ؟ فإنه كتب يستزيرك . فقال : أَطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُربه على قربك ؛ إنني إذاً لكما قال الشاعر :

كَمُبتــــاعٍ ليــــركبــه حمـــاراً تَخيَّـــره مـــن الفـــرس الكبيـــرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأَمره بمدح الحجَّاج ؛ فمدحه بقوله :

صَـرَمـتْ حِبـالَـك زَينـبٌ ورَعُـومُ وَبَـدا المُجَمجَـمُ منهمـا المكتـوم[1]

ووجه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيد شعره[2] .

شهادات في الأخطل :

أنّ جريراً سُئل أيّ الثلاثة أشعر ؟ فقال : أما الفرزدق فتكلَّف منّي ما لا يُطيق . وأما الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفرائض . وأما أنا فمدينة الشعر[3] .

قال إسحاق وحدثني أبو عُبيدة قال : قال أبو عمرو : لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمتُ عليه أحداً .

قال الفرزدق : الأخطل أمدح العرب .

---

(١) رعوم : اسم امرأة . جمجم في صدره شيئاً : أخفاه ولم يبده .
(٢) الأغاني : ٨/ ٢٩٠ .
(٣) أغاني (ثقافة) ٨/ ٢٨٤ .

وقال جرير يرعن الأخطل : أمدَحُ الناس لكريمٍ وأوصَفُه للخمر[١] .

وجاء في الأغاني : . . . عن شيخ من قريش قال :

من أشعرُ العرب ؟ قال هذان الكلبان المتعاقِران من تميم[٢] .

وجاء في الأغاني :

قال الأخطل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ، زعم ابن المَراغة أنه يبلُغ مِدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمتُ في مِدحتِك :

خَفَّ القَطينُ، فَراحوا منكَ، أو بَكرُوا   وأَزْعَجْتُهمْ نَوى ، في صَرْفِها غِيَرُ[٣]

سنةً فما بلغت كل ما أردتُ . فقال عبد الملك : فأسمعناها يا أخطلُ ، فأنشدْ إياها ؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها ؛ ثم قال : ويحك يا أخطل ؟ أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بجفنةٍ كانت بين يديه فملئت دراهمَ وألقى عليه خِلعاً ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب[٤] .

إنّ الأخطل مدح الملوك والقادة ونافح عن تغلب ومدح بعض رجالها مثل هَمَّام[٥] بن مُطرِّف التَّغلبي فقال :

فَتَى النّاسِ هَمّامٌ ، وموضع بَيْتِهِ   برابيةٍ ، يَعلُو الرَّوابي طُولُها[٦]

---

(١) أغاني ٨/ ٢٨٥ .

(٢) أغاني ٨/ ٢٨٧ .

(٣) انظر القصيدة في الديوان ١/ ١٩٢ وأوردت بعضاً منها في مدح عبد الملك .

(٤) أغاني ٨/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٥) هَمَّام بن مُطَرِّف بن مَعْقِل بن الجَلْدِ ، ـ وقيل مجالد ـ هو ابن عبد شمس بن عمرو بن عامر بن مالك بن جُشم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب . ديوان الأخطل (٢/ ٦١٢) .

(٦) برابية : أي هو في مكان مرتفع ، لتراه الأضياف وترى ناره فتقصدها .

فلو كان هَمّامٌ مِنَ الجنِّ أصبحتْ سُجُوداً لهُ جِنُّ البِلادِ ، وغُولَها
نَمتْهُ الذُّرَى مِن مالكٍ ، وتَعطَّفتْ عليه الرَّوابي : فَرْعُها ، وأُصُولُها[1]
أَجادَتْ به سَاداتُها ، فَتَرغَّبَتْ لأَخلاقهِ أمجادها ، وحَفيلُها[2]
جَوادٌ إذا ما أَمحلَ النّاسُ ، مُمْرِعٌ كريمٌ ، لجوعات الشِّتاءِ ، قَتُولُها[3]
فإنْ عاشَ هَمّامٌ ، لنا فهوَ رَحمةٌ من اللهِ ، لم تُنْفَسْ علينا فُضُولُها[4]
وإن ماتَ لم تَستَبدل الأرضُ مثلَهُ لأخذ نَصيبٍ ، أو لأَمرٍ يَعُولُها[5]

كما مدح الأخطل بعض رجال تغلب ، كذلك هجى المَوْجَ[6] التَّغْلبي ، والدلماء[7] التغلبية ، وزيد[8] اللآت التغلبي فقال فيه :

ألا يا ليتَ كَلْباً بادَلُونَا بِمَوْلانا ، وكانَ لها الصَّميمُ[9]
فبادَلْنا بزيد اللاّتِ عَوْضاً كِلا البَدَلَيْنِ مُقْتَرفٌ بَهِيمُ
وطابِخَةُ ، التي لا عِزَّ فيها تُجِيرُ بِهِ ، ولا حَسَبٌ ، كَريمُ[10]

---

(١) نمته : نسبته ورفعته . ومالك : ابن جشم بن بكر بن حبيب . وتعطفت : مالت وحدبت . والروابي : الأشراف .
(٢) الحفيل : العدد والجمع الكبير .
(٣) الممرع : ذو الخصب والنعمة .
(٤) لم تنفس : لم يبخل بها علينا .
(٥) ديوان الأخطل ٢/ ٦٢١ .
(٦) وهو ابن أخت الشاعر القطامي ، وأحد بني مالك بن بكر بن حبيب ، شاعر خبيث واسمه المَوج بن قيس الزِّمّان بن قيس بن معدي كَرب التَّغلبي . وهو جزري أعمى ، قال في بني جشم بن بكر بن حُبيب التغلبيين :
أَلهى بني جُشَم عن كل مكرمةٍ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
« معجم الشعراء ٤٥٢ » .
(٧) امرأة من تغلب هجت الأخطل فرد عليها رداً مقذعاً فسكتت عنه (ديوان الأخطل ٢/ ٥٩٣) .
(٨) زيد اللات بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ـ بطن من تغلب .
(٩) الصميم : الأصل الخالص المحض .
(١٠) طابخة : قبيلة من مضر ، وهي عمرو بن الياس بن مضر .

وقال أيضاً :

ألا ، إنَّ زيـدَ الـلاّتِ يـوم لَقتُهـا   عُـلاقـة سَـوءٍ فـي إنـاءِ مُثَلَّـمِ[1]

وقال أيضاً :

قُـولا لـزَيـدٍ : يَثْـنِ عنّـا لِسـانَـهُ   ولا يَدْنُ مِنّا في الزِّحامِ ، فيَظْلعَا[2]

خاتمة :

لقد كان الأخطل شاعر الدولة الأموية ، وشهد أحداثاً سياسية داخلية وخارجية خطيرة ، ولم يكن بمعزل عنها ، لقد كان نصرانياً ولكنه عربي الأصول والجذور يؤمن بذلك ويفتخر به وينافح عنه .

كانت حياته حافلة ، وعلاقاته وطيدة مع الملوك والأمراء فامتدحهم وأثنوا عليه وبقي موضع تقديرهم واحترامهم .

وبانتقال الأخطل كشاعر من حدود معرفة قبيلة تغلب ، إلى شاعر دولة مترامية الأطراف أصبح أكثر شهرة ومعرفة ، يُنافس شعراء فحول مثل جرير والفرزدق .

وللأخطل ديوان[3] مطبوع من جزئين ، وظهرت حوله دراسات متعددة لأهمية شعره كشاعر من شعراء الشام في ذاك الوقت .

لقد كانت ولادته ووفاته « ١٩ ـ ٩٠ هـ = ٦٤٠ ـ ٧٠٨ م »[4] .

* * *

---

(١) العلاقة : ما يعلّق به الإناء .

(٢) يثن : أي ليثن ، حذف لام الأمر لدلالة « قولا » عليها . ويظلع : يعرج .
ـ ديوان الأخطل ٥٥٦/٢ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٣) شعر الأخطل أبي مالك غياث بن غوث التَّغلبي ـ صَنعة السُّكري ـ روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب . (ج١ + ج٢) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة . وله حوله دراسة . وكذلك للدكتور السيد مصطفى غازي دراسة حول الأخطل .

(٤) الأعلام ١٢٣/٥ .

فرج(*) بن قَاسم التَّغلبي

هو فَرج بن قاسم بن أحمد بن لب التَّغلبي ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا سعيد .

حاله :

هذا الرجل من أهل الخير والطهارة ، والزّكا والديانة ، وحسن الخُلُق .

رأَس بنفسه . وحُلِّي بفضل ذاته ، وبرَّز بمزية إدراكه وحفظه ، فأصبح حامل لواء التحصيل عليه بدار الشُّورى ، وإليه مرجع الفتوى ببلده ، لغزارة حفظه ، وقيامه على الفقه ، واضطلاعه بالمسائل إلى المعرفة بالعربية واللغة ، والمران في التوثيق ، والقيام على القِرَاءات ، والتَّبريز في التفسير ، والمشاركة في الأَصلين والفرائض والأدب . جيد الحفظ[1] ، ينظم وينثر . قعد ببلده للتدريس على وفور المسجد ، ثم استقلَّ بعد ووُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم ، وأقرأ بالمدرسة النَّصرية ، في ثامن وعشرين من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ، معظماً عند الخاصة والعامة ، مقروناً اسمه بالتسويد .

مشيخته :

قرأ على الخطيب للقرى ، شيخنا أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب الصالح الفاضل أبي إسحاق بن أبي العاصي ، والقاضي العدل المحدث العالم أبي عبد الله بن بكر ، ولازم الشيخ الفقيه أبا عبد الله البيَّاتي ، وأخذ العربية عن شيخ العصر أبي عبد الله بن الفخار ، وروى عن الشيخ الرحال الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي أشى وغيرهم[2] .

(*) شذرات الذهب ٨/ ٤٨٣ ، نفح الطيب ٥/ ٥٠٩ ، الإحاطة ٤/ ٢٥٣ .

(١) ورد في الإحاطة (جيد الحظ) .

(٢) الإحاطة ٤/ ٢٥٣ .

وقال الشيخ أبي زكريا السراج في فهرسته : شيخنا الفقيه الخطيب الأستاذ المقرىء العالم العَلم الصدر الأوحد الشهير ، كان شيخ الشيوخ واستاذ الأستاذين بالأندلس ، إليه انتهت فيها رياسة الفتوى في العلوم ، كان أهل زمانه يقفون عندما يشير إليه .

قرأ على أبي على القيجاطي بالسبع ، وتفقه عليه كثيراً في أنواع العلوم ، ولازمه إلى أن مات ، وأجازه عامة ، وعليه اعتمد وأخذ عن أبي جعفر بن الزيات ، وأبي إسحاق بن أبي العاصي وابن جابر الوادي آشي ، وقاضي الجماعة أبي بكر ، سمع عليه البخاري ، وتفقه عليه ، وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهماً وبعض الإرشاد وبعض التهذيب وعن أبي محمد بن سلمون ، والبركة أبي عبد الله الطنجالي الهاشمي ، وأجازه[1] .

وبالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال الموّاق فيه : شيخ الشيوخ أبو سعيد ابن لب ، الذي نحن على فتاويه في الحلال والحرام .

وقَلَّ من لم يأخذ عنه في الأندلس في وقته ، فمن أخذ عنه الشاطبي وابن علاق ، وأبو محمد بن جُزَيَ ، والأسنا القيجاطي ، والأستاذ الحفار ، والشيخ الوزير ابن الخطيب السلماني ، والكاتب ابن زَمْرَك ، في خلق كثير من طبقتهم ، ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى ابن عاصم ، وأخوه القاضي أبو بكر ابن عاصم ، والشيخ أبو القاسم ابن سراج ، والمنتوري ، في خلق لا يُحْصَوْن .

وله تواليف : منها شرح جُمَل الزجاجي ، وشرح تصريف التسهيل ، وكتاب « ينبوع عين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة » ، وله فتاوى مدوّنة بأيدي الناس ، وممن جمعها الشيخ ابن طركاط الأندلسي ، وله كتابة في مسألة الأدعية إثر الصلوات على الهيئة المعروفة . وقد رد عليه في هذا التأليف تلميذه أبو يحيى ابن عاصم الشهيد في تأليف نبيل انتصاراً لشيخه أبي إسحاق الشاطبي[2]

---

(١) نفح الطيب ٥/ ٥١٣ .

(*) المرجع السابق نفسه ٥/ ٥١٤ .

شعره في مدح الرسول ﷺ .

قال ابن الصباغ : من شعر ابن لب يمدح رسول الله ﷺ : وهي قصيدة طويلة أختار بعضاً منها :

أَحــنُّ اشتيــاقــاً لــريــحٍ سَـرَتْ ... وأُبــدي هيــامــاً لبــرقٍ أَنَــارا
حَنينــاً وَشَــوقــاً إلــى مَعْلَــمٍ ... حَـوى شَـرفـاً خـالـداً لا يُجـارى
بــهِ أسكــنَ الله أَسْمــى الــورَى ... نَبيّــاً كَــريمــاً وصَحبــاً خيــارا
هــو المُصْطَفـى المُنْتَقـى المُجْتَبـى ... أرى معجـــزاتٍ وآيــاً كبــارا
فصلـى الإلـه ، رسـولَ الهـدى ... عليـك ، وأبقـى هـداك مَنَـارا
وقَـــدَّسَ رَبِّـــي ثــرى روضـــةٍ ... يعـمُّ الجهـات سنـاهـا انتشـارا
أُعيـر شَـذا المسـكِ منهـا الثـرى ... بـل المسـك منـه شـذاه استعـارا
هَنيئــاً لِمــنْ بِهُــدَاكَ اهتــدى ... ومغنــاك وافــى ، وإيــاك زارا[1]

وقصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التي نظمها بالحجاز في طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام ، وهي طويلة ومطلعها :

وَصَلْنـا السُّرَى وهجـرنـا الـديـارا ... وجئنــاكَ نَطــوي إليــك القِفــارا

وقد تَبارى الشعراء في هذا الوزن وهذا الروي ، ومنه القصيدة المشهورة :

أقول وآنست بالحيِّ نارا

ولابن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة .

وقال في وداع شهر رمضان قصيدة طويلة أختار بعضاً منها[2] :

أَأَزْمَعـتَ يـا شهـرَ الصيـامِ رحيـلا ... وقـاربـتَ يـا بـدرَ الـزمـانِ أُفـولا

---

(١) نفح الطيب ٥/ ٥١٠ .
(٢) المصدر السابق نفسه ٥/ ٥١١ .

أجدِكَ قد جَدَّتْ بك الآنَ رحلةٌ رويدك أمسكْ للوداع قليلا
نَزلتَ فأزمعتَ الرحيلَ كأنّما نويتَ رحيلاً إذ نويت نزولا
وَمَا ذاكَ إلاَّ أن أَهلكَ قد مَضَوْا تَفانَوْا فأبْصَرتَ الديار طلولا
أَقاموا لدين الله فيك شعايرا هدتهم إلى دار السلام سبيلا
لديك أَيا شهر الهُدى قصَّروا المدى فكم لك في شأو الفضايل طولا
دلايل تشريف لديك كثيرة كفى بكتاب الله فيك دليلا[1]

ومن شعره في غرض النسيب أختار هذه الأبيات :

دَعوا القلبَ يُصْلى في لَظَى الوجدِ نارَهُ فنارُ الهوى الكبرى وقلبي هو الأَشْقى
سَلوا اليومَ أهلَ الوَجْد ماذا به لَقُوا فكلُّ الذي يلقون بعض الذي أَلْقى
فإن كان عبدٌ يَسْأَلُ العِتقَ سيداً[2] فلا أَبتغي من مالكي في الهوى عِتْقَا
بدعوى الهوى يدعو أناسٌ وكلّهم إذا سُئلوا طُرقَ الهوى جَهِلُوا الطرقا
فَطُرقُ الهوى شتى ولكنَّ أهلَهُ يحوزونَ[3] في يوم السِّبَاق[4] بها السبقا
بِسيما الهوى تسمو معارفُ أهله فحيث ترى سِيما الهوى فاعْرِف الصدقا
إذا سكتوا عن وجْدهمْ أعربت به[5] بواطنُ أحوالٍ وما عرفت نطقا[6]

نهاية الشيخ فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التَّغلبي . غرناطي أبو سعيد .

قال المقري التلمساني :

وكان موجوداً عند تأليف « الإحاطة » رحمه الله تعالى ؛ انتهى بالمعنى .

وقال الحافظ ابن حجر : إنه صنَّف كتاباً في الباء الموحدة ، وأخذ عنه

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/ ٢٥٥ .
(٢) في الإحاطة ٤/ ٢٥٤ (مالكاً) .
(٣) في الإحاطة (يجوزون) .
(٤) في الإحاطة (الرهان) .
(٥) في الإحاطة (أغرت بهم) .
(٦) نفح الطيب ٥/ ٥١٢ .

شيخنا بالإجازة قاسم بن علي المالقي ، ومات سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وقال تلميذه المنتوري ما نصه : من شيوخي الشيخ الأستاذ الخطيب المقرىء المتفنن المفتي أبو سعيد ابن لب ، مولده سنة إحدى وسبعمائة ، وتوفي ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة عام اثنين وثمانين .

وهو مخالف لما سبق عن ابن حجر لكن صاحب البيت أدرى ، إذ المنتوري تلميذه[1] .

* * *

---

(١) نفح الطيب ٥/ ٥١٢ ، ٥١٣ .

القَاسمُ[*] بن طَوق التغلبي

هو القاسم بن طوق بن مالك التَّغلبي ، شاعر شامي قال يهجو الفضل بن مروان ، وقيل إنه هجا بها عبد الله بن طاهر بعد موته :

أبـا العبـاسِ صبـراً واعتـرافـاً ... بمـا يَلْقَـى مـن الظُّلْـمِ الظّلـومُ

رُزِقْـتَ سَـلاَمـةً فَبَطِـرْتَ فيهـا ... وكنـتَ تَخَـالهـا أبـداً تَـدومُ

لَقَـدْ وَلَّـتْ بـدولتـك الليـالـي ... وأنـتَ مُلَعَّـنٌ فيهـا ذَميـمُ

وَزَالَـتْ لـم يَعِـشْ فيهـا كَـريـمٌ ... ولا اسْتَغْنَـى بِثَـروتِهَـا عَـديـمُ

فَبُعـداً لا انقضـاءَ لـهُ وسحقـاً ... فَغيرُ مصابِكَ الحَدثُ العظيمُ[1]

وجاء عنه :

ومن الصُّفر المضايق ، القاسمُ التَّغلبيُّ الفارسُ الخطيب ، قتله المنصور بعد خروجه مع إبراهيم[2] بن عبد الله صبراً ، وخبّرني من رآه يوم المِرْبد وهو أصفر على بِرذَون أصفر عليه عمامةٌ صفراء وخفتان أصفر[3] .

وهذا الشاعر أبو تمام يرثي القاسم بن طوق رثاءً حاراً في قصيدة طويلة أختار بعضاً منها إذ يقول :

جوىً سَاورَ الأحشاءَ والقلبَ واغِلُهْ ... وَدَمعٌ يضيمُ العينَ والجفنَ هَامِلُهْ[4]

(*) التذكرة الحمدونية ٥/ ٢١٥ ، ديوان أبي تمام ٣٣٦ ، البرصان والعرجان ١٠٠ معجم المرزباني ٢١٧ . انظر نسب القاسم في ترجمة والده طوق ، وشقيقه مالك بن طوق في هذا الكتاب .

(١) معجم الشعراء للمرزباني ٢١٧ .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أحد الأمراء الأشراف الشجعان ، خرج بالبصرة على المنصور فبايعه عدد كبير ، وخافه المنصور فتحول إلى الكوفة ، وحدثت بينه وبين المنصور وقائع هائلة إلى أن قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥ (انظر الكامل في التاريخ ٥/ ٢٠٨) .

(٣) البرصان والعرجان ١٠٠ .

(٤) ساوره : واثبه . وواغله : خافيه . وهامله : فائضه .

فَمــنْ مُبلــغٌ عنّــي ربيعــةَ أَنَّــهُ ... تَقشّع طـلُّ الجـودِ منهـا ووابلُـهْ[٢]
مَضى للزَيالِ القَاسمُ الواهبُ اللهَى ... ولـو لـم يـزايلنـا لكنَّـا نُـزايلُـهْ[٣]
فَتىً سِيطَ حبُّ المكرمات بلحمهِ ... وخَـامـرهُ حـقُّ السمـاحِ وبـاطِلُـهْ[٤]
فَتـىً جـاءَهُ مقـدارُهُ واثنتـا العُلـى ... يـداهُ وعَشـرُ المكـرمُـاتِ أنـامِلُـهْ
لقــد فُجعــتْ عتَّــابُــهُ وزُهَيــرهُ ... وتَغِلبُـهُ أُخرى الليـالـي ووائِلُـهْ[٥]
طـواهُ الـردَى طـيَّ الـرداء وغُيِّبـت ... فضـائِلُـهُ عـن قـومـه وفـواضِلُـهْ[٦]
أَلمْ تَرني أَنْزَفْتُ عيني على أَبي ... مُحمَّــدٍ النجــم المغيَّــبِ آفِلُــهْ
عَليــكَ أبــا كلثــومٍ الصبــرُ إنَّنــي ... أَرَى الصبـرَ أُخـراه تُقـىً وأوائلُـهْ[٧]

* * *

قَتادةُ[*] بن خَرْجَة التَّغلبي

من شعراء الحماسة قال :

خَليلـيَّ بيــن السَّلْسَلَيْــن لَـو انني ... بنَعْفِ اللِّوى أنكرتُ ما قلتُما ليا[١]
ولكنَّني لم أنسَ ما قالَ صَاحبي ... نَصيبَـكَ مـن ذُلٍّ إذا كنـتَ نَـائيـا[٢]

* * *

(٢) تقشع : زال .
(٣) الزيال والمزايلة : الفراق .
(٤) سيط : خلط . وخامره : خالطه .
(٥) عتاب ، وزهير ، وتغلب ، ووائل ، كلهم ينتسب إليهم القاسم بن طوق التغلبي أي من أجداده عبر تسلسل النسب .
(٦) الفضائل : المزايا الغير المتعدية كالمحبة والقناعة ونحوهما . والفواضل : المزايا المتعدية كالاعطاء ونحوه .
(٧) أبو كلثوم : القاسم بن طوق . ديوان أبي تمام ـ ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
(*) نشوة الطرب ٢/ ٦٥٠ . البيان والتبيين ٣/ ٢٤٩ ، ٢٥٠ . وفيه جاء اسمه قتادة بن خُرْجَة التَّغلبي من بني عجب . وفي معجم البلدان ٣/ ١٦٧ ورد الشعر دون ذكر لاسم الشاعر .
(١) في البيان والتبيين جاء صدر البيت : (خليلي يوم . . .) وعجزه (بهبر اللِّوى . . .) والهبر بالفتح ما اطمأن من الأرض . واللوى : موضع بعينه ، وهو واد من أودية بني سليم . واللوى أيضاً : منقطع الرمل . والسلسلان : كأنهم ذكروا السلسلة ثم ثنوها . « معجم البلدان ٣/ ٢٦٧ » وجاء الشعر فيه .
(٢) نشوة الطرب ٢/ ٦٥٠ . وجاء عجز البيت في معجم البلدان (. . . خاليا) والنَّأْي : البُعد والمفارقة .

قَرْثَعُ[*] التَّغلبي

ورد في جمهرة أنساب العرب : ومن الأوس بن تغلب القَرْثع الشاعر ، وأرى أنَّ تميم بن جميل الخارج على المتوكل بديار ربيعة كان منهم ، لقوله في أبياته المشهورة :

يَعِزُّ على الأَوسِ بن تَغْلِب مَوْقِفٌ   يُسَلُّ عَلَيَّ السَّيْفُ فيه وأَسْكتُ[1]

وجاء في جمهرة النسب : وَوَلَدَ الأَوْسُ بن تَغْلِب : وائلاً ، ومالكاً ، ويَعْلَى ، وعوفاً . منهم القَرْثع الشاعر[2] .

وقال ابن دريد في الاشتقاق : القَرْثع الشاعر أحد بني أوس بن تغلب . والقرثع من قولهم : تقرثعت الضَّائنة إذا تنفَّشت . وتقرثع الشيء إذا اجتمع[3] .

وفي مختصر تاريخ دمشق : شاعر وفد على بعض خلفا بني أمية .

قال أبو عبيدة كان الذي هاج بين كَعب بن جُعيل ، وهو من بني عوف بن مالك بن بكر بن حبيب ، وبين القرثع[4] ، وهو أحد بني أوس بن تغلب ، أنَّ بعض خلفاء بني أمية سأل القرثع عن شرف تغلب وبيتهم فيمن هما ؟ فقال :

(*) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣ . وجمهرة النسب لابن الكلبي ٥٧٥ . والاشتقاق ٣٣٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٧٦ . ولم أعثر له على أشعار . وورد اسم عمرو بن قرثع في معجم الشعراء ، وسأذكره في ترجمة خاصة به وآخر هو عمرو بن عمرو بن قرثع ربما كان ابنه أو حفيده وسأذكره أيضاً .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣ .

(٢) جمهرة النسب لابن الكلبي ٥٧٥ .

(٣) الاشتقاق ٣٣٦ .

(٤) وردت القرثع في كل المراجع المذكورة وفي لسان العرب قرثع ولا يوجد قرتع إلاّ في مختصر تاريخ دمشق وربما كان ذلك تصحيفاً .

في بني الأوس بن تغلب . فقال له الخليفة : تقول هذا وكعب حاضر ؟ فقال : نعم . فجاء كعب ، فسأله عن قوله ، فقال كعب من بني الأوس ؟! وقال .

لعمرُكَ ما السفَّاحُ[1] ، منك ، ابن خالد   وما أنت من أبناء عمرو بن جيجل

فأجابه القرثع فقال :

فَخرتَ بقومٍ لم يكنْ لكَ فخرهم   وإنَّك من أفعالهم لبمعزل[2]

* * *

---

(١) السفاح من بني خالد بن بكر ثم من بني أسامة بن مالك بن بكر ، وهو عمرو بن جيجل .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٧٦ .

كَعبُ[*] بن جُعَيل التَّغلبي

هو كَعبُ بن جُعيل بن عُجْرة بن قُمير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل[1] .

شاعر مُفِلق قديمٌ في أوّل الإسلام أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به ، وهو من الطبقة الثالثة بين الشعراء الإسلاميين[2] .

هو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام يمدحهم ويرد عنهم ويرثي موتاهم ويذم أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وشهد مع معاوية صفين وفخر بذلك في أشعاره[3] .

وهو سائر القول مشهور الشِّعر ، وفد على معاوية ، وله مدائح في عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وغيره وبقي حتى وفد على الوليد بن عبد الملك ومدحه[4] .

وزعموا أن معاوية قال لكعب بن جُعيل بعد موت عبد الرحمن : ليس للشاعر عهد ، قد كان عبد الرحمن يعني ابن خالد لك صديقاً فلما مات نسيته

(*) الأخبار الموفقيات ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . معجم الشعراء ٢٣٣ . الشعر والشعراء ٤٣٣ . طبقات الشعراء لابن سلام ١/ ٤٣٥ . أغاني ٥/ ١٣ ، ٨/ ٢٨٠ ، ٢٨١ . الكامل للمبرد ١/ ٤٢٤ . خزانة الأدب ١/ ٤٦٠ ٣/ ٤٨ ، ١٧١ . طبري ١/ ٦١٢ . الإصابة ٥/ ٤٧٩ . الاشتقاق ٣٣٦ جمهرة أنساب العرب ٣٠٦ .

(١) طبري ١/ ٦١٢ . ولقد تطابق نسبه في كل من الإصابة ومختصر تاريخ دمشق واختلفا مع الطبري في تقديم (قمير ، على عُجره) وبذلك توافقا مع جمهرة أنساب العرب . أما في جمهرة النسب ٥٧٢ فجاء : كعب بن جعيل بن عُمير بن قُمير بن عُجره) . وعمير هنا زيادة على كل المراجع .

(٢ طبقات الشعراء ابن سلام ٢/ ٥٧٦ .

(٣) معجم الشعراء ٢٣٣ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٧٠ .

فقال : ما فعلت ولقد قلت فيه بعد موته :

ألا تَبكـي ومـا ظَلَمـتْ قـريـشٌ   بـإعـوالِ البُكـاءِ علـى فَتَـاهـا
ولـو سُئِلـتْ دمشـقُ وبَعْلَبـك   وحمصٌ من أباح لكم حماها ؟
فسيـف الله أدخلهـا المنـايـا   وهَـدَّم حِصْنَهـا وحَـوَى قُـراهـا
وأنـزلهـا معـاويـة بـن حَـرْبٍ   وكـانـت أرضُـهُ أرضـاً سـواهـا

فلم يزل معاوية متقياً لكعب بن جُعَيْل مكرماً له حتى مات[١] .

كعب بن جُعيل والأخطل التغلبي :

جاء في الأغاني : إنّ كعبَ بن جُعيل كان شاعرَ تَغلب ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلاّ أكرموه وضربوا له قُبَّة ؛ حتى إنّه كان تُمد له حبالٌ بين وتدين فَتُملأ له غنماً ، فأتى مالك بن جُشَم ففعلوا ذلك به ؛ فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها ؛ فسبَّه عتبة[٢] ورد الغنم إلى مواضعها ، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه ؛ فقال : إنّ غلامكم هذا الأخطلُ ـ والأخطل : السفيه ـ فغلب عليه . ولَجّ الهجاء بينهما ؛ فقال الأخطل فيه :

سُمِّيـتَ كعبـاً بشـرّ العظـام   وكـان أبـوك يُسمَّـى الجُعَـلْ[٣]
وإنّ محلـك مـن وائـلِ   محـلُّ القُـراد من است الجمـل[٤]

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهرني إلا رجل له ذكرٌ ونَبأ ، ولقد أعددت هذين البيتين لأن أُهجى بهما منذ كذا وكذا فغلب عليهما هذا الغلام[٥] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٧١ .
(٢) عتبة : هو عتبة بن الوغل التغلبي .
(٣) الكعب : عظم ناتىء من جانبي القدم . والجعل خنفساء سواداء ، توصف باللجاجة والخساسة وقذارة المسعى .
(٤) كعب بن جعيل من بني تغلب بن وائل . والقراد : دويبة تلزم الإبل وتعضها ، تذكر بالحقارة والذلة ونسب الشعر إلى عتبة بن الوغل التغلبي (حاشية طبقات ابن سلام ٢/ ٤٦٣) .
(٥) الأغاني ٨/ ٢٨٠ .

وفي رواية ابن سلام :

قال كعب بن جُعل[1] : إني قد هجوتُ نفسي ببتين وقد ضممت عليهما ، فمن أصابهما فهو الشاعر فقال الأخطل ما ذكر .

ووقع بين ابني جُعيل وامهما ذَرْءٌ[2] من كلام فادخلوا الأخطل بينهم ؛ فقال الأخطل :

لَعَمـــرُك إننـــي وابـــن جُعيـــلٍ وأُمَّهمـــا لأستـــارٌ لئيـــم[3]

فقال ابن جُعيل : يا غلام ، إنّ هذا لخطلٌ من رأيك ؛ ولولا أن أُمي سَميَّةُ أُمِك لتركتُ أمّك يحدو بها الرُّكبان ؛ فَسُمي الأخطل بذلك . فقال كعب :

شاهدُ هذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ .

فقال الأخطل :

فناكَ كَعبُ ابن جُعيل أمّه[4] .

فقال كعب : ما اسم أُمّك ؟

قال : ليلى .

قال : أردتَ أن تعيذها باسم أُمي .

لا أعاذها الله إذاً .

وكان اسم أم الأخطل ليلى وهي امرأة من إياد .

وقال أبو الأخطل له : أَبِقَر زمتك تُريد أن تُقاوم ابن جُعيل ! وضربه . وجاء ابن جُعيل على تَفِئة ذلك فقال من صاحب الكلام ؟ فقال أبوه : لا تحفل به فإنه غلام أخطل .

---

(١) طبقات ابن سلام ٤٦٣٦٢ .
(٢) الذرء : الشيء اليسير من القول .
(٣) أستار : أربعة .
(٤) الأغاني ٨/ ٢٨٠ .

وانصرف كعب ولج الهجاء بينهما .

وقال الأخطل يهجو كعب :

هجا الناسُ ليلى أمَّ كَعبٍ فَمُزِقتْ ... فلـم يبـقَ إلاّ نَفْنَـفٌ أنـا رافعـه[1]

وقال أيضاً :

هجـانـي المُنتنـانِ ابنـا جُعيـلٍ ... وأيُّ النـاسِ يقتلـه الهجـاءُ[2]

وُلِـدتـم بعـد إخـوتكـم مـن استٍ ... فهَـلاَّ جئتُـمُ مـن حيـث جـاءوا

كعب التغلبي في المِرْبَد .

والمِربد (كمنبر) : موضع بالبصرة كان مجتمعاً للقوم سواداً مختلطاً .

وكانت مهاجاة بين النابغة الجعدي وأوس بن مغراء فاجتمعا في المِربد فتنافرا وحضرهما العجّاج والأخطل وكعب بن جُعيل ، فقال أَوس :

لمـا رأتْ جَعـدةُ منـا وِرْدَا ... ولَّـوْا نَعـامـاً فـي البـلادِ رُبْـدَا[3]

إنّ لنـا عليكـم مَعَـدَّا ... كـاهلَهـا وركنَهـا الأشـدَّا[4]

فقال العجّاج :

كل امرىءٍ يعدو بما استعدّا .

وقال الأخطل يُعين أوس بن مغراء ويحكم له :

وإنـي لقـاضٍ بيـن جَعـدةِ عـامـرٍ ... وسَعـدٍ قَضـاءً بَيـنَ الحـقّ فَيصـلا

---

(١) النفنف : الهواء .

(٢) النّتْنُ : ضِدُّ الفَوح . نَتنَ نَتانةً وأَنْتنَ فهو مُنتِن . الرائحة الكريهة . أغاني ٨/ ٢٨١ وجاء في حاشية المفضليات ٢٥٧ بأن عَميرةُ بن جُعَل ما هو بشقيق لكعب بن جعيل لاختلافهما في تسلسل النسب وسأذكره ذلك في ترجمة عَميرة وربما كان هناك التباس في الأمر باسم أخ آخر لكعب ؟.

(٣) الورد (بالكسر) الجيش . ربدا : جمع ربداء وهي من النعام ما كان لونها سواداً مختلطاً .

(٤) معدّ : أبو حيّ من العرب .

أبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه   وعَوفُ بن كعب أكرمُ الناس أَوَّلا

وقال كَعبُ بن جُعيل :

إنـي لقـاضٍ قضـاءً سـوف يتبعـه   مَن أَمَّ قصداً ولم يَعدِل إلى أَوَدِ[1]

فَصلاً من القول تأْتَمُّ القضاةُ به   ولا أَجُـور ولا أبغـي علـى أَحـدِ

نَاكتْ بنو عَامرٍ سَعداً وشاعرَها   كما تَنيك بنو عَبسٍ بني أَسدِ[2]

وقال الأخطل لكَعْب بن جُعيل التَّغْلبيّ :

يا كَعبُ، لاتَهجُونَّا العامَ، مُعْترضاً   فإنَّ شِعْرَكَ ، إنْ لاقَيْتَني غَـرَرُ[3]

إنّي أنا الليّثُ ، في عِريْسَةٍ أَشِبٍ   فَورِّع السَّرْجَ ، حتّى يَفْسحَ البَصَرُ[4]

قد جِئتَ ، تَحمِلُ رأساً غير مُلْتَئم   كما تَحامَلَ فَوقَ القُنَّة ، الأَمَرُ[5]

إنَّ اللَّهـازِمَ لـن تَنفَـكَّ تـابعـةً   هُمُ الذُنابَى ، وشُرْبُ التّابعِ الكَدَرُ[6]

قَبيلَـةٌ ، كَشـراكِ النَّعـلِ ، دارجـةٌ   إنْ يَهبِطُوا العَفْوَ لا يُوجَدْ لَهم أَثَرُ[7]

مَحلُّهُـمْ مِـنْ بنـي تَيـمٍ وإِخـوَتِهِـمْ   حَيْثُ يكونُ ، من الحِمارةِ الثَّفَرُ[8]

قال هذا الشعر كَعب بن جُعيل التغلبي واستشهد به معاوية في رسالة بعث

---

(١) أَوَد : الأود : العوج .

(٢) الأغاني ٥/ ١٣ .

(٣) الغرر : التعريض للهلاك .

(٤) العريسة : الشجر الملتف . والأشب : الكثير الملتف ذو الشوك . وورع : احبس . والسرح : ما سرح من الماشية للرعي . يقول : إنّي كالأسد ، فاحبس سَرْحَكَ حتى تصبح .

(٥) يقول : تحمل رأساً غير ثابت ولا باقٍ . والقنَّه ، من الجبال تكون سوداء وتكون حمراء . والأَمَرُ : حجارة تُجمع كالعَلَم ، واحدها أَمَرَةٌ ، فإذا كانت على رأس قُنّة لم تثبت .

(٦) اللهازم : ههنا : قبائل من رهط كعب بن جعيل .

(٧) يريد أنها قبيلة مأخَذُها من الأرض كشراك النّعل لقلتّها ، لا عَرْضَ لها ولا طول ولا عدد . والدارجة : الدُّخلاء في قوم على نسب أو على حِلف ، وقيل : الدارجة هي الفانية المنقرضة لا عقب لها . والعفو : المكان الذي لم يطأه أحد .

(٨) الثفر : سير يكون في مؤخر السرج يجعل تحت ذنب الدابة « ديوان الأخطل ٢/ ٥٣١ ، ٥٣٢ » .

بها إلى الإمام علي كرم الله وجهه وذلك أثناء فترة وقعة صفين .

أَرى الشـامَ تكـرهُ مُلـكَ العـراقِ ... وأهـلُ العـراقِ لهـا كـارِهـونَـا[1]
وكـلٌّ لصـاحِبِـه مبغِـضٌ ... يَـرَى كـلَّ مـا كـان مـن ذاك دِينَـا
إذا مـا رَمَـونـا رمينـاهُـم ... ودِنّـاهـم مثـلَ مـا يُقـرِضُـونـا[2]
وقـالـوا علـيٌّ إمـامٌ لنـا ... فقلنـا رَضِينـا ابـنَ هنـدٍ رَضِينـا
وقلنـا : نَـرى أن تَـدِينُـوا لنـا ... فقـالُـوا لنـا : لا نـرى أن نَـدِينَـا[3]
ومـن دونِ ذلـك خَـرط القَتـادِ ... وضـربٌ وطعـنٌ يُقِـرُّ العُيـونـا[4]
وكـلٌّ يُسَـرَّ بمـا عنـدِهِ ... يـرى غَـثَّ مـا فـي يـديـه سمينـا
ومـا فـي علـيٍّ لمستعتِـبٍ ... مقـالٌ سـوى ضَمِّـهِ المحْـدِثينـا
وإيثـارِهِ اليـومَ أهـلَ الـذنـوبِ ... ورفـعِ القِصـاصِ عـن القـاتلينـا
إذا سيـلَ عنـه حَـدا شُبهـةً ... وعَمَّـى الجـوابَ علـى السَّـائلينـا[5]
فليـس بـراضٍ ولا سـاخـطٍ ... ولا فـي النُّهَـاةِ ولا الآمـريـنـا
ولا هـو سـاءَ ولا سـرَّهُ ... ولابـدَّ مـن بعـضِ ذا أن يكـونـا[6]

كعب وشعره في صِفّين :

يقول ياقوت في معجمه : وهو موضع بقرب الرّقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرّقة وبالس ، وكانت وقعة صِفين بين علي كرم الله وجهه

---

(١) ح (١/ ١٥٨) : « تكره أهل العراق . وأهل العراق لهم » . وفي كامل المبرد ١٨٤ : « تكره ملك العراق . وأهل العراق لهم » .
(٢) دنّاهم ، من الدين ، وهو القرض ، وفي قول الحماسي : « دناهم كما دانوا » . يقرضونا ، من الإقراض ، وقد حذف نون الرفع وهو وجه جائز في العربية . انظر التنبيه رقم ٢ ص٤ وفي الأصل : يعرضونا ، صوابه في ح والكامل .
(٣) ح : ألا لا نرى .
(٤) قال المبرد : « وأحسن الروايتين : يفض الشؤونا . وفي آخر هذا الشعر ذم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أمسكنا عن ذكره » .
(٥) سيل : سئل ، حدا شبهة : ساقها ، وفي الأصل : « عن السائلينا » ، صوابه في ح .
(٦) وقعة صفين ، ابن مزاحم المنقري ص٥٦ ، ٥٧ .

ومعاوية في سنة (٣٧ هـ) في غرة صفر ، واختلف في عدّة أصحاب كل واحد من الفريقين ، فقيل : كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وكان علي في تسعين ألفاً ، وقيل : كان علي في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً ، وهذا أصح ، وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً ، منهم من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وقُتل مع علي خمسة وعشرون صحابياً بدرياً . وكانت مدة المقام بصِفّين مائة وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين وقعة وقد أكثرت الشعراء من وصف صِفّين في أشعارهم فمن ذلك قول كَعب بن جُعيل يرثي عُبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد قُتل بصفين[1] :

أَلا إنَّما تبكي العيونُ لفارسٍ ... بصفّين أَجْلَتْ خيلُه وهو واقفُ[2]
تبدَّل من أسماء أسيافَ وائلٍ ... وأَيُّ فتىً لو أَخطأَتْهُ المتالفُ[3]
تركْنَ عُبيد الله بالقاعِ مُسلَماً ... يمجُّ دِماهُ والعروقُ نوازفُ[4]
ينوءُ وتغشاهُ شآبيبُ من دَمٍ ... كما لاحَ في جيبِ القميصِ الكَفائِفُ
دعاهنَّ فاستسمعْنَ من أين صوتُه ... وأقبلْن شتَّى والعيونُ ذوارفُ[5]
وقَدْ صَبرتْ حَولَ ابن عمِّ مُحمدٍ ... لدى الموت شهباءُ المناكب شارفُ
فما برحوا حتى رأَى الله صَبرَهمْ ... وحتى أُتيحت بالأكفِّ المصاحفُ

---

(١) الرواية نفسها وردت في الطبري ٥/ ٣٧ وفي وقعة صفين مفصلة أكثر/ ٢٩٨ . وفي ياقوت ٣/ ٤٧١ .

(٢) الأبيات الثاني والثالث والرابع في تاريخ الطبري ٥/ ٣٧ .

(٣) ورد صدر البيت في الطبري (يُبدِّل) وعجز البيت (وكان فتىً) .

(٤) ورد صدر البيت في الطبري (. . . بالقاع مسنداً) . وعجز البيت (تمج دم الخِرق العُروق الذَّوارفُ) . ومسلماً : متروكاً .

(٥) الضمير في قوله : دعاهن فاستسمعن من أين صوته ، يرجع إلى نساء عبيد الله . وكان تحته أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي ، وبحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني . وكان عبد الله أخرجهما معه إلى الحرب في ذلك لينظرن إلى قتاله (حاشية صفين ٢٩٨) .

بِمَرْجٍ تَرى الراياتِ فيه كأَنها ... إذا اجْتَنَحتْ للطعن طيرٌ عواكفُ[1]
جزى الله قتلانا بصِفّين خيرَ ما ... جَزاهُ عباداً غادرتها المواقفُ[2]

القصيدة وردت في وقعة صفين ووردت أبيات ثلاث في الطبري .

وقال كعب بن جُعيل بعد رفع المصاحف يذكر أيام صِفِّين ويحرِّض معاوية :

مُعَاويَ لا تَنهضْ بغيرِ وثيقةٍ ... فإنَّك بعد اليوم بالذُّلِّ عارفُ
تركتمْ عُبيدَ الله بالقاعِ مُسنَداً ... يَمجُّ نَجيعاً والعروقُ نَوازفُ
ألا إنَّما تَبكي العيونُ لفارسٍ ... بصِفِّين أَجْلَتْ خيلُه وهو واقفُ
ينوءُ وتعلوه شآبيبُ من دَمٍ ... كما لاحَ في جيبِ القميص اللَّفائفُ
يحلِّلْن عنه زِرَّ دِرْعٍ حَصينةٍ ... ويُبْدَيْنَ عنه بعدهنَّ مَعارفُ
تبدَّلَ مِن أسماءَ أسيافَ وائلٍ ... وكانَ فتىً لو أخطأَتْهُ المتالفُ
أَلا إنَّ شَرَّ النَّاسِ في النَّاسِ كُلِّهِمْ ... بنو أَسَدٍ ، إنِّي لما قلتُ عارفُ[3]
وفرّت تميمٌ سَعْدُها وَرِبابُها ... وخالَفَت الجَعْراءُ فيمن يُخالِفُ[4]

إن هذه القصيدة هي تتمة القصيدة السابقة التي يرثي بها الشاعر عبيد الله بن عمر . رغم الفصل بينهما في كتاب وقعة صفين ، حيث يوجد بينهما أبيات شعر مشتركة ، ويوجد توافقاً بينهما في الوزن والقافية .

وقال كعب بن جعيل في قتل عبيد الله بن عُمر :

---

(١) اجتنحت : مالت .
(٢) صفين ٢٩٩ .
(٣) ورد هذا البيت في مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٧٢ كالآتي :
إذا حمَّر بأسُ الناسِ ألفيتَ شرَّهُمْ ... بني أسدٍ ، إني بما قلت عارف
وقال كعب أيضاً في المختصر وهو زيادة عما ورد في وقعة صفين :
أغاروا علينا يسرقون رحالنا ... وليس لنا في مَرجِ صفِّين قائف
والقائف : الذي يعرف آثار وطء الأقدام. قاف الأثر يقفوه قيافة : تتبعه ليعرف من هو .
(٤) والجعراء : لقب بني العنبر بن عمرو بن تميم . وقعة صفين ٣٦١ .

يقــولُ عُبيــدُ الله لمَّــا بــدتْ لــه سَحابةُ موتٍ تقطرُ الحتْفَ والدَّما
ألا يـا لقـومـي اصبـروا إنَّ صبـرنَـا أَعـفُ وأَحْجـىَ ، عِفَّـةً وتكـرُّمـا
فلمّـا تَـلاقـى القـومُ خَـرَّ مُجـدّلاً صَريعاً فَلاقى التُّربُ كفَّيهِ والفَما
وخلَّــفَ أَطفــالاً يتــامَــى أَذلَّــةً وخلَّفَ عِرْساً تسْكُبُ الدَّمعَ أَيِّما
حَــلالاً لهــا الخطَّــاب لا تَتَّقِيهــمُ وقد كان يَحْمَى غَيرةً أن تُكلَّما[١]

كانت الاستعدادات في معارك صفين يومياً وعلى قدم وساق في الليل والنهار ، كل طرف يعبىء قواته ويشجعهم وتلقى عليهم الأشعار والخطب الحماسية ، والشاعر كعب بن جعيل التغلبي لم يكن بعيداً فهو في قلب الأحداث وينقل ذلك إلينا شعراً فيقول :

أَصْبَحَـتِ الأُمَّـةُ فـي أَمـرٍ عَجَـبْ والمُلك مَجموعٌ غداً لمن غَلَبْ[٢]
فَقلـتُ قـولاً صـادقـاً غيـر كـذبْ إنَّ غـداً يهلـك أعـلام العـربْ[٣]
غـداً نُـلاقــي ربَّنــا فنحتسِــبْ يـا رب لا تُشمِـت بنـا ولا تُصِـبْ
مـن خَلـعَ الأنـدادَ كُـلاًّ والصُّلُـبْ غـداً يكـونـون رمـاداً قـد كُثِـبْ
بعـد الجمـالِ والحيـاءِ والحَسَـبْ[٤]

وقال الشاعر كَعب بن جُعيل التغلبي بعد عملية التحكيم بين الطرفين في صفين :

كـأَنَّ أبـا مـوسـى عَشِيـةَ أَذْرُحٍ يطـوفُ بلقمـانَ الحكيـم يـوارِبُـهْ
فلمَّـا تـلاقَـوا فـي تُـراثِ مُحمَّـدٍ نَمَتْ بابن هندٍ في قريشَ مَضَارِبُهْ
سَعَـى بـابـنِ عَفَّـان ليـدُركَ ثـأْرَه وأَولَـى عِبـادِ الله بـالثَّـأْر طـالبُـهْ
وقـد غَشِيتْنـا فـي الـزُّبير غضـاضـةٌ وطلحـةَ إذ قـامـتْ عليـه نَـوَادِبُـهْ

---

(١) صفين ٢٩٩ .
(٢) البيت الأول والثاني في الطبري ٥/ ١٤ .
(٣) ورد عجز البيت في الطبري (إنَّ غداً تَهلكُ أعلامُ العرب) .
(٤) صفين ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

فَـردّ ابـنُ هنـدٍ مُلْكَـهُ فـي نِصـابـهِ ... ومَـنْ غـالـبَ الأقـدارَ فـاللهُ غـالبُـهْ
وما لابنِ هندٍ في لؤيّ بن غَالبٍ ... نظيـرٌ وإن جَـاشـتْ عليـهِ أَقـارِبُـهْ
فهـذَاك مُلْـكُ الشّـامِ وافٍ سَنـامُـه ... وهذاكَ مُلْكُ القَومِ قد جُبَّ غَارِبُهْ
يحـاوِلُ عبـدُ اللهِ عمْـراً وإنَّـهُ ... لَيَضرِبَ في بَحرٍ عَريضٍ مَذاهِبُهْ
دَحا دَحْوةً في صدرِه فهوَتْ بهِ ... إلى أَسفلِ المَهْوَى ظُنونُ كَواذِبُهْ[1]

ونسج على القافية نفسها فقال :

وأَبيـضَ جِنِّـيٍّ عليـهِ سُمُـوطُـهُ ... من الإنْس في قَصْرٍ مُنيفٍ غَوارِبُهْ[2]
تَـدَلَّيتُـهُ سَقْـطَ النَّـدى بعـد هَجْعَـةٍ ... فَبِـتُّ أُمنِّيـهِ المُنَـى وأُخَـالبُـهْ[3]
بما يُنْزِلُ الأَرْوَى من الشَّعَفِ العُلَى ... ومـا لـو يُسَنِّي حَيَّةً مـالَ جَـانبُـهْ[4]
نَـدِمْـتُ على شتمِ العَشيرةِ بَعْـدما ... مَضـى واستَتَبَّت لِلرُّوَاةِ مَذاهِبُهْ[5]
فأصبحت لا أسطيعُ رداً لما مَضَى ... كما لا يَرُدُّ الدَّرَّفي الضَّرْعِ حَالبُهُ[6]
مُعـاوي أنصـف تغلـب ابنـة وائـلٍ ... مِنَ النَّاسِ ، أَوْدَعْها وحَيّاً تُضَارِبُهْ

---

(١) وقعة صفين ٥٤٩ .

(٢) أبيض جني : نسب جمال صاحبته إلى الجن لروعة جمالها ولكنها في الإنس . والسموط : جمع سمط وهي قلادة منظومة من لؤلؤ أو غيره . منيف : عال مشرف . والغوارب : جمع غارب : وهو أعلى الظهر ، يريد عاليه ذراه وقبابه . يصفها بأنها من بيت شرف وسيادة .

(٣) دلاه بحسن حديثه يدليه : أطمعه وغره حتى أوقعه فيما يريد من تغريره . وخالب المرأة يخالبها : خادعها بألطف القول حتى يسلب قلبها وعقلها .

(٤) الأروى ، واحدته الأروية ، وهي الوعل يسكن في رؤوس الجبال معتصماً بها ، والشعف : جمع شعفة وهي رأس الجبل . الطُّلاةُ : هي العنق والطُّلى : جمع طلية وهي صفحة العنق . وسنى لحية وتسناها : رقاها وصوت بها يدعوها ويرفق بها حتى تخرج إليه . وفي مختصر تاريخ دمشق . عجز البيت : لان جانبه .

(٥) استتب الطريق : إذا خد فيه السيارة خدوداً وشركاً ، فوضح واستبان لمن يسلكه . وذكر هذا والذي يليه في الخزانة لعمير بن جعيل شقيق كعب .

(٦) الدَّرُّ : اللبن يحلب فيسيل من الضرع . وورد صدر البيت في مختصر تاريخ دمشق ١٧١/٢ (فأصبحتُ لا استطيع دفعاً لما مضى) . وفي المفضليات إلى عَميرة بن جُعَل وهو ليس بأخٍ لكعب بن جعيل والأبيات التي تليها لعميرة .

قَليلٌ علـى بـابِ الأميـر لُبَـاثتـي إذا رابني بـابُ الأميـرِ وحـاجبُـهْ[١]
ولمَّـا تَـدارَوا فـي تُـراثِ مُحمَّـدٍ سَمَتْ بابن هِندٍ في قُريشٍ مَضارِبُهْ[٢]

كَعب بن جُعيل يمدح سعيد بن العاص :

غزا سعيد بن العاص سنة ثلاثين فأتى جرجان وطبرستان ومعه عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وصالح أهل جرجان وقفل إلى الكوفة أميراً عليها ، فمدحه الشاعر التغلبي كعب بن جُعيل فقال :

فَنِعْـمَ الفَتَـى إذْ جـالَ جيـلانُ دونَـه وإذ هَبَطـوا مـن دَسْتَـى ثـمَّ أبْهَـرا
تَعلّـمْ سَعيـدَ الخَيْـرِ أنّ مَطِيّتـي إذا هَبَطـتْ أشْفقـتُ مِـن أن تُعقَّـرا
كـأنَّـكَ يَـومَ الشِّعـب لَيـثُ خفيَّـةٍ تحـرَّدَ مـن ليـثِ العَريـنِ وأصْحَـرا
تَسوسُ الَّذي ما سَاسَ قَبلك واحدٌ ثمـانيـنَ ألفـاً دارعيـن وحُسَّـرا[٣]

ويعود بنا الشاعر كعب بن جعيل إلى أزمان سالفة من تاريخ العرب ويسجلها شعراً لأهميتها ويذكر أحد قادتهم تُبَّع وهو أسعد أبو كرب بن ملكيكرب في غزوه الأنبار يقود جيوشه فخلَّف بها مَنْ لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يَقْوَ على المضي معه ، ولا الرجوع إلى بلاده وانظموا إلى هذا الحِير (الحيرة) ، واختلطوا بهم ، وخرج تُبَّع سائراً ثم رجع إليهم وأقاموا فأقرهم على حالهم وانصرف راجعاً إلى اليمن ، ويقول كعب بن جعيل :

---

(١) لبث بالمكان لبثاً ولباثة : مكث وأقام .
(٢) هذه القصيدة وردت في مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٧٠ وفي طبقات ابن سلام ٥٧٣ .
وقال محقق الطبقات : قبل هذا البيت بيت لا يتم . إلا به وهو قوله ، يذكر موقف أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص في التحكيم . وهي القصيدة السابقة التي وردت في كتاب صفين ٥٤٩ .
وهذا يدل على أن القصيدة واحدة :
كـأن أبـا مـوسـى عشيـة أذرحٍ يطـوف بلقمـان الحكيـم يـواربـه
(٣) طبري ٤/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

وَغــزَا تُبَّــعُ فــي حِمْيَــرَ حتَّــى نَــزَلَ الحِيــرَةَ مــن أَهْــلِ عَــدَنْ[1]

رؤيا كَعب بن جُعيل :

في سنة خمسين للهجرة هرب الشاعر الفرزدق من العراق من طلب زياد له إلى الحجاز حتى قدم المدينة وسعيد بن العاص بن أمية أميراً عليها ، فاستجار به الفرزدق وقال : هذا مقام العائذ من رجل لم يُصب دماً ولا مالاً !

فقال : قد أجرت إن لم تكن أصبت دماً ولا مالاً . وقال من أنت ؟

قلت : أنا همام بن غالب بن صعصعة وقد أثنيت على الأمير ، فإن رأى أن يأذن لي فأسمِعَه فليفعل[2] .

قال : هات .

فأنشدته :

عليــك بنــي أُميّــةَ فــاستجــرهــم وَخُــذْ مِنْهــم لمــا تخشــى حبــالا

فــروحــت القُلــوصَ إلــى سَعيــدٍ إذا مــا الشــاة فــي الأرطــاةِ قــالا

وإن تــكُ فــي الهجــاءِ تُــريــدُ قتلــي فلــم تُــدرك لمنتصــرٍ مقــالا[3]

وهي قصيدة طويلة ، وكان في مجلس الأمير مروان بن الحكم والشاعر كَعب بن جُعيل التغلبي الذي قال :

هذه والله الرؤيا التي رأيت البارحة .

قال سعيد : وما رأيت ؟

قال : رأيتُ كأني أمشي في سكة من سكك المدينة ، فإذا أنا بابن قِتْرة في جُحْر ، فكأنه أراد أن يتناولني ، فاتقيته ، قال : فقام الحطيئة فَشقَّ ما بين رَحْلين حتى تجاوز إلي ، فقال : قل ما شئت فقد أدركتَ من مضى ، ولا يدركك مَن بقى .

---

(1) طبري ١/٦١٢ .

(2) طبري ٥/٢٤٩ .

(3) ديوان الفرزدق ٣٦٤ .

وقال لسعيد : هذا والله الشِّعر ، لا يعلّل به منذ اليوم .

قال : فلم نزل بالمدينة مرة وبمكة مرة[1] .

يزيد بن معاوية وكعب التغلبي :

كان الشاعر عبد الرحمن بن حسّان الأنصاري ويزيد بن معاوية يتقاولان فاستعلاه ابن حسان ، فقال يزيد لكعب بن جُعيل التَّغلبي : أجبهُ عني واهجه ؟

فقال : والله ما تلتقي شفتاي بهجاء الأنصار ! ولكني أدُلُّك على الشاعر الماهر الفاجر ! فتىً منَّا يقال له : غياث بن الغوث نصرانيٌّ .

وكان كعب سمَّاه الأخطل ، وذاك أنَّه سمعه ينشد هجاءً فقال : يا غلام إنَّك لأخطل اللسان[2] .

وفي رواية ثانية :

. . . قال الفرزدق الشاعر : كنا في ضيافة معاوية ، ومعنا كعب بن جُعيل ، قال : فحدثني أن يزيد بن معاوية قال له : إن ابن حسَّان قد فضح عبد الرحمن بن الحكم وغلبه وفضحنا فاهج الأنصار .

قال له (كعب) : أرادي أنت في الشرك ؟ أهجو قوماً نصروا رسول الله ﷺ وآله وآووه ولكني أدلُّك على غلام نصراني لا يبالي أن يهجوهم كأن لسانه لسان ثور .

قال من هو ؟

قلت : الأخطل (غياث بن غوث) فدعاه فأمره بهجائهم . قال (الأخطل) : على أن تمنعني ، قال نعم[3] .

وفي رواية ثالثة :

أن عبد الرحمن بن حسان كان يشبب برملة بنت معاوية فأمر يزيد كعب بن

---

(١) طبري ٥/ ٢٤٩ .

(٢) طبقات ابن سلام ٢/ ٤٦٣ .

(٣) الموفقيات ٢٢٧ .

جُعيل أن يهجوه فدله على الأخطل . وقيل دس معاوية ابنه يزيد إلى الأخطل فأمره بهجائهم فهجاهم[1] .

كان أبو جهمة الأسدي قد خَصَّ بني تغلب جميعاً بالهجاء فقال كعب بن جُعيل التغلبي يرد عليه :

بنـا كثـرتْ بنـو أسـد فَتُخْشَـى   لكثـرتِهـا ولا عـزّ القليـلِ
قُبَيِّلـة تـردَّدُ فـي مَعَـدٍّ   خـدودُهـم أَذَلُّ مـن السبيـلِ
تمنَّـى أن تكـونَ أخـا قـريـشٍ   شحيـج البغـل يـأذن للصهيـلِ[2]

وكعب بن جُعيل كغيره من الشعراء له خصوصية العلاقة مع المرأة يذكرها في شعره ويصفها ، ولقد وردت له أبياتاً من قصيدة ذكرها البغدادي في خزانته ، يقول جُعيل بن كعب التغلبي .

وضَجيـعٍ قـد تَعَلَّلْـتُ بـه   طيِّـبٍ أردانـهُ غيـرِ تَفِـلْ[3]
فـي مكـان ليـس فيـه بَـرَمٌ   وفِـراشٍ مُتَعـالٍ مُتمَهِـلْ[4]
فـإذا قـامـتْ إلـى جـاراتهـا   لاحـتْ السـاقُ بخلخـالٍ زَجِـلْ[5]
وبمَتْنَيـنِ إذا مـا أدبَـرتْ   كـالعِنـانيـن ، ومُـرْتَـجٍّ رَهِـلْ[6]
صَعْـدَةٌ نـابِتَـةٌ فـي حـائـرٍ   أينمـا الـريـحُ تميِّلْهـا تَمـلْ[7]

---

(١) الموفقيات ٢٢٨ . وسأشرح هذه الأمور في ترجمة الأخطل لأنها تخصه أكثر ماتخص كعب .
(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١/ ١٧١ .
(٣) الضَّجيع : المضاجع من الضُّجوع وهو وضع الجنب على الأرض . والتعلّل : التَّلهِّي . أي تركت الطِّيب والأدهان وهي غير متعبة .
(٤) والبَرَم مصدر برِم : إذا سئمه وضجر منه . وفراش مطوف على مكان . ومُتمهل من اتمَهل الشيء : أي طال واعتدل .
(٥) وزَجِل : أي مصَوِّت : وذلك أنهم كانوا يجعلون في الخلاخيل جَلاجل .
(٦) وبمتنين : هو تثنية متن وهو مكتنفا الصُّلب من العصب واللحم . عِنان الفرس ، وعنانا المتن : حَبلاه ؛ أراد أنّ خَصْرَها مجدولٌ لطيف ؛ وأراد بالمرتجّ : الكفل ، والرَّهِل : المضطرب .
(٧) والصَعدة : القناة التي تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف وتعديل ؛ وامرأة صعدة : مستوية القامة ، شبّهها بالقناة . (خزانة الأدب ٣/ ٤٨ ، ٤٩) .

ولكل إنسان نهاية وهذا الشاعر مسكين الدارمي يذكر كَعبُ بن جُعيل التغلبي في نهايته فيقول :

ولست بأحيا من رجالٍ رأيتهم   لكلِّ امرئٍ يوماً حِمامٌ ومَصرعُ
أرى ابن جُعيل بالجزيرةِ بيتهُ   وقد تركَ الدنيا وما كان يَجمعُ[1]

وقدم كَعبُ بن جُعَيل التَّغلبي على الضَّحَّاك بن قيس[2] وكان والياً لمعاوية على الكوفة فسأله حاجةً فأبطأ فقال :

لعمرُ أبيها لا أَبي لَكأنّما   تَرى تَغْلِبَ الغَلْبَاءَ عنّي غُيَّبا
قَصيرُ القَميصِ فَاحشٌ عند بَيتهِ   وشَرُّ قُريشٍ في قُريشٍ مُرَكَّبا
بَنى لكَ قيسٌ في قرىً عربيَّةٍ   من اللؤمِ بيتاً آخرَ الدَّهرِ يُرتَّبا
أَرى إبلي حَنَّتْ طُروقاً كأنَّما   تجاوبُ طَنبوراً أجشَّ مُثقَّبا
أتبكي على دينِ ابنِ عفَّان بعدما   تضاحَك ضحَّاكُ بنا وتلعبا

وكان عبد الرحمن بن الضَّحاك عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، فنظر إلى بعض بني مروان يجرُّ ثيابه فقال له : أما والله لو رأيت أباك لرأيته مشمراً ، فما يمنعك من التشمير ؟ قال : منعني منه قول الشاعر لأبيك :

قصيرُ الثيابِ فَاحشٌ عند بيتهِ   وشرُّ قُريشٍ في قُريشٍ مركّبا[3]

ولقد جاء في الأعلام بأن وفاة كعب بن جُعيل التغلبي كانت سنة (٥٥ هـ = ٦٧٥ م)[4] .

* * *

---

(١) وكعب بن جُعيل دفن بجزيرة ابن عُمر لأنها بلاد بني تغلب (خزانة الأدب ٤/ ١٠١ ، ١٠٢) .
(٢) هو الضَّحاك بن قيس بن خالد ، الأمير أبو أُميَّة ، وقيل : أبو أُنيس . وقيل : أبو عبد الرحمن . وقيل : أبو سعيد ، الفهري القرشي . وقتل الضَّحاك سنة أربع وستين للهجرة . (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥) .
(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٥٧٧ .
(٤) الأعلام ٥/ ١٢٩ .

كلثوم[*] بن عمرو التَّغلبي (العَتَّابي)

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عُبيد بن حُبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مَالكٍ عتاب بن سعد بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغلبٍ .

شاعرٌ مترسلٌ بليغٌ مطبوعٌ ، متصرف في فنون الشعر ومقدَّم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة ، فوصفوه للرشيد ، ووصلوه به ، فبلغ عنده كلَّ مبلغ ، وعظمت فوائده .

كان الشاعر منصور النَّمري تليمذه وراويته ، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت[1] .

وجاء عنه أيضاً :

كلثوم بن عمرو ، أبو عمرو العتَّابي ، كان شاعراً خطيباً بليغاً مجيداً وهو من أهل قنسرين[2] وقدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء والأشراف ، وله رسائل مستحسنة ، وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وتنزها ، وصيانة وتقززا ، وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد . . . مقدّم في الخطابة والرواية حسن المعارضة والبديهة[3] . وكان يقال له أيضاً (أبو علي) .

(*) المنتظم ١٠/١٨٩ ، تاريخ بغداد ١٢/٤٨٨ ، ٤٨٩ ، الأغاني ١٣/١٠٧ ، معجم الشعراء ٢٤٤ ، الفهرست ١٥٢ فوات الوفيات ٣/٢١٩ ، طبقات الشعراء ٢٦١ ، معجم الأدباء ٥/ ٢٢٤٣ ، وفيات الأعيان ٤/ ١٢٢ ـ ١٢٤ .

(١) الأغاني ١٣/١٠٧ . وقال البغدادي في تاريخه : ساق غير أبي الفرج الأصبهاني نسب كلثوم بن عمرو فقال : حبيش مكان خنيس .

(٢) وهي كورة بالشام منها حلب ، وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ، وبعض يُدخل قنسرين في العواصم ، وخربها ملك الروم سنة (٣٥٥ هـ) وأحرق مساجدها ، (معجم البلدان ٤/ ٤٥٧) .

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٨ . وفي البيان والتبيين ١/ ٢٢١ (أبو علي) .

علاقة الشاعر مع الخليفة هارون الرشيد[١] :

بداية قدم هارون الرشيد الرافقة وكان قد ولي أمر الجزيرة إلى عبد الملك بن صالح الهاشمي ، فأنشده عبد الملك القصيدة فقال : لمن هذه ؟ فقال : لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو ، فقال : وما يمنعه أن يكون ببابنا ، فأمر بإشخاصه من رأس عين[٢] ، فوافى الرشيد وعليه قميصٌ غليظ ، وفَروة وخُفّ ، وعلى كتفه ملحفةٌ جافية بغير سراويل ، فلما رُفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تُفرش له حُجرة ، وتقام له وظيفة ، ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قُدِمت إليه أخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه ، ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقَيلي وهو في منزله ، فسلَّم عليه ، وانتسب له ، فرّحب به ، وقال له : ارتفع .

فقال : لم آتك للجلوس .

قال : فما حاجتك ؟

قال : دابّة أبلغ عليها رأس عين .

فقال : يا غلام أعطه الفرس الفلاني .

فقال : لا حاجة لي بذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابّة أتبلَّغ عليها .

---

(١) يقول صاحب الأغاني وهذا الخبر عندي فيه اضطراب ؛ لأن القصيدة المذكورة التي أوّلها :

ماذا شجاك بحوّارين من طللٍ ... ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ

للعتّابي في الرشيد ، لا في عبد الملك ، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد منتقصاً منه . وله أخبار معه طويلة ، وقد حدث بخبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية .

(٢) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين .

فقال لغلامه : امضِ معه فابتعْ له ما يريد . فمضى معه فعدل به العتّابي إلى سوق الحمير ، فقال له : إنّما أمرني أَن ابتاع لك دابة .

فقال له : إِنّه أرسلك معي ، ولم يرسلني معك ، فإن عملت ما أريد وإلاّ انصرف ، فمضى فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً ، وقال له ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، فركب الحمار عُرياً بمرشحةٍ عليه وبِرذعةٍ ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : فضحتني ، أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ فضحك ، وقال : ما رأيتُ قدرك يستوجب أكثر من ذلك ، ومضى إلى رأس عين[1] .

الرشيد والشاعر بعد قتل جعفر بن يحيى :

كان الشاعر يصحب البرامكة ويختص بهم ، ثم صحب طاهر بن الحسين ، وعلي بن هشام ، فيقال : إن الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نعمة البرامكة فقال : ما أحدثت بعدي يا عتابي ؟ فارتجل أبياتاً حسنة المعنى يقول فيها :

أَمنـزل إنـي نلـتُ مـا نَـالَ جَعفـرٌ ... من الملكِ أو ما نَالَ يحيى بن خَالدِ
وإنَّ أميـرَ المـؤمنيـن أَغصنـي ... مغصيهمـا بـالمشـرقـاتِ البـوارِدِ
دَعينـي تَجئنـي ميتتـي مُطمئنـة ... ولـم أتكلـفْ هـولَ تلـكَ المـوارِدِ
فـإنَّ عليـات الأمـورِ مشـويـةٌ ... بمستودعاتِ في بطونِ الأَسَاوِدِ[2]

---

(١) الأغاني ١٣/ ١٢١ .
ـ كانت العادة المتبعة أن الشعراء يطرقون أبواب الملوك والأمراء والقادة ويمدحونهم ويتزلفون إليهم ويتملقونهم ، فمن أحسن منهم الثناء والمديح ، نال الهبات والعطاءات . وربما كان الشاعر كلثوم العتابي التَّغلبي مغموراً ، ولكن شعره تنامى إلى أسماع الرشيد الذي كان ذواقة للشعر فأمر باحضاره وأعجب بشعره ، وتوطدت علاقته به ، ثم ساء بفعل وشاية ثم عادت الأمور تجري في مجاريها . ومن سياق البحث سيتضح كل ما قد خفي .
(٢) الفهرست ١٥٣ .

الزندقة : وجاء في معجم الشعراء : وَرُمي بالزندقة والرفض فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن ، وقال قصيدته التي منها :

فُــــتَّ المَمَــــادِحَ إلاَّ أَنَّ أَلْسنَنَــــا ... مُستنطقات بما تُخفي الضمائرُ[1]

ماذا عَسى مادحٌ يثني عليكَ وقَدْ ... نَاجاكَ في الوحي تَقديسُ وتَطهيرُ[2]

بينما ورد الخبر في الأغاني بأن الرشيد عتب على العتَّابي أيام الوليد[3] بن طريفٍ ، فقطع عنه أشياء كان عوّده إياها ، فأتاه متنصّلاً بهذه القصيدة :

مـاذا شَجَـاك بحـوَّاريـن مـن طَلـلٍ ... ودمنــةٍ كَشَفَــتْ عنهــا الأعــاصيـرُ

شَجَاكَ حتَّى ضمير القلب مُشتركٌ ... والعيـن إنْســانهــا بـالمَـاءِ مَغْمُـورُ

فـي نـاظـري انقبـاضٌ عـن جُفـونهـا ... وفـي الجُفـونِ عـن الآمـاق تَقصيـرُ

لو كنتِ تَدرينَ ما شوقي إذا جَعلت ... تَنْـأَى بِنَـا وبِـكِ الأَوْطَـان والـدورُ

عَلمــتِ أنّ سُـرى ليلــى ومُطْلعَـي ... من بَيتِ نَجران والغَورَين تَغْويرُ[4]

إذِ الـركـائـبُ مُخسـوفٌ نَـواظـرهَـا ... كمـا تضمَّنـتِ الـدُّهـنَ القَـواريـرُ

نَادتكَ أَرْحَامُنا اللاتي نمت بها ... كمـا تُنَـادي جِـلادَ الجِلَّـة الخـورُ[5]

مُستنبـط غـرمـاتِ القلـب مـن فِكَـرٍ ... مــا بَينهــنّ وبيــنَ الله مَعْمُــورُ

فُــتَّ المــدائــح إلاّ أَنّ أنفسنـــا ... مُستنطقـاتٌ بمـا تَحـوي الضَمـائيـر

مَاذا عَسى مَادحٌ يُثني عليكَ وَقَدْ ... نَادَاكَ في الوحي تَقديسٌ وتَطهيرُ

---

(١) جاء صدر البيت في الأغاني (فت المدائح . . .) وعجزه (بما تحوي . . .) .

(٢) معجم الشعراء ٢٤٤ .

(٣) الوليد بن طريف من بني حي بن عمرو ـ ويقال لهم أضراس الكلاب ـ من بني تغلب . ويقال للوليد الشاري وهو من الخوارج الذين تمردوا على الدولة العباسية (تاريخ الموصل ٢٨١) .

(٤) نجران : موضع بالبحرين ، وباليمن ، وبحوران من نواحي دمشق (معجم البلدان ٥/٣٠٨) . والتغوير : الدخول في الغور .

(٥) الجِلاد : النوق الصلاب وما غزر لبنها أو قل ـ ضد ـ والجلة : المسان من الإبل . والخور : الناقة الغزيرة اللبن .

إن كـان منّـا ذَوُوا إفْـكٍ ومـارقـةٌ وَعُصبـة دِينهـا العـدوانُ والـزُّورُ[1]
فـإنّ منّـا الـذي لا يستحـثّ إذا حُثَّ الجيادُ وحَازَتْها المضَاميرُ[2]
وَمِـنْ عَـرائقـهِ السَفَّـاح عنـدكـمُ مُجرّبٌ من بَلاءِ الصِدقِ مَخبورُ[3]
الآن قد بَعُدتْ في خطوِ طَاعتكم خُطَاهـمُ حَيث يَحتلُ الغَشاميرُ[4]

الرشيد وكلثوم التَّغلبي ومَنصور النَّمري :

كان بيد الرشيد الحق كله أن يغضب ويطلب الشاعر كلثوم التَّغلبي ، لإهانة أصابه بها في شعرٍ أنشده أمام صديقه الشاعر منصور النمري ، وربما ظن التَّغلبي بأن ما قاله هو من قبيل المزاح ولن يصل إلى الرشيد ، ولكن مزاحه كان من النوع الثقيل البذيء جرح فيه كبرياء النمري وتجرأ على الرشيد ، وهذه هي عادة الشعراء في تجاوز حدودهم دون النظر إلى العاقبة !

وهذه هي الرواية :

مرَّ مَنصورٌ النَّمري يوماً بالعتَّابي وكان صديقاً له ، وكان النَّمري يُجلّ العتَّابيَّ ويعظمه لقناعته وديانته ، ولعلمه مع ذلك وسعة أدبه ، فسلم عليه فرأى به العتَّابيُّ كآبةً فقال له النَّمريُّ إني مُغْتَمٌ بامرأتي فلانة ، فإنها تَمْخَض منذ ثلاث وقد عَسِرت عليها ولادتُها ، فقال له العتَّابي : ويحك ، فأين تركت ودواؤها عندك ؟

فقال : وما هو ؟

فقال : تكتب على مَتاعها : الرشيد ، حتى تسهل ولادتها فإنما عُسْر الولادة من ضيق المسْلَك ، وإذا كتبت الرشيد على فَرْجها اتسع ، فغضب النَّمري واختلط ، وقال : ويحك ، أشكو إليك مثل هذا الأمر فتسقبلني بمثل هذا ، وتستخفّ باسم أمير المؤمنين وذكره ؟

---

(١) الإفك : البهتان . والمارقة : الخارجة على الدين . (وربما عنى الشاعر هنا خروج الوليد بن طريف من تغلب في عصر الرشيد) .
(٢) المضامير : جمع مضمار ، وهو الموضع الذي تضمر فيه الخيل .
(٣) المخبور : المختبر ، وصدر البيت محرف (أغاني ١٣/ ١٢٣) .
(٤) الغشامير : من الغشمرة وهي : التهضم والظلم .

فقال العتَّابي : فلا تغضبَنّ فأنت علَّمتنا هذا . أَلست القائل في الرشيد في قصيدتك العينية :

إِنْ أَخْلَفَ القَطْرُ لم تُخْلفْ مَخَايلُه   أو ضَـاقَ أَمـرٌ ذَكـرنَـاهُ فيتَّسـعُ

فاستحكم غضب النَّمري وغيظه عليه ، ومرّ من وجهه ذلك إلى الرشيد فأعلمه ، وحكى لفظه ، ففار كما يفور المِرجل غيظاً عليه ، وحلف ليقتلنَّه ، وكان جعفر بن يحيى يستخص العتَّابي ويقرِّبُه ويعاشره ، فما زال بالرشيد حتى عفا عنه ، ورضي وسكنت نفسه ، وسكت العتَّابي على هذه مدة ، حتى تمكن من الرشيد بعلمه وغزارة أدبه ، فإنه كان بحراً لا يُنْزَف ، وحضر مجلسه ليلة يسامره ، والنمري غائب بالرّقة ، فتحدث عنه طويلاً وأجرى الحديث إلى ذكر الروافِض محمداً ، ثم أنشده القصيدة التي للنَّمري وأَولها :

شـاءٌ مـن النَّـاسِ راتـعٌ هَـامِـلٌ   يُعَلِّلـون النُفـوسَ بـالبـاطـل

فلما بلغ قوله في ذكر فاطمة عليها السلام وأَمْر فَدَك ، وذكر أبي بكر وعمر ، وزعمه أنهما ظلماها في أمر فَدَك وهو قوله :

مَظلـومـةٌ والإلـه نَـاصـرهـا   تُـدِيـرُ أَرجـاءَ مُقْلَـةٍ حَـافـلِ

قال له الرشيد : يا عتابي ، من قال هذا ؟ قال : عدوك يا أَمير المؤمنين الذي تظن أَنه وليك .

فقال : ويلي على ابن الفاعلة ، يحضّ الناس على الخروج عليَّ ، يضمر عداوتي ويظهر من موالاتي ما يظهر وقد اقتنى مني هذه الأموال ، ومنزلته هذه المنزلة ، وكان منصور يعتزي إلى الرشيد بالخؤُولة من جهة نُتَيله النَّمريَّة أم العباس بن عبد المطلب ، وكان يمدح الرشيد بالمدائح الجياد التي ليس لأحد مثلها ، وكان يصله بالصِّلات الجزيلة ، وكان النَّمري يدين بالإمامة سرّاً ، ويمدح آل الرسول ، ويعرض في شعره بالسلف ، والرشيد لا يعلم ذلك حتى كثر ، وكان ذلك اليوم ـ ثم أقبل العتَّابي يحضه ، ويذكر مذهبه ، وينشده شعره في الطالبيين شيئاً بعد شيءٍ ، فدعا الرشيد بأبي عصمة الشيعي وهو من الزيدية

في شيعته بني العباس ، فقال له : اخرج من ساعتك هذه إلى الرَّقَّة ، فخذ منصوراً النمري ، فَسُلَّ لسانه من قفاه ، واقطع يده ورجله ، ثم اضرب عنقه ، واحمل إليّ رأسه ، واصلب هناك بدنه ، فخرج أبو عصمة لذلك ، فلما صار بباب الرَّقَّة ، وهو يدخل المدينة ، إذا هو بجنازة النمري قد استقبلته فانكفأ راجعاً إلى الرشيد فأعلمه ، فقال له : فألاَّ إذ صادفته ميتاً أحرقته بالنار[1] .

الرشيد وجعفر بن يحيى :

لما سعى منصورٌ النَّمريُّ بالعتَّابي إلى الرشيد اغتاظ عليه ، فطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنه مدة ، وجعل يستعطفه عليه ، حتى استلَّ ما في نفسه ، وأمنّه ، فقال يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلتُ في غَمراتِ الموتِ مُطَّرحاً ... قد ضاقَ عني فسيحُ الأرض مِن حيلي[2]
ولـم تـزلْ دائبـاً تسعـى بلطفـكَ لـي ... حتى اختلستَ حياتي من يَدَيْ أجلي[3]

وَجِد الرشيد على العتَّابي فدخل سرّاً مع المتظَّلِمين بغير إذن ، فمثل بين يدي الرشيد ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك ، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك ، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك ، ولنعم الصَّائن لنفسي كنت ، لو أعانني عليك الصبر ، وفي ذلك أقول :

أخِضني المقامَ الغمرَ إن كان غرّني ... سنـا خُلّـبٍ أو زلَّـتِ القـدمـانِ[4]

---

(١) طبقات الشعراء لابن معتز ٢٤١ .
إنَّ الفتنة والنميمة والوشاية والحسد ، كلها من الآفات المرضية الخطيرة في تدمير المجتمع والحاسد لا يرضيه سوى زوال نعمة المحسود . لقد أوقع النَّمري بالتَّغلبي عند الرشيد فاشتد في طلبه ، ثم رضي عنه ، فأوقع التَّغلبي بالنمري فاشتد في طلبه ولكن الموت عاجله قبل أن ينفذ الرشيد حكمه الصارم بالنمري ـ وذراع السلطة القوي يجب أن لا يستخدم إلاَّ في الحق والعدل خشية الوقوع في فخ الخطأ فتكبر الفتنة ؟

(٢) الغمرات : جمع غمرة ، وهي الشدة . وردعجز البيت في معجم الأدباء (يضيقُ عني . . .) .

(٣) أغاني ١١٨/١٣ . ورد صدر البيت في معجم الأدبا (فلم تزل . . .) .

(٤) الغمر : الماء الكثير . سنا خلب : ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر .

أتتركني حَدبَ المعيشة مُقتراً وكفَّاك من ماء الندى تكفانِ
وتجعلني سهمَ المطامع بعدَ ما بللتَ يميني بالنَّدى ولساني

فاعجب الرشيد قوله ، وخرج وعليه الخِلعُ ، وقد أمر له بجائزة[1] .

وقال كلثوم العتَّابي يمدح الرشيد :

إمامٌ لهُ كَفٌّ تضم بنَانُهَا عَصا الدين ممنوعٌ من البرْي عُودُها[2]
وَعَينٌ مُحيطٌ بالبرَّية طرفُها سَواءٌ عليها قُرْبُهَا وبَعيدُهَا
وأصمع يقظانٌ يَبيتُ مُنَاجياً لهُ في الحِشَا مُستودعات يكيدُهَا
سَميعٌ إذا نَاداه من قَعْرِ كُربةٍ مُنادٍ كفَتْهُ دَعْوةٌ لا يُعيدهَا[3]

الشاعر والخليفة المأمون واسحاق الموصلي :

لما قدم العتَّابي مدينة السلام على المأمون ، أذِن له فدخل عليه وعنده اسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وكان العتَّابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلَّم فردَّ عليه وأدناه ، وقرّبه حتى قرب منه ، فقبّل يده . ثم أمر بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله ، وهو يجيبه بلسان ذَلقٍ طَلقٍ ، فاستظرف المأمون ذلك ، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنَّه استخفَّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين : الإيناس قبل الإبساس[4] .

فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى اسحاق مستفهماً، فأومأ إليه وغمزه[5] على معناه حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار ! فأتي بذاك ، فوضعه بين يدي العتَّابي ، وأخذوا في الحديث ، وغمز المأمون اسحاق بن إبراهيم عليه فجعل العتَّابي لا يأخذ في شيء إلاَّ عارضه فيه اسحاق ، فبقي العتَّابي متعجباً،

---

(١) أغاني ١٣/ ١١١ .
(٢) ورد صدر البيت في البيان والتبيين ٣/ ٤٠ (إمام له كف يضم بنانها) .
(٣) طبقات الشعراء لابن معتز ٢٤٥ .
(٤) الإبساس : أن يمسح ضرع الناقة يسكنها لتدر . والمراد الاطمئنان قبل المداعبة .
(٥) غمزه على معناه : أشار .

ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟

قال : نعم ، سل .

فقال لإسحاق : يا شيخ من أنت ؟ وما اسمك ؟

قال : أنا من الناس ، واسمي كُلْ بصل .

فتبسم العتاي وقال : أمَّا أنت فمعروف ، وأما الاسم فمنكر .

فقال اسحاق : ما أقل إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمي كُلْ بصلْ ؟ واسمك كُلْ ثُوم ، وكُلْ ثُوم من الاسماء ، أو ليس البصل أطيب من الثوم ؟

فقال العتَّابي : لله درُّكَ ، فما أحجَّك[1] ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصِله بما وَصلتني به ؟

فقال له المأمون : بل ذلك موفّر عليك ونأمُرُ له بمثله .

فقال اسحاق : أمَّا إذا أقررت بهذا ، فتوهَّمني تجدني .

فقال : ما أظنك إلاّ اسحاق الموصلي ، الذي تناهى إلينا خبرُه .

قال : أنا حيث ظننت ، وأقبل عليه بالتحيَّة والسلام .

فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : أمَّا إذا اتَّفقتما على المودة ، فانصَرِفا متنادَمين . فانصرف العتَّابي إلى منزل اسحاق فأقام عنده[2] .

الشاعر كلثوم العتَّابي على باب المأمون :

وقف العتَّابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه ، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن ، فقال له : إن رأيت ـ أعزكَّ الله ـ أن تذكر أمري لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل . قال له : لستُ أعزّك الله بحاجبه قال : إن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت ، واعلم أن الله عزّ وجلّ جعل في كل شيء

---

(١) ما أحجك : ما أكبر حجتك .
(٢) الأغاني ١٣/ ١١٠ .

زكاة ، وجعل زكاة المال رفد المستعين ، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف ، واعلم أن الله عزّ وجلّ ، مقبل عليك بالزيادة إن شكرت ، أو التغيير إن كفرت ، وإني لك اليوم أصلحُ منك لنفسك ، لأني أدعوك إلى ازدياد نعمتك ، وأنت تأبى .

فقال له يحيى : أفعل وكرامةً .

وخرج الإذن ليحيى ، فلما دخل ، لم يبدأ بشيء بعد السلام إلاّ أن استأذن المأمون للعتَّابي فأذن له[1] .

تقدير المأمون للعتَّابي :

كتب المأمون في اشخاص كلثوم بن عمرو العتابي ، فلما دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغتني وفاتَك فساءتني ، ثم بلغتني وِفادتك فسرّتني .

فقال العتابي : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاها فضلاً وإِنعاماً ، وقد خصصتني منهما بما لا يتَّسع له أُمنية ولا يبسط لسواه أمَل ، لأنه لا دين إلاّ بك ، ولا دنيا إلاّ معك .

فقال له : سلني .

فقال : يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال . فوصله صلاتٍ سنية ، وبلغ به من التقدير والإكرام أعلى محلّ[2] .

وجاء في الأغاني : قال جعفر بن المفضل ، قال لي أبي :

رأيت العتَّابيَّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنَّ ، فلما أراد القيام قام

---

(١) الأغاني ١٣/ ١١٤ ولقد وردت رواية معجم الأدباء ٥/ ٢٢٤٤ . قال : لست بحاجب ، قلت : صدقت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان ، قال : سلكت غير سبيلي ، قلت : إن الله أتحفك بجاه وهو عليك مُقبلٌ بالزيادة إن شكرت وبالتغيير إن كفرت ، وأنا لنفسك خير منك لها أدعوك إلى زيادة النعمة وبقائها عليك فتأباها ، فدخل على المأمون وحكى له ما جرى بيني وبينه فاستحسنه وأذن لي .

(٢) الأغاني ١٣/ ١٠٩ ـ ووردت الرواية نفسها في تاريخ بغداد ١٢/ ٤٩٠ . وفي المنتظم ١٠/ ١٩٠ .

المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون ، فمازال يُنهضه رويداً رويداً حتى أقلّه فنهض ، فعجبت من ذلك ، وقلت لبعض الخدم : ما أسوأ أدب هذا الشيخ فمن هو ؟ قال العتابي[1] .

العتَّابي وطوق[2] بن مالك :

قال طوق بن مالك للعتَّابي : أما ترى عشيرتك ؟ ـ يعني بني تَغلب ـ كيف تُدِلُّ ، وتتمرغ وتستطيل ، وأنا أصبر عليهم ؟! فقال العتَّابي : أيها الأمير ، إن عشيركَ من أحسن عِشرتَك ، وإنّ عمَّك من عمّك خيرُه ، وإنّ قريبك من قرب منك نفعُه ، وإنَّ أخفَّ الناس عندك أخفُّهم ثِقلاً عليك ، وأنا الذي أقول :

إِنّي بلوتُ الناس في حالاتِهِمْ   وخبرتُ ما وَصلوا من الأسبابِ[3]
فإذا القرابة لا تُقَرِّبُ قاطعاً   وإذا المودةُ أقربُ الأَنسابِ[4]

يحيى بن خالد البرمكي والعتَّابي :

دخل العتَّابي على يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت له جارية يقال لها خلوب تجالس الأدباء ، وتناقض الشعراء ، فقال لها يحيى : يا جارية سليه عن حاله ، فأنشدت الجارية تقول :

إذا شئتَ أَن تقلى فَزُرْ متواترا   وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا

فأنشأ العتابي يقول :

---

(١) الأغاني ١٣/ ١١٤ .
(٢) طوق بن مالك التغلبي أحد قادة بني العباس وله ترجمة في هذا الكتاب . وجاء في معجم الأدبا حول طوق والعتابي كتب طوق بن مالك إلى العتابي يستزيره ويدعوه إلى أن يصل القرابة بينه وبينه ، فرد عليه : إن قريبك من قرب منك خيره . . . وإن أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك .
(٣) ورد صدر البيت في المنتظم (ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم) .
(٤) الأغاني ١٣/ ١١٦ ـ وورد عجز البيت في معجم الأدباء (وإذا المودة أوكد الأنساب) .

بَقيتُ بلا قلب لأني هَائِمُ فَهلْ من مُعيرٍ يا خلوب بكم قَلْبَا
حَلفتُ لها باللهِ إنّكِ مُنيتي فَكُوني بِعَيني حيث ما نظَرتْ نَصْبَا
عَسى الله يوماً أن يرينيك خالياً فأحظى بلحظٍ من مَحاسنِكُمْ قُرْبَا
وَقَدْ قَالَ بيتاً ما سَمِعتُ بمثلهِ خَلى من الأحزان لم يذق الحُبا
إذا شئتَ أن تقلى فَزُرْ مُتواترا وإن شئت أن تزداد حباً فَزُرْ غبا[1]

بشار بن برد يحقد على إجادة العتَّابي :

جاء العتابي وهو حَدثٌ إلى بشَّار ، فأنشده :

أَيَصِدف عن أُمامةَ أَمْ يُقيمُ وَعَهدُكَ بالصِّبَا عَهدٌ قَدِيمُ
أَقُولُ لمستعار القلب عَفَّى على عَزَماتِه السيرُ العديمُ[2]
أما يَكفيكَ أَنّ دُموعَ عَيني شَآبيبٌ يفيضُ بها الهمومُ[3]
أشيمُ فلا أردُّ الطرفَ إلاّ على أرجائهِ ماءٌ سَجومُ[4]

العتابي يفضل العلم والأدب على المال :

كان العتابي جالساً ذات يوم ينظر في كتابٍ ، فمرَّ به بعض جيرانه فقال : أيشٍ ينفع العلم والأدب مَن لا مال له ؟ فأنشد العتابي يقول :

يَا قَاتلَ اللهُ أقواماً إذا ثَقِفوا ذا اللبِّ يَنظرُ في الآداب والحِكَمِ
قالوا وليسَ بهم إلاّ نَفاسته أَنَافعٌ ذا من الإقتارِ والعَدمِ[5]
وليسَ يَدرُونَ أنّ الحظَّ ما حُرموا لحاهم الله مِنْ عِلمٍ ومن فَهَمِ[6]

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٩١ ، ٤٩٢ .
(٢) عفى : طمس .
(٣) الشآبيب : المياه المنصبة ، جمع شؤبوب .
(٤) أشيم : انظر ، وأصله أن يشيم البرق ينظر أن يقصد واين يمطر . والسجوم : الكثير . (أغاني ١٣/ ١١٢) .
(٥) النفاسة : الحسد . والإقتار : القلة والفاقة . ومثله العدم .
(٦) الفهم ، بالتحريم : الفهم ، ومثلهما الفهامة . (أغاني ١٣/ ١١٧) .

لوم زوجته له وما قال في ذلك :

وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصورٌ النمريُّ قد أخذ الأموال فحلَّى نساءَه ، وبنى داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت ها هنا كما ترى ! فأنشأ يقول :

تَلـومُ علـى تَـركِ الغِنَـى بـاهليَّـةٌ ... زَوى الفَقْرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتَالدِ[1]

رأتْ حَولها النِّسوان يرفُلنَ في الثَّرا ... مقلَّـدةً أعنـاقُهـا بـالقـلائـدِ[2]

أسَـرّكِ أنّـي نِلـتُ مـا نَـالَ جَعفـرٌ ... من العيشِ أو ما نَالَ يحيى بن خَالدِ

وإنَّ أميـر المـؤمنيـن أَغصَّنـي ... مُغَصَّهمـا بـالمشـرقـاتِ البـواردِ[3]

رأيـتُ رَفيعـاتِ الأُمـورِ مَشـوبـةً ... بمستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ[4]

دَعينـي تَجئنـي مِيتتـي مُطمئنـةً ... ولَـمْ أتجشـمْ هَـولَ تِلـكَ المـوارد

معتقده :

من خلال سياق البحث والمراجع التي عدت إليها هناك إشارات تدل دلالات واضحة أنه كان له معتقده الذي يبطنه يؤمن به ولا يعلنه ، كان يلبس الصوف ، ويظهر الزهد ، وهرب إلى اليمن وأعاده يحيى بن خالد البرمكي بعد وساطة مع الرشيد ، وكان يقول بالاعتزال[*] .

كما أنه أُتهم بالوقوف مع الوليد بن طريف التغلبي (الشاري) الخارج على السلطة ، والأقرب من ذلك كله الشاعر العتَّابي هو يتكلم عن نفسه فيقول :

---

(١) الطرف : الجديد . والتالد : القديم .
(٢) يرفلن : تجر الواحدة ذيلها وتتبختر .
(٣) أغصَّني : من الغصة وهي ما يعترض في الحلق فتحتبس الأنفاس به . والمشرقات : السيوف اللوامع . البوارد : التي تثبت في الضريبة لا تنثني .
(٤) الأساود : جمع أسود وهو الحية . (أغاني ١٣/ ١٢٢) .
(٥) وفيات الأعيان ٤/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

إنـي لأُخفـي مـن عِلمـي جـواهـره | كي لا يَرى العلمَ ذُو جَهلٍ فيُفتتنَا
وَرُبَّ جَـوهـر علـمٍ لـو أبَـوحُ بـهِ | لَقيـلَ لـي أنـتَ ممـن يَعْبُـدُ الـوَثَنـا
ولاستحـلَ رِجـالٌ دينـونَ دَمـي | يَـرونَ أَقبـحَ مـا يـأتـونَـهُ حَسَنَـا
وَقَـدْ تَقَـدمَ فـي هـذا أبـو حسـنٍ | أوْصَى حُسينا بمَّا قد خبرَّ الحَسَنَا[1]

والمعنى :

إنه يخفى ما لا يريد قوله ، ولو باح بما يخفيه لاتُهم بأنه يعبد الأوثان ، ولاستحلَ رجال دينون دمه ، لأنهم يدينون بغير دينه ، أو هو يخالفهم بمعتقده .

وفي البيت الأخير يشير إلى أبي حسن ، ربَّما قصد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فلقد أجمع المسلمون على حبه بكل مذاهبهم بغض النظر عن السياسة ومراميها وأهدافها ، وغاياتها وأبعادها ، وإن الحب العاطفي قد يطغى ولكنه كالزبد ، والحب بعقل وفهم يمكث ويرسخ في القلب والعقل ؟ . وأشك بأن الشاعر أخفى نفسه خلف هذا البيت ؟

لقد نكس الدهر مع الشاعر وأصبح حلوه مُرّا ، وأصابه اليأس من الناس وفضل أن يعيش حراً بدونهم . فيقول :

ألا قَـدْ نَكَـسَ الـدهـرُ | فـأضْحَـى حلـوَهُ مُـرّا
وَقَـدْ جـربـتُ مَـنْ فيـهِ | فَلَـمْ أَحمـدهـم طُـرّا
فـالْـزِمْ نَفسُـكَ اليـاس | مِـنَ النـاسِ تَعِـش حُـرّا[2]

وكتب الشاعر كلثوم بن عمرو العتَّابي إلى رجل ، لم يُذكر اسمه ، ولابد أنه مليء وعنده فضل أموال حتى وجه إليه بشعر يستحثه على البذل والسخاء فيقول :

إنَّ الكـريـمَ ليخفـي عنـكَ عسرتـه | حتـى تَـراهُ غَنيـاً وهـو مَجهـودُ
وللبَخيـلِ علـى أَمـوالـهِ عِلَـلٌ | زُرق العيـون عليهـا أوجـه سُـودُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٩ .
(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٩١ .

إذا تَكَرَّهتَ أَنْ تعطي القَليلَ وَلاَ تكونَ ذا سعةٍ لم يظهر الجودُ
بُثَّ النوالَ ولا يَمنعكَ قِلتهُ فكل ما سَدَّ فَقراً فهو مَحمودُ

فشاطره الرجل ماله حتى بعث بنصف خاتمه ، وفرد نعله[1] .

النثر عند العتَّابي : كما كان له مقدرة على نظم الشعر حتى شبه بالنابغة الذبياني كذلك ذاع صيته في الخطابة والنثر .

قال : رسائل المرء في كُتبه أدَلُّ على مِقدار عَقله ، وأصدقُ شاهداً على غيبه لك ، ومعناه فيك ، مِن أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة[2] .

وكان العتابيُّ يحتذي حَذْوَ بشَّار في البديع . ولم يكن في المولدَّين أصوبُ بديعاً من بشار ، وابن هَرْمة .

قال :

إنِّي امرؤٌ هدَمَ الإقتارُ مأثَرتي واجتاحَ ما بَنَتِ الأيامُ من خَطرِي
أَرُومةٌ عطَّلتْني مِنْ مكارِمِها كالقَوس عَطَّلها الرَّامي مِن الوتَرِ
نَهى ظِرَافَ الغَواني عن مواصَلتي ما يفجأُ العين من شَيبي ومن قِصَري[3]
أيّامَ عمرِوُ بن كلثوم يسوِّدُهُ حَيَّا رَبيعةَ والأفْنَاءُ من مُضَرِ[4]

وقال كلثوم بن عمرو في خطبة له :

أما بعدُ فإنّه لا يُخبرِ عن فَضْلِ المرء أصدَق مِن تركهِ تزكية نفسه ولا يعبِّر عنه في تزكية أصحابه أصدَقُ من اعتماده إيَّاهم برغبته ، وائتمانِه إيّاهم على حرمته[5] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٩١ .
(٢) البيان والتبيين ١/ ٢٢١ .
(٣) وردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ في الأشباه والنظائر ٢/ ٢٠٣ ونسبت إلى هرم بن عمير التغلبي .
(٤) وردت الأبيات الأربعة في البيان والتبيين ١/ ٥١ ونسبها للعتابي . والأفناء : الأخلاط من القبائل واحدها فنو بالكسر ، وفنا ، كعصا .
(٥) البيان والتبيين ٢/ ١٤١ .

ومن قوله أيضاً :

تأنّيْنَا إفاقَتكَ من سكر غفلتِكَ ، وترقَّبْنا انتباهكَ من وسن رَقدتك ، وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك ، وكشَف لنا الصبرُ عن وجه الغلطِ فيك ، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرِفتكَ في تَعدّيكَ لطويلِ حقِّ مَنْ غَلِط في اختبارك[1] .

سخرية العتَّابي من الناس :

حدَّث عثمان الورّاق قال :

رأيت العتَّابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال : أرأيت لو كنا في دارٍ فيها بقر ، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبر حتى أُعلمك أنهم بقر . فقام فوعظ وقصَّ ودعا ، حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روى لنا غير واحدٍ ، أنَّه من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفه لم يدخل النار . فما بقي واحدٌ إلاّ وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة ، ويقدّرِه حتى يبلغها أم لا . فلا تفرّقوا ، قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر[2] ؟

وعن وفاته لم يذكرها مرجع أو مصدر سوى في الأعلام جاء تقديرها سنة « ٢٢٠ هـ = ٨٣٥م »[3] .

* * *

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٣٧ .

(٢) الأغاني ١٣/ ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) أعلام ٥/ ٨٤ .

مَالك(*) بن جَعْدة التَّغْلبيُّ

هجا المختار بن أبي عبيد ، فرد على الطرماح . ومالك هو القائل :

فـإنَّـكَ يـوم تَـأتيـنـي حَـريـبـاً تَحِـلُّ علـيَّ يَـومئـذٍ نُـذورُ
تحـلُّ علـى مُفـرهـة سِنـاد علـى أَخْفَـافِهـا عَلَـقٌ يُمـورُ
لأمِّـكَ وَيْلـه وعليـكَ أُخـرى فـلا شَـاةٌ تُنيـل ولا بَعيـرُ[1]

وقال أيضاً :

مَـرَّ بِنَـا المُختـارُ مُخْتَـارُ طَـيِّءٍ[2] فَرَوَّى مُشاشاً كان بالأَمْسِ صَاديا
جَلَبْنَـا لَـهُ صَهْبَـاءَ كـالمِسْك رِيحُهـا إِقَـامَتَـهُ حتَّـى تـرحَّـل غَـادِيـا[3]
فَمـرَّ وقَـدْ كَـانَـتْ عَلَيْـهِ غَبـاوةٌ يَخَالُ حُزُونَ الأَرْض سَهلاً وَوَاديا[4]

* * *

(*) الوحشيات ٢٥٩ ، ومعجم الشعراء ٢٦٥ .
(١) معجم الشعراء ٢٦٥ .
(٢) ورد صدر البيت في الوحشيات للطرماح : « مَرَّ بك . . . » .
(٣) ورد عجز البيت في الوحشيات للطرماح يجيب الفرزدق «فلم تَقْرِهِ حتى تَرحَّلَ غاديا» .
(٤) الوحشيات ٢٥٩ وورد في الحاشية « وهذه الأبيات الثلاثة في ديوان الفرزدق له ص : ٨٩٤ الصاوي .

المُجَشَّرُ(*) بن النَّعَّام التَّغلبي

هو المُجَشَّرُ بن النَّعَّام أحدُ بني كعب بن مالك بن غياث بن تَغلب .

قال بعض الحكماء : من أطلق أمله فلا قنوعَ له ، ومن أطلق لسانه أهدر دمه .

وقال آخر : منهم من ضاق قلبه اتَّسَعَ لِسانه ، وسبّ رجلٌ عابداً فقال العابد : لولا أن الله يسمعك لأجبتك . وهذا قَوْل حسن .

وقال الحسن بن علي عليه السلام ، وقديم علي كثرة الصمت ، إني وجدت لسابعاً سَبُعاً إن أرسلته أكلني .

وقال المُجشر التغلبي :

أَلَيْــس ـ هُبلتُمــا ـ ثلبــاً وزوراً	يُعَــدُّ عليكمــا لــو تَعْقِــلاَن ؟![1]
مــن الــرَّفَــثِ الــذي لا خَيــرَ فيــهِ	يُحــش بكــل آنســةٍ حَصــانِ[2]
ألا أبلــغْ بَعيــث بنــي رِزامٍ	وزُرعــة فــاتــركــا مــا تــذكــران
مــن الحيــن عتَّــاب بــن سَعــدٍ	وعِتبــانٍ فبئــس الشــاعــران
أَليــس هُبلتُمــا إفكــاً وزوراً	يُعــدُّ عليكمــا لــو تعلمــان[3]

* * *

(*) أدب الخواص ١/ ٦٤ ، ٦٥ . وفي المؤتلف والمختلف للآمدي ٧٢ المُجشر بن بغام .

(١) هَبِلَ الرَّجُلُ ـ هَبَلاً : فَقَدَ عَقْلَهُ وتَمْييزَه . والمَثْلَبَةُ : العَيْبُ .

(٢) رَفَثَ ، رَفْثاً : أَفْحَشَ في القَوْلِ . والرَّفَثُ : كلمة جامعة لما يريد الرَّجل من المرأة . والحَصَانُ : من النساء المرأة العفيفة . « لسان العرب » أدب الخواص ١/ ٦٥ .

(٣) ٣ ، ٤ ، ٥ : الأبيات الثلاثة في المؤتلف والمختلف ٧٢ . وإن البيت الأول والخامس هما نفس البيت مع اختلافٍ في بعض الكلمات . وانظر ترجمة البَعيث في هذا الكتاب ومناسبة قوله الشعر .

مُحمد(*) بن أبي عَقامة التَّغْلبي

هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عَقامه التَّغلبي يعرف بالحفائلي ، من قُضاة زُبيد ، ذَكر ابنُ الرَّيحاني المكي أنه كان ذا مالٍ كثير وكانت له دارٌ لها بابان ، على أحد البابين مكتوب :

بَابٌ إلى السَعْدِ يُفْتَح ، فَطَالب العلم يُفْتَى ، وطالب المال يُمْنَحْ .

وعلى الباب الآخر مكتوب :

بَابٌ عن الشرِّ يُغْلَق ، فطالب العلم يُفْتَى ، وطالب المال يُرْزَقْ .

وذُكر أنه قتله ابنُ مهدي علي لما تغلب على اليمن سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وكان له ولد فاضل شاعر قتله أيضاً .

وقال العماد الأصفهاني : أنشدني من شعره :

للْمَجْدِ عَنكمْ رِوَاياتٌ وأَخْبَارُ	وللعُلى نَحوكمْ حَاجٌ وأَوطَارُ
تَشْتَاقُكمْ كلُّ أَرضٍ تَنزِلونَ بهَا	كأَنَّكم لِبقاعِ الأَرضِ أَمْطَارُ
فَحيثُ كُنْتم فَثَغرُ الروض مُبتَسِمٌ	وأين سِرْتمْ فَدمعُ المزن مِدرَارُ
لله قَوْمٌ إذا حَلّو بِمَنزِلَةٍ	حَلَّ النَّدى وَيَسيرُ الجودُ إن سَاروا
لا يَعْجبَ النّاسُ مِنكمْ في مَسيركِمُ	كَذَلِكَ الفَلكُ العُلْويُّ دَوّارُ
والبدرُ مُذْ صِيغَ لا يَرضى بِمَنزِلةٍ	فيها يُخَيِّمُ فهوَ الدهرَ سيّارُ(1)

وذكره عُمارة في شعراء اليمن بعد ذكر بني عَقامة ، وقال : وممن عاشرته ، وعاصرته ، وكاثرته من بني عَقامةَ القاضي الفاضل أبو عبد الله

(*) انظر نسبه إلى تغلب في هذا الكتاب إلى بني أبي عَقامة . وترجم له الجعدي في طبقات فقهاء اليمن ص(٢٤٠) . والخريدة ٣/ ٢٤٠ شعراء الشام .

(١) خريدة القصر ٣/ ٢٤١ .

محمد بن عبد الله ، وكان يُعرف بالحفائلي وهو من أسماء المكتب ، وكان نبيلاً فاضلاً فقيهاً متكلماً شاعراً مترسّلاً رئيساً ممدحاً ، يثيب السائل ، ويجيب السائل إرفاداً وإفادة ، وجوداً وإجادةً ، وانتهت رياسة المذهب الشافعي في زبيد إليه وإلى ابن عمه القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي الفتوح ، فمن شعر هذا القاضي الحفائلي ما كتب به جواباً إلى ابن عمه أبي العز قوله :

رِفقاً فَدَتْكَ أوائلي وَأَوَاخِري ... أَينَ الأَضاةُ من الفُرات الزَاخرِ
أَنتَ الذي نوّهت بي بينَ الوَرَى ... وَرَفَعْتَ للْسَارين ضوءَ مَفَاخري

ومن شعره في الحداثة :

وَبُكْرةٍ مَا رأى الرَاؤونَ مُشبهها ... كأنّما سُرِقَتْ سِراً من الزَمنِ[1]
غيمٌ وظلٌّ وروْضٌ مُونِقٌ وهوىً ... يَجري من الروُحِ مَجْرَى الرُوحِ في البدنِ
غَنَّتْ بها الطيرُ ألحاناً وَسَاعدَهَا ... رَقصُ الغُصون على إيقاعها الحسنِ
فَقَدْ سَكرتُ وما الصهباءُ دائرة ... فيها ولا نَعَمات العُودِ في أُذني

وقوله في العتاب :

عَذَرْتُك لو كانت طريقاً سلكتَها ... مع الناس أَو لو كان شيئاً تَقدّما
فأَمّا وقد أفردتني وخَصَصْتَني ... فلا عُذْرَ إلاّ أَن أَعودَ مُكرَّما

قال عُمارةُ وهو من سعد العشيرة : وممّا كتب به جواباً عن كتاب تشوقت فيه إليه :

إذا فَاخَرتْ سَعدُ العشيرةِ لمْ يَكُنْ ... لأَخلاَفِهَا إلاّ بأَسْلاَفِكَ الفَخْرُ
وَبَيْتُكَ منها يا عُمارة شامخٌ ... هَوَتْ تحته الشِعْرى ودان له الشِعْرُ[2]

* * *

(١) خريدة القصر ٣/ ٢٤٢ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٣/ ٤٤٢ .

محمد[*] بن عثمان التَّغلبي

هو محمد بن عثمان أبو الحسين التغلبي الشاعر المعروف بأبي حنيفة من أهل الموصل . نشأ ببغداد وتأدب .

قال ابن النجار : قيل أنه كان في حداثته يتشايخ ويلبس قلنسوةً وخفّاً فلقب لذلك بأبي حنيفة وخرج إلى مصر أوائل سني نّيف وثمانين وثلاث مائة ولُقّب هناك بالفصيح ومن شعره :

رَوضٌ ذكــيٌّ وثَــرىً طيّــبُ ... بـاتَ نَـديمـي عِنـدهُ الكـوكـبُ[1]

وَليلــةٍ بــتُّ بهــا سَــامــراً ... أُراقــبُ النجــمَ الــذي يَغــربُ

اشــرَبُ خمــراً ثــم أبكــي دَمــاً ... كــأنمــا أبكــي الــذي أَشْــرَبُ

وقال أيضاً :

وخَمَّــارةٍ زُرْتُهــا والظــلا ... مُ تَفْضحــه جَمــراتُ الكــؤُوسِ

فَـزفَّـت عـروسـاً تـديـرُ الأكـفُّ ... مـن كـأسِهـا مثـل تـاج العـروسِ

وأَصبــحَ كــانُــوننــا كــالجــوا ... د أدهــمَ شــقَّ رواق الخميــس

كــأنّ بــهِ الفحــم سُــودُ الــزنــو ... ج رُمْد الحماليقِ شيب الرؤس[2]

قال صاحب الوافي بالوفيات : شعر جيد وتخيُّل صحيح .

* * *

(*) الوافي بالوفيات ٤/ ٨٣ ، ٨٤ . لم أعثر له على ترجمة أو قصائد من خلال المراجع المتوفرة لدي .

(١) روض : الروضة من الرمل والعشب . واستراض المكان : اتسع . وراضت النَّفس : طابت . (قاموس محيط) .

(٢) يظهر الشاعر هنا من خلال شعره أنه كان يدمن شرب الخمرة ليجلو الهم عن نفسه ولكنه كان يبكي دماً . كأنما أبكى الذي أشرب . رغم ما تسببه الخمرة له من آلام لكنه لم ينقطع عن زيارته للخمارة كأنها ملاذه الأخير لينسى نفسه فيها . وهل الخمرة : إن هي إلاّ تذهب بالعقل ؟ .
ـ الوافي بالوفيات ٤/ ٨٣ ، ٨٤ .

محمد(*) بن علي التَّغلبي

هو محمد بن علي التغلبي المعروف بعِمْلاق سُمّي بذلك لطوله .

قال ابن النجار : ذكره شيخنا أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون وقال : شاعر يأتي بالقصائد الجّيدة فإذا قرأها هو صحّفها وغيّر إعرابها فيقال إن عنده أشعاراً لغيره فهو ينتحلها .

فمن شعره ما مدح به أبا طالب ابن الناقد صاحب المخزن :

دَع الحمامَ سَاجعاً في بَابهِ ... وما انْثَنى ولانَ من قضبانهِ(١)

وعَدِّ عن ذِكرِ الصَريم والنّقا ... والرمل والمناهل من كثبانهِ(٢)

والخمرِ والسَاقي إذا طَافَ بها ... حمراءَ كالجذوةِ من بنانهِ

وألقَ زعيم الدين بالمدحِ الذي ... يَزيدُ احساناً على احسانهِ

مولىً أَقامَ المجد في ربوعهِ ... وسارَ في الناسِ ندا بنانهِ(٣)

* * *

(*) الوافي بالوفيات ٤/١٣٨ ـ لم أعثر له على ترجمة أو قصائد من خلال المراجع المتوفرة لدي .

(١) سجعت الحمامة : ردَّدت صوتها فهي ساجعةٌ ، وسَجوعٌ . والبان : شجر .

(٢) الكثيبُ : التَّلُّ من الرمل ج أَكثبةٌ ، وكُثُبٌ ، وكُثْبانٌ .

(٣) البَنانُ : الأصابع أو أطرافها . (القاموس المحيط) .

المرَّار [*] ، أو العِكَبُّ التَّغلبي

قال المرَّار ، أو العِكَبُّ التَّغلبي قصيدة تعتبر من أجود القصائد التي قيلت في القطا :

بـــلادٌ مَـــرَوراةٌ يحـــارُ بهـــا القطـــا ... تَرى الفَرْخَ في حَافاتها يَتحرَّقُ [1]

يظـــلُّ بهـــا فـــرخ القطـــاةِ كـــأنـــهُ ... يَتيـــمٌ جَفـــا عنـــهُ مـــواليـــهِ مُطـــرقُ

بـــديمـــومـــةٍ قـــد مـــاتَ فيهـــا وعينُـــهُ ... على مَوتهِ تَغْضي مِراراً وترمُقُ [2]

شَبيـــهٌ بـــلا شَـــيء هنـــالـــك شَخْصُـــهُ ... يـــواريـــه قَيْـــضٌ حـــولَـــهُ مُتفلـــقُ [3]

لـــه مَحْجِـــرٌ نـــاب وعيـــنٌ مـــريضـــةٌ ... ومِشدقٌ يمثل الزّعْفرانِ مخلَّقُ [4]

تُعـــاجيـــه كَحْـــلاءُ المـــدامـــعِ حُـــرّةٌ ... لهـــا ذَنـــبٌ وحـــفٌ وجيـــدٌ مطـــوَّقُ [5]

سِمـــاكيـــةٌ كُـــدْرِيَّـــةٌ عُـــرْعُـــرِيَّـــةٌ ... سُكـــاكيَّـــةٌ غَبـــراء سَمـــراءُ عَسْلَـــقُ [6]

إذا غَـــادَرَتْـــهُ تَبْتغـــي مـــا يُعيشُـــه ... كفـــاهـــا رَذَايـــاهـــا النّجـــاءُ الهبنـــقُ [7]

(*) كتاب الحيوان ٥/٥٨٣ . ولم أعثر للشاعر على ترجمة أو قصائد أخرى في المصادر والمراجع المتوفرة لدي .

(١) المروراة: الأرض التي لا يهتدي فيها إلا الخريت . يتحرق : أراد يتضرم جوعاً .

(٢) الديمومة : الفلاة البعيدة الأرجاء . الإغضاء : إدناء الجفون : أي تخاله ميتاً لضعفه وهو مع ذلك يغمص عينيه ويفتحهما .

(٣) القيض ، بالفتح : قشرة البيضة العليا اليابسة .

(٤) المحجر كمجلس ومنبر : ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن . ناب : مرتفع ، نبا ينبو ، مخلق ، من الخَلوق : الزعفران .

(٥) أصل المعاجاة ألا يكون للأم لبن يروي صبيها فتعاجيه بشيء تعلله به ساعة .

(٦) سماكية : نسبة إلى السماك أحد السماكين : الأعزل والرامح . أراد أنها علويه . والعُرعُرية : أعلى الجبل وأعلى كل شيء . والسُكاكية : نسبة إلى السكاك وهو الجو والهواء بين السماء والأرض . والعسلق : الخفيف .

(٧) الرذايا : جمع رذى ورذية ، وهو الضعيف ، عنى فراخها ، والنجاء : السرعة . والهبنق : الأحمق .

=

غَدتْ تَستقي من منهلٍ ليس دونه ، مَسيــرةَ شَهْــرٍ للقَطــا ، مُتعلَّــقُ
لأزْغَـبَ مطـروحٍ ، بِجَـوْزِ تَنُـوفـه تلظَّى سَمُوماً قيظه ، فهو أورَقُ[1]
تَـراهُ إذا أَمسـى وقـد كـادَ جلـدُه مـن الحـرِّ عـن أوصـالـهِ يَتمـزَّقُ
غَـدتْ فـاستقلَّـتْ ثـم ولَّـتْ مُغيـرةً بها حِينَ يَزْهاها الجناحانِ أوْلقُ[2]
تُيمِّمُ ضحضاحاً من الماء قد بدتْ دعـاميصـه فـالمـاءُ أطحَـلُ أَورقُ[3]
فلمـا أتتـهُ مُقـذَحِـراً تغـوَّثَـتْ تغـوُّثَ مَخنـوقٍ فَيطفـو ويَغـرقُ[4]
تُحيـرُ وتُلقـي فـي سِقـاءٍ كـأنـهُ من الحنظَلِ العاميِّ جَروٌ مُغَلَّقُ[5]
فلما ارتوَتْ مِن مائهِ لم يكن لها أنـاةٌ وقـد كـادَتْ مـن الـرِّيّ تبصُـقُ
طَمَتْ طَمْوةً صُعداً ومدَّتْ جِرانَها وطَارتْ كما طار السَّحاب المحلِّقُ[6]

* * *

---

(١) الأزغب : فرخها . جوز : وسط . التنوفة : الفلاة . والسَموم : الريح الحارة . الأورق : الذي لونه بين السواد والغبرة .

(٢) استقلت : نهضت للطيران وارتفعت في الهواء . والأولق : شبه الجنون .

(٣) تيمم : تقصد . والدعاميص : دويبات صغيرة تكون في مستنقع الماء . أطحل : رمادي اللون .

(٤) المقذحر والمقدحر : المتهيء للشر تراه الدهر متنفخاً شبه الغضبان . تغوثت : أراد صاحت .

(٥) أحار : رد ورجع . وقد عني بالسقاء هنا حوصلتها تملؤها بالماء لتروي صغارها . والعامي : اليابس أتى عليه عام . والجرو : الصغير من كل شيء حتى الحنظل ، والبطيخ والقثاء .

(٦) طمت : ارتفعت . والجران : باطن العتق ، والمحلق : المرتفع . (الحيوان ٥/ ٥٨٥ شرح عبد السلام هارون) .

مِرْداسُ(*) بن حُشيش التَّغلبي

قال مِرداسٌ عن رَوْضَة الأَجْداد ببلاد غطفان :

إن الـدّيـار بـورضَـةِ الأَجـدادِ   عَفَّـت سـوارٍ رسمَهـا وغـوادِ[1]

مـن كـلِّ سَـاريـةٍ وغـادٍ مُـدْجـن   حنـق البـوارق مـونـق الـرُّوَّادِ[2]

ورَوْضَةُ الأَجْداد : ببلاد غطفان ، وهي جمع جُدّ ، وهي البئر الجيدة الموضع من الكلإ ؛ وقال ابن الأعرابي : الأجداد حدائق تكون فيها المياه أو آبار مما حَوَت عاد .

وقال الصاحب الوزير الأكرم : أنا رأيتها وهي قريبةٌ من وادي القُصَيْبَة قِبلي خيبر وشرقي وادي عِصْر .

وقال عُروةُ بن الورد :

فـلا وَأَلَـتْ تلـك النفُـوسُ ولا أَتَـتْ   على رَوضةِ الأجدادِ وهي جميع[3]

* * *

(*) معجم البلدان ٣/ ٩٦ .

(١) عَفَّت الرِّيحُ الأَثَر : مَحَتْهُ .

(٢) السَّارية من السَّحاب : التي تجيء ليلاً أو التي تمطر ليلاً . والبرْقُ : واحدُ بروق السحاب ، وبَرَقتْ السماءُ بروقاً لَمعتْ أو جاءت ببرق . (قاموس محيط) .

(٣) معجم البلدان ٣/ ٩٦ ، ٩٧ .

المَطوّحُ[*] بن عثمان التَّغلبي

المطوّح شاعر من شعراء تغلب قال يفتخر :

إذا فَخرتْ يَوماً نُمير فَقُلْ لها : ذَروا الفخر ، إنّ الفخر مَسلكه صَعْبُ[1]
نَفاكم عن الدارِ التي كُنتمْ بها رِجالٌ كِرامٌ من بَني تَغلبٍ غُلْبُ
هُمُ أَنكحوا بالغَصْبِ من فَتياتكم جهَاراً مِنْ شرِّ المُجاهرةِ الغَصْبُ
وَمَا كانَ منّا عند قوم سبيَّة وما كان من أموالنا عندهمُ نَهبُ
وما نَالنا مِنْ مَعْشَرٍ في دِيَارِنا ولا طَرَدَتْنا عن مَنازِلنَا الحربُ

أخذ الحارث بن غزوان الزيدي التغلبي قوله « وما كان منا عند قوم سبيّة » البيت فقال :

أَراني كلَّما ناسَبْتُ حيّاً أَرى لي من كِرامِ النَّاسِ خالا
وما تحتَ السماء لنا ابن أخت بمُردفةٍ عليها القدحُ جالا

في قوله هذا زيادة بيّنة على قول من تقدَّمه لأنه ذكر أنه ما ناسب أحياء العرب إلاّ وجدهم أخوالَه لكثرة ما سَبَى قومُه من نسائهم ، ثم قال : « وما تحت السماء لنا ابن أخت » لعزّنا وسطوتنا وإنه لا يرام ذلك منا ولا تُسْبَى لنا امرأة فيضرب من سباها عليها بالقدح لأيّهم تكون . وفي البيت الرابع يقول : إن أموالنا ليست تُرام فما انتهبَ أحد قطُّ شيئاً من مالنا[2] .

* * *

(*) الأشباه والنظائر ١/ ٩٣ . للخالديّين .

(١) بنو نمير هجاهم جرير بقوله :

فغض الطرف أنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولاكلابا
إذا وزنت حلوم بني نميرٍ على الميزان ما وزنت ذبابا

(٢) المرجع السابق نفسه ١/ ٩٣ ، ٩٤ .

مَعْدَانُ(*) التَّغلبي

يعطي هذا الشاعر صورة عن مجتمع بغداد في عصره ، قال أبو يعلى بن الهبارية :

أنشدني معدان التغلبي لنفسه :

بَغـــدادُ دارٌ طيبُهـــا آخِـــذٌ نَسيمُـــهُ مِنـــي بـــأَنْفَـــاســـي

تَصلُـــحُ للمُـــوسـِـرِ لا لامْـــرىءٍ يَبيـــتُ فـــي فقـــرٍ وإفـــلاسِ

لـــو حلَّهـــا قَـــارونُ ربُّ الغِنـــى أَصْبَـــحَ ذا هـــمّ ووَسْـــوَاسِ

هـــي التـــي تُـــوعِـــدُ ، لكنهـــا عَـــاجلـــةٌ للطـــاعـــمِ الكـــاســـي

حُـــورٌ ، ووِلـــدانٌ ومـــن كـــلِّ مـــا تَطْلبـــهُ فيهـــا ، ســـوَى النـــاسِ

كل إنسان يجد في المدينة ضالته التي يبحث عنها ، فمنهم من تعجبه وتبهره فيمدحها ، ومنهم من يكره ضجيجها وازدحامها فيذمها ، ولله في خلقه شؤون .

والشعراء خاصة لهم في كل مقام مقال يتناسب طرداً مع الهبات التي تقدم إليهم ، فشعراء عدة ذموا بغداد ، وبالقدر نفسه امتدحوها ، وهكذا شأنهم في كل عصر ؟!

* * *

(*) معجم البلدان ١/ ٢٥٢ .

ـ وقال شاعر :

اخلَـــعْ ببغـــداد العِـــذَارا ودَعِ التنَسُّـــكَ والـــوَقـــارا

معجم ١/ ٥٥٢ .

ـ وقال آخر :

بغـــدادُ أرضٌ لأهـــل المـــال طيِّبَـــةٌ وللمغـــاليـــس دار الضنَّـــاك والضيـــقِ

معجم ١/ ٥٥٠ .

ـ وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

ما مثلُ بغداد في الدنيا ولا الدينِ علـــى تَقَلُّبهـــا فـــي كـــلِّ حيـــنِ

معجم ١/ ٥٤٧ .

مُلَيل[*] بن الدهقانة التَّغْلِبي

قال :

أَلا ليسَ الرزِيّةُ فَقدُ مالٍ ... ولا شاةٌ تَموتُ ولا بَعيرُ[1]

ولكنّ الرزيّةَ فَقدُ قَرْمٍ ... يَموتُ لموته بَشَرٌ كثيرُ[2]

وقال في مثل ذلك الشاعر مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة :

مَضَى لِسَبيلهِ مَعنٌ وأَبقى ... مَحامدَ لَن تَبيدَ ولن تُنَالا

هَوى الجَبلُ الذي كانت نزارُ ... تهدُ من العدوِ بهِ الجبالا

ولمْ يَك طَالب المعروف ينوي ... إلى غيرِ ابن زَائدة ارتحالا

ثَوى من كانَ يَحملُ كل ثقلٍ ... ويسبق فيض راحته السؤالا[3]

* * *

(*) معجم الشعراء ٤٤٥ ، الحماسة البصرية ١/٢٠٨ ، ٢١٢ أمالي القالي ١/٢٧٢ .

(١) الرَّزيئةُ والرَّزِيَّة : المصيبة .

(٢) القَرْمُ : السَّيِّد المُعظَّمُ . ج قرومٌ . الشعر هنا في معجم الشعراء . ولكن عجز البيت الثاني جاء في الحماسة البصرية (... قوم كثير) . وفي أمالي القالي الشعر لأعرابية .

(٣) الحماسة البصرية ١/٢٠٨ .

المَوْج[*] بن الزِّمَّان التَّغْلبي

هو المَوْج بن الزِّمَّان بن قيس بن معدي كرب التَّغلبي[1] .

وجاء أيضاً : الموج التَّغلبي ، وهو قيس بن زمان بن سلمة بن قيس بن النعمان[2] .

وهو ابن أخت القُطامي الشاعر ، وهو جزري أعمى ، قال في بني جُشَم بن بكر بن حبيب التَّغلبيين :

أَلْهى بَني جُشَم عن كلِّ مَكرُمةٍ ... قَصيدةٌ قالها عَمرُو بنُ كُلثُوم[3]
يُفاخِرون بها مُذْ كانَ أَوَّلُهمْ ... يا للرِّجالِ لِفَخْرٍ غير مَسْؤوم[4]
إن القديمَ إذا ما ضَاعَ آخِرهُ ... كسَاعِدٍ فَلَّهُ الأيَّامُ مَحْطُوم[5]

ويروى له :

هل عَرفتَ الديارَ يا بن أنيسٍ ... دَارساً أَيها كخطِّ الزَّبُورِ
اشْرَبَا ما شَربتُمَا إنَّ قَيساً ... مِنْ قَتيلٍ وَهَاربٍ وأَسيرِ
لا يجوزَنَّ أَرْضُنَا مُضريٌّ ... بخفيرٍ ولا بغيرِ خفيرِ[6]

وهجاه الأخطل فقال :

أَبْلغ عِكَبّاً ، وأشياعَها ... بَني عَامرٍ ، أَنّني طَالِعُ[7]

(*) البيان والتبيين ٤/ ٤١ ، خزانة الأدب ٣/ ١٨١ ، ومعجم الشعراء ٤٥٢ .
(١) معجم الشعراء ٤٥٢ ، ٤٥٣ .
(٢) انظر حاشية الخزانة ٣/ ١٨١ ، عن المؤتلف ١٨٧ .
(٣) جاء صدر البيت في الخزانة « ألهى بني تغلب . . . » .
(٤) جاء عجز البيت في الخزانة « ياللرجال لشعر . . . » .
(٥) معجم الشعراء للمرزباني ٤٥٣ ، ويروى صدر البيت « إن الحديث إذا ما ضاع أوله» .
(٦) وجاء في حاشية معجم الشعراء ٤٥٣ : هذا الشعر أنشده أبو الفرج لعبد الله بن الحجاج الثعلبي .
(٧) عكب : بطن من تغلب ، وهو عكب بن كنانة بن تميم . وبنو عامر : هم بنو عامر=

بَعَثْتُـمْ ، إلـى أَشمَـطٍ يـافعـاً ... وهـل يَغْلِـبُ الأشمطَ اليـافعُ ؟[1]

وقال المَوْجُ بن زِمّان التّغلبي :

أنـــذرْتُ أعــــدائـــي غَـــدا ... ةَ قنـاً حُـــدَيـا النَّـاسِ طُــرّا
لا مُـــرْعيــاً مَـــرْعـــى لَهُـــم ... مـــا فَـــاتَنـــي أمْسَيْـــتُ حُـــرّا
حُلْـــواً إذا ابتُغَـــي الحـــلا ... وَةُ واستُحِـــبَّ الجَهْـــدُ مُـــرّا
كَـــمْ مِـــنْ عَـــدُوٍّ جـــاهـــد ... بـــالشّـــرّ لـــو يَسْطيـــعُ شَـــرّا
يَعتَـــابُ عِـــرْضـــي غَـــائبـــاً ... فـــإذا تَـــلاقيْنـــا اقْشَعَـــرّا
يُبْـــدي كـــلامـــاً لَيّنـــاً ... عنـــدي ، ويَحقـــدُ مُسْتَسِـــرّا
إنّـــي امْـــرؤٌ أُبْـــدي مُخـــا ... لَفتـــي وأكـــرَهُ أن أُسِـــرّا
مـــن عُصْبَـــةٍ شُـــم الأُنُـــو ... فِ تَـــرى عَـــدُوَّهُـــمُ مُصِـــرّا
أَفْنـــاء تَغْلِـــبَ والـــدي ... ويَـــدي إذا مـــا البـــأسُ ضـــرّا
والـــرّافِعيْـــنَ بِنـــاءَهـــم ... فَتَـــراه أَشْمَـــخَ مُشْمَخِـــرّا[2]
والمـــانِعيْـــنَ بَنـــاتِهِـــمْ ... عنـــد الـــوغـــى حَـــدَبـــاً وَبَـــرّا
والمُطْعِميـــنَ لـــدى الشتـــا ... ءِ سَـــدَائفـــاً أم النّيـــب غُـــرّا
ولَقَـــدْ شَهِـــدتُ الخَيْـــلَ تَحْـ ... ـــتَ الـــدارِ عيـــنَ تَـــزُزُّ زَرّا[3]
نَـــازعـــتُ أولاهـــا الكتيـ ... ـبَـة مُعْجمـاً طِـرْفـاً طِمِـرّا[4]

* * *

= ابن أسامة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .
والظالع : الساهر لا ينام .

(١) الأشمط : الذي اختلط بياض شعره بسواده . « ديوان الأخطل ٢/ ٥٨١ » .
(٢) المُشْمَخِرّ : العالي .
(٣) الزَّزُّ : الطرد ، والطعن .
(٤) الطِّرف : الكريم من الخيل . والطِّمر : الفرس الجواد .
ـ ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ١٠٧ وتنسب إليه أيضاً .

النَابِغَةُ[*] التَّغلبي

واسمه الحَارث بن عدوان ، أحد بني زيد بن عمر بن غَنْم بن تغلب[1] .

وجاء أيضاً :

هو الحارث بن عدوان ينتهي نسبه إلى غَنْم بن تغلب . لم أقف له من الشعر إلاّ على قوله[2] :

هَجَـرْتَ أُمـامَـةَ هَجْـراً طـويـلا ... ومـا كـانَ هَجْـرُكَ إلاّ جَميـلا[3]

علـى غَيْـرِ بُغْـضٍ ولا عَـنْ قِلـى ... وإلاَّ حيَـــاءً وإلاّ ذُهُـــولا[4]

بَخِلْنــا لِبُخِلــكِ قــد تَعْلَميــنَ ... فكيْـفَ يَلُـومُ بخيـلٌ بخيـلا[5]

* * *

(*) أخبار النوابغ ٤١٨ ، خزانة الأدب ٢/ ١٣٨ .

(١) جاء في حاشية الخزانة ٢/ ١٣٨ ، عن المؤتلف ١٩٣ ـ نسبه وذكر اسمه بين نوابغ العرب .

(٢) ذكره السندوبي في أخبار النوابغ .

(٣) أُمامة : امرأة .

(٤) القِلَى : البغض . قَلِيَ فلاناً ـ قِلِيَ وقَلاءً : أَبْغَضَهُ وكَرِهَهُ غاية الكراهِة .

(٥) أخبار النوابغ ٤١٨ .

نِعْمةُ(*) بن عَتَّابٍ التَّغْلبيُّ

فيما قيل في انتكاس الأمور والأزمنة وارتفاع اللِئام واتضاع الكرام .

قال نِعمة بن عتَّاب التَّغلبي :

أَلَـمْ تـر أنَّ فَحْـلَ السَّـوْءِ يَسْمُـو ... فَيضْـرِبُ خَيـرةَ الإبـلِ الصِّعَـابِ[1]

سَمَـوْتَ ولـم تكـن أهَـلاً لِتَسمُـو ... ولكـن دهْـرُنـا دَهْـرُ انْقِـلابِ

وفي مثل ذلك قال ثَروَانُ بن فَزارةَ العامريُّ :

فَقـدْ لَحِـقَ الأسَـافـلُ بـالأَعَـالـي ... ومَـاجَ اللُّـوْمُ واخْتَلَـطَ النِّجَـارُ[2]

وقال هُنَاءَةُ بن مَالكٍ الأزديُّ :

سيـأتـي علـى النّـاس مِـنْ بَعْـدِنـا ... زَمــانٌ بــهِ الأَرفَــعُ الأَسْفَــلُ

ويَغْــدُو بــه العَبــدُ مُسْتعليــاً ... علـى مـن يَجُـودُ ومَـنْ يَفْصِـلُ[3]

* * *

(*) حماسة البحتري ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(١) الفحل : الذكر من كل حيوان .

(٢) النِّجار : الأصل أو الحسب .

(٣) حماسة البحتري ٣٣٥ .

هجْرِس(*) بن كليب بن رَبيعة التَّغلبي

هو هِجْرِس[1] بن كليب بن ربيعة التَّغلبي ، وأبوه كليبُ وائل الذي ضَربت به العرب المثل في العزِ فتقول أعزّ من كليب وائل . وبسبب قتله كانت حرب البسوس بين بني بكر وتغلب أربعين سنة ، وقتله جَسّاس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب ، فقتل أخوها زوجها وهي حبلى بهجرس فتحملت إلى قومها فولدته بينهم فلما شب قال :

أَصَابَ أَبي خَالي وَمَا أَنَا بالذي ... أُمثِّل أَمْري بينَ خَالي وَوَالدي
وأوردتُ جَسَّاسَ بن مرّة غُصّةً ... إذا ما اعترتني حَرُّها غير بَاردِ

وله أيضاً :

يا للرجالِ لقلبٍ مَالهُ آسي ... كيفَ العزاءُ وثأري عند جسَّاسِ

ثم قتله فقال :

أَلمْ ترني ثأرتُ أَبي كُليباً ... وَقَدْ يُرجى المرشَّحُ للذحُولِ
غَسلتُ العارَ عن جُشَم بن بكرٍ ... بجسَّاسِ بن مُرَّة ذي التُّبول
جدعتُ بقتلهِ بكراً وأَهلٌ ... لعمرُ اللهِ للجدعِ الأصيلِ[2]

* * *

(*) معجم الشعراء ٤٧٠ .

(١) الهامش : في الجمهرة لابن دريد . ندا السيف حداه ، قال هجرس بن كليب في كلام له : أما وسيفي وندّيه ، ورمحي ونصليه ، وفرسي وأذنيه ، لا يرى الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه . ثم قتل جساساً .

(٢) المرجع السابق نفسه ٤٧٠ .

هَوْبر[*] التَّغلبي

الهَوْبَرُ : الفهد . وهَوْبَرٌ : اسم رجل .

قال ذو الرمة :

عَشيَّــة فــرَّ الحــارِثيُّــون بعــدمــا ⁂ قَضَى نَحْبَه من مُلْتقى القومِ هَوْبَرُ

والهَوْبَرُ : القرد الكثير الشعر ، وكذلك الهَبَّار . وفي الإبل : الكثير الوبر[1] .

وهَوْبر التَّغلبي ، إسلامي يقول :

المُلك إن لم يقم بالحقّ سائسهُ ⁂ عمّا قليـل لأهـل المُلـك ضَـرَّارُ[2]

لا باركَ الله في الدُّنيا إذا انْصَرفَتْ ⁂ لـذّاتهـا كـان عُقبـى أهلهـا النَّـارُ[3]

* * *

(*) معجم الشعراء ٤٧٦ .

(١) لسان العرب (هبر) .

(٢) سُسْتُ الرعيّة سياسةً أمرتُها ونَهَيْتُها . وساس الرَّعيَّةَ ـ سياسة : تولى قيادتها ورياستها والأمور : قام بها ودَبَّرها فهو سائس . (ج) ساسة . والساسة : قادة الأُمم ومُدَبِّروا شؤونها العامَّة . (لسان العرب) .

(٣) المرجع السابق نفسه ٤٧٦ .

وَعيدُ[*] بن دَيسق التَّغلبي

أَنشد ابن الأعرابي قال : أتاني وعيدُ بن دَيسق التّغلبي فقال :

يقول الخنا ، وأَبغض العجم ناطقاً إلى ربّنا صوت الحمار اليجدَّعُ
وَيَستخرج اليربوعَ مِنْ نَافقائه وَمِنْ جُحْرِهِ ذي الشِّيحة اليتقصّعُ[1]

فقال أبو محمد الأَسود : ما أَكثر ما يصحف أبو عبد الله في أبيات المتقدمين ، وذلك أنه توهم أن ذا الشيحة موضع ينبت الشِّيحَ ، والصحيح : الشّيْخَة .

« ومن جُحْرِهِ بالشَّيْخه اليتقصّعُ » .

بالخاء المعجمة بواحدة من فوق : وهي رملة بيضاء في بلاد أسد وحنظلة ؛ وأنشد للمسعود المفتي :

يا ابن مجير الطير طاوعني بَخَل وأَنتمُ أَعجازها سَرْو الوَعَل[2]
وهي من الشيخة تمشي في وَحَل مَشْيَ العَذارى الماشيات في الحلل[3]

* * *

(*) معجم البلدان ٣/ ٤٣١ .
(١) النافقاء : إحدى جِحَرَةِ اليربوع يَكْتُمها ويظهر غيرها . والجحر كل شيء يحتفره الهوام .
(٢) الوعل : تيس الجبل ج أوعال ووعول .
(٣) الحلل : والحُلَّةُ : إِزارٌ ورداءٌ ، ولا تكونُ حُلةً إلاّ من ثَوبَينِ ، أو ثوب له بطانة (قاموس محيط) .

شواعر قبيلة تغلب

شواعر قبيلة تغلب

* * *

أَسماء[*] بنت رَبيعة

أسماء بنت ربيعة بن الحارث بن زُهير بن جشم . . . أُخت كُليب بن ربيعة ، شاركت تغلب حروبها .

قالت أسماء ترثي أخاها كُليب وائل :

أُخـتَ جَسَّـاسٍ تَـوارَي وارحلـي ... عـن فِنـانـا اليـومَ ثُـمَّ انتقلـي[1]

أنـتِ القَيْـتِ وأغْـرَيْـتِ بنـا ... سَتَـرَيْ مِنَّـا ضِـرَامَ الشُّعُـلِ[2]

كُنْـتِ بـالأمـسِ تُغْـرِّيـنَ أخـي ... وتُمَنِّيـه بمـا لـم يَفْعَـلِ[3]

وتقـوليـنَ : أخـي صِهْـرُكَ مـا ... مِثْلُـهُ مِمَّـنْ أرى بـالمِعْبَـلِ[4]

مـا لَهُـمْ مـن حُجَّـةٍ مَعْـروفَـةٍ ... لـو رأوْا حَقّـاً لأضحـى مُنْجَلـي[5]

يـا كُلَيْـبٌ كنـتَ جَـاهـي ولقـد ... جَـارَ جَسّـاسٌ بقتـلِ البَطَـلِ[6]

فـأتـاهُ وَهـو عنـهُ غَـافـلٌ ... وحَبَـاهُ طَعنـةً فـي المَقْتَـلِ[7]

فـابتـلانـي ودَهـانـي بشجـا ... قد مَضَى لي وشجا لي مُعْتلي[8]

أسْعِـدونـي إخـوتـي ثُـمَّ انْـدبُـوا ... أسَـداً كـان فَخـارَ المَحْفَـلِ

(*) شعر تغلب في الجاهلية ٢١١ ـ عن رياض الأدب في شواعر العرب ٧ ، ٨ للويس شيخو ـ عن القصيدة النورانية في مناقب العدنانية ١٧٥ وأضاف « وفي هذا الشعر من الضعف ما يوهم أنه مختلق » .

(١) الفنا : مقصور الفناء ، وهو حمى القبيلة .

(٢) الضرام : دقيق الحطب تضرم به النار . الشعل : جمع شعلة : وهي النار المضرمة .

(٣) مناه بالأمر : إذا نسبه إليه . والأمنية : الكذب .

(٤) المعبل : نصل طويل عريض (ج) معابل .

(٥) منجلى : مكشوف واضح .

(٦) الجاه : الفخر .

(٧) الغافل : الساهي . المقتل : موضع القتل .

(٨) الشجا : الحزن و« لي معتلي » أي يتهددني .

طَـوْدَ عِـزٍّ وهُمـامـاً فـي الـوغـى   يَمنـعُ الأقْـرانَ وسـطَ القَسْطَـلِ[1]
لـم يكُـنْ نِكْسـاً ولا ذا مَيْـلِ   عنـد وقـع البيـضِ بـالمُنْتَعَـلِ[2]
انـدبـوا ليثـاً عفيـراً بـالـدِّمـا   يَفْحصُ الأرضَ صَريعاً مِنْ عَلِ[3]
أسْعِـدونـي لا تلـومـونـي فـي البُكـا   إن فـي الأحشـاء نـاراً تَصْطَلـي[4]
يـا قتيـلاً قَتْلُـهُ جَـرَّعَنـي   عنـد فَقْـديـهِ نَقْـعَ الحَنْظَـلِ[5]
صِـرْتُ فـي لُجَّـةِ بَحْـرٍ زَاخِـرٍ   صـاعِـداً طَـوْراً وطَـوْراً يَنـزل[6]
ليتنـي مـا عِشْـتُ يـومـاً بَعْـدَهُ   ليتنـي قـرَّبَ مـوتـي أجلـي
اسْلُبـوا عقلـي وروحـي بَعْـدَهُ   فهمـومـي بَعْـدَهُ لا تَنْجلـي
لا صَفـا عَيْـشٌ وقـد غـابَ فَتـىً   لَيْتَ نفسي خَرجتْ مِنْ هَيْكلي[7]
مَـنْ يُبَلِّغنـي الحِمَـى مِـنْ بَعْـدِهِ   مَـنْ يُبَلِّغنـي رَفيـعَ المنـزل
بَطَـلٌ ضِـرْغَـامَـةٌ حيـن بـدا   تحتـه الأشْقَـرُ مِثْـلَ التَّنْفُـلِ[8]
مَـنْ تَفِـرُّ الخيـلُ فـي الـرَّوْعِ لـه   بَطَـلٌ مثـل هِـزَبْـرٍ مُشْبَـلِ[9]
يـا بنـي تَغْلِـبَ لا تَتْـأَخَّـروا   واطلبـوا ثـأْرَ مَليـكِ الجَحْفَـلِ[10]

---

(١) الطود : الجبل الشامخ . همام : مقدام . الوغى : الجلبة وصياح الفرسان . القسطل : الغبار المثار في الحرب . والأقران : مفردها قرن وهو النِّد .
(٢) النكس : الضعف ، ذا ميل : ذا شك وارتياب في أمره لخوفه . المنتعل : لابس النعل وهو الحذاء .
(٣) العفير : المعفر بالتراب . فحص الأرض . ضربها برجله . صريعاً : مجندلاً .
(٤) تصطلي : تستعر وتضطرم . البيت مختل الوزن .
(٥) الحنظل : ثمر يضرب بمرارته المثل .
(٦) لجة البحر : عرضه ، ولج البحر : الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه .
(٧) صفا : راق . نفسي : روحي . هيكلي : جسدي .
(٨) ضرغام : أسد . الأشقر : الفرس . التتفل : ولد الثعلب ، شبهت فرس كليب به لشدة سرعته ومراوغته .
(٩) الهزبر : الأسد الشديد الضخم . المشبل : ذو الأشبال ، والأشبال مفردها شبل وهو صغير الأسد .
(١٠) مليك الجحفل : قائد الجيش . وسكنت التاء في « تتأخروا » لاستقامة الوزن .

إنَّـــي قـــاتِلَــةٌ مَقْتُــولَــةٌ فَعســى الأيــامُ أن تُعْقِــبَ لــي[1]
هَــرَبَــتْ بَكْــرٌ وخَلَّــتْ دارَهــا شَــرَدَتْ مِثْــلَ نَعــامٍ جُفَّــلِ[2]
يــا بنــي بَكْــرٍ هَلُمُّــوا شَمِّــروا سـوف نفنيكـم غـداً بِـالمُنْصُـلِ[3]
بــرجــالٍ ليــس فيكــم مثلُهــم مــن بنــي تغلــبَ تحــت القَسْطَـلِ
فلقــد حُمِّلْنَــا مــا لــو بَعْضُــهُ حُمِّلَــتْ أجْمــالُنــا لــم تحْمِــلِ
يــا بنــي بَكْــرٍ كفــاكــم فِعْلُكُــمْ لا تلــومــونــا إذا لــم نَجْهَــلِ
لــو قُتِلْتُــمْ كُلُّكُــم قــاطِبَــةً لـم تكـونـوا كُلُّكـم فـي مَعْـدِلِ[4]

* * *

(١) أعقب الأمر : إذا حسنت عقباه .
(٢) النعامة : طائر يضرب به المثل في الجزع والاستنفار . جُفَّل : نفر منزعجات .
(٣) المُنصل : بضم الميم والصاد ، والمنصل بضم الميم وفتح الصاد : السيف . قال ابن سيدة : لا نعرف في الكلام اسما على مُفْعَل إلا هذا .
(٤) قاطبة : مجتمعون . معدل : صرف « شعر تغلب في الجاهلية ٢١٣ » .

أُم الأغرّ[*] أخت كُليب

أم الأغر شَاعرة من شواعر العرب في الجاهلية وهي أخت كُليب وائل بن رَبيعة بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِب[١] .

قالت ترثي غُرثاناً أخا البرّاق[٢] وتحرض بني بكر على الأخذ بثأره :

ألا فَـــابْكِـــي أَعيْنِـــيَ لا تَمَلِّـــي ... فلـي بِمَصَـابِنَـا أبـداً عَـويـلُ[٣]

فَــلا سَلِمَــتْ عَشيــرتُنــا وَعــادتْ ... إذا صُـرِعِ ابـنُ رُوحـانَ النَّبِيـلُ[٤]

إذا رُحْتُـــمْ وخُلِّفْتُـــمْ هُبلْتُـــم ... لِغَــرْثَــانٍ فــلا راحَ القَبيــلُ[٥]

فَـرِحْتُـمْ بـالغَنـائِـم حيـنَ رُحْتُـمْ ... وبــانَ بمَــوْتِــه الغُنْــمُ الجَليــلُ

تَــركتــم ذا الحِفــاظِ وذا السَّــرايـا ... وَراءَكـــمُ أَضَلَّكـــمُ الـــدَّليـــلُ

فَقُــلْ لِنُــوَيْــرةٍ وكُلَيْــبَ مَهْــلاً ... أقيمــا إنَّ خِــزْيَكُمــا طَــويـلُ[٦]

* * *

(*) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ٣٥ ، الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٣ .

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٢٥٣ .

(٢) ذكرت الشاعرة ليلى العفيفية في شعرها البرّاق زوجها وغرثان شقيقه وهما من بني بكر (شاعرات العرب ٣٢) .

(٣) أعْول : رفع صوته بالبكاء والصياح .

(٤) فلا سلمت : فلا نجت : ابن روحان : غرثان أحد فوارس بكر وأخو البراق بن زوج ليلى العفيفية بنت بكر .

(٥) هبلته أمه : ثكلته (القاموس المحيط) .

(٦) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ٣٥ .

أُمامة(*) بنت كُليب

أُمامة بنت كُليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ، وأخوها الهِجْرس بن كُليب ، مات أبوها وهي ابنة اثنتي عشرة سنة .

قالت أُمامة تخاطب عمها المُهَلْهِل :

أتلهـو بـالمـلاهـي والخُمـورِ ... ولا تـدري بعـاقبـةِ الأمـورِ
ولا تـدري بـأنَّ كُلَيْـبَ أضْحَـى ... قتيـلاً عنـد جَسَّـاس الغَـدُورِ (1)
فـواعجبـاً لجسَّـاسٍ وعمـروٍ ... لقـد جسـرا علـى أمْـرٍ نَكيـرِ (2)
ويـا ويـلا لجسَّـاسٍ وعمـروٍ ... لقـد رميـا أخـاكَ بِعَنْفَقيـرِ (3)
على نـابِ البسـوسِ سـرابِ أغْني ... يبـح دمـه سُـدَىً كـدم البعيـرِ (4)
فبـادِرْ نَحْـوَه فلقـد تَـرامـتْ ... إليـه الآن شُجْعـانُ النظيـرِ (5)
وعُقِّـرتِ الخيـولُ عَليـهِ جَهْـراً ... فكـم مِـنْ أجْـرَدٍ نَهْـدٍ عَقيـرِ (6)
فبـادِرْ وانْـزَعَـنَّ الـرُّمْـحَ مِنْـهُ ... فمـا أحـدٌ علينـا بـالجَسُـورِ (7)

* * *

(*) شعر تغلب في الجاهلية ٢١٦ . ولقد عدت إلى مراجعه الحيوان ٢/ ١٨٤ ومعجم الشعراء ٤٨٩ . فلم أعثر على ترجمة أو شعرٍ لها . أما رياض الأدب . ليس موجود لدي وربما أخذ الترجمة والشعر عنه . وجاء في الحاشية الأبيات في « رياض الأدب نقلاً عن شرح القصيدة النورانية في مناقب العدنانية ١٦٩ » .

(١) جساس : قاتل كليب .

(٢) عمرو : ابن عم جساس وشاهد مصرع كليب . جسرا : أقدما على أمرٍ نكيرٍ صعب شديد .

(٣) العنفقير : الداهية العظيمة . رماه بها : إذا ابتلاه .

(٤) الناقب : الناقة المسنة . سراب : ناقة البسوس والتي أشعل قتلها نار الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب أربعين عاماً ، وقالت فيها العرب « أشأم من سراب » .

(٥) النظير : لا تعطي معنى اللهم إلاّ إذا كان « النظير » اسم علم .

(٦) الأجرد : الفرس القصير الشعر . النهد : الضخم . عقير : دهش .

(٧) الجسور : المقدام الماضي بشجاعته . « شعر تغلب في الجاهلية ٢١٧ » .

امرأة[*] من تغلب

إن امرأة من حي تغلب قتل أبوها في بعض حروبهم فقالت ترثيه :

خَتلَتـهُ المنـونَ بعـدَ اختيـالٍ بيـنَ صَفَيـن مـن قنـىً ونصـالِ[1]
فـي رِداءٍ مـن الصفيـح صَقيـلٍ وَقَميـصٍ مـن الحـديـدِ مـذالِ[2]
كنـتُ أخْبَـاكَ لاعتـداءِ يـد الـدهـرِ ولـمْ تخْطـرِ المنـونُ بِبَـالِ[3]
كلُّ حيٍ ـ وإنْ تَصَنعت الدنيا له ـ ميّـتٌ علـى كـلِّ حـالِ

وروى محمد بن خلف بن المرزبان هذه الأبيات لأُمِّ جندلة التغلبية ترثي أخاها .

* * *

(*) أشعار النساء ١٥١ .
(١) ختلته : خَتله يَختلُه خَتلاً ، وَخَتلاناً : خدعه .
(٢) مذال : الذَّيلُ آخر كل شيء . ومن الإزار والثَّوب : ما جُرَّ .
(٣) أخباك : خَبَأه وخبَّأه : ستره (القاموس المحيط) .

امرأة(*) من تغلب يقتلها الحب

حدَّث أبو زيد النحوي قال : أخبرني فتى من أصحاب الحديث قال :

دَخلتُ ديراً في بعض المنازل ذُكر لي أن به راهباً حسن المعرفة بأخبار الناس وأيامهم فصرت إليه لأسمع كلامه ، فوجدته في حجرة معتزلة في الدير ، وهو في زي المسلمين فكلمت رجلاً فإذا عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا ، فسألته عن سبب إسلامه فحدثني أن جارية كانت في هذا الدير نصرانية من تغلب كثيرة المال فهويت غلاماً مسلماً فكانت تبذل له مالها والغلام يأبى ما تبذله له وما تدعوه إليه فلما أعيتها الحيلة فيه أعطت رجلاً مصوراً مائة دينار على أن يصور لها الغلام على صورته ، ثم أخرج الصورة فأرانيها ، فإذا صورة جميلة قال : فما زالت كل يوم تأتي الصورة فتلثم ما تحب منها ثم تجلس بحذائها تبكي فإذا أمست قبلتها وانصرفت .

فما زالت على ذلك أشهراً فتوفي الغلام فعملت عليه مأتماً صارت به مثلاً ، ثم رجعت إلى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وتبكيها إلى أن أمست فنامت إلى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة إلى الحائط وقد كتبت عليه :

يا موت دُونك نَفسي بَعْد مُؤنسها ... خُذْها إليكَ فَقَدْ أَوْدَتْ بِمَا فيها
أَسْلمتُ وجهي إلى الرحمن مُسْلِمَةً ... وَمُتُّ مَوت حَبيب كان يَعصيها
لَعلنا في جنانِ الخلد يَجمعُنا ... يوم الحساب ويوم البعث بَاريها[1]

(*) المُستجاد من فعلات الأجواد ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١) البَعث : بَعث الموتى : نشرهم ليوم البَعث . وبَعث اللهُ الخلق يبعثهم بعثاً : نَشرهم « لسان العرب ـ بعث » .

مَاتَ الحَبيبُ ومَاتتْ بعده كمداً　　مُحبة لمْ تَزلْ تشقي مُحبيها[1]

قال : فحملها المسلمون ودفنت إلى جانب قبره فلما أصبحنا وجدنا تحت شِعرها مكتوباً هذه الأبيات :

أَصبحتُ في رَاحةٍ مما جَنتهُ يدي　　وصرتُ جَارة فرد واحد صمدِ[2]
مَحا الإله ذُنوبي كلها وَغَدا　　قلبي خلياً من الأحزانِ والكمدِ
أَما قَدمتُ على الرحمن مُسْلمة　　وقلتُ إنك لمْ تُولد ولم تلدِ
أَثابني رَحمة منهُ ومَغْفِرة　　وأنعماً باقيات آخر الأبدِ

قال : فلما قرأت الشعر علمت أن الإسلام خير من ديني وأن عظيم ذنوبي يسير في جنب غفران الله تبارك وتعالى فأسلمت والحمد لله رب العالمين[3] .

* * *

---

(١) الكَمْدُ : الحُزْنُ الشديد . « القاموس المحيط كمد » .
(٢) الصَّمَد : من صفاته تعالى وتقدّس لأنه أُصمِدَت إليه الأمور فلم يقضِ فيها غيره . والدائم الباقي بعد فناء خلقه « لسان العرب ـ صمد » .
(٣) المستجاد من فعلات الأجواد ١٦٩ .

حبيبةُ(*) بِنْتُ عَبْدِ العُزّى التّغلبية(1)

شاعرة من شواعر تغلب قالت :

أإلَــى الفَتَــى بَــرٍّ تَلَكَّــأُ نــاقتــي	فَكَسَـا مَنَـاسِمَهَـا النَّجِيـعُ الأَسْـوَدُ(2)
إِنِّــي وَربِّ الــرَّاقِصَــاتِ عشيــةً	بِجُنُــوبِ مَكَّــةَ هَــدْيُهُــنَّ مُقَلَّــدُ(3)
أُولـي عَلـى هُلْـكِ الطَّعَـامِ أَليَّــةً	أَبــداً ، ولكنِّــي أُبِيــنُ وَأَنْشُــدُ(4)
وَصَّــى بــه جَـدي وعَلمنــيَ أبــي	نَفْـضَ الـوِعَـاءِ وكـلُّ زاد ينْفُـد(5)

* * *

(*) أشعار النساء ١٦١ ، ١٦٢ . حماسة أبي تمام ٢/ ٢٩١ شرح التبريزي .

(١) وردت الأبيات في حماسة أبي تمام ٢/ ٢٩١ ، ٢٩٢ حبيبة بن عبد العزى العوراء وبزيادة بيت من الشعر :

فَاحْفَظْ حَمِيتَكَ لا أباللَكَ واحترِسْ ... لا تَخْـرِقَنْــهُ فـأرَةٌ أو جُـدْجُـدُ

الحميت : زق السمن . والجدجد : طائر صغير يشبه الجراد ينزل على الزق فيخرقه . والمعنى : احفظ السمن في الزق للأضياف والطارقين (حماسة أبي تمام ٢/ ٢٩١ ، ٢٩٢) .

(٢) تلكأ : تتلكأ ، والتلكلؤ معناه الحبس والإبطاء . وقولها فكسى مناسمها : دعاء على الناقة بالنحر إن تأخرت في المسير وأبطأت . والنجيع الدم المائل إلى السواد أو دم الجوف .

(٣) الراقصات : من الرَّقص وهو نوع من سير الإبل ، والجنوب : النواحي جمع جنب ، والهدي : ما يهدى إلى الكعبة المشرفة . والمقلد : الذي في عنقه علامة لاهدائه وجواب القسم في البيت الذي بعده .

(٤) أولى : أي لا أولى من الإيلاء وهو الحلف . وحذف لأمن اللبس لأنه لو أريد الإيجاب لوجب أن يقال : لأولين باللام ونون التوكيد . وأبين أي أظهر منزلي ، وأنشد أي أطلب من يأكل طعامي .

(٥) وصى بها : أي بهذه الخصلة الحميدة ، وينفد : أي يفنى ويذهب . أي أنها لا تأتي الكرم تكلفاً وتطبعاً بل هو غريزة فيا ورثتها عن أبيها وجدها .

الدَّلماءُ[*] التّغلبية

هَجت الأخطل التّغلبي جارية من قومه يقال لها الدِّلماء ، فأتى الأخطل أباها فقال له : يا أبا الدَّلماء قد عرفت ما بيننا من الودِّ ، وأنَّ الدَّلماء هَجتني ، فاكفني أمرها ، فضحك أبوها وكان ذاك مما أعجبه وقال : هي امرأة مالِكة أمْرِها ، وما لي عليها من سلطان فرجع الأخطل وهو يقول :

ألا أبلِـغْ أَبـا الـدَّلمـاءِ عنّـي ... بـأن عِجـانَ شَـاعـركـمْ قَصيـرُ[1]

فـإن يَصـرَعْ فليـسَ بـذي انتصـارٍ ... وإن يَطْعُـنْ فطعنتـهُ يَسيـرُ[2]

متـى مـا ألقَـهُ ومَعـي سِـلاَحـي ... يَخِـرُّ علـى القَفَـا ولـهُ نخيـرُ[3]

فبلغ ذلك أبا الدَّلماء[4] ، فأتاه ومعه ناس من قومه ، فطلبوا إليه ، فكفَّ وقال : أما ما قلت فقد فات ، ولكني أكف فيما أستقبل[5] .

* * *

(*) الأغاني ٨/ ٣٠٥ ، أشعار النساء ١٥٠ ، ١٥١ .

(١) ورد عجز البيت في الأغاني : (بأن سِنانَ شاعركم قصير) .

(٢) ورد البيت في الأغاني :

(فـإن يَطعُـن فليـس بـذي غَنـاءٍ ... وإن يُطعَـنْ فمطعنـه يسيـر)

(٣) ورد عجز البيت في الأغاني : (يخر على قفاه فلا يُحير) .

(٤) فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه ؛ فقال : أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد (أغاني) .

(٥) أشعار النساء ٥/ ١٥٠ ، ١٥١ .

سليمى[*] بنت المُهَلْهِل التَّغلبية

وقالت سُليمى[1] بنت المُهَلْهِل ترثي أباها بعد موته :

أَعَيْنـيَّ جُـودَا بـالـدُّمـوع السَّـوافـح ... على فَارسِ الفُرسانِ في كُلِّ صَافح[2]

أَعَيْنـيَّ إنْ تَفْنَـى الـدُّمـوعُ فـأَوْكِفَـا ... دَماً بارْفِضَاضٍ عِنْدَ نَوْحِ النَّوائح[3]

ألا تَبْكِيَـانِ المُـرْتَجَى عِنْـدَ مَشْهَـدٍ ... يُثيرُ مع الفُرسانِ نَقْعَ الأباطح[4]

عَدِيّا أخا المعْرُوفِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ... وَفَارِسَها المرهُوبَ عند التَّكافُح[5]

رَمَتْـهُ بَنَـاتُ الـدَّهْـرِ حتَّـى انْتَظَمْنَـهُ ... بِسَهْـمِ المَنَـايَـا إنَّهـا شَـرُّ رائِـح[6]

وَقَدْ كانَ يَكْفِي كُلَّ وَغْدٍ مَواكِلٍ ... وَيَحْفَظُ أَسْرَارَ الخليل المناصح[7]

كأَنْ لمْ يَكُنْ في الحِمَى حَيّاً ولمْ يَرحْ ... إليـهِ عُفَـاةُ النَّـاسِ أَوْكُـلُّ رَابـح[8]

وَلَـمْ يَـدْعُـهُ فـي النَّكْـبِ كُـلُّ مُكَبَّـلٍ ... لِفَـكِ إسَـارٍ أَوْدَعَـا عِنْـدَ صـالـح[9]

بَكَيْتُـكَ إنْ يَنْفَـعْ ومـا كُنْـتُ بـالَّتـي ... سَتَسْلُوكَ ياابنَ الأكْرَمينَ الجَحَاجِحِ[10]

وقالت سليمة ترثي والدها :

(*) ديوان مُهَلْهِل بن رَبيعة ١٠١ ، ١٠٢ .

(١) انظر نسب مُهَلْهِل مع الشعراء في هذا الكتاب .

(٢) السوافح : من سفح الدمع أي صبه ، والدموع السوافح التي تنصب انصباباً لكثرتها .

(٣) أوكف : سال . ارفضاض : سيلان وترشش .

(٤) النقع : الغبار والماء المجتمع . الأباطح : الأمكنة : المتسعة يسيل فيها الماء فيخلف فيه التراب والحصى الصغار .

(٥) عدي : هو مُهَلْهِل . الشتوة : المطرة ، وصاحب الشتوة : من يلجأ إليه فيها .

(٦) بنات الدهر : مصائبه .

(٧) الوغد : الدنيء الرذل . المواكل : العاجز البليد .

(٨) العفاة : جمع العافي وهو كل طالب معروف .

(٩) النكب : المصيبة .

(١٠) الجحاجح : العظماء . (ديوان مُهلهل ١٠٢) .

مَنَـعَ الـرُّقَـادُ لحـادِثٍ أَضْنَـانـي	وَدَنَـا العَـزَاءُ فَعَـادَنـي أَحْـزَانـي[١]
لَمَّـا سَمِعْـتُ بِنَعْـي فَـارِسِ تَغْلِـبٍ	أعنـي مُهَلْهِـلَ قَـاتِـلِ الأَقْـرَانِ[٢]
كَفْكَفْـتُ دَمعـي فـي الـرِّدَاءِ تَخَـالَـهُ	كَـالـدُّرِّ إنْ قَـارَنْتَـهُ بِجُمَـانِ[٣]
جَـزَعـاً عليـه وَحُـقَّ ذَاكَ لِمِثْلِـهِ	كَهْـفِ اللَّهيـفِ وَغَيْثَـهُ اللَّهْفَـانِ[٤]
والمُـرْتَجـى عِنْـدَ الشَّـدَائـد إنْ غَـدَا	دَهْـرٌ حَـرُونٌ مُعْضِـلُ الحُـدَثَـانِ[٥]
والمُسْتَغيـثِ بـهِ العِبَـادُ وَمَـنْ بـه	يَحْمـي الـذِّمَـارَ وَجُـودَةَ الجِيـرَانِ[٦]
لَهَفـي عَليـهِ إنْ تَـوسَّـطَ مُعْضِـلٌ	حِصْـنَ العَشيـرةِ ضَـارِبٌ بِجـرانِ[٧]
لَهَفـي عَلَيْـكَ إذا اليَتيـمُ تَخـاذَلَـتْ	عَنْـهُ الأَقَـارِبُ أَيَّمَـا خِـذْلاَنِ
فإذْهَبْ إليهِ فَقَدْ حَويتَ من العُلى	يـا ابـنَ الأكـارِمِ أَرْجَـحَ الـرّجْحَـانِ
فَـلأَبكينَّـكَ مـا حَييـتُ ومـا جَـرتْ	هَـوْجَـاءُ مُعْطِفَـةٌ بِكُـلِّ مَكَـانِ[٨]

* * *

(١) أضنى : أثقل .
(٢) الأقران : الشجعان .
(٣) كفكف الدمع : مسحه مرة بعد مرة . الجمان : اللؤلؤ .
(٤) اللهيف : الحزين ، المتحسر ، المتحرق .
(٥) الحروث : الذي لا ينقاد .
(٦) الذمار : ما يحمى ويدافع عنه ، الأهل ، والشرف ، والملك .
(٧) لهفي عليك : كلمة تقال للتحسر على ما فات . توسط : صار في وسطه . المعضل : المشكلة التي لا يهتدي لوجهها . ضارب بجران : ثابت مستقر .
(٨) الهوجاء : الناقة المسرعة حتى كأنها بها هوجاً أي حمقاً وطيشاً . (ديوان مهلهل ١٠٣ ، ١٠٤) .

الشمَّاء[*] بنت الكميت التَّغلبية

شاعرة من شواعر تغلب قالت ترثي أباها :

هـــلاَّ[1] خبـــرّت أيَّ فتـــىً أبـــيٍّ ... إذا الكلب لم ينبحْ من الليل سَاريا

فَهَلاَّ فداكَ الموت من لم يضرْ لهُ ... عَدواً ، ولم يطلقْ من الكبلِ عانيا[2]

إذا صـــرَّ بـــردَيـــهِ حمـــائـــل سيفِـــه ... أَبى الضيمَ مَجنياً عليهِ وَجَانيا[3]

نَظـــرتُ فلمـــا أن تـــأملـــتُ قبـــرَهُ ... وأرجـــاءَهُ أيقنـــت ألاّ أبـــاليـــا[4]

* * *

أم طريف[**] التَّغلبية

قالت في ابن عم لها يقال له فضالة :

أَلا يـــا مقلتـــيَّ دعـــا الجمـــودا ... ولا ( )[1] أن تجـــــودا

فَقـــدْ هَـــاجَ الحمـــائـــمُ يـــوم بُصـــرى ... هَـــوىً مستطـــرفـــاً وهـــوىً تليـــدا

* * *

(*) أشعار النساء ١٦٠ .

(١) في الأصل (هل) الساري : الرجل الذي يسير ليلاً .

(٢) العاني : الأسير . والكبل القيد .

(٣) صرَّ : والصِّرار : ما يُشَدُّ به ج أصِرَّةٌ . وأصَرَّ على الأصر : عزم .

(٤) أشعار النساء ١٦٠ .

(**) أشعار النساء ١٦١ .

(١) بياض في الأصل .

عمرة(*) بنت الحمارِس التَّغلبية

سمعها أبوها وهي تقول :

أَنـا ابنـة الحمـارِس الشيـخ الأزبْ   محطوطة المتنين كبداء الركَبْ[1]

ادل مـن يـدب بـي علـى العجـب   يُدارك الرَّهزَ إذ (. . .) وَقبْ[2]

حَمحمةَ البرذون في أُخرى الجلب   كـأَنَّ تحـتَ جفنـه إذا انقلـب[3]

رمّـانـةً فَتّـتْ لحمحمـومٍ وَصَـبْ[4]

قال : فزوجها .

. . . عن دعبل بن علي الخزاعي قال :

قالت عمرة بنت الحمارس من أهل الجزيرة :

أَنْعَـــتُ (. . .) هـــو (. . .)   كلُـــهُ حـــافِـــرهُ ورأســـهُ وَظِلـــهُ

أَنعـــظُ حتـــى طـــارَ عنـــهُ جُلـــهُ   كـــأن حُـــمَّ خَيبـــرٍ تَمُلـــهُ[5]

دخلت عمرة بنت الحمارس على عبد العزيز بن مروان وعنده جارية له فقال : ما ظنك بهذه يا عمرة ؟

قالت : ظني بنفسي .

(*) أشعار النساء ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩ . بلاغات النساء ٢٦٢ .

(١) الأزب: الكثير الشعر . محطوطة المتنين : ممدودتهما . وقال الأزهري : ممدودة حسنه مستوية. كبداء : العظيمة الوسط . الغليظة . والكبد : عِظم البطن من أعلاه .

(٢) الرهز : الحركة عند الجماع . وقب : دخل . والوقوب الدخول في كل شيء .

(٣) الجلب : ما جلب من خيل وابل ومتاع . والجلبة الدفعة من الخيل في الرهان خاصة .

(٤) أشعار النساء ١٥٣ .

(٥) أشعار النساء ١٥٥ . وإن النقاط (. . .) الموجودة بين قوسين أعتقد أنها مفهومة للقارىء وأنها هكذا وردت في الأصل ولم تذكر الكلمة من باب الأدب والحشمة . =

قال : قولي فيها .

فقالت :

عنـدَ أبـي الاصبَـغِ حَيـريـةٌ ممكـورة أَحسبهـا تشتهـي[1]

مـا يشتهـي النـاس ولـم تبتـدع داءً قـديمـاً أصلـه عُـذْملـي[2]

داء يـداوي أهلُـهُ أهلَـهُ فيبـرىء الـداءَ بـه والـدَوي[3]

لـو منيـت عـرد امـرىءٍ ضـابـط محـارد النُطفَـةِ عـردِ المنـي[4]

قَـدْ كـانَ فـي عَـادٍ وأشيـاعهـا وكـان فيهـم أُسْـوَةَ المـؤتسـي

قَـدْ جَمـعَ المـاءَ إلـى أن أتـت لـه ثـلاثـون (حنيكـاً) فتـي[5]

تَمنَعـهُ النـومَ أمـانيّـهُ وعقـبٌ أوتـاره مـاتنـي

ربـدَه النعْـظ ففـي جلـده مثـل الشـرى ثَـارَ بجلـد الشـري[6]

يـدفـىءُ كَفيـهِ إذا قـرَّتـا تبيـت كفـاه بـه تَصطلـي

آثـارهـا بطلـق ليّـن غمـز الطبيبيـن لهـاة الصبـي

وضَمَّهـا وشمَّهـا سـاعـة حتـى إذا درَّتْ دُرورَ المـري[7]

انكسـرت جفـونهـا مثـل مـا رنَّـقَ فـي العيـن قـذاة القـذي[8]

رفَـعَ رجليهـا إلـى نحـرهـا يـأطـرهـا أطـرَ ثقـاف القنـي[9]

---

(١) أبو الاصبغ : كنية عبد العزيز بن مروان ، والحيرية : منسوبة إلى الحيرة .

(٢) العدملي : كل مسن قديم .

(٣) الدوي : داء باطنٌ في الصدر .

(٤) عرد : ذكر الإنسان ، وقيل هو الذكر الصلب الشديد . الضابط : المتمايل في مشيته . وقيل : الضخم الجنبين ، العظيم الأست . والمحارد : يقال حاردت الإبل حراداً أي انقطعت ألبانها أو قلت . وناقة محارد : بينة الحراد أو شديدته .

(٥) حنيكاً ـ هكذا في المخطوط .

(٦) الشرى ـ شيء يخرج على الجسد أحمر كالبثور وفيها خراج .

(٧) المري ـ الناقة التي تدر على من يمسح ضرعها .

(٨) دنق ـ كدر . والترنيق : كسر الطائر جناحه من داء أو رمي حتى يسقط .

(٩) أطره ـ عطفه فانعطف . الثقاف : ما تسوى به الرماح . والقني : واحد قناة . ولعلها الثقاف القني .

=

دخلت عمرة بنت الحمارس على مسلمة بن عبد الملك فأنشدته :

بَينـي وبَينـك أطـاط لـهُ حبـك   كَمنخـرِ الثـور آذتـه الـزَنـابيـر[1]
رابـي المحيسـة أَعـلاهُ وأَسْفَلـهُ   ضيق إذا دارك الدهر الجياذير[2]
كـأنَّ[3] فـي جـوفـهِ نَـارٌ مُـؤْجَجـةٌ   كـأنَّمـا ألهيـت فيـه الثنـانيـر

فعرض لها مسلمة بالتزويج .

فقالت : يا ابن التي تعلم وأنك لهناك (تعني أن أمه أمة)[4] .

قالت عمرة بنت الحمارس التَّغلبية للأخطل :

أبـا مـالـك مـاذا تـرى رأي نسـوة   تبدلنَ حبَّ (. . .) بالندَفانِ[5]

فقال الأخطل :

أرى رأيهـن أنْ (. . .) بِفَيشـلٍ   كَبيـضِ نعـامٍ فـي اداحـي كثبـانِ[6]

وقالت عمرة بنت الحمارس الأعرابية في شهر رمضان :

فقـدتُ شَهـراً تَـركَ الأحـراحـا   كـل حِـرٍ تَحسبـه ذَبَّـاحـا[7]
مغضَّنـاً لا يعـرفُ الفَتَّـاحـا[8]

---

(١) الأطيط : صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها . والأَطَّاطُ : الصياح . وأنشد ثعلب :
وقُلُـصٍ مُقـوَرَّةِ الأليـاط   بـاتـت علـى مُلحَـبٍ أطَّـاطِ
(٢) قال الطرماح :
تَبيـتُ علـى أطـرافهـا مُجـذَئِـرَّةً   تُكـابـدُ هَمَّـاً مثـل هـمِّ المُخـاطـر
والمُجَذِّر ، والجيذر : القصير الغليظ ، الششن الأطراف (لسان العرب ـ جذر) .
(٣) وردت في الأصل (كان) .
(٤) بلاغات النساء ٢٦٢ ـ رفضت الزواج منه لأنه هجين .
(٥) الندفان : سرعة رجع اليدين .
(٦) الأدحي : مبيض النعام في الرمل لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش .
(٧) الذباح : تشقق وتحرز بين أصابع الصبيان من التراب . وهو القتل أيضاً . والأحراح : جمع حر ، وهو حر المرأة .
(٨) أشعار النساء ١٦٠ .

أرى هذا التصريح في وصف ما ذكرته الشاعرتان تراه يخلو من التأدب والاحتشام في حوارهما مع أبيهما الرجل الغيور ، وهل الرجل الغيور يسمح لبناته أن يتفوهن معه بمثل هذه البذاءة ؟ أو لأن الشاعرتين أعرابيتين أي بدويتين لديهما مساحة واسعة من الحرية ؟

هذا وأن الشاعرتين كانتا في العصر الأموي أي الإسلامي ، معنى ذلك أنهما لم تكونا على علم بما ذكره الإسلام عن الزواج وتحصين الرجل والمرأة به وحفظ حقوق كلا منهما .

وهذا هو الحوار :

كان الحمارس التَّغلبي غيوراً ، وكان لا يزوج بناته ، فقعد يوماً بفناء بيته يبري وتداً ، وكان رجلاً آدم طوالاً ، فنظرت إحدى بناته إليه فقالت :

(. . .) يبـدُّ الاسكتيـن بـدّا مثـل ذراع الشيـخ يبـرى وَدا[1]
لابـدَّ أن يجـرحَ أو يكـدّا[2]

فقال : اسكتي فضَّ الله فاكِ .

فقالت الثانية :

يـا مـنْ يـدل عـزَبـاً علـى عـزَبْ ممكورة الساقين خثماء الرَكَب[3]
تبـادِر الـرهـزَ إذا (. . .) وقـب دَقدَقة البرذون في أخرى الجلب[4]

فلم يمسِ حتى زَوَّجهما .

---

(١) يبد : يفرق . والود : الوتد في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء فأدغموها في الدال أشعار النساء ١٥٢ .
(٢) الكد : الحك .
(٣) ممكورة الساقين : يقال امرأة ممكورة : مستديرة الساقين، أي خدلاء مرتوية الساقين.
خثماء : الأخثم الجهاز المرتفع الغليظ . ركب أخثم : إذا كان منبسطاً غليظاً .
والركب : العانة وقبل منبتها ، وقيل ظاهر الفرج ، وقيل : هو الفرج نفسه .
(٤) الرهز : الحركة عند الجماع ، وقب : دخل ، والوقوب الدخول في كل شيء
والدقدقة : حكاية أصوات حوافر الدواب في سرعة ترددها مثل الطقطقة .

وجاء أيضاً قالت ليلى بنت الحمارس :

يـا مَـنْ يـدلُّ عَـزَبـاً علـى عَـزَبْ   على ابنة الحمـارس الشيخ الأزبْ
ممكـورة السـاقيـن خثمـاء الرَكـبْ   تـدارك الـرهـز إذا (. . .) وَقَـبْ
دقـــدقـــة البـــرذون فـــي أخـــر الجلـــب

فقال أبوها : مالكِ رَضَّ الله فاك ؟

فقالت :

(. . .) يَبُـــدُّ الاسكتَيـــنِ بَـــدَّا   مِثْـل ذِراعِ الشيـخ يبـري الـوَدا
لابُـــدَّ أن يجـــرح أو يَكـــدّا

فقال : مالك ، لا بارك الله فيك ، والله لأزَوجنّكِ أوّل من يَخْطبُكِ .

الأحوص والفرزدق وليلى بنت الحمارس :

كان الفرزدق يأتي ليلى بنت الحمارس ، وكان يأتيها الأحوص فاجتمعا عندها ذات يوم ، فأقبلت على الأحوص ، فنفس عليها الفرزدق وقال : نصطرع ، فاصطرعا ، فغلبه الأحوص ، صرعه فضرط من تحته فقال له الأحوص : خفض عليك يا أبا فراس ، فوالله لا يعدونا ، فقال : ويلك فكيف لي بجرير[1] فلقيه جرير فقال :

غدوتَ إلى ليلى فَلَمْ تحظ عندها   وَخـانـكَ دُبْـرٌ مـا يـزال يخـونُ[2]
وكنـتَ حـريـاً أن تشـدَّ حتـارهـا   كَما شدَّ حرباءَ الدلاصِ قيونُ[3]

* * *

(١) الرواية في الأغاني مختلفة ٢١/ ٣٦٣ ثقافة .
(٢) ورد البيتان في الأغاني :
جلسـت إلـى ليلـى لتحظـى بقـربهـا   فخـــانـــك دبـــر لا يـــزال يخـــون
فلـو كنـت ذا حـزم شـددت وكـائهـا   كمـا شـدَّ خـرتـا للـدلاص قيـون
والخرت : الثقب . والدلاس : توصف بها الدرع وهي الملساء اللينة .
(٣) الدلاص : الدرع الملساء اللينة ، حتار الدبر : حلقته (أشعار النساء ١٥٩) .

لَيْلى(*) بنت طَريفٍ التَّغلبيَّةُ

هي شاعرة من شواعر العرب في الدولة العباسية وهي شقيقة الوليد[1] بن طريف التغلبي الذي تمرد على الدولة العباسية في سنة (١٧٨ هـ) وكان أحد رؤس الخوارج ، وكان خروجه بالجزيرة وحكم بها ، ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ، ثم مضى منها إلى إرمينية ، ثم رجع الوليد بن طريف إلى الجزيرة في (١٧٩ هـ) واشتدت شوكته وكثر تبعه ، فوجه الرشيد إليه يزيد بن مزيد الشيباني ، فراوغه يزيد ، ثم لقيه وهو مغتر فوق هيت ، فقتله وجماعة كانوا معه .

فلما قتل الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف ، مستعدة ، عليها الدرع ، فجعلت تحمل على الناس ، فَعُرفت ، فقال يزيد : دعوها ! ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطاة فرسها ، ثم قال : اعزبي عزَبَ الله عليك ، فقد فضحت العشيرة ، فاستحيت وانصرفت[2] .

وجاء في حماسة البحتري : وقالت ليلى ابنة طريف التَّغلبيَّة تَرثي أخاها الوليد بن طريف الشاري :

(*) الحماسة الشجرية ١/٣٢٧ ، حماسة البحتري ٤٣٥ ، الكامل في التاريخ ٦/١٤٢ تاريخ الطبري ٧/٢٦١ ، وهي عنده الفارغة ، وفي الوحشيات ١٥٠ وهي عنده الفارغة ترثي أخاها الوليد ، وفي الحماسة البصرية ليلى بنت طريف التغلبية ١/٢٢٨ . وكلهم ذكروا لها أبياتاً من قصيدة قالتها في رثاء شقيقها بينما أورد لها البحتري في حماسته ٢٣٥ (٢٤ بيتاً) وهي التي سأعتمدها في ترجمتها لأنها الأشمل بين المقطوعات التي وردت لها في المراجع الأخرى .

(١) انظر ترجمة الوليد بن طريف التغلبي في هذا الكتاب .

(٢) تاريخ الطبري حوادث سنة (١٧٨ ـ ١٧٩) والكامل في التاريخ ٦/١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

بِتَـلٍّ تُبَـاثَـا رَسْـمُ قَبْـرٍ كـأَنَّـه ... علـى جَبَـلٍ فَـوْقَ الجبـال مُنِيـفِ
تَضَّمـنَ جُـوداً حَـاتمياً ونَـائـلا ... وَسَـوْرَةَ مِقْـدَامٍ وَرَأْيَ حَصيـفِ
ألا قَاتَلَ اللهُ الجُثى كيفَ اضْمَرتْ ... فَتىً كانَ للمعرُوفِ غَيْرَ عَيُوفِ[1]
فـإِنْ لا تُجبْنـي دِمْنَـةٌ هـي دُونـهُ ... فَقَـدْ طَـالَ تَسليمـي وطـالَ وُقُـوفـي
وَقَـدْ عَلِمَـتْ أنْ لا ضَعيفاً تَضَمَّنَتْ ... إذا عَظُـم المَـزْرَى ولا ابْـنَ ضَعيـفِ
فَتـىً لا يَلـومُ السَّيـفَ حيـنَ يَهُـزُّهُ ... على ما اختلى مِنْ مِعْصَم وصَليفِ[2]
فَتىً لم يُحِبَّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقَى ... ولا المـالَ إلاَّ مـن قَنـاً وسيـوفِ
ولا الخيـلَ إلاَّ كُـلَّ جَـرْداءَ شَطْبـةٍ ... وأَجْوَدَ عالي المِنْسجَينِ غرُوُفِ[3]
فَقَـدْنَـاهُ فِقْـدَانَ الـرَّبيـعِ فَليتَنَـا ... فَـدَيْنَـاهُ مِـنْ دَهْمَـائِنَـا بِـأُلُـوفِ[4]
وَمَـازَالَ حتَّـى أَزْهَـقَ الموتُ نَفْسَـهُ ... شجـاً لِعَـدُوٍّ أوْ لجـاً لِضَعيـفِ[5]
حَليفُ النَّدى إنْ عَاشَ يَرض بهِ النَّدى ... وإنْ ماتَ لا يَرضَى النَّدى بحَليفِ
فـإِنْ يَـكُ أَرْدَاهُ يَـزيـدُ بـن مَـزيـدٍ ... فَـرُبَّ زَحُـوفٍ فَضَّهَـا بِـزَحُـوفِ[6]
فَيَا شَجَرَ الخابُورِ مَا لكَ مُورِقاً ... كأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ على ابن طَريفِ[7]
فَلاَ تَجْزَعَا يا ابْنَى طَريفٍ فإِنَّني ... أَرَى الموتَ وَقَّاعاً بِكُلِّ شَريفِ[8]

---

(١) الجثى : جمع جثوة : القبر .
(٢) الصليـف : عـرض العنـق ، ويقـال : أخـذ بصليفـه ، أي كلـه . (لسـان العرب ـ صلف) .
(٣) ناقة غارفة : سريعة السير ، وإبلٌ غوارفُ وخيل مغارف : كأنها تغرف الجري غَرْفاً ، وفرس مغرفٌ . (لسان العرب ـ غرف) .
(٤) الدَّهماء : العدد الكثير ، وجماعة الناس . (القاموس المحيط) .
(٥) أشجاهُ : قهره وغلبه . (القاموس المحيط) .
(٦) يزيد بن مزيد الشيباني وهو من قادة الرشيد ، وهو ابن أخي معن بن زائدة (الكامل في التاريخ ٦/ ١٤١) .
(٧) المعنى : هذه ليلى تنادي شجر الخابور ، وتعانيه وتعتب عليه لأنه لم يشاركها أحزانها لأن الأشجار لم تخلع ثوبها الأخضر عنها كأنها لم تجزع على ابن طريف .
(٨) وهنا ترى أن الموت لا يصيب إلا الشرفاء من الناس ومنهم شقيقها الوليد بن طريف .
ولقد جاء صدر البيت في النجوم الزاهرة ٢/ ٩٥ « علي سلامُ اللهِ وقفاً فانّني . . . » . =

ألا يــا لقــومٍ للنَّــوائــبِ والــرَّدى   ودَهــرٍ مُلــحٍّ بــالكــرام عنيــفِ
وللبدرِ مِنْ بين الكَواكبِ إذ هَوَى   وللشَّمــسِ هَمَّــتْ بَعــدهُ بكُسُــوفِ
وللَّيــثِ فَــوقَ النَّعــش إذ يَحملــونَــهُ   إلــى حُفــرةٍ مَلحُــودةٍ وَسُقُــوفِ
بَكَــتْ تَغلِــبُ الغَلبَــاءُ يَــومَ وفَــاتــهِ   وأُبــرزَ مِنَهــا كُــلُّ ذَاتِ نَصيــفِ[1]
يَقُلــنَ وَقَــدْ أَبْــرَزْنَ بَعــدكَ للــوَرَى   مَعــاتِــدَ حَلْــيٍ مِــنْ بُــرىً وشُنُــوفِ[2]
كأنَّكَ لَمْ تَشهَدْ مِصَاعاً ولم تَقُمْ   مَقَاماً على الأَعداءِ غَيرَ خَفيفِ[3]
ولَــمْ تَشْتَمِــلْ يَــومَ الــوَغــى بكَتيبــةٍ   وَلَم تَبدُ في خَضْرَاءَ ذَاتِ رَفيفِ[4]
دِلاصٍ تَرى فيها كُدوحاً مِنَ القَنى   ومِــنْ ذُلُــقٍ يُعجْمِنهــا بحُــرُوفِ[5]
وطَعنــةِ خلــسٍ قــد طعنــتَ مُــرشَّــةٍ   علــى يَــزنــيّ كــالشّهــاب رَعُــوفِ[6]
وَمَــائــدةٍ مَحمُــودةٍ قــد عَلــوتهــا   بــأَوصــالِ بُختــيٍّ أحــذَّ عَليــفِ[7]
ولاَ الــذُّخْــرَ إلا كُــل جَــرْدَاءَ صِلْــدِمٍ   مُعَــاوِدَة لِلكَــرِّ بَيْــنَ صُفُــوفِ[8]
ألا يَــا لَقَــوْمــي للحِمَــامِ وَللبلَــى   ولــلأَرْضِ هَمَّــتْ بَعْــدَهُ بــرُجــوفِ
ولمْ تَسعَ يومَ الحربِ ، والحربُ لاقح وسُمْــرُ القَنَــا يَنكــزنَهــا بــأُنــوفِ[9]

---

(١) النصيف : كل ما غطى الرأس من خمار أو عمامة ونحوهما .

(٢) المعاتد : جمع عتيدة : وعاء تجعل فيه العروس ما تحتاج إليه من طيب ومشط ونحوهما . البرى : جمع برة : كل حلقة من سوار وقرط وخلخال .

(٣) المصاع : المقاتلة والمجادلة .

(٤) الخضراء : الكتيبة العظيمة . (القاموس المحيط) .

(٥) الدلاص : الدرع ، أو اللين البراق .

(٦) رعف الفرس الخيل : سبقها .

(٧) الأحذّ : السريع الخفيف الذنب .

- إن ليلى تصف حزن قبيلتها تغلب على أخيها الوليد - بكت تغلب الغلباء ، وأبرز منها كل ذات نصيف ، وإن الشمس همّت بعده بكسوف ، إنها أخته ومهما بالغت بالوصف وشدة حبها له فإنه شقيقها فلها العذر شأنها شأن الخنساء فإن للفراق ساعات مؤلمة .

(٨) ورد البيتان في سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٣ : والصلدم : الشديد الحافر . ومعاودة : مواظبة لا تمل .

(٩) ورد هذا البيت في وفيات الأعيان ٦/ ٣٢ مع أبيات أخرى في حماسة البحتري ، وورد=

ولها في أخيها مراثٍ كثيرة ، فمن ذلك قولها فيه :

ذكـــرتُ الـــوليـــدَ وأيـــامـــه إذ الأرض مـــن شَخْصِـــهِ بلْقَـــعُ[1]

فـــأَقْبلـــتُ أطلبـــهُ فـــي السمـــاءِ كمَـــا يَبْتَغـــي أَنْفَـــهُ الأَجْـــدَعُ

أَضَـــاعَـــكَ قَـــومُـــكَ فليطلبـــوا إفـــادةَ مثـــلِ الـــذي ضَيعـــوُا

لَـــو أنَّ السيُـــوفَ التـــي حَـــدَّهـــا يصيبـــكَ تَعلـــم مَـــا تَصْنَـــعُ

نَبَـــتْ عنـــكَ إذ جَعَلـــتْ هيبـــةً وَخَـــوفـــاً لِصـــولـــكَ لا تَقطـــعُ[2]

إنها شاعرة فارسة كانت تركب الخيل وتُقاتل وعليها الدرع والمغفر وهي صادقة الإحساس والمشاعر في رثائها شقيقها الوليد ، وإن محبتها له هي التي دفعتها للأخذ بثأره وهي تصول وتجول في ساحة القتال . وانظر نسبها مع أخيها الوليد .

* * *

= اسمها في كتاب الوفيات الفارعة ، وقيل فاطمة ، تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر ، فرثت الفارعة أخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها ، ولقد مرت معنا .

(١) البلقع : الأرض القفر التي لا شيء فيها (ج) بلاقع ، يُقال : بَلقعٌ ؛ أي : خالٍ . (القاموس المحيط) .

(٢) نَبا السيف نُبُوّاً ونَبْوَةً : كَلَّ ولم يقطع . فهو نَابٍ . والسهم جاوزه (القاموس المحيط) . وفيات الأعيان ٦/ ٣٣ .

علماء وقادة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

أحمد[*] بن الحسين الجزري التَّغلبي

هو أحمد بن الحسين الجزري التَّغلبي ، المعروف بالأصفر[1] ، كان مقدماً مذكوراً ظهر في الجزيرة ، وعبر الشام مظهراً غزو الروم ، فتبعه خلق عظيم من المسلمين ، وجرت له مع الروم وقعات ، ودخل حلب في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فقبض عليه لؤلؤ السيفي ، وجعله في قلعة حلب .

وقال ابن العديم : وقرأت في تاريخ أبي غالب همام بن الفضيل بن جعفر بن علي بن المهذب بن المعري ، قال فحدثني من شاهد عسكره أنه يكون في اليوم في ثلاثين ألفاً ، ثم يصير في يوم آخر في عشرة آلاف وأكثر وأقل لأنهم كانوا عواماً وعرباً ، ونزل على شيزر ، وطال أمره فاشتكاه بسيل[2] ملك الروم إلى الحاكم فأنفذ إليه مُفلحاً اللحياني في عسكر عظيم فطرده سنة خمس وتسعين[3] .

وقبض عليه أبو محمد لؤلؤ السيفي بخديعة خدعه بها ، وذلك أنه أنفذ إليه أن يدخل إليه إلى حلب ، وأوهمه أنه يصير من قبله ، فلما حصل عنده قبض عليه وجعله في القلعة مُكرَّماً ، لأنه كان يُهوّل به على الروم .

قال أبو غالب همام بن المهذب : ورأيته أنا وقد خرج مبارك الدولة سنة ست[4] وله شَعْرَة ، والمصحف في حجره على السرج وهو يقرأ فيه .

ونقلت مَن خط يحيى بن علي بن عبد اللطيف بن زُريق المؤرخ : وفي سنة خمس وتسعين[5] ظهر رجل غازي مُتَزيّ بزي الفقراء ، ومعه خلق كثير من العرب يسمى أحمد بن الحسين أصفر تغلب ، ويعرف بالأصفر ، وتبعه

(*) بغية الطلب ٢/٦٩٨ ، ٧٠٠ . وظهر شخص أخر باسم الأصفر التغلبي .

(١) من الألقاب ذات المعاني والمضامين المهدوية .

(٢) باسيل الثاني .

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب ٢/٦٩٨ .

(٤) أي سنة (٣٩٦ هـ) .

(٥) أي سنة (٣٩٥ هـ) .

وصحبه رجل من العرب يعرف بالحملي ، وأسرى في جماعة من العرب ، وغيرهم ممن اجتمع عليه ، ولقي عسكر الروم فأخذه وكسره . . . وسار يريد أنطاكية نحو جسر الحديد ، فلقيه بطريق من بطارقة السقلاروس[1] في عسكر كان معه ، فقتل الحملي وانهزم الأصفر إلى بلد سَرُوج ، فانتهى إلى الماخسطرس[2] ، أن الأصفر ساكن في الجزيرة في ضيعة تعرف بكفر عزور[3] من عمل سَرُوج[4] وهي ضيعة كبيرة ولها سور[5] .

فقصده في عساكره وعبر الفرات ، نازل كفر عزوز ، وكان قد اجتمع إليها أكثر أهل تلك الأعمال لحصانتها ، وأقام ثمانية عشر يوماً وفتحها وأخذ منها اثنى عشر ألف أسير وغنائم كثيرة ، وحُرم الأصفر ، وهرب هو بالليل ، وكانت عرب بني نمير وكلاب اجتمعت مع وثاب[6] في زهاء ستة آلاف فارس ، فلقوا عسكر الروم وظفروا بهم ، وهرب الروم إلى أنطاكية ، وَجدّ الماخسطرس في طلب الأصفر والتمس من لؤلؤ أن يحمله إليه خوفاً من ارهاج المسلمين عليه ، وتوسط الحال بينهما على أن يأتي إلى حلب على أن يكون الأصفر في القلعة معتقلاً أبداً ، وحمله إليه في شعبان سنة سبع[7] وتسعين ، فقيده لؤلؤ واعتقله ولم يزل في القلعة إلى أن حصلت حلب للمغاربة[8] في سنة ست وأربعمائة[9] .

---

(١) لقب حاكم أنطاكية البيزنطي .
(٢) اللقب الذي حمله حاكم المقاطعة العسكرية ـ البند أو الثيم ـ في بيزنطة .
(٣) جاء في معجم البلدان ٤/ ٥٣٤ كفر عَزُون : موضع قرب سَرُوج من بلاد الجزيرة كان يأوي نصر بن شبث الشاري الذي خرج في أيام المأمون . وأعتقد بأنها هي المقصودة .
(٤) وهي بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر ، فتحها عياض بن غَنْم في سنة (١٧ هـ) في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال أبو حية النميري :
ولما رأى أجبال سنجار أعرضَتْ ... يَميناً وأجبالاً بهن سَرُوجُ
(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب ٢/ ٦٩٩ .
(٦) أمير نمير جد منيع بن شبيب الذي عاصر ثمال بن صالح بن مرداس . انظر زبدة الحلب : ١/ ٢٧٣ .
(٧) (سنة ٣٩٧ هـ) .
(٨) يريد بالمغاربة جند وعمال الخلافة الفاطمية .
(٩) بغية الطلب في تاريخ حلب ٢/ ٧٠٠ .

أحمدُ[*] بن رَشِيق التَّغلبي

هو أحمد بن رَشِيق التّغلبي مولَى لهم : من أهل بجانة ، يُكْنَى : أبا عمر .

قَرأ القرآن على أبي القاسم أحمد بن أبي الحصْن الجدلي .

وسَمع على المهلّب[١] بن أبي صُفْرَة .

وجلس إلى أبي الوليد بن ميغُل ، وشُوورَ في المرّية[٢] ، ونوظر عليه في الفقه وكان له حافظاً .

سَمِع منه أبو إسحاق بن وَرْدُون ، وأثنى عليه .

وتُوفِّي سنة ستٍ وأربعين وأربع مائة .

ذكره ابن مدبر .

* * *

(*) كتاب الصِّلة ١ / ٥٧ .

(١) المهلبُ بن أحمد بن أبي صُفْرة بن أسيد الأسدي من أهل المرّية يُكنى : أبا القاسم . توفي المهلب سنة ست وثلاثين وأربع مئة . (الصِّلة ٢ / ٥٩٢ ، ٥٩٣) ، وجاء في جمهرة أنساب العرب «» المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد . . . وولد المهلب نحو ثلاثمائة ولد ، أعقب منهم تسعة عشر ، وأعقابهم بالبصرة ، وفلسطين ، وفاس ، وإفريقية ، وفارس ، والسند ، وجرجان ـ وربما كان المذكور هنا من نسله .

(٢) المرية : بالأندلس ، مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة أربع وأربعين وثلثمائة . ووادي بجانة يعم بالسقي بساتين المرية . وبين بجانة والمرية خمسة أميال أو ستة أميال ، وكانت بجانة في القديم هي المدينة المشهورة قبل المرية ، فانتقل أهلها إلى المرية فعمرت وخربت بجانة ، ولم يبق منها الآن إلاّ آثار بنيانها ومسجد جامعها قائم بذاته ، وحول بجانة جنات وبساتين ومنتزهات وكروم . (الروض المعطار ٧٩ ـ ٥٣٧)

أحمد(*) بن عبد الرحمن التَّغلبي

هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صَاعِد بن وثيق بن عثمان التَّغلبي قاضي طُليطلة(١) ؛ يُكنى : أبا الوليد .

استقضاهُ المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة بعد أبي عُمر بن الجذّاء ، وكان أصله من قرطبة ورَوى بها عن أبي المطفرف بن فُطيس ، والقنازعي وغيرهما ، وكان مُجتهداً في قضائه متحرياً صَلباً في الحق ، صارماً في أُموره كلها ، متبركاً بالصالحين راغباً في لقائهم .

تُوفِّي قاضياً لخَمسٍ بقين من شهر رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

ذكر بعضه ابن مُطاهر . وكان مولده سنة خمس وثمانين وثلاث مائة « ٤٤٩ ـ ٣٨٥ = ٦٤ عاش » .

* * *

(*) كتاب الصلة ١/ ٥٩ .

(١) طُليطُلَة : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس . وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة ، وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم وعلى شاطىء نهر تاجه . وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس ، ومازالت في أيدي المسلمين منذ أيام الفتوح إلى أن ملكها الأفرنج في سنة (٤٧٧ هـ) وكان الذي سلمها إليهم يحيى بن يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر بالله . وكانت طليطلة تسمى مدينة الأملاك . (معجم البلدان ٤/ ٤٥) .

أحمد(*) بن عبد الله التَّغلبي

هو أحمد بن عبد الله ، أبي الحواري ، بن ميمون بن عياش بن الحارث ، أبو الحسن التَّغلبي الغطفاني .

الزاهد أحد الثقات . أصله من الكوفة وسكن دمشق . ولد سنة أربع وستين ومائة .

أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري من قدماء مشايخ الشام ، من أهل دمشق تكلم في علوم المحبة والمعاملات ، وصحب أبا سليمان الداراني ، وأخذ طريقة الزهد من أبيه أبي الحواري .

واسم أبي الحواري ميمون ، ويقال عبد الله بن ميمون . ولأحمد ابن يقال له عبد الله وكان من الزهاد أيضاً . كان أحمد بن أبي الحواري ، كريم الأخلاق ، وكان من كرم أخلاقه أنه كان لا يزن كسراً ولا يأخذ كسراً ، وإذا كان له درهم وكسر أخذ الدرهم ولم يأخذ الكسر ، وإذا كان عليه وزن درهم ونصف وزن درهمين(1) .

قال : وأحسن ما سمع منه : جاءه مولود ، ولم يكن له شيء من الدنيا . فقال لتلميذ له قد جاءنا البارحة مولود ، خذ لنا وزنة دقيق بنسيئة فقال تليمذه . والله إن هذه لمسبّة على علماء الشام وعقلائها إذ لا يفتقدون هذا الشيخ ، يجيئه مولود فلا يملك ثمن وزنة دقيق . قال : وكان بعض التجار قد وجّه متاعاً إلى مصر ، فنوى إن سلّمه الله في ذهابه ومجيئه أنّ لأحمد مئتي درهم صحاحاً . فلما جاء المولود جاء المتاع ، فدفع التاجر المئتي درهم إلى غلام له وقال : ادفعها إلى أحمد ، وقل له : إن سيدي نذر إن سلّم الله متاعه فلك فيه مئتا درهم ، وقد سلّمه الله عز وجل ، فقال تلميذه : الحمد لله قد فُرّج عن الشيخ ،

(*) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

(1) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٤٢ ، ١٤٣ .

فالدراهم بين يديه ، حتى جاءه رجل فقال : يا أحمد البارحة جاء مولود ، عندك من الدنيا شيء ؟

فرفع رأسه إلى السماء وقال : يا مولاي ، هكذا بالعجلة ودفع المئتي درهم إليه ، ثم قال لتلميذه : قم ويحكم جئنا بالدقيق[1] .

قال الحسن بن حَبيب : سمعت أبي يقول :

خرجت مع أحمد بن أبي الحواري إلى رباط بيروت ، فلم تزل الهدايا تجيئه من أول النهار إلى نصف النهار ، ثم أقامني ففرقها إلى ان غابت الشمس ، وقال لي : كن كذا يا حبيب لا تزد على الله ولا تدخر عنه ، فلما كان في الليل خرجت معه إلى سور البلد ، فسمع الحارس يقول : قل لزين الحنان : ردّ السلام ، فصاح وسقط ، وقال : قل لكل قلب يلحق حيث يشاء .

قال أحمد بن أبي الحواري :

صحبت أبا سليمان طول ما صحبته فما انتفعت بكلمة أقوى عليّ وأهدى لرشدي وأدلّ على الطريق من هذه الكلمة : قلت له في ابتداء أمري : أوصني . فقال : أمستوصٍ أنت ؟ قلت : إن شاء الله ، قال : خالف نفسك في كل مراد لها فإنها لأمارة بالسوء ، وإياك أن تحقر أحداً من المسلمين ، واجعل طاعة الله دثاراً والخوف منه شعاراً ، والإخلاص زاداً ، والصدق جُنة ، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها : إن من استحى من الله عز وجَلّ في كل أوقاته وأحواله وأفعاله بلغه إلى مقام الأولياء من عباده . قال : فجعلت هذه الكلمة أمامي ، ففي كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها[2] .

ورد كتاب المأمون على إسحاق بن يحيى بن معاذ ، وهو يومئذ والي

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٤ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٤٥ .

دمشق بمحنة أحمد بن أبي الحواري وعبد الله بن ذكوان بالقول بخلق القرآن ، وكانا على المسجد وكان ابن أبي دُواد يعرفهما ، فورد الكتاب على إسحاق ، ولهما منه منزلة ، فخفف عنهما في المحنة فأجاب عبد الله بن ذكوان وأبي أحمد بن أبي الحواري أن يجيب فحبس ، ثم وجه إلى امرأته وصبيانه ليأتوه ويبكوا عليه ليرجع عن رأيه ، وقيل له : ما في القرآن من الجبل والشجر مخلوق . وكان إسحاق مائلاً إليه فأجاب على هذا وكتب إسحاق باجابتهما[1] .

روى عن حفص بن غياث بسنده عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا مرض العبد أو سافر أُمر أن يُكتب له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ، وفي رواية أُخرى : كتب له مثل أجره وهو صحيح .

وكان الجُنيد يقول : أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام .

قال يحيى بن معين ـ وذكر أحمد بن أبي الحواري ـ فقال : أهل الشام يُمطَرون به[2] .

قال يوسف بن الحسين :

طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة ، فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه كلها إلى البحر فغرّقها ، وقال : يا علم ، لم أفعل بك هذا تهاوناً بك ولا استخفافاً بحقك . ولكني كنت أطلبك لأهتدي بك إلى ربي . فلما اهتديت بك إلى ربي استغنيت عنك .

قال يوسف بن الحسين :

كان بين أبي سليمان وأحمد بن أبي الحواري عقد لا يخالفه في شيء يأمره به ، فجاءه يوماً وهو يتكلم في مجلسه فقال : إن التنّور قد سجر فما تأمر ؟ فلم يجبه ، فقال مرتين ثلاثة ، فقال أبو سليمان اذهب فاقعد فيه ، كان ضاق به

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٤٢ .

قلبه . وتغافل أبو سليمان ساعة ثم ذكر فقال : اطلبوا أحمد فإنه في التنور لأنه على عقد ألاّ يخالفني ، فانظروا فإذا هو في التنور لم تحترق منه شعرة[1] .

قال عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري :

كنا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول قد مات ، ثم نسمع ضحكه حتى نقول قد جُنّ[2] .

قال أحمد بن أبي الحواري :

ـ لا دليل على الله سواه ، وإنما العلم يطلب لآداب الخدمة .

ـ علامة حب الله طاعة الله . وقيل : حب ذكر الله ، فإذا أحب الله العبد أحبه ، فلا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له ، وذلك حين عرف منه الاجتهاد في مرضاته .

ـ أفضل البكاء بكا العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة ، أو بكاء على ما سبق له من المخالفة .

ـ ما ابتلى الله عبداً بشيء أشدّ من الغفلة والقسوة .

ـ من عمل بلا اتباع سنة فباطلٌ عمله .

ـ من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه .

ـ من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه[3] .

مات سنة ست وأربعين ومائتين في جمادى الآخرة ، وقيل سنة خمس وأربعين ومائتين . وعمره اثنتان وثمانون سنة[4] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٣ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٤٤ .
(٣) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٤٥ ، ١٤٦ .
(٤) المرجع السابق نفسه ٣/ ١٤٧ .

أحمد[*] بن عمر بن الخطاب العدوي التَّغلبي

وهو من قادة تغلب وله مساعي خيرِّة في الصلح :

في سنة مائتين وقعت الفتنة بالموصل بين بني سامة وبني ثعلبة ، فاستجارت ثَعلبة بمحمد بن الحسين[١] الهَمداني ، وهو أخو علي بن الحسين ، أمير البلد ، فأمرهم بالخروج إلى البريّة ، ففعلوا ، فتبعهم بنو سامة في ألف رجل إلى العوجاء وحصروهم فيها ، فبلغ الخبر علياً ومحمداً ابني الحسين ، فأرسلا الرجال إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من بني سامة جماعة ، وأُسر جماعة ، منهم ومن بني تغلب ، وكانوا معهم ، فحُبسوا في البلد .

ثم إن أحمد بن عمر بن الخطّاب العدويَّ[٢] التَّغلبيَّ أتى محمداً وطلب إليه المسالمة ، فأجابه إلى ذلك ، وصلح الأمر ، وسكتت الفتنة[٣] .

وجاء في تاريخ الموصل :

فبينا محمد بن الحسن يوماً جالس إذ دخل عليه حاجبه فقال : أحمد بن عمرو بن الخطاب العدوي بالباب ولم يك في وقت تعود محمد بن الحسن أن يأتيه أحمد فيه ، فقام إليه محمد وأعظمه وعرف حقه ثم جلسا فتحدثا مَلّياً ، ثم قال محمد بن الحسن لأحمد بن عمر : ما لذي جاء بك ؟

قال قد جرى بيننا وبينكم ما لا أحبه ، فجميع من قتل منكم في هذه

(*) الكامل في التاريخ ٦/ ٣١٧ ـ تاريخ الموصل ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٦٦ .

(١) ورد في تاريخ الموصل « الحسن » .

(٢) كان بيت عمر بن الخطاب العدوي واحداً من ثلاثة بيوتات هامة كونتها قبيلة تغلب في الإسلام . « حاشية تاريخ الموصل ٣٢٦ » .

(٣) الكامل في التاريخ ٦/ ٣١٣ .

الحرب وغيرها فعليَّ القَوَدُ والديه ، وكذلك ما أخذ من بلدكم ، وجميع من قتل منا ومنكم أخِذَ مِنَّا أو الدماء فيه هدر والأموال تترك . فقال محمد : « ما تفعل شيئاً إلا فعلنا مثله وزدْنا أهدرنا كل دم ، وحللنا كل مال » وكان مع أحمد بن عمر خلق كثير من تغلب قد نزلوا دير الأعلى[1] ، فحمل إليهم الأموال والبر وأطلق الأسرى وخلع عليهم ، وحمل جميعهم وأُعطوا السلاح[2] .

ويتدخل أحمد بن عمر التغلبي بالقوة بين متحاربين ويفرض عليهم الصلح ، وحول ذلك جاء في تاريخ الموصل : من أخبار السيد وزريق : وافى زريق في عشرين ألفاً لمحاربة السيد فنزل بباجَبَّاري وكان السيد بالموصل يحاربه في الزواريق وغيرها ، فوافاهم أحمد بن عمر العدوي في أربعة آلاف فارس ، فنزل دير الأعلى فقال أنا جاركم ما كنتُ لأَتركْكم على هذه الحال ، وقد جئت لأصلح بينكم فإن قبلتم وإلاّ كنتُ مع المظلوم المبغي عليه ، فأراد أن يجمع بينهما في زورق فأبى صدقة أن يدخل معه في زورق ، فخرج السيد من الموصل وعبر دجلة ونزل على الشط ، ووافى زريق فاجتمعا واصطلحا[3] .

* * *

(١) الديارات ٦/ ١١ .
(٢) تاريخ الموصل ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
(٣) المصدر السابق نفسه ٣٦٦ .

أحمد(*) بن محمد التَّغلبي

هو أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حَمْدين التَّغلبي قاضي الجماعة بقُرْطبة[1] ؛ يُكْنَى : أبا القاسم .

أخذ عن أبيه وتفقه عنده ، وسمع من أبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه ، وأبي علي الغساني ، وأبي القاسم بن مُدير المقرىء وغيرهم ، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين ، وكان نافذاً في أحكامه ، جزلاً في أفعاله ، وهو من بيت علم ودين وفضل وجَلالة ، ولم يزل يتولى القضاء بقرطبة إلى أن تُوفي عشى يوم الأربعاء ودفن عشى يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . ودفن بالرَّبض[2] وصلى عليه ابنه أبو عبد الله . وكانت من علة خَدْر طاوَلتْه إلى أن قضى نَحْبَهُ منها في التاريخ المذكور .

ومولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

« ٤٧٢ ـ ٥٢١ هـ = ٤٩ سنة عاش » .

* * *

(*) كتاب الصلة ١/ ٨١ .

(١) قُرْطُبة : قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر . « الروض المعطار ٤٥٦ » .

(٢) الرَّبض : ربض قُرْطُبَة ، محلة بها . « معجم البلدان ٣/ ٢٩ » .

أَحمد(*) بن محمد التَّغلبي ـ ابن حمدين

أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي(١) ، المعروف بابن حمدين : قاض ، من أمراء الأندلس أيام ملوك الطوائف . نزل جده « الداخل » في بلج وكثرت ذريته في باغة(٢) .

ولي القضاء بعد أخ له بقرطبة سنة « ٥٢٩ هـ » وعزل . ثم أعيد سنة « ٥٣٦ هـ » وثار أهل البلد على الوالي « اللمتوني » وخلعوا طاعة « الملثمين » واتفقوا على مبايعة القاضي ابن حمدين بجامع قرطبة ، فسكن قصر الخلافة وتسمى بأمير المسملين وناصر الدين سنة « ٥٣٩ هـ » وهاجمه أحد بني هود ولم يفلح ، فاستمر احدى عشر شهراً يدون الدواوين ويجند الأجناد .

وتحرك إليه ابن غانية يحيى بن علي من اشبيلية فاقتتلا في جهات استجه(٣) وانهزم ابن حمدين سنة « ٥٤٠ هـ » فاحتل ابن غانية قرطبة ، وساءت خاتمة ابن حمدين ، فاستنجد بالافرنج ، فأقبلوا وحاصروا ابن غانية ثم هادنوا على مال أداه إليهم ، وبلاد تركها لهم ، وعاد ابن حمدين خائباً وتوفي بمالقة(٤) .

* * *

(*) الأعلام ١/ ٢١٥ عن أعمال الأعلام ٢٩٠ ـ ٢٩٢ وفيه أن الموحدين لما استولوا على مالقة نبشوا قبره وصلبوه وهو بحالة لم يتغير بعد عشرين شهراً .

(١) ورد في كتاب الصلة ١/ ١٨ أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي ـ ولد سنة « ٤٧٢ ـ وتوفي سنة ٥٢١ » . انظر ترجمته في هذا الكتاب لكي لا يقع الالتباس بين الاسمين .

(٢) باغة : مدينة بالأندلس من كورة إلبيرة بين المغرب والقبلة منها ، وفي قبلى قرطبة منحرفة عنها يسيراً وبين باغة وقرطبة خمسون ميلاً (معجم البلدان ١/ ٣٨٧) .

(٣) استجه : بين القبلة والمغرب من قرطبة ، بينهما مرحلة كاملة وهي مدينة قديمة لم يزل أهلها في جاهلية واسلام على انحراف وخروج عن الطاعة . «الروض المعطار ٥٣» .

(٤) مَالَقَةُ : مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَيّة سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضرا والمرية قال الحميدي : هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق . « معجم البلدان ٥/ ٥٢ » .

أحمد[*] بن يُوسف التَّغلبي

هو أبو عبد الله أحمد بن يوسف بن خالد بن سليمان بن يزيد بن داره بن سنان بن طارق . . . . التغلبي .

حدَّث عن سليمان بن حرب ، ومسلم بن إبراهيم ، وعفان بن مسلم ، ومحمد بن سابق ، ورويم بن يزيد ، وأحمد بن عمران الأخنسي ، وأحمد بن أبي نافع الموصلي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، والمسيب بن واضح .

روى عنه : أبو عبد الله نفطويه النحوي ، ومحمد بن مخلد ، ومحمد بن أحمد الحكيمي ، وأبو عمرو بن السماك ، ومكرم بن أحمد القاضي وغيرهم .

. . . عن أبي العباس بن سعيد قال سمعت عبد الرحمن بن يوسف يقول : أحمد بن يوسف التَّغلبي ثقة مأمون . قال : وسمعت عبد الله بن أحمد يقول : أحمد بن يوسف التَّغلبي ثقة[1] .

وجاء عنه أيضاً :

حدَّث عن هشام بن عمار بسنده عن علي رضي الله عنه قال :

لَعَنَ رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله وكاتبه ، والواشمة والمستوشمة ، والمستحل والمستحل له ومانع الصدقة .

وفي رواية غيره :

(*) سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٦ ـ تهذيب ابن بدران ٢/١٢٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ٣/٣٢٩ . وتاريخ بغداد ٥/٢١٨ وجاء نسبه فيه طويلاً .

(١) تاريخ بغداد ٥/٢١٨ .

لَعنَ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه[1] .

مات أبو عبد الله أحمد بن يوسف بن خالد التَّغلبي الأحول صاحب أبي عبيد في جمادى الآخرة من سنة ثلاث وسبعين ومائتين . وقيل أول يوم من رجب[2] .

* * *

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٩ ، ٣٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٦ .

إسْحَاق[*] بن أَيوب التَّغلبي

إسْحَاق بن أَيّوب بن أحمد بن عُمر بن الخطَّاب العدويُّ التَّغلبي .

من القادة الشجعان هو وشقيقه الحسن بن أيوب ولقد كان لكل منهما دوره البارز في الحياة السياسية وطموحاتهم كبيرة فأحياناً ربما كانت لأحدهم مواقف سلبية ضد السلطان لأن المناخ السياسي كان مضطرباً وقلقاً ؟

في سنة ستين ومائتين وفي عهد الخليفة المعتمد على الله استعمل أساتكين على الموصل إسحاق بن أيوب التَّغلبي فخرج في جمع يبلغون عشرين ألفاً ، منهم حمدان بن حمدون التَّغلبي وغيره فنزل عند الدير الأعلى ، فقاتله أهل الموصل ومنعوه . ثم دخل المدينة ثم أُخرج منها بالقوة[1] .

وفي سنة ستة وستين ومائتين كانت فيها بين إسحاق بن كُنْدَاجيق واسحاق بن أيوب وقعة هَزم فيها كُنداجيق إسحاق بن أيوب ، فألحق بنصيبين ، وأخذ ما في عسكره ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وتبعه ابن كُنداجيق ، وصار إلى نَصيبين ، فدخلها ، وهرب إسحاق بن أيوب منه واستنجد عليه عيسىٰ بن الشيخ وهو بآمد وأبا المَغراء بن موسى بن زرارة ، وهو بأَرْزَن ، فتظاهروا على ابن كُنْداجيق ، وبعث السلطان إلى ابن كُنْداجيق بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينية مع يوسف بن يعقوب ، فخلع عليه ، فبعثوا يطلبون الصلح ، ويبذلون له مالاً على أن يقرهم في أعمالهم[2] .

وفي سنة سبع وستين ومائتين وفي شهر رمضان كانت وقعة بين إسحاق بن

(*) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٠ ، ٣٣٣ ، ٣٦٢ ، ٤٦٩ ، ٥٠٨ تاريخ الموصل ٨٨ ، طبري ٩/ ٥٥٣ ، ٥٨٧ ، ١٠/ ٣٩ ، ٧٦ .

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٥٥٣ .

كُنْدَاج وإسحاق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراء وحمدون الشاري ، ومن تأشب إليهم من قبائل ربيعة وتغلب وبكر واليمن فهزمهم ابن كُنداج إلى نَصيبين وتبعهم إلى قريب من آمد ، واحتوى على أموالهم ونزلوا آمد فكانت بينه وبينهم وقعات[١] .

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين كتب المعتضد إلى إسحاق بن أيّوب . وحمدان بن حمدون ، بالمسير إليه وهو في الموصل ، فبادر إسحاق ، وتحصن حمدان بقلاعه ، وأودع أمواله وحُرمه ، فسيّر المعتضد الجيوش نحوه مع وصيف موشكير ونصر القشوريّ ، وغيرهما ، فصادفوا الحسن بن علي كورة وأصحابه متحصنين بموضع يعرف بد الزعفران من أرض الموصل[٢] .

وفي سنة سبع وثمانين ومائتين مات إسحاق بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدويُّ عدي ربيعة ، أمير ديار ربيعة من بلاد الجزيرة[٣] .

* * *

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٥٨٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٦٩ .

(٣) تاريخ الطبري ١٠/ ٧٦ ، والكامل في التاريخ ٧/ ٥٠٨ .

أسماء(*) بنت عماد التَّغلبية

هي أسماء بنت محمد بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن ، الشيخة الصالحة أم محمد بنت الشيخ عماد الدين بن صَصْرَى ، أخت قاضي القضاة نجم الدين[1] .

وجاء : هي أسماء بنت عماد الدين محمد بن سالم بن الحافظ أبي المواهب ابن صَصْرَى أمّ محمد التَّغلبية الدمشقية زوجة ابن عمها الصاحب جمال الدين وأخت قاضي القضاة نجم الدين[2] .

سمعت من السيد مكي بن علّان ، وهو عمّ جدّها للأم ، خمسة أجزاء ، وهي الأول والثاني من (بغية المستفيد) لابن عساكر ، و(مجلس في فضل رمضان) ، من (أماليه) ، وحديث إسحاق بن راهويه ، ونسخه أبي مسهر ، وحدّثت بها مرات وتفرَّدت بثلاثة منها ، وهي الثاني من (البغية) و (المجلس) وحديث إسحاق بن راهويه .

قال شيخنا البرزالي : ولم يقع لنا من روايتها سوى الأجزاء الخمسة المذكورة .

قال : قرأت عليها مجلس شهر رمضان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، وقرأت عليها قبل موتها بأربعة أيام ، فبين التاريخين أكثر من خمسين سنة .

وكانت امرأة مباركة متيقظة ، كثيرة البر والصدقة والمعروف ، أُصيبت بأولادها ، وأولاد أولادها ، وأقاربها ، وحجَّت مرات ، وأنفقت كثيراً من مالها في الطاعات ووقفت وقوفاً . ولم يكن بقي من أعيان البلد ورواة الحديث أسنّ

(*) شذرات الذهب ٨/ ١٨٤ ، الوافي بالوفيات ٩/ ٥٨، أعيان العصر وأعوان النصر ١/ ٤٩١ .

(١) أعيان العصر ١/ ٤٩١ .

(٢) الوافي بالوفيات ٩/ ٥٨ .

منها، وكانت تقرأ القرآن في المصحف، ولها أوراد وسُبح، تذكر الله عليها[1].

ويقول صاحب الوافي بالوفيات: وأجازت لي في سنة تسع وعشرين وسبعمائة بدمشق، وكتب عنها بإذنها عبدُ الله بن المُحبّ[2].

ومولدها في آخر سنة ثمان وثلاثين وست مائة.

وتوفيت رحمها الله تعالى - يوم الاثنين - حادي عشر الحجة، سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ودفنت بجبل قاسيون[3].

* * *

(١) أعيان العصر ١/ ٤٩١.
(٢) الوافي بالوفيات ٩/ ٥٨.
(٣) أعيان العصر ١/ ٤٩١.

الأصْفَرُ(*) التَّغلبي

في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ظهر الأصفر التَّغلبي برأسِ عينٍ ، وادّعى أنه من المذكورين في الكتب ، واستغوى قوماً بمخاريق وضعها ، وجمع جمعاً وغزا نواحي الروم ، فظفر وغنم وعاد ، وظهر حديثه ، وقوي ناموسه ، وعاودوا الغَزْوَ في عددٍ أكثر من العدد الأوّل ، ودخل نواحي الروم وأوغل ، وغنم أضعاف ما غنمه أوّلاً ، حتى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البخس .

وتسامع الناس به فقصدوه ، وكثر جمعه ، واشتدت شوكته ، وثقلت على الروم وطأته ، فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان يقول له : إنّك عالمٌ بما بيننا من الموادعة ، وقد فعل هذا الرجل هذه الأفاعيل ، فإن كنت قد رجعتَ عن المهادنة فعرفنا لندبر أمرنا بحبسه .

واتفق ، في ذلك الوقت ، أن وصل رسول من الأصفر إلى نصر الدولة أيضاً ، يُنكر عليه ترك الغزو والميل إلى الدَّعة ، فساءه ذلك أيضاً ، واستدعى قوماً من بني نُمير وقال لهم : إن هذا الرجل قد أثار علينا الروم ، ولا قدرة لنا عليهم ، وبذل لهم أموالاً على الفتك به ، فساروا إليه ، فقربهم ، ولازموه ، فركب يوماً غير متحرز ، فأبعدوهم معه ، فعطفوا عليه وأخذوا وحملوه إلى نصر الدولة بن مروان ، فاعتقله ، وتلافى أمر الروم .

* * *

(*) الكامل في التاريخ ٩/ ٥٤٠ ـ وهناك ترجمة إلى أحمد بن الحسين الجزوي التغلبي المعروف بالأصفر. دخل حلب سنة (٣٩٥ هـ). واعتقل في قلعة حلب سنة (٤٠٦ هـ) بينما ظهر صاحب هذه الترجمة في سنة (٤٣٩ هـ) ويظهر أنه شخصٌ آخر.

الأَعْوَرُ(*) بنُ بَنان التَّغْلبي والأخطل

دعا الأعورُ[1] بنُ بَنان التَّغلبي الأخطل[2] الشاعر إلى منزله ، فأدخله بيتاً قد نُجّد بالفُرش الشريفة والوطاء العجيب ، وله امرأة تُسمى بَرَّة[3] ، في غايةِ الحسن والجمال ، فقال له : أبا مالك ، إنك رجل تدخل على الملوك في مجالسهم ، فهل ترى في بيتي عَيباً ؟

فقال له : ما أرى في بيتك عيباً غيرك .

فقال له : إنّما أعجب من نفسي إذ كُنت أُدخل مثلك بيتي ، أخرج عليك لعنة الله[4] .

وورد في الديوان : هذا رجل من بني تغلب ، من أشراف الكوفة ، وكان دميماً ، وكانت بَرَّةُ امرأته من أجمل النساء ، فدعا الأخطل فغداه وسقاه ، وأجْلسَ معه برّة . فلما أراد أن ينصرف سأله عمّا رأى من طعامه وشرابه وَهيّأته : هل رأى عَيباً ؟

فقال له : ما رأيت في منزل عيباً غيركَ .

فقال : لستُ أعجبُ يا بن النَّصرانية ، إنّما أعجب من نفس .

وقال الأخطل :

وكيفَ يُداويني الطَّبيبُ من الجوى وبَــرَّةُ عنــدَ الأَعــورِ بــن بَيــانِ[5]

(*) العقد الفريد ٥/ ٣٨٦ ، ديوان الأخطل ١/ ٢٩٢ .

(١) الأعور هو سعيد بن بنان .

(٢) غياث بن غوث التغلبي الشاعر .

(٣) هي برة بنت أبي هانىء التغلبي .

(٤) العقد الفريد ٥/ ٣٨٦ .

(٥) الجوى : شدة الوجد من عشق أو حزن . وفي العقد « بَنان » .

أَيَجْعَلُ بَطناً مُنْتِنَ الرِّيحِ ، مُقْفِراً[1] على[2] بَطْنِ خَوْدٍ ، دائم الخَفَقانِ
يُنَهْنِهُنـي الحُـرّاسُ عَنهـا ، ولَيْتَنـي قَطَعْـتُ إليهـا اللَّيـلَ بـالـرَّسَفـانِ[3]
فهـلاّ زَجَـرْتَ الطيـرَّ لَيلـةَ جئتَـهُ بضَيْقَـةِ بيـن النَّجْـمِ والـدَّبَـرانِ[4]
أَبى القلبُ أن يَنسى ، على ما يَشُقُّهُ قَـواتلَـهُ ، مـن سـالـمٍ ، وأَبـانِ[5]
إذا قلتُ: أَنْسَى ذِكرَهُنَّ تَعَرَّضَتْ حَبائلُ أُخرى ، من بني الجَلَفانِ[6]
خَليلـيَّ ، ليـس الـرّأي أَن تَـذَرانـي بِـدَوِّيَّـةٍ ، يَعْـوِي بهـا الصَّـديَـان[7]
وأَرَّقَني ، مِن بَعْدِ ما نِمْتُ نَوْمةً وعَضْبٌ، جَلَتْ عَنهُ القُيونُ، بطاني[8]

* * *

(١) في العقد جاء صدر البيت : « ويُلصق بَطْناً مُنتن الريح مُجرزاً » .
(٢) إلى . والمقفر الموحش الذي لا لحم عليه . والخود : الشابة الحسنة ، وأراد بالخفقان الترجرج .
(٣) ينهنه : يدفع ويكف . رَسَف يرَسِفُ رَسفاً ، ورَسِيفاً ، ورَسَفاناً : مشى مَشْي المقيد « القاموس » .
(٤) يخاطب نفسه . وزجرت الطير : انتهرتها لتعرف من طيرانها الفأل أخير هو أم شر . والنجم : الثريا . والدبران : نجم معروف . ويروى البيت بخطاب الأنثى ، وهو أجود .
(٥) يَشُقُّهُ : يؤذيه ويبلغ منه . و« سالم » من النَّمر بن فاسط . و« أبان » من بني ثعلبة . خ : أبان من بني تغلب .
(٦) الحبائل (ج) حبالة . بني الجلفان من ثعلبة أيضاً .
(٧) الدَوّيّة : الفلاة الواسعة الأطراف . الصَّديان : الهام والبوم .
(٨) وعَضبٌ : العضب : السيف القاطع . والقيون : الحدادون . وبطاني : تحت خصري . ديوان الأخطل ١/ ٢٩٢ ـ صنعة السكري ـ والقصيدة طويلة .

الأَغَرُّ(*) بن مطرة التَّغلبيُّ

في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة في شهر شعبان خرج بأرض الموصل خارجيٌّ اسمه الأغر بن مطرة التَّغلبي وكان يذكر أنه من ولد عتَّاب بن كلثوم التَّغلبي أخي عمرو بن كلثوم الشاعر وكان خروجه بنواحي رأس العين[1] ، وقصد كفرتوثا[2] وقد اجتمع معه نحو ألفَيْ رجل ، فدخلها ونهبها وقتل فيها .

وسارإلى نَصِيبين[3] ، فنزل بالقرب منها ، فخرج إليه واليها ومعه جمع من الجند ومن العامة ، فقاتلوه ، فقتل الشاريُّ منهم مائة رجل ، وأسر ألف رجل ، فباعهم نفوسهم ، وصالحه أهل نصيبين على أربعمائة ألف درهم .

وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان ، وهو أمير ديار ربيعة ، فسيّر إليه جيشاً فقاتلوه ، فظفروا به وأسروه ، وسيّره ناصر الدولة إلى بغداد .

* * *

(*) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٢١ . وردت نسبته الثعلبي . والصح (التغلبي) .

(١) هي مدينة كبيرة مشهورة من مُدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودُنيسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً وقريب من ذلك بينها وبين حران ، وهي إلى دُنيسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ ، وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور . معجم البلدان (٣/ ١٥) .

(٢) قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ ، وهي بين دارا ورأس العين . (معجم البلدان ٤/ ٥٣٢) وجاء عنها في الروض المعطار ٤٩٩ ـ كفر توثا من كور نصيبين من ديار ربيعة ، فتحها عياض بن غنم ، ولها حصن قديم ، وهي مدينة سورها لبن وبها منبر ، وبها نهر خارج عن المدينة وآبار عذبة .

(٣) وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام ، وبينها وبين الموصل ستة أيام (معجم البلدان ٥/ ٢٣٣) .

امرأةٌ[*] من تَغْلِب

قال عمير بن الحُباب[1] ، وروى عنه مِسْعَرٌ[2] : ما أغَرْتُ على حيٍّ في الجاهلية أحزمَ امرأةً ولا أعجز رجلاً ولا أحزمَ رجلاً ولا أعجز امرأةً من تغلب .

قال : وقامت امرأة من تغلب إلى الجَحَّاف بن حكيم[3] حين أوقع بالبِشر ، فَقَتل الرِّجال ، وبقر بطون النِّساء ، فقالت[4] له : « فضَّ الله فاكَ ، وأَصمَّكَ وأَعماك ، وأَطالَ سهادك ، وأَقَلَّ رقادك ؛ فوالله إن قتلتَ إلاَّ نساءً أَسافلهنّ دُمِيّ[5] ، وأعاليهن ثُدِيّ » .

فقال الجحاف لمن حوله : « لولا أن تلد مثلها لَخَلَّيتُ سبيلَها » . فبلغ ذلك الحسنَ فقال : « إنَّما الجحَّاف جَذْوةٌ من نار جهنم »[6] .

* * *

(*) البيان والتبيين ١/ ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(١) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامي قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزباني ٢٤٥ . والأغاني ١١/ ٥٥ ، ٦٠ . وإياه يعني الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

(٢) هو مِسعر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام . بن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي ، ثقة ثبت فاضل ، توفي سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . المعارف ٢١١ ، الفهرست ٢٨٧ .

(٣) الجحاف بن حكيم السلمي ، قاد قومه ، وأغار على بني تغلب بموضع يُسمى البشر ، بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر العمدة (٢/ ١٦٧) . وأمثال الميداني (٢/ ٣٣٥ ، ٣٧٦) .

(٤) في الأغاني ١٩/ ١٢٩ ، ١٣٠ ، وأمثال الميداني ١/ ٣٦٠ فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمر بن هند في خير طويل .

(٥) دُمي بضم الدال وكسر الميم وتشديد الياء : جمع دم ، انظر اللسان . (البيان والتبيين ١/ ٤٠١) ، الحواشي .

(٦) البيان والتبيين ١/ ٤٠٠ ، ٤٠١ .

بشرْ[*] بن قيس التَّغلبي

هو بِشْر بن قيس والدُ قيس بن بشر التّغلبي من أهل قِنَّسْرين[1] ، جالس أبا الدرداء بدمشق . فسمع منه ومن معاوية بن أبي سفيان وغيرهم .

حدَّث بِشْرُ بن قيس قال :

كان بدمشق رجلٌ يقال له ابنُ الحَنْظليَّة ، متوحِّداً لا يكادُ يُكلِّمُ أحداً ، إنما هو في صلاة ، فإذا فرغ يُسبِّحُ ويكبِّر ويهلِّلُ حتى يرجع إلى أهله .

قال : فمرَّ علينا ذات يوم ونحن عند أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : كلمة منك تنفعنا ولا تضرُّك ؟

قال : بَعَثَنا رسول الله ﷺ في سرِّية ، فلما قدمنا جلس رجل منهم في مجلس فيه رسول الله ﷺ وقال : يا فلان لو رأيتَ فلاناً طَعن ثم قال : خذها وأنا الغلام الغفاري ، فما ترى ؟ قال : ما أراه إلاّ قد حَبِط أجْرُه .

قال : فتكلَّموا في ذلك حتى سمع النبي ﷺ أصواتهم فقال : « بَلْ يُحمَدُ ويُؤجر » .

قال : فسُرَّ بذلك أبو الدرداء حتى أن يجثُوَا على ركبَتيه ، فقال : أنت سمعته مراراً ؟ قال : نعم ، قال : ثم مرَّ علينا يوماً آخر فقال له أبو الدرداء : كلمة تنفعنا ولا تضرُّك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نِعْمَ الرجل خُريم الأسدي ، لو قصَّ شَعرهُ وشمرَ إزاره . فبلغ ذلك خُريماً ، فعجل فأخذ الشفرة فقصَّ من جُمَّته ورفع إزراه إلى أنصاف ساقيه . قال : فدخلت على معاوية ،

(*) مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٢١٢ ، ٢١٣ .

(١) قنسرين : وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ، وقيل أنه كان خراب قنسرين سنة (٣٥٥ هـ) قبل موت سيف الدولة (معجم البلدان ٤/ ٤٥٨) .

فرأيتُ رجلاً معه على السرير ، شَعْرهُ فوق أُذنَيْه مؤتزراً إلى أنصاف ساقيه . قلت : من هذا ؟ قالوا : خُريم الأسدي . قال : ثم مرَّ علينا يوماً آخر فقال أبو الدرداء : كلمة منك تنفعُنا ولا تضرُّك ؟ قال : نعم ، كنا مع رسول الله ﷺ فقال لنا : إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رِحالكُمْ ولِباسَكُمْ ، حتى تكونوا في الناس كأنَّكُم شامة ، فإن الله لا يحبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ[1] .

* * *

(١) مختصر تاريخ دمشق ٥/٢١٢ ، ٢١٣ .

بَكرُ[*] بن عُمر التَّغلبي

هو أبو السجاد بكر بن عمر بن يحيى الفرساني التَّغلبي .

كان فقيهاً كبيراً عارفاً ورعاً زاهداً . من الأكابر المشهورين علماً وعملاً ، وكانت له كرامات ظاهرة ، منها أنه فتح طريق الحج إلى مكة المُشَرَّفة ، وكان الحج قد انقطع في البر في تلك المدة ، وعميت الطريق ، وعدم عارفوها ، فافتتحها الفقيه المذكور وجعل يتردد فيها بالقوافل عدة سنين ، ولا يقدر أحد أن ينالهم بمكروه من العرب وغيرهم ببركته ، وكان الفقيه سالكاً طريق السلف ، وكان كثير المواصلة للعلماء كالفقيه موسى الهاملي والفقيه إبراهيم الشيباني وغيرهما . قال الجندي : بلغه أن قومه الفرسانين إنما غصبوا أرض مورع غصباً ، فشق عليه وجود الطعام الحلال ، فكان يجتلبه من الأماكن البعيدة ، فلما طال عليه ذلك قصد موضعاً مباحاً إباحة شرعية ، وعمره وازدرعه لنفسه ، فكان يتحصل له منه ما يقوم بكفاية عياله ودرسته والوافدين إليه وغيرهم .

قال : وقد مررت عند أرضه هذه فرأيتها في موضع لا يمكن أنه كان مملوكاً لأحد وإنما كانت عمارة الفقيه لها إلهاماً من الله تعالى .

وكانت وفاة الفقيه بكر على أحسن حال في صدر المائة السابعة وقبره يماني قريته مشهور يزار ويتبرك به[١] .

* * *

(*) طبقات الخواص ـ أهل الصدق والإخلاص ـ يبحث في مناقب الصوفية من أهل اليمن دون غيرهم ـ وعليه يكون صاحب الترجمة يماني .

(١) طبقات الخواص ـ ١١٦ ـ ١١٧ .

جِدارُ(*) بن عَبَّاد التَّغلبي

هو جِدار بن عَبّاد بن شِبْر بن أَرطاة بن ربيعة بن الحارث بن بُعْد بن عُتبة بن سَعدٍ التَّغلبي وهو من العُتَبِ : عُتْبَةُ وعُتَيْبَةُ وعِتْبانُ .

الأخطل الشاعر التَّغلبي يمدح جدار التَّغلبي ويكشف عن مزاياه الحميدة ، الكرم ، والشجاعة ، والمروءة وهو رجل الشدائد والأيام الصعبة ، ومن توفرت به هذه الصفات فهو من رجالات القبيلة المعدودين ومحط أنظار الشعراء ، يمدحونهم ويتقربون إليهم وينالون اعطياتهم .

والقصيدة طويلة أختار بعضاً منها :

لَعَمْـرُ أبـي ، لئـن قـومٌ أضـاعـوا ... لَنِعْـمَ أَخُـو الحِفـاظِ ، لَنـا ، جِـدارُ

حَمَـانـا حيـنَ أَعْـوَزْنـا ، وخِفْنـا ... وأَطْعَـمَ حيـنَ يُتَّبَـعُ القُتـارُ[1]

فـأَوْقَـدَ نـارَ مكْـرُمَـةٍ ، ومَجْـدٍ ... فلـم تُـوقَـدْ مع الجُشَمـيِّ ، نـارُ[2]

وأَطْعَـمَ أَشْهُـرَ الشهبـاءِ ، حتّـى ... تَضَـرَّجَ عـن مَنـابتـهِ الحسـارُ[3]

فـإِذْ دَرَّتْ بِكفِّـكَ ، فـاحْتَلبهـا ... ولا تَـكُ دِرَّةً ، فيهـا غِـرَارُ[4]

وأَمسِـكْ عنـكَ بـالطَّـرفَيْـنِ ، حتّـى ... تَبَيَّـنَ : أيـنَ يَصْـرفُـكَ المَغَـارُ[5]

(*) ديوان الأخطل ١/٢٧٨ ، ٢٨٠ ولم أجد له ترجمة في المراجع المتوفرة لدي .

(١) المُعْور : الضائع بغير مَحلٍّ ، منعه . ويُروى : « أعْوَزْنا » و« الأعواز » الفقر . والقتار : ريح اللحم المشوي .

(٢) الجشمي : المنسوب إلى جشم وهو من تغلب .

(٣) الشهباء : السنة شديدة القحط والجد . والحسار : البَقْلُ . وتَضَرُّجُهُ : انشقاق الأرض عنه . ويروى : تَصَوَّحَ : أي يَبِس .

(٤) يقول : إذْ دَرَّت المكارم بيدك فأمكنتك فالزمها ولا تُقصِّرْ فَتُغارَّ فتنقطع . وهذا مثل كما تُغارُّ الناقة فينقطع لبنُها . والغرار : ذهاب اللبن لحدث أو علة بعد دنو الدرة .

(٥) أي : الموت هنا . أي بطرفَيْ هذه المكرمة .

فــإنَّ عَــواقِــبَ الأيّــامِ تُخْشَــى — دَوائِــرُهــا ، وتَنْتَقِــلُ الــدّيــارُ
وقــد عَلِــمَ النّسِــاءُ ، إذا التقينــا — وهُـــنَّ وراءنـــا ، أنّـــا نَغـــارُ
تَــرَبَّعْنــا الجــزيــرةَ بَعْــدَ قَيْــسٍ — فأضحَتْ ، وهي مِنْ قيْسٍ قِفارُ[1]
يُــزَجُّــونَ الحَميْــرَ بــأرضِ نَجْــدٍ — ومـالَهُـمُ ، مِـنَ الأمرِ ، الخِيارُ[2]
رأَو ثَغْــرا ، تُحِيــطُ بــهِ المنــايــا — وأكْبَـدَ ، مـا تُغَيِّـرُهُ ، الغِيـارُ[3]
وأولادُ الصَّــريــحِ ، مُسَــوَّمــاتٍ ، — عليهـا الأُزْدُ ، غُضْفـاً ، والنِّمـارُ[4]
شَوازِبَ ، كالقنا ، قد كان فيها — من الغاراتِ ، والغَزْوِ ، اقوِرارُ[5]
ذَوابِــلَ ، كــلَّ سَلْهَبَــةٍ ، خَنُــوفٍ — وأَجْــرَدَ ، مــا يُثَبِّطُــهُ الخَبــارُ[6]

* * *

(١) تربعنا الجزيرة : نزلنا فيها وأقمنا . ديوان الأخطل ١/٢٧٨ ، ٢٨٠ .
(٢) يزجون : يسوقون على خوف .
(٣) الثغر : الموضع المخوف من العدو . والأكبد : الحصن الضخم يدرك كبد السماء . غِيَرُ الدهر ويفسر الغيار . ويروى : «رأوا حِصْناً» و«الحِصْنُ» : الضَّخْم . وإنما أراد جمعا ، وحصنهم السيوف .
(٤) الصريح : فحل تنسب إليه النجائب من الخيل . والمسومات التي عليها علامات لكرمها . والأزد : الأُسد ، جمع أسد . وأراد بني أسد بن ربيعة . والغضف : جمع أغضف وهو الكثير الوبر المتثني الجلد . والنمار : جمع نمر . وأراد بني النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى . وهم من ربيعة .
(٥) الشوازب : جمع شازبة وهي الضامرة . والاقورار : الضمور والتغير .
(٦) الذوابل : جمع ذابلة وهي الضامرة . والسلهبة : الخفيفة السريعة . والخنوف : السريعة . قلب اليدين وقلعهما من الأرض . والأجرد : القصير الشعر . والخبار : ما لان من الأرض فساخت فيه القوائم . ديوان الأخطل ١/٢٧٨ ، ٢٨٠ ـ صنعة السكري ـ .

جلْوانُ(*) التغلبي

لمّا هَرب مَصْقلة بن هُبيرة من عليّ عليه السلام بقي معه أَخ له يقال له : نعيم بن هُبيرة ، فكتب مصقلة إلى أخيه مع رَجُلٍ من بني تغلب نصراني « اسمه : جَلوان » يدعوه إلى مُعاوية ، فظهر عليّ عليه السلام على جَلْوَان ، ورفع إليه أَنه يتجسَّسُ ، فأَمر به فقطعت يده فمات ، فقال نعيم بن هُبيرة :

لا تـأَمنـنَّ ـ هَـدَاكَ اللهُ ـ عَـنْ ثِقَـةٍ ... رَيْـبَ الـزَّمـانِ ولا تَبْعَـثْ كَجَلْـوانَـا

مـاذا أَرَدْتَ إِلـى إرسـالـهِ سَفَهـاً ... يَرْجُو سِقَاطَ امْرِىءٍ ما كان خَوَّانا

عَـرَّضتَـهُ لِعَلـيٍّ إِنَّـهُ أَسَـدٌ ... يَمْشي العِرَضْنَةَ مـن آساد خَفَّـانَـا

فـالآن يكثـرُ قَـرْعُ السِّـنِّ مـن نَـدَمٍ ... ماذا تقُولُ ، وقد كان الَّذي كانا !

وظلْـتَ يُبْغضُـك الأحيـاءُ قـاطبـةً ... لَـمْ يـرفـع الله بـالبَغْضـاءِ إنسـانـا

وقالت بنو تَغْلب لمصْقَلة ، حين بلغه فِعل عليٍّ عليه السلام ، بَجْلوان : عرَّضت صاحبنا للقتل ، فوداه .

ثم إن معاوية بعد ذلك ولَّى مَصْقلة طبرستان ، وبعثه في جيش عظيم ، فأخذ عليه العَدُوُّ المضايق ، فهلك هو وجيشه ، فقيل في المثل « حتى يرجع مصقلة من طبرستان » .

* * *

(*) كتاب الإيناس بعلم الأنساب ٤٨ ، ٤٩ .

جَميلة[*] المَوْصليَّةُ

هي جميلة الموصلية بنت نصار الدَّولة أبي محمد بن حمدان أُخت أبي تَغْلب .

جاء في ثمار القلوب حول حجها وما بذلته هناك من أموال أن تحدَّث الناس عنها وذكروها ذكراً حسناً حتى سموا عام حجها عام جميلة ، ويقول الثعالبي : ويُضربُ المثلُ في زماننا هذا بعام جميلة ، وهي الموصليَّةُ بنت ناصر الدَّولة أبي محمد حَمدان أُخت أبي تَغلب ، فإنَّها حَجَّتْ سنة ستّ وستين وثلاثمئة ، وأقامت من المُروءة ، وفَرَّقتْ من الأموال ، وأظهرت من المحاسن ، ونَشرت من المكارم ، ما لا يُوصفُ بَعضُه عن زُبيدة وعن غيرها ممن حجَّتْ من بنات الخُلفاء والملوك . .

وأخبرني الثقات أَنَّها سقت جميع أهل الموسم السَّويق بالسُكَّر الطّبرزذ[1] والثَّلج ؛ وكانت استصحبت البُقول المزروعة في مراكن[2] الخزف على الجمال ، وأعدَّت خمسمئة راحلة للمنقطعين من رجَّالةِ الحجّ ، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ، ولم تَستصبح فيها إلاَّ بشموع العنبر ، وأعتقت ثلاثمئة عبد ومئتي جارية ، وأغنت الفقراء والمجاورين ، بالصلات الجزيلة ، فصارت حَجَّتها تاريخاً مذكوراً ، وسارت مثلاً مشهوراً ، ومن قصَّتها أَنَّها لما رجعت إلى بلدها وضرب الدَّهر ضربانه ، وكان من استيلاء عَضُد الدَّولة على أموالها وحُصونها وممالك أهلها ، أفضت بها الحال إلى كلِّ قلَّةٍ وذلَّةٍ وتكشَّفت

(*) التذكرة الحمدونية ٢/ ٢١٤ . ثمار القلوب ١/ ٣٣٧ . الكامل في التاريخ ٨/ ٥٩٣ ، ٦٩٥ ، ٧٠٠ .

(١) السَّويق : طعام يتخذ من الحنطة والشعير . والطبرزذ : السُّكر ، معرب ، كأنه نحت من نواحيه بالفأس (لسان) .

(٢) جمع مِركن : الإجانة التي تغسل فيها الثياب ونحوها . (لسان ـ ركن) .

عن فقر مُدْقع ، وكان عَضُد الدولة خطبها لنفسه ، فامتنعت وترفَّعت عنه ، واحتقد عليها ، وحين وقعت في يده تشفَّى منها ، ومازال يَعنُفُ بها في المطالبة بالأموال حتَّى عَرَّاها وهتكها ، ثم ألزمها أحد أمرين :

إمَّا أن تؤدِّي بقيَّة ما وقعت عليه من المال ، وإمَّا أن تختلف إلى دُور القِحاب[1] فتكتسبَ فيها ما تُؤَدِّيه في بقية مُصادرتها ، فانتهزت يوماً فرصةً من غفلة الموكَّلَين بها وغَرَّقت نفسها في دجلة ؛ (رضي الله عنها وأرضاها ، وجعل الجنة مأواها)[2] .

وفي رواية الكامل في التاريخ أنه عندما قُتل أبو تغلب عندما كان في طريقه إلى الرملة في المحرم سنة « ٣٦٩ هـ » كان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة ، وزوجته وهي بنت عمه سيف الدولة ، فلما قُتل حملها بنو عقيل إلى سعد الدولة بن سيف الدولة ، فأخذ أخته ، وسيّر جميلة إلى الموصل إلى أبي الوفاء نائب عَضُد الدولة ، فأرسلها إلى بغداد ، فاعتُقلت في حجرة في دار عضد الدولة[3] .

* * *

---

(١) دور العمل : وكان عضد الدولة استحدث دور القحاب لينفق مما يخرج منه في الحدود والضرائب ، وليحمي الرعية عن عزَّاب الجند بزعمه ! (تحقيق ما للهند للبيروني ٤٧٢) . حاشية كتاب ثمار القلوب .

(٢) ثمار القلوب ١/ ٣٣٨ .

إن عضد الدولة لم يكن على مستوى من الشهامة والعفة لكي يعفو عن امرأة من بيت عز وشرف من آل حمدان من تغلب لأنها رفضت طلبه بالاقتران به ، وعندما أفل نجم قومها أراد الانتقام منها ، لينزلها دور البغاء ، إنها لخسة ونذالة ، فالعفو عند المقدرة ، والعفو من شيم الكرام . . . ولكن أين هو من هذا وذاك . . . ؟!

(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٧٠٠ . وعضد الدولة أبو شجاع فنّاخَسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه ولد بأصبهان « الكامل في التاريخ ٨/ ٣٢٨ » .

حَامد(*) بن يوسف التَّغلبي

هو حامد بن يوسف بن الحسين أبو أحمد التَّغلبي .

قدم دمشق زائراً لبيت المقدس ، وحدَّث بدمشق وحلب سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

روى عن أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الفرضي بسنده عن أنس أن رجلاً قال :

يا رسول الله إني أحب فلاناً في الله عزَّ وجلّ .

قال : فأخبرته ؟

قال : لا .

قال : قم فأخبره .

فلقيه فقال : إني أحبك في الله يا فلان .

فقال له : أحبَّك الذي أحببتني له .

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٧٧ .

الحَسنُ(*) بن أَيّوب التَّغلبي

الحَسنُ بن أَيّوب بن أحمد بن عمر بن الخطّاب العدويُّ التَّغلبيّ .

من القادة الشجعان الذين تصدوا للخوارج بحزم وقوة في الوقعة التي جرت بين مُساور الخارجي وبين عسكر الموصل . كما ذكر ذلك ابن الأثير فقال :

كان مُساور بن عبد الحميد[1] قد استولى على أكثر أعمال الموصل وقوي أمره ، فجمع له الحسنُ بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطّاب العدويُّ التَّغلبي ، وكان خليفة أبيه بالموصل ، عسكراً كثيراً منهم حَمدان بن حمدون جد لأمراء الحمدانية ، وغيره وسار إلى مُساور وعبر إليه نهر الزاب ، فتأخر عنه مساور عن موضعه ، ونزل بموضع يقال له وادي الذيات ، وهو واد عميق ، فسار الحسن في طلبه ، فالتقوا في جمادى الأول من سنة « ٢٥٤ هـ » واقتتلوا واشتد القتال ، فانهزم عسكر الموصل ، وكثر القتل فيهم ، وسقط كثير منهم في الوادي فهلك فيه أكثر من القتلى ، ونجا الحسن فوصل إلى حَزّةَ من أعمال إربل[2] اليوم ، ونجا محمد بن علي السيد ، فظنّ الخوارج أنه الحسن فتبعوه وكان فارساً شجاعاً ، فقاتلهم ، فَقُتل ، واشتد أمر مساور وعظم شأنه وخافه الناس[3] .

(*) الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٨ ، ٢٤٩ .

(١) خرج مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلي ، على الدولة العباسية في سنة (٢٥٢ هـ) الكامل في التاريخ ٧/ ١٧٤ . ومات مساور سنة (٢٦٣ هـ) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٠٩ .

(٢) إربل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة ، وهي شبيهة بقلعة حلب وهي بين الزابَيْن تُعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين (معجم البلدان ١/ ١٦٦) .

(٣) الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٨ .

وفي سنة سبع وخمسين ومائتين خَرج عليٌّ[1] بن مُساور الخارجيُّ ، وخارجيٌّ آخر اسمه طَوق من بني زُهير ، فاجتمع إليه أربعة آلاف ، فسار إلى أذْرَمَةَ[2] ، فحاربه أهلها فظفر بهم ، فدخلها بالسيف ، وأخذ جارية بكراً فجعلها فيئاً ، وافتضَّها في المسجد ، فجمع عليه الحسن بن أيوب بن أحمد العدويُّ جمعاً كثيراً ، فحاربه فقتله ، وقطع رأسه وأنفذه إلى سامراء[3] .

* * *

---

(١) وهو ابن مساور قال شعراً في مذبحة ارتكبها بأهل حلوان فقتل منهم أربع مائة انسان :

فَجَعـتُ العِـراقَ بِبُنـدارها ... وحـزُتُ البـلادَ بـاقطارها
وحُلـوانُ صَبَّحتُهـا غـارةً ... فَقَتَّلْـتُ أغـرارَ غَـرّارها
وعُقبـةُ بـالموصـل أحجـرتُـه ... وطَـوّقتُـه الـذُّلَّ فـي كـارها

« الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٠ » .

وحلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وقيل إنها سميت بحلوان بن عمران الحاف بن قضاعة « معجم البلدان ٢/ ٣٣٤ » .

(٢) أَذْرَمَة : وأذرمة اليوم من أعمال الموصل من كورة تعرف بين النهرين بين كورة البقعاء ونصيبين « معجم البلدان ١/ ١٦٠ » .

(٣) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٤٩ .

الحَسنُ(*) بن ثَواب التَّغْلبيّ

هو الحَسن بن ثَواب ، أبو علي التَّغلبي .

سمع يَزيد بن هارون الواسطي ، وعبد الرحمن بن عَمرو بن جَبله البصري ، وإبراهيم بن حمزة المديني ، وعمار بن عثمان الحلبي .

روى عنه عبد الله بن محمد بن اسحاق المروزي ، وجعفر بن عبد الله بن مجاشع ، واسماعيل بن محمد الصفار ، ومحمد بن عمرو الرزاز .

أخبرنا عبد الله بن بشران المعدل ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار ، حدَّثنا الحسن بن ثواب المخرمي ، حدَّثنا عمار بن عثمان ، حدَّثنا جعفر بن سليمان ، حدَّثنا أبو التياج ، عن أبي حمزة ابن عباس أنه كان يقرأها ﴿ فإن آمنوا بالذي آمنتم به ﴾ .

حدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي قال : أخبرنا أبو بكر الخلال ، قال : والحسن بن ثواب المخرمي شيخ كبير ، جليل القدر ، حدَّثنا عن يزيد بن هارون ونحوه .

أخبرنا البرقاني : قال : قال لنا أبو الحسن الدارقطني : الحسن بن ثواب التغلبي بغدادي ثقة قرأت في كتاب محمد بن مخلد بخطه : سنة ثمان وستين ومائتين فيها مات الحسن بن ثواب أبو علي يوم الجمعة في جمادى الأولى .

* * *

(*) تاريخ بغداد ٧/ ٢٩١ ، ٢٩٢ ولم أعثر له على ترجمة في المراجع المتوفرة لدي .

الحسنُ[*] بن الحُسين بن حَمدان

هو الأمير الأوحد ، نائب دمشق للمصريين ، ناصرُ الدولة وسيفُها ، أبو محمد ، الحسنُ بن الحُسين[1] بن الحسن بن عبد الله بن حمدان التَّغلبيُّ .

ولي دمشق بعد أمير الجيوش الدِّزبري ، سنة ثلاث وثلاثين ، فبقي إلى أن قُبض عليه في سنة أربعين وأربع مئة . ثم ولي بعده طارِقٌ الصقلبيُّ .

وهو والد الأمير ناصر الدولة حسين ، الذي أذلَّ المستنصر بمصر وقهره ، وجرت له سيرةٌ إلى أن قُتل بعد الستين وأربع مئة[2] .

وجاء في الوافي بالوفيات : هو أبو محمد التغلبي متولي دمشق ، الحسن بن الحسن بن حمدان ابن الأمير ناصر الدولة أبو محمد التغلبي ولي إمرة دمشق بعد أمير الجيوش سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة إلى أن قبض عليه سنة أربعين وسُيِّر إلى مصر وولي بعده طارق الصَّقلبي .

وهذا هو والد الأمير ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني الذي أذل المُستنصر العُبيدي وحكم عليه . وتوفي أبو محمد المذكور سنة أربعين وأربعمئة[3]

ولكي لا يحدث التباسٌ بينهم أوضح تاريخ وفاة كل واحد منهم .

وفاة ناصر الدولة أمير الموصل سنة (٣٥٨ هـ) ـ الجد .

وفاة ناصر الدولة أمير دمشق للمصريين سنة (٤٤٠ هـ) ـ الأب .

وفاة ناصر الدولة ـ في مصر سنة (٤٦٥ هـ) ـ الابن .

ولكل واحد منهم ترجمة في سياق هذا الكتاب .

* * *

(*) الوافي بالوفيات ١١/ ٤١٩ ، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١٩ ، النجوم الزاهرة ٥/ ٤٥ .

(١) في الوافي بالوفيات الحسن .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٠ .

(٣) الوافي بالوفيات ١١/ ٤١٩ .

الحسن(*) بن عبد الله التَّغلبي
ذو القرنين بن حمدان

هو أبو المطاع ذو القرنين ابن أبي المظفر حَمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان التَّغلبي الملقب وجيه الدولة .

كان أبو المطاع المذكور شاعراً ظريفاً حَسنَ السَّبْك جميل المقاصد ، ومن شعره قوله :

إني لأحسُدُ لا في أسطر الصُّحفِ ... إذا رأيتُ اعتناقَ اللامِ للألفِ
وما أظنُهُّما طال اعْتناقُهُما ... إلاّ لما لقيا من شِدّةِ الشّغَفِ

وله أيضاً :

أَفْدي الذي زُرْتُهُ بالسيفِ مُشتَملاً ... ولحظُ عَينيه أمْضَى مِنْ مَضاربهِ
فَما خَلعْتُ نِجادِي في العناقِ لهُ ... حَتّى لَبستُ نجاداً مِنْ ذوائبهِ
فكانَ أسعَدَنا في نيل بُغْيَتهِ ... مَنْ كانَ في الحبِّ أشقانا بصاحبهِ

وقال أيضاً :

لمَّا التقَيْنا معاً والليلُ يَستُرنَا ... من جُنْحهِ ظُلَمٌ في طيها نِعَمُ
بِتنا أعفَّ مَبيتٍ بَاتهُ بَشرٌ ... ولا مراقبَ إلا الطَّرْفُ والكرمُ
فلا مَشى مَنْ وَشى عند العدوّ بِنَا ... ولا سعَتْ بالذي يسعى بنا قَدَمُ

ومن شعره قوله :

لو كنتَ ساعةَ بَيْنَنَا ما بَيْنَنا ... فشهدتَ حينَ نُكررُ التوديعَا
أَيقنتَ أن من الدموع محدثاً ... وعلمتَ أنَّ من الحديث دُمُوعَا[1]

(*) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٣٠، والتذكرة الحمدونية ٦/ ٨٠، يتيمة الدهر ١/ ١١٨، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠ ، الوافي بالوفيات ١٤/ ٤٢ .

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠ .

وقوله:

تـرى الثيـابَ مـن الكتّـانِ يلمحُهَـا ... نـورٌ مـن البـدر أحيـانـاً فيبليهـا[1]

فكيـفَ تنكـرُ أن تبكَـى مَعَـاجـرهـا ... والبدر في كلِّ وقت طالعٌ فيها[2]

ومن المنسوب إليه:

تقـــولُ لمَّـــا رأتنـــي ... نِضـــواً كمثـــلِ الخِـــلالِ

هـــذا اللقـــاء مَنـــامٌ ... وأنـــتَ طيـــفُ خَيـــالِ

فقلـــتُ: كـــلا ولكـــن ... أســـاء بِينُـــكِ حَـــالـــي

فليـــسَ تعـــرفُ منـــي ... حقيقتـــي مـــن مُحـــالـــي[3]

المناصب السياسية التي شغلها.

لقد شغل ذو القرنين مناصب هامة في حياته في دمشق ومصر. قال ابن خلكان: وكان قد وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العُبيدي صاحبها، فقلده ولاية الاسكندرية وأعمالها في رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة، وأقام بها مقدار سنة، ثم رجع إلى دمشق[4] ومن قول ذي القرنين أبي المطاع في دمشق:

سَقـى الله أرضَ الغُـوطَتيـن وأَهلَهـا ... فلـي بجنـوب الغُـوطتيـن شُجُـونُ

وما ذُقْتُ طَعْمَ الماء إلا استخفَّني ... إلـى بَـردَى والنَّيـرَبيـن حَنيـنُ

وقد كان شَكي في الفِراقِ يَرُوعُني ... فكيـف يكـون اليـومَ وهـو يَقيـنُ؟

فَـوالله مـا فـارقتُكـم قـاليـاً لكـم ... ولكـنَّ مـا يُقْضَـى فَسـوْفَ يكـونُ[5]

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠.

(٢) ورد البيتان في وفيات الأعيان. وجاء في يتيمة الدهر ١/ ١١٨ كالآتي:

أرى الثيـاب مـن الكتـان يلمحهـا ... ضـوءٌ مـن البـدر أحيـانـا فيبليهـا

وكيـف تنكـر أن تبلـى معـاجـرهـا ... والبـدر فـي كـل حيـن طـالـعٌ فيهـا

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨١ ـ هكذا قال المسبِّحي في تاريخه.

(٥) معجم البلدان ١/ ٤٥٠.

وقال الصفدي عن ذي القرنين أبو المطاع وجيه الدولة : ولي الإمارة بدمشق مرّات للمصريين بعد الأربع مائة . وجاءته الخلعة من الحاكم وتولى بعد لؤلؤ البشراوي سنة إحدى وأربع مائة ، ثم عزل بعد أشهر بمحمد بن بزال ، ثم وليها سنة اثنتي عشرة للظاهر ، ثم عزله بعد أربعة أشهر بسختكين ، ثم وليها ثالثة سنة خمس عشرة وبقي إلى سنة تسع عشرة وعُزل بالدزبري ، وولي الاسكندرية للظاهر(١) . ولقد أورد له الصفدي بعض الأشعار :

وَمُفارقٍ ودّعتُ عندِ فِراقِهِ ... ودّعتُ صَبري عنهُ في تَودِيعِهِ
ورأيت منه مثل لؤلؤ عقدِه ... من ثَغرِهِ وَحَديثهِ وَدُموعِهِ

وكتب إليه أخوه أبو عبد الله من سفرة كان فيها :

لو كنتُ أملِكُ طرفي ما نظرتُ بهِ ... من بَعدِ فُرقتكم يوماً إلى أحدِ
ولستُ أعتدُّه من بعدكم نظراً ... لأنّه نَظرٌ من ناظرٍ رَمِدِ

فكتب إليه وجيه الدولة :

قد كان في بُرهةٍ طرفي برؤيتكم ... ينوبُ شَاهدها عن كلِّ مُفتقَدِ
فالآن أشغلهُ من بعدِ فقدكم ... حِفظاً لعهدكمُ بالدمعِ والسهدِ

ومن شعر وجيه الدولة :

لو كانَ أَمهلني وَشيكُ فِراقِكم ... فَارقتُ نفسي سَاعةَ التوديعِ
فخلصتُ من وجدي وطولِ صَبابتي ... وتحرُّقي وتلهُّفي ونزوعي
إن كان ظنُّك بي غداةَ فراقنا ... أني لخَطْبِ البين غير جَزُوعِ
فَسلي رِفاقاً شَرّفَتْهم صُحبتي ... من تابعٍ في القومِ أو مَتبوعِ
هل كاد يُحرِقهم ضرامٌ تَنفُّسي ... أسفاً ويغرقهم سجام دموعي
لله أيام عصيتُ عواذلي ... فيها وصرف الدهر فيك مُطيعي
أمّا النهار فأنت نصْبَ لواحظي ... والليل أجمع أنت فيه ضجيعي(٢)

---

(١) الوافي بالوفيات ١٤/ ٤٢ .

(٢) الوافي بالوفيات ١٤/ ٤٤ .

وقال أيضاً :

لحى الله رأياً زيّن البُعد عنكمُ ... وهمّةَ قَلبٍ رخّصت في التقلّبِ
يَطيبُ خَبيثُ العيش بالقربِ منكمُ ... ويخبثُ عندي بعدكم كلُّ طيّبِ
نأيتُ بشخصٍ في البلاد مُشرّقٍ ... وقلبٍ إليكم بالحنين مغرّب

وله أيضاً :

مُوعِدي بالبَيْن ظنّاً ... أنني بالبين أَشقَى
ما أَرَى بين مماتي ... وفِراقي لكَ فَرْقا
لا تُهدِّدْني ببَيْنٍ ... لستُ منهُ أَتَوقَّى
إنّما يشقَى ببَيْنٍ ... منكَ مَنْ بعدَكَ يَبْقَى

ولقد قال الشاعر بيتين من الشعر حول استلامه مركز الولاية ، فهو لا يقبلها ذليلاً خوف زوالها منه ، وهذا يدل على علو همته .

من كان يرضى بذُلٍّ في ولايته ... خَوفَ الزوال فإنّي لستُ بالراضي
قالوا : فتركبُ أحياناً، فقلت لهم: ... تحت الصليب ولا في موكب القاضي[1]

وكما قال عنه صاحب النجوم الزاهرة : كان شاعراً أديباً فصيحاً[2] .

وحول وفاته جاء : ورجع إلى دمشق فيما قيل ، ومات في صفر سنة ثمان وعشرين وأربع مائة وقال محب الدين ابن النجار : مات بمصر . قلت : والظاهر أن الصحيح موته بدمشق[3] .

هذا وإن أشعاره متناثرة في يتيمة الدهر ، ووفيات الأعيان ، والوافي بالوفيات .

* * *

---

(١) الوافي بالوفيات ١٤/ ٤٥ .
(٢) النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧ .
(٣) الوافي بالوفيات ١٤/ ٤٢ . وفيات الأعيان ٢/ ٢٨١ . النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧ .

الحسن(*) بن علي التَّغلبي

هو الحسن بن علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد بن أبي الحسن بن صَصْرَى التَّغلبي .

حدَّث عن أبي الحسن علي بن موسى ، بسنده أن عائشة رضي الله عنها ، كانت تحدث أن رسول الله ﷺ :

سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، فما شأنك ؟ قال : ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة .

قالت : فبينا أنا على ذلك إذ سمعنا صوت السلاح . قال : من هذا ؟ قال : أنا سعد بن مالك . قال له : ما جاء بك ؟

قال : جئت لأحرسك .

قالت : فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في قومه .

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٣٥٤ .

الحَسن[*] بن عُمر التَّغلبي

الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي التَّغلبي[1] :

في سنة ١٩٧ للهجرة خطب الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي التَّغلبي ، الموصل من محمد الأمين فقلده إياها فأتى الموصل في جمع عظيم . »

فبلغ علي بن الحسن الهَمْداني أمره ، وكان أمر البلد في يده فامتنع من ولايته وقال أهل الموصل : « لا يلينا ربعي » .

فبعث إليهم الحسن : « ما رعيت في ولاية بلدكم إلاّ لأَرد نسبي إلى أصله ، فإنا قوم من كندة من السَّكُّون » فلم يزل يكاتب بني الحسن ووجوه الناس إلى أن أجابوه إلى الدخول .

لما دخل الحسن بن عمر الموصل واستقرت به الدار أتاه شاعر ربعي فأنشده شعراً يهنئه فيه بالولاية ، فقال في قصيدة طويلة :

طِـــوال الثيـــاب أَبَـــا نَعْثَـــلٍ وَرِثْـــتَ قُـــرَاكَ فلـــمْ يُـــوصَـــلِ[2]
وظلَّـــتْ سَـــراةُ بنـــي هَـــاجـــرٍ إليـــكَ قيـــامـــاً علـــى الأَرجـــلِ[3]

وكان في مجلسه صاحب بريد له أدب وفهم ، فأخرج ألواحاً طويلة فجعل يكتب .

(*) تاريخ الموصل ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٦ ـ فتوح البلدان ٢٤٨ ـ نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ٢٥٥ . عقد فريد ١/ ٥٠ .

(١) كان بيت عمر بن الخطاب العدوي واحداً من ثلاثة بيوتات هامة كونتها قبيلة تغلب في الإسلام .

(٢) طول الثياب : من إمارات النعيم عندهم . والنعثل : الطويل اللحية .

(٣) السراة بتشديد السين مع فتحها أو ضمها : الأشراف .

فقال له الحسن : وما تكتب ؟

قال : وما عليك مما أكتب ؟

قال : لتخبرني .

قال : إذاً لا أفعل .

قال : أُنشدك إلا فعلت .

قال : بنشدك الشاعر :

وظلَّـــت سَـــرَاةُ بنـــي هـــاجـــر إليـــك قيـــامـــاً علـــى الأرجـــل

فقال : امحه .

فقال : إذاً لا أفعل ، وهل سراة بني هاجر إلاّ النبي ﷺ وعليٌّ عليه السلام ؟

قال : فلك عشرة آلاف درهم .

قال : فنعم إذاً[1] .

أراد الحسن بن عمر وهو والي الموصل قَصْدَ بني تَليد[2] ومحاربتهم ، فسأل رجلاً ممن يُخْبِرُ أمر بني تليد قال : كم يلقى الحرب منهم ؟

قال : خمسون رجلاً .

قال : حقّاً ما تقول ؟

قال : نعم .

قال : هذا أمر عظيم .

وفي رواية ثانية :

---

(١) تاريخ الموصل ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٢) قوم من الأزد ـ وكان على رأسهم « السيد بن أنس » تاريخ الموصل ٣٤٤ وما بعدها .

شك أبو المثنى أن الحسن بن عمر ، أو أحمد ابنه ، أراد حِبْتون فنزل عند جعفر ، فسأل عن إنسان يخبر أمر بني تليد في الحرب فقيل له : عبد الصمد الحيراني ، لقد لقي معهم حروباً كثيرة .

فقال له : كم عدد بني تليد ؟

قال : خمسمائة رجل .

قال : لم أسألك عن هذا .

قال : فعن أي شيء تسألني ؟

قال : عمن يحضر في الحرب .

قال : أربعون رجلاً ، إذا حملوا لم ينصرفوا أو يطعنوا أو يضربوا أو يُصْبَروا .

قال : كذا .

قال : لقد صدقتك .

قال : ليس في لقاء هؤلاء خير(١) .

وفي سنة اثنتين ومائتين خرج عن الموصل الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي حمل جميعهم إلى بَرْقعيد(٢) وكان فيمن حمل محمود وخنيس ابنا علي بن الحسن ، فمكثوا سبع سنين فيما ذكر محمد بن أحمد بن الحسن . وقد كان المأمون أنفذ إلى الموصل أبا يزيد الخراساني(٣) .

وفي سنة أربع عشرة ومائتين تزوج مالك بن طوق التغلبي بابنة الحسن بن عمر التّغلبي فحملها إلى الرحبة(٤) .

---

(١) تاريخ الموصل ٤٢٨ .
(٢) برقعيد بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين معجم البلدان ١/ ٤٦١ .
(٣) تاريخ الموصل ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
(٤) تاريخ الموصل ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

وجاء في فتوح البلدان :

وكانت أذرمة من ديار ربيعة قرية قديمة فأخذ الحسن بن عمر بن الخطاب التَّغلبي من صاحبها وبنى بها قصراً وحصنها[1] .

هذا وإن عمراً كان يحب العمران وهذا يدل على عقلية متطورة ومتحضرة فهذه جزيرة تذكر باسمه هي جَزيرة ابن عُمر :

جَزيرة ابن عُمر كما قال ياقوت :

بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام ، وأحسب أَن أوَّل من عمرها الحسن بن عمر بن خَطَّاب التَّغلبي . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ، ثم عُمل هناك خندقٌ أجري فيه الماء ونُصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق . تم بناؤها بعد المائتين[2] .

ولقد مرَّ معنا أن الحسن بن عمر التَّغلبي ولي للأمين الموصل ، ومن ثم أصبح من عمال المأمون .

فهذا عبد الله بن طاهر الخزاعي بالولاء يكتب رسالة إلى الحسن يقول فيها كما جاء في العقد الفريد كتب عبد الله بن طاهر الخُراساني إلى الحسن بن عمر التَّغلبي :

أما بعد ، فقد بلغني ما كان من قَطع الفَسقة الطريق ما بلغ ، فلا الطريق تَحمي ، ولا اللصوص تكفي ولا الرعيّة تُرضي ، وتطمع بعد هذا في الزيادة !

إنك لمُنفَسح الأمل ! وأيم الله لتكْفيّني مَنْ قِبلك أو لأوجّهن إليك رجالاً لا تعرف مُرّة من جَهْم ، ولا عديَّ من رُهْم ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله[3] .

إنها رسالة إدانة وتهديد ووعيد إلى مسؤول تقاعس وقصر في عمله فلا الطريق تحمي ولا اللصوص تكفي ، فمعنى ذلك فعليه مسؤولية كبيرة ؟

---

(١) فتوح البلدان ٢٤٨ . وجاء في معجم البلدان ـ وأذرمة اليوم من أعمال الموصل من كورة تعرف بين النهرين ، بين كورة البقعاء ونصيبين . معجم البلدان ١/ ١٦٠ .

(٢) معجم البلدان ٢/ ١٦٠ . ونخبة الدهر وعجائب البر والبحر ٢٥٥ .

(٣) العقد الفريد ١/ ٥٠ .

الحسن(*) بن محمد التَّغلبي

هو الحسن بن محمد بن عبد الله بن طوق التَّغلبي : من أَهل جَيَّان[1] ؛ يُكْنَى : أبا علي حَدَّث عن وهْب بن مَسرّة ، سَمِعَ منهُ وأَجَاز لهُ ، وعن أبي عُمر أحمد بن زكريا بن الشَامَّة ، وعن أبي وغيرهم .

وكان من قرية بَاغَة[2] التَّغلبيين .

حَدَّث عنه الصَّاحبان وقالا : قدم علينا طُلَيْطلة مُرَابطاً ، وكان رجلاً صالحاً وأملى علينا حكايات من حفظه وأجاز لنا وقال لنا : ولدت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة .

وتُوفّي رحمه الله : آخر يوم من عشر ذي الحجة سنة تسعين وثلاثمائة .

(٣٩٠ ـ ٣١٣ هـ = ٧٧ سنة عاش الحسن) .

* * *

(*) كتاب الصلة ١/ ١٣٤ .

(١) جَيَّان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً ، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبُلداناً ، وكورتها متصلة بكورة تَدْمير وكورة طليطلة . (معجم البلدان ٢/ ٢٢٦) .

(٢) باغة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة ، وفي قبلى قرطبة منحرفة عنها يسيراً (معجم البلدان ١/ ٣٨٧) ذكر أبو الفداء ، وقال : ومن أعمال غرناطة بلدة باغة (تقويم البلدان ١٧٧) .

وعند الحميري : باغة : هي النفاطة ومن هناك يحمل النفط الأبيص (الروض المعطار ٧٨) .

الحَسن[*] بن هِبة الله التّغلبي

هو الحَسن بن هِبة الله بن أبي البركات محفُوظ بن الحَسن بن محمد بن الحَسن بن أحمد بن الحُسين بن صَصْصَرى ، الحافظ الكبير ، أبو المواهب بن أبي الغنائم الرَّبعي التَّغلبي البلدي الدمشقي المعدَّل . ولد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة . وكان اسمُه أولاً نصر الله ، فغيَّره بالحَسن[1] .

وقال عنه شمس الدين الذهبي :

الإمامُ العالمُ ، الحافظُ ، المجِّودُ ، البارع، الرئيسُ، النبيل أبو المواهب الحسن . . . البَلديُّ الأصل ، الدمشقيُّ ، الشافعي[2] .

سمع بدمشق جدَّه ، والفقيه نصر الله بن محمد المَصِّيصي ، وعَبدان بن رزين المقرىء ، وعلي بن حَيدرة العَلويّ ، ونصر بن أحمد بن مقاتل ، والحُسين بن البُن الأسدي ، وأبا يَعْلَى بن الحُبُوبيّ ، وأبا المظفّر الفلكي ، وحمزة بن كَروَّس ، وخلقاً كثيراً ، ولزم أبا القاسم الحافظ[3] ، فأكثر عنه وتَخرَّج به وعُني بهذا الشَّأن أتمَّ عِناية .

ورَحل وسمع بحماة الحُجَّةَ محمد بن ظَفر ، وبحلب أبا طالب بن العجمي وابن ياسر الجيَّاني ، وبالموصل الحسن بن علي الكعبي وغيره ، وببغداد هِبةَ الله بن الحسن الدَّقّاق ، ومحمد بن عبد الباقي بن البطيِّ ،

(*) النجوم الزاهرة ٦/ ١١٢ ، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٤ ، الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٩٢ . شذرات الذهب ٦/ ٤٦٨ .

(١) الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٩٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٤ .

(٣) وفي شذرات الذهب . ولزم الحافظ ابن عساكر وتخرَّج به . وفي سير أعلام النبلاء : ولازم الحافظ بن عساكر ، وأكثر عنه ، وتخرّج به ، وعُني بهذا الشأن جداً .

ويحيى بن ثابت ، وشَهْدةَ الكاتبة ، وجماعة .

وبَهمذان سمع أبا العلاء العطّار الحافظ ، وباصبهان محمد بن أحمد بن ما شاذَه ، صاحب سليمان بن إبراهيم الحافظ وغيرهما . وبتبريز محمد بن أسعد العطارديّ حَفَدَة ، أو لقيه بالموصل .

وصنّف التصانيف ، وجمع المُعجم لنفسه في ستة عشرَ جُزْءاً ، وصنّف : فضائل الصحابة ، وفضائل القدس ، وعَوالي ابن عُيَيْنَة ، وجزءاً في رُباعيّات التابعين .

وأُصيب بكُتبه فإنّها احترقت بالكَلاَّسَة[1] ، ثم وقف بعد ذلك خِزَانةً أخرى .

وكان ثقةً مستقيم الطريقة ، ليِّن الجانب ، سَمْحاً كريماً[2] .

مات سنة ست وثمانين وخمسمائة[3] .

* * *

---

(١) الكلاَّسَة ، بتشديد اللام : موضع بدمشق . تاج العروس (كلس) ٤/ ٢٣٥ .
(٢) الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٩٣ ، ٢٩٤ . وله شقيق اسمه الحسين سيأتي على ذكره .
(٣) شذرات الذهب ، والنجوم الزاهرة ، وسير أعلام النبلاء ، والوافي بالوفيات . ذكرت الوفاة بالتاريخ نفسه .

الحُسين[*] بن حَمدان التَّغلبي

هو الحُسين بن حَمدان بن حمدون ، الأمير أبو عبد الله التَّغلبي ، عم السلطان سيف الدولة قَدِم الشام لقتال الطُّولونية في جيش من قِبَل المُكتفي ، وقدم دمشق لحرب القرامطة أيام المُقتدر ثم ولّاه ديار ربيعة ، فغزا وافتتح حُصوناً ، وقتل خلقاً من الروم .

ثم خالف فأتى لحربه « رائقٌ » فحاربه وأسره « رائق » سنة ثلاث وثلاثمائة فسجن ببغداد ، ثم قتل سنة ست وثلاثمائة[1] .

وذكر ابن الأثير أفعالاً كثيرة قام بها الحسين بن حمدان منها سنة اثنتين وثمانين ومائتين ويظهر أنه تمرد على المعتضد مع آخرين فسير إليهم الجيش يطلبهم في أماكنهم في الموصل (وفيها وصل الحسين بن حمدان بن حمدون فلما رأى الحسين أوائل العسكر طلب الأمان ، فأُمِّن ، وسُيِّر إلى المعتضد ، وسلم القلعة ، فأمر المعتضد بهدمها[2] . ويظهر أن صلحاً تم بينهما .

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، أحضر الحسين بن حمدان التغلبي وسيّره في طلب هارون بن عبد الله الخارجي في جماعة من الفرسان والرَّجالة . فقال له الحسين : إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين .

قال : اذكرها !

قال : إحداهن إطلاق أبي ، وحاجتان أذكرهما بعد مجيئي به .

(*) شذرات الذهب ٤/ ٣٣ ، الكامل في التاريخ ٧/ ٤٦٩ ، الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٦٠ . مروج الذهب ٥/ ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٩٣ ، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٦ .

(١) الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٦٠ . وجاء في الشذرات (والحسين بن حمدان ذُبح في حبس المقتدر بأمره) .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٦٩ .

فقال المعتضد : لك ذلك .

واستطاع الحسين بن حمدان أسر هارون وخلع عليه المعتضد وطوقه وخلع على إخوته ، وأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه والإحسان إليه ، ووعد باطلاقه[1] .

وفي سنة ستة وتسعين ومائتين وفي شوال تحارب القرمطي صاحب الشامة وبدر مولى ابن طلولون فانهزم القرمطي وقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى من سلم منهم نحو البادية فوجه المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان وغيره من القواد[2] .

ولقد أبلى الحسين بن حمدان بلاءً حسناً في حرب القرامطة ، وقال ابن الأثير : وكان أكثر الناس أثراً في الحرب الحسين بن حمدان ، وكتب محمد[3] بن سليمان يثني عليه وعلى بني شيبان فإنهم اصطلوا الحرب وهزموا القرامطة ، وأكثروا القتل فيهم والأسر . حتى لم ينج منهم إلا قليلاً وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائتين[4] .

وتابع الخليفة المكتفي في مطاردة القرامطة الذين عاثوا في الأرض فساداً ورعباً وقتلاً ، وطاردهم الحسين بن حمدان وقادة آخرين في سنة (٢٩٣ هـ) عند قدموا لدمشق ولحق بهم الحسين بن حمدان حتى رجعوا إلى السَّماوة وهم ينتقلون في المياه ويغورونها ، حتى لجؤوا إلى ماءَيْن يُعرف أحدهما بالدمعانة ، والآخر بالحبالة ، وانقطع ابن حمدان عنهم لعدم الماء وعاد إلى الرحبة[5] . وكانت أوامر الخليفة إلى الحسين بن حمدان بملاحقة القرامطة

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٥٢٦ .
(٣) محمد بن سليمان الكاتب أحد قادة الخليفة المكتفي الذي كلفه بحرب القرامطة (الكامل في التاريخ ٧/ ٥٣١) .
(٤) الكامل في التاريخ ٧/ ٥٣٠ ، ٥٣١ .
(٥) الكامل في التاريخ ٧/ ٥٤٢ .

وقتلهم ، وفي سنة أربع وتسعين ومائتين ، أوقع بهم الحسين بن حمدان فقتلوهم جميعاً ، وأخذوا من النساء والصبيان ، وحُمل رأس زكرويه إلى خراسان ، لئلا ينقطع الحاج[1] . وفي السنة نفسها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وبين أعراب من بني كلب ، وطيّ ، واليمن ، وأسد ، وغيرهم[2] .

وفي سنة ست وتسعين ومائتين اجتمع القواد ، والقضاة ، والكتّاب ، مع الوزير العباس بن الحسن على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز ، ومن بين القواد الحسين بن حمدان ، ثم إن الوزير رأى أمره صالحاً مع المقتدر أنه على ما يحب ، فقتله الحسين بن حمدان ، وآخرين معه وندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر .

وعاد الحسين بن حمدان بُكرة غدٍ إلى دار الخلافة فقاتله الخدم والغلمان والرجالة من وراء الستور عامة النهار ، فانصرف عنهم آخر النهار ، فلما جنّه الليل سار عن بغداد بأهله وماله وكلّ ماله إلى الموصل ؟ لا يُدرى لِمَ فعل ذلك ؛ ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ، ومؤنس الخازف ، وغريب الخال وحاشية الدار[3] . ودافعت حاشية المقتدر عنه وآل الأمر إليه ثانية . وسُيرت العساكر من بغداد في طلب الحسين بن حمدان فتبعوه إلى الموصل ثم إلى بَلد فلم يظفروا به فعادوا إلى بغداد ، فكتب الوزير إلى أخيه أبي الهيجاء بن حمدان وهو الأمير على الموصل ، يأمره بطلبه ، فسار إليه إلى بَلَد . ففارقها الحسين إلى سنجار وأخوه في أثره ، فدخل البرّية فتبعه أخوه عشرة أيام ، فأدركه ، فاقتتلوا فظفر أبو الهيجاء ، وأسر بعض أصحابه ، وأخذ منه عشرة آلاف دينار ، وعاد عنه إلى الموصل ، ثم انحدر إلى بغداد ، فلما كان فوق تكريت أدركه أخوه الحسين ، فبيّته فقتل منهم قتلى ، وانحدر أبو الهيجاء إلى بغداد .

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٥٥١ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٧/ ٥٥٣ .
(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ١٤ ، ١٥ .

وأرسل الحسين إلى ابن الفرات ، وزير المقتدر ، يسأله الرضى عنه ، فشفع فيه إلى المقتدر بالله يرضى عنه فرضي عنه ودخل الحسين بغداد ، فرد عليه أخوه ما أخذ منه ، وأقام الحسين ببغداد إلى أن وليّ قُم فسار إليها وأخذ الجرائد التي فيها أسماء من أعان على المقتدر ، ففرَّقها في دجلة[١] .

وجاء ، وعُقد له على قم وقاشان[٢] .

وفي سنة ست وثلاثمائة ، قتل المقتدر حسين حمدان في جمادى الأولى ، وقبض على الوزير أبي الحسن بن الفرات في جمادى الآخرة . وكان سبب قبضه أن المقتدر قيل له : إنّ ابن الفرات يريد ارسال الحسين بن حمدان إلى ابن أبي الساج ليحاربه ، وإذا صار عنده اتفقا عليك . ثم إن ابن الفرات قال للمقتدر في ارسال الحسين إلى ابن أبي الساج[٣] .

وفي النجوم الزاهرة : وفي سنة (٣٠٦ هـ) توفي الأمير أبو عبد الله الحسين بن حمدان بن حمدون التّغلبي عم السلطان سيف الدولة بن حمدان ، كان مُعظماً في الدول ، ولاّه الخليفة المكتفي محاربة الطُّولونية ، ثم ولي حرب القرامطة في أيام المقتدر ، ثم ولي ديار ربيعة فغزا وافتتح حصوناً وقتل خلقاً من الروم ، ثم خالف وعصى على الخلافة فسار لحربه رائقٌ الكبير فانكسر فتوجه رائق إلى مؤنس الخادم وانضم إليه وعاد إليه وقاتله حتى ظفر به وأسره ووجهه إلى الخليفة فحبسه إلى أن قُتل في مُحْبَسِه في بغداد ، وكان من أَجَلْ الأمراء بأساً وشجاعة ، وهو أول من ظهر أمره من ملوك بني حمدان[٤] .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ١٨/ ١٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٥٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ١١٠ ، ١١١ .

(٤) النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٤ ، ١٩٥ . وبذلك وضحت الصورة لهذه الشخصية من عدة مراجع .

الحُسين(*) بن علي بن حمدان ـ أبو العشائر

هو الحُسين بن عَلي بن الحُسين بن حَمدان بن حَمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد التغلبي أبو العشائر الحمداني . أمير فارس مشهور شاعر مجيد كان بحلب في خدمة ابن عمه سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وولاه أنطاكية ، روى عنه أبو بكر الخالدي وفيه يقول أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من قصيدته الرائية التي يذكر فيها مآثر قومه بني حمدان .

ومنـا الحسيـنُ القَـرمُ مُشْبِـهُ جَـدِّهِ حمَى نفسَه والجيشُ للجيشِ غَامرُ(١)

قال أبو عبد الله الحسين بن خالويه في تفسير هذا البيت وذلك أنه كبسه عسكر الاخشيد مع يانس المؤنسي وهو منصرف من أنطاكية من الميدان ، وأصابته نشابة في وجهه أخرج نصلها بعد أيام فلم يزل يضرب في أوساطهم بالسيف حتى تخلص ، وأُسر بعد ذلك في دُلُوك(٢) ، وكان له في بلد الروم أجمل أثر وأشرف فعل في إكرام الأسارى(٣) .

قال ابن خالويه : سار سيف الدولة في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة إلى

(*) يتيمة الدهر ١/ ١١٦ ، ديوان أبو فراس الحمداني ٧٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣ ، بغية الطلب ٢٥٢٧ ، ٢٥٣١ .

(١) ديوان أبو فراس ١٣٢ .

(٢) دُلُوكُ : بليدة من نواحي حلب بالعواصم ، كانت بها وقعة لأبي فراس بن حمدان مع الروم . وقال عدي بن الرقاع :

كثيـرٌ بهـا الأعـداءُ ، يحصَـرُ دونهـا بـريـد الإمـام المستحـثُّ المثابـرُ
فقلـت لهـا : كيـف اهتـديـت ودوننـا دُلُـوك وأَشـراف الجبـال القـواهـرُ

« معجم البلدان ٢/ ٥٢٥ » .

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٢٧ .

بلد يانس[١] بن شمشقيق لما بلغه حلفه للملك على لقائه وحمل معه الزواريق مخلعة حتى عقدها على أرسناس[٢] ، وخلف بدلوك أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان ورسم له الزول على حصن عرنداس[٣] وبناءه ، وخلف الأمير أبا فراس ورسم له بناء حصن البَرْزَمَان[٤] ، فكلاهما يستعد حتى خرج لاون البطريق في جموع أبيه وسبق الخبر إلى أبي العشائر فخرج طمعاً ليسابق أبا فراس إليه ، ولقيه فوجده في عدد عظيم وانكشف عن أبي العشائر أصحابه ، وثبت يقاتل حتى أُسر وضرب وجهاً من الأرمن يعرف بأبي الأسد فقتله وبلغ أبا فراس الخبر فنفر في أربعمائة فارس من العرب سوى العجم واتبعه إلى مَرْعَش[٥] فلم يلحقه فكتب إليه في قصيدة[٦] :

فقلت : أيها الأمير ما يمكنني الخروج .

قال : ولمَ ؟

قلت : علي دين واحتاج إلى ابتياع شعير لدوابي ، وحنطة لغلماني ، وهذا وجه الشتاء ولا بد أن أنظر في أمري . فقال : كل هذا ينجز في الساعة ، ووقع إلى الداريح ، بكرين شعيرا وإلى صاحب المنثر بثلاثة أكرار حنطة ،

---

(١) يانس بن شمشقيق : من مشاهير القادة البيزنطيين من أصل أرمني تسلم عرش الامبراطورية وحكم من « ٩٦٩ ـ ٩٧٦ » .

(٢) اسم نهر في بلاد الروم ، عبره سيف الدولة ليغْزُو ، فقال المتنبي يمدح سيف الدولة ويصف خيله :

حتى عَبْرنَ بأَرْسَناسَ سوابحاً ... يَنْشُرْنَ فيه عمائمَ الفرسان

« معجم البلدان ١/ ١٨١ ، ١٨٢ » .

(٣) لم أقف على تعريف له .

(٤) البَرْزَمَانُ : قلعة من العواصم من نواحي حلب . « معجم البلدان ٢/ ٤٠٤ » .

(٥) مَرْعَشُ : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم وقد ذكره شاعر الحماسة فقال :

فلو شهدَتْ أُمُّ القُديد طعاننا ... بمَرْعش خيل الأرمني أرَنّتِ

« معجم البلدان ٥/ ١٢٦ » .

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٢٨ .

وأطلق من خزانته ألفي درهم، وأمر بحمل عشر قطع ثيابا، وحصل جميع ذلك وما تعلى النهار وهو جالس في دار سيف الدولة ، فلما حضر صاحبه وعرّفه حصول ما عددته كله قال : اركب على اسم الله ، فركبت ومضيت معه إلى انطاكية فما كان يخليني من خلعة وبر وتفقد، ورسومي على سيف الدولة مُطلقة في أوقاتها غير متأخرة عني بحال، وهذه كانت عادات الرؤساء في الأفضال[١] .

وقال أبو الفرج الببغاء بديهاً في أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان ، وقال : وكنت حاضراً وقد ضرب بسيف كان في يده هامة جمل ففصلها فأنشدته في الحال :

ما الفعلُ للسيف إذ هُزَّت مضاربه ... فمرّ مُحتكماً في هامةِ الجملِ
لكنَّ كفكَ أَعْدَتُه بجرأتها ... وفتكها فمضى يهوي على عَجلِ
ولو سِوى كفكَ المعروف صالَ بهِ ... نَبا ولو كانَ مطبوعاً من الأَجلِ

قال الثعالبي وأنشدني أبا بكر الخوارزمي لأبي العشائر بن حمدان :

سطا علينا، ومن حاز الجَمال سطا، ... ظبيٌ من الجنَّة الفردوس قد هَبطا
له عذاران قد خُطَّا بوجنته ... فاستوقفا فوق خدّيه وما انبسطا
وظلّ يخطو فكلٌّ قال مِنْ شَغفٍ ... يا ليته في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت له : ما يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوان غفل عنه فأبق[٢] من الجنة وأنشد :

أَسْقَمَ هذا الغلام جسمي ... بما بعينيه من سقامِ
فُتور عينيه من دلالٍ ... أهدى فتوراً إلى عظامي[٣]

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٢٩ .
(٢) أبق : هرب .
(٣) الفتور : الضعف والانكسار .

وامتــزجــت روحــه بــروحــي   تمــازج المــاء بــالمــدام[1]

وقال أبو فراس في قصيدة طويلة أختار بعضاً منها :

أأبا العشائر ، إن أُسرتَ فَطالما   أَسَرتْ لكَ البيضُ الخفافُ رِجالا

هـلاّ دَعْـوتَ أبـا فـراسٍ ؟ إنّـه   ممَّـنْ إذا طَلَـبَ الممنَّـعَ نـالا

أَخـذوكَ فـي كبـدِ المضـائـق غِيلـةً   مثـلَ النسـاءِ تـربـب الـرِّئبـالا[2]

ورأَيْـنَ بطـنَ العيـرِ ظَهـرَ عُـراعُـرٍ   والـرومَ وحشـاً ، والجبـالَ رِمـالا

ومُعَّـــودٍ فـــكَّ العُنــاة مُـــداوم   قَتْـلُ العُـداةِ إذا استغـار أطـالا[3]

وغـداً تـزورُكَ بـالفِكـاكِ خيـولُـهُ   متثـاقـلاتٍ ، تطلـبُ الأبـاطـالا[4]

وجاء حول أسره :

وسار أبو العشائر الحسين بن علي بن حمدان من حلب إلى مرعش في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وبعض غلمانه ، فلم يشعر إلاّ بالروم قد أقبلوا عليه فركب فرسه وركب أصحابه فطردهم الروم ، وكان أبو العشائر قد ثمل من الخمر فغلبه السكر ، فسقط عن الفرس ، فأدركه الروم فأسروه وحملوه إلى قسطنطينية[5] .

أبو الفرج الببغاء وأبو العشائر في مجلس سيف الدولة :

قال أبو الفرج الببغاء : هربت وقتاً من الأوقات من أبي العشائر ، وصرت إلى حلب ، وسألت سيف الدولة أن يمنعه عني ، وقلت : إن أخلاقه لا تلائم أخلاقي ، وقد ربيتني واصطنعتني ، وأريد ألا أبرح حضرتك ومجلسك .

---

(١) يتيمة الدهر ١/١١٦ ، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٣٠ ، ٢٥٣١ .

(٢) الرئبال : الأسد .

(٣) العناة : الأسرى .

(٤) ديوان أبو فراس ٢١٦ .

(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٢٨ يوجد خطأ مطبعي في الأصل وتكرار للمعلومة وخطأ في صياغة الخبر مما يُغير المعنى إذ جاء « وسار أبو العشائر . . . من حلب إلى مرعش وسلمها إليهم وبعض غلمانه . . . » ؟

قال : أفعل ، ومضى على هذا مدة قريبة ، فدخلت يوماً وإذا بين يدي سيف الدولة رجل عربي لا أعرفه عليه جبة ديباج وفرو وعمامة خز بلثامين ، متقلداً سيفاً مُحلّى ، وهو جالس على السرير ورجليه على الأرض وسيف الدولة يُقبل عليه يحادثه فاستطرفت ذلك ، ولم يكن في العرب كلها من يجلس تلك الجلسة مع سيف الدولة ، قال : ونهض فإذا هو أبو العشائر فلما رأيته أسقط في يدي ، ودنا مني فقبض علي فقلت لسيف الدولة : أيها الأمير الذمام ، فقال : ليس على أبي العشائر ذمام ، ثم قال له : احتفظ به فإنه فرار فلم يبق في موضع للمنازعة[1] .

وقال أبو العشائر :

وَمَا سرَّ قلبي منذُ شَطَّت بك النوى		أَنيس ولا كاس ولا مُتصرَّفُ
وما ذقتُ طعم الماء إلاّ وجدته		كأن ليس بالماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلاّ تكلُّفاً		وأي سرور يقتضيه التكلف[2]

وكتب أبو فراس إلى أبي العشائر من وراء خرشنة .

أُسرتَ فلم أذُقْ للنَّومِ طَعماً		ولا حلَّ المُقامُ لنا حِزاما
وسِرْنا مُعْلَمينَ إليكَ حتَّى		ضَربْنَا خَلْفَ خرشنةَ الخِياما[3]

وقال أبو فراس في أسر أبي العشائر قصيدة طويلة تفيض بالمشاعر الحية والأحاسيس الصادقة في الحب والوفاء والإخلاص ، وألم الفراق ، والشوق ، سأذكر أبياتاً منها :

ألا مُبْلغٌ عني الحسينَ أَلوكةً		تَضمَّنها دُرُّ الكلام المُنظَّمُ[4]

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٢٩ .
(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٣١ .
(٣) ديوان أبو فراس ٢٥٦ .
(٤) الحسين : يعني أبا العشائر . الألوكة : الرسالة .

لـذيـذُ الكـرى حتـى أراكَ مُحـرَّمٌ ... ونـارُ الأسـى بيـنَ الحشـا تَتَضـرَّمُ
وأتـرُكُ أن أبكـي عليـك تَطيـراً ... فقلبـيَ يبكـي ، والجـوانـحُ تَلطِـمُ
ولا عَبـرةٌ إلاّ ودَمعـيَ فَـوقَهـا ... ولا حُـزنَ إلاّ منـه حـزنـيَ أَعظـمُ
وإنَّ جفـونـي إنْ ونَـتْ للئيمـةٌ ... وإنَّ فـؤادي إنْ سَلـوتُ لأَلأَمُ
سأبكيكَ ما أَبقَى ليَ الدَّهرُ مُقلةً ... فإنْ عزَّني دَمعٌ ، فما عزَّني دمُ
ونحـن أُنـاسٌ لا تَـزالُ سَـراتُنـا ... لهـا مَشْـربٌ بيـنَ المنايـا ومَطْعـمُ
وإني لأُخفي فيكَ ما ليس خافياً ... وأكتُـمُ وجـداً مثلُـهُ لا يُكتَّـمُ
ولـو أنني وفَّيـتُ رُزءَكَ حقَّـهُ ... لما خَـطَّ كـفٌّ ، ولا قـالَ لـي فَـمُ
ومـا ساءني أنـي مكانـك غـائـبٌ ... وأُسْلـمُ نفسـي لـلإسـارِ وتَسلَـمُ
يَسـومـوننـا فيـك الفـداءَ ، وإنَّنـا ... لنرجوكَ قسراً والمَعاطسُ تُرغَمُ[1]

وقال أبو فراس يرثي أبا العشائر ، وقدمات أسيراً بالروم :

أَبـا العَشـائـرِ لا مَحلُّـكَ دارسٌ ... بيـنَ الضُّلـوع ولا مكـانُـكَ نَـازحُ
إنـي لأعلـم بعـدَ مـوتِـكَ أَنَّـهُ ... مـا مـرَّ لـلأمـراءِ يـومٌ صـالـحُ[2]

وأورد بن العديم روايات عدة حول وفاته منها :

قال ابن الهمذاني : ولما خرج الحاج في زمن المكتفي كان معهم أبو العشائر بن حمدان ، فظفر بهم زكرويه ابن مهرويه القرمطي فقطع يدي أبي العشائر ورجليه بزُبَالَة[3] .

ثم قال ابن الهمذان بعد ذلك وأخذ الروم حلب وقتلوا أبا العشائر وأخوته في سنة (٣٥١ هـ) . وهذا خطأ من ابن الهمذاني فيما ذكره أولاً وثانياً فإن أبا العشائر توفي أسيراً في يد الروم بالقسطنطينية في سنة (٣٥٢ أو ٣٥٣ هـ) .

وقال ابن العديم عن كتاب علي الديلمي : واجتمع في البلاط بالقسطنطينية

---

(١) ديوان أبو فراس ٢٦٤ .
(٢) ورد في بغية الطلب ٦/ ٢٥٣٢ عجز البيت ما مر للأسراء يوم صالح .
(٣) الذي وقع بأسر القرامطة هو أبو الهيجاء بن حمدان ، أسره أبو طاهر .

من الأسارى الحمدانية نحو ثمانمائة رجل منهم : أبو العشائر ، وأبو فراس ، ومحمد بن ناصر الدولة ، وفادى ـ يعنى سيف الدولة بأبي فراس وأبي العشائر ورقطاش ، يعني سنة أربع وخمسين ، وهذا وهم من أبي الحسن الديلمي فإن أبا العشائر توفي بالقسطنطينية في حال الأسر(١) .

والرواية الأخيرة ، قال ابن العديم : قرأت في تاريخ أبي اسحاق إبراهيم بن حبيب السَّقطي صاحب كتاب الرديف في حوادث سنة « ٣٥٢ هـ » في ذكر من توفي فيها قال : وفيها ، أو في سنة ثلاث وخمسين مات أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان ببلد الروم في أسره مسموماً ، وكان السبب في سمه أن ملك الطاغية بلغه أن علي بن حمدان فَسَق بابن قسطنطين ، كان في أسره فأنفذوا من بلد الروم من سمه فهلك ، وسمَّوا هم أبا العشائر بن حمدان حنقاً لما جرى من قتلهم ابن قسطنطين ، وكان أبو العشائر فارساً شجاعاً سخياً مُمدّحاً(٢) .

* * *

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٣١ . وديوان أبو فراس ٧٣ .
(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/ ٢٥٣١ ـ ٢٥٣٢ .

الحُسين(*) بن هِبة الله التَّغلبي

هو الحسين بن هِبة الله بن مَحْفُوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحُسين بن صَصْرَى . القاضي شمس الدين أبو القاسم ابن الشيخ الرئيس أبي الغنائم التَّغلبي البلدي الأصل ، الدمشقي ، أخو الحافظ أبي المواهب .

ولد أبو القاسم قبل الأربعين[1] وخمسمائة ، وسمع أباه وجدَّه لأمه أبا المكارم عبد الواحد بن هلال[2] .

وجاء في سير الذهبي :

وسمع من أبيه ، وجدّه ، وجدّه لأمّه أبي المكارم بن هلال ، وعَبْدان بن رزّين ، وأبي القاسم بن البُنّ[3] ، ونصر بن مُقاتل ، وأبي طالب بن حَيْدرة ، وحمزة بن الحُبُوبيّ ، وحمزة بن كَرَوَّس ، وعليٍّ بن أحمد الحَرستانيٍّ ، والفَلكيٍّ ، والصائن وأخيه الحافظ[4] ، وحَسَّان بن تميم ، وعبد الواحد بن قَزّة ، وعلي بن عساكر بن سُرور المقدسي ، وعدد كثير .

وسمع بمكة من أبي حنيفة محمد بن عُبيد الله الخطيبي ، وبحلب من أبي طالب بن العَجمي .

وأجازَ له عليُّ بن الصباغ ، ومحمد بن السَّلاّل ، وأبو محمد سِبْط الخَيّاط ، وأحمد بن الآبنوسي ، ومحمد بن طِراد ، وأبو الفضل الأُرموي ،

(*) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨٢ ، شذرات الذهب ٧/ ٢٠٨ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٢ الوافي بالوفيات ١٣/ ٨٠ .

(١) سير أعلام النبلاء ولد سنة بضع وثلاثين وخمسمائة .

(٢) الوافي بالوفيات ١٣/ ٨٠ .

(٣) هو الحسين بن الحسن بن البُنّ الأسدي ، روى عنه ابن عساكر الحافظ (الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٥٤ ـ شذرات ٥/ ٣٢٤) .

(٤) يعني ابن عساكر .

والفقيه نصر الله بن محمد المِصِّيْصِيّ ، وخلق .

وخَرَّجَ له البِرْزَاليُّ مشيخةً في مُجلّد .

حَدَّث عنه الضياء ، والقُوصيُّ ، والمُنْذريُّ ، والجمال بن الصابوني ، والزّين خالد ، وأبو بكر بن طرخان ، وإبراهيم بن عُثمان اللَّمتوني ، والشَّرف أحمد بن أحمد الفَرضيُّ ، والجمال أحمد بن أبي محمد المَغاري ، والتقي ابن الواسطي وأخوه ، والتقي ابن مؤمن ، والعزّ بن الفراء ، وعبد الحميد بن حولان ، ونصر الله بن عَيّاش ، وأبو المعالي الأَبَرْ قوهيُّ ، وأبو جعفر بن الموازيني ، وخَلقٌ .

تفقه قليلاً على أبي سَعْد بن عَصْرُون .

قال البِرْزاليُّ : كان يسأل من غير حاجة ، وهو مُسْنِد الشام في زمانه .

وقال ابن الحاجب : ربما كان يأخذ من آحاد الأغنياء على التَّسميع .

قال محمد بن الحسن بن سلّام : كان فيه شحٌّ بالتَّسْميع إلاّ بعَرَض من الدُّنيا ، وهو من بيت حديث وأمانة وصيانة .

كان أخوه من عُلماء الحديث ، وقرأت عليه (علوم الحديث) للحاكم في ميعادين ، وكان متَمولاً له مال وأملاك ، رُزِىء في ماله مَرّات .

وقال ابن الحاجب أيضاً : كان صاحب أُصول ، لَيّن الجانب ، بهيّاً ، سَهل الانقياد ، مواظباً على أوقات الصلوات ، مُتَجَنِّباً لمخالطة الناس ، وهو من ربيعة الفَرَس .

مات في الثالث والعشرين من المُحَرَّم سنة ست وعشرين وستمائة وصلَّى عليه الخطيب الدَّولعي بالجامع ، والقاضي شمس الدين الخُوئي بظاهر البَلَد ، والتاج القُرْطُبيُّ بمقبرته بسفح قاسيون[1] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨٤ .

حَمدان(*) بن حَمدون التَّغلبي

هو حَمدان بن حَمدُون التّغلبي جد الأمراء الحمدانية .

اشترك في (٢٥٤ هـ) مع الحسن بن أيوب بن أحمد التَّغلبي في قتال مُساور بن عبد الحميد الخارجي[١] .

وفي سنة (٢٦٠ هـ) اشترك حمدان مع اسحاق بن أيوب بن أحمد التغلبي في حملة للقضاء على فتنة الموصل[٢] .

وفي سنة (٢٦٦ هـ) كان حمدان مع علي بن داود لمقاتلة اسحاق بن كنداج[٣] .

وفي سنة (٢٦٧ هـ) كانت وقعة بين اسحاق بن كنداج ، واسحاق بن أيوب ، وحمدان بن حمدون وغيرهم ، فهزمهم ابن كنداجيق إلى نَصيبين[٤] .

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين دخل حمدان بن حمدون ، وهارون الشاري مدينة الموصل ، وصلّى بهم الشاري في جامعها . وفي السنة نفسها نزل بنو شيبان ومن معهم بين الزابين من أعمال الموصل ، وعاثوا في البلد وافسدوا ، وجمع هارون الخارجيُّ على قصدهم ، وكتب إلى حمدان بن حمدون التَّغلبي في المجيء إليه ، إلى الموصل ، فسار هارون نحو الموصل وسار حمدان ومن معه إليه ، فعبر إلى الجانب الشرقي من دجلة ، وساروا جميعاً إلى نهر الخازر ، وقاربوا حلل بني شيبان ، فواقعته طليعة بني شيبان

(*) الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٨ ، ٢٧٠ ، ٣٣٣ . معجم البلدان ١/ ٣٨٣ ، ٥/ ٤٦ .

(١) المرجع السابق نفسه ٧/ ١٨٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه٧/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٧/ ٣٣٣ .

(٤) المرجع السابق نفسه ٧/ ٣٦٢ .

على طليعة هارون ، فانهزمت طليعة هارون ، وانهزم هارون عنها إلاّ من تحصن بالقصور[١] .

أي أصبح حمدان بن حمدون التغلبي يقاتل مع الخوارج ؟

وفي سنة تسع وسبعين ومائتين اجتمعت الخوارج ، ومقدَّمهم هارون ، ومعهم متطوّعة أهل الموصل وغيرهم وحمدان بن حمدون التغلبي على قتال بني شيبان .

وسبب ذلك أن جمعاً كثيراً من بني شيبان عبروا الزاب ، وقصدوا نِينَوى من أعمال الموصل ، للإغارة عليها وعلى البلد ، فاجتمع هارون الشاري ، وحمدان بن حمدون ، وكثير من المتطوّعة المَوَاصِلة ، وأعيان أهلها ، على قتالهم ودفعهم .

وكانوا بنو شيبان نزلوا على باعشيقا ، ومعهم هارون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيبانيّ ، صاحب ديار بكر ، وكان قد أنفذه محمد بن إسحاق بن كنداج والياً على الموصل ، فلم يمكنّه أهلها من المقام عندهم فطردوه ، فقصد بني شيبان معاوناً على الخوارج وأهل الموصل ، فالتقوا وتصافّوا واقتتلوا ، فانهزمت بنو شيبان وتبعهم حمدان والخوارج ، وملكوا بيوتهم ، واشتغلوا بالنهب[٢] .

الخليفة المعتضد وابن حمدان :

في سنة إحدى وثمانين ومائتين خرج المعتضد الخَرجة الثانية إلى الموصل ، قاصداً لحمدان بن حمدون لأنّه بلغه أن حَمدان مال إلى هارون الشاري ، ودعا له ، فلما بلغ الأعراب والأكراد مسير المعتضد تحالفوا أنهم يقاتلون على دم واحد ، واجتمعوا ، وعبّوا عسكرهم ، وسار المعتضد إليهم

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٤١٩ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٧/ ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

في خيله جريدةً ، فأوقع بهم ، وقتل منهم ، وغرق منهم في الزاب خلق كثير .

وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة مَارِدِين[١] ، وكانت لحمدان بن حمدون، فهرب حَمدان منها وخلَّف ابنه بها، فنزلها المعتضد ، وقاتل من فيها يومه ذلك، فلمّا كان من الغد ركب المعتضد فصعد إلى باب القلعة، وصاح : يا بن حَمدان ! فأجابه ، فقال : افتح الباب ، ففتحه ، فقعد المعتضد في الباب ، وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها ، ثم وجّه خلف ابن حمدون وطُلب أشدّ الطلب . وأُخذت أموال له ، ثم ظفر به المعتضد بعد عوده إلى بغداد[٢] .

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين كتب المعتضد إلى اسحاق بن أيوب ، وحمدان بن حمدون ، بالمسير إليه ، وهو في الموصل ، فبادر إسحاق ، وتحصن حمدان بقلاعه ، وأودع أمواله وحُرَمه ، فسيّر المعتضد الجيوش نحوه مع وصيف موشكير ، ونصر القشوري ، وغيرهما ، فصادفوا الحسن بن علي كورة وأصحابه متحصنين بموضع يُعرف بدير الزّعفران ، من أرض الموصل .

أما الحسين بن حمدان بن حمدون ، فلما رأى أوائل العسكر طلب الأمان ، فأُمّن ، وسُيّر إلى المعتضد ، وسلم القلعة ، فأمر المعتضد بهدمها ، وسار وصيف في طلب حمدان ، وكان بباسُورين[٣] ، فواقعه وصيف ، وقتل من أصحابه جماعة ، وانهزم حَمدان في زورق كان له في دجلة ، وحمل معه مالاً كان له ، وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة ، فصار في ديار ربيعة ، وعبر

---

(١) قلعة ماردين : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مُشْرفة على دُنَيسر ، ودار ، ونَصيبين . وقد ذكرها جرير في قوله :

يا خُزْر تَغْلِبَ إن اللّؤم حالفكم ... مادام في ماردين الزيت يعتصر

وكان فتحها وفتح سائر الجزيرة في سنة (١٩ هـ) وأيام من محرم سنة (٢٠ هـ) في أيام عمر بن الخطاب . (معجم البلدان ٥/ ٤٦) .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٦٦ .

(٣) باسُورين : ناحية من أعمال الموصل في شرقي دجلتها ، لها ذكر في أخبار حمدان . (معجم البلدان ١/ ٣٨٣) .

نفر من الجند ، فاقتصّوا أثره ، حتى أشرفوا على دير قد نزله ، فما رآهم هرب ، وترك ماله ، فأُخذ وأُتي به المعتضد ، وسار أولئك في طلب حمدان ، فضاقت عليه الأرض ، فقصد خيمة إسحاق بن أيوب ، وهو مع المعتضد ، واستجار به فأحضره اسحاق عند المعتضد ، فأمر بالاحتفاظ به وتتابع رؤساء الأكراد في طلب الأمان ، وكان ذلك في المحرم[1] .

الحسين بن حمدان ينقذ والده من سجن الخليفة المعتضد :

في سنة ثلاث وثمانين ومائتين سار المعتضد إلى الموصل ثم إلى تكْرِيت[2] وأقام بها ، وأحضر الحسين بن حَمدان التَّغلبي وسيَّر في طلب هارون بن عبد الله الخارجي في جماعة من الفرسان والرَّجّالة ، فقال له الحسين : إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين .

قال : اذكرها !

قال : إحداهنّ إطلاق أبي ، وحاجتان أذكرهما بعد مجيئي به .

فقال له المعتضد : لك ذلك .

فانتخب ثلاثمائة فارس ، وسار بهم ، ومعهم وصيف بن موشكير ، فقال له الحسين : تأمره بطاعتي يا أمير المؤمنين ، فأمره بذلك .

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٢) تكْرِيتُ : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً ، وافتتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب في سنة (١٦ هـ) ، وأرسل إليها سعد بن أبي وقاص جيشاً عليه عبد الله بن المعتم فحاربهم حتى فتحهم عنوة ، وقال في ذلك :

ونحن قتلنا يوم تكريت جمعها ... فلله جمع يوم ذاك تتابعوا
ونحن أخذنا الحصن والحصن شامخ ... وليس لنا فيما هَتكنا مشايعُ

وقال البلاذري : وجّه عُتْبَةُ بن فَرْقَد من الموصل بعدما افتتحها في سنة (٢٠ هـ) مسعود بن حُريث بن الأبجر أحد بني تيم بن شيبان إلى تكريت ففتح قلعتها صلحاً . (معجم البلدان ٢/ ٤٥ ، ٤٦) .

وسار بهم الحسين حتى انتهى إلى مخاضة في دجلة ، فقال الحسين لوصيف ولمن معه : ليقفوا هناك فإنّه ليس له طريق إن هرب غير هذا ، فلا تبرحُنّ من هذا الموضع حتى يمر بكم فتمنعوه عن العبور ، وأجيء أنا ، أو يبلغكم أني قُتلت .

ومضى حسين في طلب هارون ، فلقيه ، وواقعه وقُتل بينهما قتلى ، وانهزم هارون ، وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام ، فقال له أصحابه : قد طال مُقامنا ، ولسنا نأمن أن يأخذ حسين الشاري فيكون له الفتح دوننا ، والصواب أن نمضي في آثارهم ، فأطاعهم ومضى .

وجاء هارون منهزماً إلى موضع المخاضة فعبر ، وجاء حسين في أثره ، فلم ير وصيفاً وأصحابه في الموضع الذي تركهم فيه ، ولا عرف لهم خبراً ، فعبر في أثر هارون ، وجاء إلى حي من أحياء العرب ، فسأل عنه فكتموه ، فتهددهم ، فأعلموا أنّه اجتاز بهم ، فتبعه حتّى لحقه بعد أيام ، وهارون في نحو مائة رجل ، فناشده الشاري ووعده ، وأبى حسين إلاّ محاربته فحاربه ، فألقى الحسين نفسه عليه ، فأخذه أسيراً وجاء به إلى المعتضد ، فانصرف المعتضد إلى بغداد فوصلها لثمان بقين من ربيع الأول .

وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان وطوقه ، وخلع على إخوته ، وأدخل هارون على الفيل ، وأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه والإحسان إليه ، ووعد بإطلاقه .

ولما صُلب هارون نادى بأعلى صوته : لا حكم إلاّ لله ، ولو كره المشركون ! وكان هارون صُفْرِيّاً[١] .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

رَقَاش(*) بنتُ عَمرو التغلبية

هي رَقَاش بنتُ عَمرو بن تَغلب بن وَائل .

تزوجها كَعب بن مَالك بن تَيم الله بن ثَعلبة فقال لها اخلعي دِرعَك .

فقالت : خَلْعُ الدِّرْعِ بيد الزَّوج .

فقال : اخلعيه لأنظر إليك .

فقالت : التَّجرُّدُ لغيرِ النِّكاحِ مُثْلَةٌ[1] .

فأرسلتهما مثلين ، يضربان في الأمر بوضع الشيء موضعه[2] .

* * *

روْحُ(**) بنُ حَبِيب التَّغلبي

أدركَ عصرَ سيِّدنا رسولِ الله ﷺ .

وروى عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قال :

بينا أنا عند أبي بكر إذ أُتي بغراب ، فلما رآه بجناحين حمِدَ الله ثم قال : قال النبي ﷺ : ما صِيدَ مَصِيدٌ إلاَّ بنقصٍ من تسبيح ، إلاَّ أنْبتَ الله نابه ، وإلاَّ وكَّلَ مَكلاً يُحصي تسبيحَها حتى تأتي به يوم القيامة ؛ ولا عُضِد من شجرة وَشِيجة ـ يعني شجرة تُقطَع ـ إلاَّ بنَقْصٍ في تسبيح ، ولا دخل على امرىءٍ مَكْرُوهٌ إلاَّ بذنب ، وما عفا الله عنه أكثر .

يا غُراب ، أو غُريبة ، اعْبُدِ الله . ثم خلَّى سبيله .

* * *

(*) التجرد لغير النكاح مثلة : المفضل الضبي : ١٢٨ وأمثال ابن سلام : ٢٩٣ وفصل المقال : ٤١٥ والعسكري ١/ ٤١٧ والميداني ١/ ١٣٦ والتذكرة الحمدونية ٧/ ٧٦ .

(١) التذكرة الحمدونية ٧/ ٧٦ .

(٢) أمثال الميداني ١/ ١٣٦ .

(**) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٩ .

زَيد[*] بن يَزيد التَّغلبي

هو زَيد بن يَزيد بن أَبي الزرقاء التّغلبي الموصلي :

جاء عنه : كان زيد بن أبي الزرقاء ينتمي إلى بني تغلب ، كان جده نبطي .

رحل من الموصل إلى الشام في طلب العلم ، وخرج إلى الجهاد فأسرته الروم ، ومات في الأسر واجتاز بحلب أو ببعض أعمالها في طريقه إلى الشام وفي غزوه[1] .

ومن الطبقة الثالثة من أهل الموصل زيد بن يزيد بن أبي الزرقاء التّغلبي من أهل الفضل والنسك ، خرج من الموصل إلى الرملة مهاجراً لفتنة كانت فيها ستة ثلاث وتسعين ومائة ومات هناك .

ورحل في طلب العلم إلى الأمصار ، وروى عن سفيان بن سعيد الثوري ، ومسعر بن كدام ، وشريك بن عبد الله ، ونظرائهم من الكوفيين ، وروى عن الشاميين : ابن لهيعة وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وغيرهم ، وروى عن البصريين وتوفي سنة أربع وتسعين ومائة .

وقال أبو زكريا : أخبرني عبد الله بن أبان عن أحمد بن أبي نافع أو غيره ، قال : أُخذ يزيد بن أبي الزرقاء أسيراً في الجهاد ، فمات في الأسر سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة[2] .

... عن ابن حنبل قال : زيد بن الزرقاء الموصلي صالح ليس به بأس .

(*) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٠٥٩ . سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٦ .

(١) بغية الطلب ٩/ ٤٠٥٩ .

(٢) بغية الطلب ٩/ ٤٠٦١ .

وجاء أيضاً : وزيد بن أبي الزرقاء ثقة[1] .

... عن بشر بن الحارث قال : سمعت زيد بن أبي الزرقاء يقول : ما سألت انساناً شيئاً منذ خمسين سنة . وقال أيضاً : إذا كان للرجل عيال فخاف على دينه فليهرب[2] .

وقال عنه الذهبي :

زيد بن أبي الزَّرقاء الإمامُ القُدوة أبو محمد الموصلي .

حدَّث عن : جعفر بن بُرْقان وعيسى بن طَهْمان ، وشعبة بن الحجاج وسُفيان الثوري وأمثالهم .

روى عنه : عليُّ بن سَهْل ، وأبو عُمير عيسى بن محمد الرَّمْليان ، ومحمد ابن عبد الله بن عمَّار ، وعليُّ بن حرب ، وسعيد بن أسد بن موسى ، وابنه هارون بن زيد .

قال يحيى بن مَعين : ليس به بأْسٌ كان عنده جامعُ سُفيان .

وقال ابنُ حِبَّان في « الثقات » يُغرِب .

وقال ابن عمَّار : لم أر في الفضل مثل زيد والمُعافى وقاسم الجَرْمي .

وروى بشر الحافي ، عن زيد ، قال : ما سألت أحداً شيئاً منذ خمسين سنة وسمعته يقول : إذا كان للرجل عِيالٌ ، وخاف على دينه فَلْيهرب .

قلت : يَهْرُب بشرط أنْ لا يُضيِّع من يعول ، وقد هرب زيد بن أبي الزّرقاء ، ونزلَ الرَّمْلة أشهراً ، وكان من العابدين من أصدقاء المُعافى بن عمران .

يقال إنه مات في الأسر سنة سبع وتسعين ومئة[3] .

* * *

---

(١) بغية الطلب ٩/ ٤٠٦٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٩/ ٤٠٦٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٧ .

سَالم[*] بن الحسن التَّغلبي

هو سَالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد الرئيس أمين الدين أبو الغنائم ابن الحافظ أبي المواهب ابن صصرى التغلبي ، الدمشقي الشافعي المعدل[1] .

رحَل به أبوه وله خمس سنين فَسَمَّعَهُ من أبي الفتح بن شاتيل ، وأبي السعادات القَزاز ، وأبي العَلاء بن عَقيل ، وأبي الفَرج محمد بن أحمد بن محمد بن نَبْهان ، وأحمد بن دُرَّك[2] ، وشيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل وعدَّةٍ .

وسَمِعَ بدمشق من الفضل بن البانياسيِّ ، والأمير أُسامة بن منقذ ، وعبد الرزّاق النّجار ، والخضر بن طاووس ، وطائفةٍ .

وحفظ القرآن وتَفقَّه ، وتأدَّبَ قليلاً ، وتفرد بجملةٍ من مروياته ، مع عَدم تعميره .

حدَّث عنه البِرْزَاليُّ[3] ، والقُوصيُّ ، والمجد بن الحلوانية ، وسعد الخير ، وأبو الفضل بن عساكر ، وابنُ عمِهِ الفخرُ ، ومحمد بن يوسف الإِرْبليُّ ، وأبو علي بن الخَلاّل ، وأبو بكر بن عبد الدائم[4] وآخرون .

قال القوصيُّ في معجمه : أخبرنا القاضي الرئيس العدل أبو الغنائم

(*) النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٦ ، شذرات الذهب ٧/ ٣٢٢ ، العبر ٥/ ١٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦٠ ، الوافي بالوفيات ١٥/ ٧٩ .

(١) الوافي بالوفيات ١٥/ ٧٩ .

(٢) هو : أحمد بن المبارك بن دُرَّك . حاشية سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦١ .

(٣) حدَّث عنه في حياته .

(٤) ابن عبد الدائم هو آخر من حدَّث عنه .

بمنزله[1] ، وكان جميل الصُحبة والمعاشرة ، حكه المحاضرة ، حسن المحاورة ، حُمدتْ سيرتُه فيما تولّاه من المارستانات والمواريث .

عاش ستين سنة ، وتُوفِّي في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ودفن بتربته بسفح جبل قاسيون ، وخلّف أولاداً نُبلاء وهو جد قاضي دمشق نجم الدين أحمد بن محمد[2] .

وجاء بالوافي :

شهد عند القضاة وله عشرون سنة .

وسمع بدمشق وحفظ القرآن وتفقّه وقرأ في الأدب شيئاً[3] .

* * *

(1) كان منزل أبي الغنائم مجاوراً لمنزل القوصي بدرب زكري .

(2) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦٠ .

(3) الوافي بالوفيات ١٥/ ٨٠ .

ست[*] الوزراء التَّغلبية

هي الشّيخة الصَّالحة ، ست الوزراء ابنة تاج الدِّين أبي الفضل يحيى[1] بن محمد بن حمزة التَّغلبي الدمشقي .

مولدها سنة تسع وثلاثين وستمائة .

وأجاز لها ابن البخاري ، والضِّيا ، وعز الدِّين بن عساكر ، وعتيق السّلماني ، وخطيب عَقْرَبا ، وجماعة .

وهي من بيت الحديث .

توفيت سنة خمس عشرة وسبعمائة[2] .

عاشت (٧٦ سنة) .

* * *

(*) شذرات الذهب ٨/ ٦٥ . وجاء بحاشيته انظر الدرر الكامنة ٢/ ١٢٩ ، ١٣٠ وقد حرفت التَّغلبي فيه إلى الثَّعلبي .

(١) ووالدها مترجم في « معجم الشيوخ » ٢/ ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٢) شذرات الذهب ٨/ ٦٥ ، ٦٦ .

سعد الله[*] التّغلبي

هو سعد الله ـ وقيل سعد بن هبة الله بن نصر أبو الرجاء بن السرطان التّغلبي الوزير الرحبي ، من بني تغلب بن وائل والسرطان الذي ينسب إليه هو جشم بن نائل بن زياد التَّغلبي ، ويعرف بالسرطان وهو جدُ بيته ، وكان مع علي (ك)بصفين ، وقتل معه ودفن بالرقة .

وسعد الله هذا من بيت مشهور برحبة الشام ، وأخوه أبو المجد كان من رؤساء هذا البيت وتولى سعد وزارة حلب لأبي العز لؤلؤ الملكي لما استولى على حلب ، وعزل ابن الموصول عن الوزارة .

قال ابن العديم :

قرأت بخط الرئيس حمدان بن عبد الرحيم الأثاربي ، في أوراق وقعت إليّ من تاريخه قال : وفي آخر صفر ، يعني من سنة سبع عشرة وخمسمائة ، سلم بدر الدولة تدبير الوزارة بحلب إلى الوزير شرف الدين أبي الرجاء سعد الله بن هبة الله بن نصر المعروف بابن السرطان ، من أهل الرحبة وهو من بني تغلب بن وائل من ولد نائل .

قلت : وهذا بدر الدولة هو سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ، كان عمه ايلغازي قد جعله نائبه في حلب فلما مات عمه استمر في مملكة حلب وفي سنة ست عشرة[1] إلى أن انتزعها منه ابن عمه بلك بن بهرام بن أرتق في سنة سبع عشرة[2] ، وهي السنة التي ولي فيها الوزارة أبا الرجاء ابن السرطان وهذه الولاية ، ولاية ثانية غير الأولى التي من لؤلؤ الملكي .

(*) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٣٨ .

(١) سنة (٥١٦ هـ) .

(٢) سنة (٥١٧ هـ) .

قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن الحسين بن اللعيبة : حدثني الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الناتلي ببغداد، قال: كان شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش نضر الله وجهه وروى رمسه ، أخذ رهائن أهل الرحبة وحملهم إلى الموصل وفي جملتهم أبو المجد بن سرطان ، وتخلف بها أخوه أبو الرجاء سعد ، فأنشدني أبو محمد بن ظافر بن البناء الرحبي لنفسه :

ما نلتُ مُذْ غابَ أبو المجد	سعداً سوى التقبيل من سَعْدِ
وخلتُ أني مشتف باللما	فَزادني وجداً على وَجدِ[1]
من مُنصفي منهُ وأخواله	قواعد للحلِّ والعقدِ
وجده القاضي فمن ذا الذي	بعدي إذا ما جئتُ أَسْتَعدي
أبو الرجاء أرجوهُ على جورهِ	والجور شأن الغِلْمَة المُرْدِ[2]

* * *

(١) وَجَدَ فلان ، يَجدُ ، وَجْداً ، حَزِن .
(٢) مَرِدَ الشّاب ـ مَرَداً ـ ومُرَدَة : لم تَنْبُتْ لِحيَتُهُ . فهو أَمْرَدُ (ج) مُرْدٌ .
بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٣٩ .

سَعيد[*] بن بَيان التَّغلبي

هو سَعيد بن بَيان التَّغلبي سَيِّد بني تغْلب ، وكانت تحته بَرّة[١] وكانت من أجمل النساء ، فَقدِم الأخطلُ[٢] الكوفة على بِشْر بن مروان ، فدعاه سعيدُ بن بَيانٍ واحتفل ونَجَّدَ بيوته واستجاد طعامَه وشرابه ، فلما شرب الأخطلُ جعل ينظر إلى وجه بَرّة وجمالها ، وإلى وجه سعيد وقبحه !

فقال له سعيد : يا أبا مالك ، أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك فأين ترى هَيْئَتَنا من هَيئتهم !

فقال الأخْطَل : ما لِبيتكَ عَيبٌ غيرُك .

فقال سعيد : أنا والله أَحْمَقُ منك يا نَصراني حين أُدْخِلك منزلي ، وطرده . . . فخرج الأخطل وهو يقول :

وكيف يُداويني الطبيبُ من الجَوَى ... وبَـرَّةُ عنـد الأَعْـورِ ابـنِ بَيَـانِ[٣]
فهَلاَّ زَجَرْتِ الطَّيْرَ إذ جاءَ خَاطباً ... بِضِيقَـةَ بيـن النَّجْـم والـدَّبَـرانِ[٤]

* * *

(*) عيون الأخبار ٤/ ٣٥ .
(١) هي بَرّة بنت أبي هانىء التَّغلبي .
(٢) الأخطل = غياث بن غوث من بني تغلب ويكنى أبا مالك (الشعر والشعراء ٣١٩) .
(٣) الجوى : حرقة الحب .
(٤) الزّجر : العيافة ، وهو ضرب من التكهُّن ، وضيقة : منزلة : للقمر بلزق الثريّا مما يلي الدبران، وهو مكان نحسٍ على ما زعم العرب (حاشية عيون الأخبار ٤/ ٣٦)

سَعيدُ[*] بن حَمدان التغلبي ـ أبو العلاء

هو سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المُثَنَّى بن رافع بن الحارث بن عطيف[1] بن مَجريه بن جارية[2] بن مالك بن عبيد[3] . . . بن عدي بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، واسم تغلب دثار بن وائل[4] .

وهو أبو العلاء التغلبي الحمداني ، والد الأمير أبي فراس الحارث بن سعيد[5] .

في سنة ثلاث وتسعين ومائتين اشترك سعيد مع أخيه عبد الله بن حمدان بن حمدون في ردع الأكراد عن تمردهم وإعادتهم إلى طاعة الدولة[6] .

وفي سنة ثمان وثلاثمائة خلع المقتدر على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وقُلد طريق خراسان والدِّينور ، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا[7] .

في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، استعمل المقتدر سعيد بن حمدان على المعاون والحرب بنهاوند[8] .

في سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، قصد القرامطة مدينة هَيت ، وكان

(*) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٢٤٩١ . وفيات الأعيان ٢/ ٦١ ، ٦٢ ، الكامل في التاريخ ٧/ ٥٣٩ ٨/ ١٢٣ ، ١٥٧ ، ١٧٣ .

(١) ورد في وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ (غطيف) .

(٢) ورد في المرجع السابق نفسه ٢/ ١١٤ (محربة بن حارثة) .

(٣) لم يرد هذا الفراغ في وفيات الأعيان ، والنسب جاء بنفس التسلسل الذي أورده بن العديم .

(٤) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٩١ .

(٥) المرجع السابق نفسه ٩/ ٤٢٩١ .

(٦) الكامل في التاريخ ٧/ ٥٣٨ .

(٧) المرجع السابق نفسه ٨/ ١٢٢ .

(٨) المرجع السابق نفسه ٨/ ١٥٧ .

المقتدر قد سيّر إليها سعيد بن حمدان وهارون بن غريب ، فلما بلغها القرامطة رأو عسكر الخليفة قد سبقهم فقاتلوهم على السور ، فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة ، فعادوا عنها[١] .

في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة في ربيع الأول ، عُزل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان عن الموصل ، ووليها عمّاه سعيد ونصر ابنا حمدان ، وولى ناصر الدولة ديار ربيعة ، ونصيبين ، وسنجار ، والخابور ورأس العين ، ومعها من ديار بكر ، ميافارقين ، وأرزن ، ضمن ذلك بمال مبلغه معلوم ، فسار إليها ووصل سعيد إلى الموصل في ربيع الآخر[٢] .

وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، سار عساكر الروم إلى سُميساط فحصروها ، فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان وكان المقتدر قد ولّاه الموصل وديار ربيعة ، وشرط عليه غزو الروم ، وأن يستنقذ مَلَطية منهم ، وكان أهلها قد ضعفوا ، فصالحوا الروم ، وسلموا مفاتيح البلد إليهم ، فحكموا على المسلمين ، فلما جاء رسول أهل سُميساط إلى سعيد بن حمدان تجهّز وسار إليهم مسرعاً ، فوصل وقد كاد الروم يفتحونها ، فلمّا قاربهم هربوا منه وسار منها إلى مَلَطية وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني ومعهم بني نفيس ، صاحب المقتدر ، وكان قد تنصّر وهو مع الروم ، فلما أحسّوا باقبال سعيد خرجوا منها ، وخافوا أن يأتيهم سعيد في عسكر من خارج المدينة ، ويثور أهلها بهم فيهلكوا ، ففارقوها . ودخلها سعيد ثم استخلف عليها أميراً ، وعاد عنها ، فدخل بلد الروم غازياً في شوال ، وقدم بين يديه سَريّتين فقتلتا من الروم خلقاً كثيراً قبل دخوله إليها[٣] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٢١٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٢٣٥ . وبغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٩١ ، ٤٢٩٤ . جاء : وكان معه خمسة آلاف فارس من العرب كل ألف بلون من العذب والرايات على رماحهم .

في سنة عشرين وثلاثمائة قام سعيد وداود ابني حمدان ، وابن أخيهما ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مؤنس المظفر الخادم ، وصده عن الموصل[1] .

ولقد أورد ابن العديم أخباراً مهمة عن سعيد بن حمدان فقال :

أبو العلاء سعيد بن حمدان كان ملازماً حضرة المقتدر ، فكانت أكثر مواقفه على بابه ، ولما عظم أمر الرّجّالة ساروا إلى دار المقتدر في أربعين ألفاً ، فهزموا ابن ياقوت الحاجب والساجية والحجرية ، وكان أبو العلاء في دار الخليفة على غير أهبة ، فأمره بالخروج إليهم ، ودفع إليه جوشن المعتضد ، ودرع وصيف الخادم ، فظاهر بينهما ، وخرج فضرب فيهم بالسيف وغشوه من كل جانب وأثخنوه بالجراح ، فثبت حتى هزمهم فلم تقم لهم قائمة[2] .

وقال ابن خالويه : وكانت له ـ يعني أبا العلاء ـ بالجند والقواد وقعة في دار ابن مقلة الوزير أعظم من الأوله ، جمع له الخليفة بعدها ما بين السريرين من بغداد إلى ملطيه مع طريق خراسان . قال ابن خالويه : عارضت بنو سُليم الحاج ، وكان الأمير حاجاً متطوعاً ، فأوقع بهم وهزمهم ، فكتب إليه أخوه أبو السرايا نصر بن حمدان وكان هو وأبو العلاء شاعر بني حمدان .

جاء لي المُخبر الخَبير بأن قَدْ ... زَأرتْ حولكَ الأسود زَئيرا
حوطت غَارة عليك سُلَيْم ... فَثنيتَ العِنانَ فيهم مُغيرا
لمْ تَزلْ بالحُسَامِ تَبري رؤوساً ... وبحدِّ السِنانِ تفري النُحورا
وبودي أني حَضرتُ فاغنيتكَ ... عَنْ أنْ تَرى لغيري حُضورا
كُنتَ بالصَّارمِ الحسام أوقيكَ ... وما كنتُ أحذر المَحذُورا[3]

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٢٩ .
(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٩٢ .
(٣) المرجع السابق نفسه ٩/ ٤٢٩٢ .

قال ابن خالويه : اوقع أبو العلاء بن حمدان ببني عُقَيْل وقعةً بموضع وراء نجدٍ يقال له : شرج من أرض العاليه فقتل فرسانهم وملك حريمهم وأموالهم وأنشأ يقول :

نُبِئْتُهـا تسـأل عـن مـوقفـي ... بـأرض شـرج والقنـا شـرع
وعـن عُقَيْـل إذ صبحنـاهـم وقـد ... تـلاقـى الحُسّـر والـدرع
شَـددتُ فيهـم شَـدَّ ذي صـولـة ... قَـدْ جَـربتـهُ الحـرب لا يخـدع

وقال ابن خالويه : غزا أبو العلاء سعيد بن حمدان وسيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان من ملطية حتى أغارا على مدائن الروم : ونلفيد ، وسمندو ، وأغارا على الصفصاف ، ووادي سابوا فأحرقا المدائن ، وسبيا الذراري وقتلا الحماة وفتحا الحصون وكانت غزاة عظيمة جليلة[١] .

قال ابن خالويه : ومآثر أبي العلاء أكثر من أن تحصى وهو الذي ضمن عن بني البريدي[٢] ستمائة ألف دينار ثم أمرهم بالهرب وداري السلطان عنهم حتى صلح أمرهم ، وأقرهم على أعمالهم فما دخلوا مدينة السلام إلاّ مالكيها وأهدوا إلى أبي العلاء هدية بألف ألف درهم فلم يقبل منها إلاّ عمامة خز ، وله مثل ذلك كثير[٣] . ذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني في كتاب عنوان السير قال : أبو العلاء سعيد بن حمدان ، وكان في عسكر المقتدر بالله خمسة آلاف من السودان ومنازلهم بدر عمار فكثر تحكمهم وشغبهم فأوقع بهم أبو العلاء بن حمدان في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وأحرق منازلهم ، وبطل أمرهم من الدواوين والدنيا ، وتقدم أبو العلاء عند الراضي بالله لأنه نصر أباه في حربه ،

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٩٣ .
(٢) المرجع السابق نفسه ثار البريديون في البصرة وسعوا للتحكم بالخلافة في بغداد ، وهكذا اصطدموا بالحمدانيين الذين كانوا يسعون نحو الهدف نفسه . (حاشية الكتاب) .
(٣) المرجع السابق نفسه ٩/ ٤٢٩٤ .

واغتاله ابن أخيه أبو محمد ناصر الدولة ، وقتل بالموصل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[١] .

نهاية سعيد بن حمدان :

قال ابن خلكان : قُتل سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قتله بن أخيه ناصر الدولة بالموصل ، عَصَر مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها ، وحاصلها أنه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله ففعل ذلك سرّاً ، ومضى إليها في خمسين غلاماً ، فقبض ناصر الدولة عليه حين وصل إليها ثم قتله فأنكر ذلك الراضي حين بلغه[٢] .

وذكر ابن الأثير رواية ابن خلكان نفسها وأنه توفي سنة (٣٢٣ هـ) وأن الذي قتله ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان . أنفذ إليه جماعة من عنده فقتلوه في منزله[٣] . أي في منزل ناصر الدولة .

* * *

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٤٢٩٦ .
(٢) وفيات الأعيان ٦١٦٢ ـ ٦٢ .
(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٣٠٩ .

سَلمان(*) بن ندى التَّغلبي

هو سَلمان بن نَدى بن طراد بن مطر أبو عبد الله التَّغلبي القيسراني الشافعي .

كان إماماً في الفقه ، حافظاً له ، من المفتين فيه ، ذُكر عنه أنه كان يحفظ كتاب الشامل لأبي نصر بن الصباغ .

ولد في رجب سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة بقيساريّة .

حدَّث سلمان بن ندى عن ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : من اشترى خَادماً فليضع يده على ناصيته ثم يقول : اللهم إني أسألك من خيره وخير ما جَبَلْتَهُ عليه ، وأعوذ بك من شرّه وشر ما جَبلْتَهُ عليه ، وإذا اشترى دابة فليضع يده على ناصيتها ثم يقول : اللهم ، إني أسألك من خيرها وخير ما جَبلْتَها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جَبلْتَها عليه ، وإذا اشترى بعيراً فليضع يده على ذرة سنامه ثم يقول : اللهم ، إني أسألك من خيره وخير ما جَبلْتَهُ عليه ، وأعوذ بك من شره وشر ما جَبلْتَهُ عليه .

وحدَّث سلمان بن ندى عن أبي بكر محمد بن ثابت بن الحسين بن علي الخُجَنْدي بسنده للإمام الشافعي رحمه الله : [من الخفيف] :

لستُ ممنْ إذا جَفاه أخوهُ ... أَظهرَ الوَجْدَ أو تَناولَ عِرضَا

بل إذا صاحبٌ بدا لي جَفاهُ ... أُظهِرُ الودَّ والوصالَ ليرضى

كُنْ كما شِئْتَ لي فإني حَمولٌ ... أنا أولى مَنْ عن مساويك أَغْضَى

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٥٩ .

سَيفُ الدولة(*) بن حمدان

هو سَيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المُثنَّى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب التَّغلبي(١) .

وكانت ولادته يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلثمائة ، وقيل سنة إحدى وثلثمائة(٢) .

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم(٣) وكان ـ رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ! ـ غرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور(٤) ، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف(٥) بأسها وتنزع لباسها وتفل أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها .

وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في

(*) الوافي بالوفيات ١/ ١٩١ ، المنتظم ١٤/ ٨٠ ، ٩٤ ، ديوان الخالديان ٢١ ، ٣٢ ، ٢٨ ، ٣٤ وفيات الأعيان ٣/ ٤٠١ . مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١٠٧ ، يتيمة الدهر ٣٧٦١ ، الكامل في التاريخ ٨/ ٣٩٨ ، ٥٠٨ ، ٥٣١ ، ٥٥١ ، ٥٦١ .

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ ، ٤٠١ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٥ ـ قيل في الموصل ، وقيل في ميافارقين أشهر مدن ديار بكر (الدولة الحمدانية ٢/ ٢١) .

(٣) القلادة : العقد ، وما تصنعه الفتاة في جيدها من حليٍّ وغيرها .

(٤) سداد الثغور : حمايتها وقوتها .

(٥) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

الإسلام الآثار ، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان يجلب إليها ، ما ينفق لديها .

وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول :

ذهب الذين تهزّهمْ مدّاحهمْ   هزّ الكماة عَوالي المُرّانِ[1]
كان إذا امتدحوا رأوا ما فيهم   ملأ ريحَيّة منهمُ بمكانِ[2]

والناس يُسَمّون عصرَه وزمانَه « الطِراز المُذْهَب » ، لأن الفضلاءَ الذي كانوا عنده ، والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلهم : خطيبه ابن نُباته ، ومعلمُه ابن خَالَويه ، وطَبّاخه كشاجم ، والخالديان خُزّان كتبه ، والمتنبي والسّلّامي والوأواء والببغاء وغيرهم شُعراؤه[3] .

أُحصي من وفد عليه من الأجناد وأصحاب السلطان والكُتّاب والشعراء وعرب البريّة وأصناف الناس ، وذلك في عشر الأضحى فكانوا اثني عشر ألفاً ومائتين ، فأنفذ لكل واحدٍ من الأُضْحية على قدره من مائة إلى شاة .

ولزمه في فداء الأسرى سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة سِتَّ مائة ألف دينار ، واشترى كل أسير من الضعفاء بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث دينار رومية . فأما الجِلَّة من الأسرى ففادى بهم أسارى عنده من الروم من رؤسائهم وكانت

---

(١) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة : أو رأسها الذي يلي السنان ، والمُرّان : شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) ملأ ريحية : أراد من الأريحية ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد ورد ذلك في أبيات كثيرة :

نحن قومٌ ملجنٌ في زي ناسٍ   فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

يتيمة الدهر ١/ ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) الوافي بالوفيات ٢١/ ١٩٥ .

أخته قد توفيت وخلّفت خمس مائة ألف دينار فصرفها في هذا الوجه[1] .

سيف الدولة ينظم الشعر وينقد الشعراء :

استنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها .

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ قوله فيها :

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ... ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسم

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه .

كأني لم أركبْ جواداً للذّةٍ ... ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخالِ[2]
ولم أسبأ الزقَّ الرويّ ولم أقلْ ... لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفالِ[3]

وهنا يقول سيف الدولة للمتنبي . وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين وكان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كأنّي لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفالِ
ولم أسبأ الزق الرويّ للذّةٍ ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخالِ

ولك أن تقول :

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ... ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمُ
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ... كأنّك في جفن الردى وهو نائمُ

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا

---

(١) الوافي بالوفيات ٢١/ ١٩٢ .

(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .

(٣) أسبأ : أشتري ، الزق : دنّ الخمر ، الروي : المملوء ، والإجفال : الانهزام في سرعة .

كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ـ وهو الموت ـ ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لأجمع الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعهما .

فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار[١] .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفاً ، ومع كل واحد منهما بدرة[٢] وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة .

لم يغد شكرك في الخلائقِ مُطلقاً ... إلاّ ومـا لـكَ فـي النّـوالِ حَبيـسُ
خـوَّلتنـا شَمسـاً وبَـدراً أشـرقـتْ ... بهمـا لـدينـا الظُّلمـة الحنـديسُ[٣]
رشـأٌ أتـانـا وهـو حسنـاً يـوسـفٌ ... وغـزالـةٌ هـي بهجـةً بَلقيـسُ
هـذا ، ولـم تقنـع بـذاك وهـذه ... حتـى بعثـت المـال وهـو نَفيـسُ
أَتَـتْ الـوصيفـة وهـي تحمـلُ بـدرةً ... وأتى على ظهر الوصيف الكيسُ[٤]
وبـررتنـا ممـا أجـادت حـوكـه ... مصـرٌ ، وزادت حسنـه تنيـسُ[٥]

---

(١) يتيمة الدهر ١/٤٣ ، ٤٤ .
(٢) البدرة : صرّة أو كيس توضع فيه الدراهم .
(٣) الحنديس : من الحنديس ، وهو الليل الشديد الظلمة .
(٤) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .
(٥) بررتنا : من البر وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسج ، تنيس : مدينة بمصر أشتهرت بالنسج .

فغدا لنا من جودك المأكول والـ ـمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلاّ في لفظة « المنكوح » فليست مما يخاطب بها الملوك وهذا من عجيب نقده[1] .

ووقف الشعراء بين يدي سيف الدولة بحلب ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له فأنشد :

أنت عليٌّ وهذه حَلَبُ قد نَفِذَ الزادُ وانتهى الطَّلَبُ
بهذه تفخرُ البلاد وبالأميرِ تُزهَى على الوَرَى العَربُ
وعبدُك الدهرُ قد أَضَرَّ بنا إليكَ من جَوْرِ عبدِكَ الهَرَبُ

فقال سيف الدولة ، « أحسنت ، ولله أنت ! » وأمر له بمائتي دينار[2] ، من دنانير الصِّلات ، كل دينارٍ عشرة دنانيرٍ عليه اسمه وصورته[3] .

كانت في حياة سيف الدولة اهتمامات متعددة الجوانب أهمها محاربة الروم ودفع أذاهم ورد غزواتهم ، وغزوهم كلما أراد ، فأحياناً ينتصر ويغنم ، وأحياناً ينكسر ويخسر .

وفي الداخل كانت الدولة العباسية مهلهلة موزعة في أيد غير عربية لكل واحد منهم اقطاعات وولايات وكان الخليفة العباسي المتقي لله لا حول له ولا قوة ، إلى أن سمل عينيه القائد التركي توزون أمير العساكر ببغداد وأحل مكانه المستكفي بالله ، وكان الأخشيد في دمشق ، والقرامطة يضربون في كل اتجاه وحركات ثائرة هنا وهناك ، وكذلك بعض الخوارج يناهضون الدولة ، وبعض القبائل العربية تعلن العصيان موالية لهذا أو لذاك ، وفي هذه الأجواء الخطرة ظهر سيف الدولة واستطاع أن يحارب على جبهتين في الداخل والخارج ، ولكنه لم يستطع أن يغير من واقع الحال شيئاً في الداخل ، ولكنه

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٤٥ .
(٢) يتيمة الدهر ١/ ٤٢ .
(٣) الوافي بالوفيات ٢١/ ١٩٤ .

تصدى وببطولة للخطر الخارجي ودخل التاريخ من بابه الواسع ، كفارس مؤسس دولة بني حمدان ، وكقائد يقود المعارك بنفسه وكشاعر له منتديات أدبية ، فأحسن للشعراء المبدعين وأهل العلم .

حروبه في الداخل :

ظهر رجل في العرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلاّ من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل ، وبين يديه رأس الخارجي على رمح .

فقال أبو فراس يذكر ذلك :

وأنقـذَ مَـنْ مـسَّ الحـديـد وثقلـه ... أبا وائلٍ ، والدهر أجدع صاغرُ[1]

وآبَ ورأس القـرمطـيّ أمـامـه ... له جسدٌ من أكعب الرمح ضامرُ[2]

وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل :

ولـو كُنـتَ فـي أسرِ غيـر الهـوى ... ضمنـت ضمـان أَب وائـلِ

فـدى نفسـه بضمـانَ النّضـار ... وأَعْطـى صـدور القنـابـل الـذابـلِ[3]

ومنّـاهـم الخيـلَ مَجنـوبـةً ... فجئـن بكـلِّ فتـى بـاسـلِ[4]

كـأن خـلاص أبـي وائـلٍ ... معـاودة القمـر الآفـلِ

---

(١) أجدع : أي ذليل .

(٢) آب : رجع ، وضامر : هزيل .

(٣) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح . والذابل الدقيق .

(٤) المجنوبه : السلسة القياد .

دعــا فسمعــتَ وكــم ســاكــت		علــى البعــدِ عنــدكَ كــالقــائــل

فلبّيتــــه بــــك فــــي جحفــــلٍ		لــــه ضــــامــــنٌ وبــــه كــــافــــل

وعــــدتَ إلــى حلــبٍ ظــافــراً		كعــود الحلــيِّ إلــى العــاطــل[1]

سيف الدولة وبني كلاب :

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم ، فقهروا العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته[2] فأسرى إليهم ، واوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن ، وأحسن إليهن فقال المتنبي من قصيدة :

وجــــرمٍ جــــرّه سفهــــاء قــــومٍ		وحــلَّ بغيــرِ جــارمــه العــذابُ[3]

وعيــن المخطئيــن هــمُ ، وليســوا		بــأوّل معشــرٍ خطئــوا فتــابــوا

تــرفّــقْ أيهــا المــولــى عليهــم		فــإنّ الــرفــق بــالجــانــي عتــابُ

وعن حفظه للنساء وصيانتهن قال المتنبي أيضاً :

فَعُــدن كمــا أُخــذنَ مكــرّمــاتٍ		عليهــن القــلائــد والمَــلابُ[4]

وليــس مصيــرهــنّ إليــك شيئــاً		ولا صــونهــنّ لــديــك عــابُ[5]

ولا فقــــدهــــنّ بنــــي كــــلاب		إذا أبصــرن غــرّتــك اغتــراب[6]

وكتب أبو فراس الحمداني قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر نسوة بني كلاب فقال :

قد ضجَّ جيشك من طول القتال به		وقــد شكتــك إلينــا الخيــل والإبــلُ

---

(١) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحلي . (يتيمة الدهر ١/ ٤٦) .
(٢) أحفظته : أغضبته وأحنقته .
(٣) الحرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .
(٤) المَلاب : بفتح الميم ، كل عطر مائع ، وهو فارسي الأصل .
(٥) عاب : الشين : العيب والنقص .
(٦) يتيمة الدهر ١/ ٤٨ .

وقد درى الرومُ مذ جاورت أرضهمُ ... أن ليس يعصمهم سهلٌ ولا جَبلُ[1]
في كُلِّ يومٍ تزور الثغر لا ضجرٌ ... يثنيك عنه ، ولا شغلٌ ، ولا مَللُ
فالنفس جاهدةٌ ، والعين ساهرةٌ ، ... والجيش منهمكٌ ، والمال مُبتذلُ
توهّمتك كلابٌ غير قاصدها ... وقد تكنّفك الأعداء والشّغل
حتى رأوكَ أمامَ الجيش تقدمه ... وقد طلعتَ عليهم دونَ ما أملوا
فاستقبلوكَ بفرسانٍ أسنتها ... سود البراقع والأكوار والكللُ[2]
فكنتَ أكرم مسئولٍ وأفضله ... إذا وهبن فلا منٌّ ولا بخل[3]

لقب سيف الدولة :

في سنة ثلاثين وثلاثمائة كان المتقي لله قد أنفذ إلى أبي محمد الحسين بن عبد الله ناصر الدولة بن حمدان يستمده على البريديين ، فأرسل أخاه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان نجدة في جيش كثيف ، فلقي المتقي وابن رائق بتكريت قد انهزما ، فخدم سيف الدولة للمتقي خدمة عظيمة ، وسار معه إلى الموصل . وتقديراً للأخوين الحسين بن عبد الله بن حمدان فخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الأمراء ، وخلع على أخيه أبي الحسين علي بن عبد الله بن حمدان ، ولقبه سيف الدولة[4] .

وجرت لسيف الدولة وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان مواقع أخرى مع أبي الحسين البريدي ، وانهزم فيها سيف الدولة مرة واحدة ، ثم انتصر على أبي الحسين البريدي الذي هرب إلى البصرة ، وخسر خسائر كبيرة ، وكانت محطة سيف الدولة للاستراحة واسط[5] .

---

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .
(٢) البراقع : أقنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .
(٣) يتيمة الدهر ١/ ٥٠ .
(٤) الكامل في التاريخ ٨/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(٥) المرجع السابق نفسه ٨/ ٣٨٥ .

سيف الدولة وتوزون وخجخج والصراع بينهم :

في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة كان سيف الدولة علي بن حمدان بواسط بعد انحدار البريديين عنها ، وكان يريد الانحدار إلى البصرة لأخذها من البريدي ، ولا يمكنه لقلة الحال عنده ، ويكتب إلى أخيه في ذلك فلا ينفذ إليه شيئاً ، وكان توزون وخجخج يسيئان الأدب ويتحكمان عليه . ثم إنّ ناصر الدولة أنفذ إلى أخيه مالاً مع أبي عبد الله الكوفي ليفرقه في الأتراك ، فأسمعه توزون وخجخج المكروه ، وثارا به ، فأخذه سيف الدولة وغيّبه عنهما وسيّره إلى بغداد ، وأمر توزون أن يسير إلى الجامدة ويأخذها وينفرد بحاصلها ، وأمر خجخجَ أن يسير إلى مذار ويحفظها ويأخذ حاصلها . وكان سيف الدولة يزهد بالأتراك في العراق ، ويُحسِّن لهم قصد الشام والاستيلاء عليه وعلى مصر ، ويقع في أخيه عندهم فكانوا يصدّقونه في أخيه ، ولا يجيبونه إلى المسير إلى الشام معه ، ويتسحبون عليه ، وهو يجيبهم إلى الذي يريدونه .

فلما كان سلخ شعبان ثار الأتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلاً ، فهرب من معسكره إلى بغداد ، ونهب سواده ، وقُتل جماعة من أصحابه[1] .

حال الأتراك بعد إصعاد سيف الدولة :

لمّا هرب سيف الدولة من واسط عاد الأتراك إلى معسكرهم ، فوقع الخلاف بين توزون وخجخج ، وتنازعا الإمارة ، ثم استقر الحال على أن يكون توزون أميراً وخجخج صاحب الجيش ، وتصاهرا .

ثم وقع الخلاف بينهما وحُمل خجخج إلى توزون ، فسمله وأعماه ثاني يوم وصوله إليها[2] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

عود سيف الدولة إلى بغداد وهربه عنها :

لما هرب سيف الدولة لحق بأخيه ، فبلغه خلاف توزون وخجخج ، فطمع في بغداد ، فعاد ونزل بباب حرب ، وأرسل إلى المتقي لله يطلب منه مالاً ليقاتل توزون إن قصد بغداد ، فأنفذ إليه أربعمائة ألف درهم ففرّقها في أصحابه ، وظهر من كان متخفياً ببغداد وخرجوا إليه ، وكان وصوله ثالث عشر رمضان .

ولمّا بلغ توزون وصول سيف الدولة إلى بغداد خلّف بواسط كَيْغَلَغ في ثلاثمائة رجل وأصعد إلى بغداد فلما سمع سيف الدولة بإصعاده رحل من باب حرب فيمن انضم إليه من أجناد بغداد ، وفيهم الحسن بن هارون . فلمّا فارقها سيف الدولة دخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان فخلع عليه المتقي لله وجعله أمير الأمراء .

وكان توزون قد أسر غلاماً عزيزاً على سيف الدولة قريباً منه يقال له ثمال ، فأطلقه وأكرمه وأنفذه إليه ، فحسن موقع ذلك من بني حمدان[1] .

معركة تكريت بين سيف الدولة وتوزون :

في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ولمّا سار المتقي من بغداد ظلم ابن شيرزاد الناس وعسفهم وصادرهم وأرسل إلى توزون ، وهو بواسط ، يخبره بذلك ، فلما بلغ توزون الخبر عقد ضمان واسط على البريدي وزوّجه ابنته وسار إلى بغداد ، وانحدر سيف الدولة وحده إلى المتقي لله بتكريت ، فأرسل المتقي ، إلى ناصر الدولة يستدعيه ويقول له : لم يكن الشرط معك إلاّ أن تنحدر إلينا ، فانحدر ، فوصل إلى تكريت في الحادري والعشرين من ربيع الآخر ، وركب المتقي إليه ، فلقيه بنفسه ، وأكرمه .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

وأصعد الخليفة إلى الموصل ، وأقام ناصر الدولة بتكريت ، وسار توزون نحو تكريت ، فالتقى هو وسيف الدولة ابن حمدان تحت تكريت بفرسخين فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم انهزم سيف الدولة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ربيع الآخر ، وغنم توزون والأعراب سواده وسواد أخيه ناصر الدولة ، وعادا من تكريت إلى الموصل ومعهما المتقي لله ، وهزم توزون سيف الدولة في معركة ثانية[1] .

المتقي لله يصلح بين الأطراف المتصارعة :

ولمّا بلغ سيف الدولة إلى الموصل سار عنها هو وأخوه ناصر الدولة والمتقي لله ومن معهم إلى نَصِيبين ، ودخل توزون الموصل ، فسار المتقي إلى الرَّقة ولحقه سيف الدولة ، وأرسل المتقي إلى توزون يذكر أنّه استوحش منه لاتّصاله بالبريدي ، وأنهما صارا يداً واحدة ، فإن آثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعود إلى بغداد ، وتردّد أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشميُّ من الموصل إلى توزون في ذلك فتم الصلح ، وعاد توزون إلى بغداد ، وأقام المتقي عند بني حمدان بالموصل ، ثم ساروا عنها إلى الرَّقة فأقاموا بها[2] .

وأرسل المتقي لله إلى توزون يطلب منه العود إلى بغداد وسبب ذلك أنه رأى من بني حمدان تضجراً به ، وإيثار المفارقة فاضطر إلى مراسلة توزون ، فأرسل الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي إليه في الصلح ، فلقيهما توزون وابن شيرزاد بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه ، فاستوثقا من توزون وحلّفا للمتقي لله ، وأحضر لليمين خلقاً كثيراً من القضاة ، والعدول ، والعباسيين ، والعلويّين ، وغيرهم من أصناف الناس ، وحلف توزون للمتقي

---

(1) الكامل في التاريخ ٨/ ٤٠٧ .

(2) المرجع السابق نفسه ٨/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

والوزير ، وكتبوا خطوطهم بذلك[1] ، وكان من أمر المتقي لله أن انحدر من الرقة إني الفرات إلى بغداد لأربع بقين من المحرم من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وكان المتقي اجتمع مع الأخشيد في حلب واجتهد بالمتقي ليسير معه إلى مصر والشام فلم يجبه وعاد الإخشيد إلى مصر ، وتوزون عاد وحلف وسار عن بغداد لعشر بقين من صفر ليلتقي بالمتقي فالتقاه بالسندية فنزل توزون وقبل الأرض وقال : ها أنا قد وفيت بيميني والطاعة لك ثم وكل به وبالوزير وبالجماعة ، وأنزلهم في مضرب نفسه مع حرم المتقي ، ثم كحله فأذهب عينَيْه ، فلما سمله صاح ، وصاح من عنده من الحرم والخدم وارتجت الدنيا . . . وعمي المتقي لله ، وانحدر توزون من الغد إلى بغداد والجماعة في قبضته[2] .

سيف الدولة يملك مدينة حلب وحمص :

في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة سار سيف الدولة علي بن حمدان إلى حلب ، فملكها واستولى عليها وكان مع المتقي لله بالرّقة ، فلمّا عاد المتّقي إلى بغداد ، وانصرف الإخشيد إلى الشام ، بقي يأنس المؤنسي بحلب ، فقصده سيف الدولة ، فلما نازلها فارقها يأنس وسار إلى الإخشيد ، فملكها سيف الدولة ، ثم سار منها إلى حمص ، فلقيه بها عسكر الإخشيد محمد بن طُغْج ، صاحب الشام ومصر ، مع مولاه كافور ، واقتتلوا ، فانهزم عسكر الإخشيد وكافور ، وملك سيف الدولة مدينة حمص ، وسار إلى دمشق فحصرها فلم يفتحها أهلها له فرجع .

وكان الإخشيد قد خرج من مصر إلى الشام وسار خلف سيف الدولة فالتقيا بقنّسرين ، فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر ، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة ، فلما عاد الإخشيد إلى دمشق ، رجع سيف الدولة إلى حلب ، ولمّا

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٤١١ ، ٤١٢ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٤١٩ .

ملك سيف الدولة حلب سارت الروم إليها ، فخرج إليهم ، فقاتلهم بالقرب منها ، فظفر بهم وقتل منهم[1] .

موت الإخشيد وملك سيف الدولة دمشق :

في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة مات الإخشيد أبو بكر محمد بن طُغجْ ، صاحب ديار مصر ، وكان مولده سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد ، وكان موته بدمشق ، وقيل مات سنة (٣٣٥ هـ) وولي الأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور ، فاستولى على الأمر كافور الخادم الأسود ، وهو من خدم الإخشيد ، وغلب أبا القاسم واستضعفه وتفرد بالولاية ، وكافور هذا هو الذي مدحه المتنبي ثم هجاه .

وكان أبو القاسم صغيراً ، وكان كافور أتابكه ، فلهذا استضعفه وحكم عليه ، فسار كافور إلى مصر ، فقصد سيف الدولة دمشق ، فملكها وأقام بها فاتّفق أنّه كان يسير هو والشريف العقيليُّ بنواحي دمشق فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلاّ لرجل واحد ؛ فقال له العقيليُّ : هي لأقوام كثيرة فقال سيف الدولة : لئن أخذتْها القوانين السلطانية لينبرون منها ، فأعلم العقيليُّ أهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه ، فجاءهم ، فأخرجوا سيف الدولة عنهم سنة (٣٣٦ هـ) . وكان أنوجور مع كافور ، فتبعوا سيف الدولة إلى حلب ، فخافهم سيف الدولة فعبر إلى الجزيرة ، وأقام أنوجور على حلب ، ثم استقر الأمر بينهما ، وعاد أنوجور إلى مصر ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ، وأقام كافور بدمشق يسيراً وولي عليها بدر الأخشيدي ويُعرف ببُدَير ، وعاد إلى مصر ، فبقي بُدير على دمشق سنة ثم وليها أبو المظفَّر بن طُغج وقبض على بُدير[2] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

عصيان نجا وتمرده على سيف الدولة :

في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة أرسل سيف الدولة غلامه نجا إلى حرّان[1] في طلب ابن أخيه هبة الله بن ناصر الدولة لقتله غلام سيف الدولة المعروف بابن دنجا النصراني ، وكان خصيصاً بسيف الدولة ، وإنّما قتله لأنّه كان يتعرض لغلام له ، فغار لذلك .

فلما قارب نجا حرّان هرب هبة الله إلى أبيه بالموصل ، فنزل نجا على حرّان في السابع والعشرين من شوّال ، فخرج أهلها إليه من الغد ، فقبض عليهم ، وصادرهم على ألف ألف درهم ، ووكّل بهم حتى أدوها في خمسة أيام ، بعد الضرب الوجيع بحضرة عيالاتهم وأهليهم ، فأخرجوا أمتعتهم فباعوا كلَّ ما يساوي ديناراً بدرهم ، لأنّ أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ليس فيهم من يشتري لأنهم مصادرون ، فاشترى ذلك أصحاب نجا بما أرادوا ، وافتقر أهل البلد ، وسار نجا إلى ميّافارقين ، وترك حرّان شاغرة بغير والٍ ، فتسلط العيّارون على أهلها[2] .

ملك سيف الدولة بعض أرمينية وقتل نجا :

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، اجتمعت لدى نجا تلك الأموال فقوي بها وبطر ، ولم يشكر ولي نعمته بل كفره وسار إلى ميافارقين وقصد بلاد أرمينية ، وكان قد استولى على كثير منها رجل من العرب يُعرف بأبي الورد فقاتله نجا ، فقتل أبو الورد وأخذ نجا قلاعه وبلاده : خِلاط ، وملازكرد ومُوش وغيرها ، وحصل له من أموال أبي الورد شيء كثير ، فأظهر العصيان

---

(١) حرّان : وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهي قصبة ديار مُضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم ، فُتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غَنْم (معجم البلدان ٢/ ٢٧١) .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

على سيف الدولة . فاتّفق أنّ معزّ الدولة بن بويه سار من بغداد إلى الموصل ، ونصيبين ، واستولى عليها ، وطرد عنها ناصر الدولة ، فكاتبه نجا وراسله ، وهو بنصيبين ، يعده المعاضدة والمساعدة على مواليه بني حمدان ، فلما عاد معزّ الدولة إلى بغداد واصطلح هو وناصر الدولة سار سيف الدولة إلى نجا ليقاتله على عصيانه عليه ، وخروجه عن طاعته ، فلما صار إلى ميّافارقين هرب نجا من بين يديه ، فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه التي أخذها من أبي الورد ، واستأمن إليه جماعة من أصحاب نجا فقتلهم ، واستأمن إليه أخو نجا ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأرسل إلى نجا يرغبه ويرهبه إلى أن حضر عنده ، فأحسن إليه وأعاده إلى مرتبته .

ثم إن غلمان سيف الدولة وثبوا على نجا في دار سيف الدولة بميافارقين في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، فقتلوه بين يديه ، فغشي على سيف الدولة ، وأخرج نجا فألقي في مجرى الماء والأقذار ، وبقي إلى الغد ثم أُخرج ودُفن(١) .

مخالفة أهل انطاكية على سيف الدولة :

في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة عصى أهل انطاكية على سيف الدولة بن حمدان ، وكان سبب ذلك أنّ إنساناً من أهل طَرَسُوس كان مقدّماً فيها يسمّى رشيقاً النسيمي ، كان في جملة من سلمها إلى الروم وخرج إلى انطاكية ، فسلّم إليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرحاء ، وحسن له العصيان ، وأعلمه أن سيف الدولة بميّافارقين قد عجز عن العود إلى الشام ، فعصى واستولى على انطاكية ، وسار إلى حلب ، وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة ، وهو قَرْغُويْه ، حروب كثيرة ، وصعد قَرغويه إلى قلعة حلب ، فتحصن بها ، وأنفذ سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشّارة نجدة لقرغُويه ، فلما علم بهم رشيق انهزم

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٥١ ، ٥٥٢ .

عن حلب ، فسقط عن فرسه ، فنزل إليه انسان عربي فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى قرغويه وبشّارة .

ووصل ابن الأهوازي إلى انطاكية ، فأظهر إنساناً من الديلم اسمه دزبر وسماه الأمير ، وتقوّى بإنسان علوي ليقيم له الدعوة ، وتسمى هو بالأستاذ ، فظلم الناس ، وجمع الأموال ، وقصد قَرغُويه إلى انطاكية ، وجرت بينهما وقعة عظيمة فكانت على ابن الأهوازي أوّلاً ، ثم عادت على قَرغُويه فانهزم وعاد إلى حلب .

ثم إنّ سيف الدولة عاد عن ميّافارقين عند فراغه من الغزاة إلى حلب فأقام بها ليلة ، وخرج من الغد ، فواقع دزبر وابن الأهوازيّ ، فقاتل من بها فانهزموا ، وأسر دزبر وابن الأهوازي ، فقتل دزبر ، وسجن ابن الأهوازي مدة ثم قتله[١] .

وفي السنة نفسها ثار إنسان من القرامطة الذي استأمنوا إلى سيف الدولة واسمه مروان وكان يتقلد السواحل لسيف الدولة فلمّا تمكن ثار بحمص فملكها وملك غيرها فخرج إليه غلام لقرغويه حاجب سيف الدولة ، اسمه بدر وواقع القرمطي عدة وقعات ، ففي بعضها رمى بدراً مروان بنشابة مسمومة واتفق أن أصحاب مروان أسروا بدراً فقتله مروان ، ثم عاش بعد قتله أياماً ومات[٢] .

غزوات سيف الدولة للروم :

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زِبَطْرَةُ[٣] وعِرْقَةُ وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٦١ ، ٥٦٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٦٦ .

(٣) زِبَطْرَةُ : مدينة بين ملطية وسُمَيْساط والحدث في طرف بلد الروم ، وقال أبو تمام يمدح المعتصم :

لبيت صوتاً زِبَطْرياً هرقت له ... كأسَ الكرى وَرُضابَ الخُرّدِ العُرُبِ=

درب مواز فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدُّمستق فأوقع وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانة وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم وقد عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي أنطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوى المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة .

فقال أبو الطيب المتنبي :

لِكُـل امـرىءٍ مِـنْ دَهـرِهِ مـا تَعـوّدا ... وعاداتُ سيف الدولة الطّعن في العِدا
سَريتَ إلى جيحان من أرض آمدٍ ... ثـلاثـاً ، لقـد أدنـاك ركـضٌ وأبعـدا
فـولّـى وأعطـاك ابنـه وجيـوشـه ... جميعـاً ولـم يعـط الجميـع لتحمـدا
ومـا طلبـتْ زرق الأسنـة غيـره ... ولكـنَّ قسطنطيـنَ كـان لـهُ الفـدا

وقال أبو فراس :

وآبَ بقسطنطيـنَ وهـو مكبّـلٌ ... تحـفُّ بطـاريـقٌ بـهِ وزَرازِرُ[1]
وولّى على الرسم الدمستق هارباً ... وفي وجهه عذرٌ من السّيفِ عاذِرُ
فَـدى نفسـهُ بـابـنٍ عليـه كنفسـهِ ... وللشدّةِ الصماء تُقنى الذَّخائِرُ[2]
وقـد يقطـع العضـو النفيـس لغيـره ... وتـدفـع بـالأمـر الكبيـر الكبـائـرُ[3]

= (معجم البلدان ٣/ ١٤٧) .

ـ عِزْقَة : بلدة شرقي طرابلس ، وهي آخر عمل دمشق ، وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل ، غزاها سيف الدولة (معجم البلدان ٤/ ١٢٢) .

(١) الزرازر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .

(٢) تقنى : تدخر ، والذخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تدّخره لوقت الحاجة .

(٣) يتيمة الدهر : ١/ ٥٠ ، ٥١ .

قلعة الحدث :

سار سيف الدولة لبناء الحدث ـ وهي قلعة عظيمة الشأن فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة .

فقال أبو الطيب وذكر الحدث :

بَنَاها فأعلى والقَنَا تقرعُ القَنا ... وموج المنايا حولها مُتلاطمُ[1]

وكانَ بها مثل الجنون فأصبحتْ ... ومِنْ جثث القتلى عليها تَمائمُ[2]

تفيت الليالي كلّ شيء أخذتهُ ... وهنّ لما يأخذن منك غَوارِمُ[3]

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقَدْ فَجعتهُ بابنهِ وابن صهره ... وبالصهرِ حملات الأمير الغواشمُ

مَضى يَشكرُ الأصحاب في فوتهِ الظّبا ... بما شغلتها هامهم والمعاصمُ[4]

ويفهم صوت المشرفية فيهم ... على أن أصوات السيوف أَعاجمُ

يسرّ بما أعطاكَ لاعن جهالةٍ ... ولكنّ مغنوماً نجا منكَ غَانمُ

وقال السري في بناء الحدث :

---

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدّة الحرب ، والمنايا : جمع منية ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضاً ، متدافع .

(٢) التمائم : جمع تميمة وهي العوذة التي تقي من العين .

(٣) غوارم : مَدِينة .

(٤) الظبا : جمع ظبّة ، وهي حدّ السيف والسكين وغيرهما .

رَفعْتَ بالحدث الحصن الذي خفضت منهُ الحوادث حتَّى ذلَّ جَانبهُ

أَعدتَهُ عَدوياً في مناسبه ... من بعد ما كان روميّاً مناسبهُ[1]

فَقدْ وفى عرضه بالبيدِ واعترضتْ ... طولاً على منكب الشّعرى مناكبهُ

مُصغعٍ إلى الجوِ أعلاه فإنْ خفقتْ ... زُهرُ الكواكب خِلْنَاها تُخاطبهُ

كأنَّ أَبْراجَهُ مِنْ كلِّ ناحيةٍ ... أبراجها والدُّجى وحفٌ غَياهِبهُ[2]

الحدث :

الفداء بين الروم والمسلمين :

في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان ، وكان عدّة الأسرى ألفين وأربعمائة أسير وثمانين أسيراً من ذكر وانثى ، وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون أسيراً لكثرة من معهم من الأسرى ، فوفاهم ذلك سيف الدولة[3] . وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة سار سيف الدولة بن حمدان إلى بلد الروم فلقيه الروم ، واقتتلوا فانهزم سيف الدولة ، وأخذ الروم مَرْعش وأوقعوا بأهل طَرَسُوس[4] .

---

(١) عدوياً : منسوب إلى عدي ، وهو جد من أجداد سيف الدولة .

(٢) الوَحْف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة (يتيمة الدهر ١ / ٥١ ، ٥٢) .

(٣) جاء في الكامل في التاريخ ٨/ ٥٠٨ وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة في شهر ربيع الأول غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم ، فقتل وأسر وسبى ، وغنم ، وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدُّمُستق ، فعظم الأمر على الروم وعظم الأمر على الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار إليه سيف الدولة ، فالتقوا عند الحدث في شعبان فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ، ثم إنّ الله تعالى نصر المسلمين فانهزم الروم وقُتل منهم ممن معهم خلق عظيم وأسر صهر الدمستق وابن بنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوماً .

(٤) المرجع السابق نفسه ٨/ ٤٨٠ . ومرعش في معجم البلدان ٥/ ١٢٦ مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار .

ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم :

في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة دخل سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم ، فغزا ، وأوغل فيها ، وفتح حصوناً كثيرة ، وسبى وغنم ، فلمّا أراد الخروج من بلد الروم أخذو عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً ، واسترد الروم الغنائم والسبي ، وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم ، ونجا سيف الدولة في عدد يسير[١] .

في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة في رجب سار سيف الدولة بن حمدان في جيوش إلى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خَرْشَنَة[٢] ، وصَارِخة ، وفتح عدّة حصون وسبى ، وأسر ، وأحرق ، وخرّب ، وأكثر القتل فيهم ، ورجع إلى أذنة فأقام بها حتى جاءه رئيس طَرَسُوس ، فخلع عليه ، وأعطاه شيئاً كثيراً ، وعاد إلى حلب . فلمّا سمع الروم بما فعل جمعوا وساروا إلى ميافارقين ، وأحرقوا سوادها ونهبوه ، وخرّبوا ، وسبوا أهله ، ونهبوا أموالهم وعادوا[٣] .

وفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثّر فيها أثاراً كثيرة ، وأحرق وفتح عدّة حصون ، وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئاً كثيراً ، وبلغ إلى خَرْشَنة ، ثم إنّ الروم أخذوا عليه المضايق فلما أراد الرجوع قال له مَن معه من أهل طَرَسُوس : إن الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك ، فلا تقدر على العود منه ، والرأي أن ترجع معنا ، فلم يقبل منهم ، وكان معجباً برأيه يحب أن يستبد ولا يشاور أحداً لئلاّ يقال إنّه أصاب برأي غيره ، وعاد في الدرب الذي دخل منه ، فظهر الروم عليه واستردوا

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٢) خَرْشَنَةُ : بلد قرب مَلَطْيَة من بلاد الروم غزاه سيف الدولة بن حمدان . (معجم البلدان ٢/ ٤١٠) وصارِخة : بلدة غزاها سيف الدولة ببلاد الروم فقال المتنبي :

مُخْلىً له المرجُ منصوباً بصارخةٍ ... له المنابر مشهوداً بها الجُمَع

(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٥١٧.

ما كان معه من الغنائم وأخذوا أثقاله ، ووضعوا السيف في أصحابه فأتوا عليهم قتلاً وأسراً ، وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأي كل من يجهل آراء الناس العقلاء[١] .

استيلاء الروم على مدينة حلب : نكبة حلب وهزيمة سيف الدولة :

في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة سار الدُّمستق إلى حلب ، ولم يشعر به المسلمون ، لأنّه كان قد خلّف عسكره بقَيْسَاريّة[٢] ودخل بلادهم فلما قضى صوم النصارى خرج إلى عسكره من البلاد جريدة ، ولم يعلم به أحد ، وسار بهم عند وصوله ، فسبق خبرَهُ وكبس مدينة حلب ، ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان ولا غيره .

فلمّا بلغها وعلم سيف الدولة الخبر عجله الأمر عن الجمع والاحتشاد ، فخرج إليه فيمن معه ، فقاتله فلم يكن له قوة الصبر لقلة من معه ، فَقُتل أكثرهم ، ولم يبق من أولاد داود بن حمدان أحد ، قُتلوا جميعهم ، فانهزم سيف الدولة في نفر يسير ، وظفر الدُّمستق بداره ، وكانت خارج مدينة حلب ، تسمى الدادين ، فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة من الدراهم ، وأخذ له ألفاً وأربعمائة بغل ، ومن خزائن السلاح ما لا يحصى ، فأخذ الجميع ، وخرّب الدار ، وملك الحاضر ، وحصر المدينة ، فقاتله أهلها .

وهدم الروم في السور ثلمة ، فقاتلهم أهل حلب ، فَقُتل من الروم كثير ، ودفعوهم عنها ، فلما جنّهم الليل عمروها ، فلمّا رأى الروم ذلك تأخرّوا إلى جبل جَوْشن .

ثم إنّ رجالة الشُّرطة بحلب قصدوا منازل الناس ، وخانات التجارة

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٣١ ، ٥٣٢ .

(٢) قيسارية مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وهي كرسي مُلك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قليج أرسلان ، وقَيْسَاريّةُ أيضاً بلد على ساحل بحر الشام تُعَدّ من أعمال فلسطين بينها وبين طبريا ثلاثة أيام (معجم البلدان ٤/ ٤٧٨) .

لينهبوها ، فلحق الناس أموالهم يمنعوها ، فخلا السور منهم ، فلما رأى الروم السور خالياً من الناس قصدوه وقربوا منه ، فلم يمنعهم أحد ، فصعدوا إلى أعلاه فرأوا الفتنة في البلد بين أهله ، فنزلوا وفتحوا الأبواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون مَن وجدوا ، ولم يرفعوا السيف إلى أن تعبوا وضجروا .

وكان في حلب ألف وأربعمائة من الأسارى ، فتخلّصوا ، وأخذوا السلاح ، وقتلوا الناس ، وسُبي من البلد عشر ألف صبيّ وصبيّة ، وغنمو ما لا يُوصف كثرةً ، فلمّا لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة أمر الدُّمستق بإحراق الباقي ، وأحرق المساجد ، وكان قد بذل لأهل البلد الأمان على أن يسلموا إليه ثلاثة آلاف صبي وصبيّة ، ومالاً ذكره ، ويتصرف عنهم فلم يجيبوه إلى ذلك .

وكان عدّة عسكره مائتي ألف رجل ، منهم ثلاثون ألف رجل بالجواشن ، وثلاثون ألف للهدم واصلاح الطرق من الثلج ، وأربعة آلاف بغل يحمل الحسك الحديد .

قلعة حلب :

ولمّا دخل الروم البلد قصد الناس القلعة ، فمن دخلها نجا بحشاشة نفسه ، وأقام الدُّمستق تسعة أيام وأراد الإنصراف عن البلد بما غنم ، فقال له ابن اخت الملك ، وكان معه : هذا البلد قد حصل في أيدينا ، وليس من يدفعنا عنه فلأي سبب ننصرف عنه ؟

فقال الدُّمستق : قد بلغنا ما لم يكن الملك يؤمّله وغنمنا ، وقتلنا ، وخرّبنا ، وأحرقنا ، وخلّصنا أسرانا وبلغنا ما لم يُسمع بمثله ؛ فتراجعا الكلام إلى أن قال له الدُّمستق : انزل على القلعة فحاصرها ، فانّني مقيم بعسكري على باب المدينة ، فتقدم ابن اخت الملك إلى القلعة ، ومعه سيف وترس ، وتبعه الروم ، فلمّا قرب من باب القلعة أُلقي عليه حجر فسقط ، ورمي بخشب فقُتل ، فأخذه أصحابه وعادو إلى الدُّمستق ، فلما رآه قتيلاً قتل من معه من

أسرى المسلمين ، وكانوا ألفاً ومائتي رجل ، وعاد إلى بلاده[1] .

غزو الروم بلاد الإسلام :

في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في شوّال خرجت الروم ، فقصدوا مدينة آمد[2] ، ونزلوا عليها ، وحصروها ، وقاتلوا أهلها ، فَقُتل منهم ثلاثمائة رجل ، وأُسر نحو أربعمائة أسير ، ولم يمكنهم فتحها ، فانصرفوا إلى دارا ، وقربوا من نصيبين[3] ، ولقيهم قافلة واردة من ميافارقين[4] ، فأخذوها ، وهرب الناس من نصيبين خوفاً منهم ، حتى بلغت أجرة الدابة مائة درهم .

وراسل سيف الدولة الأعراب ليهرب معهم وكان في نصيبين ، فاتفق أن الروم عادوا قبل هربه ، فأقام بمكانه ، وساروا من ديار الجزيرة إلى الشام ، فنازلوا أنطاكية[5] ، فأقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون أهلها فلم يمكنهم فتحها ، فخرّبوا بلدها ونهبوه وعادو إلى طَرَسوس[6] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٤٠ ، ٥٤٢ .

(٢) آمد : بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السُّود على نَشز دجلة محيطة بأكثره مستديره به كالهلال . . . وفُتحت آمد في سنة عشرين من الهجرة وسار إليها عياض بن غَنْم بعدما افتتح الجزيرة (معجم البلدان ١/ ٧٦) وفي معجم ما استعجم ١/ ٩٣ .
آمد : من مدائن ديار ربيعة معروفة ، قال محمد بن سهل : سميت بآمد بن البلندي من ولد مدين بن إبراهيم .

(٣) نصيبين : مدينة عامرة من مدن الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام . . . ونصيبين أيضاً : مدينة على شاطىء الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم . وفتحها المسلمون أثنار فتح الجزيرة بقيادة عياض بن غَنْم (معجم البلدان ٥/ ٣٣٤) .

(٤) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر ـ وجاء أن خالداً بن الوليد والأشتر النخعي سارا إلى ميافارقين في جيش كثيف فنازلاها فيقال إنها فتحت عنوة وقيل صلحاً وكان ذلك بعد فتح آمد (معجم البلدان ٥/ ٢٧٢) .

(٥) أنطاكية : قصبة الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة ، وبين أنطاكية والبحر نحو فرسخين ولها مرسىً في بليد يقال له : السُّويديّة . (معجم البلدان ١/ ٣١٨) .

(٦) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب ، وبين طرسوس وأذنة ستة فراسخ وبها قبر المأمون عبد بن الرشيد (معجم البلدان ٤/ ٣١) . والكامل في التاريخ ٨/ ٥٧٣ .

سيف الدولة يقيم الفداء مع الروم على شاطىء الفرات :

أقام سيف الدولة الفداء بشاطىء الفرات في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، فأنفق عليه خمسمائة ألف دينار ، وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم ، واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث رومية من ضعاف الناس ، فأما الجلّة ممن كان أسيراً ، ففادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم[1] .

وأخرج جميع ذلك من ماله ، صبراً واحتساباً ، وطلباً للثواب والذكر من غير أن يعاونه أحد من الملوك عليه ولا غيرهم وكان ذلك خاتم أعماله الحسنة ، وأفعاله الشريفة التي تجاوزت الوصف وتفوت العدّ .

فلما فرغ من ذلك ، تقدّم إلى كل من بحضرته ، في الوقت ، من أهل الكتابة ، أن ينشى كل واحد منهم ، نسخة كتاب ليكتب عنه إلى من في البلدان من الجيش والرعية ، يخبر تمام الفداء ، ووصف الحال فيه[2] .

وقال أبو الفرج الببغاء يذكر ذلك :

مـا المـال إلاّ مـا أفـادَ ثنـاءَ ... مـا العـزّ إلاّ مـا حمـى الأعـداءَ
وفـديـتَ مـن أسْرِ العـدوّ معـاشـراً ... لـولاكَ مـا عـرفـوا الـزمـان فـداء
كـانـوا عَبيـدَ نَـداك ثـمَّ شَـريتهـم ... فَغـدوا عَبيـدكَ نغمـة وشِـراء
والأسـر إحـدى الميتتيـن وطـالمـا ... خلـدوا بـه فـأعـدتهـم أحيـاء
وضمنـتَ نفـسَ أبـي فـراس للعـلا ... إذْ منـهُ أصبحـت النفـوس بـراء
مـا كـان إلاّ البـدر طـال سـراره ... ثـمَّ انجلـى وقـد استتـم بهـاء
يـوم غـدا فيـه سمـاحـك يعتـق الـ ... أسـراء منـك ويـأسـر الأمـراء[3]

---

(١) نشوار المحاضرة ١/ ٢٨١ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٢/ ٢٩٦ .
(٣) المرجع السابق نفسه ١/ ٢٨١ .

وقال ابن الأثير : وفي سنة (٣٥٥ هـ) تم الفداء بين سيف الدولة والروم ، وسلّم سيف الدولة ابن عمه أبا فراس بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضي أبي الحصين[١] .

ملح شعر سيف الدولة :

قال في وصف قوس قزح وقد أبدع فيه كل الإبداع ، ويعتبر من محاسن شعره[٢] :

وساقٍ صَبيحٍ للصَّبوح دعوتُه ... فقامَ وفي أجفانِه سِنَةُ الغمضِ[٣]

يطوفُ بكاساتِ العُقار كأنجُمٍ ... فمن بين مُنقَضٍّ علينا ومُنفضِّ

وقد نَشرَتْ أيدي الجنوبِ مَطارفاً ... على الجوِّ دُكناً والحواشي على الأرضِ[٤]

يُطَرِّزُها قوس السحاب بأصفَرٍ ... على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مُبْيَضِّ

كأذيال خُوْدٍ أقبلْت في غلائلٍ ... مُصّبَّغةٍ ، والبعضُ أقصَرُ من بعضِ[٥]

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال :

فانظرْ إليه كزورقٍ من فضّةٍ ... قد أثقلتهُ حمولةٌ مِنْ عَنبرِ

وقال سيف الدولة في صباه :

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٧٤ .
(٢) جاء في وفيات الأعيان ٣/ ٤٠١ إن هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي ، وفي الوافي بالوفيات ٢١/ ١٩٥ جاء : وقد غَلط الناس ونسبوا إليه أشعاراً ليست له من ذلك الأبيات التي وصف قوس قزح ، وهي لابن الرومي وقيل لغيره .
(٣) الصبوح : الشرب صباحاً ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .
(٤) الجنوب : الريح تهب جنوباً : ودكناً : قاتمة .
(٥) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، (يتيمة الدهر ١/ ٥٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢ .

أُقْبِلُـــهُ علـــى جَـــزَعٍ   كشـــربِ الطـــائـــرِ الفَـــزِعِ
رأى مـــاءً فـــأطعمـــه   وخـــافَ عـــواقـــبَ الطمـــع
وصـــادَفَ خُلســـةً فَـــدنـــا   ولـــم يلتـــذَّ بـــالجُـــرَعِ[1]

كان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها سُمٍ أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال :

راقَبَتنـــي العيـــونُ فيـــكِ فـــأشفقـــ   ـــت ولـــم أخْـــلُ قـــطُّ مـــن إشفـــاقِ
ورأيـــتُ العـــدوَّ يَحْسُـــدُنـــي فيـــ   ـــك مجـــدّاً يـــا أنفـــسَ الأعـــلاق[2]
فَتمنيـــتُ أن تكـــونـــي بعيـــداً   والـــذي بيننـــا مـــن الـــودِّ بـــاق
رُبَّ هجـــرٍ يكـــون مـــن خـــوفِ هجـــرٍ   وفـــراقٍ يكـــون خَـــوْفَ فـــراق[3]

ومن شعر سيف الدولة أيضاً قوله :

تَجنَّـى علـيَّ الـذنـبَ والـذنـبُ ذنبُـه   وعَاتبني ظُلْماً وفي شِقِّهِ العَتْبُ[4]
إذا بَـرِمَ المـولـى بخـدمـةِ عَبْـدِهِ   تجنَّى له ذَنْباً وإن لم يكن ذنب[5]
وأعـرضَ لمّـا صـارَ قلبـي بكفـهِ   فهلاَّ جفاني حين كان لي القلب[6]

وقال في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما :

---

(١) الجرع : شرب الماء بسرعة (يتيمة الدهر ١/ ٥٤) . وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٣ .
(٢) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .
(٣) يتيمة الدهر ١/ ٥٤ ـ وجاء في وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢ ورأيت هذه الأبيات بعينها في ديوان عبد المحسن الصوري .
(٤) شقه : فمه . وفي الوافي بالوفيات ٢١/ ١٩٦ جاء عجز البيت (وفي يده العَنْبُ) .
(٥) أعرض : صدّ وامتنع .
(٦) برم : سئم وضجر . (يتيمة الدهر ١/ ٥٥) وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٣ .

وهبتُ لك العليا وقد كنتَ أهلها   وقلتُ لهم بيني وبينَ أخي فرق[1]
وما كـان بـي عنهـا نُكـول وإنّمـا   تجاوزتُ عن حقي فتم لك الحقُّ[2]
أمـا كنـتَ تـرضـى أن أكـون مُصلّيـاً   إذا كنتُ أرضى أن يكون لك السّبقُ[3]

وأخبار سيف الدولة كثيرة مع الشعراء ، خصوصاً مع المتنبي والسري الرفاء ، والنامي ، والببغاء ، والوأواء وتلك الطبقة ، وكذلك في معاركه داخل الدولة وخارجها وإن ذلك يحتاج إلى كتاب ، وهنا قدمت بحثاً يلم بكافة جوانب حياته يمكن أن تروي شغف القارىء وتعين الباحث .

وفاته :

توفي يوم الجمعة ثالث ساعة ، وقيل رابع ساعة ، لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلاثمائة بحلب ، ونقل إلى مَيَّافارقين ودفن في تربة أمه ، وهي داخل البلد وكان مرضه عسر البول .

وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً وعمله لَبِنة بقدر الكف ، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده ، فنفذت وصيته في ذلك[4] .

ولما مات سيف الدولة تولى أمره القاضي أبو الهيثم ابن أبي حُصَين وغسَّله عبد الحميد بن سَهْل المالكي قاضي الكوفة سبعَ مراتٍ ، أولاً بالماء والسِّدر ثم بالصَّنْدَل ثم بالذريرة ثم بالعنبر ثم بالكافور ، ثم بماء الورد ثم بالمِسْك ثم بماء

---

(١) ورد صدر البيت في يتيمة الدهر ١/ ٥٦ (رضيت إليك العليا . . .) والأصح : رضيت لك . . . .

(٢) ورد البيت في يتيمة الدهر :
ولـم يـك بـي عنهـا نكـول ، وإنمـا   تجـافيـت عـن حقـي . . . . .

(٣) ورد صدر البيت في يتيمة الدهر : (ولا بد لي من أن أكون مصليا . . . .) مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١٠٨ .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٥ .

قراح ، ونُشِّفَ بثوبٍ دَبيقي ثمنه خمسون ديناراً . وكُفِّن في سبعة أثواب تساوي ألفي دينار فيها قميص قَصَب بعد أن صُبِّرَ بمائة مثقالٍ غالية ومنوين كافور . وصلى عليه أبو عبد الله الأقساسي العلوي الكوفي وكبر عليه خمساً ، وحُمِلَ في تابوت إلى مَيّافارقين[1] .

رحم الله سيف الدولة ، مجده سيفه وصهوة حصانه ، وكرمه مثل سيفه طال الشعراء والأدباء فدخل التاريخ من بابه الواسع .

* * *

(١) الوافي بالوفيات ٢١/١٩٣ .

شريف(*) بن سيف الدولة الحمداني

هو أبو المعالي شريف سعد الدولة بن سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي(١) صاحب حلب توفي سيف الدولة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وملك بعده ابنه أبو المعالي شريف(٢) .

وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة جرى بين أبي فراس بن حمدان الشاعر وبين أبي المعالي بن سيف الدولة وحشة ، فطلبه أبو المعالي ، فانحاز أبو فراس إلى صدد وهي قرية في طرف البرية عند حمص فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم ، وسيّرهم في طلبه مع قرغويه ، فأدركه بصدد ، فكبسوه فاستأمن أصحابه ، واختلط هو بمن استأمن منهم ، فقال قرغويه لغلام له : اقتله ، فقتله وأخذ رأسه وتُركت جُثته في البريّة حتّى دفنها بعض الأعراب .

وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة ، ولقد صدق من قال : إنّ الملك عقيم(٣) .

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، استولى قرغويه غلام سيف الدولة بن حمدان على حلب ، وأخرج منها أبا المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان ، فسار أبو المعالي إلى حرّان ، فمنعه أهلها من الدخول إليهم ، فطلب منهم أن يأذنوا لأصحابه أن يدخلوا فيتزودوا منها يومين فأذنوا لهم ، ودخل إلى

(*) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٨١ ، ٥٨٨ ، ٦٠٠ ، ٩/ ١٧ ، ٣٨ ، ٨٥ ، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٤٦ ، النجوم الزاهرة ٤/ ١٦١ ، شذرات الذهب ٤/ ٤٢٧ ، الأعلاق الخطيرة ج١/ ٧٤ ، ١٠٢ ، ٣٨٠ .

(١) انظر تتمة نسبه في ترجمة والده سيف الدولة في هذا الكتاب .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٨١ . الأعلاق الخطيرة ١/ ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٥٨٨ .

والدته بميافارقين ، وهي ابنة سعيد بن حمدان ، وتفرق عنه أكثر أصحابه ومضوا إلى أبي تغلب بن حمدان[1] . فلما وصل إلى والدته بلغها أن غلمانه وكتابه قد عملوا على القبض عليها وحبْسها ، كما فعل أبو تغلب بأبيه ناصر الدولة ، فأغلقت أبواب المدينة ومنعت ابنها من دخولها ثلاثة أيام ، حتى أبعدت من تحب إبعاده ، واستوثقت لنفسها ، وأذنت له ولمن بقي معه في دخول البلد ، وأطلقت لهم الأرزاق ، وبقيت حرّان لا أمير عليها ، ولكن الخطبة فيها لأبي المعالي ابن سيف الدولة وفيها جماعة من مقدمي أهلها يحكمون فيها ، ويصلحون من أمور الناس .

ثم إنّ أبا المعالي عبر الفرات إلى الشام وقصد حماة فأقام بها[2] .

الصراع على حلب :

في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة لما ملك الروم أنطاكية أنفذوا جيشاً كثيفاً إلى حلب ، وكان أبو المعالي شريف بن سيف الدولة محاصراً لها ، وبها قرغويه السيفيُّ متغلّباً عليها ، فلما سمع أبو المعالي خبرهم فارق حلب وقصد البريّة ليبعد عنهم ، وحصروا البلد وفيه قرغويه ، وأهل البلد تحصنوا بالقلعة ، فملك الروم المدينة ، وحصروا القلعة ، فخرج إليهم جماعة من أهل حلب ، وتوسطوا بينهم وبين قرغويه وتردّدت الرسل ، فاستقر الأمر بينهم على هدنة مؤبّدة على مالٍ يحمله قرغويه إليهم ، وأن يكون للروم إذا أرادوا الغزاة أن لا يمكن قرغويه أهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون إليه منها .

وكان مع حلب حماة ، وحمص ، وكفر طاب ، والمعرّة ، وأفامية ، وشيزر ، وما بين ذلك من الحصون والقرايا ، وسلّموا الرهائن إلى الروم وعادوا عن حلب وتسلّمها المسلمون[3] .

---

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٩٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٠٤ .

وفي السنة نفسها في ربيع الآخر ، اصطلح قرغويه ، غلام سيف الدولة ابن حمدان ، وأبو المعالي ابن سيف الدولة ، وخُطب لأبي المعالي بحلب ، وكان بحمص ، وخطب هو وقرغويه في أعمالها للمعز لدين الله العلوي صاحب المغرب ومصر(١) .

عود أبي المعالي ابن سيف الدولة إلى ملك حلب :

في سنة ست وستين وثلاثمائة عاد أبو المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان ملك حلب . وكان سببه أن قرغويه لمّا تغلّب عليها أخرج منها مولاه أبا المعالي وذلك سنة (٣٥٧ هـ) فسار أبو المعالي إلى والدته بميافارقين ، ثم أتى حماة ، وهي له ، فنزل بها وكانت الروم قد خربت حمص وأعمالها . . . وكان قرغويه قد استناب بحلب مولىً له اسمه بكجور ، فقوي بكجور واستفحل أمره ، وقبض على مولاه قرغويه ، وحبسه في قلعة حلب ، وأقام بها نحو ست سنين ، فكتب من بحلب من أصحاب قرغويه إلى أبي المعالي بن سيف الدولة ليقصد حلب ويملكها ، فسار إليها وحصرها أربعة أشهر وملكها .

وطلب بكجور من أبي المعالي الأمان وأن يوليه حمص ، وأن يحضر هذا الأمان والعهد وجوه بني كلاب ، ففعل أبو المعالي ذلك وآلت حلب إليه(٢) .

خلافات ما بين أبي المعالي بن سيف الدولة وبكجور :

قد ذكرنا سنة (٣٦٦ هـ) ولاية بكجور حمص لأبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان ، فلما وليها عمرها ووقعت وحشة بين أبي المعالي وبكجور فأرسل إليه يأمره بأن يفارق بلده ، فأرسل بكجور إلى العزيز بالله بمصر يطلب نجاز ما وعده من إمارة دمشق ، وكان الوزير ابن كلّس يمنع العزيز من ولايته لهذه الغاية . وأحضر العزيز يلتكين من دمشق وأمره بتسليم دمشق إلى بكجور(٣) .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦١١ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٨٢ ، ٦٨٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٩/ ١٧ ، ١٨ .

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وصل بكجور إلى الرَّقة منهزماً من عساكر مصر بدمشق ، واستولى على الرحبة وما يجاور الرَّقة ، وراسل الملك بهاء الدولة ابن بويه بالانضمام إليه ، وكاتب أيضاً باذاً الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير إليه ، وراسل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ، بأن يعود إلى طاعته على قاعدته الأولى ، ويقطعه منه مدينة حمص كما كانت له ، فليس فيهم من أجابة إلى شيء مما طلب ، فبقي في الرَّقة يراسل جماعة رفقاء من مماليك سعد الدولة ، ويستميلهم ، فأجابوه إلى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة ، وأخبروه أنّه مشغول بلذّاته وشهواته عن تدبير الملك ، فأرسل حيئذ بكجور إلى العزيز بالله صاحب مصر ، يُطمعه في حلب ، ويقول له إنّها دهليز العراق ، ومتى أُخذت كان ما بعدها أسهل منها ، ويطلب الإنجاد بالعساكر .

فأجابه العزيز إلى ذلك وأرسل إلى نزّال والي طرابلس ، وإلى وُلاة غيرها من البلاد الشاميّة يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزّال إلى بكجور والتصرف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده .

وكتب عيسى بن نسطورس النصرانيُّ ، وزير العزيز ، إلى نزّال يأمره بمدافعة بكجور ، وإطماعه في المسير إليه ، فإذا تورط في قصد سعد الدولة تخلّى عنه . وذلك لكراهية عيسى لبكجور .

وهذا ما حدّث في تحديد يوم الهجوم على حلب ، وبلغ الخبر بمسير بكجور إلى سعد الدولة ، فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير ، مولى أبيه سيف الدولة ، وكتب إلى بكجور يستميله ويدعوه إلى الموادعة ، ورعاية حق الرق والعبودية ، ويبذل له أن يقطعه من الرَّقة إلى حمص ، فلم يقبل منه ذلك[1] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ٨٥ ، ٨٦ .

المعركة بين سعد الدولة وبكجور :

وكان سعد الدولة قد كاتب الوالي بأنطاكية لملك الروم يستنجده ، فسيّر إلي جيشاً كثيراً من الروم ، وكاتب أيضاً مَن مع بكجور من العرب يرغبهم في الإقطاع ، والعطاء الكثير ، والعفو عن مساعدتهم بكجور ، فمالوا إليه ، ووعدوه الهزيمة بين يديه ، فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال فلمّا اختلط الناس في الحرب وشُغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه ، واستأمنوا إلى سعد الدولة ، فلما رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل ، وعزم على أن يقصد موقف سعد الدولة ويُلقي بنفسه عليه ، فإمّا له وإمّا عليه ، فهرب واحد ممّن حضر الحال إلى لؤلؤ الكبير وعرّفه ذلك ، فطلب لؤلؤ من سعد الدولة أن يتحرك من موقفه ويقف مكانه ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع ، فحمل بكجور ومن معه ، فوصلوا إلى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم ، فلما رأى لؤلؤاً ألقى نفسه عليه وهو يظنه سعد الدولة ، فضربه على رأسه ، فسقط إلى الأرض ، فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد إلى موقفه ، ففرح به أصحابه وقويت نفوسهم ، وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال ، فمضى منهزماً هو وعامة أصحابه ، وتفرّقوا ، وبقي منهم سبعة أنفس ، وكثر القتل والأسر في الباقين(١) .

ولمّا طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه وسار ، فوقف فرسه ، فنزل عنه وسار راجلاً ، فلحقه نفر من العرب ، فأخذوا ما عليه ، وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرّفه نفسه ، وضمن له حِمل بعير ذهباً ليوصله إلى الرَّقة فلم يصدّقه لبُخْله المشهور عنه ، فتركه في بيته وتوجّه إلى سعد الدولة فعرفه أن بكجور عنده ، فحكمه سعد الدولة في مطالبه ، فطلب مائتي فدان مُلكاً ، ومائة ألف درهم ومائة جمل تحمل له حنطة ، وخمسين قطعة ثياباً ، فأعطاه ذلك أجمع

---

(١) الكامل في التاريخ ٩/٨٦ ، ٨٧ .

وزيادة وسيّر معه سريّة ، فتسلموا بكجور وأحضروه عند سعد الدولة ، فلمّا رآه أمر بقتله ، فَقُتل ، فلمّا قتله سعد الدولة سار إلى الرَّقة فنازلها ، وبها سلامة الرشيقيُّ ومعه أولاد بكجور ، وأبو الحسن علي بن الحسين المغربيُّ وزير بكجور ، فسلموا البلد إليه بأمان وعهود أكدوها وأخذوها عليه لأولاد بكجور وأموالهم وللوزير المغربي ، ولسلامة الرشيقيّ ، ولأموالهم ، فلمّا خرج أولاد بكجور بأموالهم رأى سعد الدولة ما معهم ، فاستعظمه واستكثره .

وكان عنده القاضي ابن أبي الحصين ، فقال سعد الدولة : ما كنتُ أظنّ أن بكجور يملك هذا جميعه ، فقال له القاضي : لِمَ لا تأخذه ؟ فهو لك لأنه مملوكاً لا يملك شيئاً ، ولا حَرج عليك ولا حنث .

فلما سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم ، وهرب الوزير المغربيَّ إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وكتب أولاد بكجور إلى العزيز يسألونه الشفاعة فيهم ، فأرسل إليه يشفع فيهم ، ويأمره أن يسيرهم إلى مصر ويتهدده إن لم يفعل ، فأهان الرسول وقال له : قل لصاحبك أنا سائر إليك . وسيّر مقدمته إلى حمص ليلحقهم[(١)] .

وفاة سعد الدولة بن حمدان :

فلما برز سعد الدولة ليسير إلى دمشق لحقه قُولَنج ، فعاد إلى حلب ليتداوى ، فزال ما به وعُوفي ، وعزم على العود إلى معسكره ، وحضر عند إحدى سراريه فواقعها فسقط عنها وقد فُلِج وبطل نصفه ، فاستدعى الطبيب ، فقال له : أعطني يدك لآخُذ مجسك ، فأعطاه اليُسرى ، فقال : أعطني اليمين ، فقال : لا تركت لي اليمين يميناً ، يعني نكثه بأولاد بكجور هو الذي أهلكه ، وقد ذكر ذلك وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة ، وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات بعد أن عهد إلى ولده أبي الفضائل ، ووصّى إلى لؤلؤ به وبسائر

---

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ٨٧ ، ٨٨ .

أهله[١] وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وبموت سعد الله انقرض ملك بني حمدان[٢] .

التنازع على حكم حلب :

فلمّا توفي أبو الفضائل ، وأخذ له لؤلؤ العهد على الأجناد ، وتراجعت العساكر إلى حلب ، وكان الوزير أبو الحسن المغربيُّ قد سار من مشهد عليّ ، عليه السلام ، إلى العزيز بمصر ، وأطمعه في حلب ، فسيّر جيشاً وعليهم منجوتكين أحد امرائه إلى حلب ، فسار إليها في جيش كثيف فحصرها ، وبها أبو الفضائل ولؤلؤ ، فكتبا إلى بَسيل ملك الروم يستنجدانه ، وهو يقاتل البلغار ، فأرسل بَسيل إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد أبي الفضائل ، فسار في خمسين ألفاً ، حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي ، فلمّا سمع منجوتكين الخبر سار إلى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبي الفضائل ، وعبر إليهم العاصي ، وأوقعوا بالروم فهزموهم وولو الأدبار إلى أنطاكية ، وكثر القتل فيهم .

وسار منجوتكين إلى أنطاكية ، فنهب بلدها وقُراها وأحرقها ، وأنفذ أبو الفضائل إلى بلد حلب ، فنقل ما فيه من الغلال ، وأحرق الباقي إضراراً بعساكر مصر ، وعاد منجوتكين إلى حلب فحصرها ، فأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي وغيرهم وبذل لهم مالاً ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلّة تعذّرِ الأقوات ، ففعلوا ذلك ، وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب ، فأجابهم إليه وسار إلى دمشق .

ولمّا بلغ الخبر إلى العزيز غضب وكتب بعود العساكر إلى حلب ، وإبعاد المغربي ، وأنفذ الأقوات من مصر في البحر إلى طرابلس ، ومنها إلى

---

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ٨٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٩/ ٨٨ والوافي بالوفيات ١٦/ ١٤٧ .

العسكر ، فنازل العسكر حلب ، وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهراً ، فقلت الأقوات بحلب .

وعاد إلى مراسلة الروم والاعتضاد به ، وقال له : متى أُخذت حلب أُخذت أنطاكية وعظم عليك الخطب . وكان قد توسط بلاد البلغار ، فعاد وجد في السير ، وكان الزمان ربيعاً ، وعسكر مصر قد أرسل إلى منجوتكين يعرّفه الحال ، وأتته جواسيسه بمثل ذلك ، فأخرب ما كان بناه من سوق وحمّام وغير ذلك ، وسار كالمنهزم عن حلب ، ووصل ملك الروم فنزل على باب حلب ، وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ، وعاد إلى حلب ، ورحل بَسيل إلى الشام ، ففتح حمص وشيزر ونهبهما ، وسار إلى طرابلس فنازلها ، فامتنعت عليه ، وأقام عليها نيّفاً وأربعين يوماً ، فلمّا أيس منها عاد إلى بلاد الروم[1] .

* * *

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ٨٩ ، ٩٠ .

شَريك(*) بن جَدير التَّغلبي

في سنة سبع وستين للهجرة كان شَريك بن جَدير التَّغلبي مع إبراهيم بن الأشتر ضد الدولة الأموية في معركته مع عبيد الله بن زياد الذي جعل على ميمنته الحُصَينَ بن نُمير السَّكُونيَّ ، وعلى ميسرته عُمير بن الحُباب السُّلَميَّ ، وعلى الخيل شُرَحبيل بن ذي الكَلاع .

وبعد معركة شديدة :

حمل شَريك بن جَدير التَّغلبيُّ على الحُصَين بن نُمَير السَّكونيّ وهو يظنه عبيد الله بن زياد ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فنادى التَّغلبيُّ : اقتلوني وابنَ الزانية ! فقتلوا الحصين .

وقُتل عبيد الله بن زياد :

وقيل : إن الذي قتل ابن زياد شَريك بن جَدير ، وكان هذا شَريك شهد صِفين مع علي كرم الله وجهه وأصيبت عينه ، فلما انقضت أيام علي لحق شَريك ببيت المقدس فأقام به ، فلمّا قُتل الحسين عاهد الله تعالى إن ظهر مَنْ يطلب بدمه ليقتلنّ ابنَ زياد أو ليموتنّ دونه .

فلما ظهر المختار للطلب بثأر الحسين أقبل إليه وسار مع إبراهيم بن الأشتر ، فلما التقوا حمل على خيل الشام يهتكها صفّاً صفّاً مع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا إلى ابن زياد وثار الرهج فلا يُسمع إلاّ وقع الحديد ، فانفرجت عن الناس وهما قتيلان شَريك وابن زياد ، والأول أصح . وشَريك هو القائل :

كُــلُ عَيــشٍ قــد أراهُ بــاطِــلاً غيرَ رَكْزِ الرُّمحِ في ظلِّ الفَرسْ[1]

* * *

(*) الطبري ٦/ ٩٠ الكامل في التاريخ ٤/ ٢٦٤ .

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٢٦٤ .

شُعْبَةُ(*) بن الفضل التَّغلبي

هو شعبة بن الفضل بن سَعيد بن سَلمة ، أبو الحسن التَّغلبي .

حدَّث بمصر عن إدريس بن جعفر العطار ، وبشر بن موسى ، ومحمد بن يوسف التركي ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة .

روى عنه أبو محمد بن النحاس المصري ، وأبو الفتح بن مسرور البلخي . وقال أبو الفتح : اسمه سعيد ، ولقبه شعبة وهو الغالب عليه وكان ثقة : أخبرني عبد العزيز بن محمد بن أحمد المطرز قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن عمر التجيبي ـ املاء بمصر ـ أخبرنا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التغلبي البغدادي ـ سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ـ حدَّ إدريس بن جعفر العطار وأخبرنا علي بن يحيى بن جعفر الإمام ـ باصبهان ـ حدَّثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، قال : حدَّثنا إدريس بن جعفر العطار ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا سفيان الثوري ، عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « ما من أيام أحب الله فيهن العمل ـ أو أفضل ـ من أيام العشر » قيل : يا رسول الله ولا الجهاد في سبي الله ؟ قال ﷺ : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلاَّ رجلاً جاهد في سبيل الله بماله ونفسه فلم يرجع من ذلك بشيء » واللفظ لحديث شُعبة . بلغني أن شعبة بن الفضل مات بمصر يوم الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .

* * *

(*) تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٦ . ولم أعثر له على ترجمة في مرجع آخر من المتوفر لدي .

صَاعد(*) بن أحمد التَّغلبي

هو صَاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التَّغلبي : قاضي طُليطلة ؛ يُكْنَى : أبا القاسم وأصله من قُرْطبة .

رَوى عن أبي محمد بن حَزْم ، والفتح بن القاسم ، وأبي الوليد الوقشي وغيرهم . واستقضاه المأمون يحيى بن ذي النون بطُليطلة ، وكان متحرياً في أموره ، واختار القضاء باليمين مع الشَّاهد الواحد في الحقوق ؛ وبالشهادة على الخط ، وقضى بذلك أيام نظره .

وكان : من أهل المعرفة والذَّكاء ، والرواية ، والدِّراية ، وُلد بالمَرِّيّة(1) في سنة عشرين وأربعمائة .

وتُوفِّي بطُليطلة وهو قاضيها في شوَّال سنة اثنتين وستين وأربعمائة . وصلى عليه يحيى بن سعيد الحديدي .

« ٤٦٢ _ ٤٢٠ هـ = ٤٢ سنة عاش صاعد » .

* * *

(*) كتاب الصلة ١/ ٢٣٢ .

(١) المَرِيَّةُ : وهي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس وكانت هي وبجّاية بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب يضرب ماء البحر سورها ، ويُعمل بها الوشي والديباج . (معجم البلدان ٥/ ١٤٠) .

صُبَيّ[*] بنُ مَعْبد التَّغلبيُّ

هو صُبَيّ بن مَعْبد التَّغلبي الكُوفيُّ :

روى عن عمر بن الخطاب ، في الجَمْع بين الحج والعُمْرة ، وفيه قصة زيد بن صُوحان وسلمان بن ربيعة ، وحكى عن هُذَيْم بن عبد الله التَّغلبي .

روى عنه : إبراهيم النَّخَعيُّ ، وَزِرّ بن حُبيش ، وأبو وائل شَقيق بن سَلمة ، وعامر الشَّعبيُّ ، ومَسْروق بن الأَجْدَع ، وأبو إِسْحاق السَبيعيُّ .

ذكره ابن حِبَّان في كتاب « الثِّقات » .

روى له أبو داود ، والنسائي وابن ماجه[1] .

وجاء أيضاً :

روى عن عمر أنه سأله عن القرآن فقال : هُديتَ لسُنّة نبيّك[2] .

* * *

(*) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٣/ ١١٤ ، الطبقات الكبرى ٦/ ١٤٥ ، وطبقات خليفة بن خياط ١٤٤ .

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٣/ ١١٤ ـ وورد في حاشيته :
قال مغلطاي قال مسلمة بن قاسم في كتاب الصلة : تابعي ثقة ، رأى عمر بن الخطاب وعامة أصحاب النبي ﷺ وقال بن حجر في « التقريب » ثقة مخضرم .

(٢) الطبقات الكبرى ٦/ ١٤٥ .

الصَّهباء[*] بنت رَبيعة التَّغلبية

هي من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر[1] ، وإن والدها كان من قادة تغلب . ولقد تزوج بها عليّ كرم الله وجهه ، وولدتْ عُمر بن عليّ ، ورُقيّة بنت علي ، فعمّر عُمر حتى بلغ خمساً وثمانين سنة ، فحاز نصف ميراث علي كرم الله وجهه ، ومات بيَنْبُع[2] .

وجاء أيضاً :

هي الصهباء بنت ربيعة بن بُجَير التَّغلبي . وقعت بالسبي في السنة الثانية عشرة في وقعة الثَّني والزُّمَيْل وانتصر المسلمون في هذه المعركة بقيادة خالد بن الوليد ، الذي بعث بالخبر والخمس إلى أبي بكر ، فاشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بنت ربيعة بن بُجير التَّغلبي ، فولدت له عمر ورقية[3] .

* * *

(*) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٧٢ ، ٣٩٩ . نسب قريش ٤٢ ـ مروج الذهب ص ١٩٠٨ .

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة (١٢ هـ) معجم البلدان ٤/ ١٩٩ .

(٢) يَنْبُع : وهي بين مكة والمدينة ، وهي من بلاد ضَمْرَة . معجم ما استعجم ٤/ ١٤٠٢ .
وجاء في معجم البلدان ٥/ ٥١٣ : ينبع : حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتولاها ولده .
وقال ابن دريد : ينبع بين مكة والمدينة .
وقال غيره : ينبع : من أرض تهامة غزاها النبي ﷺ فلم يَلْقَ كيداً وهي قريبة من طريق الحاج الشامي وقال عرام بن الأصبغ : ينبع : هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رَضوى من المدينة على سبع مراحل ، وهي لبني حسن بن علي ، وكان يسكنها الأنصار وجُهينة وليث ، وفيها عيون عذاب غزيرة .
وقال كُثير الخزاعي :

أهـاجَتْـك سَلْمـى أَمْ أَجـدّ بُكُـورهـا   وَحُفّـتْ بـأَنطـاكـيّ رَقْـمٍ خُـدورُهـا
على هَاجرات الشّوْل قد حفّت خطرها   وأَسلمَهـا للظـاعنـات جفـورُهـا
قوارض حضَـنْي بطـن ينبـع غُـدْوةً   قواصـد شـرقـي العَـنَاقَيْنِ عِيرُهـا

(٣) المرجع السابق نفسه ٢/ ٣٩٩ . أما وقعة الثني والزُّميل . لهما ترجمة في هذا الكتاب .

طَوْقُ(*) بن مَالك التَّغلبي

هو طَوق بن مالك بن عَتّاب بن زافر بن شُريح بن مُرّة بن عبد الله بن عمرو بن كُلثوم بن عتّاب بن سُعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار التَّغلبي[1] .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد سنة إحدى وتسعين ومائة ظهر خارجي يقال له ثروان بن سيف بناحية حَوْلايا ؛ فكان يتنقل بالسواد فوجّه إليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه وقتل عامة أصحابه ، وظن طوق أنه قتل ثروان ، فكتب بالفتح ، وهرب ثروان مجروحاً[2] .

وجاء في تاريخ الموصل : في سنة إحدى وتسعين ومائة خرج هيصم اليماني ، وخرج مروان سيف بناحية الرّاذان ، وباحُولايا ، فأنفذ هارون ، طوق بن مالك فهزمه وقتل من رجاله[3] . أما بالنسبة لهيصم اليماني ، جاء في

(*) الكامل في التاريخ ٦/ ٢٠٥ ، ٣٠٤ ، المنظم ٩/ ١٩٣ ، ١٠/ ١٨٩ ، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٨ ، ٤٨٩ جمهرة بن حزم ٣٠٤ وتاريخ الموصل ٣١١ ، ٣١٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ وفيات الأعيان ٤/ ١٢٣ ، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٠ .

(١) جمهرة بن حزم ٣٠٤ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٠ . وفي ترجمة مالك بن طوق إشارة إلى بعض تداخل المعلومات بين الأب وابنه . ومن خلال المعلومات الواردة فإن مالك أكثر شهرة من أبيه .

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٣ . والرواية نفسها في الكامل في التاريخ ٦/ ٢٠٥ ـ وحولايا : قرية كانت بنواحي النهروان (معجم البلدان ٢/ ٣٧٠) ولها أخبار في ذكر عبيد الله بن الحر .

(٣) تاريخ الموصل ٣١١ . والراذان : قرية بحوالي نسا وهي مدينة بخراسان (معجم البلدان ٥/ ٣٢٥) .

تاريخ الطبري وفي سنة إحدى وتسعين ومائة ظفر حماد البربري بهيصم اليماني[1] .

وفي سنة تسع وتسعين ومائة وفي عهد المأمون ظهر أبو السَّرايا ـ السّري بن منصور وكان يذكر أنه من ولد هانىء بن قبيصه بن هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة ابن ذُهل بن شيبان ، وكان القيم بأمر ابن طباطبا في الحرب[2] .

وقصد أبو السَّرايا الرَّقة فمر بطوق بن مالك التغلبي وهو يحارب القيسية فأعانه عليهم ، وأقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع إلا للعصبية ، للربعيَّة على المضرية فظفر طوق وانقادت له قيس[3] .

وكان في عمل طوق بن مالك بنواحي طريق الفرات رجل من ولد هبَّار[4] بن الأسود فظلمه طوق[5] بن مالك في ضيعة كانت هناك فانحدر إلى المأمون بقصيدة قالها ، فوصل إلى المأمون وأنشده :

نَالني بالظُّلامِ طَوْقٌ فَمَا كان عليهِ مِنْ غَالبٍ لي مُعينُ
أصبحت وائلٌ ترومُ قُصيّاً حِطَّةٌ ما ارتقتْ إليها الظُّنونُ
إن تَقلْ رَهْطي الأراقم يا طو قُ فدَعواكَ نَسبةٌ لا تكونُ[6]
فَقبيلي بنُو لُؤَيَّ أولو الأمْـ ـرِ ومِنَّا الأمينِ والمأمُونُ[7]

وهذا الشاعر أشجع السلمي يمدح طوق بن مالك ويذكر بأنه ساد قومه

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٣ . ومعنى ذلك أن طوق لم يقاتله .
(٢) المرجع السابق نفسه ٨/٥٢٨ وورد فيه أيضاً : وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يقال ابن طباطبا .
(٣) الكامل في التاريخ ٦/ ٣٠٤ .
(٤) هو هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى (نسب قريش ـ ٢١٨) .
(٥) في تاريخ الموصل ٤٠٧ ـ مالك بن طوق .
(٦) الأراقم من بني تغلب ـ جمهرة الأنساب ٢٨٧ والاشتقاق ٣٣٦ .
(٧) تاريخ الموصل ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

وما بلغ العشرين ويصفه فيحسن الوصف ، فهو حاجز لعدوه ، وكأن له أذناً وعيناً بصيرة على كل مسلوك الفجاج وسالك ، وهو فاتك وقليل الهجوع ، وسيفه يعانق رأس من عصا ، وإذا ما بدا في الجيش حسبته من العز يتبختر بين النجوم الشوابك ، وإذا ذُكرت أيام طوق تهللت وفرحت وفخرت ربيعة حتى ما ترى بينهم إلا السرور والمرح لذكراه .

وقال الشاعر أشجع :

لقد سوّدَتْ بَكرٌ عليها وتَغلبٌ ... وما بَلغَ العشرين طَوقَ بنَ مَالكِ
وما سَوّدَتْ إلاَّ نقياً ثيابه ... بعيدَ خُطى المَسعى شَريفَ المسالكِ
إذا ذُكرتْ أَيامُ طَوقٍ تَهللتْ ... ربيعةُ حتى مَا تَرى غير ضاحكِ
على مَلكِ طَوقٍ حَاجزٌ لعدوه ... بَناهُ بأطرافِ القنا والنيازكِ
كأَنّ لهُ أذْناً وعينا بَصيرةً ... على كُلِّ مَسلوكِ الفُجاج وسَالكِ[1]
لقد علمتْ جَاراتُ طوقٍ بأنّهُ ... قَليلُ الهجوع عن تَيقظِ فَاتكِ[2]
يُعانقُ عِشقاً سيفه رأس من عصا ... عِناقَ البُعولِ للعذَارَى الفوارِكِ
إذا ما بدا في الجيشَ طوقٌ حسبته ... من العزِّ يمشي بالنجومِ الشَوابكِ[3]

ولطوق بن مالك علاقة بالشاعر كلثوم العتابي التغلبي ولقد أوردت ذلك في ترجمة الشاعر وألقي بعض الضوء لكي لا يلتبس الموضوع بين الأب طوق والابن مالك ؟

فالأب طوق بن مالك توفي سنة (٢١٦ هـ) بعد أن عاصر الرشيد الذي توفي سنة (١٩٣ هـ) كما أنه عاصر المأون حوالي ربع قرن من الزمن لأن المأمون توفي سنة (٢١٨ هـ) .

---

(١) الفُجاج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٢) قليل الهجوع : قليل النوم . وفاتك : جريء شجاع . ج فُتَّاكٌ . (القاموس المحيط) .
(٣) أخبار الشعراء المحدثين ١٠٧ .

والابن مالك بن طوق عمل تحت امرة الواثق الذي توفي سنة (٢٣٢ هـ) والمتوكل الذي قتل سنة (٢٤٧ هـ ومات مالك بن طوق سنة (٢٦٠ هـ) فالأقرب للرشيد والمأمون هو طوق بن مالك . (انظر تاريخ الخلفاء) .

وجاء في تاريخ الطبري: فُرْضة نُعْم = هي رحبة طوق بن مالك[١] = الرَّحبي .

* * *

(١) تاريخ الطبري ٢/١١٧ .

عَباس(*) بن عبد الجليل التّغلبي

هو الأمير الكَبير شجاع الدين عباس بن عبد الجليل بن عبد الرحمن التَّغلبي .

وأصل بلده جبل ذخر ، وكان ذا مال جزيل وجاه عريض وكان أكثر ماله من التجارة ، وكان أميراً في مدينة زبيد(١) وتأمر في عدن(٢) وله آثار حسنة . وأكثر الناس صدقة . وإذاأقبل الحجاج من الحج وهو في بلدٍ ومرُّوا عليه كساهم ويعطيهم ما يوصلهم إلى بلدهم وإن كانوا من البلد التي هو فيها أعطاهم ما يزيلون به وعثاء السفر . وقد يتشبه ناس بالحُجاج في زيهم ويأتون إليه فيعطيهم ما يليق بحالهم .

وله من الآثار الدينية مدرسة زبيد عَمَّرها ابنه محمد بعد موت أبيه وهي الدار التي كان أبوه يسكنها .

وله أيضاً في قرية السلامة مسجد يعرف بمسجد عباس وهو غربي تربة الشيخ صالح علي بن الغريب ، وله مسجد في قرية أبيات حسين ، ومدرسة في بلدة ذخر في موضع يعرف بالحُبَيل .

وله في كل موضع من هذه المواضع وقف جيد يقوم بكفاية المرتبين فيه وكانت وفاته بزبيد في سنة أربع وستين وستمائة .

* * *

(*) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/ ١٣٩ .

(١) زبيد : وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت في أيام المأمون وبإزائها ساحل غَلافقة وساحل المندب ، ينسب إليها جمع كثير من العلماء . (معجم البلدان ٣/ ١٤٨) .

(٢) عدن : مدينة عدن جنوبية تهامية وهو أقدم أسواق العرب ، وهو ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق فقطع في الجبل باب بزُبر الحديد فصار لها طريق إلى البر (معجم البلدان ٤/ ١٠٠) وهي ميناء مشهور في اليمن .

عَبد الرحمن(*) بن عَبد الله التَّغلبي

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم التَّغلبي .

دخل بغداد ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله التَّغلبي قال : بينا أنا ماشٍ في شارع من شوارع الكرخ ببغداد فإذا بسقاء في يده كأس بلور مفتوح منقوش في غاية الحسن وفيه ماء ، وقد أخذ وردة في ابتداء زمان الورد ، فرماها في ذلك الماء فكان الماء يتموج فتلوح حمرة الورد مع بياض البلور ، فرأيت منظراً أنيقاً ، فوقفت أنظر ! فقال لي : ماذا تنظر يا مغربي فقلت : حُسن هذه الوردة في هذا الإناء .

فقال لي : لا تعجب من حُسن ذلك ولكن أَعجب من حُسن قولي فيها حيث أَقول :

للْـــوَرْدِ عنـــدي مَحــل ... لأَنـــــهُ لا يَمـــــلْ

كـــل النـــواويـــر جنـــد ... وهـــو الأميـــر الأجـــل

* * *

(*) بغية الملتمس ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

عَبد الرحمن(*) بن عَطية التَّغلبي

عبد الرحمن التّغلبي ومروان بن محمد :

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مَرْوان بن محمد ، فاستأْذنه في تَقبيل يده فأعرض عنه ، ثم قال له :

قد عَرف أميرُ المؤمنين موضعَك في قومِك ، وفضلَكَ في نفسك ، وتقبيلُ اليدِ من المُسلمِ ذِلةٌ ، ومن الذِّمي خديعةٌ ولا خيرَ لكَ في أن تَنْزِلَ بَينَ هاتين[1] .

وفي مثل ذلك جاء :

دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبَّل يده ؛ فقال : أُفٍّ له ، إن العرب ما قبّلت الأيدي إلاّ هُلوعاً ، ولا فعلته العجم إلا خُضوعا .

واستأذن أبو دُلامة الشاعر المهدي في تقبيل يده ؛ فقال : أمّا هذه فَدعْها ، قال : ما مَنعتَ عيالي شيئاً أسرَ فقداً عليهم من هذه[2] .

* * *

(*) نثر الدر ٣/ ٧٤ ، عقد فريد ٢/ ١٢٨ .

(١) نثر الدر ٣/ ٧٤ ، وجاء مثل هذا الكلام مع المأمون لرجل أراد تقبيل يده ، وأضاف : ولا حاجة بك أن تَذل ، ولا بنا أن نُخْدَع .

(٢) عقد فريد ٢/ ١٢٨ .

عبد الرحمن(*) بن يحيى التَّغلبي

هو عبد الرحمن بن يحيى بن القاسم بن المفرّج بن درج ، أبو النجيب التَّغلبي من أهل تكريت(١) .

حفظ القرآن وجَوّده وتفقَّه على والده ولازمه وحصَّل طَرَفاً صالحاً من الفقه والفرائض والأدب .

وسمع من أبي الفرج بن كليب وغيره .

وولّاه أبو صالح الجيلي قضاء تكريت ، وخَدَم في عدة أشغال في ديوان الوكالة وغيرها .

ولمَّا فُتحت المدرسة المستنصرية جُعلَ ناظراً عليها ، وجرت أموره فيما تولّاه على السداد .

توفي سنة إحدى وأربعين وستمائة .

* * *

(*) الوافي بالوفيات ١٨/٣٠١ ، ٣٠٢ .

(١) تَكْرِيت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي إلى بغداد أقرب بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً . افتتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب في سنة « ١٦ هـ » أرسل إليها سعد بن أبي وقاص جيشاً عليه عبد الله بن المعتم فحار بهم حتى فتحها عنوة ، وقال في ذلك :

ونحن قتلنا يوم تكريت جمعها ، فللّه جمع يوم ذاك تتابعوا
ونحن أخذنا الحصن، والحصن شامخ، وليس لنا فيما هَتكنا مشايعُ

وحول المدينة روايات متعددة « معجم البلدان ٢/ ٤٥ ، ٤٦ » .

عبد الغني(*) بن مكي التَّغلبي

ذكره ابن الأبّار في معجمه فقال :

هو : عبد الغني بن مكي بن أيوب بن أحمد بن رشيق التَّغلبي مولاهم البجاني أبو محمد بن أهل شاطبة(1) .

سمع من أبي علي كثيراً من روايته بمرسية(2) ثم بشاطبة في غزاته إلى كتندة ومن ذلك موطا يحيى بن يحيى الأندلسي قرأه مراراً وموطا ابن بُكَيْر سَمِعَهُ وكتاب الوقف والابتدا لابن الأنباري ، وغريب ابن عُزَيْز ومعاني القرآن لابن النحاس والناسخ والمنسوخ لأبي داود ولهبة الله والمستنير في القرآت لابن سوار ، والأسماء والكنى لمسلم ، والشمايل للترمذي ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ، والرياضة لأبي نعيم وحديث الحسن بن عرفة وعدة مجالس من أمالي ابن أبي الفوارس وعوالي ابن خيرون وهو كان القارىء لحديث ابن عرفة

* * *

(*) معجم ابن الأبار ٢٦٨ . في النص الأصلي أغفل ابن الأبّار بعض الكلمات من أن يضع الهمزة على حروفها مثل (قراه - قرأه) أو المد مثل (قران - قرآن) و(القرات - القراءات) . ولم يضع التنوين في أواخر الكلمات مثل (مرارا - مراراً) (فقيها - فقيهاً) . (أديبا - أديباً) (متقدما - متقدماً) (الكنا - الكنى) وبالإضافة أوضح للنص .

(1) شَاطِبَةُ : مدينة في شرقي الأندلس ، وشرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة قديمة . قد خرج منها خلق من الفضلاء .
قال الشاعر صفوان بن ادريس المرسي :
شَاطبةُ الشّرقِ شرُّ دارٍ ليس لسكانها فلاح
(معجم البلدان ٣/ ٣٥١) .

(2) مُرْسِيةُ : مدينة بالأندلس من أعمال تُدْمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وسماها تُدْمير بتَدْمُر الشام . (معجم البلدان ٥/ ١٢٥) .

وله رواية عن أبيه مكي وابن أبي تليد وابن جحد وأبي بكر بن العربي وغيرهم .

وكان فقيهاً أديباً متقدماً في عقد الشروط مشاركاً في قرض الشعر مع غفلة فيه وقد شور في الأحكام .

حدَّث عنه ابن سفين وابن عياد وابناه محمد وأحمد .

توفي سنة (٥٥٦هـ) وقيل في آخر سنة خمس وخمسين .

* * *

عبد الله[*] بن حَمدان التّغلبي

ذكر أوّل إمارة بني حمدان بالموصل : وما حدث بينهم وبين الأكراد .

هو أبو الهيجاء عَبد الله بن حَمدان بن حَمدون بن الحَارث بن لُقمان بن رَاشد بن المُثنَّى بن رَافع بن الحَارث بن غطيف بن محربة بن حَارثة بن مَالك بن عبيد بن عدي بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغلب ، التغلبي[1] .

في سنة ثلاث وتسعين ومائتين ولّى المكتفي بالله الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حَمدون التغلبيَّ العدويَّ . فسار إليها ، فقدمها أوّل المحرم ، فاقام بها يومه ، وخرج من الغد ، لعرض الرجال الذين قدموا معه ، والذين بالموصل ، فأتاه الصريخ من نِينَوى[2] بأن الأكراد الهذبانية ، ومقدمهم محمد بن بلال قد أغاروا على البلد ، وغنموا كثيراً منه ، فسار من وقته ، وعبر الجسر إلى الجانب الشرقي ، فلحق الأكراد بالمعروبة على الخازر ، فقاتلوه ، فَقُتل رجل من أصحابه اسمه سيما الحمدانيُّ ، فعاد عنهم وكتب إلى الخليفة يستدعي النجدة ، فأتته النجدة بعد شهور كثيرة ، وقد انقضت سنة ثلاث وتسعين ودخلت أربع وتسعين .

ففي ربيع الأوّل منها سار فيمن معه إلى الهذبانيّة ، فلما رأوا جده في طلبهم امتنعوا في الجبال وكان مقدّمهم محمد بن بلال ومعه الأكراد ، ورغم كل الظروف الصعبة صبر أبو الهيجاء وجيشه ، فلما رأى الأكراد صبرهم وأنّهم لا حيلة لهم في دفعهم لجأ محمد بن بلال وأولاده ومن لحق به واستولى ابن

(*) الكامل في التاريخ ٧/٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٨/١٨ ، ٥٤ ، ٧٦ ، وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ .

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ .

(٢) نينوى : وهي قرية يونس بن متى بالموصل . وسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى (معجم البلدان ٥/ ٣٩١) .

حمدان على بيوتهم وسوادهم وأهلهم ، وأموالهم ، وطلبوا الأمان فامّنهم ، وأبقى عليهم ، وردهم إلى بلد حَزَّة[1] ورد عليهم أموالهم وأهليهم ، ولم يقتل منهم غير رجل واحد وهوالذي قتل صاحبه سيما الحمدانيَّ ، وأمنت البلاد معه وأحسن السيرة في أهلها ثم إنّ محمد بن بلال طلب الأمان من ابن حمدان فأمَّنه ، وحضر عنده ، وأقام بالموصل . وتتابع الأكراد الحميدية ، وأهل جبل داسن إليه بالأمان فأمنت البلاد واستقامت[2] .

أبو الهيجاء يطارد شقيقه الحسين بن حمدان :

في سنة ست وتسعين ومائتين اجتمع القواد ، والكتاب ، مع الوزير العباس بن الحسن ، على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز ، وشارك في هذا الأمر الحسين بن حمدان ، وباءت المؤامرة بالفشل وهرب ابن حمدان وسيرت العساكر في طلب الحسين بن حمدان فتبعوه إلى الموصل .

فكتب الوزير إلى أخيه أبي الهيجاء بن حمدان ، وهو الأمير على الموصل ، يأمره بطلبه ، فسار إليه إلى بَلَد ، ففارقها الحسين إلى سِنْجَار[3] وأخوه في أثره ، فدخل البريّة فتبعه أخوه عشرة أيام ، فأدركه ، فاقتتلوا ، فظفر أبو الهيجاء ، وأسر بعض أصحابه ، وأخذ منه عشرة آلاف دينار ، وعاد عنه إلى الموصل ، ثم انحدر إلى بغداد ، فلما كان فوق تكريت أدركه أخوه الحسين ، فبيّته ، فقتل منهم قتلى ، وانحدر أبو الهيجاء إلى بغداد .

ثم إن الحسين طلب الأمان من ابن الفُرات وزير المقتدر فأعطي الأمان ورضي عنه أبو الهيجاء والخليفة[4] .

---

(١) حَزَّةُ: موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور ، وكانت عنده وقعة بين تغلب وقيس . وحزّة أيضاً: بليدة قرب إربل من أرض الموصل . (معجم البلدان ٢/ ٢٩٥) .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٥٣٨ ، ٥٤٠ .

(٣) سِنْجَارُ : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام (معجم البلدان ٣/ ٢٩٧) .

(٤) الكامل في التاريخ ٨/ ١٤ ، ١٨ ، ١٩ .

وعُزل أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان عن الموصل في سنة إحدى وثلاثمائة في صفر ، وفيها خالف أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان على المقتدر فسُيّر إليه مؤنس المظفَّر ، وعلى مقدّمته بني نفيس ، خرج إلى الموصل منتصف صفر ومعه جماعة من القوّاد ، وخرج مؤنس في ربيع الأول ، فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد مؤنساً مستأمناً من تلقاء نفسه وورد معه إلى بغداد فخلع المقتدر عليه[1] .

وفي سنة اثنتين وثلاثمائة قُلّد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الموصل[2] . أي أعيد بعد عزله .

وفي سنة ثلاث وثلاثمائة قبض المقتدر على أبي الهيجاء بن حمدان ، وعلى جميع إخوته وحبسوا وكان قد هرب بعض أولاد الحسين بن حمدان ، فجمع جمعاً ومضى نحو آمد فأوقع بهم مستحفظها ، وقتل ابن الحسين وأنفذ رأسه إلى بغداد[3] . والسبب تمردهم على الخليفة المقتدر .

وفي سنة خمس وثلاثمائة أُطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وأخوته ، وأهل بيته من الحبس ، وكانوا محبوسين بدار الخليفة[4] .

وفي سنة ثمان وثلاثمائة خلع المقتدر على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقُلّد طريق خُراسان والدِّينَور، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا[5] .

ذكر الحرب بين عبد الله بن حَمدان والأكراد والعرب :

في سنة أربع عشرة وثلاثمائة ، أفسدَ الأكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خُراسان ، وكان عبد الله بن حَمدان يتولّى الجميع في بغداد ، وابنه ناصر الدولة بالموصل ، فكتب إليه أبوه يأمره بجمع الرجال ، والانحدار إلى

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٩١ .
(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٩٤ .
(٤) المرجع السابق نفسه ٨/ ١٠٧ .
(٥) المرجع السابق نفسه ٨/ ١٢٣ .

تكريت ففعل ، وسار إليها ، فوصل إليها في رمضان ، واجتمع بأبيه ، وأحضر العرب ، وطالبهم بما أحدثوا في عمله ، بعد أن قتل منهم ، ونكّلَ ببعضهم ، فردوا على الناس شيئاً كثيراً ، ورحل بهم إلى شَهرزور ، فوطىء الأكراد الجلاليّة ، فقاتلهم ، وانضاف إليهم غيرهم ، فاشتدت شوكتهم ، ثمّ إنهم انقادوا إليه ، لمّا رأو قوّته ، وكفوا عن الفساد والشر[1] .

وفي السنة (٣١٤ هـ) ضمن أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان أعمال الخراج والضيِّاع بالموصل ، وقَرْدَى ، وبازَبْدي ، وما يجري معها[2] .

وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة كان أبو الهيجا عبد الله بن حمدان ، ومن إخوته أبو الوليد ، وأبو السرايا في أصحابهم مع جيش المؤنس المظفر في محاربة القرامطة .

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة اضطربت الخلافة في بغداد ، فَخُلع المقتدر بالله من الخلافة ، وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد ، وكانت أسباب ذلك خلافات بين قادة الجند لديه مثل مؤنس ، ونازوك صاحب الشرطة ، وصراعات على الأموال والاقطاعات ، وأعيد المقتدر إلى الخلافة وفي حالة الفوضى التي دبت قُتل نازوك ، وعبد الله بن حمدان ، وأخرج رأس نازوك ، ورأس أبي الهيجاء عبدالله ، وشُهرا ، ونودي عليهما : هذا جزاء من عصى مولاه[3] .

وهرب أبو السَّرايا نصر بن حَمدان أخو أبي الهيجاء إلى الموصل وسكنت الفتنة[4] .

وقال المقتدر عن قتل أبي الهيجاء : إنا لله وإنا إليه راجعون ! من قتله ؟ فقال : الخدم ، ما نعرف قاتله . وعظم عليه قتله ، وقال : ما كان يدخل عليّ ويسليني ، ويُذهب عني الغم هذه الأيام غيره[5] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ١٦٣ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ١٦٧ .
(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٢٠٦ .
(٤) المرجع السابق نفسه ٨/ ٢٠٦ .
(٥) المرجع السابق نفسه ٨/ ٢٠٥ .

عبد الله(*) بن ميمون التّغلبي

هو عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث ، ويقال : عبد الله بن محمد بن ميمون أبو الحواري التَّغلبي الغطفاني .

والد أحمد بن أبي الحواري الزاهد . كان من الزهاد أيضاً ، وكان بدمشق . وقيل كان كوفياً وانتقل ابنه إلى دمشق .

قال عبد الله : سمعت وُهَيب بن الورد يقول :

إذا دخل العبد في لاهوتية الرب ، ومهيمنة الصدِّيقين ، ورهبانية الأبرار لم يلق أحداً يأخذه بقلبه ، ولا يلحقه عينه .

قال أحمد بن عبد الله بن أبي الحواري : حدثت به أبا سليمان فقال : أما اللاهوتية فالعظمة . قال : فما المهيمنة ؟ قلت : لا أدري ؟ قال : اليقين . قال : فما الرهبانية ؟ قلت : لا أدري . قال : هو الزهد .

وحدَّث عن وُهَيب بن الورد قال :

خلق بن آدم وخلق الخبز معه ، فما زاد على الخبز فهو شهوة ، قال : فحدثت به سليمان بن أبي سليمان فقال : صدق ، والخبز مع الملح شهوة .

وحدَّث عبد الله بن أبي الحواري عن أبيه :

أنه رأى موضع أركان قبة دمشق وقد بلغت الماء .

قال أحمد بن أبي الحواري :

لبست الصوف وأبي حيّ ، فقال لي : يا بني ، ما أراك تقوى على هذا ، هذه طريقة الأنبياء ـ وكانت مرقعة ـ وكان عبد الله بن ميمون أبو الحواري والد

(*) مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٨٥ ، ٨٦ .

أحمد من مذكوري المشايخ وابنه أحمد أخذ عنه الطريقة .

قال أحمد بن أبي الحواري : قال لي أبي : يا بني لا تكثر البكاء فإنه يغشي القلب .

وقال : سمعت أبي يقول : من كانت نيته في العافية ملأ الله حضنه بالعافية .

* * *

عبدُ الملك[*] بن زيد التَّغلبي

هو الشيخُ الإمام العالم المفتي ، خطيب دمشق ، ضياءُ الدِّين ، عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد بن قائدٍ التَّغلبيّ الأَرْقَميُّ المَوْصليُّ الدَّوْلَعيُّ الشافعيُّ .

وُلِدَ سنة سبع وخمسمائة .

سَمعَ ببغداد من أبي الفتح عبد الملك الكَرُوخِيّ « جامع أبي عيسى التِّرمذيِّ » وسمعَ « سنن النَّسائيّ » من عليِّ بن أحمد بن محمويه اليَزْديّ .

وتفقَّه ببغداد ، وبرع ، وسكن دمشق ، وسمع بها من الفقيه فضل الله بن محمد المِصِّيصيِّ وعُمِّرَ دهراً .

حدَّث عنه : أبو الطاهر ابن الأنماطيِّ ، وأبو الحجَّاج بن خليل ، والشهاب القوصي ، والتقيُّ بن أبي اليُسْرِ ، وجماعة .

وبالإجازة أبو الغنائم بن علّان وأبو العبَّاس بن أبي الخير .

وَليَ خطابة دمشق دهراً ، ودَرَسَّ بالعزالية ، وكان متصوِّناً ، حميد الطريقة .

وولي خطابة دمشق بعدَهُ ابن أخيه وتلميذه الإمام جمال الدِّين محمد بن أبي الفضل الدَّولعيُّ ، واقف المدرسة بجيرون ، وبها دفن عام خمسة وثلاثين وستمائة .

مات الشيخ في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وله احدى وتسعون سنة .

والدَّوْلَعيَّةُ : من قرى الموصل[1] .

وجاء عنه أيضاً : قدم دمشق واستوطنها وصار خطيبها ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق وكان منزهاً حسن الأثر حميد الطريقة[2] .

* * *

(*) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٠ وانظر حاشيته ، النجوم الزاهرة ٦/ ١٨١ .

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥١ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦/ ١٨١ .

عبد الملك بن مروان ، ورجل من تَغْلِب

قال الهيثم بن عدي : قام عبد الله بن الحجاج التَّغلبي إلى عبد الملك بن مروان ، وَقَدْ كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حَنِقاً عليه ، فأقام ببابه حولاً لا يصل إليه ، ثم ثار في وجهه في بعض رَكَباته فقال :

أَدنــو لِتَــرحَمَنــي وَتُــرتِــقَ خَلَّتــي ... وأَراكَ تَــدفَعُنــي فــأَيــنَ المَــدفــعُ

فقال عبد الملك : إلى النار !

فقال :

ولقــد أذقْــتَ بنــي سعيــدٍ حَــرَّهــا ... وابــنَ الــزُّبيــر فَعــرشُــه مُتضعضــعُ

فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا استغفر الله[١] .

* * *

---

(١) البيان والتبيين ٣٩٠٦١ . إن هذه القصة مبتورة ، لم تعرف ما هو سبب حنق عبد الملك عليه ، وتركه يقيم حولاً على بابه ولم يأبه به حتى رآه صدفة في ذات يوم ، وكان الحوار قصيراً لا يفي بالوضوح .
فيظهر أنه غضب عليه لأمرٍ هام ، وكلاهما لم يفصح ، ومات الاثنان وسِرَّهما معاً ؟!

عبد الوهّاب(*) بن علي التَّغْلبي

هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحُسين بن هارون بن مالك بن طَوق التَّغلبي البغدادي الفقيه المالكي ، وهو من ذرية مالك بن طوق التَّغلبي صاحب الرحبة ؛ كان فقيهاً أديباً شاعراً ، صنف في مذهبه كتاب « التلقين » وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة ، وله كتاب « المعونة » و« شرح الرسالة » وغير ذلك عدة تصانيف[1] .

قال البغدادي :

سَمِعَ أبا عبد الله بن العسكري ، وعمر بن محمد بن سُبَنْك ، وأبا حفص بن شاهين .

وحدَّث بشيء يسير ، كتبت عنه وكان ثقة ولم نلق من المالكيين أحداً أفقه منه ، وكان حسن النظر ، جيد العبارة ، وتولى القضاء ببادَرايا[2] وباكُسايا ، وخرج في آخر عمره إلى مصر فمات بها[3] .

وذكره ابن بسام في كتاب الذخيرة فقال[4] : كان بقية الناس ، ولسان أصحاب القياس وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى

(*) المنتظم ١٥/ ٢٢١ ، فوات الوفيات ٢/ ٤١٩ ، تاريخ بغداد ١١/ ٣١ ، ٣٢ وفيات الأعيان ٣/ ٢١٩ ، ٢٢٢ سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٩ .

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٩ . وانظر ترجمة مالك بن طوق في هذا الكتاب .

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣١ . بادرايا : طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا بين البند نيجين ونواحي واسط . وهما من أعمال العراق . وجاء بأنه ولي القضاء بمدينة اسعرد (وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣١ .

(٤) ترجمته في القسم الأخير من الذخيرة الخاص بالمشارقة . وفيات الأعيان ٣/ ٢١٩ .

من الظفر بالنُّجح ، ونبتت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها ، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها ، فخلع أهلها ، وودع ماءها وظلها ، وحُدِّثتُ أنه شيَّعه يوم فَصَلَ عنها من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة ، وأنه قال لهم : لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ، ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية وفي ذلك يقول :

سَلامٌ على بَغْدادَ في كُلِّ مَوطنٍ ... وحُقَّ لها مني سلامٌ مُضَاعَفُ
فوالله ما فَارَقْتُها عن قِلىً لها ... وإني بشَطّيّ جانبيها لعَارِفُ
ولكنَّها ضَاقَتْ عليّ بِأَسرِها ... ولمْ تكنْ الأرزاقُ فيها تُساعِفُ
وكانتْ كخلٍّ كنتُ أَهْوَى دنُوَّهُ ... وأَخْلاقُهُ تَنْأى بهِ وتُخالِفُ

واجتاز في طريقه بِمَعَرَّة النعمان ، وكان قاصداً مصر ، وبالمعرة يومئذ أبو العلاء المعري فأضافه ، وفي ذلك يقول :

والمالكيُّ ابنُ نُصْرٍ زَارَ في سَفرٍ ... بلادَنَا فحَمِدْنا النَّأيَ والسَّفَرا
إذا تَفقَّهَ أحيا مَالِكاً جَدَلاً ... ويَنْشُرُ المَلِكَ الضِّلِّيلَ إنْ شَعَرا[1]

ثم توجه إلى مصر فحمل لواءها ، وملأ أرضها وسماءها ، واستتبع سادتها وكبراءها ، وتناهت إليه الغرائب ، وانثالت في يديه الرغائب ، فمات لأول ما وصلها من أكلة اشتهاها فاكلها ، وزعموا أنه قال وهو يتقلب ، ونفسه يتصعد ويتصوب : لا إله إلاّ الله ، إذا عشنا متنا . وله أشعار رائقة طريفة ، فمن ذلك قوله :

وَنائِمةٍ قبَّلْتُها فَتنبَّهتْ ... فَقالتْ تَعالوا واطْلبُوا اللِّصَّ بالحَدِّ
فَقُلْتُ لها إنِّي فَدَيتُكِ غَاصِبٌ ... ومَا حَكَمُوا في غَصبٍ بِسوَى الرَّدِّ
خُذِيها وَكُفِّي عن أَثيم ظُلامةٌ ... وإنْ أَنْتِ لم تَرضَي فألْفاً على العَدِّ

(١) القصيدة وردت في سقط الزند ٢٥٣ يخاطب بها المعري أبا القاسم القاضي التنوخي .

فَقَالَتْ : قِصَاصٌ يَشهَدُ العقلُ أَنَّهُ ... على كَبدِ الجاني أَلذُّ من الشَّهْدِ
فَبَاتَتْ يَميني وهي هِمْيانُ خَصْرِها ... وَبَاتت يَساري وهي واسِطَةُ العِقْدِ
فَقالَتْ : أَلَمْ أُخْبره بأَنَّكَ زَاهِدٌ ... فَقُلْتُ بَلى مازِلتُ أَزْهدُ في الزُّهْدِ[1]

وقال أيضاً :

بَغْداد دارٌ لأهلِ المالِ طَيبةٌ ... ولِلْمَفَاليسِ دَار الضَّنْكِ والضيِّقِ
ظَللتُ حَيرانَ أَمشي في أَزقتها ... كأنني مصحفٌ في بَيتِ زنديقِ

وله أيضاً :

أَهيمُ بذكرِ الشَرقِ والغَربِ دَائماً ... وَمَالي لا شَرقُ البلاد ولا غَربُ
ولكنَّ أوطاناً نأتْ وأحبّةً ... فَعدتُ متى أَذكرْ عهودهمُ أَصْبُ
ولمْ أَنسَ من وَدعْتُ بالشطِّ سحرةً ... وَقَدْ غَردَ الحادون واشتغلَ الركبُ
أَليفان هذا سائرٌ نحو غُربةٍ ... وهذا مُقيمٌ سَارَ من صَدرهِ القربُ

ومن شعره أيضاً :

قَطعتُ الأرضَ في شَهري رَبيعٍ ... إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ
فَقَالَ لي الحبيبُ وقَدْ رآني ... مَشُوقاً للمُضمّرةِ العتاقِ
رَكبتَ على البُراقِ ؟ فَقلتُ كلاَّ ... ولكني رَكبتُ على اشتياقي

وله أيضاً :

متى يَصلُ العِطَاشُ إلى ارْتِوَاءٍ ... إذا اسْتَقَتِ البِحَارُ من الرَّكَايَا[2]
ومن يَثْني الأَصاغرَ عن مُرَادٍ ... وقَدْ جَلسَ الأكَابرُ في الزوايا
وإنَّ ترفُّعَ الوضعاءُ يوماً ... على الرُّفَعاءِ من إحدى الرزايا

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٢) الركايا : ركو ، الرَّكوةُ ـ مُثلَّثةً (إناءٌ للماء من جلدٍ) ج رِكاءٌ وركواتٌ . والرَّكيَّةُ : البئر . ج رُكيٌّ ورَكايا ورَكا : حَفَرَ . (القاموس المحيط) .

إذا استــوتِ الأســافــلُ والأعــالــي فَقَــدْ طَــابَــتْ مُنَــادَمــةُ المنــايــا[1]

وسئل عن مولده فقال : يوم الخميس السابع من شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد . وتوفي ليلة الاثنين الرابعة عشرة من صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بمصر ، وقيل : إنه توفي في شعبان من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في القرافة الصغرى . ويقول ابن خلكان : وزرت قبره فيما بين قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وباب القرافة ، بالقرب من ابن القاسم وأشهب رحمهما الله تعالى .

وكان أبوه من أعيان الشهود المعدِّلين ببغداد .

وكان أخوه أبو الحسن محمد بن علي بن نصر أديباً فاضلاً ، صنف كتاب « المفاوضة » للملك العزيز جلال الدولة أبي منصور ابن أبي طاهر بها الدولة بن عُضد الدولة بن بُويه ، جمع فيه ما شاهده ، وهو من الكتب الممتعة ، في ثلاثين كراسة ، وله رسائل ، ومولده ببغداد في احدى الجماديين سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بواسط ، وكان قد صعد إليها من البصرة فمات بها .

وتوفي أبوهما أبو الحسن عليّ يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، رحمه الله[2] .

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢١ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٢ .

عُبَيد(*) الله بن حَفْص التَّغْلبي

كان أبو الحُرِّ عُبَيد الله بن حَفْص التَّغلبيُّ يقول : إن الشَّيار من الأضداد يكون خيار الشيء وحَسَنَهُ ، ويكون رَديئَهُ وعَفَنَهُ .

وروى أن رجلاً من العرب ذَمَّ رجلاً فقال : والله ما أطعمني إلاّ خُبْزَ شيَار ، يعني خُبْزاً عَطِناً ، وإن كان هذا ثبتاً فيجوز أن يكون السَّبت سُميَّ شياراً لأنه آخر الأيام في الخَلْق ولأن العَطن إنما يكون من تأخر مدة الشيء وطول عهده ، وأهل اللغة ينشدون هذه البيتين :

أُؤَمِّــل أَنْ أَعيــشَ وإِنَّ يــومــي ... بــأَوَّل أو بــأَهْــوَنَ أو جبَــار
أو التــالــي دُبَــار فــإن أَفُتْــهُ ... فَمُــؤْنِـس أو عَـرُوْبَـة أو شِيَـار[1]

ومن ذلك قولهم : جاءت الإبل شِيَاراً ، وجاء الخيل شِيَاراً إذا جاءت سمانا حسانا .

قال عَمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عُصْمِ بن عمرو بن مُنَبِّه ، وهو زُبَيْد الأصغر ، ابن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبّه بن سَعد العشيرة .

أعَبَّاسُ لـو كـانـتْ شِيـاراً جيَـادُنـا ... بِتَثْلِيْثَ ما نَاصَيْتَ بَعْدي الأَحَامِسَا[2]

* * *

(*) أدب الخواص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(١) عَرُوْبَة : أنه مشتق من العرب وهو حُسْن العِشْرة وجمال الخليقة ، ومن ذلك العَرُوب للمرأ الحسنة الخلق ، المحببة لزوجها ، المتجردة في التبعّل له .
وقال أوس بن حجر :
وقـد لَهَـوْتُ بمثـلِ الـرِّيـمْ آنسـةٍ ... تُصْبـي الحليـمَ عَـرُوْبٌ غيـر مِكْـلاح
وقال آخر :
وعَــــرُوبٌ غَيْــــرُ فــــاحِشَــــةٍ ... قــــد ملكنــــا وُدَّهَــــا حُقُبَــــا
أدب الخواص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) أدب الخواص ١٠٧ .

عَطية[*] بن بعثر التَّغْلبي

الخوارج :

خرج عطية بالموصل في مائة ومعهم ابن الوليد بن طريف[1] ، فأخذ على راذان وأتى (ابراز الروز) والنهروان[2] وأتى (مهرجا نقذق) ، وصار إلى الكلبية ليعترض مالاً قد اجتمع بالسُّوس[3] يريدون حمله ، وبلغ ذلك أهل الأَهْوَاز[4] فبعث محمد بن الحصين ابن أخيه ثابت بن كثير بن حصين بالمال فحمله ثابت فلم يقدروا عليه ، وأقبل الخوارج وهم مائة فنزلوا السوس فلم يؤذوا أحداً حتى وقع بين رجل من أهل السوس وبين رجل من الخوارج كلام فاستعرض عطية أهل السوس . وكان منارة مولى أمير المؤمنين بناحية الأهواز فقاتله عطية فقتل من أصحابه أكثر من مائتين وانهزم منارة .

وتوجه عطية إلى الموصل[5] في طريقه التي بدأ فيها فوجه إليه المنصور أبا

(*) أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، لم أعثر له على ترجمة في المراجع المتوفرة لدي .

(١) ورد في الكامل في التاريخ ٦/ ١٤١ : الوليد بن طريف التغلبي من الخوارج الذين تمردوا على الدولة العباسية . وله ترجمة في هذا الكتاب .

(٢) وهي ثلاثة نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط (معجم البلدان ١٢٢٨٢) .

(٣) السوس : مدينة بخوزستان (معجم البلدان ٦٧٥٩) .

(٤) الأَهْوَاز : كان اسمها في أيام الفرس خوزستان ، وقال أبو زيد : الأهواز اسمها هُرمُز شهر ، وهي الكورة العظيمة . والأهواز سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة اسم ويجمعهن الأهواز (معجم البلدان١١٦٣) .
وفي معجم ما استعجم ٢٠٦ : الأهواز سبع كور ، هي كورة الأهواز ، وجنديسابوره ، والسوس ، وسراق ، ونهربين ، ونهر تيري ، وكورة مناذر .

(٥) الموصل : مدينة مشهورة عظيمة فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان (معجم البلدان ـ ١١٧١٨) . أما باقي المواقع المذكورة لم أجد لها =

حَميْد المروروذي فوافقه بكلبانه (مهرجا نقذق) نائماً وأصحابه في غفلة فأمر أبو حميد أصحابه فرموهم بالنشاب فَقُتل عطيّة وأصحابه فلم يبق منهم أحدٌ[1] .

* * *

= ذكراً في معجم البلدان أو معجم ما استعجم ، أو الروض المعطار .

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٥١ .

بنو أبي عَقامة التغلبي

يذكر العماد الأصفهاني تراجم أربعة من بني أبي عَقامة ، وهي أُسرة توارثت القضاء أجيالا في زبيد ، ويرتفع نسبها إلى مالك بن طوق التغلبي ، وأحد أَجدادها محمد بن هارون كان أول القضاة بزبيد ، وقد جاءها أيام المأمون في خبر يرويه كثير من الإخباريين ، هذا تفصيله : « كان المأمون قد أتى بقوم من ولد زياد بن أبيه ، وقوم ولد هشام ، وفيهم رجل من بني تغلب يقال له محمد بن هارون ، فسألهم عن نسبهم فأخبروه ، وسأل التغلبي عن نسبه فقال أنا محمد بن هارون ، فبكى وقال أنَّى لي بمحمد بن هارون ، يعني وافق اسم أخيه محمد الأمين بن هارون الرشيد ، فقال المأمون : أما التغلبي فيطلق كرامةً لاسمه واسم أبيه ، وأما الأمويون والزياديون فَيُقتلون .

فقال أبو زياد : ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين إنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو ، متورِّع عن الدماء بغير حق ، فإن كنت تقتلنا عن ذنوبنا والله لم نخرج أبداً عن طاعة ، ولم نفارق في بيعتك رأي الجماعة ، وإن كنت تقتلنا بجنايات بني أمية فيكم فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٦٤]. فاستحسن المأمون كلامه ، وعفا عنهم جميعاً وكانوا أكثر من مائة رجل ، ثم أضافهم إلى الفضل بن سهل ذي الرياستين ويقال : إلى أخيه الحسن بن سهل .

فلما بويع لإبراهيم بن المهدي ببغداد في سنة اثنتين ومائتين وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعر بتهامة عن الطاعة ، فأثنى الحسن بن سهل على الزيادي وكان اسمه محمد بن زياد ، وعلى المرواني والتغلبي عند المأمون ، وأنهم من أعيان الرجال وأفراد الكفاة وأشار بتسييرهم إلى اليمن ، فسيّر ابن زياد أميراً ، وابن هشام وزيراً ، والتغلبي قاضياً ، فمن ولد محمد بن هارون التغلبي هذا قُضاة زبيد وهم بنو أبي عَقامة . . . » .

(*) خريدة القصر وجريدة العصر ٣/ ٢٣٨ .

ولم يكن بنو أبي عَقامة هؤلاء قُضاة فحسب ، وإنما كانوا فقهاء ومحدثين وشعراء وذوي مكانة ، وقد ظل فيهم القضاء يتوارثونه حتى أزالهم ابن مهدي حين أزال دولة الحبشة .

ويذكر المؤرخون نصرتهم للشافعية ، ويقول عنهم الجعدي : « وفضائل بني أبي عَقامة مشهورة وهم الذين نصر الله بهم مذهب الإمام الشافعي في تهامة وقد ماؤهم جهروا ببسم الله الرحمن الرحيم في الجمعة والجماعات .

وإذا كان بنو أبي عَقامة قد صُرفوا عن القضاء بسببٍ من سيطرة آل مهدي وانتصارهم للشيعة ، فقد بقيت لهم مؤلفاتهم وكتبهم ، وظل منهم ، على نحو ما يذكر صاحب التاج ، بزبيد والقَحْمَة[1] بقيه .

وجاء في حاشية الخريدة ٣/ ٢٤٠ :

« ومن شعراء اليمن ثم من أهل تهامة ، بنو أبي عَقامة ، أهل رياسة معاملة ؟ في اليمن من أيام ابن زياد . ولم يزل الحكم فيهم يتوارثونه إلى أن زال عنهم بزوال دولة الحبشة من زبيد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، ومازال في كل عصر منهم عالم مبرز ، وحبر مصنف ، وخطيب مصقع ، وشاعر مفلق ، وإمام مدرس فمنهم . . . » .

١ ـ القاضي أبي محمد الحسن بن أبي عَقامة .

٢ ـ القاضي أبي العز عثمان بن أبي الفتوح .

٣ ـ القاضي أبي محمد عبد الله بن أبي عَقامة . والد محمد الحفائلي .

٤ ـ القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، يعرف بالحفائلي .

وسوف نذكرهم في عرض الكتاب حسب التسلسل الأبجدي لأسمائهم .

* * *

---

(١) بُليدة قرب زبيد وهي قصبة وادي ذُوال بينها وبين زبيد يوم واحد من ناحية مكة (ياقوت) وخريدة القصر وجريدة العصر ٣/ ٢٣٨ ـ شعراء الشام .

عُقبة(*) بن حُريث التَّغْلبيُّ

عُقبة بن حُريث التَّغْلبي الكُوفيُّ .

روى عن سعيد بن المُسَيَّب ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب .

روى عنه : شُعبة بن الحجاج ، والفُرات بن الأَحْنَف .

قال إسحاق بن منصور ، عن يحيى بن معين ثقةٌ .

وكذلك قال النَّسائيُّ .

وقال أبو حاتم : صَدُوقٌ .

وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب « الثّقات »[1] .

روى له مسلم[2] .

* * *

عَلاءُ(**) الدِّين التّغْلبي

هو ابن صَصْرَى العَدْل علاء الدِّين التَّغلبي أبو الحسن علي بن أبي بكر الفتح التَّغْلبي الدمشقي الضرير[1] .

آخر من روى « صحيح البخاري » عن عبد الجليل بن مندويه ، والعَطّار .

توفي في شعبان سنة إحدى وتسعين وستمائة .

* * *

(*) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٠/ ١٩٤ .

(١) ٥/ ٢٢٦ . وقال ابن حجر في « التقريب » : صدوق . قال بشار : بل ثقة .

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٠/ ١٩٤ .

(**) شذرات الذهب ٧/ ٧٣٠ .

(١) انظر العبر ٥/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ والإعلام بوفيات الأعلام ص٢٨٩ .

علي(*) بن أبي علي التَّغلبي

قال عنه ابن خلكان :

السيف الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التَّغلبي الفقيه الأصولي ، الملقب سيف الدين الآمدي(١) .

قال عنه الصفدي : العَلاّمة سيف الدين الآمدي الشافعي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد ، العلاّمة سيف الدين الآمدي التَّغلبي الشافعي(٢) .

قال عنه الذهبي : العلامة المُصَنِّف فارس الكلام سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التَّغلبي الآمدي الحنبليُّ ثم الشافعي(٣) .

ولد بآمد سنة أحدى وخمسين وخمسمائة ، ولما بلغ أربع عشرة سنةً انحدر إلى بغداد واشتغل على الإمام أبي الفتح نصر(٤) بن فتيان بن المَنِّي الحنبلي في الخلاف على مذهبه مدة ، ثم صحب الإمام العلاّمة أبا القاسم يحيى بن أبي الحسن ، علي بن الفضل بن هبة الله بن بركة البغدادي بن فضلان الشافعي وأخذ عنه الخلاف وتميز فيه ، وحفظ طريقة الشريف والزوائد لأسعد

(*) الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٤٠ ، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٢٩/٥ ، ١٣٠ ، ومرآة اليافعي : (الثعلبي بدل التَّغلبي) والنجوم الزاهرة ١٨٦/٦ ، شذرات الذهب ٥/ ١٤٤ .

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣ . وآمد هي مدينة كبيرة في ديار بكر .

(٢) الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٤٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤ .

(٤) كان فقيه العراق وشيخ الحنابلة في عصره ، وكان زاهداً ورعاً متعبداً على منهاج السلف (عبر الذهبي ٢٥١/٤ ، وذيل ابن رجب/٣٥٨) حاشية وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٤ .

الميْهَني . وحفظ أربعين جدلاً على ما قيل . وقدم إلى حلب واجتمع بالشهاب السهروردي[1] .

دخل الديار المصرية ، ثم دخل مصر والإسكندرية واشتغل عليه الطلبة وعقد له مجلس المناظره ، واستدل بالتعيين ، ثم خرج فاجتاز بحماة ، فأرغبه صاحبها وأحسن إليه ، وأعطاه مدرسة فاقام بها مدة[2] .

ثم إن المعظَّم عيسى بن العادل كتب إليه ووعده إن قدم إليه أن يحسنَ إليه ، وحَبّب إليه سُكْنَى دمشق ، وكان سيف الدين يحبها ويؤثر المقام ، فخرج من حماة ليلاً ولم يعلم به صاحبها ، ودخل دمشق فأحسن إليه المعظم وولاّه المدرسة العزيزية المجاورة لتربة الملك الناصر صلاح الدين ، وأقبل على الأشغال والاشتغال والتصنيف ، وعقد له مجلس المناظرة ليلة الجمعة وليلة الثلاثاء بالحائط الشمالي من جامع دمشق ، وكان يحضره الأكابر من كل مذهب ، ورحل إليه الطلبة من جميع الآفاق من سائر الطوائف لطلب العلم . وكان خيِّر الطباع سليم القلب حسن الاعتقاد قليل التعصب[3] .

وكان القاضي تقي الدين سُليمان بن حمزة يحكي عن شيخه ابن أبي عمر ، قال : كنا نتردد إلى السَّيف ، فشككنا هل يصلي أم لا ؟ فنامَ ، فَعَلَّمْنا على رجله بالحِبْرِ فبقيت العَلامةُ يومين مكانها ، فَعَلِمْنَا أنَّه ما توضأ .

قال ابن تيمية : يغلب على الآمدي الحيرة والوَقف ، حتى أنه أورد على نفسه سؤالاً في تسلسل العِلل ، وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً وبنى إثبات الصانع على ذلك ، فلا يُقَرِّر في كتبه إثبات الصانع ولا حُدوث العالم ،

---

(١) العلامة الفيلسوف السِّيماويُّ المنطقي ، كان يتوقد ذكاءً إلا أنه قليل الدين . وقال عنه السيف الآمدي : وجدته كثير العلم قليل العقل وله عدة مصنفات . (سير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٧) . قتل في أوائل سنة (٥٨٧ هـ) .

(٢) الوافي بالوفيات ٢١/٣٤١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٢١/٣٤١ .

ولا وحدانيةَ الله ، ولا النبوات ، ولا شيئاً من الأصول الكبار[1] .

ثم حسده جماعة من فقهاء البلاد وتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء ، وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ، ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم . وكان ذلك في القاهرة .

ولما رأى سيف الدين تألبهم عليه وما اعتمدوه في حقه ، ترك البلاد وخرج منها مستخفياً وتوصل إلى الشام ، واستوطن مدينة حماة[2] .

وكان أولاد العادل كلهم يكرهونه لما اشتهر عنه من علم الأوائل والمنطق ، وكان يدخل على المُعَظَّم فلا يتحرك له . وكان يقول : ما يقبله قلبي ، ومع هذا ولاَّه تدريس العزيزية ، فلما مات أخرجه منها الأشرف ، ونادى في المدارس : من ذكر غير التفسير والفقه أو تعرض لكلام الفلاسفة نفيته ، فأقام السيف خاملاً في بيته إلى أن مات[3] .

وتصانيفه : وصنف في أصول الفقه والدين والمنطق والحكمة والخلاف ، وكل تصانيفه مفيدة . فمن ذلك كتاب « أبكار الأفكار » في علم الكلام واختصره في كتاب سماه « منائح القرائح » و« رموز الكنوز » وله « دقائق الحقائق » و« لباب الألباب » و« منتهى السول في علم الأصول » وله طريقة في الخلاف ، ومختصر في الخلاف أيضاً ، وشرح جدل الشريف ، وله مقدار عشرين تصنيفاً[4] .

وتوفي ليلة الاثنين وقت صلاة المغرب ثاني صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن يوم الاثنين بسفح قاسيون رحمه الله . ولما مات توقف الأكابر والعلماء بدمشق عن حضور جنازته خوفاً من الملك الأشرف إذ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٦ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٦ .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٤ .

كان متغيِّراً عليه .

فخرج الإمام عز الدين في جنازته وجلس تحت قبّة النسر حتى صلّى عليه . فلما رأى الناس ذلك بادروا إليه وصلوا عليه[١] .

إن في قتل العلماء أو تشريدهم أو سجنهم يعني ذلك قتل العقل وتدمير الفكر ودفن الإبداع ، سواء في علم المنطق أو الكلام أو الفلسفة التي تجمع كل هذه المسميات ، أو علم السيمياء أو الكيمياء . . . ولم يقتصر الاضطهاد الفكري على مر العصور على أمة بعينها بل شمل اليونان ، والرومان ، والعرب ، ومن ثم أوربا .

إن الفكر البناء والمبدع لابد أنه سيجد طريقه عبر الأجيال ، وإن الطروحات الهدامة والمعقدة التي تهدف إلى زعزعة الأسس الاجتماعيّة والاخلاقية والدينية التي تقوم على احترامها المجتمعات منذ آلاف السنين يصعب التأثير عليها أو ستجد عقبة صلبة في طريقها تجبرها على التراجع ومن ثم تتلاشى حتى لو أحدثت أثراً بالقوة ، فيبقى الأثر ضعيفاً[٢] ؟

❋ ❋ ❋

---

(١) الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٤٥ .
(٢) تعليق المؤلف .

عَليٌّ(*) بن بَسَّام التَّغْلبيُّ

هو الأَديب أَبو الحسن علي بن بسام التّغلبي الشَّنْتَريني(١) .

من المُسْهَب : العجبُ أنه لم يكن في حساب الآداب الأندلسية أنه سيُبْعَث من شَنْتَرين ، قاصية الغَرْب ، ومحل الطَّعن والضَّرْب ، من ينظمها قلائدَ في جيد الدَّهْر ، ويُطْلِعُهَا ضرائر للأنجم الزُّهْر .

ولم ينشأ بحضرة قرطبة ولا بحضرة إِشْبيلية ولا غيرهما من الحواضر العظام من يمتعض امتعاضه لأعلام عصره ، ويَجْهَد في جمع حسنات نظمه ونثره . وسَلِ الذخيرة ، فإنها تُعْنونُ عن محاسنه الغزيرة ، وأعلى شعره قوله :

أَلا بَادِرْ فَلا ثَانٍ سِوى مَا ... عهدْتَ : الكأسُ والبَدْرُ التَّمَامُ
ولا تكْسَلْ برويته ضَبَاباً ... تَغَصُّ به الحَديقَةُ والمُدَامُ
فانَّ الرَّوْضَ ملتثمٌ إلى أَن ... تُوافيهُ فينحطَّ اللِّثَامَ

وهذا من الطبقة العالية ، ونثره في كتاب الذخيرة يدلُّ على علو طبقته ، وأما ما أنشده فيها لنفسه من الشعر فنازل(٢) .

وفي قصيدة بعث بها علي بن بسام إلى الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج بعد أن قدم من بعض أسفاره وهنا يذكر ابن بسام أصله العربي وأنه ينتسب إلى تغلب ، كما أنه يذكر بأن الوزير من مذحج فيقول :

(*) المغرب في حلى المُغرب ١/ ٤١٧ ، العمدة ٢/ ١٠١٧ ، معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٧ الإحاطة ١/ ١١ ، ٢٣٣ ، ٤٥٤ ، ٥٢٠ الذخيرة في محاسن الجزيرة ق١ ج١/ ١٧ ، ١٩ ، الروض المعطار ٣٤٦ ، معجم البلدان ٣/ ٤١٦ .

(١) شنترين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجُهْ قريب من انصبابه في البحر المحيط ، وهي حصينة ، بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً ، وبينها وبين باجة أربعة أيام « معجم البلدان ٣/ ٤١٦ » .

(٢) المُغرب في حلى المُغرب ١/ ٤١٧ .

يهني قدومُكَ كُلاًّ يا أبا الحكم ... يا دوحةَ العلم والآداب والحكمِ
مُذغِبْتَ ما رَنّقَتْ عيني إلى سِنَةٍ ... يا عمرو إلاَّ لكي ألقاكَ في الحلمِ
إن كُنْتُ من تَغْلِبٍ في بيتِ سؤددها ... وكُنْتَ من مذحجٍ في السؤددِ العممِ
فلم يَضْرِنَا تنائي النِسْبَتْين وقد ... رحنا نَسيبين في علمٍ وفي فهمِ
والعذرُ في زَمنٍ أن جئتَ في أُممٍ ... لا الجيلُ جيلُكَ فاعذرهم ولا تَلم[1]

ويرد الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج على ابن بسام فيذكره بجذوره ويقول :

من تَغلبٍ أنتَ في علياء مركزها ... فمن يباريك في مجدٍ وفي كَرمِ
قَومٌ أَرادَ بنُ هندٍ أن يضيمهمُ ... فأوطأ الرأسَ منه أخمصَ القدم
مآثرٌ قُسِمَتْ بينَ الورى وغَدا ... للتَغْلبيين منها أوفر القِسَمِ
وبيننا قربةٌ ليستْ أواصرها ... ما بين آدابنا مجفوّةَ الرحمِ[2]

وقال أيضاً :

ولا خيرَ في اللَّفْظِ الكَريهِ اسْتِمَاعُهُ ... ولا في قَبيحِ اللَّحْنِ والقصد أزْيَنُ[3]

وقال علي بن بسّام في أبيه وقد عمر له داراً :

شِيدْتَ داراً خِلْتَهَا مَكْرُمَةً ... سَلّطَ اللهُ عليها الغَرقا
وأَرَانيكَ صَرِيعاً وَسْطها ... وأَرانيها صَعِيداً زَلَقا[4]

النثر عند ابن بسام :

قرأت النثر عنده من خلال مقدمة كتابه الذخيرة في محاسن الجزيرة ،

---

(١) الذخيرة في محاسن الجزيرة ق٢ ج٢/ ٥٩٧ ، ٥٩٨ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) العمدة لابن رشيق ٢/ ١٠١٧ .
(٤) صعيدا زلقا : أي أرضا ملساء ليس بها شيء . المنازل والديار ٣٤٨ . إنه العقوق من ابن لأبيه إلا إذا خفي من الأسرار بينهما ما لا نعرفه ؟

فالمقدمة تنبه عن صاحب فكر ثاقب وعقل راجح ، تأدب فأحسن ، ونقد فأصاب ، وألم بحوادث عصره واطلع على تاريخ سلفه . وتمكن من العربية وآدابها وعرّف بعلمائها وشعرائها ، ولم يكن راوية فحسب بل كان يشير إلى مواطن الجمال ويستشهد بها ، وإن وجد عيباً أشار إليه ، فكتب النثر فأجاد ولكنه في الشعر لم يكن على المستوى الذي هو يُريد ، وهو يشير في المقدمة إلى ذلك ويبرر عدم تعاطيه الشعر لكي لا يكون متكسباً كغيره من الشعراء ، ولا أعتقد بأن هذا هو السبب الأهم عنده ربما لم تكن قريحته الشعريه تسعفه بأن يكون أحد شعراء عصره الذين يشار إليهم بالبنان ، مثل جرير ، وأبي تمام والمتنبي والفرزدق . . . وليس بالضرورة أن كل شاعر يذل نفسه للتكسب وعليه أن يسجل ديوانه دون أن يمد يده ليستجدي لقاء مدحه هذا أو ذاك وبذلك يكون ترك أثراً طيباً تنم عن موهبة وابداع تقرأه الأجيال وتتغنى به .

ولقد أوردت جانباً من رأيه وله آراء واضحة في ذلك .

يقول ابن بسام عن الشعر في مقدمته :

« ومع أن الشعر لم أرْضه مَرْكباً ، ولا اتخذته مكسباً ، ولا أَلِفْتُه مَثْوًى ولا مُنْقَلباً ، إنما زُرته لِماماً ، ولمحته تَهمُّماً لا اهتماماً ؛ رغبةً بعزةِ نفسي عن ذُلّة ، وترفيعاً لِمُوطىء أخمصي عن محله ، فإذا شَعْشَعَتْ راحُهُ ودأبت أقداحه ، لم أذقْهُ إلا شميماً ، ولا كنتُ إلاّ على الحديث نديماً . ومالي وله ، وإنما أكثره خُدعةُ محتال ، وخلعة مختال ، جِدُّه تمويه وتخييل ، وهزله تدليه وتضليل وحقائق العلوم ، أولى بنا من أباطيل المنثور والمنظوم ، وعلى ذلك فقد وعَدتُ أن المع في هذا المجموع ، بلُمع من ذكر البديع ، وأن أُمهد جانباً من أسبابه ، وأشرح جُملاً من أسمائه وألقابه ، وإذا ظفرت بمعنى حَسن ، أو وقفت على لفظ مُسْتحسَن ذكرت من سبق إليه وأشرت من نقص عنه أو زاد عليه ، ولست أقول : أخذ هذا من هذا قولاً مطلقاً فقد تتوارد الخواطر ، ويقع الحافرُ حيث الحافر ، إذ الشعر ميدان والشعراء فرسان »[1] .

---

(١) الذخيرة في محاسن الجزيرة ق١ ج١/ ١٩ .

كتاب الذخيرة : وفي المقدمة يذكر منهج الكتاب ويُعرف بمحتواه فيقول : « وهذا إنما هو لسان منظم ومنثور ، لا ميدان بيان وتفسير ، أورد الأخبار والأشعار أفُكُّ مُعَمّاها ، في شيء من لفظها ومعناها ، لكن ربما أَلممتُ ببعض القول ، بين ذكر أُجريه ، ووجه عُذرٍ أُريه لاسيما أنواع البديع ذي المحاسن ، الذي هو قيم الأشعار وقوامها ، وبها يُعرف تَفاضلها وتَباينُها ؛ فلابد أن نشير إليه ، ونُنبه عليه ، ونكل الأمر في كل ما نثبتُه ، ونردُّ الحكم في كل ما نُورده إلى نَقدِ النَّقَدَة المَهَرةِ ، وتمييز الكَتَبَةِ الشُّعَرة الذين هم رؤساء الكلام وصيارفة النّثار والنّظام ، فأمّا من رِينَ على قلبه ، وطبع بالجهل على لُبّه فقد وُضِعَت عنّا وعنه كلفةُ الاعتذار منه ، وقد كان في وقتي من فرسان هذا الشان ، من كان أَجْدَرَ أن يجري بهذا الميدان ، ويُعرب عمّا أعربت فيه عن القوم بأفصح لسان ، يثير فيه المعاني من مرابضها ، وأشد عارضة يُظهِرُ بها الأغراض المقصودة في أجمل معارضها ، لكنّي بما أقدمتُ عليه ، وتصدّيت إليه ، كالنسيم دلَّ على الصبح والسهم ناب عن الرُّمح ، ولا أقول إنّي أغربتُ ، لكن ربما بيّنت وأعربتُ ، ولا أدّعي أنّي اخترعتُ ولكني لعلي قد أحسنت حيث اتّبعْتُ ، وأتقنتُ ما جمعتُ ، وتألفت عَنَنَ الشارد ، وأغنيتُ عن الغائب بالشاهد ، وتغلغلتُ بقارئه بين النظم والنثر ، تغلغل الماء أثناء النّسور والزَّهر وانتقلتُ من الجدِّ إلى الهزل ، انتقال الضَّحيانِ من الشمس إلى الظل ، واستراحة البهير من الحَزْنِ إلى السّهل ، وتَخَلّلْتُ ما ضَمَمْتُهُ من الرسائل والأشعار ، بما اتصلت به أو قيلَتْ فيه من الوقائع والأخبار ، واعتمدت المائة الخامسة من الهجرة فشرحتُ بعض مِحَنِها ، وجلوتُ وجوه فِتَنِهَا ولخّصتُ القولَ بين قبيحها وحسنها[1] .

قرطبة[2] : وهذا أبو الحسن بن بسام يعرف بقرطبة والحركة الأدبية فيها

---

(١) الذخيرة ومحاسن الجزيرة ق١ج١/ ١٧ .

(٢) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها =

وعن سكانها فيقول :

وحضرةُ قرطبه ، منذ اسْتُفْتِحَتْ الجزيرة ، هي كانت منتهى الغاية ومَركز الرَّاية ، وأُم القرى ، وقرارة أهل الفضل والتُقى ، ووطن أُولي العلم والنُهى ، وقلب الإقليم وينبوع متفجر العلوم ، وفيه الإسلام ، وحضرة الإمام ، ودار صَوبِ العُقول ، وبستان ثمرة الخواطر ، وبحر درر القرائح ؛ ومن أُفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العَصر ، وفرسان النظم والنثر ؛ وبها انتشأت التأليفات الرائعة ، وصُنّفت التَّصنيفات الفائقة ، والسَّبب في ذلك ، وتبريز القوم قديماً وحديثاً هنالك على مَن سواهم ، أن أُفُقهم القرطبي لم يشتمل قط إلاّ على أهل البحث والطلب لأنواع العلم والأدب . وبالجُملة فأكثر أهل بلاد هذا الأفق أشراف عرب المشرق افتتحوها ، وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل في كل أقليم على عرق كريم ، فلا يكاد بلدٌ منها يخلو من كاتب ماهر ، وشاعر قاهر(١) . توفي سنة « ٥٤٢ هـ »(٢) .

* * *

= كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع . « معجم البلدان ٣٦٨/٤ » .

(١) الذخيرة ق١ ج١/ ٣٣ .

(٢) المُغرب في حُلى المُغرب . ولم أجد له ترجمة حتى في كتبه المحققة ولا إشارة إلى أنه ينتسب إلى بني تغلب وهم من العرب المشهورين في تاريخنا إلا من خلال شعره المذكور أو الذي قيل فيه ، وهناك إشارة إلى ذلك في كتاب المغرب بأنه تغلبي . وكل الذين أخذوا عن كتابه ذكروا اسمه دون أن يذكر أحدهم له ترجمة في الإحاطة مثلا أو نفح الطيب . . .

علي[*] بن الحسين التَّغلبي

هو علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن الحسين بن أبو الحسن التَّغلبي المعروف بابن صَصْرَى .

حدَّث عن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أبي كامل الأَطْرابلسي بسنده إلى سلمة بن قيس الأشجعي قال : قال رسول الله ﷺ .

« إذا توضأت فانثر ، وإذا استجمرت فأوتر ، والأذنان من الرأس » . هكذا رواه خيثمة ، وقوله : « والأذنان من الرأس » ليس من الحديث المرفوع[1] .

وجاء عنه أيضاً :

أصلُهم من مدينة بلد حدث ، وكان ثقة[2] .

توفي علي بن الحسين بن صَصْرَى سنة سبع وستين وأربعمائة . وكان ثقة[3] .

❊ ❊ ❊

(❊) الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٢ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٢٦ .
(١) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٢٦ .
(٢) الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٢ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٢٦ .

علي بن أبي طالب(*) وتَغْلب

جاء في وقعة صفين : نزول الجيش في الجزيرة : . . . . قال أبو سعيد(1) التَّيْمي المعروف بعَقِيصا ، ثم مضى أمير المؤمنين حتى نزل بأَرض الجزيرة ، فاستقبله بنو تَغلبَ والنمرِ بن قاسط بالجزيرة، قال علي ليزيد بن قيس الأرحبي : يا يزيد بن قيس .

قال : لبَّيك يا أمير المؤمنين .

قال : هؤلاءِ قومُك ، مِن طعامهم فاطعَمْ ، ومن شرابهم فاشرَبْ .

وفد بني تغلب :

ثم قال يزيد بن قيس الأَرحبي :

والله إني لشاهدٌ إذْ أَتاه وفدُ بني تغلبَ فصالحوه على أن يقرَّهم على دينهم ، ولا يصَعوا أبناءهم في النصرانيَّة .

قال : وقد بلغني أَنَّهم قد تركوا ذلك ، وايمُ الله لئن ظَهَرْتُ عليهم لأَقتلنَّ مقاتِلتَهم ، ولأَسبِينَّ ذراريَّهم .

فلما دخل بلادهم استقبلته مُسلِمةٌ لهم كثيرة ، فُسرّ بما رأى من ذلك ، وثَناه عن رأيه .

ثم سار أمير المؤمنين حتى أتى الرَّقَّة وجُلُّ أهلها العثمانية الذين فرُّوا من الكوفة برأيهم وأَهوائهم إلى معاوية فغلَّقوا أبوابها وتحصَّنوا فيها، وكان أميرهم سِماك بن مَخْرَمة الأَسدي في طاعة معاوية ، وقد كان فارق علياً في نحوٍ من مائة رجلٍ من بني أسد، ثم أخذ يكاتب قومه حتَّى لحق به منهم سبعُمائة رجل.

(*) وقعة صفين ١٤٥ ، ١٤٦ ، تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٢، ٣٨٣، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٩٩، بحار الأنوار ٤٢/ ٧٤، الأخبار الطوال ١٤٦ ، نسب قريش ٤٢ .

(1) وقعة صفين ١٤٥ ـ ١٤٦ .

وكان الشاعر كعب[1] بن جعيل التَّغلبي يذكر أيام صِفِّين ويحرِّض معاوية :

معــاوي لا تنهــض بغيــر وثيقــةٍ ... فـإنَّـك بعـد اليـوم بـالـذُّلِّ عـارفُ
أَلا إن شَرَّ النَّاسِ في النَّاسِ كُلِّهم ... بنـو أَسَـدٍ إنـي لمـا قلـتُ عـارفُ[2]

وقال أبو جهمة الأسدي يرد عليه :

أَنــا أَبــو جَهمــة فــي جلــد الأَسَــدْ ... علــيَّ منــه لِبَــدٌ فــوق لِبَــدْ
أهجـو بنـي تغلـبَ مـا ينجـي النَّقَـدْ ... أَقْوَدُ من شئتَ وصعبٌ لم يُقَدْ[3]

وقال الشاعر النجاشي بن الحارث بن كعب الحارثي شاعر الإمام علي كرم الله وجهه يذكر تغلب :

إنَّ الأراقــم لا يَغشــاهــمُ بُــوسُ ... ما دافع الله عَن حَوْباءِ كُرْدوسِ[4]
نَمْتُـه مـن تَغلِـبَ الغَلْبَـا فَـوارسُهـا ... تلـكَ الـرُّؤسُ وأَبنـاءُ المـرائيـسِ[5]

زواج علي كرم الله وجهه من تغلب :

وفي السنة الثانية عشرة للهجرة وفي وقعة الثَّنِي والزُّميل غنم خالد بن الوليد غنائم كثيرة من بينها كانت بنت رَبيعة بن بُجير التّغلبي فأرسل ذلك إلى أبي بكر ، فاشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بنت ربيعة بن بُجير التَّغلبي فاتخذها ، فولدت له عمر ورقُيّة[6] .

---

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب .
(٢) وقعة صفين ٢٦١ ـ والقصيدة كاملة في ترجمة كعب بن جعيل في هذا الكتاب .
(٣) النقد بالتحريك : جنس من الغنم قباح الوجوه صغار الأرجل ، يقال فيها أذل من نقد . « صفين ٣٦٢ » .
(٤) الأراقم ، هم جشم ومالك وعمرو ، وثعلبة والحت ومعاوية ، بنو بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن وائل ، والحوباء : النفس .
(٥) الغلباء : لقب لتغلب بن وائل . والمرائيس : جمع مرآس ، وهو المتقدم السابق « حاشية صفين ٤٨٦ » .
(٦) الطبري ٣/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ . والكامل في التاريخ ٢/ ٣٩٩ . وجاء في بحار=

وجاء في العقد :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبني تغلب : يا خنازير العرب ، والله لئن صار هذا الأمر إليّ لاضعّفَنّ عليكم الجزية[1] .

وفي وقعة الجمل :

ثم سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما دَنا من البَصرة كَتَّبَ الكَتائب، وعَقد الألوية والرّايات، وجعلها سبع رايات ، عقد لحمير وهَمدان، ولمذحج والأشعريين وعقد لطّيء ، وعقد لقيس وعبس وذبيان ، كما عقد لكندة وحضرموت وقضاعة ومَهْرة ، وعقد للأزد وبُجيله وخثعم وخزاعة ، وعقد لسائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز راية ، وعَقد لبكر وتَغْلب وأَفناء ربيعة راية : كان على كل راية والي، وعلى بكر وتَغْلِب مَحْدُوج الذُّهْلي.

فشهد هؤلاء الجمل وصِفِّين والنَّهر ، وهم أسباع كذلك[2] .

وكان شُريكُ بن جُدير التَّغلبي مع علي كرم الله وجهه، أصيبت عينه معه[3] .

وسعد الله ـ وقيل سعد ـ بن هبة الله بن نصر أبو الرجاء بن السرطان التغلبي، كان مع علي كرم الله وجهه بصفين ، وقتل معه ودفن بالرقة[4] .

وفي سنة إحدى وستين جاء في الطبري :

أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صُرِع فأُثخِن ، فوقع بين القتلى مُثخَناً فسمعهم يقولون : قُتل الحسين ، فوجد إفاقةً ، فإذا معه سكّين وقد أُخذ سيفه ، فقاتلهم بسكِّينه ساعةً ، ثم إنه قُتل ، قَتله عروة بن بطار التّغلبي وزيد بن رُقاد الجني[5] .

* * *

= الأنوار ٤٢/ ٧٤. وعمر ورقية كانا توأمين أُمهما الصهباء، ويقال: أم حبيب التغلبية.

(١) عقد فريد ٦/ ٢٤٨ .

(٢) الأخبار الطوال ١٤٦ .

(٣) طبري ٦/ ٩٠ . انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٤) بغية الطلب ٩/ ٤٢٣٨ . انظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٥) الكامل في التاريخ «وذلك في المعركة التي قتل فيها الحسين بن علي» عليهما السلام.

علي(*) بن محمد التَّغلبي

هو أبو الحسن علي بن محمد بن هارون التَّغلبي الدمشقي .

قارىء المواعيد للعامّة .

سمع من ابن صباح حضوراً ، ومن ابن الزَّبيدي ، والمازني ، وابن اللّتي ، والناصح ، ومكرم ، وعدة .

وتفرّد بالعوالي ، واشتهُر .

وكان دّيناً ، خيّراً ، متواضعاً ، مسنداً ، عالماً .

توفي بمصر في ربيع الآخر وله ست وثمانون سنة . وكانت وفاته في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة[1] .

* * *

(*) شذرات الذهب ٨/ ٥٦ . وجاء بحاشيته : انظر « ذيول العبر » ص٦٩ و« الإعلام بوفيات الأعلام » ص٢٩٩ و« الدُّرر الكامنة » ٣/ ١٢١ .

(١) شذرات الذهب ٨/ ٥٤ ـ ٥٦ .

علي[*] بن محمد التَّغلبي

هو علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التَّغلبي : من أهل قرطبة وأصله من باغة[1] ، يُكْنَى : أبا الحسن .

رَوى عن أبي زكريا يحيى بن محمد بن حُسين القليعي ، وأبي عبد الله محمد بن عتاب الفقيه ، وعن خاله أبي جعفر الكندي الزاهد وغيرهم . وكان : من أهل العلم والحفظ للرأي والفهم مع الفضل والحلم والصلاح والخير والاقبال على نشر العلم وتعليمه ، كثير التلاوة للقرآن ، رطب اللسان ، يذكر الله تعالى ، دَيّناً ، متواضعاً ، ليناً ، متصاوناً ، وقوراً دالاً على الخير ، كثير الحض عليه داعياً إليه . وكان مُشَاوراً في الاحكام بقرطبة ، صَدْراً فيمن يُسْتَفتى بها ، معظماً عند الخاصة والعامة ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يَسْمع الناس فيه : وذكره الشيخ أبو الحسن بن مغيث فقال : هو من بيت شرفٍ ورفعةٍ ، من أهل الفضل والعلم ، والعمل الصَّالح ، ومن أهل الحفظ والاتقان والأمانة ، والإمامة في الدين ، مثلاً في العُقلاء الفُضلاء ، ما رأيتُ في أهل العلم مثله .

توفي رحمه الله ليلة الاثنين ودفن يوم الاثنين لتسع بقين من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة ، ودفن بالربض ، وكان مولده سنة ثلاث عشرة وأربع مئة . (٤٨٢ _ ٤١٣ هـ = ٦٩ عاش) .

* * *

(*) كتاب الصلة ٢/ ٣٩٩ ، ٤٠٠ .
(١) باغة : مدينة بالأندلس من كورة إلبيرة وبين باغة وقرطبة خمسون ميلاً . (معجم البلدان ١/ ٣٨٧) .

عَمَّارُ[*] بنُ رَجاء التَّغلبي

هو عَمَّار بن رجاء التَّغلبي أبو ياسر الأَسْتَرَبَاذِي[1] ، صاحب « المسند الكبير » رَحَلَ وجَمَعَ ، وصَنَّفَ .

حدَّث عن يزيد بن هارون ، ومحمد بن بِشْر العبدي ، وزيد بن الحُبَاب ، ويحيى بن آدم ، وحُسين بن علي الجُعفي ، ومعاوية بن هشام ، وعُبيد الله بن موسى ، وطبقتهم .

حدَّث عنه : أبو نُعيم عبد الملك بن محمد بن عَدي ، وأحمد بن محمد بن مطرف الأستراباذي ، ومحمد بن الحسين الأديب ، وطائفة سواهم .

تَرجمه أبو سعيد الإِدريسي ، وقال : كان شيخاً فاضلاً ديِّناً ، كثير العبادة والزُّهد ، ثِقة في الحديث ، رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة .

مات سنة سبعٍ وستين ومئتين على الصَّحيح .

قال : وقبرُهُ يُزار ، رحمة الله عليه[2] .

وجاء عنه أيضاً : رحل إلى العراق ، وسمع من أبي داود الحفري ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم .

وكان عابداً زاهداً ورعاً ثقة[3] .

* * *

(*) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥ ، المنتظم ١٢/ ٢١٤ ، ٢١٥ .

(١) أَسْتَراباذ : بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فنٍّ ، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجُرجان . وممن ينسب إليها القاضي أبو نصر سعد بن محمد بن إسماعيل المطرفي الأستراباذي قاضي أستراباذ (معجم البلدان ١/ ٢٠٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥ .

(٣) المنتظم ١٢/ ٢١٥ .

عِمران[*] بنُ زَيد التَّغْلبي

عِمرانُ بن زَيد التَّغْلبيّ ، البصري ، المُلائي الطويل .

روى عن : سعد بن إبراهيم ، وزيد العمّيّ ، وأبي حازم الأعرج .

روى عنه : ابن المبارك ، وأسد بن موسى ، وأحمد بن يونس ، وعلي بن الجعد ، وعُبيد الله العَيْشي .

كناه عبد الصَّمد بن النُّعمان : أبا يحيى .

قال أبو حاتم[1] : يُكتب حديثه .

وقال ابن مَعين[2] : لا يُحْتجّ به .

وقال غيره صالح الحديث[3] .

* * *

(*) تاريخ الإسلام وفيات (١٦١ ـ ١٧٠ هـ) .

(١) في الجرح والتعديل ٦/ ٢٩٨ وزاد : « ليس بالقوي » .

(٢) في تاريخه ٢/ ٤٣٨ ولفظه : « ليس يُحتج بحديثه » وقال أيضاً : « ليس به بأس » .

(٣) تاريخ الإسلام وفيات (١٦١ ـ ١٧٠ هـ) .

عيسى(*) بن سُليمان التَّغلبي

هو الضِّياء عيسى بن سُليمان بن رمضان أبو الرَّوح التَّغلبي المِصْري القُرَافي الشافعي . آخر من روى « صحيح البخاري » عن مُنْجِب المُرْشدي مولى مُرْشِد الدِّين .

توفي في رمضان عن تسعين سنة[١] .

وكذلك جاءت وفاته في النجوم الزاهرة : توفي سنة ستين وستمائة ضياء الدين عيسى بن سليمان التَّغلبي في رمضان وله تسعون سنة[٢] .

* * *

(*) شذرات الذهب ٧/ ٥٢٦ . النجوم الزاهرة ٧/ ٢١٠ . والعبر ٥/ ٢٦١ ، ٢٦٢ . وحسن المحاضرة ١/ ٣٨٠ وقد تصحفت « التَّغلبي » فيه إلى « الثعلبي » فتصحح . حاشية .

(١) شذرات الذهب ٧/ ٥٢٦ .

(٢) النجوم الزاهرة ٧/ ٢١٠ .

الفتى التَّغلبي(*) والعَصَا

عن الشّرقي بن القُطامي قال :

خرجتُ من الموصل وأنا أريد الرَّقَّةَ مستخفياً ، وأنا شابٌّ خفيف الحاذِ[1] ، فصحبني من أهل الجزيرة فتىً ما رأيت بعده مثله[2] ، فذكر أنه تغلبي[3] ، من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مِزْود وركوة وعصاً[4] ، فرأيتُه لا يفارقها ، وطالت ملازمتُه لها ، فكدت من الغيظ أرمي بها في بعض الأودية ، فكنَّا نمشي فإذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، وإن لم نُصب الدوابَّ مشَينا ، فقلت له في شأن عصاه ، فقال لي : إنّ موسى بن عمران عليه السلام حين آنس من جانب الطُّور ناراً ، وأراد الاقتباس لأهله منها ، لم يأت النار في مقدار تلك المسافة القليلة إلاّ ومعه عصاه ، فلما صار بالوادي المقدَّس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك ، واخلَعْ نعليك . فرمى بنعليه راغباً عنهما ، حين نزّه الله ذلك الموضِع عن الجِلد غير الذَّكي ، وجعل الله جماع أمره عن أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ، ثم كلمه من جوف شجرةٍ ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جانّ .

قال الشَّرْقي : إنه ليُكثر ؛ من ذلك وإني لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزْنا على حمارَينا تخلَّف المُكاري فكان حماره يمشي ، فإذا تلكأَ أكرهه بالعصا ، وكان حماري لا ينساق ، وعلم أنه ليس في شيءٌ يُكرهه ، فسبقني

(*) البيان والتبيين ٣/ ٤٥ ـ ٤٧ .

(١) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال ، كما يقال خفيف الظهر . والحاذ لحمة في ظهر الفخذ .

(٢) المألوف : « ما رأيت قبله ولا بعده مثله » .

(٣) النسبة إلى تغلب : تغلبي .

(٤) الركوة : إناء صغيرة من جلد يشرب فيه الماء .

الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح، ولم أقدر على البراح، حتَّى وافاني المُكاري، فقلت : هذه واحدة .

فلمّا أردْنا الخروج من الغدِ لم نقدْر على شيءٍ نركبه ، فكنّا نمشي ، فإذا أعيا توكأ على العصا ، وربما أحضَرَ[1] ووضع طرف العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومرَّ كأنه سهم زالج[2] ، حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسَّخْتُ من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير ، فقلت : هذه ثانية .

فلمَّا كان في اليوم الثالث ، ونحن نمشي في أرض ذات أخاقيق[3] وصدوع ، إذ هجمنا على حيَّةٍ منكرة ، فساورتْنا ، فلم تكن عندي حيلةٌ إلاّ خِذلانَه وإسلامَه إليها ، والهرب منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلمّا بَهَشت[4] له ورفعت صدرَها ضربَها حتَّى وقذَها[5] ، ثم ضربها حتّى قتلها فقلت هذه ثالثة ، وهي أعظمهنّ .

فلمّا خرجنا في اليوم الرابع ، وقد والله قَرِمْت[6] إلى اللَّحم وأنا هاربٌ مُعْدِم ، إذا أرنبٌ ، قد اعترضَتْ فحذفها بالعصا ، فما شَعرتُ إلاّ وهي معلَّقة وأدركنا ذكاتَها[7] ، فقلت : هذه رابعة[8] .

وأقبلتُ عليه فقلت : لو أنّ عندنا ناراً لما أخّرتُ أكلَها إلى المنزل .

قال : فإنّ عندك نارا ! فأخرج عُوَيداً من مِزْودِه ، ثمَّ حكّه بالعصا فأورَتْ

---

(١) الإحضار : ضرب من العدو .

(٢) الزالج الذي إذا رماه الرامي فقصر عن الهدف وأصاب صخرة استقل من إصابة الصخرة فقوى فارتفع .

(٣) الأخاقيق : الشقوق ، واحدها أُخقوق .

(٤) بهشت له : أقبلت عليه تريده .

(٥) الوقذ : شدة الضرب .

(٦) قرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

(٧) الذكاة : الذبح ، أي كان بها بقية من حياة فذبحناها .

(٨) البيان والتبيين ٣/ ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

إيراء المَرْخُ[١] والعَفَارُ عنده لا شيء ، ثم جَمع ما قدر عليه من الغُثاء والحشيش فأوقد نارَه وألقى الأرنب في جوفها ، فأخرجناها وقد لزِبها من الرَّماد والتُّراب ما بغّضها إليّ ، فعلّقَها بيده اليُسرى ثم ضرب بالعصا على جُنوبها وأعراضها ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كلُّ شيءٍ عليها ، فاكلناها وسكن القَرَم ، وطابت النَّفس ، فقلت : هذه خامسة .

ثمّ إنّا نزلنا بعضَ الخانات[٢] ، وإذ البيوتُ مِلاًءٌ روثاً وتُراباً ، ونزلنا بعَقب جُنْدٍ وخَرابٍ متقدّم ، فلم نجد موضعاً نَظَلُّ فيه ، فنظر إلى حديدةٍ مِسحاةٍ[٣] مطروحةٍ في الدّار ، فأخذها فجعل العصا نِصَاباً لها ، ثم قام فجرفَ جميع ذلك التُّراب والرَّوث ، وجردَ الأرضَ بها جرداً ، حتى ظهر بياضُها ، وطابت ريحها فقلت : هذه سادسة .

وعلى أي حالٍ لم تَطِبْ نفسي أن أضع طعامي وثيابي على الأرض ، فنزع والله العصا من حديدة المِسحاة فوتَدها في الحائط ، وعلّقَ ثيابي عليها ، فقلت هذه سابعة .

فلما صرتُ إلى مَفرِق الطُّرق ، وأردتُ مفارقته ، قال لي : لو عَدَلت فبتَّ عندي كنتَ قد قضيتَ حقَّ الصُّحبة ، والمنزل قريب ، فعدلتُ معه فأدخلني في مَنزلٍ يتصل ببيعة[٤] . قال : فما زال يحدِّثني ويُطْرِفني ويُلْطِفني اللّيلَ كلَّه ، فلما كان السّحرُ أخذ خُشَيْبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعَها بها ، فإذا ناقوسٌ ليس في الدنيا مثله ، وإذا هو أحذَقُ النّاس بضربه ، فقلت له : ويلَك ،

---

(١) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، وهو من العضاة ينفرش ويطول في السماء وليس له ورق ولا شوك . والعَفار : شجر مثله يتخذ منه الزناد ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد للزناد .

(٢) الخانات : جمع خان ، وهو الحانوت أو الفندق الذي ينزل به التجار : ولفظه فارسي .

(٣) المِسحاة : مجرفة من حديد .

(٤) البيعة بالكسر ، كنيسة النصرى .

أما أنت مسلم ، وأنت رجل من العرب من ولد عَمرو بن كلثوم ؟

قال : بلى .

قلت : فلِمَ تضرب بالناقوس ؟

قال : جُعلتُ فِداك ! إنَّ أبي نصراني ، وهو صاحب البِيعة ، وهو شيخ ضعيف ، فإذا شَهِدتُه بَرَرته بالكفاية .

فإذ هو شيطانٌ مارد ، وإذا أظرف النّاس كلِّهم وأكثرُهم أدباً وطلباً ، فخبَّرته بالذي أَحصيتُ من خِصال العصا ، بعد أن كنتُ هممتُ أن أرمَى بها .

فقال : والله لو حدّثتُك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفَذْتُها[1] .

* * *

---

(1) البيان والتبيين ٣/ ٤٧ ، ٤٨ .

فَضل الله(*) بن حمدان

هو أبو تغلب فضل الله الغَضَنْفَر بن ناصر الدولة بن حمدان التغلبي(١) .

كان كاتبه أبو الحسن علي بن عمرو بن ميمون الموصلي كاتب عدّة الدولة أبي تغلب الحمداني ووزيره ومدبر أمره . وشريكته في الحكم أخته جميلة بنت ناصر الدولة(٢) .

في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة استقر الصلح بين ناصر الدولة ومعزّ الدولة على ألف ألف درهم يحملها ناصر الدولة كل سنة إلى معز الدولة وأن يكون الأمر لولده أبي تغلب فضل الغَضَنْفَر معه في الموصل ، وأن يحلف معزُّ الدولة لهما ، فلم يجب إلى ذلك ، وسار معز الدولة إلى الموصل وملكها ، ثم سار إلى نَصيبين وملكها وعاد إلى الموصل ، وقصد أبو تغلب بن ناصر الدولة الموصل وحارب من بها من أصحاب معز الدولة ، وكانت الدائرة عليه ، فانصرف بعد أن أحرق السفن التي لمعز الدولة وأصحابه .

وأخذ معز الدولة يطارد ناصر الدولة بن حمدان إلى سنجار فسار أبو تغلب بن ناصر الدولة إلى الموصل فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى ، ولم يتعرض إلى أحد ممن بها من أصحاب معز الدولة ، فلما سمع معزُّ الدولة بنزول أبي تغلب بالموصل سار إليها ففارقها أبو تغلب وقصد الزاب فأقام عنده وراسل معز الدولة في الصلح فأجابه لأنّه علم أنّه متى فارق الموصل عادوا وملكوها ، ومتى أقام بها ، لا يزال متردّداً وهم يغيرون على النواحي ، فأجابه

(*) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٥٣ ، ٥٧٩ ، ٦٠٨ ، ٦٩٩ ، نشوار المحاضرة ١/ ١٩٣ ، ٢/ ١٤٥ ، ٣/ ٢٤٥ ، ٥/ ٢٠ ، ٦/ ١١٨ . فوات الوفيات ١٧٢٦٣ ، النجوم الزاهرة ٤/ ١٣١ ـ ١٣٦ ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٦ .

(١) انظر نسبه في ترجمة ناصر الدولة بن حمدان في هذا الكتاب .

(٢) نشوار المحاضرة ١/ ١٩٣ . وانظر ترجمة جميلة بنت ناصر الدولة في هذا الكتاب .

إلى ما التمسه ، وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرَّحبة ، وما كان في يد أبيه بمال قرّره ، وأن يطلق مَن عندهم من الأسرى ، فاستقرت القواعد على ذلك ، ورحل معزُّ الدولة إلى بغداد[١] .

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أرسل أبو تغلب بن حمدان إلى القرامطة بِهَجَر[٢] هدايا جميلة قيمتها خمسون ألف درهم[٣] .

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، في الثاني والعشرين من جمادى الأولى ، سار أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان إلى حرَّان ، فرأى أهلها قد أغلقوا أبوابها ، وامتنعوا منه ، فنازلهم وحصرهم ، فرعى أصحابه زروع تلك الأعمال ، وكان الغلاء في العسكر كثيراً ، فبقي كذلك إلى ثالث عشر جمادى الآخرة ، فخرج إليه نفران من أعيان أهلها ليلاً وصالحاه ، وأخذا الأمان لأهل البلد وعادا .

فلما أصبحا أعلما أهل حرّان بما فعلاه ، فاضطربوا ، وحملوا السلاح وأرادوا قتلهما ، فسكّنهم بعض أهلها ، فسكنوا ، واتفقوا على إتمام الصلح ، وخرجوا جميعهم إلى أبي تغلب ، وفتحوا أبواب البلد ودخله أبو تغلب وإخوته وجماعة من أصحابه ، وصلّوا به الجمعة ، وخرجوا إلى معسكرهم واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي لأنّه طلبه أهلها لحُسن سيرته ، وكان إليه أيضاً عمل الرَّقّة ، وهو من أكابر أصحاب بني حمدان وعاد أبو تغلب إلى الموصل ومعه جماعة من أحدّاث حرّان ، وسبب سُرعة عوده أن بني نُمير عاثوا في بلد

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٥٣ ، ٥٥٤ .
(٢) هَجر : قصبة بلاد البحرين (معجم البلدان ٥/ ٤٥٢) . وجاء في الروض المعطار ٥٩٢ : في سنة (٢٨٧ هـ) دخل أبو سعيد القرمطي هجر بعد حصار أربع سنوات . . . قتل منهم القرمطي ثلاثمائة ألف وطرحهم أحياء في النار ، وكانت محنتهم عظيمة .
(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٠٠ .

الموصل وقتلوا العامل ببرقعيد[1] ، فعاد إليهم ليكفّهم[2] .

وفي سنة ستين وثلاثمائة تزوج أبو تغلب بن حمدان ابنة عز الدولة بختيار ، وعمرها ثلاث سنين[3] ؟! على صداق مائة ألف دينار ؛ وكان الوكيل في قبول العقد أبا الحسن علي بن عمرو بن ميمون صاحب أبي تغلب بن حمدان ووقع العقد في صفر[4] .

وفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة وفي شوّال منها ملك أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين ، سلّمها إليه نائب أخيه حمدان ، فأخذ أبو تغلب كل ما كان لأخيه فيها من أهل ومال وأثاث وسلاح ، وحمل الجميع إلى الموصل[5] .

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة سار بختيار إلى الموصل ليستولي عليها وعلى أعمالها وما بيد أبي تغلب بن حمدان وكان سبب ذلك مسير حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه إلى بختيار ، واستجارتهما به ، وشكواهما إليه من أخيهما أبي تغلب ، فوعدهما أن ينصرهما ويخلّص أعمالها وأموالهما منه ، وينتقم لهما . . . وبذل له حمدان مالاً جزيلاً ، وصغّر عنده أمر أخيه أبي تغلب ، وطلب أن يضمّنه بلاده ليكون في طاعته ، ويحمل إليه الأموال ويقيم له الخطبة .

---

(١) بَرْقَعِيد : موضع بالشام ، قال أبو تمام :

لـولا اعتمـادُك كنـتُ ذا منـدوحـة   عـن بَـرْقَعيـدَ وأرضِ بَـاعيْنَـاثـا

(معجم ما استعجم ١/ ٢٤٣) .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(٣) اعتقد أن خطأً وقع في تحديد سن الطفلة في الزواج ، وهل يُعقل أن يتزوج رجل من طفلة ترضع على ثدي أمها عمرها ثلاث سنوات ، أو أنها مجرد خطوبة حتى تكبر ، أي هو زواج لمصلحة . . .؟ وربما كان عمرها « ١٣ سنة أو ٢٣ سنة » .

(٤) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦١٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٢٦ .

ثم إنّ إبراهيم بن ناصر الدولة هرب من عند بختيار ، وعاد إلى أخيه أبي تغلب ، فقوي عزم بختيار على قصد الموصل أيضا[1] . وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار وقصد سنجار ، وكسر العروب ، وأخلى الموصل من كلّ ميرة ، وكاتب الديوان ، ثم سار من سنجار يطلب بغداد ، ولم يعرض إلى أحد من سوادها بل كان هو وأصحابه يشترون الأشياء باوفى الأثمان ، وكان أبو تغلب قد قارب بغداد ، فثار العيارون بها وأهل الشر بالجانب الغربي ، ووقعت فتنة عظيمة بين السُنّة والشيعة وكان الجانب الشرقي آمناً ، والجانب الغربي مفتوناً ، فأُخذ جماعة من رؤساء العيارين وقتلوا ، فسكن الناس بعض السكون ، وأما أبو تغلب فإنّه لمّا بلغه دخول ابن بقيّة بغداد ، ونزول سبكتكين الحاجب بحربي ، عاد من بغداد ونزل بالقرب منه ، وجرى بينهما مطاردة يسيرة ، ثم اتفقا في السرّعلى أن يُظهرا الاختلاف إلى أن يتمكنا من القبض على الخليفة والوزير ووالدة بختيار وأهله ، فإذا فعلوا ذلك انتقل سبكتكين إلى بغداد ، وعاد أبو تغلب إلى الموصل فيبلغ من بختيار ما أراد ، ويملك دولته[2] .

ثم إنّ سبكتكين خاف سوء الأحدوثة ، فتوقّف وسار الوزير ابن بقية إلى سبكتكين ، فاجتمع به ، وانفسخ ما كان بينهما ، وتراسلوا في الصلح على أنّ أبا تغلب يضمن البلاد على ما كانت معه ، وعلى أن يطلق لبختيار ثلاثة آلاف كرغلّة عوضاً عن مؤونة سفره ، وعلى أن يرد على أخيه حمدان أملاكه وأقطاعه إلاّ ماردين . ولمّا اصطلحوا أرسلوا إلى بختيار بذلك يرحل عن الموصل ، وعاد أبو تغلب إليها . . . ونزل بالحصباء تحت الموصل ، وتعصب أهل الموصل لأبي تغلب ، وأظهروا محبته لما نالهم من بختيار من المصادرات وأخذ الأموال ، ودخل الناس بينهما في الصلح ، فطلب من أبو تغلب من

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٣١ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٣٢ .

بختيار أن يُلقّب لقباً سلطانياً ، وأن يسلم إليه زوجته ابنة بختيار ، وأن يحطّ عنه من ذلك القرار ، فأجابه بختيار خوفاً منه ، وتحالفا وسار بختيار عن الموصل عائداً إلى بغداد ، فأظهر أهل الموصل السرور برحيله ، لأنّه كان قد أساء معهم السيرة وظلمهم .

فلما وصل بختيار إلى الكُحَيْل[1] بلغه أن أبا تغلب قد قتل قوماً كانوا من أصحابه ، وقد استأمنوا إلى بختيار ، فعادوا إلى الموصل ليأخذوا ما لهم بها من أهل ومال فقتلهم . فلمّا بلغه ذلك اشتد عليه ، وأقام بمكانه وأرسل إلى الوزير أبي طاهر بن بقية والحاجب سبكتكين يأمرهما بالإصعاد إليه ، وكان قد أرسل إليهما يأمرهما بالتوقف ، ويقول لهما إنّ الصلح قد استقر ، فلما أرسل إليهما يطلبهما ، أصعدا إليه في العساكر ، فعادوا جميعهم إلى الموصل ونزلوا بالدير الأعلى أواخر جمادى الآخرة ، وفارقها أبو تغلب إلى تل يَعْفَر ، وعزم عزُّ الدولة على قصده وطلبه أين سلك ، فأرسل أبو تغلب كاتبه وصاحبه أبا الحسن علي بن أبي عمرو إلى عز الدولة فاعتقله ، واعتقل معه أبا الحسن بن عرس وأبا أحمد بن حوقل[2] .

ومازالت المراسلات بينهما ، وحلف أبو تغلب أنّه لم يعلم بقتل أولئك ، فعاد الصلح واستقر ، وحمل إليه ما استقر من المال ، فأرسل عزُّ الدولة الشريف أبا أحمد الموسويَّ ، والقاضي أبا بكر محمد بن عبد الرحمن ، فحلّفا أبا تغلب ، وتجدّد الصلح ، وانحدر عزُّ الدولة عن الموصل سابع عشر رجب وعاد أبو تغلب إلى بلده . ولمّا عاد بختيار عن الموصل جهزّ ابنته وسيرّها إلى أبي تغلب وبقيت معه إلى أن أُخذت منه ، ولم يعرف لها بعد ذلك خبر[3] .

---

(١) الكُحَيْل : موضع بالجزيرة وكان فيه يوم للعرب ، قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف : الكحيل مدينة عظيمة على دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي . « معجم البلدان ٤/ ٤٩٨ » .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٣٣ ، ٦٣٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٣٤ .

بختيار يطلب مساعدة أبي تغلب بن حمدان :

وفي السنة نفسها « ٣٦٣ هـ » كتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان يطلب منه أن يساعده بنفسه ، وأنّه إذا فعل ذلك أسقط عنه المال الذي عليه[١] ، وأنفذ رسائل إلى غيره يطلب ذلك .

وأما أبو تغلب بن حمدان فإنّه أجاب إلى المسارعة ، وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان إلى تكريت في عسكر ، وانتظر انحدار الأتراك عن بغداد ، فإن ظفروا ببختيار دخل بغداد مالكاً لها ، فلما انحدر الأتراك عن بغداد سار أبو تغلب إليها ليوجب على بختيار الحجة في اسقاط المال الذي عليه ، ووصل إلى بغداد والناس في بلاء عظيم مع العيّارين ، فحمى البلد ، وكفَّ أهل الفساد[٢] .

وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة أقام بَسيلُس بن أرمانوس ملك الروم ورداً[٣] ، المعروف بسقلاروس ، دُمُسْتُقاً ، فلما استقر في الولاية استوحش من الملك فعصى عليه ، واستظهر بأبي تغلب بن حمدان ، وصاهره ، ولبس التاج وطلب الملك[٤] .

نهاية أبو تغلب بن حمدان بين بختيار[٥] وعضد الدولة[٦] :

في سنة سبع وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على العراق ، وأرسل

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٤٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه ٨/ ٦٤٥ .

(٣) هو ورد بن منير من أكابر أصحاب الجيوش وعظماء البطارقة ، ويقال له ورد الرومي (المصدر السابق نفسه ٨/ ٧٠٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه ٨/ ٦٦٨ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ .

(٥) عزالة الدولة بختيار بن معزُّ الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه (الكامل في التاريخ ٨/ ٢٧٦) .

(٦) عضد الدولة أبو شجاع فنّاخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه (المصدر السابق نفسه ٨/ ٣٣٨) .

إلى بختيار يدعوه إلى طاعته وأن يسير عن العراق إلى أي جهة أراد ، ولما سار بختيار عن بغداد عزم على قصد الشام ومعه حمدان ابن ناصر الدولة بن حمدان ، فلمّا صار بختيار بعكبرا حسّن له حمدان قصد الموصل وكثرة أموالها ، وأطمعه فيها وقال إنّها خير من الشام وأسهل .

فسار بختيار نحو الموصل ، وكان عضد الدولة قد حلّفه أنّه لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودة ومكاتبة كانت بينهما ، فنكث وقصدها ، فلما صار إلى تكريت أتته رسل أبي تغلب تسأله أن يقبض على أخيه حمدان ويسلّمه إليه ، وإذا فعل سار بنفسه وعساكره إليه ، وقاتل معه عضد الدولة ، وأعاده إلى ملكه ببغداد ، فقبض بختيار على حمدان وسلّمه إلى نوّاب أبي تغلب فحبسه في قلعة له ، وسار بختيار إلى الحديثة ، واجتمع مع أبي تغلب وسارا جميعاً نحو العراق ، وكان مع أبي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل .

وبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما ، فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت ثامن عشر شوال فهزمهما ، وأُسر بختيار ، وأُحضر عند عضد الدولة ، فلم يأذن بإدخاله إليه ، وأمر بقتله فقُتل ، وذلك بمشورة الوفاء طاهر بن إبراهيم ، وقُتل من أصحابه خلق كثير ، واستقر ملك عضد الدولة بعد ذلك وكان عمر بختيار ستاً وثلاثين سنة ، وملك إحدى عشرة سنة وشهوراً[1] .

استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان :

سار عضد الدولة نحو الموصل فملكها ثاني عشر ذي القعدة ، وما يتصل بها وظن أبو تغلب أنّه يفعل كما كان غيره يفعل ، يقيم يسيراً ، ثم يضطر إلى المصالحة ويعود .

وكان عضد الدولة أحزم من ذلك ، فإنّه لما قصد الموصل حمل معه الميرة

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٩١ .

والعلوفات ، ومن يعرف ولاية الموصل وأعمالها ، وأقام بالموصل مطمئناً ، وبثّ السرايا في طلب أبي تغلب ، فأرسل أبو تغلب يطلب أن يضمن البلاد فلم يجبه عضد الدولة إلى ذلك ، وقال : هذه البلاد أحبُّ إلي من العراق .

وكان مع أبي تغلب المرزبان بن بختيار ، وأبو إسحاق ، وأبو طاهر ابنا معزّ الدولة ، ووالدتهما ، وهي أم بختيار ، وأسبابهم ، فسار أبو تغلب إلى نَصيبين ، فسيّر عضد الدولة سريّة عليها حاجبه أبو حرب طغان إلى جَزيرة ابن عُمر[١] ، وسيّر في طلب أبي تغلب سريّة ، واستعمل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد ، على طريق سنجار ، فسار أبو تغلب مجدّاً ، فبلغ ميّافارقين ، وأقام بها ومعه أهله ، فلما بلغه مسير أبي الوفاء إليه سار نحو بَدْلِيس[٢] ومعه النساء وغيرهنّ من أهله ، ووصل أبو الوفاء إلى ميّافارقين فأُغلقت دونه ، وهي حصينة منيعة من حصون الروم القديمة ، وتركها وطلب أبا تغلب .

وكان أبو تغلب قد عدل من أرزن الروم[٣] إلى الحسينيّة من أعمال الجزيرة وصعد إلى قلعة كَواشَى وغيرها من قلاعه ، وأخذ ماله فيها من الأموال ، وعاد

---

(١) جَزيرةُ ابن عُمر : بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام . . . أَوّل من عمرها الحسن بن عمر بن خَطّاب التغلبي . « معجم البلدان ٢/ ٦٠ » .

(٢) بَدْلِيسُ : قال أحمد بن يحيى بن جابر : لما فرغ عياض بن غنم من الجزيرة دخل الدرب فبلغ بدليس فجازها إلى خلاط وصالح بطريقها وانتهى إلى العين الحامضة فلم يتجاوزها وعاد فضمَّن صاحب بدليس خراج خلاط وجماجمها ثم انصرف إلى الرقة .
وفي بدليس يقول أبو الرضا الفضل بن منصور الظريف .

بَدْليسُ ! قد جَدَّدْت لي صَبْوَةً ... بعد التُّقى والنُّسك والسَّمْتِ
وإن تحاسَبْنَا فقولي لنا : ... مَنْ أنتِ يا بدليس مَن أنتِ ؟
من طبعكِ الجافي ومن أهله ... قد صِرْتِ بغداد على بُخْتِ

(معجم البلدان ١/ ٤٢٧) .

(٣) أَرزَنُ الرُّوم : بلدة من بلاد ارمينية ، أهلها أرْمن ، وواسعة كثيرة الخيرات ، وإحسان صاحبها إلى رعيته بالعدل فيهم ظاهرٌ ، إلاّ أن الفِسْقَ وشرب الخمور وارتكاب المَحظور فيها شائع لا يُنكره مُنكر ، ولا يستوحش منه مبصر . « معجم البلدان ١/ ١٨١ » .

أبو الوفاء إلى ميّافارقين وحصرها . ولما اتصل بعضد الدولة مجيء أبي تغلب إلى قلاعه سار إليه بنفسه ، فلم يدركه ، ولكنّه استأمن إليه أكثر أصحابه ، وعاد إلى الموصل ، وسير في أثر أبي تغلب عسكراً مع قائد من أصحابه يقال له طغان ، فتعسف أبو تغلب إلى بدليس ، وظن أنّه لا يتبعه أحدٌ ، فتبعه طغان ، فهرب من بدليس وقصد بلاد الروم ليتصل بملكهم المعروف بورد الرومي ، وليس من بيت الملك ، وإنّما تملّك عليهم قهراً ، واختلف الروم عليه ، ونصبوا غيره من أولاد ملوكهم ، فطالت الحرب بينهم ، فصاهر ورد هذا أبا تغلب ليتقوى به ، فَقُدِّر أنّ أبا تغلب احتاج إلى الاعتضاد به .

ولمّا سار أبو تغلب من بدليس أدركه عسكر عضد الدولة ، وهم حريصون على أخذ ما معه من المال ، فإنهم كانوا قد سمعوا بكثرته ، فلمّا وقعوا عليه نادى أميرهم : لا تتعرضوا لهذا المال ، فهو لعضد الدولة ، ففتروا عن القتال[1] .

فلمّا رآهم أبو تغلب فاترين حمل عليهم فانهزموا ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ونجا منهم ، فنزل بحصن زياد ، ويعرف الآن بخرتبرت ، وأرسل ورد المذكور فعرّفه ما هو بصدده من اجتماع الروم عليه ، واستمده ، وقال : إذا فرغتُ عُدتُ إليك . فسيّر إليه أبو تغلب طائفة من عسكره ، فاتّفق أنّ ورداً انهزم ، فلمّا علم أبو تغلب بذلك يئس من نصره ، وعاد إلى بلاد الإسلام فنزل بآمد ، وأقام بها شهرين إلى أن فتحت ميافارقين .

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة كان أبو الوفاء طاهر بن محمد يطارد أبا تغلب بن حمدان من مدينة إلى أخرى فترك ميّافارقين وآمد ، وتوجه نحو الرحبة ، وهو وأخته جميلة ، وأمر بعض أهله بالاستئمان إلى أبي الوفاء ، واستولى أبو الوفاء على سائر ديار بكر وقصده أصحاب أبي تغلب وأهله مستأمنين إليه فأمّنهم ، وأحسن إليه ، وعاد إلى الموصل .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٩٣ .

وأما أبو تغلب فإنّه لما قصد الرحبة أنفذ رسولاً إلى عضد الدولة يستعطفه ، ويسأله الصفح ، فأحسن جواب الرسل ، وبذل له إقطاعاً يرضيه على أن يطأ بساطه ، فلم يجبه أبو تغلب إلى ذلك وسار إلى الشام ، إلى العزيز بالله صاحب مصر(١) .

واستولى عضد الدولة على جميع أعمال أبي تغلب واستخلف أبا الوفاء على الموصل ، وعاد إلى بغداد في سلخ ذي القعدة ولقيه الطائع لله ، وجمع من الجند وغيرهم(٢) .

ووصل أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل إلى دمشق منهزماً فمنعه قسّام(٣) من دخولها وخافه على البلد أن يتولاّه إما غلبةً ، وإما بأمر العزيز وجرى بين أصحابه وأصحاب أبي تغلب شيء من القتال ، فرحل أبو تغلب إلى طبرية(٤) .

ذكر قتل أبي تغلب بن حمدان :

في سنة تسع وستين وثلاثمائة في صفر قُتل أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان .

وكن سبب قتله ، طرده من الموصل ولم يتمكن من دخول دمشق ، فرحل إلى نَوى وهي من أعمال دمشق ، فأتاه كتاب رسوله من مصر يذكر أن العزيز

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٩٥ ، ٦٩٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٦٩٧ .

(٣) قسّام : صاحب دمشق وكان يدعو للعزيز بالله العلوي (الكامل في التاريخ ٨/ ٦٩٧) وقيل قسام العيّار .

(٤) طبرية : وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها وهي من أعمال الأردن في طرف الغور ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وكذلك بينها وبين القدس . وفتحت طبرية على يد شُرحبيل بن حسنة سنة (١٣ هـ) صلحاً . « معجم البلدان ٤/ ١٩ ، ٢٠ » . حالياً طبرية من مدن فلسطين المحتلة بيد الصهاينة .

يريد أن يحضر هو عنده بمصر لِيُسيّر معه العساكر ، فامتنع ، وتردّدت الرسل ، ورحل إلى بحيرة طبرية ، وسيّر العزيز عسكراً إلى دمشق مع قائد اسمه الفضل ، فاجتمع بأبي تغلب عند طبرية ، ووعده ، عن العزيز ، بكل ما أحب ، وأراد أبو تغلب المسير معه إلى دمشق ، فمنعه بسبب الفتنة التي جرت بين أصحابه وأصحاب قسّام لئلا يستوحش قسّام ، وأراد أخذ البلد منه سلماً ، ورحل الفضل إلى دمشق فلم يفتحها[١] .

وكان بالرملة[٢] دغفل بن المفرّج بن الجرّاح الطائي قد استولى على هذه الناحية ، وأظهر طاعة العزيز من غير أن يتصرف بأحكامه ، وكثر جمعه ، وسار إلى أحياء عُقيل المقيمة بالشام ليخرجها من الشام فاجتمعت عقيل إلى أبي تغلب وسألته نصرتها ، وكتب إليه دغفل يسأله أن لا يفعل ، فتوسط أبو تغلب الحال ، فرضوا بما يحكم به العزيز .

ورحل أبو تغلب ، فنزل في جوار عقيل ، فخافه دغفل ، والفضل صاحب العزيز ، وظنّا أنّه يريد أخذ تلك الأعمال ، ثم إنّ أبا تغلب سار إلى الرملة في المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة فلم يشك ابن الجراح والفضل أنّه يريد حربهما ، وكانا بالرملة ، فجمع الفضل العساكر من السواحل ، وكذلك جمع دغفل من أمكنه جمعه ، وتصافّ الناس للحرب ، فلما رأت عقيل كثرة الجمع انهزمت ، ولم يبق مع أبي تغلب إلاّ نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه ، فانهزم ولحقه الطلب فوقف يحمى نفسه وأصحابه ، فَضُرب على رأسه فسقط ، وأُخذ أسيراً ، وحُمل إلى دغفل فأسره وكتّفه .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٩٩ .

(٢) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين « معجم البلدان ٣/ ٧٩ » .

كان مولد أبا تغلب يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة « ٣٢٨ هـ » وفيات الأعيان ٢/ ١١٧ .

وكان يرجع إلى فضل وأدب وله شعر (فوات الوفيات ٣/ ١٧٢) .

وأراد الفضل أخذه وحمله إلى العزيز بمصر ، فخاف دغفل ان يصطنعه العزيز ، كما فعل بالفتكين ، ويجعله عنده ، فقتله فلامه الفضل على قتله ، وأخذ رأسه وحمله إلى مصر وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة وزوجته ، وهي بنت عمه سيف الدولة ، فلما قُتل حملهما بنو عقيل إلى حلب إلى سعد الدولة بن سيف الدولة ، فأخذ أخته ، وسيّر جميلة إلى الموصل ، فسُلمت إلى أبي الوفاء نائب عضد الدولة ، فأرسلها إلى بغداد ، فاعتُقلت في حجرة في دار عضد الدولة[1] .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٩٩ ، ٧٠٠ .

القَاسِمُ(*) التَّغلبي

ومن الصُّفر[1] المضايق ، القاسمُ التَّغلبيُّ الفارس الخطيب .

قتله المنصورُ بعد خروجه مع إبراهيم بن عبد الله[2] صَبْراً .

وقال الجاحظ :

وخبّرني من رآه يوم المِرْبَد وهو أَصفر على بِرذَون أصفر عليه عَمامةٌ صَفراء وخفتان أصفر[3] .

* * *

(*) البرصان والعرجان ١٠٠ ـ لسان العرب ـ صفر .

(١) والصُّفار : صُفْرة تعلو اللون والبشرة ، وصاحبه مَصْفُورٌ . والصُّفْرَة : لون الأصفر . والصُّفْرِيَّةُ ، بالضم : جنس من الخوارج ، وقيل : قوم من الحَرُورِيَّة سموا صُفْرِيَّة لأنهم نُسبوا إلى صُفْرة ألوانهم ، وقيل : إلى عبد الله بن صَفَّار ؛ فهو على هذا القول الأخير من النسب النادر ، وفي الصحاح : صِنْفٌ من الخوارج نسبوا إلى زياد بن الأَصفر رئيسهم ، وزعم قوم أن الذي نسبوا إليه هو عبد الله بن الصَّفَّار وأنهم الصِّفْرِيَّة ، بكسر الصاد ، وقال الأصمعي : الصواب الصِّفْرِيَّة بالكسر ، قال : وخاصم رجل منهم صاحبه في السجن فقال له : أنت والله صِفْرٌ من الدِّين ، فسموا الصِّفْرِيَّة ، فهم المَهَالِبَةُ نسبوا إلى أبي صُفْرَة ، وهو أبو المُهَلبَّ وأبو صُفْرَة كُنيتهُ (اللسان) .

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أحد الأمراء الأشراف الشجعان خرج بالبصرة على المنصور فبايعه عدد كبير ، وخافه المنصور فتحول إلى الكوفة ، وكثرت شيعته فاستولى على البصرة وسير الجموع إلى الأهواز وفارس وواسط ، وهاجم الكوفة وحدثت بينه وبين المنصور وقائع هائلة إلى أن قتله حميد بن قحطبه سنة (١٤٥ هـ) حاشية البرصان ص١٠٠ .

(٣) البرصان والعرجان ١٠٠ .

كُثَيِّفُ(*) بن عَمرو التَّغلبي

يأتي المثل عند العرب نتيجة حادثة أو تجربة ناجحة أو خاسرة ، وهو جملة مفيدة ومعبرة ويكون خلف ذلك قصة إما لطيفة أو مرعبة كما هي الآن من أجل لطمة كف تهدر الدماء ويتوالى القتل بالعشرات ؟

والقصة هي بين كُثيف التغلبي وبين عمرو بن الزَّبّان الذُّهلي .

والأمثال التي لها علاقة بالواقعة : « أَثْقَلُ من حِمْلِ الدُّهيم »[1] و« أشْأَمُ مِن خُوْتَعة »[2] والرواية هي كالآتي :

وخَوْتَعة أحد بني غُفيلة . ومن حديثه أنه دلّ كُثِّيف بن عمرو التَّغلبي وأصحابه على بني الزَّبّان الذُّهلي إِتِرَةٍ[3] كانت له عند عمرو بن الزَّبّان ، وكان سبب ذلك أن مالك بن كومة الشيباني لقي كُثَيِّف بن عمرو في بعض حروبهم وكان مالك نحيفاً قليل اللحم ، وكان كُثَيِّف ضَخماً ، فلما أراد مالك أسْرَ كُثَيِّف اقتحم كُثَيِّف عن فرسه لينزل إليه مالك ، فأوْجَره مالك السِّنَانَ ، وقال : لتستأسِرَنَّ أو لاقتلنك ، فاحْتَقَّ فيه هو وعمرو بن الزَّبّان ، وكلاهما أدركه ، فقالا : قد حكما كُثيفاً ، يا كُثيف مَنْ أسَرَك ؟

فقال : لولا مالك بن كومة كنتُ في أهلي ، فلطمه عمرو بن الزَّبّان ، فغضب مالك ، وقال : تَلْطم أسيري ؟ إن فداءك يا كُثيف مائة بعير ، وقد جعلتُها لك بلطمة عمرو وجْهَك ، وجزَّ ناصيته وأطلقه ، فلم يزل كثيف يطلب

(*) ثمار القلوب ١/ ٥٣٢ مجمع الأمثال للميداني ١/ ١٥٦ ، ٣٧٧ . نوادر المخطوطات ٢/ ١٣٢ .

(١) الدُّهيم : اسم ناقة عمرو بن زبان .

(٢) خوتعة : هو أحد بني غُفيله بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعميٍّ بن جديلة .

(٣) الترة : الثأر .

عمراً باللَّطْمة حتى دلَّ عليه رجل من غُفَيلة يقال له خَوتعة ، وقد نَدَّتْ لهم إبل ، فخرج عمرو وإخوته في طلبها فأدركوها فَذَبحوا حُواراً فاشْتَووهُ وجلسوا يَتغدَّون ، فأتاهم كُثيف بضعف عددهم ، وأمرهم إذا جلسوا معهم على الغداء أن يكتنف كلَّ رجلٍ منهم رجلان ، فمروا بهم مجتازين ، فَدُعُوا فأجابوهم ، فجلسوا كما ائتمروا ، فلما حَسَر كُثيف عن وجهه العمامة عرفه عمرو ، فقال : يا كُثيف إن في خَدِّي وَفَاء من خدك ، وما في بكر بن وائل خد أكرمُ منه ، فلا تُشِبَّ الحربَ بيننا وبينك ، فقال : كلا بل أقتلك وأقتل إخْوتَكَ ، قال : فإن كنت فاعلاً فأطلق هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب فإن وراءهم طالباً أَطْلَبَ مني ، يعني أباهم ، فقتلهم وجعل رؤوسهم في مِخْلاَة وعلَّقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدُّهَيم فجاءت الناقة والزَّبَّان جالسٌ أمام بيته حتى بركت ، فقال : يا جارية هذه ناقة عمرو ، وقد أبطأ هو وإخوتُه ، فقامت الجارية فجَسَّت المخلاة فقالت : قد أصاب بَنُوكَ بَيضَ نعام ، فجاءت بها إليه ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ، ثم رؤوس أخوته ، فَغَسلها ووضعها على تُرس وقال : آخِرُ البَزِّ على القَلُوص ، وقال أبو الندى : معناه هذا آخر عهدي بهم ، لا أراهم بعده ، فأرسلها مثلاً ، وضرب الناس بحمل الدُّهيم المثل ، فقالوا : أثقلُ من حمل الدهيم فلما أصبح نادى : يا صَبَاحاه ، فأتاه قومه ، فقال : والله لاحوِّلنَّ بيتي ثم لا أردُّه إلى حاله الأول حتى أدرك ثاري ، وأطفىء ناري ، فمكث بذلك حيناً لا يدري مَنْ أصاب ولده ومَنْ دَلَّ عليهم ، حتى خُبِّر بذلك ، فحلق لا يحرِّمُ دم غُفليٍّ حتى يدلُّوه كما دلُّوا عليه ، فجعل يغزو بني غُفيله حتى أثخن فيهم ، فبينما هو جالس عند ناره إذ سمع رُغَاء بعير ، فإذا رجل قد نزل عنه حتى أتاه فقال : من أنت ؟

فقال : رجل من بني غُفَيله ، فقال : أنت وقد آن لك ، فأرسلها مثلاً ، فقال : هذه خمسة وأربعون بيتاً من بني تَغلب بالإقطانتين ، يعني موضعاً بناحية الرقة ، فسار إليهم الزَّبَّان ومعه مالك بن كومة ، قال مالك : فَنَعِسْتُ على فرسي وكان ذريعاً فتقدم بي ، فما شَعرتُ إلاَّ وقد كرع في مقراة القوم ،

فجذبته فمشى على عقبيه فسمعت جارية تقول : يا أبت هل تمشي الخيل على أعقابها ؟ فقال لها أبوها : وما ذاك يا بنية ؟ قالت : رأيت الساعة فرساً كَرَعَ في المقراة ثم رجع على عقبيه ، فقال لها : ارْقُدِي فإني أبغض الجارية الكَلُوء العينِ ، فلما أصبحوا أتتهم الخيل دَوَاسَّ[1] ، أي يتبع بعضُها بعضاً ، فقتلوهم جميعاً .

* * *

(١) قوله : « دَوَاسَّ » كذا أورده حمزة في كتابه ، والصواب « دوائس » يقال : داستهم الخيل بحوافرها ، وأتتهم الخيل دَوائسَ ، أي يتبع بعضها بعضاً . وجاء في بعض النسخ يقال : دَسَّتِ الخيل تدسُّ دَسًّاً إذا تبع بعضها بعضا : وقال الشاعر :

خَيلاً تَدسُّ إليهمُ عجلا ... وبَنُو رَحَائِلها ذَوُو بَصرِ

أي ذوو حَزمٍ (مجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٧٩) .

ولقد وردت هذه الرواية في نوادر المخطوطات ٢/ ١٣٢ وجاء أنها وقعت في بعض أيام بكر وتغلب . وبعد لطمة عمروٍ له فحرم كُثيِّف النساء والخمر حتى يثأر من عمرو ولطمته . . . وهذا ما حدث .

لطف الله[*] بن ناصر الدولة بن حمدان

هو أبو البركات لطف الله بن ناصر الدولة بن حمدان[1] .

إنّ كلاً من لطف الله أبو البركات ، وفضل الله الغضنفر أبا تغلب ، واختهما جميلة أولاد ناصر الدولة من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية .

قصد أبي البركات بن حمدان ميّافارقين وانهزامه .

في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة في ذي القعدة ، سار أبو البركات بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكره إلى ميّافارقين ، فأغلقت زوجة سيف الدولة أبواب البلد في وجهه ، ومنعته من دخوله ، فأرسل إليها يقول : إنّني ما قصدتُ إلاّ الغزاة ؛ ويطلب منها ما يستعين به ، فاستقر بينهما أن تحمل إليه مائتي ألف درهم ، وتسلم إليه قرايا كانت لسيف الدولة بالقرب من نَصيبين .

ثم ظهر لها أنّه يعمل سرّاً في دخول البلد ، فأرسلت إلى من معه من غلمان سيف الدولة تقول لهم : ما من حق مولاكم أن تفعلوا بحرمه وأولاده هذا فنكلوا عن القتال والقصد لها ، ثم جمعت رجالة وكبست أبا البركات ليلاً فانهزم ونُهِب سوادُه وعسكره ، وقُتل جماعة من أصحابه وغلمانه ، فراسلها : إنّني لم أقصد لسوء ، فردّت ردّاً جميلاً ، وأعادت إليه بعض ما نُهب منه ، وحملت إليه مائة ألف درهم ، وأطلقت الأسرى فعاد عنها[2] .

* * *

(*) الكامل في التاريخ ٨/٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٩ .

(١) انظر نسبه في ترجمة والده ناصر الدولة بن حمدان . ولقد ورد ذكر أبا البركات مع إخوته في أكثر من موقعة لذلك سأذكر بعض المواقع التي انفرد بها .

(٢) المصدر السابق نفسه ٨/٥٩٩ ، ٦٠٠ .

مَالِكُ(*) بن طَوْق التَّغلبي

هو مَالك بن طَوق بن مَالك بن عَتَّاب بن زافر بن شُريح بن مُرَّة بن عبد الله بن عمرو بن كُلثُوم بن مالك بن عَتَّاب بن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بَكر بن حُبَيب بن عمرو بن غنم بن تَغلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار التَّغلبي(١) .

أحد أجواد العرب ومُمَدَّحيهم ، ولي إمرة دمشق والأُردنّ في ولاية الواثق ثم في ولاية المتوكل .

هارون الرشيد ورحبة(٢) مالك بن طوق :

سؤال طرحه القدماء من هو مالك بن طوق ، ولماذا سميت الرحبة بإسمه ، وجاء ياقوت بالجواب في قصة مؤثرة بين العفو والمقدرة ؟

(*) تاريخ الطبري ٢/ ١١٧ ، ٩/ ٢٨٧ ، الكامل في التاريخ ٧/ ١٤٣ ، ٢٧٤ . مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٠ ، معجم البلدان ٣/ ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، فوات الوفيات ٣/ ٢٣١ .

(١) جمهرة بن حزم ٣٠٤ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٠ .

(٢) رحبة مالك بن طوق : بينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام وإلى بغداد مائة فرسخ وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخاً ، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات أسفل من قرقيسيا ، قال البلاذُري : لم يكن لها أثر قديم إنّما أحدثها مالك بن طوق بن عَتَّاب التغلبي في خلافة المأمون . (معجم البلدان ٣/ ٣٨) .

توضيح : ربما كان هناك التباساً في نسب بعض المعلومات بين مالك بن طوق ، وطوق بن مالك ، أي بين الابن مالك وأبيه طوق ؟ فالأب طوق توفي سنة (٢١٦ هـ) أي عاصر الرشيد الذي توفي سنة (١٩٣هـ) كما أنه عاصر المأمون الذي توفي سنة (٢١٨ هـ) . بينما عمل مالك الابن تحت إمرة الواثق الذي توفي سنة (٢٣٢ هـ) والمتوكل الذي قتل سنة (٢٤٧ هـ) ومات مالك سنة (٢٦٠ هـ) . فالأقرب للرشيد والمأمون هو طوق الأب ؟ ورواية ياقوت هنا تخص مالك بن طوق ؟ في عصر الرشيد هل حدثت مع طوق بن مالك وحدث خطأ في تقديم الاسم بين الابن والأب ، ربما ؟ وربما وقعت الحادثة في عصر المأمون ! لمالك بن طوق . أما الرحبة فهي لمالك بن طوق .

وكان الجواب : يا بُنَيَّ اعلم أن هارون الرشيد كان قد اجتاز في الفرات حَرّاقة حتى بلغ الشّذَ ومعه ندماء له أحدهم يقال له مالك بن طوق ، فلما قرب من الدواليب قال مالك بن طوق : يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الشطّ إلى أن تجوز هذه البقعة ، فقال له هارون : أَحسبُك تخاف هذه الدواليب ، فقال مالك : يكفي الله أمير المؤمنين كل محذور ولكن إن رأى أمير المؤمنين ذلك رأياً وإلاّ فالأمر له ، فقال الرشيد : قد تطيرت بقولك ، وقدّم السفينة وصعد الشطّ فلما بلغت الحراقة موضع الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بكل ما فيها ، فعجب من ذلك هارون الرشيد وسجد لله شكراً وأمر باخراج مال عظيم يفرّق على الفقراء في جميع المواضع وقال لمالك : وجبت لك علي حاجة فَسل ؟

فقال : يقطعني أمير المؤمنين في هذا الموضع أرضاً أبنيها مدينة تُنسب إليَّ ، فقال الرشيد قد فعلت ، وأمر أن يعان في بنائها بالمال والرجال ، فلما عَمَّرها واستوسقت له أموره فيها وتحول الناس إليها أنفذ إليه الرشيد يطلب منه مالاً فتعلّل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال ثم ثنّى الرسول إليه وكذلك راسله ثالثاً وبلغ هارون الرشيد أنه قد عصى عليه وتحصن فأنفذ إليه الجيوش إلى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع ثم ظفر به صاحب الرشيد فحمله مكبلاً بالحديد فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام لم يُسمع منه كلمة واحدة وكان إذا أراد شيئاً أومأ برأسه ويده ، فلما مضت له عشرة أَيّام جلس الرشيد للناس وأمر بإخراجه فأخرج من الحبس إلى مجلس أمير المؤمنين والوزراء والحجاب والأمراء بين يدي الرشيد ، فلمّا مَثَلَ بين يديه قبّل الأرض ثم قام قائماً لا يتكلم ولا يقول شيئاً ساعة تامة ، قال : فدعا الرشيد النّطْعَ والسيف وأمر بضرب عنقه ، فقال له يحيى : ويلك يا مالك لِمَ لا تتكلم ؟ فالتفت إلى الرشيد فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة من طين ، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولَمَّ بك شعث المسلمين وأَخمدَ بك شهاب الباطل وأوضح بك سُبل الحقّ ! إن الذنوب

تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة ، وأيمُ الله لقد عَظُمت الجريرة فانقطعت الحجة فلم يبقَ إلاّ عفوك أو انتقامك ، ثم أنشأ يقول :

أَرى الموتَ بين السيف والنَطع كَامناً ... يُلاحظُني مِنْ حَيث مَا أَتلَفّتُ[1]

وَأكثرُ ظَني أَنّكَ اليومَ ، قَاتلي ، ... وأيُّ امرىءٍ مما قَضى اللهُ يُفْلتُ ؟[2]

وأيّ امرىءٍ يُدلي بعذرٍ وحجّةٍ ... وسيفُ المنايا بين عَينيهِ مُصْلتُ !

يَعِزُّ على الأوسِ بن تَغلب مَوقف ... يهزّ عليَّ السيف فيه وأسكتُ

وما بيَ خَوفٌ أن أموتَ وإنّني ... لأَعلمُ أن الموتَ شيءٌ مؤَقَّتُ[3]

ولكنَّ خَلفي صِبْيَةً قَدْ تَركْتُهم ... وأَكبادُهُم مِنْ خشيةٍ تَتَفَتّتُ[4]

كأنّي أَرَاهم حينَ أُنعى إليهمُ ... وقد خَمّشوا تلكَ الوجوه وَصَوَّتُوا

فإن عشتُ عَاشوا خَافضين بغبطةٍ ... أذودُ الرّدى عنهم ، وإن متُّ موّتوا[5]

وَكَمْ قَائلٍ : لا يبعد الله داره ، ... وآخرُ جذلان يُسَرُّ ويَشمتُ[6]

قال : فبكى الرشيد بُكاء تَبسم ثم قال : لقد سكتَّ على همّةٍ وتكلّمْتَ على علمٍ وحكمة وقد وهبناك للصبية فارجع إلى مالكَ ولا تعاود فعالك ، فقال : سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة ! ثمّ انصرف من عنده بالخلع والجوائز .

إنّه حلم الرشيد الإنسان وأخلاقه السامية ، لقد كان بين مالك التَّغلبي

---

(١) ورد صدر البيت في فوات الوفيات (. . . . بين النطع والسيف) والنطع : بساط من الأديم ج نطاع .

(٢) ورد صدر البيت في فوات الوفيات (وأكبر ظني) .

(٣) ورد صدر البيت في فوات الوفيات . وما بي من خوف . . . وعجزه موَقّت) .

(٤) ورد البيت في فوات الوفيات :

ولكن خوفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت

(٥) ورد صدر البيت في فوات الوفيات . (فإن عشت عاشوا آمنين . . .) .

(٦) ورد صدر البيت في فوات الوفيات . (فكم . . .) والقصيدة وردت في معجم البلدان مع الرواية التي ذكرت (٣/ ٤٠) ووردت هذه القصيدة في المستجاد من فعلات الأجواد ١١٨ ونفس الرواية بين المأمون وتميم بن جميل السدوسي الخارجي . وعفا عنه المأمون ، أيضاً .

والموت تلك الأبيات التي قالها ولامست عاطفته وحركت مشاعره ، ورأى الرشيد أمامه رجلاً لا حول له ولا قوة فأصدر الرشيد عفوه بعد مقدرة ، وانطلق مالك حراً كأنه وِلد من جديد !

ولي مالك بن طوق التَّغلبي إمرة دمشق والأُردنّ في ولاية الواثق ثم في ولاية المتوكل ، وقدم عليه أبو تمَّام الطائي وامتدحه بدمشق ، وله في مدحه قصائد عدة سأقتطف أبياتاً من كل قصيدة قال يمدح مالك بن طوق :

يا مالكُ ابنَ المالكينَ ولم نَزَلْ ... تدعى ليومي نَائلٍ وعقابِ
للجودِ بابٌ في الأنامِ ولم تَزَلْ ... كَفَّاك مفتاحاً لذاك البابِ
يا مالكُ استودعتني لكَ منةً ... رُفعتْ خيامُكم بغيرِ قبابِ
يا خاطباً مدحي إليهِ بجودهِ ... ولقد خَطبتَ قليلةَ الخُطّابِ[1]

وقال يمدحه أيضاً :

أَقُولُ لِمُرتَادِ النَدى عندَ مَالكٍ ... تَعوَّذ بجدَوى مَالكٍ وَصِلاَتهِ
فَتىً جَعلَ المعروفَ من دُونِ عِرضهِ ... سَريعاً إلى المُمْتَاحِ قَبل عداتهِ
ولو قصَّرَتْ أَموالهُ عن سَماحهِ ... لقاسمَ من يَرجُوه شَطرَ حَياتهِ
ولو لمْ يَجدْ في قِسْمَةِ العمرِ حيلةً ... وجَازَ له الاعطاءُ من حَسناتهِ
لجادَ بهَا مِنْ غيرِ كُفرٍ لِرَبّهِ ... وَوَاسَاهمُ من صَومهِ وَصَلاتهِ[2]

وقال يمدحه :

أَنَّ ابنَ طوقِ بنِ مَالكٍ مَلكٌ ... أَقرَّ أمرَّ المكارمِ الشُمُسِ
مُفترَسٌ مَالُهُ ولستَ ترى ... فَريسةَ عِرضهِ لِمُفْتَرِسِ
تُبنى المعالي في ظلّهِ وله ... حَظٌ من المُلكِ غَيرُ مُختلسِ[3]

---

(١) ديوان أبي تمام ٢٣ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٥٩ .
(٣) المرجع السابق نفسه ١٥٠ .

ولاية دمشق :

كان الواثق وَلَّى مالك بن طوق إمارة دمشق والأُردنّ ، فمات الواثق وهو عليها فأقرَّه المتوكل مدَّةً ثم عزله[1] . فقال أبو جعفر محمد بن يزيد الأموي في مالك بن طول وقد عُزل عن عمله :

لِيُهنكَ أن أصبحتَ مجتمعَ الحمدِ ... وراعي المعالي والمُحامي عن المجدِ
وأَنـك صُنـتَ المـالَ فيمـا وَليتَـه ... وفـرَّقـتَ مـا بيـنَ الغـوايـةِ والـرُّشـدِ
فلا يحسب الأعداءُ عَزلَك مغنماً ... فـإن إلـى الإصـدار عـاقبـةُ الـوِرْدِ
وما كنتَ إلاَّ السَّيفَ جُرِّدَ في الوغى ... فـأُحمـدَ فيـهِ ثـم رُدَّ إلـى الغِمْـدِ[2]

وقال أبو تمام يمدحهُ حين عُزل من الجزيرة :

تِلـكَ الجـزيـرةُ مُـذ تحمَّـل مَـالـكٌ ... أضْحَـتْ وبـاب الغيـثِ عنهـا مُبَهـمُ
وَعَلَـتْ قُـراهـا غَبـرةٌ ولقـد تـرى ... فـي ظلّـهِ وكـأنَّمـا هـي أَنجـمُ
كـانـت زمـانـاً جنَّـةً وَكـأنَّمـا ... فُتِحَـتْ إليهـا منـذُ سَـارَ جَهنـمُ
ولقَـدْ أراهـا وهـي عـرسٌ حِقبـةً ... فاليوم أَضْحَتْ وهي ثكلى أيم[3]
وتُشـرِّفُ العُليـا وهـل بـكَ مَـذهـبٌ ... عنهـا وأنـتَ علـى المكـارمِ قَيِّـمُ[4]

لمَّا صُرف مالك بن طوق عن دمشق ، ففي وقت رحيله عنها خرج إلى المسجد ، وجلس في القبَّة التي وسط جامع دمشق ، ودعا بالذين لهم عليه الدُّيون وكان عليه لتجَّار أهل دمشق ثلاثون ألف دينار ديناً ، فقال لهم ولجميع النَّاس : إني دخلتُ دمشق ومعي أموالٌ كثيرة ، وهو ذا أخرجُ عنها وعليَّ ثلاثون ألف دينار ، دَينٌ لحقني في بلدكم ، لأني صرفتُ هذا المال كلَّه في

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥١ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٢٤/ ٥٠ .
(٣) الحقبة : المدة من الدهر ، والثكلى الفاقدة ولدها . والأيم : التي لا زوج لها .
(٤) القيم : المتولي على الأمر ـ ديوان أبي تمام ٢٤٣ .

النَّاس في بلدكم على الغني والفقير ثم قال للدَّائنين : مَنْ شاء منكم أن يقيم في موضعه وأُنفذَ إليه ماله فَعَلَ ، ومن شاء أن يخرج معي أكرمته ووفيته حقَّه ، وينصرف شاكراً إن شاء الله .

مالك بن طوق ودعبل الخزاعي :

حدَّث أبو عبد الله نوح بن عمرو بن حُوَيّ السّكسكيّ ، قال :

وجَّه إليَّ مالك بن طوق وهو أمير دمشق والأُردن : بلغني أن دِعبلاً عندك ، فَوَجِّه به إليَّ ، وقد كان دعبلاً مُكَنّاً في منزلي ، فركبت إليه فخبَّرتُه أن عيني ما وقعت عليه ، وذلك أنِّي خِفْتُه عليه . بلى يا أبا عبد الله ، ما أردناه لمكروه وإن أفرط وتمادى في هجونا ، الغلام مُصَيّرٌ إليك بكيسٍ فيه ألف دينار ، وبِرْذَون نَدبٍ بسرجه ولجامه ، فإن لا يكن عندك احتلت في إيصاله إليه حيث كان ، والله أن لو هجاني إلى أن يموت ما رفعت رأساً بهجوه ، وهو الذي يقول في بني خالد بن يزيد بن مزيد :

تراهمْ إذا ما جئت يوماً تجدهمو كـأنهـم أولاد طـوق بـن مـالـك[(١)]

وفاة ابن لمالك بن طوق :

توفي ابنٌ لمالك بن طوق وهو بدمشق ، فدفنه في وطأة الأعراب خارج باب الصغير[(٢)] ، فلمَّا رجع من المقابر أمر بنصب الموائد للنَّاس ، فقال له نوح بن عمرو بن حُوَيّ السّكسكيّ : أيها الأمير ، ليس هذا وقت أكل ، هذا وقت مصيبة ، فقال مالك بن طوق : المصيبة نجزع لها ما لم تقع ، فإذا وقعت لم يكن لها إلاَّ الصَّبرُ عليها ، فأكل وأكل الناس[(٣)] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥١ ـ وكانت نهاية الشاعر دعبل الخزاعي على يد مالك بن طوق التغلبي انظر تفاصيل ذلك في كتاب (قبيلة خزاعة ص١٥٩) لمؤلف هذا الكتاب .

(٢) الباب الصغير : من أبواب دمشق ، لا يزال معروفاً بهذا الاسم في حي الشاغور .

(٣) المرجع السابق نفسه ٢٤/ ٥١ ، ٥٢ .

مالك بن طوق وقريبه النصرانيُّ :

ودخل سهل بن بشر بن مالك بن الأَخطل التَّغلبي على مالك بن طوق ، وهو نصرانيٌّ وفي عنقه صليبٌ ، فقال له مالك بن طوق : مَن أَنت ؟ فانتسبَ له ، وعرَّفه أنه من ولد الأخطل الشاعر التَّغلبي ، وأنه ابن عمٍّ الأمير ، فقال له مالك بن طوق : صدقتَ ، أنت ابن عمي ، واللَّحم والدَّم واحد ، ولكن ما تقدَّم من الكُفر فأَلغُوه ، فلا تعتقدوه ، فقد جاء الحقُّ وزهَق الباطل ؛ وأَمر بأثوابٍ فأُحضرت ، فألبسه إيَّاها ، وأَمر بجائزةٍ فَدُفعت إليه ، ولم يفارقه حتى أسلم ، وضمن له أن يجمع ولد جدِّه فيأخذهم بالإسلام ، ففعل وأسلموا كلهم بين يدي مالك بن طوق .

قال : وكان السَّفر يقول لابنه : يا بُنيّ ، ما لبسنا الثِّياب السَّريَّة من الدَّراريع وغيرها ، وضحَّينا الضَّحايا إلاَّ من مال مالك بن طوق وكُنَّا نُدِلُّ عليه بالعشيرة[1] .

مالك وشهر رمضان :

وكان إذا جاء شهر رمضان نادى منادي مالك بن طوق بدمشق كل يومٍ على باب الخضراء[2] ، بعد صلاة المغرب ـ وكانت دار الإمارة في الخضراء في ذلك الزَّمان ـ :

الإفطارَ رحمكم الله ، الإفطارَ رحمكم الله . والأبواب مُفتحَّةٌ فكل من شاء دخل بلا إذنٍ وأكل ، لا يُمنع أحدٌ من ذلك ، وكان مالك من الأَسخياء المشهورين[3] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٢ . والدراريع : جمع دُرَّاعة ، وهي جُبةٌ مشقوقة المقدم (التاج) .

(٢) الخضراء : قصر معاوية ، قبلي الجامع الأموي .

(٣) المرجع السابق نفسه ٢٤/ ٥١ .

وقال السَّفْر بن إسماعيل :

وحضرنا مالك بن طوق في وقت علَّةٍ أصابته عندنا بدمشق فأنشد :

وَليسَ مِنَ الرَّزيَّةِ فَقْدُ مالٍ ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ
ولكنَّ الرَّزيَّةَ فَقْدُ شَخصٍ يموتُ لموتِهِ نَاسٌ كَثيرُ[1]

مات مالك بن طوق في شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وبالرحبة كانت وفاته[2] .

* * *

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٥٢ . والبيتان في ترجمة السفر بن اسماعيل من هذا المختصر ١٠/١٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٦٨ ـ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٤ .

محفوظ[*] بن الحسن التَّغلبي

هو محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن صَصْرَى أبو البركات التَّغلبي . من ذوي البيوتات .

روى ـ قراءة عليه في داره بباب توما ـ عن أبي القاسم نصر بن أحمد الهمذاني المؤدب ، بسنده إلى أنس بن مالك ، قال :

قال رسول الله ﷺ ـ وسُئل عن أهل النَّار ـ : « فيبكون حتى تنقطع الدُّموع ، ثم يبكون الدَّم ، حتى ترى وجوههم كهيئة الأخدود ، ولو أُرسلت فيها السُّفن لجرت » .

سألتُ أبا البركات عن مولده ، فقال : لا أُحقُّه ، غير أنه كان لي عند موت أبي سنتان ، ومات أبي بعد خروج ابن منزو[1] من دمشق بأيَّام ؛ فكأن مولده كان نحو سنة خمس وستين وأربعمائة .

وتوفي ليلة السَّبت ، ودُفن يوم السَّبت الثالث من ذي الحجَّة سنة خمس وأربعين وخمسمائة .

ودُفن في مقبرة باب توما .

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١١٥ .

(١) هو الأمير حصن الدولة معلَّى بن حيدرة بن منزو الكتامي ، والي دمشق زمن الفاطميين . (تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٦١) .

محمد(*) بن أبي الفضل التغلبي

هو محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين الإمام جمال الدين أبو عبد الله التَّغلبي الأرقمي الدَّوْلَعي الخطيب .

ولد بالدولعية من قرى الموصل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ظناً وقدم دمشق وتفقّه على عمه خطيب دمشق ضياء الدين ، وسمع ، وولي الخطابة بعد عمه وطالت مدته ، ومنعه المعظّم من الفتوى مدَّةً ، ولم يحج حرصاً على المَنصب ، وولي بعده أخوه وكان جاهلاً وكان جمال الدين شديداً على الرافضة(١) .

وولي تدريس الغَزَالية مدة ، وكان له ناموسٌ وسمتٌ حسنٌ ، يُفَخِّمُ كلامه(٢) . روى عن ابن صدقة الحرّاني وجماعة .

روى عنه : ابن الحلوانية ، والجمال ابن الصَّابوني ، وخادمه سليمان بن أبي الحسن ، وكان فصيحاً مهيباً(٣) .

وفي سنة (٦٣٥ هـ) توفي خطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبي الفضل ، في جُمادى الأولى ودفن بمدرسته بجيرون وله ثمانون سنة(٤) .

وفيه يقول الشاعر شرف الدين ابن عُنين :

طــوّلــتَ يــا دَوْلَعــي فَقَصِّــرْ فــأنــتَ فــي غيــرِ ذا مُقَصِّــرْ

(*) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٢ ، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٧ شذرات الذهب ٧/ ٣٠٥ .

(١) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٧ .

(٢) شذرات الذهب ٧/ ٣٠٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥ .

(٤) النجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٢ . وجيرون من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي .

خَطـــابــــةٌ كلُّهـــا خطـــوبٌ   وبعضهـــــا للـــــورى مُنفِّـــــرْ
تَظـــلّ تَهـــذي ولســـتَ تَـــدري   كـــأنّـــكَ المَغْـــربـــيُ المُفَسِّـــرْ

وقال ابن عنين أيضاً وقد أمر العادل بنزح الماء عن الخندق لينهي أساس بعض أبرجة القلعة فأعجز العمّال :

أرِحْ مــن نَــزَحِ مــاء البــرجِ قَــومــاً   فَقَــدْ أَفْضَــى إلــى تَعــبٍ وَعَــيِّ
مُــرِ القَــاضــي بِــوضــعِ يَــديــهِ فيــهِ   فَقَــدْ أضحــىَ كــرأَس الــدَّوْلَعــيِّ[1]

* * *

(١) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٧ .

محمد[*] بن أحمد التَّغلبي

هو محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبدوس بن جرير ـ ويقال : بن جرير بن عبدوس ، ويقال : ابن عبد القدوس ـ أبو عبد الملك الربعي التَّغلبي الصوري المعروف بابن عبدوس .

روى عن هشام بن عمار بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : أَخرجوا من النار مَنْ كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ شَعيرٍ من إيمانٍ ، ثم يقول : أَخْرِجوا مِنَ النار من كان في قلبه مثقالُ حبَّةِ خَرْدَلٍ من إيمان ، ثم يقول : وعزتي لا أجعل من آمن بي ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ كمن لمن يُؤمنْ بي » .

وروى عن هشام بن عمار بسنده عن عقبة بن عامر قال[1] :

جئت وأصحاب لي حتى حللنا برسول الله ﷺ ، فقال أصحابي : ترعى إبلَنا حتى ننطلق فنقتبسَ من رسول الله ﷺ . ففعلتُ ذلك أياماً ، ثم إني ذكرت في نفسي ، فقلتُ : لعلي مغبون ، يسمع أصحابي ما لم أسمع ، ويتعلمون ما لم أتعلم من نبي الله ﷺ ؟ فحضرتُ يوماً : فسمعت رجلاً يقول : قال النبي ﷺ « مَنْ توضأ وضوءاً كاملاً ، ثم قام إلى صلاته كان من خطيئته كيوم ولدته أمُّه » . فعجبت لذلك ، فقال عمر بن الخطاب : فكيف لو سمعتَ الكلامَ الأولَ كنت أشدَّ عجباً ؟ فقلت : اردد عليَّ جعلني الله فداكَ ؟ فقال : إنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : « من مات لا يشركُ بالله شيئاً فتح الله له أبواب الجنة يدخلُ من أيِّها شاء ، ولها ثمانية أبواب » . فخرج علينا نبيُّ الله ﷺ فجلستُ مستقبله ، فصرف وجهه عني حتى فعل ذلك ثلاث مراتٍ ، فلمَّا كانت الرابعة قلتُ : بأبي وأمي ، لِمَ تصرفُ وجهَكَ عنّي ؟ فأقبل إليَّ فقال : « أواحدٌ أحب إليك أو اثنا عشرَ ؟ » مرتين أو ثلاثاً ـ فَلَمّا رأيتُ ذلك رجَعْتُ إلى أصحابي .

(*) مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة « عقبة بن عامر » الحاشية .

مُحمد[*] بن أَسْعد التَّغْلبي

مُحمد بن أسعد التَّغلبي ، أبو سعيد المكّيّ ثم المِصِّيصيّ .

روى عن : زُهَير بن معاوية ، وأبي إسحاق الفَزَاريّ ، وعَبْثرِ بن القاسم ، وابن المبارك .

روى عنه : عبد الله الدَّارميّ ، ومحمد بن المُثَنَّى المصري ، وإسحاق الكَوْسج ، وأحمد بن حازم بن أبي غَرَزَة ، ومحمد بن أحمد بن الجُنَيْد الدّقّاق ، وآخرون . قال أبو زُرْعة[1] : منكر الحديث[2] .

* * *

(*) تاريخ الإسلام حوادث وفيات « ٢١١ ـ ٢٢٠ هـ » ص٣٦١ .

(١) الجرح والتعديل ٧/ ٢٠٨ .

(٢) وقال العقيلي : « منكر الحديث » . الضعفاء الكبير ٤/ ٣٠ .
تاريخ الإسلام حوادث وفيات ٢١١ ـ ٢٠٠ هـ صفحة ٣٦١ .

محمد(*) بن سالم التَّغلبي

هو محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى القاضي العدل الكبير عماد الدين أبو عبد الله بن أبي الغنائم بن الحافظ أبي المواهب الربعي التَّغلبي البَلديَّ الأصل الدمشقي الشافعي ، أبو قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى (١) .

وجاء عنه في النجوم الزاهرة : البَلديّ(٢) الأصل ، الدِّمشقي المولد والدار والوفاة ، العدل الكبير ، مولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وحدَّث ، وكان شيخاً جليلاً من بيت العلم والحديث ، وقد حدَّث هو وأبوه وجَدّه وجَدّ أبيه وجَدَّ جدّه وغير واحد من بيته ، ومات في ذي القعدة(٣) .

سمع من أبيه ومن التاج الكندي ، وهبة الله بن طاووس ، وابن أبي لُقمه وأبي المجد القزويني .

روى عنه ابنه قاضي القضاة نجم الدين ، وابن العطار ، والدمياطي ، وزين الدين الفارقي ، وابن الخباز وجماعةٌ .

صار صدراً رئيساً محتشماً وافر الحرمة كبير الثروة والنعمة ، وولي غير مرة في المناصب الدينية وحُمدت سيرته ، وكان محباً للحديث رحل إلى مصر وسمع من أصحاب السلفي وكتب بخطّه وحصل واعتنى بولده وأسمعه ، وروى الحديث من بيته جماعة ودُفن بتربتهم بسفح قاسيون سنة سبعين وستمائة(٤) .

وفي شذرات الذهب جاء : كان كامل السُّؤْدد متين الدِّيانة ، وافر الحُرْمَة ، توفي في العشرين من ذي القعدة عن تسعين سنة(٥) .

* * *

(*) شذرات الذهب ٧/ ٥٨٠ ، الوافي بالوفيات ٣/ ٨٤ ، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٧ .
(١) الوافي بالوفيات ٣/ ٨٤ .
(٢) نسبة إلى بلد الحطب بقرب الموصل (عن لب اللباب) .
(٣) النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٧ .
(٤) الوافي بالوفيات ٣/ ٨٤ .
(٥) شذرات الذهب ٧/ ٥٨٠ .

مُحمَّد[*] بن عبد الله التَّغلبي

هو مُحمَّد بن عبد الله التَّغلبي اللوشاني :

من أهْلِ إشبيلية[1] ، يُكْنَى أبا عبد الله .

روى عن أبي محمد الباجي ، وأبي عمر بن الخراز وغيرهما .

وكان منقطعاً في الفضل والعبادة .

حَدَّث عنه أبو محمد بن خَزرج وقال :

أَجَازَ لي سنة ثلاث عشرة وأربع مائة ، وسنه نحو السبعين .

* * *

(*) كتاب الصِّلة ٢/ ٤٧٧ .

(١) اشبيلية : مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون وهي مدينة قديمة أزلية . وكان سور اشبيلية من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم ، وكذلك جامعها من بنائه ، وهو من عجيب البنيان وجليلها ، وصومعته بديعة الصناعة غريبة العمل أركانها الأربعة عمود فوق عمود إلى أعلاها ، في كل ركن ثلاثة أعمدة . وفي سنة ست وأربعين وستمائة تغلب العدو على مدينة اشبيلية في شعبان . (الروض المعطار ٥٨) .

محمد[*] بن علي التَّغلبي

هو محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التَّغلبَي قاضي الجماعة بقرطبة[1] ، يكنى : أبا عبد الله .

رَوى عن أبيه ، وتَفقه عِنْده ، وعن أبي عبد الله محمد بن عتَّاب ، وحاتم بن محمد ، وأجاز له أبو عُمر بن عبد البر ، وأبو العباس العذري ما رَوَياه .

وكان : من أهل التفنن في العُلوم والافتنان بها وبمذاكرتها . وكان حافظاً ذكياً فَطِناً أديباً شاعراً لُغَوِياً أُصولياً . ولي القضاء بقُرْطبة في شعبان سنة تسعين وأربع مئة . وتَولاَّه بسياسة محمودة وسيرة نبيهة .

وكان من أهل الجزَالة والصَّرامة ، ومن بيت عِلمْ ونَباهة وفَضْل وجلالة ، ولم يزل يتولى القَضَاء بقُرْطبة إلى أن هلك على أجْمَل أحواله ، ظهر يوم الخميس وَدُفن بعد صلاة العصر يوم الجمعة لثلاث بقين من المحرّم سنة ثمان وخمسمائة وصلى عليه ابنه صاحب أحكام القَضَاء أبو القاسم أحمد بن محمد . وكان مولده سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . (٤٣٩ ـ ٥٠٨ هـ) أي عاش (٦٩ سنة) .

* * *

(*) كتاب الصِّلة ٢/ ٥٣٩ .

(١) قرطبة : وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أُمية ومعدن الفضلاء ، ومنبع النبلاء . (معجم البلدان ٤/ ٣٦٨) .

محمد[*] بن عمرو التَّغلبي

هو محمد بن عمرو بن يونس بن عمران[1] بن دينار أبو جعفر الكوفيّ التَّغلبيّ النَّميري[2] المعروف بالسُّوسيّ .

قدم دمشق .

حدَّث عن عبد الله بن نمير بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » .

وحدَّث عن وكيع ، بسنده إلى ابن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « يا معشر الشَّباب ، من استطاع منكم الباءَةَ فليتزوَّج ، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفَرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصَّوم فإنه له وِجاء » .

توفي بطريق مكة سنة تسع وخمسين ومائتين ، وكان يذهب إلى الرَّفض ، ومات ساجداً وقد استوفى مئة سنة .

حدَّث أبو علي محمد بن محمد بن الأشعث :

أنه كان معه وقال له : انظر أترى الهلال ؟

قال : فنظرت فرأيته وكان هلال المحرَّم ، فقلت له : قد رأيته فقال لي : استوفيت مئة سنة ، ثم نزل فقال : وَضِّئني لصلاة المغرب ، فوضَّأتُه لها ودخل فيها ، فسجد سجدةً فطال عليَّ أمره فيها فوجدته ميتاً .

* * *

(*) مختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ١٥٠ ، ١٥١ .

(١) ورد في الحاشية : لسان الميزان ٥/ ٣٢٨ ، المغني في الضعفاء ٢/ ٦٢٢ .

(٢) ورد في الحاشية : هذه اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

محمد(*) بن نصر التَّغلبي

هو محمد بن نصر بن جامع بن المظفر بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن حمدان بن حمدون أبو الغز التَّغلبي من أولاد الملوك .

روى عن أبي علي محمد بن الحسين بن الشِّبل الشاعر شيئاً من شعره وروى عن غيره أيضاً .

وروى عنه أبو الحسين المبارك بن الطيوري وأبو طاهر السلفي في معجم شيوخه وقال : سمع الحديث ببغداد والبصرة ، وولد سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

* * *

(*) الوافي بالوفيات ٥/ ١٢٧ .

مَرْوان[*] بنُ رُؤبة التَّغلبيُّ

مَروان بنُ رُؤبة التَّغْلبي ، أبو الحُصَيْن ، ويقال : أبو الحِصْن الشَّاميُّ الحِمصيُّ ، أخو عُمر بن رُؤبة .

روى عن : عبد الرَّحمن بن أبي عَوْف الجُرَشيِّ ، وأبي صالح الأَشعريِّ ، ويقال : الأَنصاريِّ ، وأبي فالج الأَنماريِّ .

روى عنه : صَفوان بن عَمرو ، ومحمد بن الوليد الزُّبَيْديُّ .

ذكره ابن حِبَّان في كتاب « الثِّقات »[1] وقال : روى عنه واثِله بن الأَسْقَع[2] .

روى له أبو داود حديثاً واحداً قد كتبناه في ترجمة عبد الرحمن بن أبي عوف[3] .

* * *

(*) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٧/٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(١) ٥/ ٤٢٥ .

(٢) وقال الذهبي في « الكاشف » : ثقة . (٣/ الترجمة ٥٤٥٧) . وقال ابن حجر في « التقريب » مقبول .

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٧/٣٨٩ ، ٣٩٠ .

مَعبد[*] بن عُصْم التَّغْلبي

هو مَعبد بن عُصْم بن النُّعمان التَّغلبي ، وأباه أبا حَنْش عُصْم[1] بن النُّعمان جَاور شُرحبيل بن الحارث بن عَمرو الملك المقصور بن آكل المرار الكندي ، فجعل له شُرحبيل الردافة[2] .

وأخذ أبو حنش على شُرحبيل أن لا يدخل ابنه معبد في ردافته ولا ندامه .

فقال : ولم تسألني هذا والناس يرغبون في ذلك ؟

قال : لأنه رجل لم يقرر على ضيم قط ، فجعل ذلك له ، فمكث زماناً .

ثم إن شُرحبيل خرج يتصيد ، فصاد حماراً ، فرفع له راعٍ ، فقال : إيتونا بزناد هذا الراعي ، فخرج رجل إليه فاستعاره زناده فأعار ، فقدحوا واشتووا وشربوا .

فقال شُرحبيل : من هذا الراعي ؟

فقيل له : معبد بن أبي حنش .

فقال : ادعوه حتى نروزه ، فإن أباه زعم أنه لم يقرر على ضيم قط .

فدعوه فجاء فتغدى ، ثم أشار شُرحبيل إلى بعض جلسائه ليتحرش به .

فقال رجل منهم : أبيت اللعن ! لقد كان بيني وبين رجل من بني تغلب كلام فلطمت عينه .

(*) الاشتقاق ٣٣٨ ، والمحبر ٢٠٤ ، ٣٧٠ .

(١) عُصْم بن النُّعمان ويكنى أبا حنش وهو قاتل شُرحبيل بن الحارث بن عمرو الملك يوم الكُلاب . « الاشتقاق ٣٣٨ » .

(٢) الرِّدافةُ : الاسم من أَرْدافِ المُلوك في الجاهلية . والرِّدافةُ أن يَجْلِس الملك ويجلس الرِّدف عن يمينه ، فإذ شَرب الملك شَرب الرِّدفُ قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الرِّدف في موضعه وكان خليفته على الناس حتى ينصرف . . . (لسان العرب ـ ردف) .

قال معبد : أفأعطيته بحقه ؟

قال : لا .

قال : أفغفر لك ؟

قال : لا .

فلطم معبد عينه وقال : هذه بتلك والبادىء أظلم ! فذهبت مثلاً .

فقال شُرحبيل : لقد تكلم عندي رجل من بني تغلب بكلام .

فقال له معبد : ساعد الملك إلهه ! ليذكر بني تغلب بخير أو ليسكت .

فقال له شُرحبيل : وأنت تسكتني ؟ ثم تكلم ، قال : فتكلم عندي بكلام كرهته فرفعت قوسي فضربت بها رأسه فشججته .

فقال معبد : ساعد الملك إلهه !

أفأعطيته بحقه ؟

قال : لا .

قال : أفغفر لك ؟

قال : لا .

فرفع معبد قوسه فضرب بها رأس شُرحبيل ، فخر مغشياً عليه ، ووثب أحياء شُرحبيل على معبد فقتلوه .

فأفاق شُرحبيل فسأل عن معبد ، فقالوا : قتلناه .

فقبح لهم ذلك فقال والله ما وفينا لأبيه وما قتلني الرجل ، فهَلاّ انتظرتموني به ، فبعث إلى أَبي حنش فأخبره الخبر وقال هذه ديته ، فأبى أبو حنش أن يَقبلها فأضعفها له ، فأبى ، فقال شُرحبيل : فإنه قتله ملك فأديه لك دية ملك ، فقال أبو حنش : لا آكل له ثمناً أبداً .

فقال له شُرحبيل : والله ما أتقيك ولا أتقي قومك ولكني أتقي لسانك .

فقال أبو حنش :

أَمّا الهجاء الَّذي تَخاف فَلا	تَسمعه سَيئا ولا حَسَنَا
أكْرِمُ نَفسي وأَتَقيك فإنْ	أعلك يَوماً في نجدةٍ ثَخَنا
أجزِكَ ما قَدمتْ يداكَ ولا	بقيا لِمنْ كان يطلب الدمنَا
والجار كالضيف لا محالة أن	يظعن يوما وإن ثَوى زَمَنَا

فوضع عليه شُرحبيل العيون وقال : « إن رأيتموه يدبغ الأسقية فهو يريد قومه » .

وعرف ذلك أبو حنش فظمأ إبله ثلاثة أظماء ظمأ بعد ظمء ، ثم أصدرها عند الظمء الآخر وقد تبدى الناس عن المياه ، فمر بأهله فاحتملهم ، وقطع مشافر ما أراد منها من جلتها ، وفوز نحو قومه وهم الظمء الذي تسميه العرب « ظمء أبي حنش » فلما كان يوم الكُلاب قتل أبو حنش شُرحبيل[1] .

* * *

---

(١) المحبر ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

مُهَلْهِل(*) بن رَبيعة التَّغلبي

قال ابن الأثير : وأما مُهَلْهِل ، واسمه عَديّ ، وقيل : امرؤ القيس ، وهو خال امرىء القيس بن حُجر الكندي ، وإنّما لُقب مُهَلْهِلاً لأنّه أوّل من هَلهل الشعر وقصّد القصائد ، وأوّل مَنْ كذب في شعره(١) .

قال ابن حزم : ومن بني الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب(٢) مُهَلْهِل .

وقال ابن قتيبة : هو عديُّ بن ربيعة أخو كُليب وائل الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتَغْلب وسُمّي مُهَلْهِلاً لأنَّه هَلْهَلَ الشعر أي أرقَّه ، وكان فيه خُنْثٌ ويقال أنّه أوّل من قصَّد القصائد ، وهو خال امرىء القيس وجدُّ عمرو بن كلثوم أبو أُمه ليلى وفيه يقول الفرزدق :

ومُهَلْهِل الشُّعراءِ ذاكَ الأَوَّل(٣)

وقال صاحب الأغاني : مُهَلْهِل واسمه عَديّ ، وقال يعقوب بن السكيت : اسمه امرؤ القيس وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، وإنما لُقّب مُهَلْهِلاً لطيب شِعره

(*) الكامل في التاريخ ١/٥٢٩، الشعر والشعراء ١٨٢، جمهرة أشعار العرب ١/٥٧٧، خزانة الأدب ١/٤٦٩، ٢/١٦٢، النقائض ٩٠٥، معجم الشعراء ٧٩، ٨٠، أغاني ٥/٣٢ ـ ٥١، العقد الفريد ٥/٢١٦ ـ ٢٢٠، الاشتقاق ٣٣٨، ٣٥٦ . والمعارف ٦٠٥ . جمهرة أنساب العرب ٣٠٥، وجمهرة النسب ١/٨٧ .

(١) الكامل في التاريخ ١/٥٢٩ . وجاء في حماسة أبي تمام ١/٣٨٤ مهلهل : شاعر جاهلي مجيد محسن . . . وتزعم العرب أنه كان يدعي في قوله أكثر من فعله وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم مُهَلْهِل .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٠٥ ، وجمهرة النسب ١/٨٧ .

(٣) الشعر والشعراء ١٨٢ .

ورِقَّته ، وكان أحد من غُنّي من العرب شعره وقيل : إنه أوّل من قَصَّد القصائد وقال الغزل ، فقيل : هَلهل الشعر ، أَرَقه . وكان فيه خُنثٌ ولين ، وكان كثير المحادثة للنساء ، فكان كُليب يسميه « زِير النساء » فذلك قوله :

ولـو نُبِـش المقـابـرُ عـن كُليـبٍ فَيَعْلَـمَ بـالـذنـائـب أيُّ زِيـرِ[1]

وقال ابن دريد : واشتقاق مُهَلْهِل من قولهم : ثوبٌ هَلهالٌ ، إذا كان رقيقاً ، وذكر الأصمعيُّ أَنَّه إنما سُمِّي مُهَلْهِلاً لأنه كان يُهلهِل الشِّعر ، أي يرقِّقه ولا يُحكمه[2] .

وقال ابن سلّام : وكان أوّلَ من قَصَّد القصائد وذكر الوقائع ، المُهَلْهِل بن ربيعة التَّغلبيَّ في قتل أخيه كُليب وائل ، قتلته بنو شيبان ، وكان اسم المُهَلْهِل عَديّاً ، وإنما سُمي مُهَلْهِلاً لِهَلهلةِ شعره كَهَلْهَلةِ الثوب ، وهو اضطرابُه واختلافه ، ومن ذلك قول النابغة :

أتـاكَ بقـولٍ هَلْهَـلِ النَّسْـجِ كـاذِبٍ ولم يَأت بالحقِّ الَّذي هو صَانعُ[3]

وقال ابن قتيبة : ومن بني جُشم : بنو الحارث بن زُهير رهط كُليب بن ربيعة الذي يقال فيه : أعزّ من كُليب وائل ، وأخوه : المُهلهل ، وهو الذي هَيّج الحرب بين بكر وتغلب ، أربعين سنة[4] .

وقال القرشي : هو عَدي بن ربيعة بن الحارث بن جُشم بن بكر بن حَبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغلب بن وائل[5] .

---

(١) أغاني ٥/٤٨ ، ٤٩ . وجاء في أمالي القالي ٢/ ١٣١ : هو زير نساء ، وتِبْعُ نساء ، وطِلْبُ نساء ، وخِلْم نساء ، وخِلْب نساء ، إذا كان يَتحدَّث إليهنّ ويطلبُهُن ويَتْبعهن ، ويهواهن ويُخالبهن .

(٢) الاشتقاق ٣٣٨ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ١/ ٣٩ .

(٤) المعارف ٩٦ .

(٥) جمهرة أشعار العرب ١/ ٥٧٧ .

بعد عرض نسبه والاختلاف في ذكر اسمه ، أهو مُهَلْهِل ، أم عدي ، أو امرىء القيس .

هل من الصعوبة بمكان تحديد اسمه ربما ، ولكن من التَساؤل يمكن القول : هل التبس على الرواة اسم امرىء القيس بين الخال وابن أُخته في نقل الأشعار بين الاثنين ، لأن مُهَلْهِل هو خال امرىء القيس بن حُجر ؟

هل اسم مُهَلْهِل لقب ؟ فالعرب كانت تسمي مثل هذا الاسم .

فإذا نظرنا إلى المعجم العربي عن معنى اسم مُهَلْهِل وأخذنا المعنى الذي يتلائم مع شخصية الرجل الذي دوخ بكر في حروب طويلة دامت أربعة عقود ، ربما كان لقباً أضيف إلى اسمه . وجاء في لسان العرب :

المُهَلْهَلة من الدُّروع : هي الحَسنة النسج ، أو الواسعة الحلق .

وهنا لماذا لا نقول بأنه كان يدافع عن قومه ، وهو بالنسبة لهم كالدرع الواقية يذود عنهم وعن حياضهم . ولذلك لقب بالمُهَلْهِل .

وجاء في اللسان أيضاً : والهَلْهَل : السَّمُّ القاتل ، والهَلهَلُ : سَمٌّ من السُّموم بعينه قاتل .

ولماذا لا نقول : بأنه كان كالسمِّ الزعاف القاتل لأعدائه في ساحات القتال وهذا أقرب إلى شخصه من القول بأن رَقق الشِعر .

وربما اسم (مُهَلْهِل) لقب أُطلق عليه بعد قتل جساس لكليب وائل الذي كان يُلقب شقيقه عدي بزير النساء وكل ذلك من باب الاحتمال . لأنه فارس كان كالسم ، وكالدرع فلقب بمهلهل .

أما عدي : ربما كان أقرب إلى الحقيقة التي نبحث عنها في تحديد اسمه ، ويقول الحارث بن عُباد يوم أسر مُهَلْهِلاً :

لهفَ نَفسي على عَديٍّ ولمْ أعر ف عديّاً إذْ أَمْكنتني اليدانِ[1]

(١) الكامل في التاريخ ١/٥٣٦ .

وقال هو عن نفسه :

ضَـربـتْ نَحْـرهَـا إلـيّ وقَـالـتْ : يـا عَـديّ لقـدْ وَقَتـكَ الأوَاقـي[1]

وجاء عنه : معاقرته للخمرة ومعاشرته للنساء ، وهذه كانت من صفات الرجولة في الجاهلية وأن النساء يقبلن على الرجل الكريم والشجاع ، فهو محط اعجابهن ، وهو يزهو ويتباهى بنفسه ، لذلك أَطلق عليه كُليب وائل لقب (الزِّيرُ) وهو الرجل يُحبُّ محادثة النساء ويُحبُّ مُجالستهنَّ .

وجاء عنه : بأنه خُنْثَى : أي ليس هو بالرجل أو الأنثى ويميل بطبعه إلى سلوك المرأة ، وفي اللسان جاء : الخُنثى : لا يَخْلُصُ لذكر ولا أُنثى وله ما للرجال والنساء جميعاً . والمُخنَّث من ذلك للينة وتكسُّره ، والذي يفعل فعل الخناثى .

ومثل هذا الكلام لا يَصدق على المُهلهل التَّغلبي ، صاحب الأيام والحروب والغزوات المشهورة والمشهودة ، إن أفعاله أفعال رجال فرسان ، ومن التجني عليه نعته بمثل هذه النعوت الدُّونية ، فهو أحد أبطال العرب في تاريخهم الجاهلي ، حيث جعلوا منه اسطورة له قصص الأبطال يحكونها في مجالسهم وسهراتهم ، وهذا مجرد هراء بأنه خنثى ، وهو أبو ليلى وجد عمرو بن كلثوم .

وهل الخنثى يبارز الفرسان الأبطال في ساحات القتال ، وهل الخنثى يقود حرباً طاحنة أربعين سنة ؟!

وقاد المُهَلْهِل حرب البسوس وكانت عدة أيام ، يوم عُنيزة وتكافأوا فيه ، ويوم واردات وكان لِتَّغلب على بكر ، ويوم الحِنو وكان لبكر على تغلب ، ويوم القُصَيْبات وكان لتغلب على بكر وقتلوهم قتلاً ذريعاً ، ويوم قِضَّة وهو

---

(١) الكامل في التاريخ ١/٥٣٩ .

آخر آيامهم وكان لبكر وفيه أُسر مُهلهل بن ربيعة[١] .

مُهَلْهِل الشاعر :

يظهر أن شاعرية المُهَلْهِل قبل مَقتل أخيه كُليب وائل ، كانت في كمون ، وحياته تسير سيراً طبيعياً بين معاقرة الخمرة ومغازلة النساء ، فحياته مترفة وأموره ميسورة ، وحالة أهله المادية موفورة ، فلا حرمان في حياته ، ولا محرض عنده يفجر طاقاته الابداعية من داخله حتى جاءته صدمة كادت تقتلعه من جذوره كأنها الصاعقة ، قَتل جساس لأخيه كليب ، وكانت الخمرة تطغى على عقله ، فاليوم عنده خمر وغد أمر ، وأُعلم بما جرى وهمّام بن مُرة شقيق جساس يتعاطى معه الشراب ، وجاء شعره في رثاء شقيقه كُليب وفي معاركه التي خاضها مع بكر في أيام مشهوره ، وفي غزواته وله ديوان شعر .

وقال ابن الأثير : فإنَّه لمّا صحا لم يَرُعْه إلاّ النساء يصرخن : ألا إن كُليباً قُتل ، فقال ، وهو أوّل شعر قيل في هذه الحادثة[٢] وهي قصيدة طويلة نذكر منها :

كُنّا نَغَارُ على العَواتِكِ أن تُرى ... بالأَمْسِ خَارجةً عن الأَوْطَانِ[٣]
فَخَرَجْنَ حينَ ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّراً ... مُسْتيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بهَوَانِ[٤]
يَخْمِشنَ مِنْ أَدمِ الوُجُوهِ حَوَاسِراً ... مِنْ بَعْدِهِ ويَعِدْنَ بالأَزْمَانِ[٥]
يَا لَهْفَ نَفْسي مِنْ زَمَانٍ فَاجِعٍ ... أَلْقَى عَليَّ بِكَلْكَلٍ وَجِرَانِ[٦]

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٨٣ . وسأفرد بحثاً خاصاً بحرب البسوس وأيامها في هذا الكتاب . وذكر ابن قتيبة في المعارف ٦٠٦ يوم تحلاق اللِّحم .
(٢) الكامل في التاريخ ١/٥٢٩ .
(٣) العَاتقُ : الجاريةُ أوّل ما أدْرَكتْ .
(٤) ثَوى : مات . وثُوي قُبر . والحُسَّر : المرأة المكشوفة الرأس والذراعين .
(٥) خَمش وجهه يَخمشه : خَدشه ولطمه . وأدم الوجوه : بشرة الوجوه .
(٦) الكلكل : الصدر . الجران : باطن العنق .

فَـابْكيـنَ سَيِّـدَ قَـوْمـهِ وانْـدُبْنَـهُ   شُـدَّتْ عَليـهِ قَبـاطـي الأَكْفَـانِ[6]
فَـلأَتْـرُكَـنَّ بـه قَبَـائِـلَ تَغْلِـبٍ   قَتْلَـى بكُـلِّ قَـرَارَةٍ ومَكَـانِ[7]

ثم انطلق إلى المكان الذي قُتل فيه كُليب فرأى دمه ، وأتى قبره فوقف عليه ثم قال :

إنَّ تَحْـتَ التُـرابِ حَـزْمَـاً وعَـزْمـاً   وَخَصيمـاً ألَـدَّ ذا مِعْـلاَقِ[1]
حَيَّـةً فـي الـوِجَـارِ أربـد لا ينـ   ـفَـعُ مِنْـهُ السَّليـمَ نَفـثُ الـراقـي[2]

لما قُتل كُليب وشاع خبره في الحي ، كان المُهَلْهِل يعاقر الخمرة مع همّام بن مُرّة ، فأعلمه بالخبر ، فأكب المُهلهل على الشراب وهو يقول :

دَعيني فَمَا في اليوم مَصْحىً لِشَارِبٍ   وَلاَ في غَدٍ ما أَقْرَبَ اليَوْمَ من غَدِ[3]
دَعيني فـإنّـي فـي سَمَـادِيـر سَكْـرَةٍ   بِهَا جَلَّ هَمِّي واسْتَبَانَ تَجَلُّدي[4]
فَـإنْ يَطْلُـعِ الصُّبْـحُ المُنِيـرُ فـإنَّني   سَـأغْـدُو الهُـوَيْنَا غَيْـرَ وَانٍ مُفَـرَّدِ[5]
وَأَصْبَـحُ بَكْـراً غَـارَةً صَيْلَمِيَّـةً   يَنَـالُ لَظَـاهَـا كُـلَّ شَيْـخٍ وَأَمْـرَدِ[6]

---

(٦) القباطي : وهي ثياب من كتَّان بيض رقاق .
(٧) القرارة : المكان المنخفض والروضة المنخفضة .
(١) الألد : الشديد الخصومة . والمعلاق : اللسان البليغ .
(٢) الوجار : الحجر . والأربد : المختلط لونه الأسود بكدرة . (القاموس المحيط) .
الكامل في التاريخ ١/ ٥٣٠ .
(٣) دعيني : اتركيني .
(٤) السمادير : وهي ما يتراءى للناظر كأنه الذباب الطائر . جلَّ : عَظُم .
(٥) الهوينى : الاتئاد في المشي . الواني : الضعيف البدن . وفرّد : اعتزل ، وفرَّ الشيء : جعله أفراداً .
(٦) الصيلم : الداهية تستأصل ما تصيب . واللظى : لهب النار الخالص لا دخان فيه . ولظى اسم من أسماء جهنم . والأمر : من طر شاربه وبلغ خروج لحيته ولم تبدُ (ديوان الشاعر ٢٩) .

استعداد المُهَلْهِل بعد صحوته :

قال ابن الأثير : ثمّ جزّ شعره وقَصرَ ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرّم القمار والشراب وجمع إليه قومه وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان ، فأتوا مُرّة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له : إنكم أتيتم عظيماً بقتلكم كُليباً بناقة وقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وإنّا نعرض عليك خِلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع :

١ ـ إمّا أن تحيي لنا كُليباً .

٢ ـ أو تدفع إلينا قاتله جسّاساً فنقتله به .

٣ ـ أو همّاماً فإنّه كفؤٌ له .

٤ ـ أو تمكننا من نفسك ، فإن فيك وفاء لِدَمِهِ .

جواب مُرَّة بن ذهل بن شيبان لوفد مُهَلْهِل على طلباتهم أو شروطهم :

فقال لهم :

١ ـ أمّا إحيائي كُليباً فلستُ قادراً عليه .

٢ ـ وأمّا دفعي جساساً إليكم فإنّه غُلام طعن طعنة على عَجَل وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد .

٣ ـ وأمّا همَّام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة كُلهم فرسان قومهم فلن يُسلّموه بجريرة غيره .

٤ ـ وأمّا أنا فما هو إلاّ أن تجول الخيل جولة فأكون أوّل قتيل أتعجل الموت . ولكن لكم عندي خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم .

وأمّا الأخرى فإني أدفع إليكم ألف ناقة سود الحَدَق حمر الوَبر .

فغضب القوم وقالوا : قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ؟ ونشبت الحرب بينهم[١] .

---

(١) الكامل في التاريخ ١/٥٣١ .

تعليق : لقد كانت مطالب وَفد كُليب من بني شيبان ، مطالب عادلة وواضحة ولو نَفذت شيبان مطلباً من المطالب الأربعة الواردة لما وقعت الحرب أو تفادوا وقوعها والبلاء الذي حلّ بهم جميعاً من جرائها خلال عقود أربعة .

فكان رد مُرّة بن ذهل بن شيبان ، أنه لا يستطيع أن يحيى كُليبا بعد أن مات وهذه معجزة وهذا المطلب لا جدال فيه . ولكنه تهرب من أن يدفع إليهم بجساس القاتل ، وهو مطلب عدل وحق . واعتذر عن تسليم همَّام لأنه أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة كلهم فرسان قومه فلن يُسلموه بجريرة غيره ، وهو اعتذار مقبول ولكنه الثأر عندهم ؟

واعتذر أيضاً من أن يُسلم نفسه لأنها مذلة أمام القبائل العربية ولكنه يبارز في ساحة القتال وما هي إلاّ أن تجول الخيل جولة فيكون أول قتيل فما يتعجل الموت ؟

وعرض مُرّة عليهم حلاً رفضوه : أن يأخذوا أحد أولاده فيقتلونه بكليب وهذه تضحية منه . ولكنهم يريدون من يوازن ويكافىء كليب وائل بكل صفاته؟

والحل الثاني وكان متبعاً وهو الدّية بأن يدفع لهم ألف ناقة سود الحَدَق حمر الوبر ؟ وربما خشيت تغلب العار بأنهم قبلوا اللبن بدل الدم ، فكان العرض مرفوضاً[(١)] .

وقال في قصيدة طويلة يرثي كُليباً أذكر بعضاً منها :

كـأنـي إذْ نَعَـى النّـاعـي كُليبـاً تَطَـايـرَ بَيْـنَ جَنْبَـيَّ الشّـرَارُ[(٢)]
سَـأَلْـتُ الحـيَّ أَيْـنَ دَفَنْتُمـوهُ فقـالـوا لـي بسفْـح الحـيِّ دَارُ[(٣)]
فَسِـرْتُ إليـه مِـنْ بلـدي حَثيثـاً وطَـارَ النَّـوْمُ وامتنـع القَـرَارُ[(٤)]

---

(١) تعليق المؤلف .
(٢) الناعي : الذي يأتي بخبر الميت . الشرار : الضوء الحادث .
(٣) سألت الحي : يقصد أهل الحي . سفح الشيء : أسفله .
(٤) الحثيث : السريع الجاد في أمره . القرار : من قرّ بمعنى سرَّ ورضي ومنه يقال : =

دَعَـوْتُـكَ يـا كليـبُ فَلـمْ تُجبنـي ... وكيـفَ يُجيبُنـي البَلـدُ القِفَـارُ[1]
أَجِبْنـي يـا كُليـبُ خَـلاكَ ذَمٌّ ... لَقَـدْ فُجِعَـتْ بفـارسهـا نـزار[2]
أَبَـتْ عَيْنَـاي بَعْـدَكَ أَنْ تَكُفَّـا ... كـأَنَّ غَضَـا القَتَـادِ لهَـا شِفَـارُ[3]
خُـذِ العَهْـدَ الأَكيـدَ عَلـيَّ عُمـري ... بتـركـي كُـلَّ مـا حَـوَتِ الـدِّيَـارُ[4]
وَهَجْـري الغَـانيـاتِ وشُـرب كَـأْسٍ ... وَلُبْسـي جُبَّـةً لا تُسْتَعَـارُ[5]
وَلَسْـتُ بِخَـالـع دِرْعـي وَسَيفـي ... إلـى أن يَخْلَـعُ اللَّيْـلَ النَّهَـارُ[6]
وإلاَّ أَنْ تبيـدَ سَـرَاةُ بَكْـرٍ ... فَـلا يَبْقَـى لهـا أَبـداً أَثَـارُ[7]
أَقُـولُ لِتَغْلـبِ والعِـزُّ فيهـا ... أَثيـروهـا لِـذَلِكُـمُ انْتِصَـارُ[8]

وقال المُهَلهل يرثي كُليباً ويتهدد بني شيبان :

لمَّـا نَعـى النَّـاعـي كُلَيْبـاً أَظْلَمَـتْ ... شَمْـسُ النَّهَـارِ فَمـا تُـرِيـدُ طُلُـوعَـا
قتلـوا كُليبـاً ثـمَّ قـالـوا أَرْتِعُـوا ... كَذَبُوا لَقَدْ مَنعُوا الجيَادَ رُتُوعَا[9]
كَـلاَّ وأَنْصَـابِ لَنَـا عَـادِيَّـةٍ ... مَعْبُـودَةٍ قَـدْ قُطِّعَـتْ تَقْطيعَـا[10]
حتَّـى أُبِيـدَ قَبيلَـةً وَقَبيلَـةً ... وَقبيلَـةً وَقَبيلَتَيْـنِ جَميعَـا

= فلان قرير العين .
(١) القفار : الخلاء من الأرض ليس فيه ماء ولا ناس ولا كلأ .
(٢) فجع : آلمه إيلاماً شديداً . نزار : هو نزار بن معد وإليه ينتسب بطن من العدنانية وهو بنو نزار بن معد بن عدنان ومنهم ربيعة ومضر .
(٣) كفَّ : انصرف وامتنع . الغضا : شجر صلب الخشب يبقى جمره زمناً طويلاً . القتاد : شجر صلب طويل الشوك . الشفار : أصول منبت شعر الأجفان .
(٤) العهد : العلم ، والوصية ، والميثاق ، واليمين التي تستوثق بها .
(٥) الغانية : المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة .
(٦) خلع : نزع ، وتبرأ ، وخلع امرأته : طلقها بفدية .
(٧) سراة كل شيء : أعلاه . وسراة بكر : أشرافها .
(٨) أثيروها : أي أثيروا الحرب (الديوان ـ ٣٤) .
(٩) رتعت الماشية : رعت كما تشاء .
(١٠) الأنصاب : ما نُصب وعبد من ودون الله . عادية : نسبة إلى عاد أي عتيقة ضخمة .

وَتَـذُوقَ حَتْفاً آلُ بَكْـرٍ كُلُّهـا ... وَنَهُـدَّ مِنْهَـا سَمْكَهَـا المَـرْفُـوعَـا[1]

حتَّـى نَـرى أَوْصَـالَهُـمْ وَجَمـاجمـاً ... مِنْهُـمْ عليهـا الخَـامِعَـاتُ وُقُـوعَـا[2]

وَنَـرى سِبَـاعَ الطَّيـرْ تَنْقُـرُ أعْيُنـاً ... وتَجُـرُّ أَأَعْضَـاءً لَهُـمْ وَضُلُـوعَـا[3]

والمَشْـرَفيَّـةَ لا تُعَـرِّجُ عَنْهُـمُ ... ضَـرْبـاً يَقُـدُّ مَغَـافِـراً وَدُرُوعَـا[4]

وَالخَيْـلَ تَقتحـمُ الغُبَـارَ عَـوابسـاً ... يَـوْمَ الكـريهـةِ مـا يُـرِدْنَ رُجُـوعَـا[5]

وفاة مُهَلْهِل :

هناك روايات عدة حول وفاته ، منها :

إن مُهَلْهِلاً فارق قومه ولم يزل مقيماً في أخواله بني يشكر ضجراً من الحرب . . . إلى أن مات .

وقيل وُجد ميّتاً بين رجلَيْ جمل هاج عليه .

وقيل بل مات أسيراً .

وقيل لقيه عوف بن مالك ، أبو أسماء صاحبة المرقِّش الأكبر ، فأسره فمات في أسره .

وقال السكري في أشعار تغلب : أَسر مُهَلْهِلاً عوفُ بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، وإن شُبّاناً من شبّان بني قيس بن ثعلبة أتوا عوف بن مالك ، أحد بني قيس فقالوا : أرسل معنا مُهَلْهِلاً ، فأرسله معهم ، فشرب فلما رجع

---

(١) الحتف : الهلاك . السمك : السقف .

(٢) الأوصال جمع الوصل ، وهو المفصل ، أو كل عظم على حدة . الخامعات : الضباع .

(٣) السبع من الطير كل ما له مخلب .

(٤) المشرفي : سيف يجلب من المشارف وهي بلدة باليمن مشهورة بصنع السيوف الجيدة . تعرج : تميل . المغافر جمع المِغفر ، والمغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . وقدَّ : شقه طولا .

(٥) الغبار: غبار الحرب . الكريهة : الحرب أو الشدة في الحرب . (الديوان ـ ٤٩).

جعل ينغنّى بهجاء بكر بن وائل ، فسمعه عوف بن مالك فغاظه فقال : لا جرم إن للهِ عليّ نذراً إنْ شرب عندي قطرة ماء ولا خمر حتى يُورَدَ الخُضَير[1] (بمعجمتين مصغّرا ، وهو بعير لعوف لا يرد الماء إلاّ سِبْعاً)[2] فقال له أُناسٌ من قومه : بئسَ ما حَلَفت ! فبعثوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، ومات مُهَلْهِل عطشاً .

وقيل بل قُتل ، وكان السبب في قتله : أنه أسنَّ وخَرِف ، وكان له عبدان يخدُمانه فملاَّه وخرج بهما إلى سفر ، فبينما هو في بعض الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قَتَب رَحْلهِ ، وقيل أوصاهُما :

مـــن مبلـــغُ الحيِّيـــن أنّ مُهَلْهِـــلا ... للهِ درُّكمــــــــا ودَرُّ أبيكمـــــــا

ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا : مات وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده قيل هي ابنته إن مُهَلْهِلاً لا يقول مثل هذا الشعر وإنما أراد :

مـــن مبلـــغ الحيَّييـــن أنّ مُهَلْهِـــلا ... أمســـى قَتيـــلاً فـــي الفَـــلاةِ مجـــدَّلا
لله دَرُّكمـــــــا ودَرُّ أَبيكمـــــــا ... لا يبـــرحُ العَبـــدانِ حتـــى يُقتَـــلا

فضربوا العبدين حتَّى أقرا بقتله[3] .

تعليق :

إن تعدد الروايات حول وفاته هو آتٍ من تعدد الرواة الذين تناقلوا الخبر على مر عصور عدة ، والرواية ربما تخضع لخيال الراوي في الزيادة أو النقصان أو لمزاجه في حبه للشخصية التي يروي لها ، فإذا كرهه ربما أساء إليه ، وإذا أحبه ربما زين صورته وأخباره .

---

(١) ورد في الحاشية (حتى يؤوب الخضير) ، وفي نوادر المخطوطات ج٢/٢٠٨ حتى يَرد دنيب ، ودنيب جمل لعوف .

(٢) السبع بالكسر : ظمء من أظماء الإبل ، وهو أن يرد الماء في اليوم السابع لشربها الأول .

(٣) الخزانة ٢/ ١٧٣ ، ١٧٤ .

وأية رواية أو ترجمة إذا اكتملت كل أطرافها من الولادة إلى الوفاة وما بينهما مع ذكر الزمن والحوادث ، يكون ذلك حسناً .

وإن العودة إلى المراجع الأصلية ربما تصحح الأخطاء أو أخطاء كثيرة وقع فيها بعض المهتمين الذين أخذوا عن مصادر حديثة غير محققة ، وبذلك يتكرر الخطأ من كاتب لآخر ؟

إن شخصية المُهَلْهِل الشاعر الفارس ، أصبحت اسطورة من الأساطير مثل عنترة العبسي ، لقد دخلت مجال القصص في المجتمع العربي وأصبحت مدار سهرهم في أنديتهم ومجالسهم ، ومضافاتهم ، وربما طلع الفجر عليهم وهم يستمتعون بسماع سيرته وأخباره التي أضيفت إليها زيادات كثيرة[١] .

ولقد جاء في ديوان الشاعر حول وفاته إلى أنها كانت (٥٠٠ م) أو (٥٢٥ م) أو (٥٣٠ ـ ٥٣١ م) . وكل هذه التواريخ تشير إلى أن وفاته وقعت في الثلث الأول من القرن السادس الميلادي[٢] .

* * *

(١) المؤلف .
(٢) ديوان الشاعر ١٩ .

نَاشرة[*] وهَمَّام بن مُرَّة

هناك روايتان لقصة ناشرة الذي غدر بهمَّامٍ وقتله ، فالأولى وردت في نوادر المخطوطات ، والثانية في الأغاني ولكل منهما رواية مختلفة ولكنهما اتفقتا على النتيجة بأن ناشرة هو الذي قتل همّاماً .

الرواية الأولى :

هَمَّام بن مرّة بن ذُهل بن شَيبان ، قتله ناشرة بن أغواث .

وكانت أم ناشرة هذا هندُ بنت معاوية بن الحارث بن بكر بن حُبيب ، وكانت جارةً لهمّام ، فأرادات أن تلد ، فاجتمع إليها النساء ، فسمعهنّ همام يقْبَلها[1] يقلن : قد جاء ، قد جاء ! يعنين الولد .

فقالت أمُّه : ادقُقْن عنقه .

فقال لها همّام : ويْحَكِ لا تفعلي . قالت : وما يُعيشه ؟

قال همّام : أمَة تُعيشه ، ولِقْحة ، وجَمَلٌ ذَلول .

قالت : بلى ، فأعطاها إيّاها .

فلما كان يوم واردات ـ وهو من أيام حَرب البَسوس ـ خرج همَّامٌ يسقي الناس الماء واللبن ، فأبصره ناشرة فَخَتَلهُ فطعنه فقتله ، وهرب فلحق بقومه فقالت أمُّ ناشرة :

لقد عَيَّلَ الأيتامَ طعنة ناشِرَهْ   أناشِرُ لازالت يمينُك آشِره[2]

(*) الأغاني ٥/ ٣٨ ، نوادر المخطوطات ٥ ، ٨/ ١٣٠ .

(١) قبلت الولد تقبله : أخذته عند الولادة ، وهي القابلة .

(٢) أي مأشورة ، أشر الخشبة : نشرها « نوادر المخطوطات ٥ ، ٨/ ١٣٠ » .

الرواية الثانية :

همّام بن مرة ومقتله :

وزعم مقاتل أنّ همّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان ، لم يزل قائد بكر حتى قتل يوم القُصَيبات ، وهو قبل يوم قِضَة ، ويوم قِضَة على أثره .

وكان من حديث مقتل همَّام أنه وجد غلاماً مَطروحاً ، فالتقطه وربَّا وسمَّاه ناشرة فكان عنده لقيطاً ، فلما شَبَّ تبين أنه من بني تغلب ؛ فلمَّا التقوا يوم القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل ، فإذا عَطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحه ؛ فوجد ناشرة من همَّام غفلةً ، فشد عليه بالعنزَة[1] فأقصده فقتله ، ولحق بقومه تغلب . فقال باكي همَّام :

لقد عَيَّلَ الأقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ   أناشِرُ لا زالتْ يمنك آشِرَه[2]

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر[3] .

* * *

(١) العنزة : شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها .

(٢) وعيلتهم الطعنة : أفقرتهم وأحوجتهم ، إذ كان المطعون معتمدهم وسندهم .

(٣) الأغاني ٥/٣٨ ، ٣٩ .

ناصر الدولة ابن حمدان(*)

هو أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المُثَنَّى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبي(١) .

تنقَّلت به الأحوال تاراتٍ إلى أن ملك الموصل ، بعد أن كان بها نائباً عن أبيه(٢) ، ولقَّبه الخليفة المتَّقي لله « ناصر الدولة » وذلك سنة ثلاثين وثلاثمائة ولقِّب أخاه « سيف الدولة » في ذلك اليوم ، وعَظُم شأنهما ، وكان ناصر الدولة أكبر من سيف الدولة ، وأقدم منزلة عند الخلفاء ، وكان كثير التأدب معه ، وجرت بينهما وَحْشة ، فكتب إليه سيف الدولة .

لستُ أجفُو وإن جُفيتُ ولا أتـ ـــرُكُ حَقّاً عليَّ في كلِّ حالِ
إنمَّا أنت والدٌ والأبُ الجا في يُجاب بالصَّبْرِ والإحتمال

وكتب إليه مرَّة أخرى :

رضيتُ لك العَلْيَا وإن كنتَ أهلَها وقلتُ لهم بيني وبين أخي فَرْقُ
ولم يَكُ بي عنها نُكُولٌ وإنَّما تجافيتَ بي عنها فتمَّ لك الحَقُّ(٣)

(*) تاريخ أمراء دمشق ٦٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ وشذرات الذهب ٥/ ١٣٧ ، وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ ، ١١٧ ، ٣/ ٤٠١ ٥/ ١١٨ ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٨٦ بغية الطلب ٥/ ٢٤٣٣ ، ٢٤٣٧ . والكامل في التاريخ ٨/ ٥٧٩ ، ٥٩٣ ، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧ والوافي بالوفيات ١٢/ ٨٩ .

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١١٤ . وورد نسبه مختصراً في باقي المراجع المذكورة .

(٢) كان الخليفة المكتفي بالله قد ولَّى أباهما عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها في سنة « ٢٩٢ هـ » ودخلها في أول سنة (٢٩٣ هـ) « الوافي بالوفيات ١٢/ ٨٩ . ووفيات الأعيان ٢/ ١١٤ » .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ١١٥ . والوافي بالوفيات ١٢/ ٨٩ ، ٩٠ .

وأورد له أيضاً قوله :

قَـــدْ جَـــرى فـــي دَمْعـــهِ دمـــه فـــإلـــى كَـــمْ أنـــتَ تَظلمُـــه ؟
رُدَّ عنـــهُ الطـــرفَ مِنْـــكَ فَقـــدْ جَـــرَّحَتـــهُ منـــكَ أسهمُـــه[1]
كيـــفَ يَستطيـــع التجلّـــدَ مَـــنْ خَطـــراتُ الـــوهـــم تـــؤلمُـــه ؟[2]

ناصر الدولة بالموصل :

في السنة الرابعة عشرة وثلاثمائة ، أفسد الأكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خُراسان وكان عبد الله بن حمدان يتولى الجميع وهو ببغداد ، وابنه ناصر الدولة بالموصل ، فكتب إليه أبوه يأمره بجمع الرجال ، والانحدار إلى تكريت ، ففعل ، وسار إليها فوصل إليها في رمضان ، واجتمع بأبيه ، وأحضر العرب ، وطالبهم بما أحدثوا في عمله بعد أن قتل منهم ، ونكّل ببعضهم ، فردّوا على الناس شيئاً كثيراً ، ورحل بهم إلى شَهرورز ، فوطىء الأكراد الجلاليّة ، فقاتلهم ، وانضاف إليهم غيرهم ، فاشتدت شوكتهم ، ثم إنهم انقادوا إليه ، لمّا رأوا قوته وكفّوا عن الفساد والشر[3] .

عزل ناصر الدولة عن الموصل :

في السنة الثامنة عشر وثلاثمائة في ربيع الأوّل عُزل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان عن الموصل ، ووليها عمّاه سعيد ونصر ابنا حمدان ، وولي ناصر الدولة ، ديار ربيعة ، ونَصيبين ، وسنجار ، والخابور ، ورأس عين ، ومعها من ديار بكر ميافارقين ، وأرزن ، ضمن ذلك بمال مبلغه معلوم ، فسار إليها ، ووصل سعيد إلى الموصل في ربيع الآخر[4] .

---

(١) الطرف : العين والنظر .
(٢) خطرات الوهم : تخيّله وتصوّره . (يتيمة الدهر ١/ ٥٥) .
(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ١٦٣ .
(٤) المرجع السابق نفسه ٨/ ٢١٧ .

قتل ناصر الدولة عمه :

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قَتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء بن حمدان ، وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار ربيعة سرّاً ، وكان بها ناصر الدولة ابن أخيه أميراً ، فسار عن بغداد في خمسين رجلاً ، وأظهر أنّه متوجه ليطلب مال الخليفة من ابن أخيه ، فلما وصل إلى الموصل خرج ابن أخيه إلى تلقيه ، وقصد مخالفة طريقه ، فوصل أبو العلاء ، ودخل دار ابن أخيه وسأل عنه فقيل : إنّه خرج إلى لقائك ، فقعد ينتظره ، فلما علم ناصر الدولة بمقامه في الدار أنفذ جماعة من غلمانه ، فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غيرهم فقتلوه[١] .

بين ابن مُقلة[٢] وناصر الدولة :

لما قَتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصل خبره بالراضي عظم ذلك عليه وأنكره ، وأمر ابن مُقلة بالمسير إلى الموصل ، فسار إليها في العساكر في شعبان من سنة (٣٢٣ هـ) ، فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة بن حمدان ، ودخل الزَّوزان ، وتبعه الوزير إلى جبل التِّنين ، ثم عاد عنه وأقام بالموصل يجبي مالها .

ولما طال مقامه بالموصل احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير ، وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداد ، فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه ، فكتب إليه إنّ الأمور بالحضرة قد اختلت ، وإن تأخرّ لم يأمن حدوث ما يبطل به أمرهم ، فانزعج الوزير لذلك ، واستعمل على

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٣٠٩ .

(٢) هو الوزير الكبير ، أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة ، ولد بعد سنة سبعين ومائتين . استوزره المقتدر بالله سنة « ٣١٦ هـ » وتوفي سنة « ٣٣٨ هـ » وله سبعون سنة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٢٤ .

الموصل علي بن خلف بن طباب ، وماكرد الديلميّ ، وهو من الساجية ، وانحدر إلى بغداد في منتصف شوّال .

فلما فارق الموصل عاد إليها ناصر الدولة بن حمدان فاقتتل هو وماكرد الديلميّ، فانهزم ابن حمدان، ثم عاد وجمع عسكراً آخر، فالتقوا على نصيبين في ذي الحجة ، فانهزم ماكرد إلى الرَّقة وانحدر منها إلى بغداد ، وانحدر أيضاً ابن طباب ، واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح ، وأن يضمن البلاد فأجيب إلى ذلك واستقرت البلاد عليه[١] .

ناصر الدولة يُلقب بأمير الأمراء :

في سنة ثلاثين وثلاثمائة للهجرة ساهم ناصر الدولة وشقيقه سيف الدولة في كبح جماح البريدين[٢] في عدة مواقع وهم من الذين تمردوا على الخليفة المتقي بالله وعاثوا فساداً في بغداد ، كما قَتل ناصر الدولة ابن رائق[٣] وأخبر المتقي إنه علم أن ابن رائق أراد أن يغتاله ففعل به ما فعل ، فرد على المتقي رداً جميلاً وأمره بالمسير إليه ، فسار ابن حمدان إلى المتقي بالله ، فخلع عليه ، ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الأمراء وذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه أبي الحسين علي ولقبه سيف الدولة[٤] .

وكانت إمارة ناصر الدولة ببغداد ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام[٥] .

وفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة جرت حرب بين تكين الشيرزاي وبين ناصر الدولة الذي تمكن جماعته من أسر تكين الشيرازي وسجنه . بعد أن أصبح أعمى لسمله[٦] . كانت الإضطرابات شديدة في بغداد والتنافس على

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٣٠٩ ، ٣١٠ .
(٢) وزر أبو عبد الله البُريدي للمتقي سنة ثلاثين وثلاثمائة (الكامل في التاريخ ٨/ ٣٧٩) .
(٣) أبو بكر محمد بن رائق أمير الأمراء ـ في ولاية المتقي (الكامل في التاريخ ٨/ ٣٧٥) .
(٤) المرجع السابق نفسه ٨/ ٣٨٢ ، ٣٨٤ .
(٥) المرجع السابق نفسه ٨/ ٣٩٧ .
(٦) المرجع السابق نفسه ٨/ ٤٦٧ .

السلطة أشد وكانت الخلافة ألعوبة بأيد غير أمينة تسيطر عليها الشعوبية تتبع أهواءها ، الأمراء يتقاتلون على الإقطاعات وجباية الأموال ، والخلفاء تسمل أعينهم ويقتلون ويتولى صبية من أبنائهم الحكم وهم دون سن البلوغ فالصورة قاتمة في العصر العباسي الثاني ، حيث الأمن مفقود ، وإذا فقد الأمن اضطربت حياة الناس وتبلبلت النفوس وارتفعت الأسعار ، وينطبق على الأوضاع حينذاك معنى المثل « السالم مولود ، والمقبوض عليه مفقود ، والخارج من بيته لن يعود » ؟! والخليفة يرزح بالقيود .

محاولة اغتيال ناصر الدولة :

حكى هلال بن المحسن عن معز الدولة ابن بويه ، وكان منازلاً لناصر الدولة أبي محمد بن حمدان ، فجاءه غلام فقال : إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون لي عليك ؟

قال : اقتراحك ؛ ووعده وعداً ملأ به صدره ، فمضى واختلط بعسكر ناصر الدولة وتوصل إلى أن عرف موضع منامه ليلاً من خيمته ، ثم جاء وقد اشتمل على دشنه فدخل الخيمة من تحت الطنب وقد تفرق الناس ونام الحراس فوجد ناصر الدولة نائماً على سريره وفي جانب الخيمة شمعة وعلى بعد منه جماعة ، فتأمل موضع رأسه من رجليه ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح إذا جرحه فينذر به ويؤخذ ، وجاءه يريد الموضع الذي فيه رأسه ، فاتفق أن ناصر الدولة تقلب من جنب إلى جنب فزال عن المكان وجاء الغلام يريد موضعه فغرز الدشنة غرزاً استقصى فيه وظن أنه قد بلغ المراد ، فأحسّ ناصر الدولة بعدوه فانتبه فرأى الشمعة وقد اطفأت وأطناب الخيمة مرفوعة ، فصاح بالغلمان فبادروا وجاءوا بضوء وشاهدوا الصورة فجزع ، وأمر بالزيادة في الاحتراس ولم يعلم كيف جرى الأمر ، وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه قتل ناصر الدولة فلم يعطه ما وعده به لكنه أطلق له شيئاً وقال لابي جعفر الصيمري : من يُقدم على الملوك مثل إقدام هذا لا يجوز استبقاؤه فضلاً أن يوثق بمكانه ، وما الذي

يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل ما بذل لنا ؟ فأرضي منه كيف شئت ، فأخذه الصيمري فغرقه[١] .

إن الاغتيالات السياسية قديمة جداً عند العرب وغيرهم من الأمم ، وهي تصفية حسابات كريهة كان الحقد الأعمى مبعثها ، والأطماع الخبيثة هدفها . إن صراع الأفكار في مناخ الحرية له نتائج أفضل على المدى البعيد لأن البقاء للأصلح ؟ وإن الاغتيالات تورث الحقد والعداء والثأر . . .

نهاية ناصر الدولة بن حمدان :

في سنة ست وخمسين وثلاثمائة قبض أبو تغلب[٢] بن ناصر الدولة على أبيه ، وحبسه في القلعة ليلة السبت لست بقين من جمادى الأولى .

وكان سبب قبضه أنه كان قد كبر وساءت أخلاقه ، وضيق على أولاده وأصحابه ، وخالفهم في أغراضهم للمصلحة ، فضجروا منه[٣] .

وهناك رواية ثانية وردت في وفيات الأعيان بشأن ناصر الدولة تقول :

كان ناصر الدولة شديد المحبة لأخيه سيف الدولة ، فلما توفي سيف الدولة ، تغيرت أحوال ناصر الدولة وساءت أخلاقه وضعف عقله ، إلى أن لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته ، فقبض عليه ولده أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة المعروف بالغضنفر بمدينة الموصل باتفاق من إخوته ، وسَيَّره إلى قلعة أردمَشْتَ[٤] في حصن السلامة ، ولم يزل محبوساً بها إلى أن توفي يوم الجمعة وقت العصر ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ونقل إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل ، وقيل إنه توفي

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١١٥ .

(٢) أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة المعروف بالغضنفر (وفيات الأعيان ٢/ ١١٦) .

(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٧٩ .

(٤) ذكر ابن الأثير أن هذه القلعة تسمى الآن قلعة كواشي .

سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وكانت إمارته هناك اثنتين وثلاثين سنة[1] .

يظهر أن لكرسي الحكم لذة عدا ما يجلبه من الجاه والوجاهة والمنفعة حتى يقدم الابن على سجن أبيه أو قتله أو يقتل الأب ابنه ، وكذلك يقتل الأخ أخاه ، أو الزوجة تقتل زوجها أو ابنها أو شقيقها للإمساك بدفة السلطة ، وهذا ما حدث كثيراً عند العرب على مدى عصور مختلفة وكذلك عند الأمم الأخرى لأن الناس كافة يتشابهون في طبائعهم وتفكيرهم ، وعندما يصل الإنسان إلى هذا الحد من الإجرام ينسى إنسانيته ليفكر فقط في أطماعه ومستقبله ، ويتجاهلون دوماً إرادة الشعب الذي ينشد دوماً الحرية والعدل ؟

ورواية أخرى حول اختلاف أولاد ناصر الدولة وموت أبيهم .

كان سبب اختلاف أولاد ناصر الدولة أنّه كان قد أقطع ولده حمدان[2] مدينة الرحبة وماردين وغيرهما ، وكان أبو تغلب وأبو البركات واختهما جميلة أولاد ناصر الدولة من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية ، وكانت مالكة أمر ناصر الدولة ، فاتفقت مع ابنها أبي تغلب ، وقبضوا على ناصر الدولة ، فابتدأ ناصر الدولة يدبر في القبض عليهم ، فكاتب ابنه حمدان يستدعيه ليتقوى به عليهم ، فظفر أولاده بالكتاب ، فلم ينفذه ، وخافوا أباهم وحذروه ، فحملهم خوفه على نقله إلى قلعة كَوَاشَي[3] .

واتصل ذلك بحمدان ، فعظم عليه ، وصار عدواً مبايناً ، وكان أشجعهم ، وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة إلى الرقة فملكها وسار إلى نصيبين وجمع من أطاعه ، وطالب إخوته بالإفراج عن والده

---

(١) وفيات الأعيان ٢/١١٦ ، ١١٧ . وأخباره كثيرة مع سيف الدولة ، وكذلك مع أولاده .

(٢) حمدان بن الحسن (ناصر الدولة) بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان .

(٣) كَوَاشَى قلعة حصينة في الجبال التي شرقي الموصل ليس إليها طريق إلاّ لراجل واحد ، وكانت قديماً تسمى أَرْدَمُشْت وكَواشَى اسم لها محدث .

وإعادته إلى منزله ، فسار أبو تغلب[1] إليه ليحاربه ، فانهزم حمدان قبل اللقاء إلى الرَّقة ، فنازله أبو تغلب وحصره ثم اصطلحا على دفن وعاد كل واحد منهما إلى موضعه .

وقبض أبو تغلب أملاك أخيه حمدان ، وسير أخاه أبا البركات[2] إلى حمدان فلما قرب من الرحبة استأمن إليه كثير من أصحاب حمدان ، فانهزم حينئذٍ ، وقصد العراق مستأمناً إلى بختيار ، فوصل بغداد في شهر رمضان سنة (٣٥٨ هـ) ، فأكرمه بختيار وعظّمه ، وحمل إليه هدايا كثيرة جليلة المقدار ، ومعها كل ما يحتاج إليه مثله ، وأرسل إلى أبي تغلب ، النقيب أبا أحمد الموسويَّ والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه ، فاصطلحا ، وعاد حمدان إلى الرحبة ، وكان مسيره من بغداد في جمادى الأولى سنة (٣٥٩ هـ) . فلما سمع أبو البركات بمسير أخيه حمدان على هذه الصورة فارق الرحبة ، ودخلها حمدان ، وراسله أخوه أبو تغلب في الاجتماع به ، فامتنع من ذلك ، فعاد أبو تغلب وسير إليه أخاه أبا البركات ، فلما علم حمدان بذلك فارقها فاستولى أبو البركات عليها ، واستناب بها من يحفظها في طائفة من الجيش ، وعاد إلى الرقة ثم منها إلى عَربان[3] .

فلما سمع حمدان بعوده عنها ، وكان ببرية تدمر ، عاد إليها في شعبان ، فوافاها ليلاً ، فأصعد جماعة من غلمانه السود ، وفتحوا له باب البلد فدخله ، ولا يعلم من به من الجند بذلك ، فلما صار في البلد وأصبح أمر بضرب البوق ، فبادر من بالرحبة من الجند منقطعين يظنّون أن صوت البوق من خارج البلد ، وكل من وصل إلى حمدان أسره ، وحتى أخذهم جميعهم ، فقتل بعضاً

---

(١) أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان .
(٢) أبو البركات لطف الله بن ناصر الدولة بن حمدان .
(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٩٤ . وعَرَبان : بليدة بالخابور من أرض الجزيرة (معجم البلدان ٤/ ٨) .

واستبقى بعضاً ، فلما سمع أبو البركات بذلك عاد إلى قَرْقيسيا[1] ، واجتمع هو وأخوه حمدان منفردين ، فلم يستقر بينهما قاعدة ، فقال أبو البركات لحمدان : أنا أعود إلى عَربان ، وأرسل إلى أبي تغلب لعله يجيب إلى ما تلتمسه منه .

فسار عائداً إلى عربان ، وعبر حمدان الفرات من مخاضة بها ، وسار في أثر أخيه أبي البركات ، فأدركه بعربان وهو آمن ، فلقيهم أبو البركات بغير جُنّة ولا سلاح ، فقاتلهم ، واشتد القتال بينهم ، وحمل أبو البركات بنفسه في وسطهم ، فضربه أخوه حمدان فألقاه وأخذه أسيراً ، فمات من يومه ، وهو ثالث رمضان ، فَحمُل في تابوت إلى الموصل ، ودُفن بتلّ تَوْبة عند أبيه .

وتجهّز أبو تغلب ليسير إلى حمدان ، وقدم أخاه أبا الفوراس محمداً[2] إلى نَصيبين ، فلما وصلها كاتب أخاه حمدان ومالأ على أبي تغلب ، فبلغ الخبر أبا تغلب ، فأرسل إليه يستدعيه ليزيد في إقطاعه ، فلما حضر عنده قبض عليه وسيره إلى قلعة كَوَاشى ، من بلد الموصل ، وأخذ أمواله ، وكانت قيمتها خمسمائة ألف دينار .

فلما قبض عليه سار إبراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة إلى أخيهما حمدان خوفاً من أبي تغلب ، فاجتمعا معه ، وساروا إلى سنجار ، فسار أبو تغلب إليهم من الموصل في شهر رمضان سنة (٣٦٠ هـ) ، ولم يكن لهم طاقة بلقائه ، فراسله أخوه إبراهيم والحسين يطلبان العود إليه خديعة منهما ليؤمنهما ويفتكا به فأجابها إلى ذلك ، فهربا إليه ، وتبعهما كثير من أصحاب حمدان ،

---

(١) قَرْقِسياء : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور في الفرات فهي في مثلث بين الخابور والفرات ، ولما فتح عياض بن غنم الجزيرة في سنة تسع عشرة وجّه حبيب بن مسلمة الفهري إلى قَرْقسيا ففتحها على مثل صلح أهل الرقة . (معجم البلدان ٤/ ٣٧٣) .

(٢) أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة . (الكامل في التاريخ ٨/ ٥٩٥) .

فعاد حمدان حينئذٍ من سنجار إلى عَربان ، واستأمن إلى أبي تغلب ، صاحب حمدان ، وأطلعه على حيلة أخويه عليه وهما إبراهيم والحسين ، فأراد القبض عليهما فحذرا وهربا[1] .

ثم إنْ نما غلام حمدان ونائبه بالرحبة أخذ جميع ماله وهرب إلى أصحاب أبي تغلب بحرّان ، وكانوا مع صاحبه سلامة البرقعيدي ، فاضطر حمدان إلى العود إلى الرحبة ، وسار أبو تغلب إلى قَرْقيسيا ، وأرسل سريّة عبروا الفرات وكبسوا حمدان بالرحبة ، وهو لا يشعر ، فنجا هاربا واستولى أبو تغلب عليها وعمّر سورها ، وعاد إلى الموصل ، ودخلها في ذي الحجّة سنة (٣٦٠ هـ) وسار حمدان إلى بغداد فدخلها آخر ذي الحجّة سنة (٣٦٠ هـ) ملتجئاً إلى بختيار ومعه أخوه إبراهيم ، وكان أخوهما الحسين قد عاد إلى أخيه أبي تغلب مستأمناً ، وحمل بختيار إلى حمدان وأخيه إبراهيم هدايا جليلة كثيرة المقدار وأكرمهما واحترمهما[2] .

* * *

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٩٤ ، ٥٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٥٩٦ .

هذا وإن أبناء ناصر الدولة بن حمدان كما وردت أسماؤهم في المراجع مثل نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة والكامل في التاريخ ثمانية وربما كانوا أكثر من ذلك من لم يذكرهم التاريخ أو كانت آثارهم أقل أهمية من إخوتهم الذين اشتهروا منهم : أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان . أبو البركات لطف الله بن ناصر الدولة بن حمدان . حمدان بن ناصر الدولة . أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة . إبراهم بن ناصر الدولة . الحسين بن ناصر الدولة . أبو القاسم هبة الله بن ناصر الدولة .
أبو المرجى بن ناصر الدولة بن حمدان . وإن أخبار هؤلاء متداخلة فهم على خلافات أحياناً وعلى اتفاق في بعضها ووقعت بينهم حروب وعداوات ، وكانت النهاية القضاء على إمارة بني حمدان في كل من الموصل وحلب .

ناصر الدولة الحُسين(*) بن الحسن التَّغلبي

هو الأمير الكبير ، ناصرُ الدولة حُسين(١) بن الأمير ناصر الدولة وسيفها حسن بن الحسين بن صاحب الموصل ناصر الدولة ، أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان التَّغلبيُّ .

كان أبوه قد عَمِلَ نيابة دمشق لصاحب مصر المُستنصر ، ونشأ ناصر الدولة ، فكان شهماً شجاعاً ، مِقداماً مَهيباً ، وافر الحشمة(٢) .

توثّب على الدِّيار المصرية ، وجرت أمورٌ وحُروبٌ ، وكان عازماً على إقامة الدولة العباسية بمصر ، وتهيّأت له الأسباب ، وقهر المستنصر العُبَيْدي .

وكان ناصر الدِّين قد لَقَّب نفسَه سلطان الجيوش ، واتفق مع الدَّكز التركي ، وزَوّجه الدَّكزِ ابنَتَه ، وتحالفا وأَمِنَ كلُّ واحد منهما إلى الآخر ، فركب ابن حمدان يوماً إلى بعض أعمال مصر ، مرتِّباً للعساكر والمراكب في طمأنينة ، فركب الدَّكزُ في خمسين فارساً ، وله غلامٌ يدعى حسام الدَّولة كُمُشْتِكين ، فقال له : أريد أن أطلِعَك على أَمْر ، قال : وما هو ؟ قال قد علمت ما فعل ابن حمدان بالمسلمين من سَفك الدِّماء والغلاء والجلاء ، وقد عزمت على قتله ، فهل فيكَ موافقةٌ على راحة المسلمين منه ؟ فقال : نعم .

وقَصدَ ابنَ حَمدان ، وهو يتمشَّى في صحن داره ، فمشى الدَّكز معه ،

(*) النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠ ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٠ ـ ٨١ ، الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٥٧ ، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٥ .

(١) ورد في النجوم الزاهرة : الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي ناصر الدولة ذو المجدين . وفي الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٠ الحسن بن حمدان أبو علي وفي ١٠/ ٨٨ الحسين ، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٥٧ الحسين بن الحسن بن الحسين ، الأمير ناصر الدِّين حفيد الأمير ناصر الدولة ابن حمدان .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٥ .

وتأخر عنه، وضربه (بتافروت)[1] كان معه في خاصرته ، وضربه كُمُشْتكين ، فقطع رجليه ، فصاح : فعلتُمُوها ! وحَزُّوا رأسه . وكان محمود بن ذبيان أمير بني سنبس في خزانة الشَّراب ، فدخلوا إليه ، فقتلوه ، ثم دخلوا داراً فيها فَخْرُ العرب ابن حمدان وعنده شَاوَر ، فقتلوهما ، وخرجوا إلى خيمة تاج المعالي ابن حمدان ، أخو الأمير ناصر الدَّولة ، فهَرب واستتر في خَرابة فَدُلّ عليه فَقُتل .

وقَتلَ الدَّكز التركي ناصر الدولة سنة خمس وستين وأربعمائة[2] .

ولايته في دمشق ، وقتاله في حلب :

وجاء في ذيل تاريخ دمشق لابن القَلاَنسي عن دور ناصر الدولة في دمشق ، فيذكره مرة الحسن ، ومرة الحسين ؟ ولاية القائد ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان لدمشق في سنة (٤٣٣ هـ) بعد أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري ، وصل الأمير المظفَّر ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان إلى دمشق والياً عليها في جمادى الآخرة في يوم الأربعاء السادس عشر منه وقرىء سجله بالولاية بألقابه والدعاء له فيه[3] .

وفي سنة خمسين وأربعمائة وصل الأمير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين أبو محمد الحسين بن الحسن بن حمدان إلى دمشق والياً عليها دفعةً ثانيةً بعد أَولى في يوم الاثنين النصف من رجب منها وأقام يسوس أحوالها ويستخرج أموالها إلى أن ورد عليه الأمر من الحضرة بمصر بالمسير في العسكر إلى حلب ، فتوَّجه إليها في العسكر في السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة (٤٥٢ هـ) واتَّفقت الوقعة المشهورة المعروفة بوقعة الفُنَيدق بظاهر حلب في

---

(١) ورد في النجوم الزاهرة (يافروت) سكين مغربي .
(٢) الوافي بالوفيات ٣٥٨/١٢ .
(٣) تاريخ ابن القلانسي ٨٣ .

يوم الاثنين مستهلّ شعبان من السنة بين ناصر الدولة المذكور وعسكره وبين جميع العرب الكلابيين ومن انضم إليهم فَكَسَرت العرب عسكر ناصر الدولة واستولوا عليهم ونكلوا فيهم وافلت ناصر الدولة منهزماً مجروحاً مفلولاً وعاد إلى مصر[١] .

وفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وصل الأمير ناصر الدولة بن حمدان في العساكر المصرية بعد هزيمته وفك عنها الحصار الذي ضربه عليها محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس ومعه منيع بن سيف الدولة . وهربا منه ونهبت حلب وحصل بها وقتل عمه معزّ الدولة واستقام أمره فيها[٢] .

وفي الأمير ناصر الدين يقول ابن حَيُّوس قصيدة أَوّلُها :

مَحـضُ الإِبَـاء وسُـؤْدَدُ الآبـاءِ ... جعـلاكَ منفـرداً عـن الأكفـاءِ
ولقـد جَمعـتَ حميَّـةً وتقيَّـةً ... تُثنـي إليـك عِنـانَ كـل ثَنـاءِ
الـدَّهـر في أيـام عِـزِّكَ لا انقضَـتْ ... مُتَعِّـوضٌ عـن ظُلْمَـةٍ بيضـاءِ
حُطْـتَ الـرَّعَـايَـا بـالـرِّعـايـةِ رأفـةً ... فـاضَـتْ علـى القُـربـاءِ والبُعَـداءِ[٣]

وقال الذهبي عنه : تمكن بمصر وتقدم على أمرائها ، وجرت له حروبٌ وخطوب . وكان عازماً على إقامة الدولة لبني العباس ، فإنه تهيأت له الأسباب ، وقهر المُستنصر ، وتركه على بَرد الديار ، وأخذ منه أموالاً لا تحصى ، ثم في الآخر انتُدِبَ لاغتياله وللفتك به الدكز التركي في جماعة ، فقتلوه في سنة خمس وستين وأربع مئة ، وكان قد ولي إمرة دمشق ، وقُتل معه أخوه فخر العرب ، وطائفةٌ من الحمدانية بمصر ، واضطرب الجيش وماجوا . وكان قد أرسل السلطان ألب آرسلان لينجده بعسكرٍ فأجابه[٤] .

---

(١) تاريخ ابن القلانسي ٨٦ ، ٨٧ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٩٠ .
(٣) الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٥٨ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

وقال ابن تغري بردي : في سنة (٤٦١ هـ) خرج ناصر الدولة ابن حمدان من عند الوزير أبي عبد الله الماسكي وزير المستنصر بمصر ، فوثب عليه رجل صَيرفي وضربه بسكين ، فأُمسك بالصيرفي وشُنِق في الحال ، وحُمل ناصر الدولة بن حمدان إلى داره جريحاً فعولج فبرىء بعد مدّة ، وقيل إن المُستنصر ووالدته كانا دسا الصيرفي عليه .

واضمحل أمر المستنصر بالديار المصرية لتشاغله باللّهو والشرب والطَّرب ، فلما عوفي ابن حمدان اتفق مع مقدمي المشارقة ، مثل سنان الدولة وسلطان الجيوش وغيرهما ، فركبوا وحصروا القاهرة ، فاستنجد المستنصر وأُمه بأهل مصر ، وأذكرهم حقوقه عليهم ، ووعدهم بالإحسان ، فقاموا ونهبوا دور أصحاب ابن حمدان ، وقاتلوهم فخاف ابن حمدان وأصحابه ، ودخلوا تحت طاعة المستنصر ، بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين[١] .

وجاء في النجوم الزاهرة :

قوي أمر ناصر الدولة هذا ودخل إلى مصر واستولى عليها ، ولقَّب نفسه بسلطان الجيوش ، وأمِنَ إلْدكز وناصر الدولة هذا كل منهما إلى الآخر .

ووقع لهما أمور ، إلى أن دخل ناصر الدولة مصر ثالث مَرّة فغدر الْدِكز به وقتله ، ثم خرج إِلْدكز بمن معه إلى محمود بن ذُبيان أمير بني سِنْبس فقتلوه ، وكان عنده الأمير شاور فقتلوه أيضاً وخرجوا إلى خيمة تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة فقتلوه بعد أن هرب منهم ، ثم قُطع ابن حمدان المذكور قِطَعاً وأُنفذ كل قطعة إلى بلد وهذا ناصر الدولة[٢] آخر من بقي من أولاد بني حمدان ملوك حلب وغيرها[٣] .

---

(١) النجوم الزاهرة ٥/ ٨٣ .

(٢) ورد اسم ناصر الدولة في النجوم الزاهرة ٥/ ٩٠ قُتل الحسن بن الحسين بن حمدان الأمير أبو محمد ناصر الدولة التغلبي ذو المجدين . سنة (٤٦٥ هـ) .

(٣) النجوم الزاهرة ٥/ ٩٠ ، ٩١ .

أما ابن الأثير فقد دخل في تفصيلات أكثر حول ناصر الدولة بن حمدان ، والمستنصر صاحب مصر والأوضاع السائدة في مصر حينذاك ، ومقتل ناصر الدولة ابن حمدان ، وسأختصر ذلك بما يفيد دون أن ينقص ذلك من أهمية الموضوع .

يقول ابن الأثير : ونذكر ها هنا الأسباب الموجبة لقتله ، فإنها تتبع بعضها بعضاً ، وفي حروب وتجارب .

آ ـ وكان أول ذلك انحلال أمر الخلافة .

ب ـ فساد أحوال المستنصر بالله .

ت ـ كانت والدة المستنصر بالله غالبه على أمره ، وقد اصطنعتْ أبا سعيد إبراهيم التُّسَتريَّ اليهوديَّ وصار وزيراً لها ، فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحي ، فولته الوزارة ، واتفقا مدّةً ، ثم صار الفلاحيُّ ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة ، فخافه الفلاحيُّ أن يُفسد أمره مع أم المستنصر .

ث ـ اصطنع الفلاحي الغلمان الأتراك ، واستمالهم ، وزاد في أرزاقهم ، فلمّا وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه ، فعظم الأمر على أم المستنصر ، فأغرتِ به ولدها فقبض عليه ، وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما تسعة أشهر .

ج ـ شراء العبيد للمستنصر واستكثر منهم ، ووقوع الصراع بينهم وبين الأتراك .

وعرف الأتراك خطورة ذلك ، فاجتمعوا إلى مقدّميهم ، وقصدوا ناصر الدولة ابن حمدان ، وهو أكبر قائد بمصر[1] .

وشكوا إليه ، واستمالوا المصامدة وكتامة ، وتعاهدوا ، وتعاقدوا ، فقوي الأتراك ، وضعف العبيد المحدثون ، فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٠ ، ٨١ .

ليجتمعوا هناك ، فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل ، والأتراك ومن معهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يُعرف بكوم الريش واقتتلوا فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة ، وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر فقتل منهم نحو أربعين ألفاً وكان يوماً مشهوداً ، وفي معركة ثانية عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان ، فاقتتلوا فانهزم العبيد إلى الصعيد ، وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين[1] .

وفي معركة ثالثة اجتمع العبيد بالصعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل ، وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب إلى ظاهر البلد ، واجتمع الأتراك إليه ، ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ، ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنّه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاماً حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ، ثم ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ، ومن سلم هرب ، وزالت دولتهم من القاهرة[2] .

وكان بالإسكندرية جماعة كثيرة من العبيد ، فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان ، فأُمنوا ، وأخذت منهم الإسكندرية ، ويقي العبيد الذين بالصعيد فإنهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار إليهم ناصر الدولة بن حمدان في عسكر كثير ، فمضى العبيد من بين يديه إلى الصعيد الأعلى ، فأدركهم ، فقاتلهم وقاتلوه ، فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة بمصر ، واجتمع إليه مَن سلم من أصحابه ، وشغبوا على المُستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل إليهم . ثم جهزوا جيشاً وسيّروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم ، فَقُتلت تلك الطائفة من العبيد ، فوهن الباقون وزالت دولتهم . وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته ، وتفرد بالأمر دون الأتراك ،

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ١٠/ ٨٣ .

واتفق الأتراك والمُستنصر على طرده فخرج من القاهرة إلى الجيزة ونُهبت داره ودور حواشيه وأصحابه .

الصراع بين ناصر الدولة من جهة وبين الأتراك والمستنصر من جهة ثانية .

دخل ناصر الدولة مستخفياً إلى القائد المعروف بتاج الملوك شاذي ، فقبّل رجله ، وقال : اصطنعني ! فقال : أفعل ؛ فحالفه على قتل مقدم من الأتراك اسمه الدكز ، والوزير الخطير ، وقال ناصر الدولة لشاذي : تَركب في أصحابك ، وتسير بين القصرَيْن ، فإذا أمكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما .

وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة ، وفعل شاذي ما أمره ، فركب إلدكز إلى القصر ، فرأى شاذي في جمعه فأنكره ، وأسرع فدخل القصر ففاته ، ثم أقبل الوزير في موكبه ، فقتله شاذي ، وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب ، فركب إلى باب القاهرة ، فقال إلدكز للمستنصر : إن لم تركب وإلا هلكتَ أنت ونحن ، فركب ، ولبس سلاحه ، وتبعه خلق عظيم من العامة والجند ، واصطفوا للقتال فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم ، وقُتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى منهزماً على وجهه لا يلوي على شيء وتبعه فلُّ أصحابه ، فوصل إلى بني سِنْبِس ، فأقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم(١) .

وتجهّزت العساكر إليه ليبعدوه ، فساروا حتى قربوا منه ، وكانوا ثلاث طوائف ، فأراد أحد المقدّمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه ، فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة ، وحمل عليه ، فقاتله ، فظفر به ناصر الدولة فأخذه أسيراً ، وأكثر القتل في أصحابه .

وعبر العسكر الثاني ، ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم ، فحمل ناصر الدولة عليهم ، ورفع رؤوس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم ، فانهزموا وقُتل أكثرهم ، وقويت نفس ناصر الدولة .

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٤ .

وعبر العسكر الثالث ، فهزمه وأكثر القتل فيهم ، وأسر مقدّمهم ، وعظم أمره ، ونهب الريف فأقطعه ، وقطع الميرة عن مصر برّاً وبحراً ، فغلت الأسعار بها ، وكثر الموت بالجوع ، وامتدت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل وعظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة . فهلك العالم ، ومات أكثر أصحاب المستنصر ، وتفرّق كثير منهم فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصُّلح ، فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شاذي نائباً عن ناصر الدولة بالقاهرة ، يحمل المال إليه ، ولا يبقى معه لأحدٍ حكم[1] .

فلمّا دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغيّر عن القاعدة ، واستبد بالأموال دون ناصر الدولة ، ولم يرسل إليه منها شيئاً ، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة ، واستدعى إليه شاذي وغيره من مقدمي الأتراك ، فخرجوا إليه إلاّ أقلهم ، فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر ، وأحرق كثيراً منها ، فسيّر إليه المُستنصر عسكراً فكبسوه فانهزم منهم ومضى هارباً ، فجمع جمعاً ، وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالإسكندرية ودمياط ، وكانا معه وكذلك جمع الريف ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد ليخطب له بمصر .

حال المُستنصر :

اضمحلّ أمر المُستنصر ، وبَطل ذِكره ، وتفرّق الناس من القاهرة ، وأرسل ناصر الدولة إليه أيضاً يطلب المال ، فرآه الرسول جالساً على حصير ، وليس حوله غير ثلاثة خدم ، ولم ير الرسول شيئاً من آثار المملكة ، فلما أدى الرسالة قال : أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير ؟ فبكى الرسول ، وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر ، فأجرى له كل يوم مائة دينار ، وعاد إلى القاهرة ، وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه .

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٥ .

وكان الذي حمله على ذلك أنّه كان يُظهر التسنّن من بين أهله ، ويعيب المُستنصر ، وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد ، وقبض على أم المستنصر ، وصادرها بخمسين ألف دينار ، وتفرّق عن المُستنصر أولاده وكثر من أهله إلى الغرب ، وغيرهم من البلاد ، فمات كثيرٌ منهم جوعاً[1] .

نهاية ناصر الدولة على يد القائد التركي الدكز :

وانقضت سنة أربع وستين وأربعمائة وما قبلها بالفتن ، وانحط السعر سنة خمس وستين ، ورخصت الأسعار ، وبالغ ناصر الدولة في إهانة المُستنصر ، وفرّق عنه عامة أصحابه ، وكان يقول لأحدهم : إنني أُريد أن أوليك عمل كذا ؛ فيسير إليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود ، وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ، ولا يمكنه مع وجودهم ، ففطن لفعله قائد كبير من الأتراك اسمه الدكز ، وعلم أنه متى تم ما أراد تمكن منه ومن أصحابه ، فأَطلع على ذلك غيره من قواد الأتراك ، فاتفقوا على قتل ناصر الدولة ، وكان قد أمن لقوّته وعدم عدوّه ، فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤوا إلى باب داره ، وهي التي تُعرف بمنازل العزّ ، وهي على النيل ، فدخلوا من غير استئذان إلى صحن داره ، فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء كان آمناً منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف ، فسبهم ، وهرب منهم يريد الحرم ، فلحقوه فضربوه حتى قتلوه ، وأخذوا رأسه .

ومضى رجل منهم يُعرف بكوكب الدولة ، إلى فخر العرب ، أخو ناصر الدولة ، وكان فخر العرب كثير الإحسان إليه ، قال للحاجب : استأذن لي على فخر العرب ، وقُل صنيعتك فلان على الباب ، فاستأذن له فأذن له وقال : لعلّه قد دهمه أمر ، فلما دخل عليه أسرع نحوه كأنه يريد السلام عليه ، وضربه

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/٨٦ .

بالسيف على كتفه ، فسقط إلى الأرض ، فقطع رأسه ، وأخذ سيفه ، وكان ذا قيمة وافرة ، وأخذ جاريةً له أردفها خلفه ، وتوجه إلى القاهرة ، وقُتل أخوهما تاج المعالي ، وانقطع ذِكر الحمدانية بمصر بالكلّيّة[1] . وكان ذلك سنة خمس وستين وأربعمائة ـ طُويت سيرة رجل طموح من آل حمدان هو ناصر الدولة ـ حفيد ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث . . . بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم التغلبي . أمير الموصل[2] . . .

لقد أفرز آل حمدان شخصيات هامة ، سياسية وعسكرية أهمها سيف الدولة ، أمير حلب ، وناصر الدولة أمير الموصل ، وناصر الدولة الحفيد قائد الجيوش بمصر .

ولقد ذكرت الروايات كافة ؛ التي أوردها المؤرخون لكي تكون الصورة واضحة ، خاصة حول شخصية ناصر الدولة الحفيد بمصر ، لما لهذه الشخصية من أهمية تاريخية .

لقد عاش في صراعات مريرة طائفية وشعوبية ، وكانت طموحاته كبيرة ، ولكن يد الغدر والخيانة امتدت إليه من مأمنه ومن حليفه ووالد زوجه إلدكز الذي اغتاله وقضى على آل حمدان بمصر ، وبذلك أسدل الستار على طموحاته التي دفنت معه . وكان هو وقومه ينهجون نهجاً عربياً إسلامياً[3] . . .

* * *

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٨٧ . ولقد ذكر اسمه مرة الحسن ومرة الحسين .
(٢) انظر ترجمة ناصر الدولة الجد في هذا الكتاب . ولقب والده ناصر الدولة أيضاً .
(٣) تعليق المؤلف .

هَارون[*] بن مُوسى التَّغلبي

هو هَارون بن مُوسى بن شَريك التَّغلبي[1] الدِّمشقي ، مُقرىء دمشق ، الإمام الكبير أبو عبد الله ، الملقب بالأخْفَش[2] .

أخذ القراءات عن عبد الله بن ذكوان[3] ، وبه اقتدى أهل الشام في القراءة . روى القراءة عنه خلق كثير .

ولد سنة مائتين ، سمع هشام بن عمار وطبقته ، وكان إماماً في فنون كثيرة بارعاً مفنناً ، ولما مات جلس مكانه محمد بن نصير بن أبي حمزة[4] .

وحدَّث عن : سَلَّام المدائني ، وأبي مُسْهِر الغَسَّاني .

تلا عليه : ابن شَنَبُوذ ، وأبو علي الحصائري ، وأبو الحسن بن مُر الأخرم ، وجعفر أبي داود ، وعدَّة .

وروى عنه : أبو أحمد بن النَّاصح ، والطَّبراني ، وأبو طاهر بن ذكوان ، وغيرهم .

كان إماماً صاحب فُنون ، وله تصانيف في القراءات والعربية ، ارتحل إليه المُقْرِ كهبة الله بن جعفر ، وأبي بكر النَّقَّش ، وإبراهيم بن عبد الرَّزَّاق ، ومحمد بن أحمد الدَّاجوني ، وغيرهم .

توفي في صفر سنة اثنتين وتسعين ومئتين[5] .

* * *

(*) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ٢٣٤ ، النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣ ، شذرات الذهب ٣/ ٣٨٥ ، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٦ . مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٧ .

(١) ورد في النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣ الثعلبي .

(٢) ورد في حاشية البلغة : له ترجمة في طبقات القراء ٢/ ٣٤٧ وفيه أنه يعرف بأخفش باب الجابية .

(٣) ورد في حاشية البلغة : من كبار المحدثين كان ثقة في الحديث عالماً بالعربية وغير ذلك يكنى أبا الزناد توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١ .

(٤) النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٦ . وفي البلغة تطابقت وفاته مع سير أعلام النبلاء ، أما في النجوم الزاهرة فكانت وفاته سنة (٢٩١ هـ) . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٧ .

هشام[*] بن عَمرو التَّغلبي

هو هِشَام بن عَمرو بن بِسْطام بن سفيح بن مَروان بن يَعْلى بن السَّفاح سَلمة بن خالد بن كَعب القُنْفُد ؛ وحَنْظَلة بن قيس بن هَوبر ، قائد بني تغلب أَيّام عمر بن الخطاب .

هشام التَّغلبي صاحب السند[1]

كان هشام والياً على الموصل في (سنة ١٣٢ هـ) للأمويين ، ولما دخل عبد الله بن علي بالزّاب سار إلى الموصل فتلقاه هشام التَّغلبي وبشر بن خزيمة ، وقد سوّدا في أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة ثم سار إلى حرّان وولّى الموصل محمد بن صُول[2] .

ويظهر أن هشاماً التَّغلبي قد أُدخل في جيش أبي مسلم الخراساني بعد أن طلب الأمان وسلم الموصل إلى عبد الله بن علي لما كان والياً عليها إذ يقول هشام : كنت في عسكر أبي مسلم فتحدث الناس يوماً ، فقيل أَيُّ الناس أشدّ ؟

فقال : قولوا حتى أسمع .

فقال رجل : أهل خراسان .

وقال آخر : أهل الشام .

فقال أبو مسلم : كل قوم في دولتهم أشد الناس[3] .

(*) نسب معد ١/ ٩٠ ، جمهرة أنساب العرب ٣٠٦ ، طبري ٧/ ٤٣٩ ، ٤٧٧ ، ٨/ ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٥١ .
الكامل في التاريخ ٥/ ٤٢٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦/ ١٢ ، ١٣ . تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٩٠٦ .

(٢) طبري ٧/ ٤٣٩ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٧/ ٤٧٧ . وكان هذا الحديث في سنة (١٣٧ هـ) .

وهذا هشام يكسب ثقة أبي جعفر المنصور ، ويصبح أحد ولاته على السِّنْد ، إذ يقول الطبري : ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة وفيها ولّى عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة افريقية ، وعُزل عن السِّنْد وولى موضعه هشام بن عمرو التغلبي .

سبب عزل عمر بن حفص :

في سنة (١٥١ هـ) قدم السِّنْد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن الملقب بالأشتر يدعو لوالده محمد بن عبد الله ، ولقد آواه خفية والي السِّنْد عمر بن حفص بعد أن كشف له أمر حقيقته ، ولما علم المنصور بوجوده في السِّنْد طلب على عمر بن حفص أن يقتله ، ولكن عمر بن حفص أرسله إلى ملك السِّنْد ليدخل في حمايته ، ووصله وأكرمه الملك وعامله معاملة سامية .

وخشي عمر بن حفص على نفسه فجمع قرابته فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقرّ بالقصة لم يُنظره المنصور أن يعزله ، وإن صار إليه قتله وإن امتنع حاربه .

فقال له رجل من أهل بيته : ألقِ الذَّنب عليَّ ، واكتب إليه بخبري ، وخذني الساعة فقيِّدني واحبسني فإنه سيكتب : احمله إليّ ، فاحملني إليه ، فلم يكن ليقدمَ علي لموضعك في السِّنْد ، وحال أهل بيتك بالبصرة . . . فلما صار إليه قدمه فضرب عنقه[1] . وولى عمر افريقيا .

سبب تولية هشام التَّغلبي :

لقد أصبح مركز الوالي في السِّند خالياً وينتظر قرار المنصور بأن يولّي أحد رجاله الأشداء لأن في اقليم السِّند من ينازعه الأمر وهنا يقول الطبري عن أمر المنصور وفي ذلك :

ثم مكث يروي مَنْ يولِّي السِّنْد ! فأقبل يقول : فلان ، فلان ، ثم يعرض عنه ؛ فبينا هو يوماً يسير ومعه هشام بن عمرو التغلبي ، والمنصور ينظر إليه في

(١) طبري ٣٤ ، ٣٥ .

موكبه ، إذ انصرف إلى منزله ، فلما ألقى ثوبه دخل الربيع فآذنه بهشام ؟

فقال : أولم يكن معي آنفاً !

قال : ذكر أن له حاجةً عرضت مهمة . فدعا بكرسي فقعد عليه ، ثم أذن له ، فلما مثل بين يديه قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إني أنصرفت إلى منزلي من الموكب ، فلقيتني أختي فلانة بنت عمرو ، فرأيت من جمالها وعَقْلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين ، فجئت لأعِرضها عليه ؛ فأطرق المنصور ، وجعل ينكُت الأرض بخيزُرانه في يده ، وقال : أُخرج يأتك أمري ، فلما ولَّى قال : يا ربيع ؛ لولا بيت قاله جرير في بني تغلب لتزوّجت أخته وهو قوله :

لا تَطْلُبَنَّ خئولةً في تَغْلبٍ فالزَّنجُ أَكرمُ منُهمُ أَخوالا

فأخاف أن تَلد لي ولداً ، فَيُعَيَّر بهذا البيت ، ولكن اخرج إليه ، فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لو كانت لك لله حاجة إليّ لم أعدل عنها غير التزويج ، ولو كانت لي حاجةٌ إلى التزويج لَقبلْتُ ما أتيتني به ، فجزاك الله عمّا عَمَدت له خيراً ، وقد عَوّضتك من ذلك ولاية السِّنْد .

وأمره أن يكاتب ذلك الملك ؛ فإن أطاعه وسلَّم إليه عبد الله بن محمد ، وإلاَّ حاربه . وكتب إلى عمر بن حفص بولايته إفريقية .

فخرج هشام بن عمرو التغلبي إلى السِّنْد فوليها ، وأقبل عمر بن حفص يخوضُ البلاد حتى صار إلى افريقية .

ولاية هشام السِّنْد :

صار هشام بن عمرو إلى السِّند ، كره أخذ عبد الله ، وأقبل يُري الناس أنه يكاتب الملك ويرفُق به ، فاتصلت الأخبار بأبي جعفر بذلك ، فجعل يكتب إليه يستحثُّه ، فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببعض بلاد السِّند ، فوجّه إليهم أخاه سَفَنَّجا ، فخرج يجر الجيش وطريقه بجنبات ذلك الملك ، فبينا هو يسير إذا هو برهج قد ارتفع من موكب ، فظن أنه مقدّمة للعدوّ الذي يقصد ، فوجَّه طلائعه فرجعت ، فقالت : ليس هذا عدوك الذي تريد ، ولكن هذا عبد الله بن

محمد الأشتر العلويّ ركب متنزهاً ، يسير على الشاطىء مهران ، فمضى يريده ، فقال له نُصّاحه : هذا ابن رسول الله ﷺ ، وقد علمت أن أخاك تركه متعمداً مخافة أن يبوء بدمه ، ولم يقصدك ، إنما خرج متنزِّهاً ، وخرجت تريد غيره فأَعْرِضْ عنه .

فقال : ما كنتُ لأدَعَ أحداً يحوزهُ ، ولا أدع أحداً يحظى بالتقرب إلى المنصور بأخذه وقتله . وكان في عشرة، فَقصد قَصدَه، وذَمَرَ أصحابه، فحمل عليه، فقاتله عبد الله وقاتل أصحابُه بين يديه حتى قُتِل وقُتلوا جميعاً، فلم يُفلِتْ منهم مخبر ، وسقط بين القتلى ، فلم يشعر به ، وقيل : إن أصحابه قذفوه في مهران لمّا قُتِل ، لئلا يؤخذ رأسه ؛ فكتب هشام بن عمرو بذلك كتاب فَتْح إلى المنصور ، يخبره أنه قصده قصداً . فكتب إليه المنصور يحمد أمره ، ويأمره بمحاربة الملك الذي آواه ، وذلك أن عبد الله كان اتخذ جواري وهو بحضرة ذلك الملك، فأولد منهنَّ واحدة محمد بن عبد الله ـ وهو أبو الحسن محمد العلوي الذي يقال له ابن الأشتر ـ فحاربه حتى ظفر به وغلب على مملكته وقتله ، ووجه بأم ولد عبد الله وابنه إلى المنصور ، فكتب المنصور إلى واليه بالمدينة ، يخبره بصحة نسب الغلام ، وبعث به إليه ، وأمره أن يجمع آل أبي طالب، وأن يقرأ عليهم كتابه بصحة نسب الغلام ويسلمه إلى أقربائه[1] .

وفي سنة (١٥٧ هـ) عُزل هشام بن عمرو التغلبي عن السِّند ، وولي مكانه معبد بن الخليل وكان يومئذ بخراسان[2] .

وجاء أيضاً :

ولّى أبو جعفر هشام بن عمرو التغلبي السِّند ، فصار إلى المنصورة[3] ،

---

(١) طبري ٨/ ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٨/ ٥٣ .

(٣) المَنْصُورَةُ : مدينة كبيرة بأرض السند ، ذات جامع كبير . قال المسعودي سميت المنصورة بمنصور بن جُمهور عامل بني أمية ، وقيل نسبة لمنصور بن جمهور =

فأقام بها ، ووجه إلى ناحية الهند بجيش فغنموا وأصابوا رقيقاً . وقيل لهشام : إن المنصورة لا تحملك ، والملتان[1] بلاد واسعة ، ومنها مُعرىً ، فسار إليها فاستخلف على المنصورة أخاه بسطام بن عمرو ، فلمّا قرب من الملتان خرج صاحبها إليه في خلق لِردّه ، والتقيا ، فكانت بينهما وقعة عظيمة ، ثم انهزم صاحب الملتان ، وظفر هشام ونزل المدينة ، وسبى سبياً كثيراً ، ثم عمل السفن وحملها على نهر السند حتى القندهار ففتحها ، وسبى ، وهدم البدّ ، وبنى موضعه مسجداً ، ثم قدم إلى المنصور بما لم يقدم به أحد من السِّنْد ، فلم يقيم بالعراق إلاّ قليلاً حتى مات ، فولى المنصور معبد بن الخليل التميمي فكان محموداً في البلد[2] .

وكان هشام التغلبي من سمّار المنصور[3] .

وجاءت حادثة تدل على ذكاء هشام بن عمرو التغلبي وهي :

كان هشام بن عمرو التغلبي على نَصيبين ، فخرج يُشَيِّعُ أبا مُسْلمٍ ، فقال أبو مسلم : كيف يقول عمُّك مهلهلٌ :

إنِّــي لأذكــرُ مُنْيتــي ونَجيبتــي ... تحتــي وارفعهــا تخــبُّ ذميــلا

إنِّــي لأكْــرهُ أن أعيــشَ مُظلَّمــاً ... طــولَ الحيــاةِ وأن أعيــش ذليــلا

فقال هشام لكاتبه : اكتب إلى أمير المؤمنين عرِّفْهُ أنّ أبا مُسْلمٍ قد خلع الطاعة[4] .

* * *

= الكلبي ، وقيل سميت المنصورة لأن عمرو بن حفص بناها في أيام المنصور . « معجم البلدان ٥/ ٢٤٤ » .

(١) مُلْتَان : هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون . « معجم البلدان ٥/ ٢١٩ » وقيل اسمها : مُولْتَان : بلد من بلاد الهند على سمت غزنة ، قال الإصطخري : فهي نصف المنصورة ويسمى فرج بيت الذهب وبها صنم تعظمه الهند وتحج إليه من أقصى بلدانها « معجم البلدان ٥/ ٢٦٣ » .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٧٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه ٢/ ٣٨٩ .

(٤) التذكرة الحمدونية ٨/ ٣٠٤ .

وَائِلُ[*] بن رَبيعة التَّغلبي ـ كُلَيْب

هو كُلَيْب ، واسمه وَائِل بن رَبيعة بن الحَارث بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ، وإنّما لُقِّب كُلَيْباً لأنّه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه ثمّ ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي فلا يسمع عواءه أحد إلاّ تَجنّبه ولم يقربه ، وكان يقال له كُليبُ وائل ، ثمَّ اختصروا فقالوا كُليب ، فغلب عليه[1] .

وكان وائل بن ربيعة قائد معد يوم خَزاز فَفضَّ جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معدّ قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زَمانا من الدهر ، ثمّ دخله زَهْوٌ شديد وبغى على قومه حتّى بلغ من بغيه أنّه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرْعَى حماه ، وكان يقول وحشُ أرضٍ كذا في جواري ، فلا يُصَاد ، ولا يورد أحد مع إبله، ولايوقد ناراً مع ناره، ولايمر أحد بين بيوته ولايجتبى في مجلسه[2] .

وجاء عنه أيضاً : أن كُليباً كان قد عَزَّ وسادَ في ربيعة فَبغَى بَغياً شديداً ، وكان هو الذي يُنزلهم منازلهم ويرحّلُهم ، ولا يَنزلُون ولا يرحلون إلا بأمره ، فبلغ من عِزّه وبغيه أنه اتَّخذ جروَ كلبٍ ، فكان إذا نزل منزلاً به كلأ قذف الجِرْوَ فيه فيَعْوي ، فلا يرعى أحدٌ ذلك الكلأَ إلاّ بإذنه ، وكان يفعل هذا بحياض الماء ، فلا يردها أَحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذنَ بحربٍ . فضرب به المثل في العزِّ فقيل « أعزُّ من كُليب وائلٍ » . وكان يحمي الصيد ، ويقول : صيدُ ناصية كذا وكذا في جواري ، فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً ؛ وكان لا يمر بين يديه أحدٌ إذا جلس ، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيره[4] .

(*) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٣ ، العقد الفريد ٥/ ٢١٣ ، الأغاني ٥/ ٢٩ ، أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ٢/ ١٦٥ ، النقائض ٩٠٥ ، ومعجم الشعراء ٢٤٨ ، خزانة الأدب ١/ ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ١/ ٥٢٤ .

(٤) الأغاني ٥/ ٢٩ .

كُليب وشقيقته الزهراء التغلبية ـ زوج لبيد بن عنبسة

كان لبيد بن عنبسة عامل ملوك كِندة ، قد تزوج الزهراء أخت كليب ، فطغى على ربيعة ، وثقلت وطأته عليهم ، فأنكرت الزهراء عليه صنعه بربيعة !

فقال لها : ما بال أخيك كُليب ينتصر لمضر ويتهدد الملوك كأنه يعز بغيرهم ؟

فقالت : ما عرف أَعز من كُليب ؟ وهو كفؤ لها !

فغضب لبيد ولطمها لطمة أعشت عينها. فخرجت باكية إلى كُليب وهي تقول:

مـا كنـتُ أَحْسَبُ والحـوادِثُ جَمَّـةٌ	أنَّـا عَبيـدُ الحـيِّ مِـنْ قحْطَـانِ[١]
حتَّـى أَتَتْنـي مِـنْ لَبيـدٍ لَطْمَـةٍ	فَعَشـتْ لهـا مِـنْ وقْعِهَـا العَيْنـانِ[٢]
إنْ تَـرْضَ أُسْـرَةُ تَغْلِـب ابنـةَ وائـلٍ	تِلـكَ الـدَّنيَّـةَ أَو بنـو شَيْبَـانِ[٣]
لا يَبْـرحـوا الـدَّهـر الطَّـويـل أَذلـةً	هُـدْلَ الأَعِنَّـةِ عِنْـدَ كُـلِّ رِهَـانِ[٤]
لـولا الـوجيهـةُ قطَّعتنـي بَكـرةٌ	جَـرْبـاءُ مُشْعَلَـةٌ مـن القَطْـرَانِ[٥]

فلما سمع كليب قولها ، ورأى ما بها من أثر اللطمة ، ثارت به حميته

---

(١) يريد بالحي من قحطان : ملوك كندة اليمنيين لأن قبائل اليمن كلها من سلالة قحطان . ورد عجز البيت في شاعرات العرب ٣١ غسان .

(٢) عَشت : ضعفت وقل إبصارها . أتتني : علتني ـ سجرت لها من حدها العينان .

(٣) أما بيت الشعر فورد على الشكل التالي :

إن تَرْضَ تغلبُ وائلٍ بفعالِهِمْ تَكُنِ الأذِلّةَ عند كُلِّ رهـانِ

(٤) هدل الأعنة: مسترخية أعنه خيولهم ذلة ومهابة. « أخبار المراقسة ٢٤١، ٢٤٢». ووردت هذه القصيدة في كتاب شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص٣١ لعمرة بنت الحباب التغلبية ولطمها زوجها لبيد بن عنبسة الغساني لقول قالته مفتخرة بكليب . مع اختلاف في بعض أبيات الشعر ، كما بينت ذلك .

(٥) هذا البيت لم يرد في أخبار المراقسة وورد في شاعرات العرب ص ٣١ .

فهجم على أبيات لبيد وعلاه بالسيف فقتله وقال كليب :

إن يَكُــنْ قَتْلُنَــا المُلُــوكَ خطَــاءً ... أو صَــوَابــاً فقَــدْ قَتَلْنــا لَبِيْــدَا[١]

وَجَعَلْنَــا مَــعَ المُلُــوكِ مُلُــوكــاً ... بجيَــادٍ جُــرْدٍ تفُــلُّ الحَــدِيــدَا[٢]

نُسْعِـرُ الحَـرْبَ بـالَّـذي يَحْلِفُ النَّـا ... سُ بهِ قَوْمَكُمْ ونُذْكي الوَقُودا[٣]

أَوْ تَــرُدُّوا لنــا الأوتَــاوَةَ والفَــي ... ءَ ولا نَجْعَــلُ الحُــروبَ وَعِيــدَا[٤]

إنْ تَلُمْنــي عَجَــائِــزٌ مِــنْ نِــزَارٍ ... فَــأُرانــي فِيمَــا فَعَلْــتُ مُجِيــدَا[٥]

فلما رأت ربيعة أن كليباً قتل لبيداً ، أيقنت بأن الحرب واقعة بينها وبين ملوك كندة لا محالة ، وكان للبيد أخ فخرج حتى أخبر ابن عُنق الحية بقتل أخيه ، فأبلغ ذلك إلى سَلَمة بن الحارث ملك قيس ، فبلغه إلى ملوك كندة وحمير باليمن ، فجهزوا جيشاً كبيراً وسيروه إلى ديار ربيعة .

وجاءت الأخبار إلى كُليب بما أَعدّ له أهل اليمن ، فنادى في قومه بالغارة فأجابته القبائل من ربيعة ومضر وإياد وطيء وقضاعة ، فعقد الألوية ، وتقدمهم برهطه الأراقم[٦] حتى غشى جيوش اليمن فوقعت بينهم عدة وقائع[٧] .

---

(١) لبيد : هو لبيد بن عنبسة .

(٢) الجرد : الجياد الجرد : الخيل القصيرة الشعر من تضميرها والعناية بها . تفل الحديد : تقطعه ، ويروى : تفل الحديد : أي تحمله . ويريد بالحديد هنا الأسلحة والدروع .

(٣) أسعر الحرب : أشعلها . ونذكي الوقود : نشعل نار الحرب .

(٤) الإتاوة : الخراج . الفيء : الخراج والغنيمة تنال بلا قتال ، الذي كانت تجبيه عمال كندة في أخبار المراقسة . الإتاوة ـ وفي الديوان الأتاوة .

(٥) نزار : هو نزار بن معد وإليه ينسب النزاريون ومنهم بطنان عظيمان : ربيعة ومضر . (ديوان مُهَلْهِل ـ ٩٧) أخبار المراقسة ٢٤٢ .

(٦) الأراقم : هم أحياء جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحرث بنو بكر بن حُبيب بن غَنْم . وأصل الأراقم الحيات : تشبهوا بالحيات بشدة فتكها . وقيل لعيونها .

(٧) أخبار المراقسة ٢٤٣ . وأيام تغلب مع غيرها من القبائل مذكورة في هذا الكتاب .

زواج كُليب :

تزوّج كُلَيب جَليلة بنت مُرّة بن شَيبان بن ثَعلبة ، وهي أخت جَسّاس بن مُرّة[١] ، وجاء أيضاً قال لصاحبته أُختِ جَسَّاس : هل تعلمينَ على الأرض عربيّاً أمنع مِنّي ذِمّةً ؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ، ثم أعاد عليها الثالثة ، فقالت : نعم أخي جَسَّاس ونَدْمانُهُ[٢] بن عمه عمرو[٣] المزدلف بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان .

وفي رواية ثانية : أن امرأته كانت أُخت جسَّاس ، فبينا هي تَغسلُ رأس كُليب وتُسرّحُه ذات يوم إذ قال : مَنْ أَعزُّ وائل ؟ فَصمتت ، فأعاد عليها ، فلما أكثر عليها قالت : أَخواي جَسَّاسٌ وهَمَّام[٤] . وسيأتي الجواب على هذه الأسئلة إنُه الغرور الذي ينتزع الرحمة من القلب ؟

بداية العَداوة بين بَكر وتَغلب :

حمى كُليب أرضاً من العالية في أوّل الربيع ، وكان لا يقربها إلاّ مُحارب ، ثمّ إنّ رجلاً يقال له : سَعد بن شُميسٍ بن طوق الجَرميّ نزل بالبسوس بنت مُنْقذ التميميّة خالة جَسّاس بن مُرّة ، وكان للجرمي ناقة اسمها سَراب ترعى مع نوق جَسّاس ، وهي التي ضربت العرب بها المثل فقالوا : أشأم من سَراب ، وأشأم من البسوس .

فخرج كُليب يوماً يتعهد الإبل ومراعيها فأتاها وتردّد فيها ، وكانت إبله وإبل جساس مختلطة ، فنظر كليب إلى سَراب فأنكرها ، فقال له جسّاس وهو معه : هذه ناقة جارنا الجَرميّ .

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٥ .
(٢) النَّدمان : الذي يرافقك وينادمك على الشراب ، وقد يكون جمعا .
(٣) المزدلف لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس بن مُرة ، لقب به لأنه ألقى برمحه في حرب فقال : ازدلفوا إليه .
(٤) الأغاني ٥/ ٣٠ / ثقافة/ .

فقال لا تَعُدْ هذه الناقة إلى هذا الحمى !

فقال جسَّاس : لا ترعى إبلي مرعىً إلاّ وهذه معها .

فقال كُليب : لئن عادت لأضعنّ سهمي في ضرعها .

فقال جساس : لئن وضعتَ سَهمك في ضرعها لأضعنّ سنان رمحي في لبّتك[١] ! ثمّ تَفرّقا[٢] .

وقال كليب لامرأته : أتَرَيْن أن في العرب رجلاً مانعاً مني جارَهُ ؟

قالت : لا أعلمه إلاّ جسَّاساً ، فحدّثها الحديث ، وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحمى منعته وناشدتْهُ الله أن لا يقطع رحمه ، وكانت تنهى أخاها جَسَّاساً أن يسرح إبله .

ثمَّ إنّ كُليباً خرج إلى الحمى وجعل يتصفّح الإبل ، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه ، فولّت ولها عجيج حتّى بركت بفناء صاحبها ، فلما رأى ما بها صرخ بالذلّ ، وسمعت البَسوس صُراخ جارها فخرج إليه فلمّا رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثم صاحت : واذلاّه ! وجسَّاس يراها ويسمع ، فخرج إليها فقال لها : اسكتي ولا تُراعي ، وسكَّن الجَرميّ ، وقال لهما : إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غِلالاً ، وكان غِلال فَحلَ إبل كُليب لم يُرَ في زمانه مثله ، وإنما أراد جسَّاس بمقالته كُليباً .

وكان لِكُليب عين يسمع ما يقولون ، فأعاد الكلام على كُليب ، فقال : لقد اقتصر من يمينه على غلال .

ولم يزلْ جسَّاس يطلب غِرّة كليب ، فخرج كُليب يوماً آمناً فلمّا بَعُدَ عن البيوت ركب جسَّاس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كُليباً ، فوقف كليب ؟

---

(١) اللَّبَّةُ : المَنْحَرُ وموضع القلادة من الصدر (القاموس المحيط) .
(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

فقال له : جسَّاس : يا كليب الرمح وراءك !

فقال : إن كنتَ صادقاً فأقبل إليّ من أمامي ، ولم يلتفت إليه ، فطعنه فأرداه عن فرسه ، فقال : يا جسَّاس أغثني بشربة من ماء ، فلم يأته بشيء ، وقضى كليب نحبه[١] .

فأمر جسَّاس رجلاً كان معه اسمه عَمرو بن الحارث بن ذُهل بن شيبان فجعل عليه أحجاراً لئلا تأكله السباع .

وفي ذلك يقول مُهَلْهِل بن ربيعة ، أخو كُليب :

قَتيــلٌ مــا قَتيــل المــرء عَمــروٍ وَجَسَّــاس بــن مُــرّة ذي صَــريــمِ

ولمَّا قتل جسَّاس كُليباً انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه ، فلمَّا نظر أبوه مُرّة إلى ذلك قال : لقد أتاكم جسَّاس بداهيةٍ ، ما رأيتَهُ قطّ باديَ الركبتَيْن إلى اليوم ! فلما وقف على أبيه قال : مالك يا جسّاس ؟

قال : طَعنتُ طَعنةَ يجتمع بنو وائل غداً لها رقصاً .

قال : ومَنْ طَعنتَ ؟ لأمّك الثكل !

قال : قتلت كُليباً .

قال : أَفعلتَ ؟

قال : نعم .

قال : بئس والله ما جئت به قومك !

فقال جسَّاس :

تــأهّــبْ عنــك أُهبــة ذي امتنــاع فــإنّ الأمــرَ جــلّ عــن التــلاحــي
فــإنّــي قــد جَنيْــتُ عليــك حــربــاً تُغِــصّ الشيــخَ بــالمــاءِ القَــراحِ

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٥ .

فلمَّا سمع أبوه قوله خاف خلان قومه لما كان من لائمته إيّاه ، فقال يجيبه :

فـإن تَـكْ قَـدْ جَنيْـتَ علـيَّ حـربـاً ... تُغِـصّ الشيـخ بـالمـاء القَـراحِ
جَمعـتَ بهـا يـدَيْـكَ علـى كُلَيْـبٍ ... فَـلا وكـلٌ ولا رَثٌّ السـلاحِ
سـألبـسُ ثـوبَهـا وأذودُ عنّـي ... بهـا عـارَ المـذلّـةِ والفضـاحِ[1]

ثمَّ إن مُرّة دعا قومه إلى نُصرته فأجابوه وجلوا الأسنّة وشحذوا السيوف وقوّموا الرماحَ وتهيّأوا للرحلة إلى جماعة قومهم .

علاقة همَّام وجسّاس :

كان همّام بن مُرّة أخو جساس ، ومُهَلْهِل أخو كُليب في ذلك الوقت يشربان ، فبعث جسَّاس إلى همّام جارية لهم تُخبره الخبر ، فانتهت إليهما وأشارت إلى همّام ، فقام إليا ، فأخبرته .

فقال له مُهَلْهِل : ما قالت لك الجارية ؟

وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبَهُ شيئاً ، فذكر له ما قالت الجارية ، وأحبّ أن يعلمه ذلك في مداعبة وهزل .

فقال له مُهَلْهِل : است أخيك أضيق من ذلك ! فأقبلا على شربهما ، فقال له مُهَلْهِل : اشرب فاليوم خمرٌ وغداً أَمرٌ .

فشرب همّام وهو حذر خائف ، فلما سكر مُهَلْهِل عاد همّام إلى أهله ، فساروا من ساعتهم إلى جماعة قومهم .

مأتم كُليب وهياج تَغْلِب :

وظهر أمر كُليب ، فذهبوا إليه فدفنوه ، فلمّا دُفن شُقّت الجيوب وخُمشت الوجوه وخرج الأبكارُ وذوات الخدور العواتق إليه وقمن للمأتم .

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٧ .

فقالت النساء لأخت كليب : أخرجي جَليلة أخت جساس عنّا فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا ، وكانت امرأة كُليب .

فقالت لها أخت كُليب : أُخرجي عن مأتمنا فأنتِ أُخت قاتلنا وشقيقة واترنا ، فخرجتْ تجر عِطافها ، فلقيها أبوها مُرّة فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟

فقالت : ثكل العدد ، وحزن الأبد ، وفقد خليل ، وقتل أخ عن قليل ؛ وبين هذين غرس الأحقاد ، وتفتت الأكباد .

فقال لها : أوَ يَكُفّ ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات ؟

فقالت : أُمْنِيّةُ مخدوع وربّ الكعبه ! أَلِبُدْنٍ تدع لك تَغْلِب دم ربّها[1] !

ولمّا رحلت جَليلة قالت أخت كُليب : رِحلة المعتدي وفراق الشَامت ، ويلٌ غداً لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّة .

فبلغ قولها جَليلة ، فقالت : وكيف تشمتُ الحُرّة بهَتْك سترها وتَرَقّب وترها ! أسعد الله أختي ألا قالت : نفرة الحياء وخوف الأعداء[2] !

ثمَّ أنشأت تقول[3] :

يــا بنــةَ الأَقــوام إنْ شئـت[4] فـلا	تَعجلـي بـاللَّـوْم حتّـى تَسـألـي
فـــإذا أَنـــتِ تَبيَّنـــتِ الـــذي	يُـوجِـبُ اللَّـومَ فَلُـومـي واعـذِلـي
إنْ تَكُـنْ أُخـت امـرىءٍ لِيمَـتْ على	شَفَـــقٍ مِنْهـــا عَليـــهِ فـــافعلـــي
جَــلَّ عنــدي فِعــلُ جَسَّــاسٍ فيــا	حَسْـرتـي عمـا انجلـتْ أو تَنجلـي

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٢٧ .
(٢) المرجع السابق نفسه ١/ ٥٢٨ .
(٣) القصيدة في الأغاني ٥/ ٥٤ . وكذلك وردت في الكامل في التاريخ دون خلاف يذكر وفي المرجعين القصيدة لجليلة .
(٤) الكامل في التاريخ (لمت).

فِعلُ جَسَّاسٍ على وَجْدي بِهِ ... قَاطِعٌ ظَهري وَمُدْنٍ أَجَلي

لَوْ بِعَينٍ فُقِئتْ عيني سوى ... أُختها فانْفَقَأتْ لمْ أَحْفِلِ

تَحمِلُ العينُ قَذى العيْنِ كما ... تَحمِلُ الأُمّ أذى ما تَفْتَلي

يا قتيلاً قَوّض الدهرُ بِهِ ... سَقْفَ بَيتيّ جَميعاً من عَلِ

هَدمَ البيتَ الذي استحدثتُه ... وانْثَنى[1] في هَدمِ بيتي الأوّلِ

وَرَماني قَتلُه مِنْ كَثَبٍ ... رَميةَ المُصْمِي به المُستأصِلِ

يا نِسائي دونكنّ اليومَ قَدْ ... خَصَّني الدهرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ

خَصَّني قَتْلُ كُليب بِلَظىً ... من ورائي ولظىً مُستقبلِ

ليسَ من يَبكي ليومينِ[2] كَمنْ ... إنَّما يَبكي ليومٍ يَنْجَلي[3]

يشتفي المدرِكُ بالثأر وفي ... دَرَكي ثأريَ ثُكْلُ المُثكِلِ[4]

ليتهُ كانَ دَمي فاحْتَلبوا ... بَدَلاً[5] مِنْهُ دَماً من أَكْحَلي[6]

إنّني قَاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعلّ اللهَ أن يَرتاحَ لي[7]

وجاء عن كُليب وشجاعته :

أَصاب كُليب فرساً مع رجل من مُزينة في سوق عكاظ فأراد أخذه منه فالتوى عليه وأبى أن يرده ، فقال كُليب : لا آخذه منك إلاَّ عنوة في دار قومك ، وترك الفرس في يده ثم غزاهم فأصابهم وأصاب الفرس وقال :

---

(١) (سعى) .

(٢) (ليوميه) .

(٣) (مقبل) .

(٤) المثكل : التي لازمها الحزن .

(٥) (درراً) .

(٦) الأكحل : عرق في الذراع يفصد . وقيل : هو عرق الحياة ويدعى نهر البدن ، ولا يقال فيه عرق الاكحل .

(٧) الأغاني ٥/ ٥٤ ، ٥٥ ثقافة .

شَرَيتَ هَلاكاً من مزينة عَاجزاً   بِطِرْفٍ بَطيءٍ في المَضاميرِ أَجْرَبِ[1]
وَعرَّضتهم حيناً لنا جَاهلاً بنا   فهذا أوان مُنجزِ الوعدِ فاهْربِ
أَطلّتْ عليهم بالحجازِ كتائبٌ   مُسوّمةٌ تدعو زُهيرَ بن تَغلبِ

وإياه عنى النابغة الجعديُّ بقوله :

كُليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً   وأيسر جُرماً منك ضَرِّج بالدمِ[2]

نهاية كليب وائل :

مَقتلُ كُليب بالذّنائب عن يسار فَلْجَةَ مُصعِداً إلى مكة ، وقبره بالذنائب .

وفيه يقول مهلهل :

ولو نُبِش المقابرُ عن كُليبٍ   فَيُخَبَر بالذنائبِ أَيُّ زِيرِ[3]

وقال ياقوت : الذَّنائِبُ ثلاث هضبات بنجد وهي عن يسار فلجةَ مصعداً إلى مكّة ، وفي شرح قول كثّير :

أمِن آلِ سلمى دِمنةٌ بالذّنائب   إلى المِيث من رَيْعان ذات المطارب

ذو سَلَم : واد ينحدر على النّائب ، وسوق الذّنائب : قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كُليب وائل ، قال مُهَلْهِل يرثي أخاه كُليباً :

فإن يَك بالذَّنَائبِ طَالَ لَيلي   فَقَدْ أَبْكي مِنَ الليلِ القَصيرِ
فلو نُبِشَ المقَابرُ عن كُليبٍ   فَتخبر بالذَّنَائبِ أيُّ زِير[4]

عقود أربعة وأبناء العم يقتتلون حتى كاد الفناء أن يأخذ بهم ، لغرور كُليب وصلفه وتحدياته ، وحماقة جساس وثأره للناقة بقتل كليب .

---

(١) شَريت : أي اشتريت . أي هو بطيء إذا ألقى في المضمار . والمِضْمَارُ : غاية الفرس في السّباق . (القاموس المحيط) .
(٢) معجم الشعراء ٢٤٩ .
(٣) الأغاني ٥/ ٣٢ .
(٤) معجم البلدان ٣/ ٨ .

ذهب كُليب وجسَّاسُ ، وبقيت الثارات تحقن الصدور ، والحقد يسري ويعس مثل النار تحت الرماد فترات طويلة أين الحِلم والعقل والعقلاء . . . ؟

وكذلك كانت حرب داحس والغبراء ، وإن كانت شدتها أخف وطأة من البسوس ، ولكنها جرْت عليهم الويلات .

وجاء الإسلام وصقل عقلهم ووحد فكرهم وسما بهم ، إنما المؤمنون إخوة ، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك فوحدهم ، وتباعدت أيامهم وتناثرت قبائهلم وضعفت عصبيتهم[١] .

شعر كُليب

ووردت في ديوان مُهَلْهِل قصائد شعرية نُسبت إلى كُليب وائل قالها في مناسبات عدة ، إذ قال بعد أن قتل الناقة :

سَيَعْلَمُ آل مُرَّةَ حَيْثُ كَانُوا ... بأَنَّ حِمَايَ لَيْسَ بِمُسْتَبَاحِ[٢]

وأَنَّ لَقُوحَ جَارِهِم سَتَغْدُو ... على الأَقْوَامِ غَدْوَةَ كالرَّوَاحِ[٣]

وَتُضْحِي بَيْنَهُمْ لَحْماً عَبيطاً ... يُقَسِّمُهُ المُقَسِّمُ بالقِدَاحِ[٤]

وظَنُّوا أَنَّني بالحِنْثِ أَوْلَى ... وَأَنِّي كُنْتُ أَوْلَى بالنَّجَاحِ

إذا عُجَّتْ وقَدْ جَاشَتْ عقيراً ... تَبَيَّنَتِ المِراضُ مِنَ الصِّحَاحِ[٥]

وَمَا يُسْرَى اليَدَيْنِ إذا أَضَرَّتْ ... بها اليُمْنَى بِمُدْرِكَةِ الفَلاحِ

---

(١) تعليق المؤلف .

(٢) آل مرة : قوم جساس ، ومرة والده .

(٣) اللقوح : الناقة التي حملت . الرواح : الذهاب . والرواح : العشي . ولا براح . ولا ريب .

(٤) اللحم العبيط : اللحم غير الناضج ، القداح : جمع القدح وهو سهم القمار .

(٥) عجت : صاحت بأعلى صوتها . جاشت : هاجت . عقيراً : مذبوحة .

بَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانِ خُذُوهَا ... فَمَا فِي ضَرْبَتِهَا مِنْ جُنَاحِ[1]

قال كُليب في معركة السُّلّان[2] التي انتصرت فيا جموع ربيعة :

دَعَانِي داعياً مُضَرٍ جَميعاً ... وأَنْفُسُهُمْ تَدانَتْ لاخْتِنَاقِ[3]

فَكانَتْ دَعْوَةٌ جَمعَتْ نِزاراً ... وَلَمَّتْ شَعْثَها بَعْدَ الفِرَاقِ[4]

أَجَبْنَا دَاعِيَيْ مُضَرٍ وسِرْنا ... إلى الأَمْلاكِ بالقُبِّ العِتَاقِ[5]

عَليها كُلُّ أَبْيضَ مِنْ نِزَارٍ ... يُساقي الموت كَرْهاً مَنْ يُساقي[6]

أَمامُهُمُ عُقَابُ الموت يَهْوي ... هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا العراقي[7]

فأردينا الملوك بكل عضب ... وطار هزيمهم حذر اللحاق[8]

---

(١) بنو ذهل بن شيبان من بكر وهم قوم جساس . الجُناح : الإثم . [ديوان مُهَلْهِل ـ ٩٥] .

(٢) السُّلّان : مَوضع بين البَصْرة واليمامة . وقال مُهَلْهِل :
أَمْسَتْ منازل بالسُّلّانِ قد عَمِرَتْ ... بَعْدَ كليب فلم تَفْزَع أَفَاصيها
(معجم ما استعجم ٧٤٩) .
والسُّلّان : هي أرض تهامه مما يلي اليمن كانت بها وقعة لربيعة على مذحج ، قال عمرو بن معد يكرب :
لمن الدّيار بروضة السُّلّان ... فالرقمتين فجانب الصّمّان ؟
والسُّلان : واد فيه ماء وحَلْفا وكان به يوم حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومُضر وكانت هذه القبائل من اليمن بالسُّلان ، وكانت نزار على خزاز ، وهو جبل بإزاء السلان وهو مما بين الحجاز واليمن (معجم البلدان ٣/ ٢٦٦) .

(٣) مضر : يعني بني مضر بن نزار وهم قبيلة عظيمة من العدنانية . تدانى : اقترب بعضهم من بعض .

(٤) نزار : هو نزار بن معد ومنهم ربيعة ومضر . الشعث : انتشار الأمر وتفرقه يقصد جموعها المتفرقة .

(٥) الأملاك : ملوك اليمن الأقيال . القب : الخيل الضامرة . العتاق : الكريمة .

(٦) الأبيض : السيف .

(٧) العراقي : خشبات البئر .

(٨) العضب : السيف القاطع .

كـأَنَّهُـمُ النَّعـامُ غَـداةَ خَـافُـوا   بـذي السُّـلاَّنِ قَـارِعَـةَ التَّـلاقـي[1]
فَكَـمْ مَلِـكٍ أَذقْنَـاهُ المنـايـا   وآخـر قـد جَلَبْنَـا فـي الـوِثَـاقِ

وقال كُليب في وقعة خزاز[2] التي انتصر فيها قومه بقيادته على جموع كندة وأقيالها ، وقد قدموا للثأر للبيد بن عنبسة الذي قتله كُليب :

لَقَدْ عَرفَتْ قَحْطَانُ صَبْري وَنَجْدَتي   غَـدَاةَ خَـزَازٍ والحُقُـوقُ دَوَانِ[3]
غَدَاةَ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ ذُلِّ حِمْيَرٍ   وأَوْرثْتُهُـا ذُلاًّ بِصْـدِقِ طِعَـانـي[4]
دَلَفْـتُ إليهـم بـالصَّفَـائـح والقَنَـا   على كُلِّ لَيْـثٍ مـن بني غَطفَانِ[5]
وَوَائِـلُ قَـدْ جَـدَّتْ مَقَـادِمَ يَعْـربٍ   فَصَـدَّقَهَـا فـي صَحْـوِهَـا الثَّقَـلانِ[6]

* * *

---

(١) السلان : موضع بعينه جرت فيه هذه المعركة . قارعة التلاقي : مقارعة الأبطال (ديوان مهلهل ٩٩) .

(٢) هو جبل بين مَنْعج وعاقل بإزاء حمى ضرية (معجم البلدان ٢/ ٤١٧) .
وقال أبو عبيدة : كان يوم خزاز بعَقْب السُّلاَّن ، وخزاز وكير ومُتالع أَجبال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة ، فمتالع عن يمين الطريق للذاهب إلى مكة وكير عن شماله وخزاز بنحر الطريق . (معجم البلدان ٢/ ٤١٧) . ويوم خَزار أعظم يوم التقته العرب في الجاهلية (٢/ ٤١٨) .

(٣) قحطان : من أقدم القبائل العربية اليمنية وقحطان أبو اليمن وإليه تنسب القبيلة . وخزار : جبل وقعت لديه موقعة عظيمة بين العدنانية واليمنية . والحقوق : ما حق على كل مقاتل من الموت أو الأسر أو الحياة . دوانِ : من دنا أي اقترب وحلَّ .

(٤) حمير من قبائل اليمن العظيمة .

(٥) دلفت : تقدمت عليهم . الصفائح : السيوف الرقيقة . القنا : الرماح : الليث : الأسد .
غطفان : هم بنو غطفان بن سعد وهم بطن عظيم من قيس بن عيلان من العدنانية .

(٦) وائل : أي تغلب وبكر . يعرب : هو يعرب بن قحطان ويقال إن العرب سميت عرباً به . جدَّ : قطع . المقادم : الرجال الجريئون على الحرب . الثقلان : الإنس والجن . (ديوان مُهَلْهِل ١٠٠) .

الوَليدُ[*] بن طَرِيف التَّغلبي

هو الوليد بن طَرِيف بن عَامر الخَارِجيُّ وهو من بني صيفي بن حتي بن عَمرو بن بَكر بن حُبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ؛ وأختُه لَيْلَى ، القائلة :

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً كأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ على ابنِ طَرِيفِ

وكانت تركب الخيل وتُقاتل ، وعليها الدرع والمِغْفَر[1] .

وجاء نسبه مختلفاً في وفيات الأعيان : الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن فَدوكس بن عمرو بن مالك الشيباني - هكذا ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب في موضعين أحدهما في ترجمة الأراقم ، والآخر في ترجمة السيحاني[2] .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة خرج الوليد بن طريف التَّغلبيّ بالجزيرة ، ففتك بإبراهيم بن خازم بن خُزَيْمة بنَصيبين ، ثم قويت شوكة الوليد فدخل إلى أرمينية ، وحصر خِلاط عشرين يوماً ، فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفا .

ثم سار إلى أذْرَبيجان ، ثمّ إلى حُلْوان وأرض السواد ، ثم عبر إلى غرب دجلة ، وقصد مدينة بَلَدَ ، فافتدوا منه بمائة ألف ، وعاث في أرض الجزيرة فسيّر إليه الرشيد يزيد بن مَزيد بن زَائدة الشيبانيّ وهو ابن أخي معن بن زائدة ،

(*) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤١ ، وفيات الأعيان ٦/ ٣١ ، ٣٤ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٩٥ ، تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٦ ، ٢٦١ ، الذهب المسبوك ٤٨ ، ٤٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤١٠ ، جمهرة أنساب العرب ٣٠٦ ، المنتظم ٩/ ٣٨ ، تاريخ الموصل ٢٨٠ ، ٢٨٣ .

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٦ ، ٣٠٧ . ولليلى ترجمة في هذا الكتاب . ولقد جاء اسمه ونسبه دون اختلاف في كل من الكامل في التاريخ ، وتاريخ اليعقوبي ، وتاريخ الطبري ، وجمهرة أنساب العرب . بينما اختلف في وفيات الأعيان .

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٣١ .

فقال الوليد :

سَتَعلَمُ يا يَزيدُ إذا التَقَيْنَا ... بشَطّ الزّابِ أي فَتىً يَكُونُ[1]

وفي تاريخ الموصل ، جاء نسبه : هو الوليد بن طريف بن فارس بن عامر بن صَيْفي بن حُيّ بن عمرو بن بكر بن حُبيب بن غَنْم بن عمرو بن تغلب . وهو من بني حَيّ بن عمرو ـ ويقال لهم أضراس الكلاب ـ من بني تغلب[2] .

فجعل يزيد يخاتله ويماكره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فقالوا للرشيد : إنّما يتجافَى يزيد عن الوليد للرحم ، لأنّهما كلاهما من وائل ، وهوّنوا أمر الوليد ، فكتب إليه الرشيد كتاب مغصب ، وقال له : لو وجَّهتُ أحد الخدم لقام بأكثر ممّا تقوم به ، ولكنّك مداهن ، متعصب ، وأُقسم بالله إن أخرتَ مناجزته لأوجّهنَّ إليك مَنْ يحمل رأسك .

فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة ، فيقال : جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه ، وجعل يلوكه ويقول : اللهمّ إنّها شدّة شديدة ، فاسترْها !

وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمي إنّما هي الخوارج ، ولهم حملة فاثبتوا ، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا .

فكان كما قال ، حملوا عليهم حملة ، فثبت يزيد ومَنْ معه عن عشيرته ، ثم حمل عليهم فانكشفوا فيقال : إنّ أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جدّاً لا يفصل بينهما إلاّ ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره ، منحرفة على جبهته ، فكان أسد يتمنى مثلها ، فهوت إليه ضربة ، فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع ، فيقال لو خُطّت على ضربة أبيه ما عدا .

---

(١) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤١ .
(٢) تاريخ الموصل ٢٨١ ـ ٢٨٣ .

واتبع يزيد الوليد بن طريف ، فلحقه فاحتز رأسه ، فقال بعض الشعراء :

وائـــلٌ بعضُهـــم يُقَتِّـــلُ بَعضـــاً   لايَفُـلّ الحـديـدَ إلاّ الحـديـدُ[1]

وقال مُسلم بن الوليد في قتل الوليد ورفق يزيد في قتاله فقال قصيدة أذكر منها هذه الأبيات :

يَفْتَـرّ عِنـدَ افْتِـرارِ الحَـرْبِ مُبْتَسمـاً   إذا تَغَيَّـرَ وَجْـهُ الفَـارِسِ البَطَـلِ
مُوفٍ على مُهَجٍ في يَوْمِ ذي رَهَجٍ   كـأنّـهُ أجَـلٌ يَسعَـى إلـى أَمَـلِ
يَنَـالُ بـالـرّفـقِ مـا يَعيـا الـرّجَـالُ بـهِ   كالمَوْتِ مُستَعجلاً يأتي على مَهَلِ[2]

وكان الوليد يوم المصاف ينشد :

أنـا الـوليـدُ بـن طـريـف الشـاري   قَسْـوَرَةٌ لا يُصْطَلـى بنـاري[3]
جوركمُ أخرجني من داري[4]

وقال الذهبي : الوليد بن طريف الشَّيباني ، وقيل هو من بني تغلب ، أحدُ أُمراء العرب خرج بالجزيرة في ثلاثين نفساً بسقي الفرات ، فقتلوا تاجراً نصرانياً ، وأخذوا ماله ، ثم عاث بدارا[5] ، ونهب ، وكثر جيشُه ، فقصد ميافارقين ، فَفَدَوا البلد منه بعشرين ألفاً ، وصالحه أهل خِلاط[6] على مَال وهزم عسكر الرشيد ، واستفحل أمره واستباح نَصيبين ، فقتل بها خمسة آلاف ، إلى أن حاربه يزيد بنُ مَزْيد ، وظَفِرَ به فقتله . في سنة تسع وسبعين ومئة[7] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤٢ .
(٢) المرجع السابق نفسه ٦/ ١٤٣ .
(٣) الشاري : وهو واحد الشراة ، وهم الخوارج ، إنّما سموا بذلك لقولهم : إنّا شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة .
(٤) وفيات الأعيان ٦/ ٣٣ .
(٥) بدارا : بلد بالجزيرة ذات بساتين ومياه جارية .
(٦) خِلاط : بلد في قصبة أرمينية الوسطى .
(٧) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣١ ، ٢٣٢ .

أما رواية اليعقوبي فهي أكثر تفصيلاً في المواقع التي جرت بين الوليد والسلطة ، فروايته تقول :

وخرج الوليد بن طريف الحروريّ بالجزيرة سنة (١٧٩ هـ) ، وكان عبد الملك بن صالح يتولاّها ويتولّى بعض الشأم ، فحصره الوليد بالرّقة ، فوجه الرشيد موسى بن خازم التميمي في جيش ، فهزمه الوليد ، فوجّه بمعمّر بن عيسى العبدي ، فكانت بينهما وقائع ، ثم مات معمّر وهو في محاربته ، فتوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني ، فواقعه يوماً واحداً ، ثم قال له في اليوم الثاني : ابرز ، يا وليد ، ولا يُقتل الناس بيني وبينك ! فبرز له ، فقتله يزيد ، واحتزّ رأسه ، وبعث به إلى الرشيد[١] .

أما رواية الطبري حول مقتل الوليد فهي مختلفة : خرج الوليد بن طريف الشاري بالجزيرة سنة (١٧٨ هـ) وحكم بها ، ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ، ثم مضى منها إلى إرمينية . وفي سنة (١٧٩ هـ) رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته ، وكثر تبعه ، فوجَّه الرشيد إليه يزيد بن مَزيد الشيباني فراوغه يزيد ، ثم لقيه وهو مغتر فوق هيت ، فقتله وجماعة كانوا معه[٢] .

وفي سنة تسع وسبعين ومائة اعتمر الرشيد في شهر رمضان شكراً لله على قتل الوليد بن طريف ، وعاد إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحجّ ، وحجّ بالنَّاس ، ومشى من مكة إلى مِنى ثمّ إلى عَرفات وشهد المشاعر كلها ماشياً ، ورجع على طريق البصرة[٣] .

* * *

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤١٠ .
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٦ ، ٢٦١ .
(٣) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤٧ .

الفهارس الفنية للكتاب

فهرس الأعلام

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ن ـ

فهرس القبائل وفروعها

فهرس المواقع والأمكنة

ـ ك ـ

ـ م ـ

ثبت المصادر والمراجع

- الأشباه والنظائر ـ الخالديين ـ تحقيق د. السيِّد محمد يوسف ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ .
- الاشتقاق . أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت ط١ ١٤١١ ـ ١٩٩١م .
- الإحاطة في أخبار غرناطة ـ لسان الدين بن الخطيب . تحقيق محمد عبد الله عنان ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ط١ ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .
- أخبار الراضي بالله والمتقي لله ـ أبو بكر الصولي ـ دار المسيرة بيروت ط٣ ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م .
- أخبار الشعراء المحدثين ـ أبو بكر الصولي ـ دار المسيرة ـ بيروت .
- الأخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار ـ تحقيق د. سامي العاني ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٢ .
- أخبار النساء ـ ابن الجوزية ـ تحقيق د. نزار رضا ـ مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٧٣ .
- الاختيارين ـ الأخفش الأصغر ـ تحقيق فخر الدين قباوة ـ مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ .
- أدب الخواص ـ الحسين بن عليّ الوزير المغربي ـ تحقيق حمد الجاسر ـ الرياض ـ دار اليمامة ١٩٨٠ .
- أشعار أولاد الخلفاء ـ أبو بكر الصولي ـ دار المسيرة ـ بيروت .
- أشعار النساء ـ المرزباني ـ دار الرسالة للطباعة ـ بغداد ١٩٧٦ .
- الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعدد من الأساتذة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط١ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
- الأصمعيات ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٣ .
- أعتاب الكتاب ـ ابن الأبار ـ تحقيق د. صالح الأشتر ـ دار الأوزاعي ـ بيروت ط٢ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
- الأغاني ـ أبي الفرج الأصفهاني ـ تحقيق لجنة من الأدباء ـ دار الثقافة بيروت ط٦ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .
- الإكليل ـ الهمذاني ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٧ .
- أمالي ابن الشجري ـ تحقيق د. محمود محمد الطناحي ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .
- الأمالي ـ القالي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت لبنان .
- أمالي المرتضىٰ ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩١٧ .
- أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ تحقيق د. محمد حميد الله ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٨٧ .
- الأنوار ومحاسن الأشعار ـ الشمشاطي ـ تحقيق د. السيّد أحمد يوسف ـ عبد الستار أحمد فرّاج ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .
- أيام العرب قبل الإسلام ـ أبي عبيدة معمر بن المثنىٰ ـ تحقيق د. عادل جاسم البياتي ـ عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ط١ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- الإيناس بعلم الأنساب ـ ابن المغربي ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ط٢ ١٤٠٠ه ـ ١٩٨٠م .
- بحار الأنوار ـ الشيخ محمد باقر الحسيني ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت .
- البدر الطالع ـ علي بن الشوكاني ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة .
- البرصان والعرجان ـ الجاحظ ـ تحقيق د. محمد مرسي الخولي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٧ .

ـ بغية الطلب ـ ابن العديم ـ تحقيق د. سهيل زكار دمشق ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ بغية الملتمس ـ أحمد بن يحيىٰ الضبي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧ .
ـ البلغة ـ الفيروزابادي ـ تحقيق محمد المصري ـ منشورات مركز المخطوطات والتراث ـ الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ط٥ ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ .
ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ـ تاريخ الحلة ـ الحلي ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ العراق ١٩٦٥ .
ـ تاريخ خليفة بن خياط ـ تحقيق د. أكرم ضيام العمري ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ط٢ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ تاريخ الطبري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٤ ـ دار المعارف ـ مصر .
ـ تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق ـ الواقدي ـ تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش ـ دار البشائر ١٩٩٦ .
ـ تاريخ ابن قاضي شهبة ـ تحقيق عدنان درويش ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ الجفان والجابي للطباعة والنشر ١٩٩٤ .
ـ تاريخ الموصل ـ أبي زكريا الأزدي ـ القاهرة ١٩٦٧ .
ـ تاريخ اليعقوبي ـ دار صادر ـ بيروت .
ـ التذكرة الحمدونية ـ تحقيق إحسان عباس ـ بكر عباس ـ دار صادر بيروت ط١ ١٩٩٦ .
ـ ثمار القلوب وذيله ـ الثعالبي النيسابوري ـ تحقيق إبراهيم صالح ـ دار البشائر دمشق ط١ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
ـ جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الأندلسي ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف ـ مصر .
ـ جمهرة النسب ـ ابن سلام ـ تحقيق مريم محمد خير الحرع ـ تقديم سهيل زكار ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .
ـ حماسة البحتري ـ تحقيق كمال مصطفىٰ ـ المكتبة التجارية الكبرىٰ ـ القاهرة ط١ ١٩١٩ .
ـ الحماسة البصرية ـ البصري ـ عالم الكتب ـ بيروت .
ـ حماسة أبي تمام ـ دار القلم ـ بيروت لبنان .
ـ الحماسة الشجرية ـ ابن الشجري ـ تحقيق عبد المعين الملوحي ـ أسماء الحمصي ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ط٣ ١٩٧٠ .
ـ حماسة القرشي ـ تحقيق خير الدين محمود قبلاوي ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٥ .
ـ الحيوان ـ الجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
ـ خريدة القصر ـ العماد الأصفهاني الكاتب ـ تحقيق شكري فيصل ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م
ـ خزانة الأدب ـ البغدادي ـ تحقيق عبد السلام هارون ط٢ ١٩٧٩ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .
ـ كتاب الخيل ـ ابن جزي الكلبي الغرناطي ـ تحقيق محمد العربي الخطابي ـ دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م .
ـ دمية القصر ـ الباخرزي د. سامي العاني ـ دار العروبة ـ الكويت ١٩٨٥ .
ـ الدولة الحمدانية ـ د. فيصل السامر ـ مطبعة جامعة بغداد ـ ١٩٧٣ .

ـ الديارات ـ الشابشتي ـ تحقيق كوركيس عوّاد ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ط٣ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
ـ ديوان الأخطل ـ تحقيق فخر الدين قباوة ـ دار الأصمعي حلب ١٩٧٠ .
ـ ديوان امرىء القيس ـ حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية ـ مصر ١٩٥٩ .
ـ ديوان أبي تمام ـ شركة الكتاب اللبناني ـ شرح د. شاهين عطية ط١ ١٩٦٨ .
ـ ديوان ابن الخياط ـ تحقيق خليل مردم بك ـ دار صادر ـ بيروت ط٢ ١٩٩٤ .
ـ ديوان عمرو بن كلثوم ـ صنعة د. علي أبو زيد ـ دار سعد الدين . دمشق ١٩٩١ .
ـ ديوان أبي فراس الحمداني ـ رواية ابن خالويه ـ تحقيق د. محمد التونجي ـ المستشارية الإيرانية ـ دمشق ١٩٨٧ .
ـ ديوان القطامي ـ تحقيق د. إبراهيم السامراني ـ دار الثقافة بيروت ١٩٦٠ .
ـ ديوان مُهلهل ـ إعداد طلال حرب ـ دار صادر بيروت ١٩٩٦ .
ـ ذيل تاريخ دمشق ـ القلانسي ـ بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .
ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ ابن بسام ـ تحقيق إحسان عباس ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ١٩٧٨ .
ـ الروض المعطار ـ الحميري ـ تحقيق إحسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ ط٢ ـ ١٩٨٤ .
ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ حسين الأسد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط٧ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
ـ شذرات الذهب ـ ابن العماد ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ بيروت ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .
ـ شعر تغلب في الجاهلية جمع وتحقيق محمد ميدان ـ معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٩٥ .
ـ شعر الخوارج ـ إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ط٣ ١٩٧٤ .
ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة الدينوري ـ تحقيق مفيد قميحة ـ نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ ط٢ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ صبح الأعشىٰ ـ القلقشندي ـ المؤسسة المصرية العامة .
ـ صفة جزيرة العرب ـ الهمذاني ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء ـ دار الآداب بيروت ط٣ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ .
ـ الصلة ـ ابن شكوال ـ تحقيق عزت العطّار الحسيني ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ط٢ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
ـ الصناعتين ـ العسكري ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
ـ طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام الجمحي شرح محمود شاكر ـ مطبعة المدني مصر ١٩٧٤ .
ـ الطبقات الكبرىٰ ـ ابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت .
ـ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ـ السلطان عمر بن يوسف رسول ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٩١م .
ـ العبر في خبر من عبر ـ الذهبي ـ تحقيق د. صلاح المنجد ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤ .
ـ عقد الجمان ـ بدر الدين محمود العيني ـ تحقيق محمد محمد أمين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي ـ دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

ـ العقود اللؤلؤية ـ علي بن الحسن الخزرجي ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ـ دار الآداب بيروت ط٢ ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .
ـ عيون الأخبار ـ ابن قتيبة الدينوري ـ تحقيق د. يوسف علي طويل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ فتوح البلدان ـ البلاذري ـ تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع ـ عمر أنيس الطباع . منشورات مؤسسة المعارف ـ بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ فتوح الشام ـ محمد بن عبد الله الأزدي ـ مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧٠ .
ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ـ دار المعرفة بيروت ط١ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ .
ـ فوات الوفيات ـ محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ مؤسسة الرسالة ـ دار الريان للتراث ط٢ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر دمشق ١٩٩٦ .
ـ قبيلة ضبة في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر ـ دمشق ١٩٩٨ .
ـ قبيلة طيء في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر دمشق ١٩٩٥ .
ـ قلائد الجمان ـ القلقشندي ـ تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتب الحديثة القاهرة ط١٩٦٣ .
ـ الكامل ـ المبرد ـ تحقيق د . محمد أحمد الدالي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٦ .
ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ دار صادر ـ بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر بيروت ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
ـ مجمع الأمثال ـ الميداني ـ دار الفكر بيروت ١٩٧٢ .
ـ مجموعة المعاني ـ مؤلف مجهول ـ تحقيق عبد المعين ملوحي ـ دار طلاس ١٩٨٨ .
ـ المحبر ـ أبو جعفر محمد بن حبيب ـ رواية السكري ـ دار الآفاق الجديدة بيروت .
ـ مختصر تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ـ ابن منظور ـ تحقيق إبراهيم صالح ـ دار الفكر ـ دمشق ط١ ١٤٠٨ ـ ١٩٨٧ .
ـ مقدمة ابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ط٣ ١٩٦٧ .
ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ شارل بلا ـ بيروت ١٩٧٩ .
ـ المستجاد من فعلات الأجواد ـ لأبي علي المحسن التنوخي ـ تحقيق محمد كرد علي ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٩١ .
ـ المعارف ـ ابن قتيبة ـ تحقيق د. ثروت عكاشة ـ دار المعارف مصر .
ـ معجم ابن الأبار ـ دار صادر ـ بيروت .
ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ط١ ١٩٩٣ .
ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ تحقيق فريد عبد العزيز الجنيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
ـ معجم الشعراء ـ المرزباني ـ تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج مصر ـ القاهرة .
ـ معجم ما استعجم ـ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ـ تحقيق ـ مصطفىٰ السقا ـ عالم الكتب ـ بيروت ط٣ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
ـ المغرب في حلىٰ المغرب ـ تحقيق شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة ط٤ .
ـ المفضليات ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ عبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ القاهرة ط٧ .

ـ المنازل والديار ـ أسامة بن منقذ ـ تحقيق مصطفىٰ حجازي القاهرة ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
ـ من اسمه عمرو من الشعراء ـ ابن الجراح ـ تحقيق عبد العزيز المانع ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٩١ .
ـ المنتظم ـ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ـ إعداد إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
ـ المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ١٩٦١ .
ـ موسوعة الشعر العربي ـ مطاع صفدي ـ ايليا حاوي ـ شركة خياط ـ بيروت ١٩٧٤ .
ـ نثر الدر ـ أبي سعد الأبي ـ تحقيق محمد إبراهيم عبد الرحمن ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٧م .
ـ النجوم الزاهرة ـ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرىٰ بردي الأتابكي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ـ شيخ الربوة ـ دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨ .
ـ نزهة الألباب في الألقاب ـ ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق عبد العزيز السديدي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .
ـ نزهة المشتاق ـ الشريف الإدريسي ـ عالم الكتب بيروت ١٩٨٩ .
ـ نسب الخيل ـ ابن الكلبي ـ تحقيق د. نوري حمودي القيسي ، د. حاتم صالح الضامن ـ عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية .
ـ نسب معد ـ أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ـ تحقيق د. ناجي حسن ـ مكتبة النهضة العربية ـ بيروت ط١ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ـ ابن سعد الأندلسي ـ تحقيق نصرت عبد الرحمن ـ دار المعارف مصر ١٩٥٩ .
ـ نفح الطيب ـ المقرّي التلمساني ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .
ـ النقائض ـ أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ ـ دار صادر ـ بيروت .
ـ نكت الهميان الصفدي ـ أشرف علىٰ طبعه الأستاذ أحمد زكي ـ المطبعة الجمالية ـ مصر ١٩١١ .
ـ نوادر المخطوطات ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ط٢ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
ـ الوافي بالوفيات ـ الصفدي ط٢ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
ـ الوحشيات ـ « الحماسة الصغرىٰ » ـ أبي تمام الطائي ـ تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ محمود محمد شاكر ـ دار المعارف مصر ط٣ .
ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان تحقيق إحسان عباس ـ منشورات الشريف الرضي ـ ط٢ .
ـ وقعة صفين ـ ابن مزاحم المنقري ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ط٣ ـ ١٩٨١ .
ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة ـ الكندي ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة .
ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي النيسابوري ـ تحقيق د. مفيد قميحة ـ دار الكتب العلمية ط١ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

صدر للمؤلف

١ ـ فصيحات العرب في الجاهلية والإسلام « في النثر » .

٢ ـ قبيلة طيء في الجاهلية والإسلام نسب ـ أعلام ـ شعر ـ أدب .

٣ ـ قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام نسب ـ أعلام ـ شعر ـ أدب .

٤ ـ قبيلة ضبة في الجاهلية والإسلام نسب ـ أعلام ـ شعر ـ أدب .

٥ ـ قبيلة تغلب في الجاهلية والإسلام نسب ـ أعلام ـ شعر ـ أدب .

ـ قريباً سوف يصدر :

قبيلة تميم في الجاهلية والإسلام نسب ـ أعلام ـ شعر ـ أدب .

*** جميعها صدرت عن دار البشائر بدمشق**